

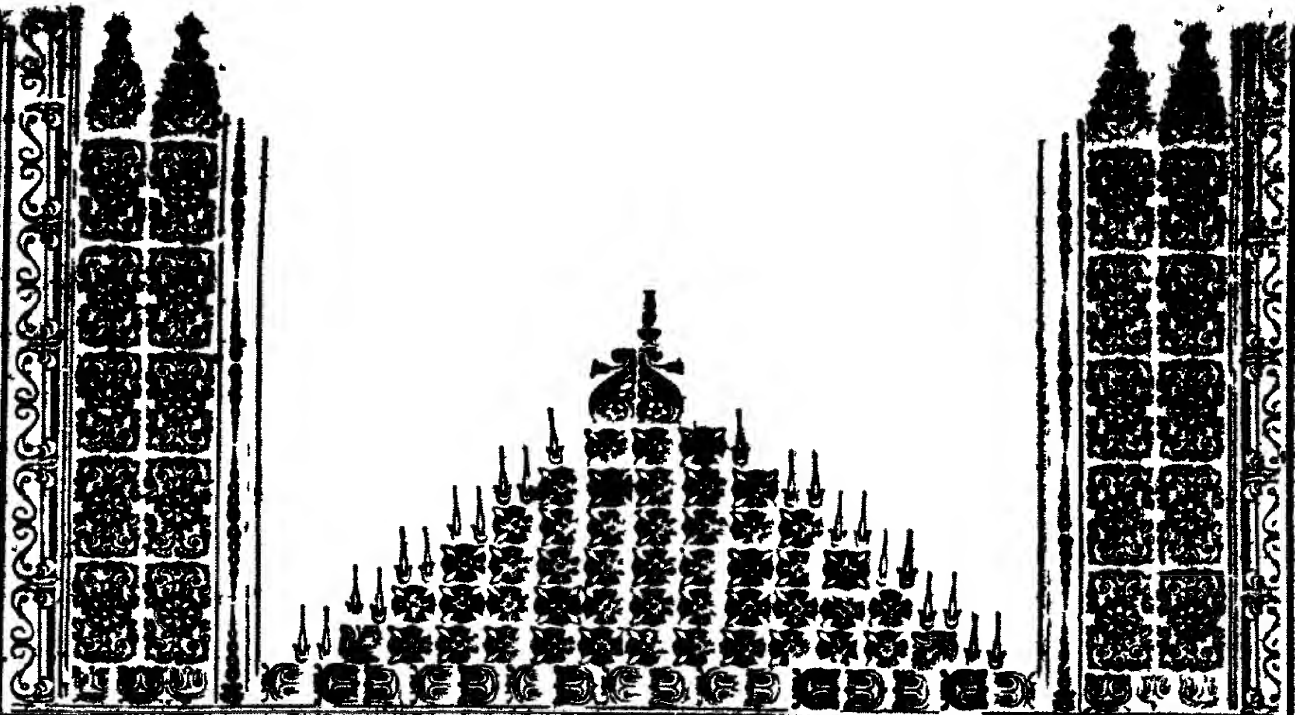
(الطبعة الاولى)

الجزء الاول  
من التفسير المنير لمعالم  
التنزيل المسفر عن وجوه محاسن  
انتاويل المسمى طبقا للمعناه من اخ لمبيد  
لكشف معنى قرآن مجيد لجامعة العالم التحرير  
وعلم الفضل الشهير المتحلي بكرم الشيم ومهابة  
الاعزاز العلامة الشيخ محمد نوري من علماء  
الحجاز نفع الله تعالى بعلمه المسلمين  
وجعله اواياه من خبار  
أخته المقبولين

بالطبعة الغمانية سنة ١٣٠٥







بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته وخضع كل شيء  
لملكه فسبحان الله شارع الاحكام المميز بين الحلال والحرام أحسنه على ما نفع من غوامض العلوم  
بأخراج الافهام والصلوة والسلام على سيدنا محمد الذي أزال بيانه كل إبهام وعلى آله وأصحابه أولى  
التعاقب والاحلام صلاة وسلاما دائمين مادامت الايام (أما بعد) فيقول أحقر الووري محمد نوري قد أمرني  
بعض الاعزة عندي أن أكتب تفسير القرآن المجيد فترددت في ذلك زمانا طويلا خوفا من أن يدخل في  
قوله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وفي قوله صلى الله عليه وسلم من قال  
في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فأجبتهم الى ذلك للاقتداء بالسلف في تدوين العلم ابقاء على الخلق  
وليس على فعلي مزيد ولكن لكل زمان تجديد وليكون ذلك عوناً للقاصرين مثلي وأخذته من  
الفتوحات الالهية ومن مفاتيح الغيب ومن السراج المنير ومن تنوير المقباس ومن تفسير أبي السعود  
(ومعنيته) مع الموافقة لتاريخه معراج لبيد لكشف معنى قرآن مجيد وعلى الكريم الفتح اعفادي  
واليه تفويض واستنادي والآن أشرع بحسن توفيقه وهو المعين لكل من لجأ به

(سورة الفاتحة مكية أو مدنية سبع آيات)

والسابعة صراط الذين إلى آخرها ان كانت البسطة منها وان لم تكن منها فالسابعة غير المقصود  
عليهم إلى آخرها وهي مشتقة على أربعة أنواع من العلوم أحدها علم الاصول وقد جمعت الاهيات  
والحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والنبوات في الذين أنعمت عليهم والدار الآخرة في تلك

يوم الدين . وثانيها علم الفروع وأعظمه العبادات وهي ما يتقرب به إلى الله تعالى . وثالثها علم النواهي وما لا يشرع فيه . ورابعها علم القصص والأخبار عن الأمم الخالية وقد جمعت السعداء من الأنبياء وغيرهم في الذين أنعمت عليهم والاشقياء من الكفار في غير المقضوب عليهم ولا الضالين (بسم الله الرحمن الرحيم) الباء بها الله والسين ابتداء اسمه جميع والميم ابتداء اسمه مجيد مليك والالف ابتداء اسمه الله واللام ابتداء اسمه لطيف والهاء ابتداء اسمه هادي والراء ابتداء اسمه رزاق والحاء ابتداء اسمه حلیم والنون ابتداء اسمه نافع ونور (الحمد لله) والشكر لله بنعمة السوابغ على عباده الذين هداهم للإيمان (رب العالمين) أي خالق الخلق ورازقهم ومحو لهم من حال إلى حال (الرحمن) أي العاطف على البار والفاخر بالزرق لهم ودفع الآفات عنهم (الرحيم) أي الذي يستر عليهم الذنوب في الدنيا ويرحمهم في الآخرة فيدخلهم الجنة (مالئ يوم الدين) بآيات الالف عند اسم والكسبي ويقرب أي يتصرف الأمر كله في يوم القيامة كما قال تعالى يوم لا تعلمك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله وعند الباقين يخذف الالف والمعنى أي المتصرف في أمر القيامة بالأمر والنهي (إياك نعبد) أي لا نعبد أحدا سواك (وإياك نستعين) أي بك نستعين على عبادتك فلا حول عن المعصية إلا بعصمتك ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيقك (اهدنا الصراط المستقيم) أي زدنا هداية إلى دين الإسلام والمعنى أدنا مهديين إليه (صراط الذين أنعمت عليهم) أي دين الذين مننت عليهم بالدين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (غير المقضوب) أي غير دين اليهود الذين غضبت (عليهم ولا الضالين) أي وغير دين النصاري الذين ضلوا عن الإسلام ويقال المقضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المناقضون لأن الله تعالى ذكر المؤمنين في أول البقرة في أربع آيات ثم نفي ذكر الكفار في آيتين ثم نفي ذكر المنافقين في ثلاث عشرة آية ويسن للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين وهو اسم بمعنى فعل أمر وهو استجب

(سورة البقرة مدنية أو مكية مائتان وسبع وثمانون آية وكلما تأملتها ثلاث

آلاف ومائة وحرفها خمس وعشرون ألفا وخمس مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي أنفرد الله به له وهي سر القرآن فمن يؤمن بظاهرها وتنفوس العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها والله تعالى اختص بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء والأنبياء اختصوا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء والعلماء اختصوا بعلم لا تقدر عليه معقول العامة وقال أبو بكر رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور (ذلك الكتاب لا ريب فيه) أي هذا الكتاب الذي يقرؤه عليكم رسول محمد لا شك في أنه من عندي فإن آمنتم به هديتكم وإن لم تؤمنوا به عذبتكم (هدى للتقين) أي رحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بما لم يروا من الجنة والنار والجهنم والميزان والبعث والحساب وغير ذلك وقيل المراد بالغيب القلب والقلوب يؤمنون بقلوبهم

لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (ويقيمون الصلاة) أي يقيمون الصلاة الخمس بالشروط  
 والأركان والهيئات (وعمار زقتهم ينفقون) أي عما أعطيناهم من الأموال يتصدقون لطاعة الله  
 تعالى وهو أبو بكر الصديق وأصحابه (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل من  
 قبلك) على سائر الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من سائر الكتب السابقة على القرآن  
 (وبالآخرة هم يوقنون) أي وهم يصدقون بما في الآخرة من البعث بعد الموت والحساب ونعيم الجنة وهو  
 عند الله بن سلام وأصحابه (أولئك) أي أهل هذه الصفقة (على هدى) أي كرامة نزل (من ربهم  
 وأولئك هم المفلحون) أي الناجون من السخط والعذاب وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (إن  
 الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي الذين كفروا في علم الله متساردينهم  
 أنذارك إياهم بالقرآن وعدمه وهم لا يريدون أن يؤمنوا بما جئت به فلا تطمع يا أشرف الخلق في إيمانهم  
 ثم ذكر الله سبب تركهم الإيمان بقوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) أي طبع الله على  
 قلوبهم فلا يدخلها إيمان وعلى سمعهم فلا يسمعون بما يسمعون من الحق ووجد السمع لوحدة السمعوع  
 وهو الصوت (وعلى أبصارهم غشاوة) مبتدأ وخبر أي على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يبصرون  
 الحق (ولهم عذاب عظيم) أي شديد في الآخرة وهم رؤساء اليهود الذين وصفهم الله بأنهم يكتمون  
 الحق وهم يعلمون وهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وجدي بن أخطب ويقال هم مشركو أهل مكة  
 هتبه وشيبة والوليد بن المغيرة وأبي جهل (ومن الناس من يقول آمنا) في السر (بالله وباليوم  
 الآخر) أي بالبعث بعد الموت الذي فيه جزاء الأعمال (وما هم بمؤمنين) في السر (يخادعون الله)  
 أي يكذبونه في السر (والذين آمنوا) أي أبابكر وصائر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وما يخادعون)  
 أي يكذبون (الأنفسهم) وهذه الجملة حال من ضمير يخادعون أي يفعلون ذلك والحال أنهم هم  
 ما يضرون بذلك لأنفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم وقرأ عاصم وابن عامر وحجزة والكسائي  
 وما يخادعون يفتح الياء وسكون الحاء وفتح الدال وقرأ الباقر بن ضمير الياء وفتح الحاء مع المد وكسر الدال  
 ولا خلاف في قوله يخادعون الله فالجميع قرأ بضم الياء وفتح الحاء وبالالف بعدها وكسر الدال وأما  
 الرسم فبغير ألف في الموضعين (وما يشعرون) أن الله يطلع نبيه على كذبهم (في قلوبهم مرض)  
 أي شك وظلمة (فزادهم الله مرضا) أي شكًا وظلمة بما أنزل من القرآن لأنه كلما أنزل آية كفروا بها  
 فزادوا شكًا وظلمة (ولهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة يخلص وجعه إلى قلوبهم (بما كانوا  
 يكذبون) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالتشديد أي بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم  
 وقرأ الباقر بن ضمير الدال أي بكذبهم في قولهم آمنا في السر وهم المنافقون عبد الله بن أبي وجدي بن قيس  
 ومعتب بن قشير (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء المنافقين (لا تفسدوا في الأرض) بتعويق الناس عن  
 دين محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا انما نحن مصلحون) وانما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة  
 الصلاح لما في قلوبهم من المرض قال الله تعالى رداع عليهم أبلغ رد (ألا) أي بلى (أنهم هم المفسدون)  
 بما يتعويق (ولكن لا يشعرون) أن الله تعالى يطلع نبيه على فسادهم (وإذا قيل لهم آمنوا) بمحمد  
 صلى الله عليه وسلم والقرآن أي أن المؤمنين فهم المنافقين من وجهين أحدهما النهي عن الفساد  
 وهو التخلي عن الرذائل وثانيها الأمر بالإيمان وهو التحلي بالفضائل (كما آمن الناس) أي الكاملون  
 في الإنسانية العاملون بقضية العقل كأصحاب النبي أو كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمنين أهل الكتاب

والمعنى آمنوا ايماناً مقروناً بالاخلاص متحصلاً عن شوائب النفاق عما تلا ايمانهم (قالوا) فيما بينهم  
لا بحضرة المسابن (أنؤمن) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كأمن السفهاء) أى الجهال وانما  
سفهوا المؤمنين لتحقير شأنهم لان أكثرهم فقراء وبعضهم موال كصهيب وبلال أولعدهم بالمبالاة بمن  
آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام وأصحابه قال الله تعالى رداعليهم أبلغ رد (ألا) أى بلى (انهم هم  
السفهاء) أى الجهال الخرفى (ولكن لا يعلمون) انهم سفهاء (واذا لقوا) أى المناقون (الذين  
آمنوا) أيا بكره وأصحابه (قالوا آمنا) فى السر كما يمانكم (واذا خلوا) أى عادوا (الى شياطينهم)  
أى أكثرهم الذين يقدرون على الافساد فى الارض وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة  
وأبو بردة فى بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن الاسود بالشام (قالوا)  
لهم ثلاثية وهم موافقهم المباينة (انامعكم) أى على دينكم فى السر (انما نحن) فى الظاهر  
الايمان عند المؤمنين (مستهزؤن) بهم من غير أن يخطر ببالنا الايمان حقيقة (الله يستهزئ بهم)  
أى الله يعاملهم معاملة المستهزئ فى الدنيا وفى الآخرة أما فى الدنيا فلا نه تعالى أطلع الرسول على أمرهم  
مع انهم كانوا يبالغون فى اخفائها عنه وأما فى الآخرة فقال ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون  
النار فتح الله من الجنة باباً على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المناقين فاذا رأى المناقون الباب مفتوحاً  
خرجوا من الجحيم ويتوجهون الى الجنة وأهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة سد عليهم  
الباب وذلك قوله تعالى فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون (ويعددهم فى طغيانهم) أى يزيدهم  
فى ضلالهم (يعمهمون) أى يترددون فى الكفر وتركة تكميرين (أولئك الذين اشتروا الضلالة  
بالحدى) أى أولئك الموصوفون بالصفات السابقة من قوله ومن الناس اختاروا الكفر على الايمان  
(فما رجحت تجارتهم) أى فلم يرجحوا فى تجارتهم بل خسروا (وما كانوا مهتدين) الى طرق التجارة فان  
المقصود منها سلامة رأس المال والرجح وهؤلاء قد أضاعوه ما قرأ من ما لهم العقل والصرف ورجحه الهدى  
(مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً) أى صفة المناقين فى حال نفاقهم كصفة الذى أوقد ناراً فى ظلمة لى  
يأمن بها على نفسه وأهله وماله (فلما أضأت ماحولة) أى فلما أضأت النار المكان الذى حول المستوقد  
فأبصروا آمن مما يخافه (ذهب الله بنورهم) أى أطفأ الله النور المقصود بالايقاد فبقى المستوقدون فى  
ظلمة وخوف (وتركهم) أى المستوقدين (فى ظلمات) ظلمة الليل وظلمة تراكم العمام فيه  
وظلمة انطفاء النار (لا يبصرون) ماحولهم فكذلك هؤلاء المناقون آمنوا على أنفسهم وأولادهم  
وأموالهم بسبب اظهار كلمة الايمان فاذا ما تواجاها هم الخوف والعذاب وهم فى القبر وما بعده  
(صم) عن الحق فلا يسمعونهم مما يقول (بكم) عن الخير فلا يقولونه قولاً مطابقاً للواقع لما سبق انهم  
مؤمنون ظاهراً (عمى) عن طريق الهدى فلا يرونه رؤيته نافعة (فهم لا يرجعون) عن كفرهم  
وضلاتهم (أو كصيب) أوصفة المناقين كصفة أصحاب مطر نازل (من السماء) أى السحاب ليلا  
وهم فى مغارة (فيه) أى الصيب (ظلمات) ظلمة تكاثفها بتتابع القطر وظلمة اطلال الغمامة مع ظلمة  
الليل (ورعد) وهو صوت يسمع من السحاب كأن اجرام السحاب تضطرب اذا أخذتها الريح فتصوت  
عند ذلك من الارتعاد (وبرق) وهو ما يلمع من السحاب (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابهم  
فى آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصيحة الشديدة من صوت الرعد يكون معها قطرة نازلة (حذر  
الموت) من سماعها فكذلك هؤلاء المناقون اذا نزل القرآن المشبه بالمطر فى أن كلا سبب الخلية وفيه ذكر

الكفر المشبه بالظلمات وعدم الاهتداء وذكر الوعيد على الكفر المشبه بالرعد في ازعاجه وارهابه وذكر  
 الحجج البينة المشبهة بالبرق في ظهوره يهدون آذانهم من ههنا القرآن حذرا ليل الى الايمان الذي هو  
 بمنزلة الموت عندهم فان ترك الدين موت ( والله محيط بالكافرين ) علما وقدره فلا يغتونه تعالى لان  
 الحما لا يغوت المحيط ( يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء ) أي البرق ( لهم مشوا فيه ) أي في ضوء البرق  
 ( وإذا أظلم عليهم قاموا ) أي بقوا في الظلمة وهذا غثيل لازعاج ما في القرآن قلوبهم باختطاف البرق  
 بأبصارهم ولتصديقهم لما يحبونه من تحصيل الغنية وعصاة الدماء والاموال بعشيم في البرق ولوقوفهم  
 لما يكرهون من التكليف الشاقة عليهم كالصلاة والصوم بوقوفهم في الظلمة ( ولو شاء الله ) أن يذهب  
 بسمعهم وأبصارهم ( لذهب بسمعهم ) بقصيف الرعد ( وأبصارهم ) بوميض البرق كذلك لو شاء الله  
 لذهب بسمع المنافقين بزجر ما في القرآن وعيد ما فيه وأبصارهم بالبيان ( ان الله على كل شيء ) أي  
 عاين من ذهاب السمع والبصر ( قدير ) قال الفخر الرازي وأضاء امامت عبدعني كلما نور لهم مبلكا  
 أخذوه واما غير متعد بعني كلما لم لهم مشوا فيه بطرح نوره ويقويه قراءة ابن أبي عملة كلما ضاء ( يا أيها  
 الناس ) أي يا أهل مكة أو يا أيها اليهود ( اعبدوا ربكم ) أي وحدوه بالعبادة ( الذي خلقكم )  
 نسما من النطفة ( والذين من قبلكم ) أي أنشأهم ولم يكونوا شيئا ( لعلمكم تتقون ) أي لكي تتقوا  
 السخط والعذاب بعبادته ولعل للاطماع لكن الكريم الرحيم اذا أطمع أجرى اطماعه مجرى وعده  
 المحتموم فلهذا السبب قيل لعل في كلام الله تعالى بعني كي ( الذي جعل لكم الارض فراشا ) أي  
 بساطا ( والسما بناء ) أي سقفا مرفوعا وعبر عنه بالبناء لاحكامه ( وأنزل من السما ماء ) وعن  
 خالد بن معدان قال المطر ماء يخرج من تحت العرش فينزل من سما الى سما حتى يجتمع في سما الدنيا  
 فيجتمع في موضع فجيء السحاب السود فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث شاء ( فأخرج به من الثمرات  
 رزقا لكم ) أي أنبت الله بالمطر من ألوان الثمرات طعاما لكم ولسائر الخلق ( فلا تجعلوا لله أندادا ) أي  
 شركاء في العبادة ( وأنتم تعلمون ) أن الانداد لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله أو يقال وأنتم تعلمون انه  
 ليس في التوراة والانجيل جواز امتداد الانداد ( وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ) محمد من القرآن  
 في انه من عند نفسه ( فأوبسورة من مثله ) أي من ما هو على صفة ما نزلنا في الفصاحة وحسن النظم  
 وال اخبار بالغيوب ( وادعوا شهداءكم من دون الله ) أي ادعوا أكاركم من غيره تعالى عن يوافقكم  
 في انكار أمر محمد ليعينوك على المعارضة واجهكم أموالكم وعليكم فيما يمكن ويتعذر وقد كان في العرب  
 أكابر يشهدون على المتنازعين في الفصاحة بأن أحدهما أعلا درجة من الآخر ( ان كنتم صادقين )  
 في مقالكم ان محمد ايقول من تلقاء نفسه ( فان لم تفعلوا ) أي لم تأو بسورة من مثل المنزل ( ولن  
 تفعلوا ) أي لن تقدر وأن تعيشوا بمثله ( فاتقوا النار ) والمعنى اذا ظهر عجزكم عن المعارضة مع عندكم  
 صفى محمد عليه السلام واذا مع ذلك فاتركوا العناد واذ الزمتم العناد استوجبتم العقاب بالنار ( التي  
 وقودها الناس ) أي حطبها الكفار ( والحجارة ) المعبودة لهم قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله  
 حصب جهنم ( أعدت ) أي هيئت تلك النار ( للكافرين ) بما نزلناه وجعلت هذه لعذابهم ( وبشر الذين  
 آمنوا وعملوا الصالحات ) أي الطاعات ( أن لهم جنات ) أي بساكن ذات شجر ومساكن والمأمور  
 بالبشارة اما رسول الله صلى الله عليه وسلم واما كل أحد يتقدر على البشارة وهذا أحسن كما حال صلى الله  
 عليه وسلم بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة ولم يأمر صلى الله عليه وسلم بذلك



واحد ابينه وقرأ زيد بن علي وبشر بلفظ المبني للفعول عطف على أعدت (تجري من تحتها) أي من  
 تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أي أنهار الخمر واللبن والعسل ولما هو عن مسروق أنها الجنة  
 تجري في غير الحدود (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) أي كل حين رزقوا موزوناً من الجنات من نوع  
 ثمرة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي هذا مثل الذي أطعمنا في الجنة من قبل هذا الذي أحضر  
 البنا قال تعالى تصديقاً في تلك الدعوى (وأتوا به مشابهاً) أي أتهم الملائكة والولدان برزق الجنة  
 متشابه بعضه بعضاً في اللون مختلفاً في الطعم (ولهم فيها) أي الجنات (أزواج) من الحور والآدميات  
 (مطهرة) من الحيض وجميع الاقدار ومن دنس الطبع وسوء الخلق (وهم فيها خالدون) أي دائمون  
 لا يموتون ولا يخرجون (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما) أي إن الله لا يترك أن يبين للخلق مثلاً أي  
 مثل كان (بعوضة فافوقها) في الذات كالأبواب والعنكبوت أو في الغرض المقصود من التمثيل كجنح  
 البعوضة وكيف يستحي الله من ذكر شيء واجتمع الخ لائق كلهم على تخليقه ما قدر وأعلى عليه والمراد  
 بالبعوضة هنا الناموس وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر وله ستة أرجل وأربعة أجنحة  
 وذنب وخرطوم مجوف وهو مع صغره بغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية  
 حتى أن الجمل يموت من قرصته (فأما الذين آمنوا فاعلمون أنه) أي ضرب المثل (الحق) أي الثابت  
 (من ربهم) فلا يسوغ إنكاره لأنه ليس عنباً بل هو مشتمل على الأمر والقوائم (وأما الذين  
 كفروا) من اليهود (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) تميز نسبة من اسم الإشارة أي فائدة في  
 هذا المثل قال الله تعالى في جوابهم (يضل به) أي هذا المثل عن الدين (كثيراً) من اليهود  
 (ويهدى به كثيراً) من المؤمنين (وما يضل به إلا الفاسقين) أي الخارجين عن حد الإيمان (الذين  
 ينقضون عهد الله) هو الحجة القائمة على عبادة الدالة على وجوب وجوده وحدانيته وعلى وجوب صدق  
 رسوله (من بعد ميثاقه) أي توكيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) فإله أمرهم أن يصلوا أحبلهم  
 بجبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين واتصلوا بالكفار (ويفسدون في الأرض) بتعويق الناس  
 عن الإيمان بمعد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك) الموصوفون بنقض العهد وما بعده (هم الحاسرون)  
 أي المقبون بذهاب حسناتهم التي عملوها وبذهاب نعيم الجنة الذي وأطاعوا الله لوجوده (كيف  
 تكفرون بالله) الحال أنكم (كنتم أمواتاً) أجساماً لا حياة لها نطفاً وعلقاً ومضغاً (فأحياكم)  
 بنفخ الأرواح فيكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) بالنشور (ثم إليه ترجعون)  
 بعد الحشر فيجازيكم على أعمالكم إن خير الخیر وإن شراً شر ثم والمعنى ثم إليه تنشرون من قبوركم للحساب  
 (هو الذي خلق لكم) أي لاجل انتفاعكم في الدين والدنيا بالاستدلال على موجودكم وإصلاح الأبدان  
 (ما في الأرض جميعاً ثم استوى) أي قصد (إلى) خلق (السما) أي ثم تعلقت إرادته قطعاً حاداً  
 يترجم وجود السماء على عدمها فعلق القدرة بإيجادها (فسواهن) أي جعل السماء (سبع  
 سموات) والحاصل أن الله تعالى خلق الأرض من غير بسط في يومين ثم خلق السموات السبع مبسوطة  
 في يومين ثم خلق ما في الأرض مما ينتفع به في يومين وعن ابن مسعود قال إن الله تعالى كان عرشه على  
 الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماء  
 من الماء ثم أيس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فلقها فجعل سبع أرضين في يومين في الأحد ولاثنين فجعل  
 الأرض على حوت والحوت في الماء على صفاة والنصفاة على ظهر ملك والملك على الصخرة والصخرة على

الى يح ففرك الحوت نزلت الارض فارسي عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض (والله بكل  
 شيء عليم) فلا يمكن أن يكون خالق الارض وما فيها والسموات وما فيها من العجائب والغرائب الا اذا كان  
 عالمها محيطا بجزئياتها وكلها (واذا قال ذلك للملائكة) فاذن نصب باضمار اذكر وقيل زائدة وقيل بمعنى  
 قد ويجوز أن يتصب بقالوا أتجعل أي قالوا ذلك القول وقت قول الله تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة  
 روى الفصحاء عن ابن عباس انه تعالى انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا في الارض محاربين مع  
 ابليس لان الله تعالى لما أسكن الجن الارض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله  
 ابليس في جن من الملائكة فقتلهم ابليس بعسكره حتى أخرجوه من الارض وألحقوهم بجزائر البحر  
 وهو لا مخزان الجنان أنزلهم الله من السماء الى الارض ليطرد الجن الى الجزائر والجبال وسكنوا الارض  
 تخفف الله عنهم العباداة وكان ابليس يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله الهيب  
 وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال تعالى له ولجنده (اني جاعل في  
 الارض خليفة) أي بدلا منكم ورافعكم الى فكره هو ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عباداة والمراد به آم عليه  
 السلام (قالوا) استكشافا عما خفي عليهم من الحكمة لا اعتراضا على الله تعالى ولا طعن في بني آدم  
 على طريق الغيبة (أتجعل فيهما من يفسد فيها) بالمعاصي بمقتضى القوة الشهوانية (ويسفك الدماء)  
 بالظلم بمقتضى القوة الغضبية فغفلوا عن مقتضى القوة العقلية التي بها يحصل السكال والفضل (ونحن  
 نسبح) أي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين (بمجدك) على ما أنعمت به علينا من فنون  
 النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العباداة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال ومجديت كبر صفات الانعام  
 (ونقدس لك) أي نصفيك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا  
 عن الذنوب لاجلك أي فنحن أحق بالاستخلاف (قال) تعالى (اني أعلم ما لا تعلمون) من مصلحة استخلاف  
 آدم عليه السلام (وعلم آدم الاسماء كلها) أي أسماء كل ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع  
 اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد آدم اليوم (ثم عرضهم) أي ذوات الاشياء (على الملائكة) بأن  
 صور الله الاشياء في قلوبهم فصارت كأنهم شاهدها أو خلق الله تعالى معاني الاسماء التي علمها آدم  
 حتى شاهدتها الملائكة (فقال) تعالى لهم توبيخا (أنبؤني باسماء هؤلاء) المسميات (ان كنتم  
 صادقين) في ذمكم أنكم أحق بالخلافة من استخلفته (قالوا) اقرارا بالهجز (سبحانك) أي تبنا اليك  
 من ذلك القول (لا علم لنا الا ما علمتنا) أي وانما قالوا أتجعل فيهما من يفسد فيها لان الله تعالى أعلمهم ذلك  
 فكانهم قالوا انك أعلمتنا انهم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء فقلنا لك أتجعل فيهما من يفسد فيها  
 وأما هذه الاسماء فانك ما علمتنا كيفيتها فكيف نعلمها (انك أنت العليم) أي الذي لا يخرج عن عمله  
 شيء (الحكيم) أي المحكم لصنعه (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أي اخبر الملائكة (باسمائهم)  
 أي المسميات (فلما أنبأهم باسمائهم) مفصلة وبين لهم أحوال كل من المسميات وخواصه وأحكامه  
 المتعلقة بالعاش والمعاد (قال) الله تعالى لهم موجعا (الم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض)  
 أي أعلم غيب ما يكون فيهما (وأعلم ما تبدون) أي تظهرون من قولكم أتجعل فيها الى آخره (وما كنتم  
 تكفون) أي من استبطن انكم أحق بالخلافة وروى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود أن المراد  
 بقوله تعالى ما تبدون قولهم أتجعل فيهما من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكفون ما أسر ابليس في نفسه  
 من الكبر ومن أن لا يسجد وقيل لما خلق الله تعالى آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا اليكن ماشاء فلن

يخلق

يخلق ربنا خلقا لا كسأ كرم عليه منه فهذا الذي كتموه (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تعظيم  
 لآدم من غير وضع الجبهة على الأرض (فسجدوا إلا إبليس أبى) عني أمر الله (واستكبر) أى  
 تعاطف عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى صار من الكافرين بأبائه عن أمر الله ويقال إن  
 إبليس حين اشتغاله بالعبادة كان منافقا كلفرا وهذا السجود كان قبل دخول آدم الجنة وروى أن  
 بنى آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر  
 حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين بها وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل  
 هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة  
 ملائكة الكرمى نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السراشق الواحد من سرادقات العرش التى  
 عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسبعه إذا قوبلت به السموات والأرضون وما فيها وما بينها  
 فانها كلها تكون شيئا يسيرا وقدر صغيرا وما من مقدار موضع قدم إلا وفيه ملك ساجدا أو راكعا أو قائما لهم  
 زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالنظرة في البحر  
 ولا يعلم عددهم إلا الله ثم مع هؤلاء ملائكة الألواح الذين هم أشياخ اسرافيل عليه السلام والملائكة التى  
 هم جنود جبريل عليه السلام وكلهم مشتغلون بعبادته تعالى لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم  
 ولا كيفية عبادتهم إلا الله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك) حواء (الجنة وكلامها) أكل  
 (رغدا) أى واسع الذا (حيث شئتما) أى فى أى مكان أردتما منها (ولا تقر باهذه الشجرة) روى  
 أن أبابكر الصديق رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشجرة فقال هى الشجرة  
 المباركة السنبلة وعن مجاهد وقتادة هى التين وعن يزيد بن عبد الله هى الأترج وعن ابن عباس هى  
 شجرة العلم عليها من كل لون وفن (فتكونا من الظالمين) أى فتصير من الضارين لأنفسكم ويقال من الذين  
 وضعوا أمر الله تعالى فى غير موضعه (فأزلهما الشيطان) أى أزلهما إبليس (عنها) أى الجنة  
 وقرأ حمزة بألف بعد الزاى والباقون بغير ألف وتشديد الهمزة (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من الرغد  
 (وقلنا) لآدم وحواء وإبليس (اهبطوا) انزلوا إلى الأرض فهبط آدم بسرديب من أرض الهند على  
 جبل يقال له نود وهبطت حواء بجدة وإبليس بالآيلة من أعمال البصرة (بعضكم لبعض عدو) قال  
 الله تعالى إن الشيطان لكاعد ومبين (ولكم فى الأرض مستقر) أى منزل (ومتاع) أى منفعة  
 ومعاش (إلى حين) أى إلى وقت الموت (فتلقى آدم من ربه كلمات) أى حفظ آدم من ربه كلمات لكى  
 تكون سبباً له ولا ولادة إلى التوبة وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات أى جاءته عن الله تعالى كلمات  
 قال سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فأغفر لى  
 انك أنت خير الغافرين لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فأرجنى انك أنت خير  
 الراحمين لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فقب على انك أنت التواب الرحيم وقال  
 مجاهد وقتادة هى ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (فتاب عليه) أى  
 رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة (انه هو التواب) أى الرجاء على عباده بالتغفرة (الرحيم) أى  
 البالغ فى الرحمة لمن مات على التوبة (قلنا اهبطوا منها) أى الجنة (جميعا) أما فى زمان واحد وفى أزمنة  
 متفرقة وفائدة تكرير الأمر بالهبوط أن آدم وحواء لما أتيا بالزلة أمر بالهبوط فتابا بعد الأمر به وروى  
 فى قلبهما أن الأمر به لما كان بسبب الزلة فبعد التوبة لا يبقى الأمر به فأعاد الله الأمر به مرة ثانية ليه  
 أن الأمر به باق بعد التوبة لأن الأمر به كان تحقيقاً للوعد المتقدم فى قوله تعالى انى جاءك فى الآ



خليفة وعلى هذا فالجمع لاثنتين نقطه آدم وحواء ويحتمل كون الجمع لهما ولولدهما قابيل وأقلمبا بناء  
 على القول بأنهم ما ولدوا في الجنة ولعل عدم ذكرهما كونهما تابعين لأبويهما وكان قابيل قد غضبه أبواه  
 لقتله هابيل (فاما يأتينكم) يا ذرية آدم (منى هدى) دلالة كدليل العقل والنقل وان للشرطية أدغت  
 في ما الزائدة للتأكيد (فن تبسع هداى) بان تأمل الأدلة بمقتها واستشتم المعارف منها (فلا خوف عليهم)  
 فيما يستقبلهم من العذاب (ولا هم يحزنون) على ما فاتهم من الدنيا ويقال فلا خوف عليهم اذا ذبح الموت  
 ولا هم يحزنون اذا طبقت النار وزوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن يقتضى  
 الوصول الى كل اللذات والمرادات وهذا يدل على أن المكاف الذى أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف في القبر  
 وعند البعث وعند حضور الموقف وعند تطاير الكتب وعند نصب الميزان وعند الصراط (والذين كفروا)  
 برسولنا المرسل اليهم (وكذبوا بآياتنا) المتزلة عليهم سواء كانوا من الأنس أو من الجن (أولئك أصحاب النار)  
 أى أهل النار وملأوا بها حيث لا يفارقونها (هم فيها خالدون) أى دائمون لا يخرجون منها ولا يموتون  
 فيها (يا بنى اسرائيل) أى يا أولاد يعقوب وهذا خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من  
 فولاد يعقوب عليه السلام فى أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم)  
 أى على آبائكم من الانحاء من فرعون وطلق البحر وتظليل الغمام فى التيه وانزال المن والسلوى فيه  
 واعطاء الحجر الذى كان كرسى الرجل يسقيهم ماشاؤا من الماء متى أرادوا واعطاء عود من النور ليضى  
 لهم بالليل وجعل رؤسهم لا تتشعث وتياهم لا تبلى وجعلهم أنبياء وملوكا بعد أن كانوا عبدا للعبط وانزال  
 الكتب العظيمة التى ما أنزلها الله على أمة سواهم أى أقيموا بشكر تلك النعمة (وأوفوا بعهدى) أى  
 أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصى ومن الوفاء بالامر الايمان بمحمد صلى الله  
 عليه وسلم (أوف بعهدكم) أى أرض عنكم وأدخلكم الجنة (واياى فارهبون) فيما تأتون وتتركون  
 واعلم أن كل من كان خوفه فى الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس روى انه ينادى مناد يوم  
 القيامة وعزنى وجلالى أنى لا أجمع على عبدى خوفين ولا آمنين من أمننى فى الدنيا خوفته يوم القيامة  
 ومن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن (مصدقا) أى موافقا  
 بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وبعض الشرائع (لما معكم) من التوراة (ولا تكونوا أول  
 كافرين) أى بالقرآن من اليهود فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها قريظة والنضير  
 فكفروا به صلى الله عليه وسلم ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر ويقال ولا تكونوا أول من يهدم  
 المعرفة لان كفر قريش كان مع الجهل لامع المعرفة (ولا تشتروا بآياتى) أى بكنان صفة محمد (ثمنا  
 قليلا) أى عوضا يسيرا وذلك لان رؤساء اليهود مثل كعب بن الاشرف وحجي بن أخطب وأمثالهما  
 كانوا يأخذون من سفلة اليهود الهدايا وعلموا أنهم لو اتبعوا محمد لا تقطعت عنهم تلك الهدايا فأصرروا على  
 الكفر لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر المحقر وذلك لان الدنيا كلها بالنسبة الى الدين قليلة جدا ثم تلك الهدايا  
 كانت فى نهاية القلة بالنسبة الى الدنيا (واياى فاتقون) أى تخافونى فى شأن هذا النبي صلى الله عليه  
 وسلم (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتسكتوا الحق) والباء للاستعانة والمعنى ولا تخلطوا الحق بسبب  
 الشبهات التى توردها على السامعين وذلك لان النصوص الواردة فى التوراة والانجيل فى أمر محمد كانت  
 نصوصا خفية يحتاج فى معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على  
 المتأملين فيها بسبب القاء الشبهات (وأنتم تعلمون) ما فى اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم  
 يوم القيامة وذلك لان التلبس صار صارا للخلق عن قبول الحق الى يوم القيامة وداعيا لهم الى الاستقرار

على الباطل الى يوم القيامة ثم ذكر الله لزوم الشرائع عليهم بعد الايمان (واقموا الصلاة) أى أعوا  
 الصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) أى أعطوا زكاة أموالكم (واركعوا مع الراكعين) أى صلوا  
 الصلوات الخمس مع المصلين محمد وأصحابه في جماعتهم وخص الله الركوع بالذكور تحريضا لليهود على  
 لا تيان بصلاة المسلمين فان اليهود لا ركوع في صلاتهم فسكاته تعالى قال صلوا الصلاة ذات الركوع  
 في جماعة (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) روى عن ابن عباس انه قال ان أخبار المدينة اذا  
 جاءهم أحد في الخفية لاستعلام أمر محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هو صادق فيما يقول وأمره حق  
 فاتبعوه وهم كانوا لا يتبعونه لطمعهم في الهدايا والصلاة التي كانت تصل اليهم من أتباعهم ويقال ان  
 جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر  
 منكم ويدعوا الى الحق وكانوا يرجونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا  
 به فبكتهم الله تعالى بذلك فقال (وأنتم تتلون الكتاب) أى التوراة الناطقة بنعوت محمد صلى الله عليه  
 وسلم (أفلا تعقلون) أى أتتلونه فلا تعقلون ما فيه (واستعينوا) أيها اليهود على ترك ما تحبون  
 من الدنيا وعلى الدخول فيما تستثقله طباعكم من قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم (بالصبر) أى  
 بحبس النفس عن اللذات (والصلاة) فانها جامعة لانواع العبادات (وانها) أى الصلاة (الكبيرة)  
 أى لشاقة (الاعلى الخاشعين) أى المائلين الى الطاعة (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) بالوت في  
 كل لحظة وذلك لان كل من كان منتظرا للوت في كل لحظة لا يفارق قلبه الخشوع فهم يبادرون الى  
 التوبة لان خوف الموت عما يقوى دواهي التوبة (وأنهم اليه راجعون) في الآخرة فيجازيهم بأعمالهم  
 (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) أى واذكروا اني  
 فضلت آباءكم على الموجودين في زمانهم لاعلى من مضى ولاعلى من يوجد بعدهم وأيضا معني تفضيلهم  
 على جميع العوالم ان الله تعالى بعث منهم رسلا كثيرة لم يبعثهم من أمة غيرهم ففضلوا هذا النوع من  
 التفضيل على سائر الأمم (واتقوا) أيها اليهود اذ لم تؤمنوا (يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا  
 يقبل) بالتأنيث على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وبالتذكير على قراءة الباقيين (منها شفاعة ولا يؤخذ منها  
 عدل) أى فداء (ولاهم ينصرون) أى ينعون من عذاب الله تعالى ومعنى الآية أن يوم اقامة  
 لا تنوب نفس عن نفس شيئا ولا تحمل عنها شيئا مما أصابها بل يغفر الله فيه من أخيه وأموأبيه ومعنى هذه  
 النيباة ان طاعة المطيع لا تقضى عن العاصي ما كان واجبا عليه (واذنجيناكم) وقرئ أنجيناكم  
 ونجيتكم فاذ في موضع نصب عطف على نعمتي عطف تفصيل على مجمل وكذلك الظروف الآتية في  
 الكلام المتعلق ببني اسرائيل وينقضي عند قوله تعالى سيقول السفهاء والخطاب للوجودين في زمن  
 نبينا تذكير لهم بما أنعم الله على آباؤهم لان انجاء الآباء سبب في وجود الابناء والمعنى ويا بني اسرائيل  
 اذكروا اذنجيناكم (من آل فرعون) أى أتباعه وأهل دينه وهم فرعون أكثر من أربع مائة  
 سنة وهو الوليد بن مصعب بن ديان (يسمونكم سوء العذاب) أى يطلبون لكم أشد العذاب ثم بين  
 الله ذلك بقوله (يذبحون أبناءكم) صفارا وقرئ يذبحون بالتحفيف (ويستحيون نساءكم) أى  
 يتركونهن احياء مغمرا ونقال يستخدمونهن كإراود ذلك ان فرعون رأى في منامه نارا أقبلت من بيت  
 المقدس حتى أحاطت ببسوت مصر وأحرقت كل قبضي وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة  
 وسأهم عن ذلك فقالوا يولد في بني اسرائيل ولد يكون هلاك القبط وزوال ملكك على يده فأمر فرعون  
 بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل حتى قتل من أولادهم اثني عشر ألف صبي (وفي ذلكم بلاء من ربكم

عظيم) والبلاء ههنا هو المحنة ان أشير بلفظ ذلكم الى صنع فرعون والنعمة ان أشير به الى الانجاء وحمل  
 البلاء على النعمة أحسن لانها هي التي صدرت من الله تعالى ولان موضع المحبة على اليهود انعام الله  
 تعالى على اسلافهم ثم ان كون استبقاؤهم على الحياة محنة مع انه ترك للعذاب لما أن ذلك كان  
 للاستعمال في الاعمال الشاقة وكان سبباً لا تقطاع النسل وفساد أمرهم عيشتهن (واذ فرقنا بكم  
 البحر) أي واذا كروا اذ قلنا بسببكم أي لاجل ان يتيسر لكم سلوكه (فأنجيناكم) من الفرق  
 بانخراجكم الى الساحل (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) التظام أمواج البحر بفرعون وقومه  
 وترون بعد ثلاثة أيام جثثهم التي قدفها البحر الى الساحل وفرعون معهم طاقين روى انه تعالى أمر  
 موسى عليه السلام أن يسرى بني اسرائيل وكانوا اثني عشر سبطاً كل سبط خمسون ألفاً فلما خرج موسى  
 ببني اسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى يصبح الديك ثم اجتمع الى فرعون ألف ألف ومائتا  
 ألف كل واحد منهم على فرس فقبعوا موسى وقومه نهاراً وصادفوه على شاطئ البحر فضرب موسى  
 بعصاه ليجرف انشق البحر اثني عشر جبلاً في كل واحد منها طريق فكان فيه وحل فهبت الصبا لجرف البحر  
 حتى صار طريقاً يسافاً أخذ كل سبط منهم طريقاً ردياً فخالوا فيه فقالوا لموسى ان بعضنا لا يرى صاحبه  
 فضرب موسى عصاه على البحر فصار بين الطرق منافذ وكوى فرأى بعضهم بعضاً فلما وصل فرعون شاطئ  
 البحر رأى ابليس واقفاً فنهاه على الدخول فجاء جبريل على حجرة فتقدم فرعون وهو على الخيل فنبعها فرس  
 فرعون فلما دخل فرعون البحر صاح ميكائيل بهم من خلفهم وهو على فرس فقال األقوا آخركم بأولكم  
 ولما دخلوا البحر لم يبق واحد منهم التظم البحر عليهم وغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ  
 وهو بحر العزم طرف من بحر فارس وقيل كان ذلك اليوم يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك  
 اليوم شكر الله تعالى (واذ واعدنا موسى) قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير ألف في هذه السورة وفي الاعراف  
 وطه وقرأه الباقر بالالف في المواضع الثلاثة (أربعين ليلة) بأعطاء السكاب (ثم اتخذتم الجبل)  
 أي عبدتم الجبل المسمى هموت (من بعده) أي بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) أي ضارون  
 لانفسكم وقيل وعدم موسى عليه السلام بني اسرائيل وهر بمصر ان أهلك الله عدوهم أتاهاهم بكاب  
 من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه السكاب فأمره أن يجيء  
 الى الطور ويصوم فيه ذا القعدة وعشر ذي الحجة فذهب اليه واستخلف هرون على بني اسرائيل ومكث في  
 الطور أربعين ليلة وأنزلت عليه التوراة في ألواح من زبرجد فلما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بني  
 اسرائيل الثياب والحلي الذي استعاروه من القبط لعمل عرس قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي  
 لا تحل لكم فاحرقوها لجمعوا ناراً وأحرقوها وكان موسى السامري في مسيره مع موسى عليه السلام في  
 البحر نظر الى حافرة جبريل عليه السلام حين تقدم على فرعون في دخول البحر فقبض قبضة من تراب  
 حافرة الدابة ثم ان السامري أخذ ما كان معه من الذهب والفضة وصور منه عجلاً في ثلاثة أيام مرصعاً  
 بالجواهر كما حسن ما يكون وألقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت ومشى فقال للقوم هذا الهكم واله موسى  
 فتركهم ههنا وخرج يطلبه وكانت بنو اسرائيل قد خلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى  
 عشرون يوماً لم يرجع موسى عليه السلام وقعوا في الفتنة فعبدوا كلهم الجبل الا هرون مع اثني عشر  
 ألف رجل وكان موسى السامري رجلاً صائغاً من جماعة يقال لها سامرة وكان منافقاً يظهر الاسلام  
 وكان من بني اسرائيل من قوم يعبدون البقر (ثم عفونا عنكم) أي محونا ذنوبكم حين تبتم (من بعد

ذلك) أى من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) أى لى تشكروا نعمة عفوى وتستمروا  
 بعد ذلك على طاعى (واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان) أى واذا كروا اذ اعطينا موسى التوراة  
 وبينافيهما الحلال والحرام والأمر والنهى وغير ذلك (لعلكم تهتدون) لى تهتدوا بتدبر الكتاب  
 من الضلال (واذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم) أى انكم  
 نقصتم أنفسكم الثواب الواجب بالاقامة على عهد موسى عليه السلام (باتخاذكم العجل) أى بعبادتكم  
 العجل فقالوا لموسى فاذا تأمرنا فقال لهم (فتوبوا الى بارئكم) أى الى خالقكم ولو أظهرتم التوبة  
 بالبدن دون القلب فأنتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس قالوا كيف نتوب فقال لهم (فاقتلوا أنفسكم)  
 أى سلّموا أنفسكم للقتل وارضوا به فأجابوا فأخذ عليهم الموائيق ليصبروا على القتل فأصبحوا مجتمعين فكل  
 قبيلة على حدة وأتاهم بالاثني عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل البتة وبأيديهم السيوف فقال الثابون ان  
 هؤلاء اخوانكم قد أنوكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه  
 أو مدطرفه اليهم أو أقامهم بيد أو رجل فيقولون آمين فجعلوا يقتلون من الصبح الى المساء وقام موسى  
 وهرون عليهما السلام يدعوان الله تعالى ويقولان البقية البقية يا الهنا فاحى الله اليهما انى قد غفرت لمن  
 قتل وتبت على من بقى وكان القتلى سبعين ألفا (ذلكم) أى القتل فى التوبة (خير لكم عند  
 بارئكم) لما فيه طهارة عن الشرك (فتاب عليكم) أى قبل توبة من قتل منكم وغفر لمن لم يقتل  
 من بقية المجرمين وعفاه عنهم من غير قتل (انه هو التواب) أى المتجاوز لمن تاب (الرحيم) على من مات على  
 التوبة (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة) وذلك لما رجع موسى  
 عليه السلام من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل حرق العجل وألقاه فى البحر اختار من  
 قومه سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى يسمعنا كلامه فسأل  
 موسى عليه السلام ذلك فأجاباه الله ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا  
 من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وكان موسى عليه السلام متى كلمه ربه وقع على  
 جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم النظر اليه رجع القوم كلام الله مع موسى عليه السلام يقول  
 له افعل كذا ولا تفعل كذا فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذى دخل فيه فقال القوم بعد ذلك  
 لا نصدق لك بأن ما نسمعه كلام الله حتى نرى الله معاينة فأحرقهم نار من السماء وما تواجيه عار قام موسى  
 رافعا يديه الى السماء يدعو ويقول يا الهى اخترت من بنى اسرائيل سبعين رجلا لى كونوا شهودى بقبول  
 توبتهم فارجع اليهم وليس معى منهم واحد فلما الذين يقولون فلم ير موسى مستغلا بالدعاء حتى ردا الله  
 أرواحهم وبطلب توبة بنى اسرائيل من عبادة العجل فقال لا أقبل الا أن يقتلوا أنفسهم (وأنتم  
 تنظرون) الى النار الواقعة من السماء (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أى ثم أحييناكم بعد حرقكم  
 بالنار وبعد موتكم يوما وليلة وذلك لظاهر آثار القدرة ولا يستوفوا بقية آجالهم وارزاقهم ولو ما ويا انقضاء  
 آجالهم لم يحيوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) أى لى تشكروا احيائى (وظللنا عليكم الغمام) أى  
 جعلنا الصحاب الرقيق يظلكم من حر الشمس أى وكان يسير بسيرهم وكانوا يسرون ليلا ونهارا وينزل  
 عليهم بالليل عمود من نور يسرون فى ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وذلك فى التيه وهو واد بين الشام  
 ومصر وقدره تسعة فراسخ مكنوا فيه أربعين سنة متعيرين لا يمتدون الى الخروج منه وسبب ذلك مخالفتهم  
 أمر الله تعالى بقتال الجبار الذين كانوا بالشام حيث امتنعوا من القتال (وأزلفنا) فى التيه (عليكم المن)

وهو شئ كالصنم كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد وكان يقع على أشجارهم من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلاوي) فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوما وليلة وإذا كان يوم الجمعة يأخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت والسلاوي وهو طائر ليس له ذنب ولا يطير الا قليلا ويعوت اذا سمع صوت الرعد كما ان الخطاف يقتله البرد فيلهمه الله أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء أوان المطر والرعد فيخرج من الجزائر وينتشر في الارض وخاصيته ان أكل لحمه يلين القلوب القاسية (كلوا) أي وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) أي من مستلذات ما رزقناكموه ولا تدخر والغد فادخر واقطع الله ذلك عنهم ودود ما ادخروه (وما ظلمونا) أي وما نقصونا بما ادخروا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي يضررون لنقص أنفسهم خطاهم من النعيم (واذ قلنا) لهم بعد ذروا وجههم من التيه على لسان موسى أو على لسان يوشع (ادخلوا هذه القرية) روى ان موسى عليه السلام سار بعد انقضاء الاربعين سنة عن بقي من بني اسرائيل ففتح أريحا بفتح الهمزة وكسر الراء قرية الجبارين وهي بين القدس وحوارن وأقام فيها ماشاء الله ثم قبض فيها وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي وان الله تعالى أمره بقتال الجبارة فسارهم يوشع وقتل الجبارة وصار الشام كله لبني اسرائيل (فكلوا منها) أي تلك القرية (حيث شئتم رغدا) أي موسعا عليكم (وادخلوا الباب) أي باب القرية أي من أي باب كان من أبوابها السبعة أو من باب يسمى باب الحطة أو باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام (مجيذا) أي مخمخين متواضعين كالراكم (وقولوا حطة) أي ان القوم أمرنا بأن يدخلوا الباب على وجه الخضوع وأن يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وقرأ ابن أبي عملة بالنصب والمعنى حط عنادنا ونينا حطة (نغفر لكم خطاياكم) وقرأ نافع بالتذكير وابن عامر بالتأنيث على البناء للمجهول والباقون بالنون المفتوحة (وسنزيد المحسنين) بالطاعة في حسناتهم (فبدل الذين ظلموا) أنفسهم (قولوا لغير الذي قيل لهم) أي أمرهم أي فدخلوا الباب زاحفين على أديبارهم قائلين حنطة على شعيرة استخفافا بأمر الله تعالى (فأتر لنا على الذين ظلموا) أي غير والامر (رجزا) أي طاعونا مقدرا (من السماء بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة روى أنه مات بالطاعون في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا فهذا الوياه غير الذي حل بهم في التيه (و) اذكروا (اذا استسقى موسى لقومه) في التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى وروى أن ذلك الحجر حجر طورى حمله معه وكان مربعا له أربعة جوانب وكان ذراعا في ذراع ينبع من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى ذلك السبط وكانوا ستمائة ألف وسبعة المعسكرات اثنا عشر ميلا ثم قيل كان حجرا أعطاه الله عليه اثنا عشر نديا كندي المرأة يخرج من كل ندي نهر اذا ضرب عصاه عليه (فانفجرت منه اثنا عشر عينا) أي نهرها (قد علم كل أناس) أي سبط (مشر بهم) أي موضع مشربهم من نهرهم روى أنه كان لكل سبط عين من اثنتي عشرة عينا لا يشرك فيها غيره وقلنا لهم (كلوا) من المن والسلاوي (واشربوا) من الانهار كلها (من رزق الله) أي كلوا واشربوا من رزق الله الذي يأتكم بالاتب (ولا تعنوا في الارض مفسدين) أي لا تتجادوا في الفساد في الارض في حالة

افسادكم وبقا لا تمشوا في الارض على خلاف امر موسى (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) أي على أكل طعام واحد وهو المن والسلوى (فادع لنا) أي اسأل لأجلنا (ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها) أي من أطايبه التي تؤكل كالسكرفس والسكرات والنغناع (وقثائمها وقومها) أي ثومها كما هو مروي عن ابن عباس ومجاهد وهو اختيار الكسائي لأن الثوم بائنا في حرف عبد الله بن مسعود (وعدسها وبصلها قال) أي موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى) أي أخس وهو الثوم والبصل (بالذي هو خير). أي أشرف وهو المن والسلوى فإنه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة إلى السعي (اهبطوا مصرا) أي اخرجوا من هذا المكان إلى المكان الذي خرجتم منه (فإن لكم) هناك (ما سألتهم وضربت عليهم الذلة) أي جعلت على فروع بني اسرائيل الذلة بالجزية (والمسكنة) أي زى الفقر (وباؤا بغضب) أي استحقوا الغضب أي اللعنة (من الله ذلك) أي الذلة والمسكنة واللعة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي بسبب أنهم كانوا يجحدون على الاستمرار بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وآية الرحم التي في التوراة وبلا نجيل (ويقتلون النبيين بغير الحق) أي ظلماروى أن اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار ولم يغموا حتى قاموا في آخر النهار يتسوقون مصالحهم وقتلوا زكريا ويحيى وشعيبا وغيرهم من الانبياء (ذلك) الغضب (بما عصوا وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون الحد بقتل الانبياء واستحلال المعاصي وهذا الذل الذي أصابهم هو بسبب قتلهم عيسى في زعمهم وقوله تعالى وضربت عليهم الذلة عدة بعض العلماء من باب المعجزات لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن ضرب الذلة والمسكنة عليهم وقد وقع الامر كذلك فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون مجزوا وهذا الكلام إلى قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون معترض في خلال القصص المتعلقة بحكاية أحوال بني اسرائيل الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام لأن قتل الانبياء انما كان من فروعهم وذريتهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا) أي الذين تهودوا (والنصارى) أي الذين تنصروا (والصابئين) أي الخارجين من دين إلى دين وهم قوم من النصارى يخلقون وسط رؤسهم ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة يقولون صلبت قلوبنا أي رجعت قلوبنا إلى الله (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) فيم ايينهم وبين ربهم (فلهم أجرهم عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تقويت الثواب والمعنى ان الذين آمنوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في زمن الفترة بعيسى عليه السلام مثل قس ابن ساعدة وبجيرة الراهب وحبيب النجار وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري ووفد النجاشي والذين كانوا على الدين الباطل الذي لليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر ومحمد فلهم أجرهم عند ربهم أو المعنى ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون واليهود والنصارى والصابئين كل من أتى منهم بالإيمان الحقيقي صار من المؤمنين عند الله وهذا قول سفيان الثوري (واذا أخذنا منكم) أي اقراركم بقبول التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) أي رفعنا فوق رؤسكم الجبل مقدار قامة كالظلمة وكان فرسخا في فرسخ حتى أعطينا الميثاق وقلنا (خذوا ما آتيناكم) أي اعمدوا بما أعطيناكم من الكتاب (بقوة) أي بمجد (واذكروا ما فيه) من الثواب والعقاب واحفظوا ما فيه من الحلال والحرام (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا المعاصي (ثم توليت) أي أعرضت عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) أي رفع الطور وابتداء التوراة (قلولا فضل الله عليكم) بتأخير العذاب (ورحمته) بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليكم (لكنتم من



الخامرين) أى لصرتهم من المغبونين بالعقوبة وبالانهمال في المعاصي (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم  
 في السبت) أى وبالله لقد عرفتم عقوبة الذين تجاوزوا الحد منكم يوم السبت في زمن داود عليه السلام  
 روى انهم أمروا بان يتعمدوا يوم السبت للعبادة ويتركوا الصيد وهو لا يقوم كانوا في زمن داود عليه  
 السلام وكانوا يسكنون بأيلة على ساحل البحرين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان  
 من كل أرض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا  
 حياضاً عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس  
 في الحياض هو اعتدائهم ثم انهم أخذوا السهل وهم خائفون من العقوبة فلما طال الزمان استحسن الابناء  
 بسنة الآباء فشى اليهم طوائف من أهل المدينة الذين كرهوا الصيد يوم السبت ونهوه فلم ينتهوا وقالوا  
 نحن في هذا العمل منذ أزمان فإزادنا الله به الاخير افعيل لهم لا تنفروا فريما نزل بكم العذاب فأصبح القوم  
 قردة خاسئين فكثروا كذلك ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتوالدوا ثم هلكوا وذلك قوله تعالى (فقلنا  
 لهم كونوا) أى صيروا (قردة خاسئين) أى ذليلين مبعدين عن الرحمة والشرف (لجعلناها) أى  
 المسخفة أو القردة أو قرية أصحاب السبت وهذه الامة (نكالا لما بين يديها وما خلفها) أى عقوبة رادعة  
 للام التي في زمانها وبعد هالي يوم القيامة أو لما قرب من تلك القرية وما تباعد عنها أو عقوبة لاجل ما تقدم  
 على هذه الامة من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) أى لكل متقٍ سمع تلك الواقعة فإنه يخاف  
 ان فعل مثل فعلهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم والمراد بقوله تعالى كونوا سرعة التكوين وانهم صاروا  
 كذلك كما أراد الله بهم (واذ قال موسى لقومه) أى واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لا صولكم  
 (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) روى عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلاً فقيراً في بني اسرائيل  
 قتل ابن أخيه أو أخاه أو ابن عمه لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شك ذلك الى موسى عليه السلام  
 فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلم يظفر قالوا له سل لنار بك حتى يبينه فسأله فأوحى الله اليه ان الله  
 يأمركم أن تذبحوا بقرة فتعجبوا من ذلك ثم شددوا على انفسهم بالاستفهام حالاً بعد حال واستقصوا في طلب  
 الوصف فلما تعينت البقرة لم يجدوها بذلك النعت الا عند انسان معين ولم يبيعها الا بأضعاف ثمنها فاشتروها  
 فذبحوها وأمرهم موسى أن يأخذوا عضواً منها فمضوا به القليل ففعلوا فصار المقتول حياً وعين لهم قاتله  
 وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قوداً (قالوا آتخذنا هزواً) أى أتستهزئ بنا يا موسى فان سؤالنا عن  
 أمر القتل وأنت تأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لانهم لم يعلموا أن الحكمة هي حياة القليل بضربه ببعض  
 البقرة واخباره بقاتله (قال) أى موسى (أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين) أى المستهزئين  
 بالموثمين لان الهزء في أثناء تبليغ أمر الله تعالى جهل فلما علموا أن الأمر بالذبح حق (قالوا ادع لنا)  
 أى لاجلنا (ربك يبين لنا ما هي) أى ما سنأخذها أصغرة أو كبيرة (قال انه) أى الله تعالى (يقول انها  
 بقرة لا فارض) أى كبيرة في السن (ولا بكر) أى صغيرة (عوان بين ذلك) أى وسط بين المسنة  
 والفتية (فأذبلوها ما تؤمرون) به من ذبحها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لو أنها قال انه) تعالى  
 (يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) أى صاف لونها (تسر الناظرين) اليها بسبب حسنها وتعجبهم من  
 شدة صفرتها الغرابتها وخرجها عن المعتاد (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أعاملة هي أم لا (ان  
 البقر تشابه علينا وإنا ان شاء الله لمهتدون) الى وصفها أو الى القاتل (قال انه) تعالى (يقول انها  
 بقرة لا ذلول) أى غير مذلة (تثير الارض) أى قلبها للزراعة (ولا تسقى الحرث) أى الزرع

(مسألة) من كل عيب (لاشية فيها) أى لا خلط فى لونها قال مجاهد لا يبيض فيها ولا اسود (قاوا  
الآن جئت بالحق) أى نطق بالبيان المحقق ففتشوا عليها فوجدها عند الفتى البارلامه فاشتروها  
بجل جلد لها (فذبجوها وما كادوا يفعلون) أى ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم ويقال وما  
كادوا أن يذبجوها لاجل غلامتها أو لحوف القضية فى ظهور القاتل روى أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ  
صالح له ابن طفل وله عجلة فأتى بها الى الفيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر فكانت  
من أحسن البقر وأسمها فلما كبر الابن كان بار الوالدته فكان يقسم الليل أثلاثا يوصل ثلثا وينام ثلثا  
ويجلس عند رأس أمه ثلثا فلما أصبح احتطب على ظهوره فيبيع الحطب فى السوق ثم يتصدق بثلثه  
ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه ثم أمرته أمه أن يأخذ تلك العجلة من الفيضة فلما أخذها  
قالت له أمه انك فقير يشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فبيع هذه البقرة فقال بكم أبيعها  
قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير شورتى وكان ثمن البقرة اذ ذاك ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث  
الله ملكا ليختبر الفتى كيف يربى والدته فقال الملك له بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير بشرط رضى  
والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأذن أمك فقال الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبالم أخذها لاربض  
أى فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبيعها بستة دنانير على رضائى فانطلق بها الى السوق وأتى  
الملك فعالم استأذنت أمك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على ان أستأذنها فقال الملك  
انى أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأذنها فأبى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان  
الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أنا امرأتك أن تبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال  
الملك له اذهب الى أمك وقل لها اسكى هذه البقرة قال موسى بن عمران يشترىها منك لقتيل يقتل فى بنى  
اسرائيل فلا تبيعها الا بعل مسكها ذهباً دنانير فأمسكتها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة  
بعينها مكافأة للفتى على ربه والدته فضلا من الله تعالى (واذ قتلتم نفسا) اسمه عاميل وقيل نكار  
(فادارأتم فيها) أى تخاضعتم فى شأنها (والله مخرج) أى مظهر (ما كنتم تسكنون) من قتلها  
وهذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وهما فادارأتم قوله (فقلنا اضربوه) أى القتل  
(بعضها) أى بعض من أعضاء البقرة قتل بذنبها وقيل بلسانها وقيل بفمها واذلك فقام  
القتيل حيا بأذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه فقتل قاتله لحرم  
الميراث وفى الحديث ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) أى كآحياء الله عاميل فى الدنيا  
(يحسب الله الموتى) فى الآخرة من غير احتياج الى آله (ويريك آياته) أى يجعلكم مبصرين بدلائل  
قدرته وأحيائه لليت (لعلكم تعقلون) أى لئلى تعلموا أن من قدر على احياء نفس واحدة قدر على  
احياء نفوس كثيرة فتصدقوا بالبعث بعد الموت (ثم قست قلوبكم) أيها اليهود فلم تقبل الحق (من  
بعد ذلك) أى احياء عاميل واخباره بقاتله أو من بعد الامور التى جرت على أجدادكم (فهى كالجارية)  
فى القساوة (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة ما يتفجر منه الانهار) قال الحكماء ان الانهار  
انما تنشأ عن ابخرة تجتمع فى باطن الارض فان كان ظاهرا لارض رخو انشقت تلك الابخرة وانفصلت  
وان كان ظاهرا لارض حجر يا اجتمعت تلك الابخرة حتى تكثر كثرة عظيمة فتشق الارض وتسيل تلك  
المياه أنهارا (وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء) أى العيون الصغار التى هى دون الانهار (وان  
منها ما يهبط) أى يتدحرج من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله) أى من انقياد أمر الله



قلوبكم أيها اليهود لا تتحرك من خوف الله واللام في اللام لا ابتداء دخلت على اسم ان وهو ما يعني الذي  
والضحية منه ويشقق ويهبط يهود عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أي ان الله يحافظ لا أعمال  
القاسية قلوبهم حتى يجازيهم في الآخرة وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم  
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون) أي أفتطمعون أيها  
النبي والمؤمنون أن يؤمن هؤلاء اليهود بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان طائفة منهم وهم أحبارهم  
يسمعون كلام الله في التوراة ثم يغيرونه من بعد المعنى الذي فهموه بعبه ولهم وهم يعلمون أنهم مفترون  
وذلك كنعث محمد صلى الله عليه وسلم فكانت صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة لكل العين ربعة جعد  
الشعر حسن الوجه كتبوا به لها طويلا أزرق العين سبط الشعر وقال ابن عباس والمعنى أفترجو  
يا أمرف الخلق أن تؤمن بك اليهود والحال ان أسلافهم وهم السبعون المختارون للبيقات الذين كانوا مع  
موسى يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يغيرونه من بعد ما علموه يقينا وهم يعلمون أنهم يغيرونه وذلك أنهم  
قالوا سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وان شئتم أن لاتفعلوا  
فلا بأس (واذ القوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أي ان منافق أهل الكتاب كانوا اذا القوا أصحاب سيدنا  
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به ونشهد أن صاحبكم صادق وان قوله حق ونجد بنعته  
في كتابنا (واذا خلا بعضهم) أي رجع الساکتون الذين لم ينافقوا (الى بعض) آخر منهم وهو  
منافقوهم (قالوا) أي الساکتون موجبين للمنافقين (أتحدثونهم) أي المؤمنین (بما فتح الله  
عليكم) أي بما بين الله لكم في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم به عند ربكم)  
أي ليقيموا الحجة عليكم بما أنزل ربكم في كتابه في ترك اتباع محمد مع اقراركم بصدقه وقوله تعالى ليحاجوكم  
متعلق بالتحديث والمراد بهذا تشديد التوبيخ فان التحديث بذلك لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن  
العاقل أي أتحدثونهم بذلك ليحاجوكم بكتاب الله وحكمه ويقال عند الله كذا معناه في كتابه وحكمه  
(أفلاتعلمون) ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولاياعلمون) أي اللاعنون أو المنافقون أو كلاهما (ان  
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي امرارهم الكفر وعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار  
غيره فيعرفوا عن ذلك (ومنهم) أي اليهود (أميون) أي جهلة (لاياعلمون الكتاب) أي  
لا يعرفونه بقراءة ولا كتابة وطريقتهم التقليد (الأمانى) أي الاما هم عليه من أمانيتهم في أن الله  
لا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وهم يحملهم أحبارهم على غنى قلوبهم من أن  
النار لا تمسهم الا أيام معدودة ومن أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وقال الاكثرون لا بقدر ما يتلى  
عليهم فيسمعونه أو لا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى (وانهم لا يظنون) أي ما هم يعرفون  
الكتاب الا بان يذكر لهم تأويله فقطنوه (قويل) أي عذاب أليم أو مصيل صيدا هل جهنم أو شدة الشر  
(للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا) في الكتاب الذي جاء (من عند الله ليشتروا به)  
أي ليأخذوا لانفسهم بمقابلة الكتاب المحرف (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا وهم اليهود وغيروا  
صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيره فغيروا آية الرجم بالجلد والتخميم أي تسويد الوجه (قويل  
لهم) أي فشد العذاب لهم (عما كتبت أيديهم) أي فيما غيرت أيديهم (وويل لهم عما يكسبون)  
أي يهيبون من الحرام والرشوة (وقالوا) أي اليهود (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) أي قليلة  
قال مجاهد ان اليهود كانت تقول عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فأن الله تعالى يعذبهم مكان ألف سنة يوما

فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة أيام وحكى الاصمعي عن بعض اليهود انهم عبدوا الجبل سبعة أيام فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة أيام وذلك كما أخرج الطبراني وغيره بسند حسن عن ابن عباس وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير عن طرق ضعيفة عنه انه أربعين يوماً (قل) لهم يا أشرف الخلق اتخذتم عند الله عهداً أي خبراً فان خبره تعالى أو كذب من اليهود المؤكدة من باب القسم والنذر (فلن يخلف الله عهداً) أي فان الله تعالى منزه عن الكذب في وعده ووعيده لان الكذب صفة نقص والنقص على الله محال (أم تقولون) مفسرين (على الله ما لا تعلمون) وقوعه أي أم لم تتخذوا من الله عهداً بل تقولون عليه تعالى (بلى) تمسكم النار أبداً (من كسب سيئة) أي كفراً (وأحاطت به خطيئته) أي كبريته بأن مات على الكفر (فأرلئك) أي أهل هذه الصفة (أصحاب النار) أي ملازموها في الآخرة (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها أما أصحاب الكفار غير الكافرين فإنا نقطع بأنه تعالى يعفو عن بعض العصاة وعن بعض المعاصي ولكننا نتوقف في حق كل أحد على التعيين انه هل يعفو عنه أم لا ونقطع بأنه تعالى اذا عذب أحداً منهم مدة فإنه لا يعذبه أبداً بل يقطع عذابه وهذا قول أكثر الأصحاب والتابعين وأهل السنة والجماعة وقرأنا نافع خطياً ته بالجمع والمراد بالخطيئات أنواع الكفر المتجددة في كل وقت (والذين آمنوا) بحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (واذ أخذنا) في التوراة (ميثاق بني إسرائيل) الذين كانوا في زمن موسى (لا تعبدون الا الله) أي لا تشكرون به شيئاً قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي بالياء على الغيبة وقرأ عبد الله وابن أبي لا تعبدوا وبصرى النهي وهذه قراءة شاذة (وبأولادهم احساناً) وهو متعلق بمعدوف أي وتحسنون أو أحسنوا بالبر بهما وان كانا كافرين بأن لا يؤذيهم بالبتة ويوصل اليهما من المنافع قدر ما يحتاجان اليه فيدخل فيه دعوتهم الى الايمان ان كانا كافرين وأمرهما بالمعروف على سبيل الرفق ان كانا فاسقين (وذى القربى) أي أحسنوا بالاقارب بصلة الرحم (واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً) وقرأ حمزة والكسائي بضم الحاء والسين وقرئ قراءة شاذة حسناً بضم حين وحسنى كبشرى والقول الحسن هو الذي يحصل انتفاعهم به (وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة) والمراد بالصلاة والزكاة ما فرض عليهم في ملتهم فقبلتم ذلك الميثاق المذكور (ثم توليتهم) أي أعرضتهم عن الوفاء بالميثاق (الاقليلا منكم) أي آباءكم وهو من أقام اليهودية على طريقها قبل النسخ ويقال الاقليلا منكم وهم من أسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأنتم معرضون) عن الطاعة كأبائكم (واذ أخذنا ميثاقكم) أي واذكروا يا أيها اليهود المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وسلم وقت أن أخذنا الميثاق على آبائكم في التوراة (لا تسفكون دماءكم) أي لا يقتل بعضكم بعضاً (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يخرج بعضكم بعضاً من منازلكم يا بني قريظة والنضير (ثم أقررتم) بوجوب المحافظة على الميثاق (وأنتم تشهدون) أي تعلمون ذلك (ثم أنتم هؤلاء) أي هؤلاء الحاضرون بعد ذلك (تقتلون أنفسكم) أي يقتل بعضكم بعضاً (وتخرجون فریقاً منكم من ديارهم) أي من منازلهم ذلك الفریق (تظاهرون عليهم) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بتخفيف الظاء والباءون بالتشديد أي يتعادون لبعضكم بعضاً (بالاثم) أي المعصية (والعدوان) أي التجاوز في الظلم (وان يأتوكم أسارى) أي أسارى أهل دينكم (تفادوهم) بالمال أو غيره أي وان يقع ذلك الفریق الذي تخرجونه من دياره وقت الحرب حال كونه أسيراً في يد حلفائكم تفادوه قرأ حمزة وأبى بن قح

الهمة وسكون السين مع الامة وقرأ عاصم والسكسائي تقادوهم بضم التاء وفتح الفاء والباقون بفتح التاء  
 وسكون الفاء (وهو) أى الشأن (محرم عليكم انخراجهم) قال السدي ان الله تعالى أخذ على بنى  
 اسرائيل فى التوراة الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأبما عبد أو أمة  
 وجدعوهم من بنى اسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكان قريظة والنضير أخوين كالاوس والخزرج  
 فافترقوا فكانت قريظة خلفاء الاوس والنضير خلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة  
 فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها ثم اذا أمر رجل من  
 الفريقين فدوهم كالأوس واحد من النضير ووقع فى يد الاوس افتدته قريظة منهم بالمال وهكذا يقال فى  
 عكس ذلك فغيرتهم العرب وقالت كيف تماتلونهم ثم قدوهم فية ولون أمرنا ان نفديهم وحرم علينا  
 قتالهم ولاكن نستحي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى بقوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أى تفعلون  
 بعض الواجبات وهو المفاداة (وتكفرون ببعض) أى فلم تتركوا المحرم وهو القتال والاخراج والمعادنة  
 (فاجزاء من يفعل ذلك منكم الاخرى) أى ذم عظيم وتحقير بالغ (فى الحياة الدنيا) فكان خزي  
 قريظة القتل والسبي وقد قتل صلى الله عليه وسلم منهم سبع مائة فى يوم واحد وخزي بنى النضير الاجلاء  
 الى ازرعات واريحما وقيس هو ضرب الجزية على النضير فى الشام وعلى من بقى من قريظة الذين سكنوا  
 خيبر (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) أى عذاب جهنم لما ان معصيتهم أشد المعاصي (وما الله  
 بغافل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم تناء الخطاب فى يعملون وأما فى ردون فالسبعة بالغيبة  
 فقط وأما تناء الخطاب فشاذ وهذه الجملة زجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة (أولئك  
 الذين اشتروا الحياة الدنيا) أى استبدلوها (بالآخرة) بأن اختاروا الكفر على الايمان (فلا يخفف  
 عنهم العذاب) لا بالايقاط ولا بالقلة فى كل وقت أو فى بعض الاوقات (ولا هم ينصرون) فلا يدفع  
 أحدهم هذا العذاب عنهم (ولقد آتينا) أى أعطينا (موسى الكتاب) أى التوراة (وقفينامن بعده  
 بالرسول) أى أتبعناهم اياه مترتين وهم يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا  
 وعزير وخرقييل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وجميع الانبياء بين موسى وعيسى  
 على شريعة موسى قيل هم سبعون ألفا وقيل أربعة آلاف ومدة ما بينهم ألف وتسعمائة سنة وخمسة  
 وعشرون سنة (وآتيناعيسى بن مريم البينات) أى المعجزات كأحياء الموتى وإبراهيم الا كه سواه كان  
 كهم خلقيا أو طاريا أو ابراهيم الا برص وكالاخبار بالمغيبيات وكالانجيل ثم عيسى بالسريانية أى شروع  
 ومعناه المبارك ومريم بالسريانية بمعنى الحامد وفى كتاب اسان العرب هى المرأة التى تكره مخالطة  
 الرجال (وأيدناه) قرأه ابن كثير بمعد الهمة وتخفيف الياء أى قويناه (بروح القدس) وهو  
 جبريل وهو الذى بشر مريم بولادته اذ غشا ولد عيسى عليه السلام من نفثة جبريل وهو الذى رباه فى  
 جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء (أفكلاما جاءكم) أى معشر  
 اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم) أى بما لا يوافق قلوبكم من الحق (استكبرتم) أى تعظمتم عن  
 الايمان به والاتباع له (ففريقا كذبتم وفريقا ثقة) أى كذبت طائفة محمد صلى الله عليه وسلم  
 وعيسى عليه السلام وقتلتم فرقا يحيى وزكريا (وقاروا) أى اليهود (قلوبنا غاف) أى مغشاة  
 بأغطية من قولك يا محمد أى قلوبنا أوعية لسكل علم وهى لاترى علمك وكلامك (بل لعنهم الله بكفرهم)  
 أى ليس عدم قبولهم للحق الخلل فى قلوبهم ولكن الله أبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم فأبطل

استعدادهم عن القبول (فقليل ما يؤمنون) أي لا يؤمنون إلا بقليل مما كلفوا به لانهم كانوا يؤمنون بالله  
 الا أنهم كانوا يكفرون بالرسول وقال قتادة والاصم وأبو مسلم أي لا يؤمن منهم الا القليل وذلك نظير قوله  
 تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا (ولما جاءهم) أي اليهود المعاصرين له صلى  
 الله عليه وسلم (كتاب من عند الله) وهو القرآن (مصدق لما معهم) أي موافق لكتابهم التوراة  
 بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه (وكانوا) أي اليهود (من قبل) أي من قبل بعث  
 محمد ونزل القرآن (يستفتحون) أي يسألون الفتح أي النصر (على الذين كفروا) أي مشركي العرب  
 أسد وغطفان ومنزينة وجهينة وهم عدوهم يقولون اذادهم عدو الله افقح علينا وانصرنا بالنبي الا  
 (فلما جاءهم ما عرفوا) من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة وقال  
 ابن عباس وقتادة والسدي نزلات هذه الآية في شأن بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس  
 والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته يقولون لمخالفهم عند القتال هذا نبي قد قرب زمانه  
 ينصرنا عليكم (فلعنة الله على الكافرين) أي ابعاد الله من خيرات الآخرة عليهم (بشما اشترؤا  
 به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله) أي بشئ شيا اشترؤا به أنفسهم كفرهم بالقرآن المصدق  
 والتوراة أي ان هؤلاء اليهود لما اعتقدوا انهم بما فعلوه خلصوا أنفسهم من العقاب وأوصلوها الى  
 الثواب فقد اشترؤا أنفسهم به في زعمهم وقال الاكثرون الاشتراء ههنا بمعنى البيع لان المذموم لا يكون  
 الا لما كان حاصله لهم لا لما كان زائلا عنهم والمعنى باعوا أنفسهم بكفرهم لان الذين حصلوا على منافع  
 أنفسهم هو الكفر فصاروا بائعين أنفسهم بذلك لكن لما كان الغرض بالبيع والشراء ابدال ملك بملك  
 صلح أن يوصف كل واحد من المتبادلين بأنه بائع ومشتري لوقوع هذا المعنى من كل واحد منهما (بغيا أن  
 ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أي حسدا على أن ينزل الله النبوة بفضله على محمد وطلبوا  
 ليس لهم أي فاتهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم بالنبوة المنتظرة يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب  
 حملهم ذلك على الحسد وقد أجاز العلماء أن يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا وأن ينزل الله مفعولا له  
 وناصبه بغيا (فبأثر الغضب على غضب) أي فاستحقوا العنة بعد لعنة لامر صدرت عنهم) وللشكافين  
 عذاب مهين) أي يهانون بالعذاب الشديد بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه (واذا قيل لهم)  
 أي واذا قال المؤمنون لليهود والموجودين في زمن نبينا (آمنوا بما أنزل الله) أي بكل ما أنزل الله من  
 الكتب الالهية جميعا (قالوا) في جواب هذا القيل (نؤمن بما أنزل علينا) أي بما أنزل على  
 أنبيائنا من التوراة وكتب سائر الانبياء الذين أتوا بتقرير شرع موسى عليه السلام (ويكفرون بما  
 وراءه) فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم يكفرون بما بعده وهو الانجيل والقرآن (وهو) أي ما رآه أنزل على  
 نبيهم من الانجيل والقرآن (الحق مصدقا لما معهم) أي موافقا بالتوحيد لكتبهم (قل) لهم  
 يا أشرف الخلق الراموا بيانا لكفرهم بالتوراة التي ادعوا الايمان بها (فلم تقتلون أنبياء الله  
 من قبل ان كنتم مؤمنين) والمعنى ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما زعمتم فلا شيء كنتم تقتلون أنبياء  
 الله من قبل لان في التوراة تحريم القتل وذلك لان التوراة دلت على أن المهجرة تدل على الصدق ودلت  
 على أن من كان صادقا في ادعاء النبوة فان قتله كفر واذا كان الامر كذلك كان السعي في قتل ذكر يا  
 ويحيى وعيسى كفرا فلم سعيتم في ذلك ان صدقتم في ادعائكم كونكم مؤمنين بالتوراة والمعنى انهم لو  
 آمنوا بالتوراة لما قتلوا الانبياء فآل أمرهم الى كفرهم بجميع ما أنزل الله تعالى لا ببعض كما ادعوا فان قيل

وله تعالى آمنوا بآيات الله الموجدتين وقوله فلم تقتلون حكاية فعل اسلافهم فكيف وجه الجمع بينهما  
 قلنا معنا انكم بهذا التكذيب للانجيل والقرآن خرجتم من الايمان بما آمنتم كما خرج اسلافكم  
 بقتل بعض الانبياء عن الايمان بالباقيين (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أي بالآيات التسع وهم  
 نعصار اليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وخلق البحر (ثم  
 اتخذتم الجبل أي عبدتم الجبل (من بعده) أي من بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) أي  
 كافرون بعبادته (واذا أخذنا منكم) أي اقراركم (ورفعنا فوقكم الطور) أي رفعنا فوق رؤسكم  
 الجبل حين امتنعتم من قبول التوراة وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) أي اعملوا بما أعطيناكم من  
 الكتاب بحمد (واسمعوا) أي اطيعوا ما تؤمرون (قالوا سمعنا) قولاك بأذاننا (وعصينا) أمرنا  
 بقلوبنا وغيرها (وأشرى في قلوبهم الجبل بكفرهم) أي وأدخلوا في قلوبهم حب عبادة الجبل  
 بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك (قل) لهم يا أشرف الخلق (بسمي يا مكرم به ايمانكم) بما  
 أنزل عليكم من التوراة قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم الجبل (ان كنتم مؤمنين) بالتوراة كما زعمتم  
 فان يجوز فيها الوجهان من كونها نافذة وشرطية وجوابا محذوف تقديره فبسمي يا مكرم (قل ان كانت  
 لكم الدار الآخرة) أي نعميم الدار الآخرة (عند الله) وهو الجنة (خالصة من دون الناس) أي  
 خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق بأن صرح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى  
 (فتمنوا الموت) كأن تقولوا ليتنا نموت (ان كنتم صادقين) في مقالتم لان من أيقن انه من أهل  
 الجنة اشتاق اليها وتمن سرعة الوصول الى النعيم (ولن يمتنوه) أي لن يسألوا الموت (أبدا بما قدمت  
 أيديهم) أي بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم  
 وبالقرآن وكحريف التوراة (والله عليم بالظالمين) أي الكافرين فيجازيهم (ولتجدنهم) أي والله  
 لتجدن اليهود يا محمد (أحرص الناس على حياة) أي بقاء في الدنيا (ومن الذين أشركوا) أي وأحرص  
 من مشركي العرب المنكرين للبعث لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له (يود) أي  
 يمتن (أحدهم لو يعمر ألف سنة) والمراد بالف سنة التكثير لا خصوص هذا العدد وليس المراد بها قول  
 الاعاجم عش ألف سنة لو مصدرية وهي مع صلاتها في تأويل مصدر مفعول يود (وما هو بخرجه من  
 العذاب أن يعمر) فاعل لمزخرح أي وما أحدهم عن بعده من النار تعمره ألف سنة (والله بصير  
 بما يعملون) فيجازيهم به قرأ السبعة بالياء التحتية ويعقوب من العشرة بالفوقية روى أن النبي صلى  
 الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن مسعود فقال يا محمد كيف نومك فقد أخذ خبرنا عن نوم الذي  
 يحيى في آخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرني عن  
 الولد أم الرجل يكون أم من المرأة فقال أما العظام والعصب والعروق من الرجل وأما اللحم والدم والظفر  
 والشعر فمن المرأة فقال صدقت فبال الرجل يشبه أعمامه دون أخوانه أي شبه أخواله دون أعمامه فقال  
 أيها غلب ماؤه ما صاحبه كان الشبه له قال صدقت أخبرني أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي  
 التوراة ان النبي الامي يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل  
 تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر الله نذرا ثانيا عافاه الله من سقمه ليحرم من على  
 نفسه أحب الطعام والشراب وهو لحمان الابل وألبانها فقالوا نعم فقال له بقيت خصلة واحدة ان قلتها  
 فآمنت بك أي ملك يا تيل بمائة قول عن الله قال جبريل قال ان ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا

مكايل يأتي بالبشر والخافلو كان هو الذي يأتيك آتياك فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين (قل من كان عدوا لجبريل (أنزل القرآن) فإنه أي جبريل (أنزل القرآن) على محمد فقد خلع ربقة الانصاف (فأنه) أي جبريل (أنزل القرآن) على قلبك بأذن الله) أي بأمره وخص القلب بالذكر لأنه خزانة الحفظ وبيت الرب (مصدق لما بين يديه) أي لما قبل القرآن من الكتب الإلهية لأن الشرائع التي تشتمل عليها سائر الكتب كانت مقدرة بالأوقات ومنتهية في هذا الوقت فإن النسخ ببيان انتهاء مدة العبادة وحيث لا يكون بين القرآن وسائر الكتب اختلاف في الشرائع (وهدي) أي بيان ما وقع التكليف به من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (وبشري) أي بيان ثواب تلك الأعمال (للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل ومكايل فإن الله عدو للكافرين) وخص الله جبريل بالذكر بالذ كر رد على اليهود في دعوى عداوته وضم اليه ميكائيل لأنه ملك الرزق الذي هو حياة الأجساد كما أن جبريل ملك الوحي الذي هو حياة القلوب والأرواح وقدم جبريل لشرفه لأن العلم أشرف من الأغذية وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لأن عداوة الرسل بسبب نزول الكتب ونزولها بتمزييل الملائكة وتنزيلهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب وجبريل قرأ حمزة والكسائي بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء مكسورة وقرأ أشعبي كذلك إلا أنه حذف الياء بعد الهمزة وكسر الراء والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز بعد الراء إلا أن ابن كثير فتح الجيم وميكائيل قرأ أبو عمرو وحفص ميكال بغير همز ولا ياء بين الالف واللام وقرأ نافع همزة بعد الالف ولا ياء بعد الهمزة والباقون همزة بعد الالف وياه قال ابن عباس إن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبغته فلما بعث من العرب كفروا به ووجدوا ما كانوا يقولون فيه فعال لهم معاذ بن جبل بأمر من اليهود أقروا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك ونخبر وننأ أنه مبغوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاء نابشي من البينات وما هو بالذي كان ذلكم فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولقد أنزلنا إليك) يا أشرف الخلق (آيات بينات) أي آيات القرآن الذي لا يأتي بعشله الجن والانس (وما يكفر بها إلا الفاسقون) وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابتهم الخارجون عن دينهم قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم من العهد في محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد إلي في محمد عهداً فأنزل الله هذه الآية (أو كما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم) أي أ كفروا بالآيات وكما عاهدوا الله عهداً كقولهم قبل مبغته صلى الله عليه وسلم لأن خرج النبي لنؤمنن به ولنخرجن المشركين من ديارهم وكما كونه عاهدوا الله على أن لا يعينوا عليه صلى الله عليه وسلم أحد من المشركين ثم أعانوا عليه قريش يوم الخندق نبذه فريق منهم (بل أكثرهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون بل أبد الحسد لهم وقيل لا يصدقون بكتابتهم لأنهم كانوا في قومهم كالمناققين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر لهم الإيمان بكتابتهم ورسولهم ثم لا يعملون بعمق ضاه (ولما جاءهم رسول من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أي أعطوه وعسكوا به (كتاب الله وراهظهورهم كأنهم لا يعلمون) أنه كتاب الله أي فكفروا وعنادوا والكتاب مفعول ثان لا وتواو كتاب الله مفعول نبذ وقال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصة هو بالتوراة فأنفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة لموافقة القرآن لها وأخذوا بكتاب آصف وهو هاروت وماروت فلم يوافق القرآن (واتبعوا) أي اليهود وهو معطوف على نبذ (ماتتوا) أي تكذب (الشياطين



على ملك سليمان) من السحر وكانت الشياطين دفنته تحت كرسية لما نزع ملكه فلم يشعر بذلك  
 سليمان فلما مات استخرجوه وقالوا للناس اغسلواكم سليمان بهذا فتعلموا وأقبلوا على تعلمه ورفضوا  
 كتب أنبيائهم وفشت الملامنة على سليمان فلم تزل هذه حائهم حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه  
 وسلم وأنزل الله عليه براءة سليمان ومدة نزع ملكه أربعون يوما وسبب ذلك أن إحدى زوجاته عبدت  
 صنما أربعين يوما وهولا يشعر بها فعاتبه الله تعالى بنزع ملكه أربعين يوما وذلك أن ملكه كان في خاتمه  
 وهو من الجنة وكان إذا دخل الخلافة نزعوه ووضعوه عند زوجته له تسمى الأمانة ففعل ذلك يوما فجاء جني  
 اسمه مخزوم وتصويره صورة سليمان ودخل على الأمانة وقال اعطيني خاتمي فدفعته له فسخرت له الجن  
 والانس والطير والريح وجلس على كرمي سليمان فجاء سليمان الأمانة وطلب الخاتم فرأت صورته غير  
 الصورة التي تعرفها منه فقالت له ما أنت سليمان وهو قد أخذ الخاتم فلما تم الأربعون طارا الجني من فوق  
 الكرمي ومر على البحر وألقى الخاتم فيه فابتلعه فمكة فوقع في يد سليمان فأخذه من بطنها ولبسه ورجع  
 له الملك فأمر الجن بإحضار مخزوم فأتوا به فحبسه في مخزوم وسد عليه بالرصاص والحديد وروى ما هاني قعر البحر  
 (وما كفر سليمان) أي ما كتب سليمان السحر وما عمل به لأن العمل بالسحر كفر في شريعة وأما في شرعنا  
 فإن اعتقد دفاعه حل استعمانه كفر والافلا وأما تعلمه فإن كان ليعمل به فحرام أوليته وقواه فباح أولا  
 ولا فكره (ولكن الشياطين كفروا) أي كتبوا واستعملوا السحر وقرأ الكهن ابن عامر وحزمة والسكافي  
 بتخفيف النون مع الكسر ورفع الشياطين (يعلمون) أي الشياطين (الناس السحر) ويقصدون به  
 اضلالهم (وما أنزل على الملوك) عطف على السحر أي ويعلمونهم ما ألهماه من السحر وقيل عطف  
 على ما تناولوا واختار أبو مسلم أن ما في محل جر عطف على ملك سليمان وذلك أن الملوك أنزلوا لتعليم السحر  
 امتحاناً من الله للناس هل يتعلمونه أولا كما امتحن قوم طالوت بالشرب من النهر وقيل اغنا أنزل الله عليه  
 للتمييز بينه وبين المجرة لئلا يغتر به الناس لأن السحرة كثروا في ذلك الزمن واستنبطوا أبوابا غريبة  
 من السحر وكاتوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملوك ليعلموا الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا  
 من معارضة أولئك الكذابين وإظهار أمرهم على الناس (ببابل) وهو بلد في سواد العراق (هاروت  
 وماروت) عطف ببيان للملكين لأنهم ما ملكان نزلا من السماء كما أخرجه بن جرير عن ابن عباس وقيل  
 ما أنزل نفي معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان كأنه تعالى قال لم يكفر سليمان ولم ينزل على الملوك  
 سحر لأن السحرة كانوا يسندون السحر إلى سليمان يزعموا أنه عما أنزل على الملوك ببابل هاروت  
 وماروت فكذبهم الله تعالى على ذلك وقيل إن الملوك هما جبريل وميكائيل أخرجه البخاري في تاريخه  
 وابن المنذر عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن عطية وحديثه يكون هاروت وماروت مرفوعا بدل من  
 الشياطين بدل البعض كما هو قراءة الزهري وعلى هذا كما قاله الحسن والضحاك فهما علمان من بابل  
 يعلمان السحر وقرأ الحسن على الملوك بكسر اللام فهما داود وسليمان كما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد  
 الرحمن بن ابري وقيل كانا رجلين صالحين من الملوك (وما يعلمان من أحد) أي وما يعلم الملك أحد  
 السحر (حتى يقولوا) أولا (اغنا نحن فتنة) أي امتحان من الله تعالى للناس (فلا تكفر) أي فلا تتعلم  
 ولا تعمل به أي لا يصنفان السحر لا أحدا إلى أن يقولوا لا يبذلا الصيحة له فيقول له هذا الذي نصغه لك وإن كان  
 الغرض منه أن يميز بين الفرق بين السحر والمجزة ولكنه يكتم أن تتوصل به إلى الفاسد والمعاصي فإياك  
 بعد وقولك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه أو تتوصل به إلى شيء من الأعراض العاجلة (فيتعلمون) أي

الاحد والمراتب السحرة منهما أى الملكين أو السحرة والمنزل على الملكين أو القننة والكفر (ما يفرقون  
 به بين المرء وزوجه) اما بان يعتقدان ذلك السحر مؤثر في هذا التفريق فيصير كافرا واذا صار كافرا بانت  
 منه امرأته فيحصل تفرق بينهما واما بالتقوية والحيل فيبغض كل منهما في الآخر (وما هم) أى السحرة أو  
 اليهود أو الشياطين (بضارين به) أى باستعمال السحر (من أحد الا باذن الله) أى بايجاد الله واراادته  
 وعلمه (ويتعلمون) أى الشياطين واليهود والسحرة بعضهم من بعض (ما يضرهم) في الآخرة (ولا  
 ينفعهم) في الدنيا ولا في الآخرة وهو السحر (ولقد علموا) أى اليهود (لن اشتراء) أى استبدل ما تتلوا  
 الشياطين (ماله في الآخرة) أى في الجنة (من خلاق) أى نصيب أو ماله في النار من خلاص أى ان اليهود  
 لما نبذوا كتاب الله وراه ظهورهم واقبلوا على التمسك بما تتلوا الشياطين فكأنهم قد اشترى بذلك السحر  
 بكتاب الله (ولبش ما شروا به أنفسهم) أى وبالله لبش شيئا باعوا به حظ أنفسهم في الآخرة الكفر أو تعلم  
 السحر (لو كانوا يعلمون) فجبه على اليقين (ولو أنهم) أى اليهود (آمنوا) بمحمد المشار اليه في  
 قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ أو بما أنزل اليه من الآيات المذكورة بقوله تعالى ولقد  
 أنزلنا إليك آيات بينات أو بالتوراة التي أريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله  
 وراه ظهورهم (واتقوا) بأن تابوا من اليهودية واستعمال السحر (لثوبه من عند الله خير) أى  
 لشي من ثواب الله خير لهم (لو كانوا يعلمون) ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا) للنبي صلى الله  
 عليه وسلم (راعنا) وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا عليهم شيئا من العلم  
 راعنا يا رسول الله أى تأن بنا حتى نفهم كلامك واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتساوون بها فيما بينهم فلما  
 سمعوا المؤمنين يقولون راعنا خاطبوا به النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعنون بها تلك المسبة ويضحكون  
 فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ منهم وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي  
 بيده لئن سمعته من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه قالوا أولستم تتولونها  
 فتهسى المؤمنون عنها وأمرها بلفظة أخرى لئلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وذلك قوله تعالى (وقولوا انظرونا) أى انظروا لنا والمنصود منه ان المعلم اذا انظر الى المتعلم كان آتيانه  
 للكلام على نعت الافهام أقوى وقيل لا تحمل علينا قاله ابن زيد (واسمعوا) أى أحسنوا اسماع ما يقوله  
 النبي صلى الله عليه وسلم بأذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجون الى الاستعادة (والكافرين)  
 أى اليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) هو النار (ما يؤذ الذين كفروا من  
 أهل الكتاب) وهم اليهود (ولا المشركين) من العرب (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) أى ما يحب  
 اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه ومشركوا العرب أبو جهل وأصحابه ان ينزل عليكم وحى من ربكم لانهم  
 يحسدونكم به (والله يختص برحمته) أى بوحيه (من يشاء) أى من كان أهلا لذلك وهو محمد صلى الله عليه  
 وسلم (والله ذو الفضل العظيم) بالوحى على محمد صلى الله عليه وسلم من غير علة ولما قال الكفار ان محمدا  
 يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه وما يقوله الامن تلقاه نفسه نزل قوله تعالى (مانسخ من  
 آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قرأ ابن عامر نسخ بضم النون الاولى وكسر السين وقرأ ابن كثير  
 وأبو عمر ونسأ بفتح النون الاولى والسين وبهمزة ساكنة بعد السين أى ما تبدل آية اما بأن تبدل حكمها  
 فقط أو تلاوتها فقط أو تبدلها معا أو نتر كهما كما كان فلا تبدلها نأت بأنفع من المنسوخ وأخف في  
 العمل بها أو نأت بعثها في الثواب والنفع والعمل أو يقال مانع من آية قد عمل بها أو نوتر نسخها فلا نرفع



تلاوتهم سوا ولا تزيل حكمه انات بما هو أنفع للعباد في السهولة كنسخ وجوب مصابرة الواحد لعشرة من  
الاعداء بوجوب مصابرة لاثنتين أو في كثرة الاجر كنسخ التخير بين الصوم والغدية بتعيين الصوم أو نأت  
بعلتها في التكليف والثواب كنسخ وجوب استقبال حفرة بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة فهما  
متساويان في الاجر (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) وهذا تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره على  
قدرته تعالى على تصريف المكلف تحت مشيئته وحكمه وحكمته وأنه لا دافع لما أراد ولا مانع لما اختار  
(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) وهذا هو التنبيه على أنه تعالى اغنا حسن منه التكليف لمحض  
كونه مالا للخلق مستوليا عليهم لا لثواب يحصل ولا لعقاب يندفع (وما لكم) يا معشر اليهود (من دون  
الله) أي غيره (من ولي) أي قريب ينفعكم (ولا نصير) يمنع عنكم عذابه وفرق بين الولي  
والنصير بأن الولي قد يحجز عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ولما قالت اليهود يا محمد  
اننا نكتب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة نزل قوله تعالى (أم تريدون) أي أتريدون (أن  
تسألوا رسولكم) أي الرسول الذي جاءكم (كما سأل موسى) أي سأله بنوا اسرائيل رؤية الرب  
وغير ذلك (من قبل) أي من قبل هذا الرسول (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل)  
أي ومن يمتد الكفر على الايمان أي بأن يأخذ الكفر بدل الايمان فقد أخطأ الطريق المستوي أي  
الحق (ود كثير من أهل الكتاب) أي من أخبار اليهود كعبد بن الاشرف وحيي بن أخطب وأبو ياسر  
ابن أخطب (لو يردونكم) يا عمارو يا حذيفة ويا معاذ بن جبل (من بعد ايمانكم) يا محمد  
والقرآن (كفاراً) أي غي كثر من اليهود ان يصيروكم من بعد ايمانكم مرتدين روى ان  
فخاص بن عاذر راو زيد بن قيس ونفر من اليهود قالوا الحذيفة وعمار بن ياسر بعد رقة أحد ألم ترا  
ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم  
سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا أمر شدي قال فاني قد طاهدت الله تعالى أني لا أكفر بمحمد  
ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما أنا فقد رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبالقرآن  
اماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخواناً ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فقال أصبتم  
خيراً أو أفلهتم فزلت هذه الآية (حسد من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) في كتابهم ان  
محمد هو الحق وقالت صفيمة بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي رعي من عندك فقال أبي رعي  
ما تقول فيه قال أقول انه النبي الذي بشره موسى عليه السلام قال فأتري قال أرى معاداته أيام الحياة  
فهذا حكم الحسد (فاعفوا) أي اتركوهم فلا تؤاخذوهم (واصفحوا) أي أعرضوا عنهم فلا تلوموهم  
(حتى يأتي الله بأمره) فيهم أي بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية  
عليهم أو بآذنه في القتال (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم من القتل والاجلاء  
(وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة) الواجبين عليكم ولما أمر الله المؤمنين بالعفو والصمغ عن اليهود  
أمرهم بمغفية صلاح أنفسهم فقال أقيموا الصلاة (وما تقدموا لانفسكم من خير) أي عمل صالح أي  
شي من التطوعات تقدموه لمصلحة أنفسكم (تجدوه عند الله) أي تجدوا ثوابه مدخر عند الله (ان  
الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل (وقالوا) عطف على ود (لن يدخل الجنة الا من كان هوداً  
أو نصارى) أي قالت يهود المدينة لن يدخل الجنة الا اليهود ولا دين الا دين اليهودية وقالت نصارى  
نجران لن يدخل الجنة الا النصارى ولا دين الا دين النصرانية وقرأ أبي بن كعب الا من كان يهودياً أو

نصرانياً أى قالوا ذلك لما تناظرنا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم (تلك) أى الامانى الباطلة وهى  
أمنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من دينهم وأمنيتهم ان يروا المؤمنين كفاراً وأمنيتهم ان لا يدخل الجنة  
غيرهم (أمنيتهم) أى مقنياتهم على الله ما ليس فى كتابهم (قل) يا أشرف الخلق (هاؤا  
برهانكم) أى أحضروا حجتكم من كتابكم (ان كنتم صادقين) فى مقاتلتكم (بلى) يدخل  
الجنة غيرهم (من أسلم وجهه) أى من أخلص نفسه (لله) لا يشرك به شيئاً (وهو محسن) فى جميع  
أعماله (قله أجره) الذى وعد له على عمله (عند ربّه) أى فى الجنة (ولا خوف عليهم) فى الدارين من  
لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب ولما قدم نصارى نجران على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أتاهم أخبار اليهود ففتحاهم وفى الدين حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود ما أنتم على شئ  
من الدين وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين أنزل الله تعالى هذه الآية (وقالت اليهود)  
أى يهود المدينة (ليست النصارى على شئ) أى أمر يعتد به من الدين قاله رافع بن حرملة فسكف  
بعيسى والانجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) قاله رجل من أهل نجران فسكف بعمسى  
والتوراة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وهم) أى الفريقان (يتلون الكتاب) المتزل عليهم ويقولون  
ما ليس فيه وكان حق كل منهم أن يقر بحقيقة دين خصمه بحسب ما ينطق به كتابه فان فى كتاب اليهود  
تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعته به (قال الذين  
لا يعلمون) كتاب الله قال السدى هم العرب وقال عطاءهم أمم كانت قبل اليهود والنصارى كما أخرجهما  
ابن جرير (مثل قولهم) بدل من كذلك بيان للكاف أى لاهل كل دين أنهم ليسوا على شئ يصح (فأله  
يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه) من الدين (يختلفون) فيقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى  
استحقه وقال الحسن أى فأنه يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من منع مساجد  
الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى) أى عمل (فى خرابها) بالهدم أو التعطيل  
بانقطاع الذكر (أولئك) المانعون الساعون فى خرابها (ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) أى  
ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا المساجد الا بخشية وخضوع وقيل معنى هذه الجملة انتهى عن تمكين الكفار  
من الدخول فى المسجد واختلف الأئمة فى ذلك فجوز أبو حنيفة مطلقاً ومنعه مالك مطلقاً وقرى الشافعى  
بين المسجد الحرام وغيره وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنهم قرئش كما قيل ان هذه الآية نزلت فى  
شأن مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدخا إلى الله بمكة وألجؤوا إلى الهجرة  
فصاروا مانعين له ولا همأيه ان يذكر الله فى المسجد الحرام وقد كان الصديق رضى الله عنه بنى مسجداً  
عند داره فنع وكان عن يؤذيه ولدان قرئش ونساؤهم وقيل ان أبابكر رضى الله عنه كان له موضع صلاة  
فخر به قرئش لما هاجروا من طريق العنوة عن ابن عباس أنهم النصارى كما نقل عن ابن عباس ان  
طيطيوس ابن اسبيانوس الرومى ملك النصارى وأهمل غزرا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا  
ذراريهم وأحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يرل بيت  
المقدس خراباً حتى بناه المسلمون فى زمن عمر رضى الله عنه ومعنى هذه الآية حينئذ ولا أحد أظلم فى كفره من  
خرب بيت المقدس لكيلا يذكرفيه اسمه بالتوحيد والاذان وعمل فى خرابه من القاء الجيف فيه أولئك  
أى أهل الروم ما كان لهم أمن فى دخوله الا مستخفين من المؤمنين مخافة القتل وهذا الحكم عام لكل من  
فعل ذلك فى أى مسجد كان (لهم فى الدنيا خزي) أى هوان بالقتل والسبي وضرب الجزية عليهم

(ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار (ولله المشرق والمغرب) أي له تعالى كل الأرض فان  
منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو المسجد الأقصى فقد جعلت لكم الأرض كلها مسجدا (فأينما تولوا)  
وجوهكم في الصلاة بأمره (فثم) أي هناك (وجه الله) أي قبلته كما قاله مجاهد وقرئ بفتح التاء  
واللام أي فأيما توجهوا إلى القبلة فثم مرضاة الله (إن الله واسع) برحمته ير يد التوسعة على عباده  
(عليم) بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها أي إن الله تعالى أراد تحويل المؤمنين عن استقبال بيت  
المقدس إلى الكعبة فبين تعالى أن المشرق والمغرب وجميع الجهات علو كة له تعالى فأيما أمركم الله  
بإستقباله فهو القبلة لأن القبلة ليست قبلته لذاته بل إن الله تعالى جعلها قبلته فأن جعل الكعبة قبلة  
فلا تنكر وأذلك لأنه تعالى يدبر عباده كيف يريد وقال ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس أنكر  
اليهود ذلك فنزلت هذه الآية رداعليهم وقال أبو مسلم إن اليهود أغما استقبالوا بيت المقدس لأنهم اعتقدوا  
أن الله تعالى صعد السماء من العجوة والنصارى أغما استقبالوا المشرق لأن عيسى عليه السلام ولد هناك  
فرد الله عليهم بهذه الآية (وقالوا اتخذ الله) أي صنع (ولدا) وقرأ ابن عامر قالوا بغير واو قبل القاف أي  
قالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقال مشركوا العرب الملائكة بنات الله فقال  
الله تعالى رداعليهم (سبحانه) وهي كلمة تنزيه ينزه الله تعالى بها نفسه عما قالوه (بل له ما في السموات  
والأرض) والملائكة تنأى الولدية أي ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها  
عزير والمسيح والملائكة (كل له قانتون) أي كل ما في السموات والأرض مطيعون له لا يستعصى  
شيء منهم على تكوينه ومشيئته فالطاعة هنا طاعة الإرادة لا طاعة العبادة (بديع السموات والأرض)  
أي موجد هما بالأمثال (وإذا قضى أمرا) أي إذا أراد إيجاد شيء (فأغيا يقول له كن فيكون) أي  
أحدث فيحدث وقوله كن تخيل لسهولة حصول المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوره لسهولة  
حدوثها من غير توقف كطاعة المأمور المطيع للأمر القوي المطاع ولا يكون من المأمور إلا بأمره وقرأ ابن  
عامر كن فيكون بالنصب في كل القرآن إلا في موضعين في قول آل عمران في قوله تعالى كن فيكون  
الحق من ربك وفي الأنعام في قوله تعالى كن فيكون الحق فانه رفعهما وقرأ الكسائي بالنصب في النحل  
ويس وبالرفع في سائر القرآن والباقيون بالرفع في كل القرآن أما بالنصب فعلى جواب الأمر وأما  
الرفع فإما على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فهو يكون أو معطوف على يقول أو معطوف على كن من  
حيث المعنى كما هو قول الفارسي (وقال الذي لا يعلمون) للنبي صلى الله عليه وسلم وهم اليهود منهم رافع بن  
حرمة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس أو النصارى كما قاله مجاهد وصنفهم بعدم العلم لعدم علمهم  
بالتوحيد والنبوة كما ينبغي أو هم كفار العرب كما أخرج عن قتادة (لولا يكلمنا الله) أي هلا يكلمنا  
الله مشافهة من غير واسطة بالأمر والنهي كما يكلم الملائكة أو موسى وهلا ينص على نبوته وهذا  
منهم استكبار (أو تأتينا آية) أي فإن كان الله تعالى لا يفعل ذلك فلم لا يخصك بآية ومجزة تأتينا وهذا  
منهم إنكار في كون القرآن آية ومجزة لأنهم لو أقر وأبكونه مجزة لاستحال أن يقولوا ذلك ثم أجاب الله  
تعالى عن هذه الشبهة بقوله (كذلك) أي مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد (قال الذين  
من قبلهم) أي من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم (مثل قولهم) في التشديد وطلب الآيات فقالوا  
أرنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد وقالوا اجعل لنا الها وقالوا هل يستطیع ربك أن ينزل  
علينا مائدة من السماء (تشابهت قلوبهم) أي توافقت قلوبهم مع آبائهم واستوت كلمتهم في الكفر

والعناد (قد بينا الآيات) أي زلنا بينة (لقوم يوقنون) أي يطلبون اليقين وحاصل هذا الجواب من الله تعالى أنا قد أيدنا قول محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وبيننا معجزة قوله بالآيات وهي القرآن وسائر المعجزات فكان طلب هذه الزوائد من باب التعمق وإذا كان كذلك لم يجبه اجابته (أنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أي أنا أرسلناك ملتبسا بالقرآن والدين لتكون مبشرا لمن اتبعك واهتدى بدينك ومنذرا لمن كفر بك وضل عن دينك أو المعنى أنا أرسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب (ولتسأل عن أصحاب الجحيم) قرأ الجمهور برفع التاء واللام على الخبر أي ولست بمسؤول عنهم ما لم يؤمنوا بما أنزل عليك بعدما بلغت ما أرسلت به وقرأ نافع بالجزم وفتح التاء على النهي أي لا تسأل عن حال كفار أهل الكتاب التي تكون لهم في القيامة ولا يكفك في هذه الدار الاطلاع عليها وذلك اعلام بكل شدة عقوبة الكفار فلا يستطيع السامع أن يسمع خبرها (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أي لن ترضى عنك يهود المدينة ولو خيلتهم وشأنهم (حتى تتبع) دينهم وقبلتهم ولن ترضى عنك نصارى نجران ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم وقبلتهم (قل إن هدى الله هو الهدى) أي قل لهم يا أشرف الخلق رد القول لهم لك لن ترضى عنك حتى تتبع ديننا إن دين الله هو الاسلام وإن قبلة الله هي الكعبة (ولئن اتبعت) على سبيل التقدير أو المراد من هذا الخطاب أمته صلى الله عليه وسلم (بأهواءهم) أي أقوالهم التي هي أهواء النفس وهو المعبر عنها أولا بقوله تعالى ملتهم اذ هم الذين ينتسبون اليها أما الشريعة الحقيقية من الله فقد غيروها تغييرا أي والله لئن اتبعت ملتهم وقبلتهم (بعد الذي جاءك من العلم) أي من الدين المعلوم صحته في ان دين الله هو الاسلام وقبلة الله هي الكعبة (مالك من الله) أي من عذاب الله (من ولي) أي قريب ينفعك (ولا نصير) يمنعك منه (الذين آتيناهم الكتاب) عبد الله بن سلام وأصحابه وبجير الراهب وأصحابه والنجاشي وأصحابه (يتلون حق تلاوته) أي يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتدبرون في معانيه ويخضعون عند تلاوته ويدينون أمره ونهيهم لمن سألهم (أولئك يؤمنون به) أي بكتابهم وبعثسابهم ويتوقفون فيما أشكل عليهم منه ويفوضونه الى الله تعالى ويعملون بحكمه (ومن يكفر به) أي بالكتاب المؤتي بأن يغيره (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الكفر بالايان (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) ومن جملة النعمة التوراة وذكر النعمة اغايا يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن لازم الايمان بها الايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه نعت النبي من جملة ما فيها (وأنى فضلتكم) بالاسلام (على العالمين) أي الموجودين في زمانكم (واتقوا يوما) أي اخشوا عذاب يوم (لا تجزى نفس شيئا) من عذاب الله (ولا يقبل منها عدل) أي فداء (ولا تنفعها شفاعت ولا هم ينصرون) أي يمنعون مما يريد الله بهم ثم ذكر الله تعالى قصة ابراهيم توبيخا لاهل الملل المخالفين وذلك لان ابراهيم يعترف بفضل جميع الطوائف قديما وحديثا فالمشركون كانوا متشرفين بأنهم من أولاده ومن سأكفى حرمه وخادمي بيته وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا متشرفين بأنهم من أولاده فحكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام امره ان يترك على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم وانقياد شرعه لان ما أوجبه الله تعالى على ابراهيم جاء به محمد كأفعال الحج واستقبال الكعبة وفي ذلك حجة عليهم فقال تعالى (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) أي بأوامر ونواه قيل قال ابن عباس وقتادة هي

مناسك الحج كالأحرام والطوائف والسعي والرمي وقال ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه  
وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس وخمس في الجسد أما التي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق والسؤال  
وقص الشارب وقرق الرأس أي فرق شعره إلى الجانب الأيمن والجانب الأيسر وأما التي في البدن فالحتان  
وحلق العانة وتنف الأبط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء وقرأ ابن عباس وأبو حنيفة إبراهيم ربه برفع  
إبراهيم ونصب ربه والمعنى إن إبراهيم دعا ربه بكلمات من الدعاء كفعل المختبر هل يجيبه الله تعالى اليهن  
أم لا (فأعني) أي قام بها حق القيام وأداها أحسن التأدية من غير تفريط (قال) تعالى له (إني جاعلك  
للناس اماماً) أي قدوة في الدين إلى يوم القيامة والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون رسولاً من عند الله  
مستقلاً بالشرع وأن يكون نبياً إذ لم يبعث بعده بنى إلا كان من ذريته مأموراً باتباعه في الجملة (قال)  
أي إبراهيم (ومن ذريتي) أي واجعل من بعض أولادي أئمة يقتدى بهم في الدين (قال) الله (لا ينال  
عهدي الظالمين) أي لا يصيب عهدي بالإمامة والنبوة الكافرين وكل عاص فانه ظالم لنفسه وقرأ قتادة  
والاعمش وأبو رجاء الظالمون رفعا بالفاعلية وعهدي مفعول به وفي هذا دليل على عصمة الأنبياء عليهم  
السلام من الكبر مطلقاً (واذ جعلنا البيت) أي جميع الحرم (مثابة للناس) أي مرجعاً لهم فانهم  
يشبون إليه كل عام بأعيانهم أو بأمثالهم كما قاله الحسن أو المراد لا ينصرف عنه أحد الا وهو يقبض العود  
إليه كما قاله ابن عباس ومجاهد والمعنى جعلنا السكينة موضع ثواب يثابون بحججه واعتباره (وأمنا) أي  
موضع أمن لمن يسكنه ويلجأ إليه من الأعداء والحسف والمسخ أو أماناً من حجه من عذاب الآخرة من حيث  
أن الحج يجب ما قبله وحمل بعضهم هذه الكلمة على الأمر على سبيل التأويل والمعنى إن الله تعالى أمر  
الناس بأن يجعلوا ذلك الموضع آمناً من الغارة والقتل فكان البيت محترماً بحكم الله تعالى (واتخذوا من  
مقام إبراهيم مصلى) روى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان يبني البيت  
وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضع  
إبراهيم عن وضع الحجارة قام على حجر وهو مقام إبراهيم عليه السلام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزرة وعاصم  
والكسائي واتخذوا بكسر الخاء على صيغة الأمر قال قتادة والسدى أمر وأن يصلوا عنده وعلى هذا  
فهذه الجملة كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام فكانه تعالى قال واذ جعلنا البيت  
مثابة للناس وأمناً واتخذوا أنتم يا أمة محمد من مقام إبراهيم مصلى والتقدير أنا لما شرفناه ووصفناه بكونه  
مثابة للناس وأمناً فاتخذوه قبلة لأنفسكم وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على صيغة الماضي فهو  
أخبار عن ولد إبراهيم أنهم اتخذوا من مقامه مصلى (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أي أمرناهما (أن يطهرا  
بيتي) أي بأن أسسنا على التقوى وقيل معناه عرفنا الناس أن بيتي طهرا لهم متى حجوه وزاروه وأقاموا فيه  
(للطائفين والعاكفين والركع السجود) جمع راكم وساجد والمراد بالطائفين من يقصد البيت حاجاً أو معتمراً  
فيطوف به وبالعاكفين من يقيم هناك ويجاور بالركع السجود من يصلي هناك قال عطاء فإذا كان  
الشخص طائفاً فهو من الطائفين وإذا كان عاكفاً فهو من العاكفين وإذا كان مصلياً فهو من الركع  
السجود ثم إذا فسرنا الطائفين بالغرباء حيث تدل الآية على أن الطوائف للغرباء أفضل من الصلاتين  
عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن الطوائف لأهل الأمصار أفضل والصلاة لأهل مكة أفضل (واذ قال  
إبراهيم رب اجعل هذا) الحرم (بلداً آمناً) أي كثير الخصب فان الدنيا إذا طلبت لتعقوب بها على  
الدين كان ذلك من أعظم أركان الدين فإذا كان البلد آمناً حصل فيه الخصب تفرغ أهله لطاعة الله

تعالى وأيضاً ان الحصب عما يدعوا الانسان الى تلك البلدة فهو سبب اتصاله في الطاعة (وارزق أهله) أي الحرم (من الثمرات) وقد حصل في مكة الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روى أن الطائف كانت من مدائن الشام في أردن فلما دها ابراهيم هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعة ثم وضعها موضعها إلا أن قنفاً أكثر غمرات مكة (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهلها بدل البعض خصهم سيدنا ابراهيم بالدعاء مراعاة لحسن الادب وفي ذلك ترغيب لقومه في الايمان (قال) تعالى (ومن كفر) أي أرزقه (فأمتعه) بالرزق (قليلاً) أي مدة عمره وقرأ ابن عباس بسكون الميم (تم أضطره) أي الجأء في الآخرة (الى عذاب النار وبئس المصير) هي النار (واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) أي واذ رفع ابراهيم واسماعيل الجدران التي هي من البيت أي التي هي بعضه المستقر من الأرض قيل بنى ابراهيم البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وأسس من حراء وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من السماء وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الخيض في الجاهلية اسود يقولان (ربنا تقبل منا) بنا نابتك (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا في جميع أعمالنا (ربنا واجعلنا مسلمين) أي مخلصين (لك) بالتوحيد والعبادة لا نعبد الاياك (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) أي واجعل بعض أولادنا جماعة مخلصين لك (وأرنا مناسكنا) أي علمنا سنن هجنا (وتب علينا) أي تجاوز عنا تقصيرنا والعبدوان اجتهد في طاعة ربه فانه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه اما على سبيل السهو أو على سبيل ترك الأولى فكان هذا الداء لاجل ذلك (انك أنت التواب) أي المتجاوز لمن تاب (الرحيم) به (ربنا وابعث فيهم) أي في ذريتنا (رسولا منهم) أي من أنفسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال أنادعوة أبي ابراهيم أخرجه أحمد من حديث العرباض بن سارية وغيره (يتلوا عليهم آياتك) أي يذكروهم بالآيات ويدعوهم اليها ويحملهم على الايمان بها (ويعلمهم الكتاب) أي يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلمهم معاني الكتاب وحقائقه (والحكمة) قال الشافعي رضي الله عنه الحكمة سنة رسول صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة (ويزكيهم) أي يطهرهم من شركهم (انك أنت العزيز) أي القادر الذي لا يغلب (الحكيم) أي العالم الذي لا يجهل شيئاً ههنا سؤال ما الحكمة في ذكر ابراهيم مع محمد في باب الصلاة حيث يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم لجوابه أن ابراهيم دعا للمحمد بهذه الدعوة فأجرى الله ذكر ابراهيم على السنة أمة محمد الى يوم القيامة أداً عن حق واجب على محمد لا ابراهيم والجواب الثاني أن ابراهيم سأل ربه بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي أبق لي ثناء حسناً في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجابه الله تعالى فقرن بين ذكرهما ابقاء للثناء الحسن على ابراهيم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم والجواب الثالث أن ابراهيم كان أباً للملة ومحمد كان أباً للرحمة وفي قراءة ابن مسعود النبي أرى بالثومنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لم اغمالكم مثل الوالد أي في الرأفة والرحمة فلما وجب لكل واحد منهما حق الابوة من وجه قرن بين ذكرهما في باب الثناء والصلاة والجواب الرابع أن ابراهيم كان منادى الشريعة في الحج ومحمد كان منادى الايمان فجمع الله تعالى بينهما في الذكرا الجميل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) أي لا يكره أحد ملة ابراهيم الا من جهل نفسه وخسر نفسه كما قاله الحسن أي فلم يفكر في نفسه فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنعة على وحدانية الله وعلى حكمته



ثم يستدل بذلك على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد اصطفيناه في الدنيا) أي اخترناه في الدنيا  
للرسالة من دون سائر الخليفة وعرفناه الملة التي هي جامعة للتوحيد والعدل والشرائع (وانه في الآخرة لمن  
الصالحين) أي مع آبائهم المرسلين في الجنة (اذ قال له ربه) عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس  
واطلاعه أمارات الحدوث فيها وذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك حين خرج من السرب (أسلم) أي  
فرد في مقاتلتك وقل لا اله الا الله (قال أسلمت لرب العالمين) ويقال قال له ربه حين دعا قومه الى التوحيد  
أسلم أي أخلص دينك وملكك لله قال أسلمت أي أخلصت ديني وعلمي لله رب العالمين ويقال قال له ربه  
حين ألقى في النار أسلم نفسك الى قال أسلمت نفسي لله رب العالمين أي فوضت أمري اليه وقد حقق ذلك  
حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار (ووصي) وقرأ نافع وابن عامر وأوصي بهمة  
مفتوحة قبل واوسا كنة (بها) أي باتباع الملة (ابراهيم بنيه) وكانوا ثمانية اسماعيل وهو أول  
أولاده وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة والبقية وهم مدن ومدين ويقشان وزمران واشبوق وشوح  
امهم قنطوراء الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة (يعقوب) والاشهر انه معطوف على ابراهيم  
ويجوز كونه مبتدأ محذوف الخبر والمعنى أن يعقوب وصي كوصية ابراهيم وقرئ بالنصب عطفًا على بنيه  
والمعنى وصي بها ابراهيم بنيه وناقضته يعقوب (يابني) هو على اضممار القول عند البصريين ومتعلق  
بوصي عند الكوفيين لانه في معنى القول (ان الله اصطفى) أي اختار (لكم الدين) أي دين الاسلام  
الذي هو صفوة الأديان (فلا تعوثن الا واثمتم مسلمون) أي فاثبتوا على الاسلام حتى تموتوا مسلمين مخلصين  
له تعالى بالتوحيد والعبادة روى أن اليهود قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أأنت تعلم أن يعقوب  
أوصي بنيه باليهودية يوم مات فنزلت هذه الآية (أم كنتم شهداء) أي أكنتم يامعشر اليهود حضرة  
(اذ حضر يعقوب الموت) بماذا أوصي بنيه باليهودية أو الاسلام أي حضره أسباب الموت (اذ قال  
لينبيه ما تعبدون من بعدى) أي أي شيء تعبدونه بعد موتي (قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم  
واسماعيل واسحق الها واحد ونحن له مسلمون) أي مقرون بالعبادة والتوحيد (تلك) أي ابراهيم  
ويعقوب وبنوهما (أمة) أي جماعة (قد خلت) أي مضت بالموت (لها) أي لتلك الأمة (ما كسبت)  
من الخير أي جزاءه (ولكم) أي يامعشر اليهود (ما كسبتكم) أي جزاء ما كسبتموه من العمل (ولا تستأثرون)  
يوم القيامة (عما كانوا يعملون) كما لا يستأثرون عن عملكم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا صغية  
عمة محمد يا فاطمة بنت محمد أتتوني يوم القيامة بأعمالكم لا بأنسابكم فاني لا أغني عنكم من الله شيئاً وقال  
ومن ابطاءه عمله لم يسرع عمله (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أي قالت يهود المدينة للمؤمنين كونوا  
هودا أي اتبعوا اليهودية وقالت نصارى نجران للمؤمنين كونوا نصارى أي اتبعوا النصرانية (تمتدوا)  
من الضلالة (قل بل ملة ابراهيم) أي قل يا اشرف الخلق بل اتبعوا ملة ابراهيم أي بل تكون أهل ملة  
ابراهيم (حنيفاً) أي مستقيماً مخالفاً لليهود والنصارى مخبراً عنهما (وما كان من المشركين) أي  
ما كان ابراهيم على دينهم وهذا اعلام بهطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقوله عزيز بن  
الله والمسيح بن الله (قولوا) أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ذلك (آمن بالله وما  
انزل البينا) وهو القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) من الصحف العشرة (واسماعيل واسحق ويعقوب  
والاسباط) وهم بنو يعقوب وكانوا اثني عشر رجلاً وهم يوسف وبنيامين وروبييل ويهوذا وشمعون  
ولاوي و دان ونفتالي وجاد و زبولون ويشجرون دان والصحف اثنا عشرت على ابراهيم لكن لما كانوا متعبدين

بتلك الهف كآواد اخلاين تحت أحكامها فكانت منزلة اليهم ايضا كما ان القرآن منزل الينا (وما أوتي موسى) من التوراة (وعيسى) من الانجيل (وما أوتي النبيون من ربهم) من كتبهم والمجرات (لا نفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل تؤمن بجميعهم (ونحن له) أي الله (مسلمون) أي مخلصون (فإن آمنوا) أي اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) أي فإن آمنوا بالتوراة من غير تهيف وتهريف كما أنكم آمنتم بالقرآن من غير تهيف وتهريف فقد اهتدوا لأنهم يتوصلون بذلك إلى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى فإن صاروا مؤمنين بمثل ما به صرتم مؤمنين فقد اهتدوا من الضلالة بدين محمد وإبراهيم (وإن تولوا) أي أعرضوا عن الإيمان بالنبيين وكتبهم (فإنما هم في شقاق) أي فإنما هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق (فسيكفيكم الله) أي سيكفيكم الله شقاقهم وقد أنجز الله تعالى وعده بقتل بني قريظة وسيبهم وإجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم (وهو السميع العليم) فيذكر ما يقولون وما يضررون وقادر على عقوبتهم (صبغة الله) أي اطلبوا صبغة الله وهي دين الاسلام عبر بها عن الدين لكونه تطهيرا للمؤمنين من أوساخ الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما أن شأن الصبغ بالنسبة إلى الثوب كذلك كقيل اغاصمى دين الله بصبغة الله لأن اليهود تصبغ أولادها يهودا والنصارى تصبغ أولادها نصارى بمعنى أنهم يلقنونهم فيصبغونهم بذلك لما يشربون في قلوبهم فقال تعالى صبغة الله أي اتبعوا دين الله (ومن أحسن من الله صبغة) أي لا صبغة أحسن من صبغة تعالى لأنه تعالى يصبغ عباده بالإيمان ويظهرهم به من أوساخ الكفر (ونحن له) أي الله الذي أعطانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرها ولما سائر نعمه (قل أتجادوننا في الله) أي في شأن الله أن اصطفى رسوله من العرب لا منكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لا نزل عليكم وترونكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) فإنه أعلم بتدبير خلقه وبعين يصلح للرسالة وبعين لا يصلح لها فلا تعترضوا على ربكم فإن العبد ليس له أن يعترض على ربه بل يجب عليه تفويض الأمر بالكلية له (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لا يرجع اليك من أفعالكم ضرر وإنما امرادنا نفعكم وإرشادكم (ونحن له مخلصون) في العبودية ولستم كذلك فحن أولى بالأصطفاء (أم تقولون) قرأه ابن عامر وحزرة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء على المحاطبة فأم يحتمل أن تكون متصلة بمعادلة للهمزة والتقدير بأي المجتئين تتعلقون في أمرنا بالتوحيد أم باتباع دين الأنبياء وإن تكون منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الانتقال من التوبيخ على الحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم السلام وقرأه الباقر بالياء على صبغة الغيبة فأم منقطعة غير داخلية تحت الأمر واردة من الله تعالى توبيخا لهم لأن جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهمس الالتفات (إن إبراهيم وإسماعيل وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) أي أولاد يعقوب (كانوا) قبل نزول التوراة والانجيل (هودا أو نصارى قل) يا أشرف الخلق لهم (أأنتم أعلم) بدينهم (أم الله) فإن الله أعلم وخبره أصدق وقد أخبر في التوراة والانجيل وفي القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا مسلمين مبرئين من اليهودية والنصرانية (ومن أنظم) أي لا أحد أنظم (عن كتم شهادة) ثابتة (عنده) كائنة (من الله) وهو شهادته تعالى لإبراهيم عليه السلام بدين الاسلام والبراءة من اليهودية والنصرانية وهم اليهود (وما الله بغافل عما تعملون) أي تسكتون من الشهادة (تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون) هذا تكرير لكون وعظا ليهود وجرأهم حتى لا يتسكلموا على فضل الآباء فكل واحد يؤخذ



يعمله (سيعول السفهاء) أي الجهال الذين خفت أحلامهم (من الناس) وهم اليهود كما قاله ابن عباس ومجاهد لا نكار النسخ وكراهة التوجه إلى الكعبة والعائل منهم رفاعة بن قيس وقرم بن عمرو ركب بن الأشرف ورافع بن حرملة والحاج بن عمرو والربيع بن أبي الحقيق وقيل هم المناقون كما قاله السدي لمجرد الاستهزاء والطعن وقيل هم مشركوا العرب كما قاله ابن عباس والبراء بن عازب والحسن والأصم الطعن في الدين (ما ولاهم) أي أي شيء صرف المؤمنين (عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي بيت المقدس (قل) لهم يا أشرف الخلق (لله المشرق والمغرب) أي الجهات كلها ملكا والخلق عبيده لا يختص به مكان وإنما العبرة بامتثال أمره لا بخصوص المكان (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي موصل إلى سعادة الدارين وقد هدايا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة تارة أخرى (وكذلك) أي كما هديناكم إلى قبلة هي أوسط القبيل (جعلناكم) يا أمة محمد (أمة وسطا) أي خيارا عدولا وعدو حين بالعلم والعمل (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي يشهد بعد التكميم أن الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء فيقال الله تعالى الأنبياء بالبينه على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيقولون أمة محمد يشهدون لنا فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم الماضية من أين عرفتم وأنتم بعدنا فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمة فيزكيهم ويشهد بعد التكميم وقيل معنى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا أنه صلى الله عليه وسلم إذا دعي على أمة أنه بلغهم قبل منه هذه الدعوى ولا يطالب بشهيد يشهد له فسميت دعواه شهادة من حيث قبولها وعدم توقفها على شيء آخر (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه) أي وما صيرنا تلك القبلة إلا لأن الجهة التي كنت عليها أولا وهي الكعبة إلا لنعلمهم معاملة من يتخلفهم ونعلم حينئذ من يتبع الرسول في التوجه إلى ما أمر به عن يرتد عن دين الإسلام وكان صلى الله عليه وسلم يصلي إلى الكعبة فلما حاجر أمر بالصلاة إلى حجرة بيت المقدس تألفا لليهود فصلى إليها سبعة عشر شهرا ثم حول إلى الكعبة وارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية وقالوا رجع محمد إلى دين آبائه (وان) هي الحفة من الثقبلة أي وانها (كانت) أي التولية إلى الكعبة (لكبرية) أي شاقة على الناس (الاعلى الذين هدى الله) منهم وهم النابتون على الأيمان (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي ثباتكم على الأيمان بل أعد لكم الثواب العظيم وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم إليها أي فإن الله لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلاة (إن الله بالناس) أي بالمومنين (رؤوف رحيم) فلا يدع صلاتهم إلى بيت المقدس (قد نرى قلب وجهك في السماء) فقد للتكثير أي كثير أنرى تصرف نظرك في جهة اسماء انتظار اللوح وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم أبيه وأدعى للعرب إلى الأيمان لأنها مفضحة لهم ومحالفة لليهود فكان ينتظر نزول جبريل بالوحى بالتحويل (فلنولينك قبلة ترضاها) أي فلنحولنك في الصلاة إلى قبلة تحبها لا أغراض المعصية التي أمرتها في قلبك (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي فاصرف جملة بدنك تلقاء الكعبة أي استقبل عينها بصدرك في الصلاة وإن كنت بعيدا عنها والمراد بالمسجد الحرام هنا الكعبة كما هو في أكثر الروايات وقال آخرون المراد بالمسجد الحرام جميع المسجد الحرام والمراد به الحرم كله وروى عن ابن عباس أنه قال البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد

قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب وهذا قول مالك (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)  
 أى فى أى موضع كنتم يا أمة محمد منه برأوج مشرق أو مغرب فأصروا وجوهكم تلقاء المسجد الحرام  
 الذى هو معنى الكعبة (وان الذين أوتوا الكتاب) هم أحبار اليهود وعلماء النصارى (ليعلمون أنه)  
 أى التوراة الى الكعبة (الحق من ربهم) لمعايتهم لما هو مسطور فى كتبهم من أنه صلى الله عليه وسلم يصلى  
 الى القبلتين ولكن يكتمونه (وما الله بغافل عما يعملون) قرأه ابن عامر وحزق الكسافى بالتاء اما خطاب  
 للمسلمين أى وما الله بساء عما يعملون أيها المسلمون من امتثال أمر القبلة واما خطاب لاهل الكتاب أى  
 وما الله بغافل عما تكتمون يا أهل الكتاب خبر الرسول وخبر القبلة وقرأ الباقر بالياء على أنه راجع  
 لهؤلاء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) أى والله لئن جئت الذين أعطوا  
 الكتاب اليهود والنصارى بكل حجة قطعية دالة على صدقك فى ان تحولك بأمر من الله ماصلوا الى قبلك  
 وما دخلوا فى دينك (وما أنت بتابع قبلتهم) أى اليهود والنصارى وهذا بيان أن هذه القبلة لا تنصير  
 منسوخة وحسم اطماع أهل الكتاب وقرئ بتابع قبلتهم بالاضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض)  
 فاليهود بيت المقدس وللنصارى المشرق (ولئن أتيت أحواءهم) أى الامور التى يحبونها منك (من  
 بعد ما جاءك من العلم) أى الوحى فى أمر القبلة بأنك لا تعود الى قبلتهم (انك اذا) أى انك لو فعلت  
 ذلك على سبيل تقدير المستحيل وقوعه (لمن الظالمين) لانفسهم (الذين آتيناهم الكتاب) أى  
 أعطيناهم علم التوراة (يعرفونه) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جليلة يعيزون بينه وبين  
 غيره (كما يعرفون أبناءهم) لا تشبه عليهم أبناءهم وأبناء غيرهم قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
 لعبد الله بن سلام رضى الله عنه كيف هذه المعرفة المذكورة فى هذه الآية فقال عبد الله يا عمر لقد عرفت  
 حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد أشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذاك فقال أشهد أنه رسول  
 الله حقاً وقد نعتة الله تعالى فى كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل عمر رأسه وقال وفعل الله يا أبا سلام  
 فقد صدقت (وان فريقاً منهم) أى من أهل الكتاب (ليكتمون الحق) أى أمر محمد صلى الله عليه  
 وسلم (وهم يعلمون) أن صفة محمد مكتوبة فى التوراة والإنجيل وان كتمان الحق معصية (الحق من  
 ربك) مبتدأ وخبر أى الحق الذى أنت عليه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن من ربه ويحتمل  
 أن الحق خبره مبتدأ محذوف أى ما كتبه هو الحق وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك بالنصب على  
 انه بدل من الاول أو مفعول ليعلمون (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين فى أن علماء أهل الكتاب  
 علماء حق نبوتك وشريعتك (ولكل وجهة) قال بعضهم أى لكل قوم من المسلمين وجهة من الكعبة  
 يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية وقال آخرون ولكل واحد من الرسل وأصحاب  
 الشرائع جهة قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور  
 وقبلة الأنبياء الذين قبلك حتى عيسى عليه السلام ببيت المقدس وقبلة الكعبة وهى قبلة إبراهيم (هو)  
 أى الله (موليها) أى أمر بأن يستقبلها وفى قراءة عبد الله بن عامر النضى هو مولاهوا وهى قراءة ابن عباس  
 وأبى جعفر محمد بن على الباقر والمعنى هو أى كل قوم مولد لتلك الجهة وقرئ ولكل وجهة بالاضافة  
 (فأستبقوا الخيرات) أى فبادروا يا أمة محمد الى الطاعات وقبول أوامرها (أفماتكونوا) أى فى أى  
 موضع تكونوا من برأوج م (يأت بكم الله جميعاً) أى يجمعكم الله يوم القيامة فيجزىكم على الخيرات  
 (أن الله على كل شئ قدير) من جمعكم وغيره (ومن حيث خرجت) أى من أى مكان خرجت اليه

للسفر (فول وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام وأنه) أي هذا الأمر (للقول) أي الثابت الموافق  
 للحكمة (من ربك وما الله بغافل عما تعملون) قرأ أبو عمرو وبالياء على الغيبة وهو راجع للكفار أي  
 من انكار أمر القبلة والباقون بالتاء على الخطاب (ومن حيث خرجت) في أسفارك ومغازبك من  
 المنازل القريبة والبعيدة (فول وجهك) في الصلاة (شطر المسجد الحرام) أي تلقاه (وحيث ما كنتم)  
 من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين في بر أو بحر (فولوا وجوهكم) في الصلاة من محالكم (شطره)  
 أي المسجد الحرام وكرر الله تعالى أمر التولي لشطر المسجد الحرام ثلاث مرات تأكيداً كيداً أمر القبلة لأن  
 النسخ من مظان الفتنة والشبهة مع أنه تعالى علق بكل آية فائدة أمافي الآية الأولى فبين أن أهل الكتاب  
 يعلمون أن أمر نبوة محمد وأمر هذه القبلة حق لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل وأمافي الآية الثانية  
 فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق وشهادة الله بكونه حقاً مغيرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً وأمافي الآية  
 الثالثة فبين أنه تعالى قطع حجة اليهود والمشركين وذلك قوله تعالى (لئلا يكون للناس) أي اليهود  
 والمشركين (عليكم حجة) أي مجادلة في التولي والمعنى أن التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن  
 محمد ابجد دينه أو يتبع قبلتنا وذلك مدفوع بأن المنعوت في التوراة قبلته صلى الله عليه وسلم الكعبة  
 وتدفع احتجاج المشركين بأنه صلى الله عليه وسلم يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم)  
 أي الا المعادين منهم فأنهم يقولون ما تحول الى الكعبة الاميل الى دين قومه وجبا لبلده (فلا تخشوهم)  
 أي فلا تخافوا مطاعنتهم في قبلتكم فأنهم لا يضرونكم (واخشوني) أي احذروا عقابي فلا تخالفوا  
 أمري (ولا تم نجي عليكم) بالقبلة كما أتمت عليكم بالدين (ولعلكم تهتدون) الى الحق (كما أرسلنا  
 فيكم رسولا منكم) أي من نسبكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مما يتعلق بما قبله أي ولا تم نجي  
 عليكم في أمر القبلة كما أتمتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول وأما متعلق بما بعده أي كما ذكرتمكم  
 بالارسل فاذا كروني (يتلوا عليكم آياتنا) أي يقرأ عليكم القرآن بالأمر والنهي (ويزكيكم) أي  
 يطهركم من الذنوب بالتوحيد والصدقة (ويعلمكم الكتاب) أي معاني القرآن (والحكمة) أي  
 السنة (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أي يعلمكم أخبار الأمم الماضية وقصص الانبياء وأخبار  
 الحوادث المستقبلية (فاذا كروني) باللسان والقلب والجوارح فالصلاة مشتملة على الثلاثة فالاول  
 كالتمسيع والتكبير والثاني كالخشوع وتدبر القراءة والثالث كالركوع والسجود (أذكركم)  
 بالاحسان والرحمة والنعمة في الدنيا والآخرة (واشكروا لي) نعتي بانطاعة (ولا تكفرون) أي لا تتركوا  
 شكرها (يا أيها الذين آمنوا استعينوا) على تجميع الذنوب (بالصبر) على أداء فرائض الله وترك المعاصي  
 وعلى المرازي (والصلاة) أي بكمرة صلاة التطوع في الليل والنهار (ان الله مع الصابرين) بالنصر  
 (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) كسائر الاموات (بل أحياء) أي بل هم كأحياء أهل الجنة  
 في الجنة يرزقون من التحف (ولكن لا تشعرون) بحياتهم وحالهم قال ابن عباس نزلت الآية في قتلى بدر  
 وقتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار والمهاجرون عبيدة بن الحارث  
 ابن عبد المطلب وعمر بن أبي وقاص وذو الشمالين وعمر بن نفيلة وعامر بن بكر ومهجع بن عبد الله  
 والا نصار سعيد بن خيفة وقيس بن عبد المنذر وزيد بن الحرث ونعيم بن الهمام ورافع بن المعلى وحارثة بن  
 سراقة ومعوذ بن عفره وعوف بن عفره وكان الناس يقولون مات فلان ومات فلان فنهى الله تعالى ان  
 يقال فيهم انهم ماتوا وقال آخرون ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم طلبا لمرضاة محمد

من غير فائدة فنزلت تلك الآية (ولنبأونكم) أى والله لنصيبكم إصابة من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء أم لا (بشيء) أى بقليل (من الخوف) من العدو (والجوع) في لحظ السنين (ونقص من الأموال) بالهلاك (والانفوس) بالقتل والموت (والثمرات) بالجوائح قال الشافعي رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكاة والصدقات والنقص من النفوس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد (وبشر الصابرين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أول كل من يتأذى منه البشارة (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا) باللسان والقلب معا (إنا لله) أى نحن عبيد الله (وإنا إليه راجعون) بعد الموت قال أبو بكر الوراق إنا لله أقرار ما بالملك له تعالى وإنا إليه راجعون أقرار على أنفسنا بالهلاك (أولئك عليهم صلوات) أى مغفرة (من ربهم ورحمة) أى لطف (وأولئك هم المتهمدون) للاسترجاع حيث سماه القضاء الله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله) أى من علامات مواضع العبادات لله بالحج والعمرة (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أى فلا اثم عليه في أن يسعى بينهما سعيها قال ابن عباس كان على الصفا صمى اسمه اساف وعلى المروة صمى آخر اسمها نائلة وكان أهل الجاهلية يطوفون بهما ويقيمون بهما فلما جاء الإسلام كره المسلمون الطواف بينهما لاجل الصمتين فأذن الله تعالى فيه وأخبر أنه من شعائر الله لا من شعائر الجاهلية (ومن تطوع خيرا) أى زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة حتى طاف بالصفا والمروة تطوعاً (فإن الله شاكر) أى مجاز على الطاعة (عليم) أى يعلم قدر الجزاء فلا يجنس المستحق حقه (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات) هي كل ما أنزل الله على الأنبياء (والهدى) أى ما يهدي في وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والإيمان به من الدلائل العقلية والقلبية (من بعد ما بيناه للناس) أى ابنى إسرائيل (في الكتاب) أى التوراة (أولئك يلعنهم الله) أى يبعدهم من رحمته (ويلعنهم اللاعنون) أى يسألون الله أن يلعنهم ويقولون اللهم العنهم وهؤلاء دواب الأرض كذا قال مجاهد آخره سعيد بن منصور وغيره وقال قتادة والريبع هم الملائكة والمؤمنون أخرجه ابن جرير (الذين تابوا) أى ندموا على ما فعلوا (وأصلحوا) بالعزم على عدم العود (وبينوا) ما كتبوه (فألتك أتوب عليهم) أى أقبل توبتهم (وإننا للتواب) أى القابل لتوبة من تاب (الرحيم) أى المبالغ في نشر الرحمة لمن مات على التوبة (إن الذين كفروا) بالسكتمان وغيره (وماتوا وهم كفار) بالله ورسوله (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) حتى أهل دينهم فاتهم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً (خالدين فيها) أى اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب) طرفة عين (ولا هم ينظرون) أى يؤجلون من العذاب فإذا استهلوا لا يهلون وإذا استغاثوا لا يغاثون (والمحكم) أى المستحق منكم العبادة (إله واحد) أى فرد في الألوية (لإله الأهل) أى لا معبود لنا موجد إلا إله الواحد (الرحمن الرحيم) خبر أن آخران للبتدأ ذكر من المبالغ في النعمة والرحيم كثير النعمة (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر عما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) اعلم أنه تعالى لما حكم بالوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده تعالى وعلى براهته من الانداد النوع الأول السموات والأرض والآيات في السماء هي ممكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآيات في

الأرض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهيار والشجار  
والثمار النوع الثاني الليل والنهار والآيات فيهما متعاقبة بالجمي والذهب والفضة والفضة والفضة  
والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانتظام أحوال العباد في معاشهم بالراحة في الليل والسعي  
في الكسب في النهار النوع الثالث السفن والآيات فيها جريانها على وجه الماء وهي موقرة بالانتقال  
والرحال فلا ترسب وجريانها بالبحر مقبلة ومدبرة وتسخير البحر للحمل السفن مع قوة سلطان الماء وهيجان  
البحر فلا ينحى منه إلا الله تعالى النوع الرابع ركوب السفن والحمل عليها في التجارة والآيات في ذلك  
أن الله تعالى لو لم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجارتهم ومنافعهم وأيضا فإن الله تعالى  
خص كل قطر من أقطار العالم بشئ معين فصار ذلك سببا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب  
السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحمل ينتفع لانه يرجع والحمل إليه ينتفع بما حمل إليه النوع  
الخامس نزول المطر من السماء والآيات في ذلك أن الله جعل الماء سببا للحياة جميع الموجودات من  
حيوان ونبات وأنه ينزله عند الحاجة إليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء وينزله بكمكان دون مكان النوع  
السادس انتشار كل دابة في الأرض والآيات في ذلك أن جنس الإنسان يرجع إلى أصل واحد وهو آدم  
مع ما فيهم من الاختلاف في الصور والأشكال والألوان والسنة والطبائع والأخلاق والأوصاف إلى غير  
ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان (النوع السابع) الریح والآيات فيه أنه جسم لطيف  
لا يغسل ولا يرى وهو مع ذلك في غاية القوة بحيث يقطع الشجر والعنبر ويخرب البنيان وهو مع ذلك حياة  
الوجود فلو أمسك طرفه عين مات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الأرض (النوع الثامن) السحاب  
والآيات في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى  
معلقا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسنده قال القاضي زكريا إن السحاب من شجرة  
مثمرة في الجنة والمطر من بحر تحت العرش (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) أي ومن الكفار  
من يعبد من غير الله أو أنا (يحبونهم) حبا كائنا (كحب الله) أي كحبهم لله تعالى أي يسوون بينه  
تعالى وبين الأصنام في الطاعة والتعظيم أو يحبون عبادتهم أصنامهم كحب المؤمنين الله تعالى بالعبادة  
(والذين آمنوا أشد حبا لله) من الكفار لا أصنامهم فإن المؤمنين لا يتضرعون إلا إلى الله تعالى بخلاف  
المشركين فإنهم يعدلون إلى الله عند الحاجة وعند زوال الحاجة يرجعون إلى الأصنام (ولو يرى الذين  
ظلموا أذيرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) قرأ الجمهور ولو يرى بالياء المنقوطة  
من تحت مع فتح الهمزة من أن عند القراء السبعة والمعنى ولو يعلم الذين شركوا بالله شدة عذاب الله  
وقوته لما اتخذوا من دونه أندادا وعلى قراءة بعض القراء غير السبعة بكسر الهمزة من أن كان التقدير ولو  
يعلم الذين ظلموا بعبادة الأصنام عجزها حال مشاهدتهم لعذاب الله لقوالوا أن القوة لله وقرأنا فاع وان عامر  
ترى بالتاء المنقوطة من فوق مع فتح الهمزة على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أولئك أحسد من الصالحين  
الخطاب والمعنى ولو ترى الذين ظلموا أذيرون العذاب ترى أن القوة لله جميعا ولو كسرت الهمزة كان المعنى  
ولو ترى الذين أشركوا أذيرون العذاب لقلت أن القوة لله جميعا وقرأ ابن عباس يرون بضم الياء (اذتبرا)  
الذين اتبعوا أي القادة وهم الرؤساء مشركي الأنس (من الذين اتبعوا) أي السفلة (ورأوا  
العذاب) أي وقد رأى القادة والسفلة العذاب في الآخرة (وتقطعت بهم الأسباب) أي تقطعت عنهم  
المواصلات والأرحام والأعمال والعهود واللفظينهم أي أنكروا القادة أضلال السفلة يوم القيامة حين

يجمعهم الله (وقال الذين اتبعوا) أي السفلة (لو أن لنا كرة) أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا (فنتبرأ منهم)  
 أي القادة هناك (كأنبرؤا منا) اليوم (كذلك) أي كما أراهم الله شدة عذابه (يرىهم الله أعمالهم  
 حسرات) أي ندامت شديدة (عليهم) أي على تغريبطهم (وباهم) أي القادة والسفلة (بجارجين  
 من النار) بعد دخولها (يا أيها الناس) قال ابن عباس نزلت الآية في الذين حرّموا على أنفسهم  
 السواشب والوسائل والجائر وهم قوم من ثقيف وبني هاجر ابن صعصعة وخزاعة وبني مدلج (كلوا مما في  
 الأرض) أي من الحرث والانعام (حلالا طيبا) أي مباحا بأن لا يكون متعلقا به حق الغير (ولا  
 تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تقتدوا طرق وساوس الشيطان في تحريم الحرث والانعام (أنه لكم  
 عدو مبين) أي ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة (انما يأمركم بالسوء) أي القبيح من الذنوب التي  
 لاحد فيها (والفحشاء) أي المعاصي التي فيها حد (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) أي يبان افتروا  
 على الله ما لا تعلمون ان الله تعالى حرم هذا وذاك (واذا قيل لهم) أي لمشركي العرب (اتبعوا ما أنزل  
 الله) من التوحيد وتحليل الطيبات (قالوا) لا تتبعه (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) أي ما وجدناهم  
 عليه من عبادة الأصنام وتحريم الطيبات ونحو ذلك قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) أي أي تتبعونهم  
 وإن كان آباؤهم (لا يفعلون شيئا) من الدين (ولا يهتدون) إلى الحق (ومثل الذين كفروا كمثل  
 الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) أي رصفة الذين كفروا في اتباعهم آباءهم وتقليد هم لهم كصفة  
 الراعي الذي يصوت على ما لا يسمع من البهائم فأنها لا تسمع إلا صوت الراعي من غير فهم لكلامه أصلا فكما  
 أن الكلام مع البهائم عبث عديم الفائدة فكذا التقليد ويقال مثل الذين كفروا في قلة عقلهم في عبادتهم  
 للأوثان كمثل الراعي الذي يتكلم مع البهائم فكما يحكم على الراعي بقلة العقل فكذا هؤلاء (هم) لأنهم  
 لم يسمعوا الحق (بكم) لأنهم لم يستجيبوا لما دعوا إليه (ع) لأنهم أعرضوا عن الدلائل (فهم  
 لا يعقلون) أي لا يفقهون أمر الله ودعوة نبي صلى الله عليه وسلم كما لا تفهم البهائم كلام الراعي  
 (يا أيها الذين آمنوا) كلوا من طيبات ما رزقناكم (كم) أي كلوا من حلال ما أعطيناكم من الحرث  
 والانعام (واشكروا لله) على ما رزقكم الطيبات (ان كنتم اياه تعبدون) أي ان صبح أنكم  
 تخلصونه بالعبادة وتقرون أنه تعالى هو الذي لا يغفر أن الشكر رأس العبادات (انما حرم عليكم الميتة)  
 أي أكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة أمالها ملك والجراد فهم ما خارجان عنهما باستثناء  
 الشرع فكروا ج الطحال من الدم (والدم ولحم الخنزير) أي جميع أجزائه وانما خص اللحم لأنه  
 المقصود بالاكل (وما أهل به لغير الله) فموصول وبه نائب الفاعل والباء بمعنى في مع حذف مضاف  
 والمعنى وما صبح في ذبحه لغير الله والكفار يرفعون الصوت لآلهتهم عند الذبح وقال الربيع ابن أنس  
 وابن زيد والمعنى وما ذكركم عليه غير اسم الله وعلى هذا فغير الله نائب الفاعل واللام صلة قال العلماء لو أن  
 مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا واذ يهتبه ذبيحة مرتد (فمن اضطر) أي  
 أحوج إلى أكل ما ذكركم بأن أصابه جوع شديد ولم يجد حلالا يسد به الرمق أو أكره على تناول ذلك  
 (غير باغ) أي غير طالم للذة (ولا عاد) أي متجاوزا سد الجوعة كما نقل عن الحسن وقادة والربيع  
 ومجاهد وابن زيد وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد على المسلمين بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي  
 بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد رحمه الله (فلا تأثم عليه) في أكل ما ذكر (ان الله  
 غفور) لمن أكل في حال الاضطرار (رحيم) حيث أباح في تناول قدر الحاجة (ان الذين يكتمون



ما أنزل الله من الكتاب المشتمل على الأحكام من المحللات والمحرمات وعلى نعت محمد صلى الله عليه وسلم (ويشترون به) أى بالسكتمان (ثمننا قليلا) أى عوضا حقيرا (أولئك ما يأتون في بطونهم الأناث) أى الإلحرام الذى هو سبب النار يوم القيامة (ولا يكلمهم الله) بكلام طيب (يوم القيامة ولا يركبهم) أى لا يظهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) يخلص الله لى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) أى أولئك الكفار اختاروا ما يحب به النار على ما يحب به الجنة (فما أصبرهم على النار) أى فما أصرأهم على النار (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أى ذلك الوعيد معلوم لهم بسبب أن الله نزل الكتاب بالصدق أو ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب ببيان الحق وهم قد حرفوا تأويله (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها (لنرى شقاق بعيد) أى فى خلاف بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق) أى جهة الكعبة (والمغرب) أى جهة بيت المقدس وقرأ حفص وحزرة بنصب البر على أنه خبر مقدم (ولكن البر) ولكن الشخص البر (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبیین وآتى المال على حبه) أى مع حب المال وهو أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تام على العيش وتحشى الفقر (ذوى القربى) أى القرابة (واليتامى) أى المحايىج منهم (والمساكين وابن السبيل) أى مآر الطريق (والسائلين) أى الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال (وفى الرقاب) أى فى المكاتبين وقيل فى اشتراء الرقاب لاعتاقها (وأقام الصلاة) المفروضة منها (وآتى الزكاة) أى المفروضة (والموفون بعهدهم) عطف على من آمن (إذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس (والصابرين) مفعول لفعل محذوف كذكر (فى البأساء) أى الخوف والبلايا والشدائد (والضراء) أى الأمراض والأوجاع والجوع (وحيز البأس) أى وقت شدة القتال فى سبيل الله (أولئك الذين صدقوا) فى الدين وطلب البر (وأولئك هم المتقون) عن الكفر ~~وتدنيه~~ قوله ليس البر هو اسم جامع لكل طاعة ثم قوله ولكن البر هو اسم فاعل والاصل بر ربك سر الراى الأولى فلما أريد الادغام نقلت كسرة الراء الى الباء بعد سلب حركتها أو هو مصدر بمعنى اسم الفاعل الذى هو البار كما هو القراءة الشاذة واختلف فى الخطاب بهذه الآية فقال بعضهم المراد مخاطبة اليهود لما شددوا فى الثبات على التوجه جهة بيت المقدس فقال تعالى ليس البر هذه الطريقة ولكن البر من آمن بالله وقول بعضهم بل المراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا أنهم قد نالوا البغية بالتوجه الى الكعبة من حيث كانوا يحبون ذلك فخطبوا بهذا الكلام وقال بعضهم بل هو خطاب لكل وقول الله تعالى ان صفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل الا عند مجموع أمور أحدها الايمان بالله فأهل الكتاب أخلوا بذلك فان اليهود قالوا بالتجسيم ووصفوا الله تعالى بالجنل وقالوا عزير بن الله وان النصارى قالوا المسيح بن الله وثانيها الايمان باليوم الآخر فاليهود أخلوا بهذا الايمان حيث قالوا النتمسنا النار الا أياما معدودة والنصارى أنكروا المعاد الجسماني وثالثها الايمان بالملائكة فاليهود أخلوا بذلك حيث أظهروا عداوة جبريل عليه السلام ورابعها الايمان بكتب الله فاليهود والنصارى قد أخلوا بذلك حيث لم يقبلوا القرآن وخامسها الايمان بالنبیین واليهود أخلوا بذلك حيث قتلوا الانبياء وطعنوا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وسادسها بذل الاموال على وفق أمر الله تعالى واليهود أخلوا بذلك لانهم يلقون الشبهات لطلب المال القليل وسابعها إقامة الصلوات والزكوات واليهود كانوا يمنعون الناس منهما وثامنها الوفاء بالعهد واليهود تنقضوا العهد (يا أيها

الذين آمنوا كتب عليكم القصاص (أى فرض عليكم المماثلة وصفه وفعلا (فى القتلى) أى بسبب قتل القتلى عند مطالبة الولي بالقصاص (الحرب بالحر) أى الحر يقتل بقتل الحر لا يقتل العبد (والعبد بالعبد) وبالحر من باب أولى (والانثى بالانثى) وبينت الأحاديث انه يتمثل أحد النوعين المذكور الانثى بالآخر ويعبر ان لا يفصل القاتل القاتل بالدين والاصلية والحرية (فن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء له باحسان) أى فن سهل له من أولياء الدم من أخيه الذى هو اقاتل شئ من المال فعلى ولي الدم مطالبة ذلك المال من ذلك القاتل من غير تشديد بالمطالبة وعلى القاتل أداء الدية الى ولي الدم من غير عساطلة وبخمس بل على بشر وطلاقة وقول جميل ومعنى هذه الآية ان الله تعالى حث الاولياء اذ ادعوا الى الصلح من الدم على الدية كلها أو بعضها ان يرضوا به ويعفوا عن القود (ذلك) أى الحكم من جواز القصاص والعفو عنه على الدية (تخفيف) فى حكمكم (من ربكم ورحمة) للقاتل من القتل لان العفو وأخذ الدية محرمان على اليهود بل فرض عليهم القصاص وحده والقصاص والدية محرمان على النصارى بل فرض عليهم العفو على الاطلاق وفى ذلك تضيق على ~~بكل~~ من الوارث والقاتل وهذه الأمة مخيرة بين الثلاث القصاص والدية والعفو تيسيرا عليهم (فن اعتدى) أى جاوز الحد (بعد ذلك) أى بعد بيان كيفية القصاص والدية (فله عذاب أليم) أى شديد الألم فى الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) أى ولكم فى مشروعية القصاص حياة لان من أراد قتل الشخص اذ اعلم القصاص ارتدع عن القتل فيتسبب لحياة نفسين ولان الجماعة يقتلون بالواحد فتنتشر الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقيون فيه كون ذلك سببا لحياتهم (يا أولى الابواب) أى ذوى العقول الخالية من الهوى (لعلكم تتقون) أى لئكى تتقوا المساهلة فى أمره وترك المحافظة عليه (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) أى فرض عليكم الوصية للوالدين والأولاد كما قاله عبد الرحمن بن زيد أو الرحم غير الوالدين كما قاله ابن عباس ومجاهد بالعدل بحسب استحقاقهم فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث اذا ظهرت على أحدكم آمارات الموت كالمرض المخوف ان ترك ما لافال الأصم انهم كانوا يوصون للأبعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الأقارب فى الفقر والمسكنة فأوجب الله تعالى فى أول الاسلام الوصية لهؤلاء لمنع اللقوم عما كانوا اعتمادوه (حقا على المتقين) أى حق ذلك حقا على الموحدين (من بدله) أى الوصية من وصى وشاهدا ما بانسكار الوصية من أصلها أو بالنقص فيها أو بتبديل صفتها أو غير ذلك (بعدها سمعه) أى بعد علم الوصية (فانما اثمه) أى التبديل (على الذين يبدلونه) أى الوصية لا على الميت لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع (ان الله مهييم) لوصية الميت (عليهم) بالمبدل فيجازى الميت بالخير والمبدل بالشر (فن خاف من موسى) قرأه شعبة وحمزة والكسائى بفتح الواو وتشديد الصاد أى من علم من ميت (جنفا) أى ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (أو اثمًا) أى عمد فى الميل فى الوصية (فصلح بينهم) أى فعل ما فيه الصلاح بين الوصى والموصى لهم برده الى الثلث والعدل (فلا اثم عليه) أى على من علم ذلك فى هذا له لمح وان كان فيه تبديل لانه تبديل باطل بحق بخلاف الاول (ان الله غفور) للميت ان جاروا خطأ ونلوصى (رحيم) للوصى حيث رخص عليه الرد الى الثلث والعدل ومعنى الآية ان الميت اذا أخطأ فى وصيته أو جار فيها متعديا فلا اثم على من علم ذلك ان يغيره ويرده الى الصلاح بعده وموته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء عليهم الصلاة والسلام

والأهم من لدن آدم عليه السلام (لعلكم تتقون) أي تتقون الله بصومكم وترككم للشهوات فالرغبة في المطعوم والمسكوح أشد من الرغبة في غيرهما والاتقاء عنهما أشق فإذ أسهل عليكم اتقاء الله بترككم كان اتقاء الله بترك غيرهما أسهل وأخف والمعنى لعلكم تتقون ترك الحفاظ على الصوم بسبب عظم درجاته (أي أيام معدودات) أي في أيام قدرات بعد معلوم ثلاثين يوما وهي رمضان (فمن كان منكم مريضا) مرضا يضره الصوم ولو في أثناء اليوم (أو على سفر) أي مستقرا على سفر قصر (فعدة من أيام أخر) أي فعملية أن أفطر صوم عدة أيام المرض والسفر أي بقدر ما أفطر من رمضان ولو مفردا وعن أبي عبيد بن الجراح أنه قال إن الله تعالى لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضائه أن شئت فواتر وإن شئت ففرق وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم على أي أيام من رمضان أفجزيني أنا أقضيها متفرقة فقال له أرايت لو كان عليك دين فقضيته الدرهم والدرهمين أما كان يجزيك قال نعم قال فأنه أحق أن يعفو ويضعف عن عائشة أن حمزة الأسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل أصوم على السفر فقال صلى الله عليه وسلم صم إن شئت وأفطر إن شئت وروى الشافعي أن عطاء قال لابن عباس أقصر إلى عرفة فقال لا فقال إلى من الظهر إن فقال لا ولكن أقصر إلى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه) أي وعلى المطيعين للصيام أن أفطروا (فدية طعام مسكين) أي قدر ما يأكله في يوم وهو مدم من غالب قوت بلده وقرأنا نافع وابن عامر بإضافة فدية وجمع مساكين قال ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما إن هذه الآية منسوخة وذلك أنهم كانوا في صدر الإسلام محجرين بين الصيام والغدية وإنما خيرهم الله تعالى بينهما لأنهم كانوا لم يتعدوا الصيام فاشتد عليهم فرخص الله لهم في الإفطار وقيل إن هذه الآية نزلت في حق الشيخ الحرم والمعنى وعلى الذين يتدرون على الصوم مع المشقة فدية (فمن تطوع خيرا) كأن راد في الفدية على القدر الواجب أو صام مع إخراج الفدية (فهو) التطوع (خير له) بالثواب (وأن تصوموا) أي المرخصون لكم في الإفطار من المرضى والمسافرين والذين يتدرون على الصوم مع المشقة (خير لكم إن كنتم تعلمون) ما في الصوم من الفضيلة ومن المعاني المورثة للتقوى وبرائة الذمة فإن العبادة كلما كانت أشق كانت أكثر ثوابا (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) أي أن جبريل نزل بالقرآن جملة واحدة في ليلة العدر وكانت ليلة أربع وعشرين من رمضان من الألواح المحفوظة إلى السماء الدنيا فأمره جبريل على السفارة فكتبوه في صحف وكانت تلك الصحف في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ثم نزل جبريل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجوما في ثلاث وعشرين سنة مدة النبوة بحسب الحاجة يوما بيوم آية وآيتين وثلاثا وسورة (هدى للناس) أي بيان للناس من الضلالة (وبينات من الهدى) أي وانجحات من أمر الدين فالهدى الأول محمول على أصول الدين والهدى الثاني على فروع الدين (والفرقان) أي من الفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي من شهد منكم أول الشهر في الحضر فليصم كل الشهر وشهود الشهر إما بالرؤية وإما بالسمع فإذا رأى إنسان هلال رمضان وقد انفرد بتلك الرؤية وورد الإمام شهادته لزمه أن يصوم لأنه قد حصل شهود الشهر في حقه فوجب عليه الصوم وإذا شهد عدلان على رؤية الهلال حكم به في الصوم والفطر جميعا وإذا شهد عدل واحد على رؤية هلال شوال لا يحكم به أما إذا شهد على هلال رمضان فيحكم به احتياطا لأمر الصوم أي يقبل قول الواحد في أقبات العبادة ولا يقبل في الخروج منها إلا قول الاثنين لكي يصوموا احتياطا (ومن كان

(مريضاً) في شهر رمضان وإن كان مقيماً (أو على سفر) أي متلبساً بالسفر وقت طلوع الفجر وإن  
 كان صحيحاً (فعدة) أي فعلية عدة (من أيام أخر) أي فليهم منها بقدر ما أفطر (يريد الله بكم  
 اليسر) أي رخصة الإفطار في السفر (ولا يريد بكم العسر) أي لم يرد أن يوجد لكم العسر في الصوم  
 في السفر (ولتكموا العدة) أي لكي تصوموا في الحضر عدة ما أفطرتكم في السفر وقرأ أبو بكر عن  
 عاصم بن قحطبة السكاف وتشديد الميم (ولتكبروا الله) عند انقضاء الصوم (على ما هداكم) إلى هذه  
 الطاعة قال ابن عباس حق على المسلمين إذا رزوا هلال شوال أن يكبروا وقال الشافعي وأحب اظهار  
 التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وإسحاق وأبو يوسف ومحمد (ولعلمكم تشكرون) الله على  
 رخصته قال الفراء قوله تعالى ولتكموا العدة علة للأمر بعبادة العدة وقوله تعالى ولتكبروا الله علة  
 ما علمكم الله من كيفية القضاء وقوله تعالى ولعلمكم تشكرون علة التسهيل (وإذا سألك عبادي عني)  
 أي عن قربى وبعدي (فأني قريب) أي فقل لهم يا أشرف الخلق أني قريب منهم بالعلم والواجبة (أجيب  
 دعوة الداع إذا دعان) قيل المراد من الدعاء التوبة عن الذنوب لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة  
 واجابة الدعاء هو قبول التوبة وقيل المراد من الدعاء العبادة قال صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وما  
 يدل على ذلك قوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون  
 جهنم داخرين وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع الداعي إذا دعاني بآتيات الياء فيهما في الوصل والباقون  
 بحذفها على الوصل في الأولى وعلى التحفيف في الثانية (فليستجيبوا لي) أي فلينبذوا لي وليستسلموا لي  
 (وليؤمنوا بي) وهذا الترتيب يدل على ان العبد لا يصل إلى نور الايمان وقوته الا بتقدم الطاعات  
 والعبادات (لعلهم يرشدون) أي يهتدون لمصالح دينهم ودنياهم إذا استجابوا لي وآمنوا بي وسبب  
 نزول هذه الآية قيل ان أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقرئ ربنا فندعوه سراناً بعيد  
 فندعوه جهراً فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى عن قتادة وغيره ان الصحابة قالوا كيف ندعوك ربنا  
 يا نبي الله أي بالنداء أو بالنداء فأنزل الله هذه الآية وقال عطاء وغيره انهم سألوا في أي ساعة  
 ندعوا الله فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الحسن سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أين  
 ربنا وقال ابن عباس ان يهود أهل المدينة قالوا يا محمد كيف يسمع ربنا فدعاه فأنزلت هذه الآية  
 (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) أي المجامعة مع نسائكم قال المفسرون كان في أول  
 شريعة محمد صلى الله عليه وسلم إذا أفطر الصائم حل له الأكل والشرب والوقاع بشرط أن لا ينام ولا يصلي  
 العشاء الأخيرة فإذا فعل أحدهما بأن نام أو صلى العشاء حرم عليه هذه الأشياء إلى الليلة القابلة فواقع  
 عمر بن الخطاب أهل بيته بعد صلاة العشاء فلما اغتسل أخذ بيدي ولوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم  
 واعتذر إليه فقام رجال واعتزوا بالجماع بعد العشاء فنزلت هذه الآية ناصحة لتلك الشريعة (هن  
 لباس لكم) بأنتم لباس لهن) هذا لمين لسبب إحلال الوقاع وهو صوم وبه اجتنبهن وستر أحدهما  
 الآخر عن الفجور (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أي تظلمون بها لأنكم تسرون بالعصية  
 في الجماع بعد صلاة العشاء والا كل بعد النوم (فتاب عليكم) أي قبل توبتكم (وعفا عنكم)  
 أي محاذبوكم ولم يعاقبكم في الخيانة (فالآن) أي حين أحل الله لكم (باشروهن) أي  
 جامعوهن (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي اطلبوا ما وضع الله لكم بالنكاح من التنازل وقدر  
 العفة أي لا تباشروا القضاء الشهوة ومحدثها وقيل هذا نهى عن المزمل قال الشافعي لا يعزل الرجل

عن الحرّة لا يادنها ولا بأس أن يعزل عن الأمة وقيل معنى ذلك ابتغوا هذه المباشرة من الزوجة والمملوكة  
فان ذلك هو الذي كتب الله لكم أي قسم الله لكم (وكلوا واشربوا) من حين يدخل الليل (حتى  
يتبين لكم المحيط الأبيض من المحيط الأسود) أي حتى يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل  
حال كون المحيط الأبيض بعضا (من الفجر) الصادق ومعنى الصبح الصادق فجرا لأنه يتفجر منه النور  
(ثم أتموا الصيام إلى الليل) أي إلى دخوله بغروب الشمس زالت هذه الآية في شأن حرمة من مالك بن  
عدى وذلك أنه كان يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله فقال هل عندك طعام فقالت  
لا وأخذت تصنع له طعاما فأخذته النوم من التعب فأبغضته فذكره أن يأكل خوفا من الله فأصبح صائما  
مجهودا في عمله فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفق أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما وقع  
فأنزل الله هذه الآية (ولا تبأثروهن) أي لا تجامعوهن ليلا ونهارا (وأنتم عاكفون) أي ما كنون  
(في المساجد) بنية الاعتكاف للتقرب إلى الله تعالى (تلك) أي المباشرة (حدود الله) أي  
معصية الله (فلا تقربوها) أي فلا تقربوا المعصية واتركوا مباشرة النساء ليلا ونهارا حتى تفرّوا من  
الاعتكاف (كذلك) أي هكذا (بين الله آياته) أي أمره ونهيته (للناس) أو المعنى كما بين الله ما أمركم به  
ونهاكم عنه كذلك يبين سائر أدلته على دينه (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا معصية الله زالت هذه  
الآية في حق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وعمار بن ياسر وغيرهما  
فكانوا معتكفين في المسجد فيأتون إلى أهاليهم إذا احتاجوا ويجمعون نساءهم ويقتسلون  
فيرجعون إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك (ولأنما كلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي لا يأخذ  
بعضكم من بعض بالطريق الحرام شرعا (وتدلوها إلى الحكم لتأكلوا فريقتا من أموال الناس بالأنثى)  
أي لا تدخلوا بالأموال إلى الحكم لتأخذوا جملة من أموال الناس متلبسين بالأنثى أي بالحلف الكاذب  
(وأنتم تعملون) أنكم مبطلون فالأقدام على القبيح مع العلم بقبحه أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق روى أن  
عبدان بن الأسود الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فوهم بالحلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين  
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وأقر بالحق وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت  
هذه الآية وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
حالم بالخصومة وجاهل بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالم فقال من قضى عليه يا رسول الله  
والذي لا إله إلا هو أني محق فقال انشئت أعوده فعوده فقهضي للعالم فقال المقضي عليه مثل ما قال أولا ثم  
عاوده ثالثا ثم قال صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بخصومته فأثمنا اقتطع قطعة من النار  
فقال العالم المعضي له يا رسول الله ان الحق حقه فقال صلى الله عليه وسلم من اقتطع بخصومته وجعله حق  
غيره فليتبوأ مقعده من النار ومعنى اقتطع أي أخذ وسأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يز يد حتى يعتلي نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود  
دقيقا كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة) أي عن فائدة  
اختلاف الأهلة بالزيادة والنقصان لماذا (قل) يا أشرف الخلق (هي مواقيت للناس والحج) أي هي  
علامات لأغراض الناس الدينية والدنيوية وللحج كعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وصيامهم  
وأفطارهم وقضاء دينهم وأوقات زرعهم ومتابحهم ودخول وقت الحج ونحوه ثم نزل في شأن نفر من

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كآفة وخزاعة كانوا يدخلون بيوتهم في الأحرام من خلفها أو من سطعها  
كما فعلوا في الجاهلية قوله تعالى (وليس البربان تأوا البيوت من ظهورها) في الأحرام (ولكن البر من  
اتقى محارمه تعالى كالصيد وتوكل على الله تعالى في جميع أموره (وأقوا البيوت) أي ادخلوها  
(من أبوابها) في الأحرام كغيره (واتقوا الله) في تغيير الأحكام أو في جميع أموركم (لعلكم تفلحون)  
لكي تغوزوا بالخير في الدين والدنيا أوليكم نجوا من السخط والعذاب (وقاتلوا) أي جاهدوا (في  
سبيل الله) أي في طاعته وطلب رضوانه في الحل والحرم (الذين يقاتلونكم) أي يبدؤنكم بالقتال  
من الكفار (ولا تعتدوا) عليهم يابتداء القتال في الحرم (إن الله لا يحب المعتدين) أي لا يريد الخير  
للمعتدين الحد (واقتلوهم) إن بدؤكم (حيث تفتتوهم) أي وجدتموهم في الحل والحرم  
(وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة (والفتنة أشد من القتل) أي والمحنة التي يقتل  
بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء ألم النفس بها وقيل وشركهم بالله  
وعبادته الأوثان في الحرم وصددهم لكم عنه أشد من قتلهم إياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام)  
أي لا تبتدؤهم بالقتل في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه) أي الحرم بالابتداء (فإن قاتلوكم) فيه  
بالابتداء (فقاتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم فيه لأنهم الذين هتكوا حرمة فاستحقوا أشد العذاب قرأ  
حزرة والكسافي ولا تقاتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كله بغير ألف (كذلك) أي مثل هذا الجزاء  
الواقع منكم بالقتل والإخراج (جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا (ذاتنوها) عن الكفر  
(فإن الله غفور) لهم ما قد سلف (رحيم) بهم (وقاتلوهم) بالابتداء منهم في الحل والحرم (حتى  
لا تكون فتنة) أي كي لا توجد فتنة عن دينكم أي وقد كانت فتنتهم أنهم كانوا يؤذون أصحاب النبي  
صلى الله عليه وسلم بمكة حتى ذهبوا إلى الحبشة ثم واطبوا على ذلك الإيذاء حتى ذهبوا إلى المدينة وكان  
غرضهم من إثارة تلك الفتنة أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفارا فأمر الله تعالى هذه الآية والمعنى قاتلوهم  
حتى تعالوا عليهم فلا يقتلوكم عن دينكم فلا تقعوا في الشرك (ويكون الدين) أي وكى يوجد الإسلام  
والعبادة (لله) وحده لا يعبدون في الحرم سواء (فإن انتهوا) عن قتالكم في الحرم (فلا عدوان)  
أي فلا سبيل لكم بالقتل (الأعلى الظالمين) أي المبتدئين بالقتل أو المعنى فإن انتهوا عن الأمر الذي  
يوجب قتالهم وهو ما كفرهم أو قتالهم فلاقتل الأعلى الذين لا ينتهون عن الكفر فانهم باصرارهم على  
كفرهم ظالمون لأنفسهم (الشهر الحرام) الذي دخلت يا محمد فيه لقضاء العمرة وهو ذو القعدة من  
السنة السابعة مقابل (بالشهر الحرام) الذي صدرك عن دخول مكة وهو ذو القعدة من السنة السادسة  
أي من استحل دمكم من المشركين في الشهر الحرام فاستحلوه فيه (والحرمت) أي الشهر الحرام والبلد  
الحرام وحرمة الأحرام (قصاص) أي يحصر فيهما بدل (فإن اعتدى عليكم) بالقتال في الحرم  
أو الأحرام أو الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أي جازوه بمثل ما اعتدى عليكم به  
(واتقوا الله) أي اخشوه بالابتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والحفظ (وأنفقوا في سبيل  
الله) أي في طاعة الله لقضاء العمرة (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أي ولا تلقوا أنفسكم إلى الهلاك  
بنعم النفقة في سبيل الله أو بالأسراف في النفقة أو بتضييع وجه المعاش (وأحسنوا) في الاتفاق على  
من ظنكم مؤثمة بأن يكون ذلك الاتفاق وسطا فلا تسرفوا ولا تقروا ويقال وأحسنوا الظن في الله (إن  
الله يحب المحسنين) أي يريد بهم الخير ويشيهم زلت الآيات من قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله إلى



ههنا في حق المحرمين مع النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء العمرة بعد عام الحديبية لانهم خافوا ان يقاتلهم الكفار في الحرم والاحرام والشهر الحرام وكرهوا ذلك لان القتال في ذلك الوقت كان محرما في تلك الاحوال الثلاثة (واتعوا الحج والعمرة لله) أي افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام بأركانها وشروطها لله بأن تخلصهما للعبادة ولا تتخالطهما بشئ من التجارة والاغراض الدنيوية (فان أحصرتم) أي منعت عن اتمامهما بعدوا (فما استيسر من الهدى) أي فعليكم اذا أردتم التحلل ما تيسر من الهدى من بدنة أو بقرة أو شاة لتزك الحرام واذبحوها حيث أحصرتم في حل أو حرم (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أي وقت يحج ذبحه وهو مكان الاحصار عند الشافعي لكن يندب ارساله الى الحرم خروجاً من خلاف أبي حنيفة فاذا ذبحتم فاحلقوا ويجب نية التحلل عند الذبح والحلق وبم ما يحصل الخروج من النسك قال الشافعي كل ما وجب على المحرم في ماله لا يجزئ الا في الحرم لمساكين أهله الا في نوعين أحدهما من ساق هديا فعطى في طريقه فيذبحه ويحلي بينه وبين المساكين وثانيهما دم المحصر بالعدو فانه يذبح حيث حبس لان هذا الدم اغماو جب لازالة الخوف وزوال الخوف اغما يحصل اذا قدر عليه حيث أحصر (فن كان منكم مريضا) في بدنه محتاجا الى المداواة واستعمال الطيب واللباس (أو) كان (به أذى من رأسه) أي في ألم رأسه بسبب القمل والصبيان أو بسبب الصداغ أو كان عنده خوف من حدوث مرض أو ألم واحتاج الى الحلق أبيع له ذلك بشرط بذل الفدية كما قال تعالى (فدية) أي فعلية فدية (من صيام) في ثلاثة أيام (أو صدقة) بثلاثة أصع من غالب قوت مكة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أرنسك) أي ذبح شاة (فاذا أمنتم) من العدو (فن تمتع بالعمرة الى الحج) أي فن تلتذذ بمحظورات الاحرام كالطيب واللباس والنساء بسبب اتيانه بالعمرة الى الاحرام بالحج (فما استيسر من الهدى) أي فعلية ما تيسر من الدم للجبران بخمسة شروط الاول أن يقدم العمرة على الحج الثاني أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج الثالث أن يحج في هذه السنة الرابع أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام الخامس أن يحرم بالحج من خوف مكة بعد الفراغ من العمرة ووقت وجوب هذا الدم بعدما أحرم بالحج ويستحب أن يذبح يوم النحر ويجوز تقديم الذبح على الاحرام بالحج بعد الفراغ من العمرة لان دم التمتع عندنا دم جبران كسائر دماء الجبرانات وعند أبي حنيفة هو دم نسك كدم الاضحية فيختص بيوم النحر فلا يجوز عنده الذبح قبله (فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي فن لم يجد الهدى لفقد أو فقد ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في حال اشتغاله باحرام الحج أي في أيام الاشتغال بأعمال الحج بعد الاحرام وقبل التحلل (وسبعة اذا رجعت) الى أهليكم ووطنكم مكة أو غيرها وقرأ ابن أبي عبيدة سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام (تلك عشرة كاملة) في البذل عن الهدى قائمة مقامه (ذلك) أي لزوم الهدى وبدله على التمتع (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عند أبي حنيفة وأهل الحل عند طاوس وغير أهل مكة عند مالك (واتقوا الله) فيما فرض عليكم (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن تهاون بمحدوده (الحج أشهر معلومات) أي أشهر الحج معروفة بين الناس وهي شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة على طالع خبر يوم النحر عند الشافعي (فن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) أي فن أوجب الحج على نفسه بالاحرام فيهن فلا جماع ولا خر وج عن حدود الشرع بارتكاب المحظورات ولا خصام مع الخدم والرفقة وغيرهما في أيام الحج وقرأ ابن كثير وأبو عمر وفلا رفث ولا فسوق بالرفع والتنوين ولا جدال

بالنصب والباقون قرأوا السكك بالنصب والمعنى على هذا لا يكون زرق ولا فسوق ولا خلاف في الحج وذلك  
 ان قرينها كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام ذرفع الخلاف بأن أمروا بأن يقفوا بعرفات  
 كسائر العرب واستدل على ان المنهى عنه هو الزرق والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من  
 حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولادته أمه فانه صلى الله عليه وسلم لم يذكر الجدال (وماتفعلا ومن  
 خير) كصدقة وكترك المنهى (يعلمه الله) أي يقبله ويجزي به خير جزاء (وتزودوا فان خير الزاد  
 التقوى) أي تزودوا من التقوى لمعادكم فانها خير زاد وهي فعل الواجبات وترك المحظورات ويقال  
 وتزودوا ماتعيشون به لسفركم في الدنيا فان خير الزاد ماتكفون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم عن  
 الظلم (واتقون يا أولي الابواب) أي ذوي العقول (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أي  
 ليس عليكم حرج في أن تطلبوا رزقا من ربكم بالتجارة في الحج (فاذا أقضتكم) أي رجعتكم (من عرفات  
 فاذا كروا الله) بالتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل (عند المشعر الحرام) وهو جبل يقف عليه  
 الامام وسمى قزح وهو آخر حد المزدلفة وقال بعضهم المشعر الحرام هو المزدلفة لان الذكر المأمور به عنده  
 يحصل عقب الافاضة من عرفات وما ذاك الا بالبيت بالمزدلفة (واذكروا) أي الله (كل هذاكم) أي  
 لاجل هدايته اياكم لعالم دينه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي وانكم كنتم من قبل الهدى لمن  
 الجاهلين بالايان والاطاعة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي ثم ارجعوا من المزدلفة الى منى  
 قبل طلوع الشمس للرمي والنحر كرجع منها ابراهيم واسماعيل في ذلك الوقت على ما جاء به الرسول صلى الله  
 عليه وسلم وكان العرب الذين وقفوا بالمزدلفة يرجعون الى منى بعد طلوع الشمس وهذا كما اختاره الفقهاء  
 (واستغفروا الله) باللسان مع التوبة بالقلب وهو أن ينسدم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم على  
 أن لا يقصر فيما بعده ويطهروا بذلك تحصيل مرضاة الله تعالى (ان الله غفور) لذنوب المستغفر (رحيم)  
 أي منعم عليه (فاذا أقضيتكم مناسككم فاذا كروا الله كذا كركم آياهكم) وكان العرب بعد الفراغ من  
 الحج يقفون بين بين المسجد والجبل فيبالغون في الثناء على آياتهم في ذكركم مناقبهم وفضائلهم فقال الله  
 تعالى هذه الآية فالمعنى فاذا فرغتم من عبادتكم المتعلقة بالحج كأن رمية جرة العقبة وطفتم واستقررتكم معني  
 فاذا لولوا جهدكم في الثناء على الله وذكر نعمائه كما بذلتهم جهدكم في الثناء على آياتكم في الجاهلية (أو أشد  
 ذكرا) أي بل أكثر ذكرا من ذكر آياتكم لان صفات الكمال لله تعالى غير متناهية (فمن الناس) أي  
 المشركين أو المؤمنين (من يقول) في الموقف (ربنا آتتنا) أي اعطنا (في الدنيا) ابلا وبقرا وغنما وعبيدا  
 أو اماء ومالا (وماله في الآخرة من خلاف) أي من نصيب في الجنة بحججه (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا  
 حسنة) أي علما وعبادة وعصمة من الذنوب وشهادة ورغنية وعصمة وكفا فأتوفيقا للخير (وفي الآخرة حسنة)  
 أي الجنة ونعيمها (وقتنا عذاب النار) أي ارفع عنا العذاب (أولئك) أي أهل هذه الصفة (لهم نصيب)  
 أي حظ وافر في الجنة (عما كسبوا) أي من حجههم (والله سريع الحساب) أي سريع القبول  
 لدعاء عباده والاجابة لهم وعالمهم بجملة سوالات السائلين (واذكروا الله) أي بالتكبير والتهليل والتحميد  
 (في أيام معدودات) أي في أيام التشريق الثلاثة (فمن تعجل) برجوعه الى أهله (في يومين) بعد يوم  
 النحر (فلاثم عليه) بتجيله (ومن تأخر) الى اليوم الثالث حتى رمى فيه قبل الزوال أو بعده  
 (فلاثم عليه) بتأخره فهم مخبرون في ذلك (لمن اتقى) أي ومنى الاثم لمن اتقى الله في حجه لانه المتشع  
 بحجه دون من سواه (واتقوا الله) أي احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام (واعلموا أنكم اليه

تخشرون) أى الجزاء على أعمالكم بعد البعث (ومن الناس من يجعل قوته فى الحياة الدنيا) أى ومن الناس من يعظم فى قلبك كلامه عندما يتكلم لطلب مصالح الدنيا وهو الاخنس بن شريق الثقفى واسمه أبى كان منافقا حسن العلانية خيىء الباطن (ويشهد الله على ما فى قلبه) فإن الاخنس هذا أقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر الاسلام ويحلف بالله انه يحبه ويتابعه فى السرى ويحتمل انه يقول فأن الله يشهد بأن الأمر كما قلت فهذا الاستشهاد بالله وأيسر بيمين وقرأ ابن محيص يشهد الله بفتح الياء والهاء والمعنى يعلم الله من قلبه خلاف ما أظهره (وهو الداحصام) قال قتادة شديدا القسوة فى معصية الله جعله بالباطل عالم اللسان جاهل العمل وقال السدى أعوج الحصام (واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها) أى وإذا انصرف من عندك اجتهد فى إيقاع القتال بأن يقع الاختلاف بين الناس ويفرق كلهم ويؤدى الى انه يتبرأ بعضهم من بعض فيقطع الارحام ويسفل الدماء (ويهلك الحرث) أى الزرع بالاحراق (والنسل) أى الحيوان بالقتل فان الاخنس لما انصرف من بدر مر ببنى زهرة وكان بينه وبين تقيف خصومة فبعتهم ليلا فأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم (والله لا يحب الفساد) أى لا يرضى به (واذا قيل له) أى لذلك الناس (اتق الله) فى فعلك (أخذته العزة بالاثم) أى لزمه التكبر الحاصل بالاثم الذى فى قلبه فان التكبر اغما حصل بسبب ما فى قلبه من الكفر والجهل وعدم النظر فى الدلائل (لحسبه جهنم) أى كافيه جهنم جزاء له وعذابا (ولبئس المهاد) أى لبئس المستقره (ومن الناس من يشترى) أى يشتري (نفسه) بماله (ابتغضا مرضاة الله) روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جعدان وفى عمار بن يامر وفى عمة أمه وفى يامر أبيه وفى بلال مولى أبى بكر وفى خباب بن الارت وفى أبى ذر وفى عابس مولى حويطب أخذهم المشركون فعذبوهم فأما صهيب فكان لاهل مكة أنى شيخ كبير ولى مال ومتاع وأنا أعطيكم مالى ومتاعى واشترى منكم دينى فريضوا منه بذلك وخلوا سبيله فأنصرف الى المدينة فنزلت هذه الآية وعند دخول صهيب المدينة لقيه أبو بكر رضى الله عنه فقال ربح يعلك يا أبا يحيى فكان وماذا لك فقال أنزل الله فيك قرأنا قرأ عليه هذه الآية وأما خباب بن الارت وأبو ذر فقد فرأوا نبياً المدينة وأما عمة فربطت بين بعيرين ثم قتلت وقتل يامر وأما الباقون أعطوا بسبب العذاب بعض ما أراد المشركون فتركوا (والله رؤف بالعباد) الذين قتلوا فى مكة أبى عمار وأمه وغيرهم لانه تعالى أرشدهم لما فيه مرضاه (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) نزلت هذه الآية فى شأن طائفة من مسلمى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لانهم حين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم أقاموا بعده على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا الحوم الا بلى وألبانها وكانوا يقولون ترك هذه الاشياء مباح فى الاسلام وواجب فى التوراة فنحن نتركها احتياطاً فكره الله تعالى ذلك منهم وأمرهم أن يدخلوا فى السلم كافة ولا يتبعوا خطوات الشيطان) أى لا تتبعوا طرق ترزين الشيطان بتفريق الاحكام بالعمل ببعضها الموافق لشرىعة موسى وعدم العمل ببعض الآخر المخالف لها (انه لكم عدد ومبين) أى ظاهر العداوة (فان زلتم) أى ان انصرفتم عن الطريق الذى أمرتم به (من بعد ما جاءكم البينات) أى الدلائل العقلية والنقلية كالمجزة الدالة على الصدق والبيان الحاصل بالقرآن والسنة (فاعلموا أن الله عزيز) أى قوى بالنفخة لمن لا يتابع رسوله فلا يمنع مانع عنكم ولا يفوته ما يريد منكم (حكيم) أى عالم بعواقب الامور (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) أى ما ينظر أهل

مكة الا أن يأتيهم الله بلا كيف يوم القيامة والملائكة في ظلل من الغمام فقوله في ظلل من الغمام  
والملائكة مقدم ومؤخر فنزل الغمام علامة لظهور أشد الا هوال في القيامة قال تعالى ويوم تشقق السماء  
بانهمام ونزل الملائكة تنزيلا (وقضى الأمر) أي تم فصل القضاء بين الخلائق وأخذ الحقوق لأربابها  
وانزال كل أحد من المكلفين منزلته في الجنة والنار (والى الله ترجع الامور) أي ان الله تعالى ملك  
عباده في الدنيا كثير من أمور خلقه فاذا صاروا الى الآخرة فلا مالك للحكم في العباد سواء كما قال تعالى  
والأمر يومئذ لله قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ترجع بالبناء للعجول على معنى ترد وقرأ ابن عامر  
وحزرة والكسائي ترجع بالبناء للفاعل أي تصير كقوله تعالى ألا الى الله تصير الامور قال نحر الدين محمد  
الرازى والواضح عندي أن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة انما نزلت في حق اليهود  
والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم أكلوا طاعتكم في الايمان بأن تؤمنوا بجميع أنبياء الله وكتبه  
فادخلوا يا أيها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم أكلوا طاعتكم في الاسلام عن التمام ولا تتبعوا الشبهات التي  
تقسمون بها في بقية تلك الشريعة وعلى هذا التقدير فقوله تعالى فان زلتم من بعد ما جاءتكم البينات  
فاعلموا أن الله عزز حكيم يكون خطابا مع اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم  
الله في ظلل من الغمام والملائكة حكاية عن اليهود والمعنى انهم لا يقيمون دينك الا أن يأتيهم الله في ظلل  
من الغمام والملائكة ألا ترى انهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جوهرة واذا كان  
هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع اجراء الآية على ظاهرها وذلك لان اليهود كانوا على مذهب التشبيه  
وكانوا يجوزون على الله المجيء والذهاب وكانوا يقولون انه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في  
ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا التقدير يكون هذا الكلام  
حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه فلا يحتاج حينئذ الى التأويل ولا الى حمل اللفظ على المجاز  
وذكر الله تعالى بعد ذلك ما يجري مجرى التهديد بقوله تعالى والى الله ترجع الامور (سل بنى اسرائيل)  
قل يا أشرف الخلق لا ولاد يعقوب الحاضرين منهم توبينا (كم آتيناهم من آية بينة) أي معجزات موسى  
عليه السلام كخلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونطق الجبل وتكليم الله تعالى لموسى  
عليه السلام من السماء وانزال التوراة عليهم فبدلوا مقتضاها وهو الايمان بها بالكفر فاستوجبوا  
العقاب من الله تعالى فانكم لو زلتم عن آيات الله تعالى لوقعت في العذاب كما وقع لاسلافكم أو المعنى  
سل يا أشرف الخلق هؤلاء الحاضرين من بنى اسرائيل تنبيههم على ضلالتهم كم آتيناهم من حجة بينة  
لمحمد صلى الله عليه وسلم يعلم بها صدقه ومعجزة شريعته وكفروا بها (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته)  
أي ومن يغير آيات الله الباهرة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالكفر من بعد ما عرفها أو المعنى ومن  
يغير دين الله وكتابه بالكفر من بعد ما جاءه محمد به (فان الله شديد العقاب) لمن كفر به (زين للذين  
كفروا الحياة الدنيا) أي حسن ما في الحياة الدنيا من سعة المعيشة لكفار مكة أبي جهل ورؤساء قريش  
(ويسخرون من الذين آمنوا) أي يسخرون على فقراء المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وخباب  
وسالم مولى أبي حذيفة وعامر بن فهيرة وأبي عبيدة بن الجراح وسلمان وبلال وصهيب بضيق المعيشة  
(والذين اتقوا) عن الدنيا الشاغلة عن الله تعالى (فوقهم يوم القيامة) لان المؤمنين في عليين والكافرين  
في سجين ولا نهم في أوج الكرامة وهم في حضيض المذلة ولان مخزية المؤمنين بالكفر يوم القيامة فوق  
مخزية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا (والله يرزق من يشاء) في الدنيا من كافر ومؤمن (بغير حساب)

اى بغير تكلف من الرزق ومن حيث لا يحتسب وقد أغنى الله المؤمنين عما أقام عليهم من أموال مناديد  
 قريش ورؤساء اليهود حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصير (كان الناس أمة واحدة) قائمة على الحق  
 ثم اختلفوا بسبب الحسد والتميز في طلب الدنيا فان الناس وهو آدم وأولاده من الذكور والاناث كانوا  
 أمة واحدة على الحق ثم اختلفوا بعد ذلك (فبعث الله النبيين مبشرين) بالجنة لمن آمن بالله (ومنذرين)  
 بالنار لمن لم يؤمن بالله (وأرسل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) أى ليحكم  
 الكتاب فى الحق الذى اختلف الناس فى ذلك الحق فالكتاب حاكم والمختلف فيه وهو الحق محكوم عليه  
 (وما اختلف فيه) أى الحق (الا الذين أوتوه) أى أعطوا الكتاب مع أن المقصود من انزال الكتاب  
 أن لا يختلفوا وان يرفعوا الممازعة فى الدين (من بعد ما جاءتهم البينات) أى الدلائل العقلية التى نصيها  
 الله تعالى على اثبات الاصول التى لا يمكن القول بالنبوة الا بعد نبوتها (بغيا بينهم) أى حسد منهم أى  
 أن الدلائل امامهم واما عقلية أما السمعية فقد حصلت بايتاء الكتاب وأما العقلية فقد حصلت بالبيانات  
 المتقدمة على ايتاء الكتاب فبعد ذلك لم يبق فى العدول عن الحق علة فلو حصل العدول لم يكن ذلك  
 لاجنب الحسد والحرص على طلب الدنيا (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) أى  
 فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف بعلمه وبارادته وبكرامته قال ابن زيد اختلفوا فى  
 القبلة فصلت اليهود الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق فهدانا الله للكمجة واختلفوا فى الصيام فهدانا  
 الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فقلنا انه  
 كان جنيفاسما واختلفوا فى عيسى فاليهود فرطوا حيث أنكروا نبوته ورسالته والنصارى فرطوا  
 حيث جعلوه الها وقلنا قولا عدلا وهو انه عبد الله ورسوله (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)  
 أى طريق حق لا يضل سالكه ويقال والله يثبت من يشاء على دين قائم برضيه (أم حسبتم أن تدخلوا  
 الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين  
 آمنوا معه متى نصر الله) قال ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر عليهم  
 لانهم خرجوا بالمال وتركوا ديارهم وأموالهم فى أيدي المشركين وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وقال قتادة والسدى نزلت فى غزوة الخندق  
 حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والحزن وقيل نزلت فى حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لهباب  
 محمد صلى الله عليه وسلم الى متى تقتلون أنفسكم وترجون الباطل ولو كان محمد نبيا لما سيطر الله عليكم الأسر  
 والقتل ومعنى الآية أطمئنتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان وتصدق رسول الله دون أن  
 تعبدوا الله بكل ما كلفكم به وابتلاكم بالصبر عليه ودون أن ينالكم أذى الكفار والفقر ومقاساة الأهوال  
 فى مجاهدة العدو كما كان كذلك من قبلكم من المؤمنين وهو المراد من قوله تعالى ولما يأتكم مثل الذين خلوا  
 من قبلكم أى والحال لم يأتكم شبه محنة المؤمنين الذين مضوا من قبلكم ثم بين الله ذلك الشبه مستهم  
 البأساء والضراء فالبأساء تضيق جهات الحسير والمنفعة والضراء تفتح جهات الشر والآفات والألم  
 ومعنى زلزلوا أى حركوا بأنواع البلايا والازيا ومعنى حتى يقول الرسول لان الرسل عليهم السلام يكونون  
 فى غاية الثبات والصبر وضبط النفس عند نزول البلاء فاذا لم يبق لهم صبر حتى فجعوا كان ذلك هو الغاية  
 القصوى فى الشدة فلما بلغت بهم الشدة الى هذه الدرجة العظيمة قيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهم  
 من الله أو من قوم منهم والاحسن أن يقال فالذين آمنوا قالوا متى نصر الله ثم رسلهم قال ألا ان نصر الله

قريب روى الكلبي عن ابن عباس أن الآية نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا هرا و هو الذي  
 قتل يوم أحد وعنده مال عظيم فقال ماذا تنفق من أموالنا رأين نضعها فنزلت هذه الآية (يسألونك  
 ماذا ينفقون) أي أي شيء مصرف المال (قل ما أنفقتم من خير) أي مال (فللوالدين والأقربين  
 واليتامى) أي المحتاجين منهم (والمساكين وابن السبيل) فلا تنفاق على الوالدين واجب عند عجزهما  
 عن الكسب والملك والالتفاق على الأقربين وهم الأولاد وأولاد الأولاد قد يلزم عند فقد الملك حينئذ  
 الواجب فيما ذكر قدر الكفاية وقد يكون على صلة الرحم والالتفاق على اليتامى والمساكين والممارين في  
 السبيل أما من جهة الزكاة أو من جهة صدقة التطوع فالمراد بهذه الآية من أحب التقرب إلى الله تعالى في  
 باب النفقة فالأولى له أن ينفقه في هذه الجهات فيقدم الأولى فالأولى في صدقة التطوع (وماتفعلا من خير)  
 أي من سائر وجوه البر والطاعة (فإن الله به عليم) أي فيجازيكم عليه ويوفي ثوابه (كتب عليكم القتال)  
 أي لمرض عليكم قتال الكفرة في أوقات النفي العام مع النبي صلى الله عليه وسلم (وهو كره لكم) أي  
 والحال أن القتال مكروه لكم طبعاً للشقة على النفس (وعسى أن تسكروا شيئاً) كالجهاد في سبيل الله  
 (وهو خير لكم) لما تصيبون الشهادة والغنيمة والأجر (وعسى أن تحبوا شيئاً) كالجلوس عن الجهاد  
 (وهو شر لكم) لأنكم لا تصيبون الشهادة ولا الغنيمة ولا الأجر (والله يعلم) أن الجهاد خير لكم فلذلك  
 يأمركم به (وأنتم لا تعلمون) لذلك تذكروا أنه أوال المعنى والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما  
 فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتنعوا بأمره تعالى نزلت تلك الآية في حق سعد بن أبي وقاص والمفسد ابن  
 الأسود أصحابهما (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) روى أكثر المفسرين عن ابن عباس أنه قال  
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمته قبل قتال بدر بشهرين  
 وبعد سبعة عشر شهراً من مجيئه المدينة في غمائية رهط وكتب له كتاباً وعهد ودفعه إليه وأمره أن  
 يفتح بعد منزلة من ويقرأه على أصحابه ويعمل بما فيه فإذا فيه أما بعد فسر على بركة الله تعالى عن أتبعك  
 حتى تنزل بطن نخل فترصد بها غير قریش لعلك أن تأتيهم منه بخير فقال عبد الله سمعنا وطاعة لأمره  
 فقال لأصحابه من أحب منكم الشهادة فليمنطق معي فاني ماض لأمره ومن أحب التخلف فليختلف  
 ففضى حتى بلغ بطن نخل بين مكة والطائف فرعليهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فلما رأوا  
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقوا رأس واحد منهم وأوهموه بذلك أنهم قوم عمار ثم أتى واقد بن  
 عبد الله الحنظلي وهو أحد من كان مع عبد الله بن جحش وروى عمرو بن الحضرمي فقتله وأسر واثنين  
 وساقوا العير بما فيه من تجارة الطائف حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت قریش  
 وقالوا قد استحل محمد الشهر الحرام شهر يأم في فيه الخائف في سفك فيه الدماء والمساكين أيضاً قد تعجبوا  
 من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم إني ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وقال عبد الله بن جحش يا رسول  
 الله أنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلاندرى أني رجب أصفناه أم في جمادى فوقف  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى فنزلت هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 الغنيمة وعلى هذا التقدير فالأظهر أن هذا السؤال إنما صدر عن المسلمين (قل) في جوابهم (قتال فيه)  
 أي الشهر الحرام وهو رجب (كبير) أي عظيم وزرأ وقد تم الكلام ههنا والوقف ههنا تام  
 (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج أهله منه) أي ولكن منع الناس  
 عن دين الله وطاعته وكفر بآله ومنع الناس عن مكة وأخرج أهله وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون



من مكة أعظم وزرا عند الله من قتل عمرو بن الحضرمي في رجب خطا مع أنه يجوز أن يكون ذلك القتل واقعا في جملة الآخرة (والفتنة) أي ما فعلوا الفتنة عن دين المسلمين تارة بإلقاء الشبهة في قلوبهم وتارة بالتعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار بن ياسر (أ كبر من القتل) أي أقطع من قتل عمرو بن الحضرمي روى أنه لما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن جحش إلى مؤمنى مكة أذا عبركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فغيروهم بالكفر وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام (ولا يرأون) أي أهل مكة الكفرة (يقاقلونكم) أيها المؤمنون (حتى يروكم عن دينكم) أي كي يروكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل (ان استطاعوا) وهذا استبعاد لاستطاعتهم وإشارة إلى نيات المسلمين في دينهم (ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) بأن لم يرجع إلى الإسلام (فاولئك) المصرون على الارتداد إلى حين الموت (حبطت أعمالهم) الحسنة التي عملوها في حالة الإسلام (في الدنيا والآخرة) محبوط الأعمال في الدنيا فهو انه يقتل عند الظفر به ويقاقل إلى أن يظفر به ولا يستحق من المؤمنين نصرا ولا نكاحا حسنا وتبين زوجه منه ولا يستحق الميراث من كل أحد وحبوط أعمالهم في الآخرة أن الردة تبطل استحقاقهم للثواب الذي استحقوه بأعمالهم السالفة أما لو رجع المرتد إلى الإسلام عادت إليه أعماله الصالحة مجردة عن الثواب فلا يكلف بإعادتها وهذا هو المعتمد في مذهب الشافعي (وأولئك أصحاب النار) أي ملازموها (هم فيها خالدون) أي مقيمون لا ينخرجون ولا يعوتون (وروى) أن عبد الله بن جحش قال يا رسول الله هب أنه لا عقاب علينا فيما فعلنا فهل نطمع منه أجر أو ثواب فتردت هذه الآية (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله (والذين هاجروا) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم من مكة إلى المدينة (وجاهدوا) أي بذلوا جهدهم في قتل العدو وقتل عمرو بن الحضرمي الكافر (في سبيل الله) أي لأعلاء دين الله (أولئك يرجون رحمة الله) أي يطمعون في ثواب الله أو ينالون جنة الله (والله غفور رحيم) فيحقق لهم درجاتهم إذا ما تواضعوا على الإيمان والعمل الصالح (يسألونك عن الخمر والميسر) أي عن تناولهما (قل فيهما) أي في تعاطيهما (إثم كبير) أي عظيم بعد التحريم لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشامة وقول الفحش وإتلاف الأموال ولأن الخمر مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا وقرأ حزمة والكسائي كثير بالشاء المثلثة (ومنافع للناس) قيل التحريم بالتجارة فيها وباللذة والفرح وتصفية اللون وحمل الخيل على الكرم وزوال الهم وهضم الطعام وتقوية البهائم وتشجيع الجبان في شرب الخمر وإصابة المال بلا كد في القمار أي المغالبة بأخذ المال في أنواع اللعب (وأثمهما) بعد التحريم (أ كبر من نفعهما) قبل التحريم وقرئ أقرب من نفعهما ما قال المفسرون نزلت في الخمر أربع آيات نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم ثم إن عمر ومعاذ وغيرهما من الصحابة منهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب وبعض الأنصار قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فإنها مذهبنا للعقل مسلبة للمال فنزل فيها قوله تعالى قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشر بهما قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشر بواو سكر وأقام بعضهم يصلي أماما فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون بحذف لا فنزلت لا تقر بواو الصلاة وأنتم سكارى فعلى من شر بهما إثم اجتمع قوم من الأنصار وفيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء للأنصار فصر به أنصاري يلقي بعير فشبهه شجبة موضحة فشيكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين

لنا في الحمر بما نأشافيها فنزل انما الحمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب (ويسألونك  
ماذا ينفقون) أي أي قدر ينفقونه نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن الجحوم سأل النبي صلى الله عليه وسلم  
ماذا انتصدق من أموالنا و قيل السائل معاذ بن جبل و ثعلبة وقال الرازي كان الناس لما رأوا الله ورسوله  
يحضن على الانفاق و يدلان على عظيم ثوابه سألو اعم مقدار ما كانوا به هل هو كل المال أو بعضه فأعلمهم  
الله تعالى أن العفو أي الفاضل عن الكفاية مقبول (قل العفو) أي ما بهل عما يكون فاضلا عن حاجة  
الانسان في نفسه و عياله و من تلزمه مؤنتهم (كذلك) أي كما بين الله لكم قدر المنفق و حكم الحمر و الميسر  
بأن فيهما منافع في الدنيا و مضار في الآخرة (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الأحكام الشرعية  
(لعلكم تتفكرون في الدنيا) أنها فانية (والآخرة) أنها باقية فإذا تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة علمتم  
أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا (ويسألونك عن اليتامى) كان أهل الجاهلية قد اعتادوا الاتفاغ  
بأموال اليتامى و ربما تزوجوا باليتيم طمعاً في مالها ثم إن الله تعالى أنزل قوله إن الذين يأكلون  
أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً و قوله ولا تقر بأمال اليتيم إلا بالتي هي أحسن فعند ذلك  
ترك القوم محالطة اليتامى و المقاربة من أموالهم و القيام بأمورهم فاختلت مصالح اليتامى و ساءت  
معيشتهم فنزل ذلك على الناس فقال عبد الله بن رواحة و قيل ثابت بن رفاعه الانصاري يا رسول الله  
مال كلنا منازل تسكنها الا يتام ولا كلنا يجود طعاما و شرابا يرد به مال اليتيم فهل يجوز مخالطة اليتامى  
بالطعام و الشراب و المسكن أم لا فنزلت هذه الآية (قل اصلاح لهم خير) أي قل يا أشرف الخلق  
اصلاح أموالهم من غير أخذ أجرة خير لكم من ترك مخالطتهم و أعظم أجرا لكم (وان تخالطوهم  
فاخوانكم) أي وان تخالطوهم بما لا يتضمن افساد أموالهم فذلك جائز لانهم اخوانكم في الدين (والله  
يعلم المفسد من المصلح) أي يعرف المفسد لا موالهم بالمخالطة من المصلح لها و قيل يعلم ضهار من أراد  
الافساد و الطمع في أموالهم بالنسكاح عن أراد الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لساكنكم ما يستند  
عليكم أو لضيق الأمر عليكم في مخالطتهم (إن الله عزيز) أي غالب على أمره قوي بالنعمة لمفسد  
مال اليتيم (حكيم) يحكم بما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على أساس طاعة البشر (ولا  
تسكحوا الشركات حتى يؤمن) أي ولا تتزوجوا الشركات بالله إلى أن يؤمن بالله بأن يقررن بالشهادة  
و يلتزموا أحكام الاسلام هذا مقصور على غير الكتابيات لما روى عن جابر بن عبد الله عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساء نادر وى عبد الرحمن بن عوف  
انه صلى الله عليه وسلم قال في حق المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب غيرنا لكي نساكنهم ولا آكل  
ذبايحهم و سبب نزول هذه الآية ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى  
مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سراف عند قدومه جاءته امرأة مشركة اسمها عناق فالتفت الحلاوة فقال  
و يحل أن الاسلام حال بيني وبينك فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ثم وعدا أن يأذن الرسول صلى  
الله عليه وسلم فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه ما جرى في أمر عناق و سأله هل يحل له  
التزوج بها أنزل الله تعالى هذه الآية (ولا مة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) أي لنسكاح أمة  
مؤمنة خير من نسكاح مشركة ولو أعجبتكم تلك المشركة بحسنها أو بمالها أو بجريتها أو بنسبها قال  
السدي نزلت هذه الآية في حق عبد الله بن رواحة كان له أمة فأعتقها و تزوج بها فقطع عن عليه ناس  
من المسلمين وقالوا أتسكن أمة و عرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله تعالى تلك الآية (ولا تسكنوا المشركين

حتى يؤمنوا) أى ولا تزوجوا الكفار ولو كانوا أهل كتاب المؤمنين حتى يؤمنوا (ولعبد مؤمن خير  
 من مشرك) أى تزوجكم لعبد مؤمن خير من تزوجكم لمشرك (ولو أعجبكم) ذلك المشرك لماله وجهاله  
 وقوته وحرية (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) أى إلى ما يؤدى إلى النار فإن  
 الزوجة مظنة المحبة وذلك يوجب الموافقة في الأغراض وربما يؤدى ذلك إلى انتقال الدين بسبب موافقة  
 المحبوب (والله يدعو إلى الجنة والمغفرة) ببيان هذه الأحكام من الإباحة والتحريم فإن من تسلسل بها  
 استحق الجنة والمغفرة (بأذنه) أى بتيسيره تعالى وتوفيقه للجهل الذى يستحق به الجنة والمغفرة وقرأ  
 الحسن والمغفرة بأذنه بالرفع أى والمغفرة حاصلة بتيسير الله تعالى (ويبين آياته) أى أمره ونهيه في  
 التزوج والتزويج (للناس لعلهم يتذكرون) قبح المنهى عنه وحسن المدعوا إليه (ويسألونك عن الحيض)  
 أى الحيض والسائل عن ذلك ثابت الدحاح الانصارى وقيل عباد بن بشر وأسيدين الحضير لان أهل  
 الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فحش ولم يساكنوها في بيت  
 كفعل اليهود والمجوس وأما النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض (قل) يا أشرف المخلوق (هو)  
 أى الحيض (أذى) أى قدر لرائحة المنكرة التى فيه واللون القاسد وللعدة القوية التى فيه كما قال صلى الله  
 عليه وسلم دم الحيض هو الاسود المحتم أى المحترق من شدة حرارته (فاعتزلوا النساء في الحيض) أى  
 في موضع الحيض (ولا تمربوهن) أى لا تجامعهن (حتى يطهرن) وهذا تأكيد لحكم الاعتزال  
 قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص ويعقوب الحضرمي حتى يطهرن بسكون الطاء وض  
 الهاء بمعنى حتى يزول عنهن الدم وقرأ شعبة وحزرة والكسائي بتشديد الطاء والهاء بمعنى يغتسلن (فاذا  
 طهرن) أى اغتسلن أو تيممن عند تعذر استعمال الماء (فأوهن من حيث أمركم الله) أى لجامعهن في  
 موضع أمركم الله به وهو القبل وقال الأصم والزجاج أى فأوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن  
 لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات بالنسك وفهم من هذا الشرط أنه يشترط بعد انقطاع الحيض  
 الاغتسال لانه قد صار المجموع غايته وذلك بمنزلة قولك لا تكلم فلانا حتى يدخل الدار فاذا طابت نفسه بعد  
 الدخول فكلمه فانه يجب أن يتعلق بإحسة كلامك بالامر من جميعا واتفق مالك والاوزاعي والثوري  
 والشافعي انه اذا انقطع حيض المرأة لا يحل للزوج مجامعتها الا بعد أن تغتسل من الحيض والمشهور عن  
 أبي حنيفة انها ان رأت الطهر دون عشرة أيام لم يقرها زوجها وان رآته لعشرة أيام جاز أن يقرها قبل  
 الاغتسال (ان الله يحب التوابين) بالنسبة على ماضى من الذنب والترك في الحاضر والعزم على أن  
 لا يفعل مثله في المستقبل (ويحب للمتطهرين) أى المتزهرين عن المعاصي من اتيان النساء في زمان  
 الحيض والاتيان في الادبار وقيل يجب المستنجين بالماء (نساؤكم حوث لكم) أى فزوج نسايتكم  
 من هذه الاولادكم (فأواحرثكم) أى ضرعتكم (أنى شئتم) أى من أى جهة شئتم أى فالمراد من  
 هذه الآية ان الرجل مخير بين أن يأتي زوجته من قبلتها في قبلها وبين أن يأتيها من دبرها في قبلها لان  
 سبب نزول هذه الآية ما روى ان اليهود قاوا من جامع امرأته في قبلها من دبرها كان ولها أحول محبلا  
 فوهوا أنفك في التوراة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود (وقدموا  
 لأنفسكم) من الاعمال الصالحة كالسمية عند الجماع وطلب الولد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال من قال بسم الله عند الجماع فأما ولد فله حسنة بعدد أنفاس ذلك الولد وعدد عقبه إلى يوم القيامة  
 فمن قدسوا ما يدخلكم من الثواب ولا تكونوا في قيد قضاء الشهوة (واتقوا الله) في أدبار النساء

ومجامعتهم في الحيض (واعلموا أنكم ملاقوه) أي الله بالبعث فتزیدوا ما تنتفعون به فانه تعالى يحجزكم  
 بأعمالكم (وبشر المؤمنين) خاصة بالشواب والكرامة (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبروا  
 وتتقوا وتصلحوا بين الناس) أي ولا تجعلوا ذكر الله مانعا بسبب إيمانكم من أن تبروا وتتقوا وتصلحوا  
 بين الناس قال ابن عباس أرجعوا إلى ما هو خير لكم وكفروا بيمينكم زلت هذه الآية في شأن عبد الله بن  
 وراحة فانه حلف بالله أن لا يجسن إلى اخته وختته أي زوج اخته بشير بن النعمان ولا يكلمهما سوا  
 يصلح بينهما فكان إذا قيل له في الصلح بقول قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي أن لا أبر في عيني (والله  
 سميع) بيمينكم بترك الاحسان (عليم) بنيائكم وبكفارة اليمين (لا يؤاخذكم الله باللغو في  
 أيمانكم) قال الشافعي رضي الله عنه إن اللغو قول العرب لا والله وبلى والله في الشراء والبيع وغير ذلك  
 من ما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد  
 الحرام ألف مرة لا تذكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وقال أبو حنيفة إن اللغو هو أن يحلف على شيء  
 يعتقد أنه كان ثم بان أنه لم يكن فالشافعي لا يوجب الكفارة في المسئلة الأولى ويوجبها في الثانية وأبو  
 حنيفة يحكم بالصد من ذلك (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أي قصده من الإيمان بمجد وربط به  
 لحنته فإذا حلف على شيء بالجسد في أنه كان حاصلا ثم ظهر أنه لم يحصل فقد قصد بذلك اليمين تصديق قول  
 نفسه وربط قلبه بذلك فلم يكن ذلك لغوا بل كان حاصلا يكسب القلب (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم  
 باللغو مع كونه ناشئا من عدم الاحتياط (حليم) حيث لم يجعل بالموأخذة على عین الجدة (للذين يؤلون من  
 نسائهم تربص أربعة أشهر) أي للذين يحلفون أن لا يجامعوها من مطلق أو مدة تزيد على أربعة أشهر  
 انتظار أربعة أشهر (فإن فآوا) أي رجعوا عن اليمين بالحنث بأن جامعا قبل أربعة أشهر (فإن الله  
 غفور) ليمينهم أن تابوا بفعل الكفارة (رحيم) حيث بين كفارتهم (وان عزموا الطلاق) أي ان  
 حققوا الطلاق وبروا بيمينهم (فإن الله سميع) ليمينهم (عليم) بعزمهم فليس لهم بعد التربص  
 إلا الفينة أو الطلاق فإن بر المولى بيمينه وترك مجامعة امرأته حتى تجاوز أربعة أشهر بانت منه امرأته  
 بتطبيق واحدة وان جامعا قبل ذلك فعليه كفارة اليمين كما قاله ابن عباس (والطلقت) أي ذوات  
 الأقراء من الحرث المدخول بهن (يتربصن بأنفسهن) في العدة (ثلاثة قروء) فلا تتوقف العدة على  
 ضرب قاض (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من الحمل والحيض معا وذلك لأن المرأة  
 لها أغراض كثيرة في كتمانها فإذا كتمت الحمل قصرت عدة عدها فتزوج بسرعة وربما كرهت  
 مراجعة الزوج وأحببت التزوج بزوج آخر وأحببت أن يلتمح ولدها بالزوج الثاني فلهذه الأغراض  
 تكتم الحمل وإذا كتمت الحيض فقد تحب تطويل عدها لكي يراجعها الزوج الأول وقد تحب تقصير  
 عدها لتبطل رجعيته ولا يتم لها ذلك إلا بكتمان بعض الحيض في بعض الاوقات (ان كن يؤمن بالله  
 واليوم الآخر) فلا يجزئن على ذلك الكتمان وهذا الشرط للتغليظ حتى لو لم يكن مؤمنات كان عليهن  
 العدة أيضا (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) أي أزواج المطلقات أحق رجعتهم في مدة ذلك  
 التربص (ان أرادوا) أي البعولة بالرجعة (اصلاحا) والسبب في هذه الآية أن في الجاهلية كانوا  
 يراجعون المطلقات ويريدون بذلك الاضرار بهن ليطلقوهن بعد الرجعة حتى تحتاج المرأة إلى ان تعتد  
 عدة حادثة فنهوا عن ذلك (ولهن) عليهن من الحقوق (مثل الذي) لهن (عليهن) من الحقوق  
 (بالمعروف) شرعا في حسن المعاشرة (والرجال عليهن درجة) أي فضيلة في الحق لان حقوقهم عليهن

في أنفسهن وحقوقهن عليهن في المهر والنفقة (والله عزير) يقدر على الانتقام عن مخالف أحكامه (حكيم) فيما حكم بين الزوجين (الطلاق من تان فامسالك بمعروف أو تسريح باحسان) أي ذلك الطلاق الذي حكمنا فيه بثبوت الرجعة للزوج هو أن وجد من تان فالواجب بعدها تان المرتين اما مسالك بمعروف أي رجعة بحسن عشرة ولطف معاملة لا على قصد اضرار أو تسريح أي ارسال بترك المراجعة حتى تنقضي العدة وتحصل البيونة باحسان أي بغير ذكر سوء بعد المفارقة وبأداء جميع حقوقها المالية وهذه الآية متناولة لجميع الاحوال لان الزوج بعد الطلقة الثانية اما أن يراجعها وهو المراد بقوله تعالى فامسالك بمعروف أو يتركها حتى تبين بانقضاء العدة وهو المراد بقوله تعالى أو تسريح باحسان أو يطلقها نالته وهو المراد بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد فكانت الآية مشتملة على بيان كل الاقسام ولو جعلنا التسريح مطلقا نالته لكان قوله تعالى فان طلقها طلقة رابعة فانه غير جائز وسبب نزول هذه الآية أن امرأة شكت الى عائشة رضي الله عنها بأن زوجها يطلقها ويراجعها كثيرا (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن شيئا) أي ومن جملة الاحسان انه اذا طلقها لا يأخذ منها شيئا من الذي أعطاها من المهر والثياب وسائر ما تفضل به عليها لانه استمتع بها في مقابلة ما أعطاها (الا أن يخاف أن لا يقيم حدود الله) أي أن لا يراعي ما واجب أحكام الزوجة وقرأ حرة يخاف بضم الياء (فان خفتم أن لا يقيم حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به) أي فلا حرج على الزوج في أخذ ما اقتدت الزوجة به نفسها من المال ليطلقها ولا عليها في إعطائها ياء بطيبة نفسها نزلت هذه الآية في شأن ثابت بن قيس بن شماس وفي شأن جميلة بنت عبد الله بن أبي شترت نفسها من زوجها عمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ثبت خذ منها ما أعطيتها واخل سبيلها ففعل فكان ذلك أول خلع في الاسلام وفي سنن أبي داود ان المرأة كانت حفصة بنت سهل الانصارية تنبيهه يجوز أن يكون أول الآية وهو قوله تعالى ولا يحل لكم أن تأخذوا خطاياهم بالازواج وآخرها وهو قوله تعالى فان خفتم خطاياهم باللائمة والحكام وذلك غير غريب في الفسار أن يجوز أن يكون الخطاب كله لللائمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالآخذ والاعطاء عند الترافع اليهم فكأنهم هم الآخذون والمؤتون ثم الخوف المذكور في هذه الآية يمكن حمله على الخوف المعروف وهو الاشفاق مما يكره وقوعه ويمكن حمله على الظن كما قرئ قراءة شاذة الا أن يظنوا بالخوف اما أن يكون من قبل المرأة فقط أو من قبل الزوج فقط أو من قبلهما معا أولا يحصل الخوف من قبل واحد منهما فان كان الخوف من قبل المرأة بأن تكون ناشرة مبغضة للزوج فيحل له أخذ المال منها وان كان من قبل الزوج فقط بأن يشر بها ويؤذيها حتى تلتزم الفداء فهذا المال حرام كما كان الخوف طاعلا من قبلهما معا فذلك المال حرام أيضا وان لم يحصل الخوف من قبل واحد منهما فقال أكثر المجتهدين ان هذا الخلع جائز والمال المأخوذ حلال وقال قوم انه حرام (تلك) أي ما تقدم ذكره من أحكام الطلاق والرجعة والخلع (حدود الله) أي أحكام الله بين المرأة والزوج (فلا تعدوها) أي فلا تتجاوزوا عنها (ومن يتعد حدود الله) أي ومن يتجاوز أحكام الله الى ما نهى الله عنه له (فأولئك هم الظالمون) أي الضارون لانفسهم بتعريضها لخطأ الله تعالى وعقابه (ان طلقها) بعد الطلقتين (فلا تحل له من بعد) أي من بعد التولية الثالثة (حتى تسلم زوجها غيره) أي المطلق مذهب جمهور المجتهدين ان المطلقة بالثلاث لا تحل لذلك الزوج الا بخمس شرائط تعتد منه وتعد للثاني ويوطؤها ثم يطلقها ثم تعتد منه وقال سعيد بن جبير وسعيد ابن المسيب تحل بمجرد العقد روى أن عمة بنت عبد الرحمن القرظي كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك

القرطبي فطلقها ثلاثاً فتر وجت بعبد الرحمن بن الزبير القرطبي بفتح الزاي وكسر الباء فأتمت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت كنت تحت رفاعة فطلقتني فبت طلاقاً فتر وجت بعبد الرحمن بن الزبير وانغمسه مثل هدية الثوب وانه أراد أن يطلقني قبل أن عسني فأرجع إلى ابن عمي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتردين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك والعسيلة مجاز عن قليل الجماع اذ يكفي قليل انتشار وفي قصة عبد الرحمن بن الزبير نزل قوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره والحكمة في التحليل الردع عن المسارعة إلى الطلاق والعود إلى المطلق ثلاثاً (وإن طلقها) أي طلق الزوج الثاني المطلقة ثلاثاً (فلا جناح عليهما) أي المرأة والزواج الأول (أن يتراجعا) بنكاح جديد ومهر (إن ظننا أن يقيما حدود الله) أي أحكام الله فيما بين المرأة والزوج (وتلك) أي الأحكام (حدود الله) أي فرائض الله (بيدنا القوم يعلمون) أنه من الله ويصدقون بذلك (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن ولم تنقض (فأمسكوهن بمعروف) أي فراجعوهن بغير ضرار بل بحسن الصلح والمعاشرة (أو مسكوهن بمعروف) أي أو خلوهن حتى ينقضن أجلهن بغير تطويل (ولا تمسكوهن ضراراً) أي لا تراجعوهن بسوء العشرة رتضييق النفقة (لتعتدوا) أي لتظلموهن بالاجاء إلى الافتداء ولتطيلوا عليهن العدة نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضائها عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارها حتى تبقى في العدة تسعة أشهر أو أكثر (ومن يفعل ذلك) أي الامساك المؤدى إلى الظلم (فقد ظلم نفسه) أي أضرب نفسه بتعريضها إلى عذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله) أي أمر الله ونهيه (هزوا) بأن تعرضوا عنها (واذ كروا نعمة الله عليكم) حيث هداكم إلى ما فيه سعادتكم الدينية والدينية أي فاشكروها واحفظوها (وما أنزل الله) (عليكم من الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة (يعظكم به) أي يأمركم وينهاكم بما أنزل عليكم (واتقوا الله) في أوامره كلها ولا تخالفوه في نواهيه (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وتذرون (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) والخطاب أmaal للزوج والمعنى حينئذ وإذا طلقتم النساء فأنقضت عدتهن فلا تمنعهن من أن ينكحن من يريدون أن يتزوجوهن فإن الأزواج قديعضلون مطلقاتهم أن يتزوجن ظلمات واما الاولياء فنسبة الطلاق اليهم باعتبار تسببهم فيه كما يقع كثيراً أن الولي يطلب من الزوج طلاقها والمعنى حينئذ وإذا اخلصتم النساء من أزواجهن بتطليقهن فأنقضت عدتهن فلا تمنعهن من أن ينكحن الرجال الذين كانوا أزواجهن روى أن معقل ابن يسار زوج أخته جميلة عبد الله بن عاصم فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها ثم لم يجاه يخطبها لنفسه ورضيت المرأة بذلك فقال لها معقل انه طلقك ثم تريد من مراجعته وجهي من وجهك حرام أن راجعته فأمر الله تعالى هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقل وتلا عليه هذه الآية فقال معقل رغم أنفي لا يمر بي اللهم رضيت وسلمت لامرأتي ثم أنسلخ أخته زوجها الاول عبد الله بن عاصم (إذا راضوا بينهم) أي بأن يرضى كل واحد منهما ما أزمه في هذا لعقد لصاحبه (بالمعروف) أي بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس (ذلك) أي تفضيل الأحكام (بوعظ به) أي بأمر به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لأنه المتعظ (ذلكم) أي العمل بالوعظ (أزكى لكم) أي أصح وأنفع لكم (وأطهر) للغلوب من العداوة والتهمة بسبب المحبة بينهما (والله يعلم) ما فيه صلاح أموركم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فدعوا رأيكم



(والوالدات) ولو مطلقات (برضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) من الأبوين  
وليس فيما دون ذلك حد وانما هو على مقدار صلاح المولود وما يعيش به (وعلى المولود له) أي على  
الأب (رزقهن) أي نفقتهن (وكسوتهن) لاجل الأرضاع اذا كن مطلقات من الأب طلاقاً بانثنا  
لعدم بقاء علة النكاح الموجبة لذلك فلو لم ترضعهم الوالدات لم يجب فإن كن زوجات أو رجعات فالرزق  
والكسوة لحق الزوجية ولهن أجرة الرضاع ان امتنعن منه وطلبن ما ذكر (بالمعروف) أي بغير  
امراف وتقتير (لا تكاف نفس) بالنفقة على الرضاع (الاوسعها) أي الا بقدر ما أعطاه الله من  
المال (لا تضار والدة بولدها) أي بأخذ ولدها منها بعد ما رضيت بما أعطى غيرها على الرضاع مع شدة  
محبتها له (ولا مولود له) أي لا يضار أب (بولده) بطرح الولد عليه بعدما عرف أمه ولا يقبل ثدى غيرها مع  
ان الأب لا يمنع عليها من الرزق والكسوة (وعلى الواث مثل ذلك) أي على الصبي نفسه الذي هو  
وارث أبيه المتوفى مثل ما على الأب من النفقة والكسوة فإنه ان كان له مال وجب أجر الرضاعة في ماله وان  
لم يكن له مال أجبرت أمه على الرضاعة ولا يجبر على نفقة الصبي الا الوالدان وهو قول مالك والشافعي وقيل  
المراد من الوارث الباقي من الأبوين أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعبنا بأسماعنا وأبصارنا  
واجعلهما الواث منا (فان أرادا) أي الوالدان (فصلاً) أي فطام الصبي عن اللبن قبل تمام  
الحولين (عن تراض) أي باتفاق (منهما) لامن أحدهما فقط (وتشاور) أي تدقيق النظر  
فيما يصلح الولد (فلا جناح عليهما) في ذلك وكما يجوز النقص عن الحولين عند اتفاق الأبوين عليه  
كذلك تجوز الزيادة عليهما باتفاقهما (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي ان أردتم ان تطلبوا  
مراضع لأولادكم (فلا جناح عليكم) في الاسترضاع (اذا سلمتم) الى المراضع (ما أتيتن) أي  
ما أتيتوهن اياه أي ما أردتم ايتاءه لهن من الأجرة وقرأ ابن كثير وحده ما أتيتن مقصورة الالف أي ما أتيتن  
به أي ما أردتم ايتائه (بالمعروف) أي بالموافقة وليس تسليم الأجرة شرطاً للصحة الا جارة بل لتكون  
المرضعة طيبة النفس راضية فيصير ذلك سبباً لصلاح حال الصبي والا احتياط في مصالحه (واتقوا الله) في  
الضرار والمخالفة (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (والذين يتوفون منكم ويذرون  
أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) أي والذين تقبض أزواجهم من رجالكم ويتربصون  
أزواجاً ينتظرن بعدهم بأنفسهن في العدة أربعة أشهر وعشرة أيام وهذه العدة سببها الوفاة عند  
الاكثرين لا العلم بالوفاة كما قال به بعضهم فلو انقضت المرأة أو أكثرها ثم بلغ المرأة خبر وفاة زوجها وجب  
أن تعتد بما انقضى والدليل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها انقضاء هذه المدة  
(فاذا بلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت في تركهن (فيما فعلن  
في أنفسهن) من التزين وغيره من كل ما حرم عليهن في زمن العدة لاجل وجوب الاحداد عليهن  
(بالمعروف) أي بما يحسن عقلاً وشرعاً وقيل المخاطب بهذا الخطاب جميع المسلمين وذلك لانهن ان  
تزوجن في مدة العدة وجب على كل واحد منعهن عن ذلك ان قدر على المنع فان عجز وجب عليه أن  
يستعين بالسلطان (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير) فيجازيكم عليه (ولا جناح عليكم  
فيما عرضتم به من خطبة النساء أو كنتم في أنفسكم) أي ولا حرج عليكم فيما طلبتم النكاح من  
النساء المعتدات الوفاة والطلاق الثلاث بطريق التعريض وهو ذكر كلام محتمل مؤكدة بدلالة الحال  
على المقصود كأن يقول ان جمع الله بيننا بالحلال يعجبني ذلك أو فيما أضرتم في قلوبكم من قصد نكاحهن

(علم الله أنكم ستزدكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا) أي اغاأباح لكم التعريض لعلمه بأنكم لا تصبرون على السكوت عنهن لأن شهوة النفس إذا حصلت في باب النكاح لا يكاد تخلو ذلك المشتبه من العزم والتمني وبأنه لا بد من كونكم ستزدكروهن بالخطبة فإذا كروهن ولكن لا تواعدون بذكر الجماع وهو كما قال ابن عباس بأن لا يصف الخاطب نفسه لها بكثرة الجماع كأن يقول لها آتيك الأربعة والخمسة إلا أن تسارروهن بالقول غير المنكر شرعا كأن يعدها الخاطب في السر بالاحسان إليها والاهتمام بشأنها والتكفل بعصا لها حتى يصبر ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكدا لذلك التعريض (ولا تعزموا) أي لا تحققوا (عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها وصارت منقضية (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما نيتهم عنه (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم على ذلك (واعلموا أن الله غفور) لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة عن ذنوبكم (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوهن فريضة) وقرأ حمزة والكسائي عماسوهن بضم التاء وبالألف بعد الميم أي لا تقل عليكم بلزوم المهر إن طلقتم النساء ما لم يتجامعهن أو ما لم تبينا والون مهر افلاتعطوهن المهر (ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) أي اعطوهن متعة الطلاق جبرا لا يحاش الطلاق على الفنى قدر ماله وامكانه وعلى ضيق الرزق قدر ماله وطاقته تمتعها بالوجه الذي تستحسنه النريضة والمروءة واجبا على المؤمنين الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى طاعة الله تعالى لأن المتعة بدل المهر زلت هذه الآية في شأن رجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل أن يسها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمتعها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك (وان طلقوهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعهن (وقد فرضتم لهن فريضة) أي وقد بينتم مهورهن (فنصف ما فرضتم) أي فنصف ما بينتم ساقط (الا أن يعفون) أي إلا أن تسهل الزوجات بأبراء حقها فيسقط كل المهر (أو يعفو الذي بيده عقد النكاح) أي أو يسهل الزوج بيع كل الصداق فيثبت السكك إليها (وأن تعفوا أقرب للتقوى) أي عفوبعضكم أيما الرجال والنساء أقرب للآفة وطيب النفس من عدم العفو الذي فيه التنصيف (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي ولا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض بأن يسم الزوج المهر إليها بالكافية أو تترك المرأة المهر بالكافية (ان الله يعلمون) من الفضل والاحسان (بصير) لا يضيع فضلكم واحسانكم بل يجازيكم عليه (حافظوا على الصلوات) الخمس بأدائها في أوقاتها كاملة الأركان والشروط وهذه المحافظة تكون بين العبد والرب كأنه قيل له احفظ الصلاة ليحفظك الاله الذي أمرك بالصلاة وتكون بين المصلي والصلاة فكأنه قيل احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة (والصلاة الوسطى) أي الفضلى قيل هي صلاة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وجابر وأبي أمامة الباهلي وهم من الصحابة وطاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهم من التابعين وهو مذهب الشافعي فإن أولها يقع في الظلام فأشبهت صلاة الليل وآخرها يقع في الضوء فأشبهت صلاة النهار ولأنها مفردة في وقت واحد لا تجمع بين غيرها ولأنها مشهودة لأنها تؤدي بحضرة ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل هي صلاة العصر وهو مروي عن علي وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة فإنها متوسطة بين صلاة شفع وصلاة وتر ولأن وقت صلاة العصر أخفى الاوقات فلا يظهر دخول وقتها إلا بنظر دقيق وتأمل عظيم في حال الظل فلما كانت معرفته أشق كانت الفضيلة فيها أكثر وقال بعض الفقهاء العصر وسط ولكن ليس هي

المذكورة في القرآن فهنا صلاتان وسطيان الصبح والعصر أحدهما ثبت بالقرآن والآخرة بالسنة كما  
 أن الحرم حرمان حرم مكة بالقرآن وحرم المدينة بالسنة واختار جمع من العلماء أنه إحدى الصلوات  
 الخمس لا بعينها فأيها الله تعالى تحريضا للعباد في المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر  
 رمضان وأخفى ساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الأعظم في جميع الأسماء ليحفظوا على  
 جميعها وأخفى وقت الموت في الأوقات ليكون المكلف خائفا من الموت في كل الأوقات فيكون آتيا  
 بالتوبة في كل الأوقات (وقوموا لله) في الصلاة (قانتين) أي ذاكرين داعين مواطنين على خدمة الله  
 تعالى (فان خفتهم فرجالا أو ركبانا) أي فان خفتهم من عدو وغيره فصلوا ماشاة على أرجلكم بالأيام  
 في الركوع والسجود أو راكبين على الدواب حيثما توجهتم والخوف الذي يفيد هذه الرخصة إما أن يكون  
 في القتال أو في غير القتال فالخوف في القتال إما أن يكون في قتال واجب أو مباح فالقتال الواجب هو  
 كالقتال مع الكفار وهو الأصل في صلاة الخوف ولتحقق به قتال أهل البغي وكذا إذا قصد الكافر نفسه  
 فإنه يجب الدفع عنه لئلا يكون خلا لا بحق الإسلام وقد جوز الشافعي أداء الصلاة حال المسابقة والقتال  
 المباح هو أن يدفع الإنسان عن نفسه وعن كل حيوان محترم فيجوز في ذلك هذه الصلاة أما إذا قصد  
 إنسان بأخذ المال فالأصح أنه تجوز هذه الصلاة لأنه صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد  
 فالدفع عن المال كالدفع عن النفس وقيل لا تجوز لأن حرمة الروح أعظم والخوف الحاصل في غير القتال  
 كالحرب من الحرق والغرق والسبب والمطالب بالدين إذا كان معسرا خائفا من الحبس عاجزا عن بينة  
 الإحساس فله أن يصلوا هذه الصلاة (فإذا أمنتهم) بزوال الخوف الذي هو سبب الرخصة (فادكروا  
 الله) أي فافعلوا الصلاة (كما علمكم) بقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله  
 قانتين لأن سبب الرخصة إذا زال عاد الوجوب فيه والصلاة قد تسمى ذكرًا كما في قوله تعالى فاسعوا  
 للذكر الله (ما لم تكونوا تعلمون) قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فاسمعوا له فاعلموا أن جعلت ما الأولى  
 مصدرية أما أن جعلت موصولة فما هذا بدل من الأولى أو من العائد المحذوف (والذين يتوفون منكم  
 ويذرون أزواجا صبية لازواجهم متاعا إلى الحول غير أخرج) أي والذين يقربون من الوفاة من  
 رجالكم ويتركون أزواجا عليهم أن يوصوا وصية لزوجاتهم في أموالهم بثلاثة أشياء النفقة والكسوة  
 والسكنى إلى تمام الحول من موتهم غير مخرجات من مسكنهن وقرأ ابن كثير وناقم والسكنى  
 وأبو بكر عن عاصم وصية بالرفع أي عليهم وصية أو المعنى والذين يقبضون من رجالكم ويتركون  
 أزواجا بعد الموت وصية من الله لأزواجهم فوصية مبتدأ ولازواجهم خبر أي أمره وتكليفه لمن  
 (فان خرجن) عن منزل الأزواج باختيارهن قبل الحول (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت  
 (في ما فعلن في أنفسهن من معروف) أي غير منكر في الشرع أي فلا جناح على ورثة الميت  
 في قطع النفقة والكسوة عنهن إذا خرجن من بيت زوجهن بما فعلن في أنفسهن من معروف من  
 التزين ومن الإقدام على النكاح أو المعنى لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها  
 حول في بيت زوجها ليس بواجب عليها في الذي فعلن في أنفسهن من معروف من تزين وتشوق للتزويج  
 (والله عزيز) أي غالب على أمره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعي في أحكامه مصالح عباده واحتبار  
 جمهور المفسرين أن هذه الآية منسوخة قالوا كان الحكم في ابتداء الإسلام أنه إذا مات الرجل لم يكن  
 لامرأته من ميراثه شيء إلا النفقة والسكنى سنة ولكنها كانت مخيرة بين أن تعتد في بيت الزوج وأن تخرج

منه قبل الحول لكن متى خرجت سقطت نفقتها فهذه الوصية صارت مفسرة بالنفقة والكسوة والسكنى الى الحول فثبت ان هذه الآية توجب أمرين النفقة والسكنى من مال الزوج سنة والاعتداد سنة لان وجوب السكنى والنفقة من مال الميت سنة توجب المنع من التزوج بزوجة أخرى في هذه السنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين وقد دل القرآن على ثبوت الميراث لمبايعين الربع أو الثمن ودلت السنة على انه لا وصية لو ارت فصار مجموع القرآن والسنة ناسخا للوصية للزوجة بالنفقة والسكنى في الحول ووجوب العدة في الحول منسوخ بقوله تعالى يتر بصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا (وللطلقات متاع) أى متعة (بالمعروف) أى بقدر حال الزوجين وما يليق بهما (حقا على المتقين) قال الشافعى رحمه الله لكل مطلقة متعة الا المطلقة التى فرض لها مهر ولم يوجد فى حقها الميسر روى أنه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن الى قوله تعالى حقاً على المحسنين قال رجل من المسلمين ان أردت فعلت وان لم أرد لم افعل فقال تعالى وللطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين أى على كل من كان متقياً عن الكفر (كذلك) أى مثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) هذا وعد من الله تعالى بأنه سيبين لعباده من الاحكام ما يحتاجون اليه معاشاً ومعاداً (لعلكم تتقون) أى لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ثم ذكر خبر غزاة بني اسرائيل فقال (ألم تر الى الذى خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) أى ألم يصل علمك الى الذين خرجوا من منازلهم لم يقتل عدوهم وهم ثمانية آلاف أو أربعة آلاف أو أربعون ألفاً كل ذلك عن ابن عباس على اختلاف الرواة فجئنا عن القتال مخافة القتل فأما تم الله مكانهم ثم أحياهم بعد ثمانية أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكاً من ملوك بني اسرائيل أمره عسكره بالقتال فخافوا القتال وقالوا الملكهم ان الارض انتى نذهب اليها فيها الوباء فخن لانذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فأما تم الله تعالى بأسرهم وبقوا ثمانية أيام حتى انتنخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخر جواد دفنهم فجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم حظائر فأحياهم الله بعد الثمانية وبقى فيهم شئ من ذلك الثمن وبقى ذلك فى أولادهم الى هذا اليوم (ان الله لذو فضل على الناس) أى على أولئك القوم بسبب انه أحياهم ومكانهم من التوبة وعلى العرب الذين أنكروا المعاد الذين عسكروا بقول اليهودى كثير من الامور فيرجعون من الانكار الى الاقرار بالبعث بسبب اخبار اليهود لهم بهذه الواقعة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضله تعالى كما ينبغى أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره وهذه القصة تدل على أن الحذر من الموت لا يفيد فهذه القصة تشجع الانسان على الاقدام على طاعة الله تعالى كيف كان وتزيل عن قلبه الخوف من الموت فكان ذكر هذه القصة فضلاً واحساناً من الله تعالى على عبده لان ذكر هذه القصة سبب لبعد العبد عن المعصية وقربه من الطاعة ثم قال الله لهم بعدما أحياهم (وقاتلوا فى سبيل الله) أى فى طاعة الله مع عدوك ومحميت العبادات سبيلاً الى الله تعالى من حيث ان الانسان يسلكها ويتوصل الى الله بها ومعلوم أن الجهاد تقوية للدين فكان طاعة فلاشك أن المجاهد مقاتل فى سبيل الله (واعلموا أن الله مهيمن) لكلامكم فى ترغيب الغير فى الجهاد وفى تنفير الغير عنه (عليم) بما فى صدوركم من البواعث والاغراض وان ذلك الجهاد لغرض الدين أو لغرض الدنيا (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) قرأ أبو عمرو ونافع وحزرة والكسائى فيضاعفه بالآلاف والرفع وقرأ عاصم فيضاعفه بالآلاف والنصب وقرأ ابن كثير فيضاعفه بالتشديد والرفع بلا ألف وقرأ ابن عامر فيضاعفه بالتشديد والنصب والمعنى من ذا الذى يعامل الله

بأنفاق ما في طاعته سواء كان الانفاق واجبا أو متطوعا به معاملة جامعة للحلال الذي لا يختلط بالحرام  
والقavص للخالص من المن والاذى ولنية التقرب الى الله تعالى لا لىاه رمة فيضا عاف الله جزاءه له في  
الدينا والآخرة أضعا فاكثيرة لا يعلمها الا الله تعالى وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يكن  
عنده ما يتصدق به فليعلن اليهود فانه له صدقة ويرى أنه لما نزلت هذه الآية قالت اليهود ان الله فقير  
ونحن أغنياء فهو يطلب منا القرض (والله يقبض ويبسط) أى يقبض الرزق عن من يشاء ولو أمسكه عن  
الانفاق ويبسطه على من يشاء ولو أنفق منه كثيرا أو المعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدم على  
هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يتقدم على هذه الطاعة (واليه ترجعون) فلما مدبر ولاها كم سواء قال  
ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن أبي الدحداح رجل من الانصار قال يارسول الله انلى حد يقتسين فان  
تصدقت باحداهما فقل لى مثلاها في الجنة قال نعم قال وأم الدحداح معى قال نعم قال والصبيبة معى قال نعم  
فتصدق بأفضل حد يقتيه وكانت تسمى الجنيمية فرجع أبو الدحداح الى أهله وكانوا فى الحديقة  
التي تصدق بها فقال على باب الحديقة وذكر ذلك لامرأته فقالت أم الدحداح بارك الله لك فى ما اشترى  
نخرجوا منها وسلموا فإفكان صلى الله عليه وسلم يقول لكم من نخلة رداح تدلى عروقه فى الجنة لا بى  
الدحداح (ألم ترالى الملامن بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا للنبي لهم ابعث لنا ملكا) أى المخبى  
يا أشرف الخلق عن قصة الرؤساء من بنى اسرائيل من بعد وفاة موسى حين قالوا للنبيهم شعويل كما قاله  
وهب بن منبه أو سمعون أو يوشع بن نون كما قاله قتادة أو حزقيل كما حكاه الكرماني أو اسمعويل بن حلفا  
وامم أمه حسنة كما قاله مجاهد وسبب سؤال بنى اسرائيل نبيهم ذلك أنه لما مات موسى وعظمت  
الخطايا سلط الله عليهم قوم حاولت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وغلبوا على  
كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذرارهم وأسر وامن أبناء ملوكهم أربع مائة وأربعين غلاما وضربوا  
عليهم الجزية وأخذوا قوراتهم ولم يكن لهم حينئذ نبي يدير أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق  
منهم الا امرأة حبلى فحسوها فى بيت فولدت غلاما فلما كبر كفه شيخ من علمائهم فى بيت المقدس فلما  
بلغ الغلام آناه جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعث فيهم نبيا فلما أتاهم  
كذبوه وقالوا استهملت بالنبوة فان كنت صادقافين لنا ملك الجيش (نقاتل) بأمره مع عدونا  
(فى سبيل الله) أى فى طاعة الله وانما كان صلاح أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وبطاعة  
الملوك أنبياءهم فكان الملك هو الذى يسير بالجوع والنبي هو الذى يقيم أمره ويشير عليه برشده  
(قال هبل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) أى قال نبيهم هل قاربتم أن لا تقاتلوا عدوكم  
ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك (قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا  
وأبنائنا) أى أى شئ ثبت لنا فى ترك القتال الذى فى طاعة الله والحال انه قد أبعد بعضنا من  
المنازل والاولاد والقائون لنبيهم بما ذكر كانوا فى ديارهم فسأل الله تعالى ذلك النبي فأوجب عليهم  
القتال وعينه لهم ملكا ليقاتل بهم (فلما كتب) أى أوجب (عليهم القتال تولوا) أى أعرضوا عن  
قتال عدوهم لما شاهدوا كثرة العدو وشوكتهم (الا قليلا منهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل  
بدر (والله عليم بالظالمين) أى هو عالم عن ظلم نفسه حين خالف دبه ولم يف بما قيل من ربه (وقال لهم  
نبيهم ان افقة دبعث لكم) أى لاجل سؤالكم (طالوت ملكا) أى لما سأل الله تعالى أن يبين  
نبيهم ملكا أرسل الله له عصا وقرنا فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبك الذى يكون ملكا هو من يكون

طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فانتشر الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسمه طالوت فدخل عليه رجل فانتشر الدهن في القرن فقام شمويل فقاسه بالعصا فكان على طولها وقال له قرب رأسك فقربه فدهنه النبي بدهن القدس وقال له أنت ملك بني اسرائيل الذي أمرني الله أن أملكك عليهم ثم فقال طالوت أما علمت أن سبطي أدنى من سبط ملوك بني اسرائيل قال بلى فقال شمويل الله يوثق ملكه من يشاء كما قال الله تعالى (قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أى قالوا من أين يكون له الملك علينا والخال نحن أولى بالملك منه وليس له سعة المال لينفق على الجيش وانما قالوا ذلك لأنه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبط ونبط ملكة فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهرون عليهم ما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلما قال لهم نبيهم ذلك أنكروا وقالوا هو دباغ أو راع أو سقاء يستقى الماء على حماره وانما نزع الملك والنبوة منهم لانهم عملوا ذنبا عظيما كانوا ينسكبون النساء على ظهر الطريق جهارا فغضب الله عليهم فنزع ذلك منهم وكانوا يسمون سبط الاثم (قال) أى نبيهم (ان الله اصطفاه) أى اختاره بالملك (عليكم وزاده بسطة) أى سعة (في العلم) أى علم الحرب وعلم الديانات حتى قيل انه نبي أوحى اليه (والجسم) بالقوة على مبارزة العدو وبالجمل وبطول القامة فانه أطول من غيره برأسه ومنكبيه فكان أعلم بني اسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا (والله يوثق ملكه من يشاء) في الدنيا (والله واسم) بالعطية (عالم) بمن يليق بالملك (وقال لهم نبيهم) لما قالوا ليس ملكه من الله بل أنت ملكته علينا (ان آية ملكه) أى ان علامة صحة ملكه من الله (أن يأتيكم التابوت) أى الصندوق الذي أخذ منكم وهو صندوق التوراة وكانوا يعرفونه وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام ليعظه على بني اسرائيل لما عصوا وفسدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت أن يأتيكم التابوت من السماء الى الارض والملائكة يحفظونه فأتاهم والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت (فيه سكينه من ربكم) أى كان في التابوت بشارات من كتب الله تعالى انزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بأن الله ينصر طالوت وجنوده ويزيل عنهم الخوف من العدو (وبقية عما ترك آل موسى وآل هرون) وهى رضاى الألواح وعصا موسى وثيابه ونعلاه وشئ من التوراة ووراء هرون وعمامته (تحمله الملائكة) أى تسوقه الملائكة اليكم (ان فى ذلك) أى فى رد التابوت اليكم (آية لكم) أى علامة لكم دالة على ان ملكه من الله (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بتخليكه عليكم أو المعنى ان فى هذه الآية من نقل القصة مجزة باهرة دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بهذه التفاصيل من غير سماع من البشر ان كنتم يؤمنون بدلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة والرسالة فلما رد اليهم التابوت قبلوا وخرجوا معه وهم ثمانون ألفا من الشبان الفارغين من جميع الانشغال (فلما فصل طالوت) أى خرج من بيت المقدس (بالجنود) أى بالجيش التى اختارها وكان الوقت قيظا ووسلك بهم فى أرض قفرة فأصابهم حر وعطش شديد فطلبوا منه الماء (قال ان الله مبتليكم بنهر) أى يختبركم بنهر جارليظهم منكم المطيع والعاصى وهو بين الاردن وفلسطين أى والقصود من هذا الابتلاء أن يميز الصديق عن الزنديق ولما وافق عن المخالف (فمن شرب منه) أى



من ماء النهر (فليس مني) أي من أتباعي المؤمنين فلا يكون مأذونا في هذا القتل (ومن لم يطعمه) أي من لم يذقه (فانه مني الامن اغترف غرفة بيده) فانه مني ويكون أهلا لهذا القتال قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وغرفة بفتح الغين وكذلك يعقوب وخلف وقرأ عاصم وابن عامر وحزرة والكسائي بالضم فالغرفة بالهم الشئ القليل الذي يحصل في الكف والغرفة بالفتح الفعل وهو الاغتراف مرة واحدة فكانت تكفيهم هذه الغرفة لشربهم ودوابهم وحملهم (فشربوا منه) أي فلما وصلوا إلى النهر وقفوا فيه وشربوا منه بالكرم كيف شاءوا (الاقليلا منهم) ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا فلم يشربوا الا قليلا وهو الغرفة روى أن من اغترف غرفة كما أمر الله قوى قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه ردوا به وخدمه وحمله مع نفسه اما لانه كان مأذونا في أخذ ذلك المقدار واما لان الله تعالى يجعل البركة في ذلك الماء حتى يكفي لكل هؤلاء وذلك بحجة تنبي ذلك الزمان وأما الذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى فقد اسودت شفاههم وغلبيهم العطش فلم يروا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو (فلما جاوزه) أي النهر (هو) أي طالوت (والذين آمنوا معه) وهم أولئك القليل (قالوا) أي بعض من معه من المؤمنين لبعض (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي بجاربتهم وكانوا مائة ألف رجل شاكي السلاح (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) أي ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي كم من جماعة قليلة من المؤمنين غلبت جماعة كثيرة من الكافرين بنصر الله (والله مع الصابرين) أي معين الصابرين في الحرب بالنصرة يحتمل أن يقال المؤمنين الذين عبروا النهر كانوا فريقين بعضهم ممن يحب الحياة ويكره الموت فيخاف ويجزع ومنهم من كان شجاعا قوى القلب لا يبالي بالموت في طاعة الله تعالى فالاول هم الذين قالوا لا طاقة لنا اليوم والثاني هم الذين أجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ويحتمل أن يقال القسم الاول من المؤمنين لما شاهدوا قلة عسكرهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجارت وجنوده فلا بد أن نوطن على القتل لانه لا سبيل إلى الفرار من أمر الله والقسم الثاني قالوا لا نوطن أنفسنا بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الفريق الثاني الترغيب في طلب الفتح والنصرة (ولما برزوا) أي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصافوا (الجالوت) اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشام (وجنوده قالوا) جميعا متضرعين إلى الله تعالى مستعينين به تعالى (ربنا أفرغ علينا صبرا) على مشاهدة المخاوف والامور الهائلة (وذهب أقدامنا) في مدا حض القتال بكل القوة عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة (وانصرنا على القوم الكافرين) بقتلهم وهزمهم (فهزموهم باذن الله) أي كسروهم بنصرة الله اجابة لدعائهم (وقتل داود جالوت) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام كان راعيا وله سبعة اخوة مع طالوت فلما أبطأ خبر اخوته على أيهم أيسر أرسل ابنه داود اليهم ليأتيهم بخبرهم فأتاهم وهم في المصاف وبادر جالوت الجبار وهو من قوم عاد إلى البراز فلم يخرج إليه أحد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق لبارزني بعضكم فقال داود لا خوته أمم فيكم من يخرج إلى هذا الا قلق فسكتوا فذهب إلى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فبربه طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون عن يقتل هذا الا قلق فقال طالوت أذلحجه ابنتي وأعطيه نصف ملكي فقال داود فأتنا خارج اليه وكان عادته أن يقاتل بالعلاج الذئب والاسد في الرعي وكان طالوت حارفا بجلا دته فلما هم داود بأن يخرج إلى جالوت مر بثلاثة أحجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا مائة

جالوت فلم يخرج الى جالوت الكافر رماه فأصابه في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده ثلاثين رجلا فهزم الله تعالى جنود جالوت وخر جالوت قتيلا فأخذه داود ويجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل وانصرفوا الى البلاد سالمين غانمين فلما داود الى طالوت وقال انجزني ما وعدتني فزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك كما وعدته فكث معه كذلك أربعين سنة فمات طالوت وأتى بنو اسرائيل بدارد وأعطوه خزان طالوت واستقل داود بالملك سبع سنين ثم انتقل الى رحمة الله تعالى كما قال تعالى (وأتاه الله الملك) أي الكامل سبع سنين بعد موت طالوت أي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها (والحكمة) أي النبوة بعد موت شمويل وكان موته قبل موت طالوت ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة لاحد قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر ومع ذلك جمع الله تعالى له ولابنه سليمان بين الملك والنبوة (وعلمهما يشاء) كصناعة الدروع من الحديد وكان يلين في يده وينسجه وفهم كلام الطير والنمل وكيفية القضاء وما يتعلق بمصالح الدنيا ومعرفة الالحان الطيبة ولم يعط الله تعالى احدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير ويركد الماء والجاري ويسكن الريح (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) بأهلها قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا المساجد والبلاد وقيل المعنى ولولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والعجّار لفسدت الارض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمومنين عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليندفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) (ولكن الله ذو فضل على العالمين) كافة بسبب ذلك الدفع (تلك) أي القصص بأخبار الامم الماضية (آيات الله) المنزلة من عنده تعالى (تتلوها عليك) أي بواسطة جبريل (بالحق) أي ملتبسة باليقين الذي لا يشك فيه أحد من أهل الكتاب لما يجدونها موافقة لما في كتبهم (وانك لمن المرسلين) الى الجن والانس كافة بشهادة اخبارك عن الامم الماضية من غير مطالعة كتاب ولا اجتماع على أحد بخبرك بذلك (تلك الرسل) أي جماعة الرسل (فضلنا بعضهم على بعض) في مراتب الكمال بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) بلا واسطة وهو موسى حيث كلمه ليلة الحيرة وهي تحيره في معرفة طريقه من مسيره من مدين الى مصر وفي الطور ومحمد حيث كلمه ليلة المعراج (ورفع بعضهم درجات) أي فضائل وهو ابراهيم لانه تعالى اتخذ خليا ولا يؤتأ حسدا مثله هذه الفضيلة وادريس فانه تعالى رفعه مكانا عليا وادفنه تعالى بجمع له الملك والنبوة ولم يحصل هذا لغيره وسليمان فانه تعالى سخر له الانس والجن والطير والريح ولم يكن هذا احدا صلا لابي داود عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى خصه بأنه مبعوث الى الجن والانس وبأن شرعه نافع لكل الشرائع (وآتيناه عيسى بن مريم البينات) أي انجائهم من احياء الموتى وبراء الاكهم والابرص والاخبار بالغيبيات (وأيدناه بروح القدس) أي أعناه بجبريل في أول أمره وفي وسطه وفي آخره وهو نفخ جبريل في عيسى وتعليمه العلوم وحفظه من الاعداء واعانته ورفعته الى السماء حين أرادت اليهود قتله (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد جاءتهم البينات) أي الذين جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (ولكن اختلفوا) في الدين (فهم من آمن) بما جاء به أولئك الرسل من كل كتاب وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك فان اختلفا فهم في الدين يدعوهم الى المقاتلة (ولو شاء الله ما اقتتلوا) وهذا

التكرير ليس للتأكيد بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئة تعالى اعدم اقتتلاهم بل الله تعالى مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا (وايكن الله يفعل ما يريد) فيوفق من يشاء ويخذل من يشاء لا اعتراض عليه في فعله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) أي تصدقوا بشئ مما أعطيناكم من الاموال في طاعة الله (من قبل أن ياتي يوم لا بيع) أي فداء (فيه ولا خلة) أي مودة (ولا شفاعة) للكافرين وقرأ ابن كثير و أبو عمرو بالغتخ في بيع وخلة وشفاعة والباقون جميعا بالرغم (والكافرون هم الظالمون) حيث تركوا تقديم الخبرات ليوم حاجتهم وأنتم أيها الحاضرون لا تفتدوا بهم ولكن قدموا لانفسكم ما تجعلونه يوم القيامة فدية لانفسكم من عذاب الله تعالى وقيل المعنى والتاركون الزكاة هم الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب (الله لا اله) أي لا معبود بحق موجود (الا هو الحي) أي الباقي الذي لا يسهيل عليه الموت والغناء (القيوم) أي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه في الاجاد والارزاق (لا تأخذه سنة) أي نعاس (ولا نوم) ثقيل فيشغله عن تدبيره وأمره أي لا يأخذه نعاس فضلا عن أن يأخذه نوم (له ما في السموات وما في الارض) وهذا رد على المشركين العابدين لبعض الكواكب التي في السماء وللانصنام التي في الارض أي فلا تصلح أن تكون معبودة لأنها مخلوقة لله مخلوقه له (من ذا الذي يشفع عنده الا بذنه) أي لا يشفع عنده أحد من أهل السموات والارض يوم القيامة الا بغيره وهذا رد على المشركين حيث زعموا ان الانصنام تشفع لهم فانه تعالى لا يأذن في الشفاعة لغير المطيعين (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي يعلم ما قبلهم وما بعدهم أو ما فعلوه من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك (ولا يحيطون بشئ من علمه) أي بقليل من معلوماته (الاعباش) أن يعلمه أي ان أحد الا يحيط بمعلومات الله تعالى الاماشاء هو أن يعلمهم أو المعنى انهم لا يعلمون الغيب الا عند اطلاع الله ببعض أنبيائه على بعض الغيب (وسع كرسيه السموات والارض) قال كرسى جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة وهو أوسع من السموات والارض (ولا يؤوده حفظهما) أي لا يشغل عليه تعالى حفظ السموات والارض بغير الملائكة (وهو العلي) أي المتعالى بذاته عن الاشياء والانتظار (العظيم) أي الذي يستحق كل ما سواه بالنسبة اليه فهو تعالى أعلى وأعظم من كل شئ \* روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وعن علي أنه قال سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت أي فاذا مات دخل الجنة ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد من قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاراه وجاراه والايات التي حوله (لا اكراه في الدين) أي لا اكراه على الدخول في دين الله (قد تبين الرشدين الخي) أي قد عجز الحق من الباطل والايان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الدلائل وروى انه كن لابن الحصين الانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية نفلي سبيلهما ثم نزل في شأن منذر بن ساوى التميمي قوله تعالى (فن يكفر بالطاغوت) أي بالشیطان وبكل ما عبد من دون الله (ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) أي فقد تمسك بالنعمة المحكمة لا انقطاع لها أي فقد أخذ بالثقة لا انقطاع لصاحبها عن نعيم الجنة ولا زوال عن الجنة ولا هلاك بالبقاء في النار (والله سميع) لقول من يتكلم بالشهادتين وقول من يتكلم بالكفر

(علم) بما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر وما في قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث أو يقال والله  
سميع علم لدنك يا محمد بحرصك على اسلام أهل الكتاب وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
يحب اسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله تعالى ذلك سرا وعلانية  
(الله ولي الذين آمنوا) أي الله ناصر الذين آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه (يخرجهم) بلطفه  
وتوفيقه (من الظلمات) أي الكفر (إلى النور) أي الإيمان (والذين كفروا) ككعب بن  
الاشرف وأصحابه (أولياؤهم الطاغوت) أي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق (يخرجونهم)  
بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال (من النور) أغطى أي الذي جبل عليه الناس كافة أو من  
نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم (إلى الظلمات) أي ظلمات الكفر  
والانهماك في الضلال (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ما كثون أبدا (ألم تر) أي ألم  
تنظر (إلى) هذا الطاغوت كيف تصدى لاضلال الناس وأخرجهم من النور إلى الظلمات (الذي  
حاج إبراهيم في ربه) أي إلى قصة الذي خاصم إبراهيم في دين رب إبراهيم وهو غر وذن كنعان (أن  
أتاه الله الملك) أي فطغى وادعى الربوبية فحاج لأن أعطاه الله الملك (أذ قال إبراهيم ربني الذي يحيي  
ويميت) أي يخلق الحياة والموت في الأجساد وقرأ حمزة ربني بسكون الياء وهذه الحاجة مع إبراهيم بعد  
القائه في النار وخر وجهه منها سالما وذلك ان الناس قحطوا على عهد غر وذن وكان الناس يمتدرون من عده  
فكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأتاه إبراهيم فقال له  
من ربك فقال له ذلك (قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم) له أثنى ببيان ذلك فدعا غر وذن جلين من  
السمين فقتل واحدا وترك واحدا قال هذا ببيان ذلك قال إبراهيم (فإن الله يأتي بالشهس من المشرق)  
في كل يوم (فأتى بهما من المغرب) ولو يوما واحدا ان كنت صادقا فيما تدعيه من الربوبية (فبهت الذي  
كفر) أي سكت بغير حجة أي فمبقي مغلوبا لا يجد للحجة مقالا ولا للمسئلة جوابا (والله لا يهدي القوم  
الظالمين) بالكفر إلى طريق الحق (أو كالذي) أي أرايت مثل الذي (مر على قرية) هي بيت  
المقدس كما أخرج ابن جرير عن وهب عن قتادة والضحاك وعكرمة والربيع أو القرية التي أهلك الله فيها  
الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت كما نقل عن ابن زيد أي قد رأيت الذي مر على قرية كيف  
هداه الله وأخرجهم من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والمآر هو عزيز بن سرحا كما روى عن علي بن أبي  
طالب وعن عبد الله بن سلام وعن ابن عباس (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها بأن  
سقطت السقوف أو لانهم الابنية (قال أفي يحيي هذه الله بعد موتها) أي كيف يحيي الله أهل هذه  
القرية بعد موتهم تهجبا من قدرة الله تعالى على أحيائها (فأمانه الله) مكانه فكان ميتا (مائة عام ثم  
بعثه) أي أحياه في آخر النهار (قال) تعالى له (كلمت) أي مكنت هنا يعزير بعد الموت والقاتل  
هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك القول من قبله تعالى (قال لميت يوما) ثم نظر إلى الشمس وقد بقي منها  
شيء فقال (أو بعض يوم قال) أي الله له أو الملك (بل لميت) ميتا (مائة عام فانظر إلى طعامك) أي التين  
والعنب (وشرايك) أي العصير (لم يتسنه) أي لم يتغير ولم ينصب في هذه المدة المتطاولة فكان  
التين والعنب كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعة - واللين قد حلب من  
ساعته (وانظر إلى حمارك) كيف تقطعت أوصاله وكيف تلوح عظامه بيضاء فعلنا ذلك الأحياء  
لتعائن ما استبعدته من الأحياء بعد دهر طويل (وانجعلك آية للناس) أي لكي نجعلك علامة للناس

في احياء الموتى انهم يحيون على ما عوتون لانه مات شبابا وبعث شبابا وعبرة للناس لانه كان ابن أربعين سنة  
 وابنه ابن مائة وعشرين سنة (وانظر الى العظام) أى عظام الحمار (كيف ننشزها) قرأنا نافع وابن  
 كثير وأبو عمر وبالراء أى كيف نحياها ونخلتها وقصر أحزمة والكسائي ننشزها بالزاي المنقوطة أى كيف  
 نرفع بعضها على بعض (ثم تكسوها لحما) أى ننبث عليها العصب والعروق واللحم والجلد والشعر  
 ونجعل فيه الروح بعد ذلك (فلما تبين له) وقوع ما كان يستبعد وقوعه (قال أعلم أن الله على كل شيء)  
 من الحياة والموت (قدير) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى سبب نزول هذه الآية قال ان  
 بختنصر البابلي غزا بني اسرائيل وهو فى ستمائة ألف راية فسي من بني اسرائيل الكثير ومنهم عزيز وكان  
 من علمائهم لحما بهم الى بابل فدخل عزيز تلك القرية التى انهدمت حيطانها ونزل تحت شجرة وهو على  
 حمار فربط حماره وطاق فى القرية فلم ير فيها أحدا فاجب من ذلك وقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها وذلك  
 على سبيل الاستبعاد بحسب العادة لا على سبيل الشك فى قدرة الله وكانت الاشجار مزمرة فتناول من  
 الفاكهة التين والعنب وشرب من عصير العنب وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق ونام  
 فلما مات الله تعالى فى منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عن موته أيضا الانس والسباع والطيور ثم أحياء الله  
 تعالى بعد مائة ونودى من السماء يا عزيز كم لبثت بعد الموت فقال يوما فأبصر من الشمس بقية فقال أو بعض  
 يوم فقال الله تعالى بل امث مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشربك من العصير لم يتغير طعمها  
 فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال تعالى وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض تلوح وقد  
 تفرقت أوصانه وسمع صوتا أيتها العظام البالية انى جا عل فيك روحا فانضم أجزاء العظام بعضها الى بعض  
 ثم التصق كل عضو بما يليق به الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب والعروق ثم أنبت طرا اللحم  
 عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق نحر عزيز ساجدا  
 وقال أعلم أن الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس لما روى انه لما مضى من وقت موته سبعون  
 سنة سلط الله ملكا من ملوك فارس فسار بجنوده حتى أتى بيت المقدس فعمروه وصاروا أحسن مما كان ورد  
 الله تعالى من بقى من بني اسرائيل الى بيت المقدس ونواحيه فعمروه ثلاثين سنة وكثروا كالأحسن  
 ما كانوا وأعمى الله العيون عن العزيز هذه المدة فلم يره أحد فلما مضت المائة أحياء الله تعالى منه عينييه  
 وسائر جسده ميت ثم أحياء الله تعالى جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره كما سبق فلما دخل بيت المقدس  
 قال القوم حدثنا آباؤنا أن عزيز بن مسر وحاً وابن شريك مات ببابل وقد كان بختنصر قتل فى بيت  
 المقدس أربعين ألفا من قرأ التوراة وكان فيهم عزيز والقوم ما عرفوا انه بقى التوراة فلما أتاهم  
 بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملأها عليهم عن ظهر قلبه لم يخسر منها حرفا وكانت التوراة قد دفت  
 فى موضع فأخرجت وعرض بها أملاء فاختلغا فى حرف فعند ذلك قالوا عزيز ابن الله (و) ألم تر  
 (اذ قال ابراهيم) هذا دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجهم من الظلمات الى النور (رب  
 أرني كيف يحيى الموتى) قال الحسن والضحك وقتادة وعطاء وابن جرير انه رأى جيفة مطروحة فى  
 شط النهر فاذا مده البحرأكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت واذا ذهبت  
 السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت فقال ابراهيم رب أرني كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون  
 السباع والطيور ودواب البحر (قال) تعالى (أولم تؤمن) أى أتسأل ولم تؤمن بقدرى على الأحياء  
 (قال بلى) أنا مؤمن بذلك (ولكن ليطمئن قلبي) أى ولكن سألت ما سألت لتسكن حرارة قلبي وأعلم

بأنى خليك مستجاب الدعوة والمطلوب من السؤال أن يصير العلم بالاستدلال ضروريا (قال نخذ أربعة من الطير) أشتان وزاوديك وطاوسا ورألا وهو قرخ النعام كما أخرج به ابن أبي حاتم عن ابن عباس من طريق الضمك أوطاوسا وديكا وحمامة وغرنوقا وهو الكركي كما أخرج به عنه من طريق حنش (فصرهن) قرأه حمزة بكسر الصاد والباقون بضمها وتخفيف الراء أى قطعهن وأبلهن (اليلك) فقطع إبراهيم أعضاءها ولحومها وریشها ودماءها وخلط بعضها ببعض (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) أى ثم ضع على كل جبل من أربعة أجبل منهن جزأهن أى على حسب الطيور الأربعة وعلى حسب الجهات الأربعة أيضا (ثم ادعهن) بأسمائهن أى قل لهن تعالين يا وزو يا ديك ويا طاوس ويا رألا باذن الله تعالى (يأتينك سعيا) أى مشيا مريعا ولم تأت طائفة إلا لتحقيق أن أرجلها سليمة في هذه الحماة (واعلم أن الله عزيز) أى غالب على جميع المسكنات (حكيم) أى عليم بعواقب الأمور وغايات الأشياء روى أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذبجها وتنفريشها رقة طيعها جزأ جزأ وخلط دماؤها ولحومها وأن يمسك رؤسها بيده ثم أمر بأن يجعل أجزائها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالى ثم أخذ كل جزء يطير إلى الآخر حتى تكاملت الجثث ثم أقبلت كل جثة إلى رأسها سعيا على أرجلها وانضم كل رأس إلى جثته وصار السكل أحياء باذن الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) أى صفة صدقات الذين ينفقون أموالهم في دين الله كصفة حبة أخرجت سبع سنابل أو المعنى مثل الذين ينفقون أموالهم في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل زارع حبة أخرجت سافات شعب منه سبع شعب في كل واحدة منها سنبل (في كل سنبل مائة حبة) كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن بل فيهما أكثر من ذلك (والله يضاعف) فوق ذلك (لمن يشاء) على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الأعمال في مقادير الثواب (والله واسع) أى لا يضيق عليه ما به فضل به من التضعيف (عليم) بنية المنفق وعن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) والمن هو الاعتداد بالنعمة واستعظامها على المنفق عليه والأذى بأن يؤذى المنفق عليه بالقول أو العيوس في وجهه أو الدعا عليه وقيل المراد هو المن على الله وهو الهيب والأذى لصاحب النفقة (لهم أجرهم) أى ثواب انفاقهم (عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) أى فلا يخافون فقد أجورهم ولا يخافون العذاب البتة (ولا هم يحزنون) على ما خلقوا من خلفهم نزلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهر بحيش العسرة في غزوة تبوك بألف بعير باقتابها وألف دينار فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يقول يا رب عثمان رضيت عنه فارض عنه وأما عبد الرحمن بن عوف فإنه تصدق بنصف ماله أربعة آلاف دينار وقال كان عندى ثمانية آلاف فأمسكت لنفسى وعباى أربعة آلاف وأخرجت أربعة آلاف لربى عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤونتهم ولم يخطر ببالهم شئ من المن والأذى (قول معروف) أى كلام جميل يرد به السائل من غير إعطاء شئ (ومغفرة) من المسؤول عن بذاة لسان الفقير (خير) للسائل (من صدقة يتبعها أذى) لكونها مشوبة بضرر التعبير له بالسؤال (والله غنى) عن صدقة العباد فاعلموا أمركم بالصدقة ليشبكم عليها (حليم) اذ لم يجعل بالعقوبة على من يمن ويؤذى بصدقته (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أى أجز صدقاتكم (بالمال والأذى)



قال ابن عباس أي بالمن على الله معناه المحب بسبب صدقتكم وبالأذى للسائل وقال الباقر بالمن على  
 الفقير وبالأذى للفقير (كالذي) أي كالبطل أجر نفقة الذي (ينفق ماله رثاء الناس) أي سمعة الناس  
 ولطلب المدح والشهرة (و) كالذي (لا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهو المنافق فإن المنافق والمرائي يأتیان  
 بالصدقة لالوجه الله تعالى ومن يقرن الصدقة بالمن والأذى قد أتى بتلك الصدقة لالوجه الله أيضا ولو كان  
 غرضه من تلك الصدقة مرضاة الله تعالى للمان على الفقير ولا آذاه فالمقصود من الإبطال الاتيان بالانفاق  
 باطلا لأن المقصود الاتيان به محضاً ثم احباطه بسبب المن والأذى والوجه كما قال بعضهم إذا فعل ذلك  
 فله أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن (نثله) أي لحانة المرائي في الانفاق (كمثل  
 صفوان) وقيل الضمير هائد على المنافق فيكون المعنى ان الله تعالى شبه المان والمؤذى بالمنافق ثم شبه  
 المنافق بالحجر الكبير الأملس (عليه تراب) أي شيء من التراب (فأصابه وابل) أي مطر شديد  
 (فتركه صلباً) أي لجعل المطر ذلك الحجر أملس نقيماً من التراب (لا يقدر أن على شيء مما كسبوا) أي  
 لا يقدر أن على ثواب شيء في الآخرة عما أنفقوا في الدنيا رثاء أو المعنى لا يجسد المان والمؤذى ثواب صدقته  
 كما لا يوجد على الصفوان التراب بعد ما أصابه المطر الشديد (والله لا يهدي القوم السالكين) إلى الخير  
 والرشاد وفي هذه الآية تعريض بأن كلام من الرياء والمن والأذى على الانفاق من خصائص الكفار فلا بد  
 للمؤمنين أن يجتنبوها (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة  
 بربوة أصابها وابل) أي مثل أموال الذين ينفقون أموالهم طلب رضا الله تعالى ويقيناً من قلوبهم بالثواب  
 من الله تعالى وتصديقاً بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خيراً لهم مما تركوا كمثل بستان في مكان مرتفع مستو  
 أصابه مطر شديد كثير (فسأنت أكلها ضعفين) أي فأخرجت ثمرها مضاعفاً مثلي ما ينثر غيرها بسبب  
 الوابل متحمل من الربيع في سنة ما يحمل غيرها في سنتين (فإن لم يصبها وابل فطل) أي رش مثل الرذاذ  
 يكفيها لوجودتها ولطافة هوائها والمعنى أن نفقات هؤلاء زائلة عند الله تعالى لا تضيق بحال وإن كانت  
 تتفاوت باعتبار ما يقارنهما من الأحوال (والله بما تعملون) عملاً ظاهراً أو قلبياً (بصير) لا يخفى عليه  
 شيء منه (أيودأحدكم) أي أحب حباً شديداً أو يتقني (أن تكون له جنة) أي بستان (من نخيل  
 وأعناب تجري من تحتها) أي تطرد (الأنهار) من تحت شجرة تلك الجنة ومساكنها (له فيها من كل الثمرات)  
 أي لذلك الواحد حال كونه في الجنة رزق من كل الثمرات (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء) أي وقد  
 أصابه كبر السن فلا يقدر على الكسب والحال أنه أولاد أصغار لا يقدر أن على الكسب (فأصابها) أي  
 الجنة (اعصار) أي ريح ترتفع إلى السماء كأنها عمود (فيه نار فاحترقت) أي تلك الجنة والمقصود  
 من هذا المثل بيان أنه يحصل في قلب هذا الإنسان من الغم والحسرة والحيرة ما لا يعلمه إلا الله فكذلك من أتى  
 بالأعمال الحسنة إلا أنه لا يقصد بها وجه الله بل يقرن بها أموراً يخرجها عن كونها موجهة للثواب حين  
 يقدم يوم القيامة وهو حينئذ في غاية الحاجة ونهاية العجز عن اكتساب عظمت حسرته وتناهت حيرته  
 (كذلك) أي مثل هذا البيان في أسر النفقة المقبولة وغيرها (يبين الله لكم الآيات) أي الدلائل في  
 سائر أمور الدين (لعلكم تتفكرون) أي لكي تتفكروا في أمثال القرآن (يا أيها الذين آمنوا  
 أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أي زكوا من جيا دما جمعتم من الذهب والفضة وعروض التجارة والمواشي  
 (وعما أخرجنا لكم من الأرض) من الحبوب والثمار والمعادن (ولا تيمموا الخبيث) أي ولا تقصدوا  
 الردي من أموالكم (منه تنفقون ولستم بأخذه) فقلوه منه استفهام على سبيل الإنكار وهو متعلق

بالفعل بعده والمعنى آمن الحديث تنفقون في الزكاة والحال انكم لستم قابلي الحديث اذا كان انكم حق  
على صاحبكم (الا أن تغضوا فيه) أي الابان تساهلوا في الحديث وتركوها بعض حقكم كذلك لا يقبل الله  
الردى منكم (واعلموا أن الله غني) عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم (حميد) أي مستحق للحمد  
على نعمة العظام وقيل حامد يقبول الجيد وبالاثابة عليه (الشیطان يعدكم الفقر) أي ابليس يخوفكم  
بالفقر عند الصدقة ويقول لكم امسكوا أموالكم فانكم اذا انصدقتم صرتم فقراء أو المعنى النفس الامارة  
بالسوء توسوس لكم بالفقر (ويأمركم بالغشاة) أي بالاجل ومنه الزكاة والصدقة (والله يعدكم) بسبب  
الانفاق (مغفرة منه) عز وجل (وفضلاً) أي خلفاً في الدنيا وثواباً في الآخرة (والله واسع) بالمغفرة للذنوب  
وباغنائكم واخلاق ما تنفقونه (عليم) بنياتكم وصدقاتكم (يؤتي الحكمة من يشاء) فالحكمة هي العلم  
النافع وفعل الصواب فليل في حد الحكمة هي التخلق باخلاق الله بقدر الطاقة البشرية كقوله صلى الله  
عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله تعالى (ومن يؤت الحكمة) أي اصابة القول والفعل والرأي (فقد أوتي  
خيراً كثيراً) أي أعطى خير الدارين (وما يذكر) أي ما يتفكر في الحكمة (الأولوالالباب) أي  
الأصحاب العقول السليمة من الزكون الى متابعة الهوى (وما أنفقتم من نفقة) أي أي نفقة كانت في  
حق أو باطل في سرار علانية قليلة أو كثيرة (أو نذرتم من نذر) أي أي نذر كان في طاعة أو معصية بشرط  
أو بغير شرط متعلق بالمال أو بالأفعال كالصيام (فان الله يعلمه) أي ما أنفقتموه فيحازيكم عليه (وما  
للظالمين) بالانفاق والنذر في المعاصي أو بمنع الزكاة وعدم الوفاء بالنذر أو بالانفاق بالحديث أو  
بالرياء والمن والاذى (من أنصار) أي أعوان ينصرونهم من عقاب الله (ان تبدوا الصدقات  
فنعما هي) أي ان تظهروا الصدقات فنعماً شيئاً اظهرها بعد ان لم يكن رياء ومعة (وان تخفوها وتؤتوها  
الفقراء فهو خير لكم) أي أفضل من ابدائها وايتائها الاغنياء روى انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم هل صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة  
السرى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً وصدقة الغريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة  
وعشرين ضعفاً (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تكفر  
بالتون ورفع الراء وقرأ نافع وحزمة والكسائي بالنون والجزم أي ونكفر عنكم شيئاً من ذنوبكم بقدر  
صدقاتكم وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم يكفر بالياء والرفع والمعنى يكفر الله أو يكفر الاخفاء وقرئ  
قراءة شاذة تكفر بالتاء وبالرفع والجزم والفاعل راجع للصدقات وقرأ الحسن بالتاء والنصب  
بأفعالهم (والله بما تعلمون) من الصدقة في السر والعلانية (خبير) لا يخفى عليه شيء منه (ليس عليكم  
هراهم) أي ليس عليكم هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الاسلام فتصدق  
عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم (ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته الى الدخول في  
الاسلام روى أن نائلة أم أسماء بنت أبي بكر وجدتاهما مشركتان جاءتا أسماء تسألانها شيئاً فقالت  
لا أعطيكما - حتى أستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما استمعا على ديني فسألتها عن الصدقة على  
الكفار فقالت هل يجوز لنا يا رسول الله ان نتصدق على ذوي قرابتنا من غير أهل ديننا فأرسل الله هذه  
الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتصدق عليهما (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أي وكل  
نفقة تنفقونها من نفقات الخير ولو على كافر فانما هو يحصل لانفسكم ثوابه فلا يضركم كفرهم (وما تنفقون  
الا ابتغاء وجه الله) أي ولستم في صدقاتكم على أفار بكم من المشركين تقصدون الا وجه الله فقد علم الله

هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم تبتغون بذلك وجه الله في سعة رحم وسد خلة مضطر وليس عليكم  
 اهتداؤهم حتى ينعكم ذلك من الانفاق عليهم (وماتنفقوا من خير) أى من مال على الفقراء (بوف  
 اليكم) أى يوفى اليكم ثواب ذلك فى الآخرة (وانتم لا تظلمون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا  
 للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض) أى ذلك الانفاق المحمّث عليه  
 للفقراء الذين حبسوا أنفسهم ووقفوها على الجهاد لان الجهاد كان واجبا فى ذلك الزمان نزلت هذه الآية  
 فى حق فقراء المهاجرين من مقيش وكانوا نحو أربع مائة وهم أصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشاء  
 بالمدينة وكانوا ملازمين المسجد ويعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة لا يستطيعون سفرا  
 فى الأرض ثم عدم الاستطاعة للسير اما لنشغالهم بصلاح الدين وبأمر الجهاد فذلك ينعهم من الاشتغال  
 بالكسب والتجارة واما خوفهم من الأعداء كما قاله قتادة وابن زيد لان الكفار كانوا مجتمعين حول المدينة  
 وكانوا متي وجدهم قتلواهم فذلك ينعهم من السفر واما مرضهم بالجروح كما قاله سعيد بن المسيب ولجزمهم  
 لفقرهم كما قاله ابن عباس وذلك ينعهم من السفر فحث الله عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به  
 اذا أمسى (يحسبهم الجاهل أغنيا من التعفف) أى يظنهم من لم يختبر أمرهم أغنيا لاظهارهم  
 التحمل وتركهم المسئلة (تعرفهم) أيها المخاطب (بسماعهم) أى بعلا متهم من الهيبة ووقع فى قلوب  
 الخلق وآثار الحشوع فى الصلاة فكل من رآهم تواضع لهم روى انهم كانوا يقومون الليل للهجود  
 ويحتطبون بالنهار للتعفف (لا يسألون الناس الخافا) أى لا سؤال لهم أصلا فلا يقع منهم الخاف أى  
 كثرة التلطف وملازمة السؤال أى انهم سكتوا عن السؤال لكانهم لا يضمنون الى ذلك السكوت من رثاته  
 الحال واطهار الانكسار ما يقوم مقام السؤال على سبيل الخاف بل يزينون انفسهم عند الناس  
 ويحملون بهذا الخلق ويجعلون فقرهم وحاجتهم بحيث لا يطلع عليه الا الخالق والمراد بقوله تعالى  
 لا يسألون الناس الخافا التنبيه على سوء طريقة من يسأل الناس الخاف عن ابن مسعود رضى الله عنه ان  
 الله يحب العفيف المتعفف ويبغض الفاحش الذى السأل المخف الذى ان أعطى كثيرا أفرط فى  
 المدح وان أعطى قليلا أفرط فى الذم (وماتنفقوا من خير) أى من مال (فان الله به عليم) فيجازيكم  
 على ذلك أحسن جزاء وهذا يجرى مجرى ما اذا قال السلطان العظيم لعبده الذى استحس خدمته ما يكفىك  
 بأن يكون على شاهدك كيفية طاعتك وحسن خدمتك فان هذا أعظم وقعا مما اذا قال له ان أجرك واصل  
 اليك (الذين ينفقون أموالهم) فى الصدقة (بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) فى  
 الجنة (ولا خوف عليهم) بالدوام (ولا هم يحزنون) اذا حزن غيرهم \* قيل لما نزل قوله تعالى  
 للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف الى أصحاب الصفة بدنانير وبعث على  
 رضى الله بوسق من تمر لافترلت هذه الآية وقال ابن عباس ان عليا رضى الله عنه ما يملك غير أربعة  
 دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال صلى الله عليه وسلم ما حملك على  
 هذا فقال أن أستوجب ما وعدنى ربى فقال لك ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى شأن أبي بكر  
 الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر  
 وعشرة فى العلانية وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب انها نزلت فى عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان  
 وقال الأوزاعي نزلت فى الذين يربطون الخيل للجهاد وينفقون عليها (الذين يأكلون الربا) أى يأخذونه  
 استخلا (لا يقومون) من قبورهم اذا بعثوا (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى

الاقبالا كقيام الذي يحمله الشيطان من اصابة الشيطان بالجنون في الدنيا أي ان كل الرابيع يوم  
القيامة مجنونوا وذلك كالعلامة المحصورة بأ كل الرابيع عرفه أهل الموقف بتلك العلامة انه أ كل الرابث  
الدنيا على هذا معنى الآية انهم يقومون مجانين كمن اصابه الشيطان بالجنون (ذلك) أي كون التخيل  
علامة أ كل الرابث في الآخرة (بانهم قالوا انما البيع مثل الربا) أي انما الزيادة في البيع كزيادة الربا  
أي لك العذاب بسبب انهم نظموه الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الجمع فاستحلوه استحلاله وقالوا  
يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا أصلا في الحل وقاسوا به  
البيع مع وضوح الفرق بينهما فان أحد الدرهمين في الأول ضائع حتما في الثاني من غير عسائس الحاجة الى  
السلعة أو بتوقع رواجها (وأحل الله البيع وحرم الربا) أي أحل الله لكم الإرباح في التجارة بالبيع  
والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل (فإن جاءه موعظة) أي زجر وتحذير  
عن الربا (من ربه فانهي) أي امتنع عن أخذه (فله ماسلف) قال السدي أي له ما أكل من الربا  
وليس عليه رد ماسلف فأما ما لم يقض بعد انتهى فلا يجوز له أخذه وانما له رأس ماله فقط (وأمره الى الله)  
أي يجازيه على انتهائه عن أخذه ان كان عن قول الموعظة وصدق النية (ومن عاد) الى تحليل الربا  
بعد التحريم (فأولئك أصحاب النار) أي ملازموها (هم فيها خالدون) أي ما كثون أبدا (بحق الله  
الربا) أي يهلك المال الذي دخل فيه في الدنيا والآخرة قال ابن عباس ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة  
ولا جهاد ولا حجار لا صلة رحم (ويرى الصدقات) أي يبارك في المال الذي أخرجت منه في الدنيا  
والآخرة وفي الحديث ان الملك ينادي كل يوم اللهم يسر لكل منفق خلفا ولمسك ثلغا (والله لا يحب كل  
كفار) أي جاحد بتحريم الربا (أنتم) أي ناجر بأخذه مع اعتقاد التحريم (ان الذين آمنوا) بانه  
ورسله وكتبه وبتحريم الربا (وعملوا الصالحات) أي فيما بينهم وبين ربهم وتركوا الربا (وأقاموا  
الصلاة) أي اتوا الصلوات الخمس بما يجب فيها (أتوا الزكاة) أي أعطوا زكاة أموالهم (لهم أجرهم  
عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولا هم يحزنون) على محبوب فات (يا أيها  
الذين آمنوا اتقوا الله) أي قوا أنفسكم عقابه (وذروا ما بقى من الربا) أي اتركوا طلب ما بقى مما زاد  
على رؤوس أموالكم (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بقلوبكم في تحريم الربا (فان لم تفعلوا) ما أمرتم  
به بأن لم تتركوا الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أي فاستعدوا للعذاب من الله في الآخرة بالنار  
ولعذاب من رسوله في الدنيا بالسيف (وان تبتم) من معاملة الربا (فلكم رؤوس أموالكم) أي  
أصولها دون الزيادة (لا تظلمون) الغريم بطلب الزيادة على رأس المال (ولا تظلمون) أي بنقصان  
رأس المال وبالمطل (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) أي وان وقع غريم من غرمائكم ذو حالة  
يتعسر فيها وجود المال فيجب عليكم امهاله الى وقت يسار وسعة (وأن تصدقوا خير لكم) أي تصدقكم  
على المعسر برؤوس أموالكم خير لكم من الأخذ والتأخير لانه حصل لكم الثناء الجميل في الدنيا  
والثواب الجزيل في الآخرة (ان كنتم تعلمون) فضل التصديق على الانظار والقبض (واتقوا يوما  
ترجعون فيه الى الله) أي الى حسابه لأعمالكم وهو يوم القيامة (ثم توفي كل نفس ما كسبت) أي ثم  
توفر فيه كل نفس برة وفاجرة جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) بنقص حسنة أو زيادة سيئة  
(يا أيها الذين آمنوا) بالله والرسول (اذا تدانتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) أي اذا دابن بعضكم  
بعضا وعامله نسيئة معطيا أو أخذ الى وقت معلوم بالايام أو الاشهر ونحوها معاير رفع الجبهة لا بالحصار

ونحوه مما لا يرفعها فكتبوا الذين بأجله لأنه أوثق وأرفع للنزاع والاكثرون على ان هذه الكتابة أمر  
 استحباب فان ترك فلا بأس وهو أمر تسليم ترجع فائدة الى منافع الخلق في دنياهم فلا يثاب عليه  
 المكلف الا ان قصد الامتثال قال المفسرون المراد بالمداينة السلم فانه تعالى لما منع الربا في الآية  
 المتقدمة أذن في السلم في جميع هذه الآية مع ان جميع المناقم المطلوبة من الربا حاصلة في السلم  
 ولهذا قال بعض العلماء لانه لا منفعة وصل اليها بالطريق الحرام الا وضع الله تعالى لتحصيل  
 مثل تلك اللذة طريقا حلالا وسيبلا مشروعا والرض غير الدين لان القرض أن يقرض الانسان  
 دراغهم أو دنائير أو حبا أو تمرا أو ما أشبه ذلك ويسترد مثله ولا يجوز زفيه الاجل والدين يجوز فيه ذلك فذكر  
 الاجل في القرض ان كان لغرض القرض أفسده والا فلا يفسده ولا يجب الوفاء به لكنه يستحب قال ابن  
 عباس ان هذه الآية نزلت في السلف لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسلفون في التمر  
 الستين والثلاث فقال صلى الله عليه وسلم من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل  
 معلوم وقال أكسروا المفسرين ان البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بجداينة  
 البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فلا يكون داخلا تحت هذه الآية ببيع العين بالدين وهو ما اذا باع  
 شيئا بفن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلا تحت هذه الآية (وليكتب)  
 كتاب الدين (بينكم) أي بين الدائن والمديون (كتاب بالعدل) أي بحيث لا يزيد في المال والاجل ولا  
 ينقص في ذلك (ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) أي ولا يمنع أحد من ان يكتب كتاب  
 الدين بين الدائن والمديون على طريقة ما علمه الله كتابة الوثائق فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله ايها  
 (وليمل الذي عليه الحق) أي ولين المديون على الكاتب ما علمه من الدين لانه المشهود عليه فلا بد  
 أن يكون هو المقر (وليتق الله ربه ولا يخش منه شيئا) أي وليخش المديون ربه بأن يقر ببلغ المال الذي  
 عليه ولا ينقص ما عليه من الدين شيئا في القاء الالفاظ على الكاتب (فان كان الذي عليه الحق سفيها  
 أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يعل هو فليمل وليه) أي فان كان المديون نائص العقل مبذرا أو عاجزا عن  
 سماع الالفاظ للكاتب لصغر أو كبر وضعف العقل أو لا يحسن السماع بنفسه على الكاتب لحرس أو  
 جهل بالغة أو بما عليه فليقر على الكاتب ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة والمراد بالولي هو الولي لغة وهو  
 من له ولاية عليه بأي طريق كان كوصي وقيم ومترجم (بالعدل) أي بالصدق من غير زيادة ونقص  
 (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أي وأشهدوا على الدين شاهدين من الرجال البالغين  
 الاحرار المسلمين وعند شريح وابن سيرين وأحمد تجوز شهادة العبيد وأجاز أبو حنيفة شهادة الكفار  
 بعضهم على بعض (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) أي فان لم يكن الشاهدان رجلين بأن لم يقصد  
 اشهادهما فرجل وامرأتان كائنون (من ترضون) لدينه وعدالته (من الشهداء) يشهدون وهذا  
 تفسير للخبير (أن تفضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) قرأ حمزة أن تفضل بكسر الهمزة وتذكر كرفع  
 والتشديد وقرأ نافع وعاصم والكسائي فتذكر بالتشديد والنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف  
 والنصب أما سائر القراء فقرأوا بنصب أن على حذف لام التعليل أي وانما اشترط التعدد في النساء  
 لاجل أن تنسى إحدى المرأتين الشهادة لانهن عقلهن فتذكر احداهما لذكر الشهادة المرأة الاخرى  
 النسائية لها (ولا ياب الشاهد اذا مادعوا) أي ولا يمنع الشاهد اذا دعوا الى تحمل الشهادة وأدائها  
 عند الحكم فيصير الامتناع عليهم لان تحمل الشهادة قرض كفاية مطلقا والاداء كذلك ان زاد

المتحملون على من يثبت بهم الحق والافرض عين (ولانسأمو ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله)  
 أي ولا تعلموا ان تكتبوا الدين لكثرة وقوع المداينة على أي حال كان الدين قليلا أو كثيرا وعلى أي  
 حال كان الكتاب مختصرا أو مشبعا حال كون الدين مستقرا في ذمة المدين الى وقت حوله الذي أقرب  
 المدينون أي فكتبوا الدين بصفة أجله ولا تهملوا الاجل في الكتابة وقوله تعالى ولا تسأمو معطوف  
 على قوله تعالى فكتبوه (ذلكم) أي الكتابة للدين (أفسط عند الله) أي أعذل في حكم الله  
 (وأقوم للشهادة) أي أدين للشاهد بالشهادة اذ انسى (وأدنى أن لا ترتابوا) أي وأقرب الى انتفاء  
 شككم في قدر الدين وأجله (الآن تكون تجارة حاضرة تدير ونهاينكم) قرأعاهم تجارة بالنصب  
 على أنه خبر تكون والباقون بالرفع على انه اسم تكون والخبر تدير ونها والاما استنشاء متصل راجع  
 الى قوله تعالى اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فكتبوه والتقدير اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فكتبوه  
 الا ان يكون الاجل قريبا وهو المراد من التجارة الحاضرة واما الاستنشاء منقطع فالتقدير لكنه اذا كانت  
 تجارتكم ومداينتكم تجارة حالة تتعاطونها يابدأ والتقدير لكن اذا كانت تجارة حاضرة مقبوضة  
 بينكم ولا أجل فيها (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أي ليس عليكم مضرة في ترك الكتابة  
 في المداينة الحاضرة كأن ياعثوا بدينهم في الذمة بشرط ان يؤدي الدرهم في هذه الساعة أي لا بأس بعدم  
 الكتابة في ذلك لبعده عن التنازع والنسيان (وأشهدوا اذا تبايعتم) بالاجل (ولا يضار كاتب)  
 بالكتابة (ولا شهيد) بالشهادة وهذا امامبني للفاعل فيكون نهيا للكاتب والشهيد عن اضرار من له  
 الحق وهو قول أكثر المفسر والحسن وطاوس وقتادة ويدل على ذلك قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضار  
 بالافهار والكسر واختار الزجاج هذا القول لقوله تعالى وان تفعلوا فانه فسوق بكم وذلك لان اسم الفسق  
 بمن يحرف الكتابة ومن يمتنع عن الشهادة حتى يبطل الحق بالكلية ولانه تعالى قال فيمن يمتنع عن  
 الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والاثم والفاسق متقاربان وامامبني للفعل فيكون نهيا لصاحب الحق  
 عن اضرار الكاتب والشهيد كأن يكلفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ولا يعطى الكاتب جعله ولا  
 الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان فان لهم ما طلب الجعل ولا يكلفان الكتابة والشهادة مجانا وهو قول ابن  
 مسعود وعطاء ومجاهد ويدل على ذلك قراءة ابن عباس ولا يضار بالافهار والفتح وهذا لو كان نهيا  
 للكاتب والشهيد لقليل وان تفعل فانه فسوق بكم ولا ان دلالة الكلام من آزل الآيات اغما هو في  
 المكتوب له والمشهود له واذا كان هذا النهي متوجها للذين يقدمون على المداينة فالمنهيون عن اضرارهم  
 (وان تفعلوا) مانهيم عنه من الضرر (فانه فسوق بكم) أي فان فعلكم ذلك معصية منكم وخروج  
 عن طاعة الله (واتقوا الله) فيمأحذر منه وهو هنا المضارة أو المعنى اتقوا الله في جميع أوامره ونواهيه  
 (ويعلمكم الله) ما يكون ارشادا واحتياطا في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا في أمر الدين  
 (والله بكل شيء) من مصالح الدنيا والآخرة (عليم) فلا يخفى عليه حالكم (وان كنتم على سفر ولم تجدوا  
 كتابا فرهان مقبوضة) قرأ ابن كثير وأبو عمر وفره بنهم الزاء والهاء أو سكونه والباقون فرهان  
 بكسر الزاء وفتح الهاء ممدود على معنى في أو بمعنى الى أي وان كنتم مسافرين أو متوجهين الى السفر ولم  
 تجدوا كتابا أو آلة الكتابة في المداينة فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين أو يقال في الوثيقة  
 رهان مقبوضة (فان أمن بعضكم) أي الدائن (بعضا) أي المدين بالدين بلا رهن لحسن ظنه به  
 (فليؤد الذي ائتمن) بالدين (أمانته) أي حق صاحبه (وليتق الله ربه) أي وليخش المدين ربه



في أداء الدين عند حلول الاجل من غير عا طلة ولا انكار بل يهمل الدائن معاملة حسنة كما أحسن  
 ظنه فيه (ولا تكتنموا الشهادة) عند الحكم بانكار العلم بتلك الواقعة أو بالامتناع من أداء  
 الشهادة عند الحاجة الى اقامتها (ومن يكتنمها) أي الشهادة (فانه آثم قلبه) أي فاجر قلبه  
 (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واقامتها ومن الحيانة في الامانة وعدمها (عليم) فيجازيكم على  
 ذلك ان خير الخيرون شر افشر (فه ما في السموات وما في الارض) ملكا وملك من الملق والنجائب  
 بامر عبادة بما يشاء (وان تبدوا ما في أنفسكم) من العزم على السوء بأن تظهره للناس بالقول  
 أو بالفعل (أو تخفوه) بأن تكتنموا منهم (بحاسبكم به الله) يوم القيامة فالحواطر الحاصلة في القلب  
 على قسرين ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخاله في الوجود مما لا يكون كذلك بل تكون أمورا  
 خاطرة بالبال مع ان الانسان يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس فالقسم الاول يكون مؤاخذا به  
 والثاني لا يكون مؤاخذا به (فيغفر) بفضله (لمن يشاء) مغفرته (ويعذب) بعذله (من يشاء)  
 تعذيبه وقد يغفر لمن يشاء الذنب العظيم وقد يعذب من يشاء على الذنب الحقير لا يستل عما يفعل قرأ عاصم  
 وابن عامر فيغفرو ويعذب بالرفع والباقون بالجزم (والله على كل شيء) من المغفرة والعذاب (قدير  
 آمن الرسول) أي صدق محمد صلى الله عليه وسلم (بما أنزل اليه من ربه) أي من القرآن قال الزجاج  
 لما ذكر الله تعالى في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج وذكر الطلاق والايلاء والحيض  
 والجهاد وقصص الانبياء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك  
 انتهى (والمؤمنون كل) أي كل واحد منهم (آمن بالله) أي بوجوده وبصفاته وبأفعاله وبأحكامه  
 وبأسماؤه (وملائكته) أي بوجودها وبأهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم وانهم  
 وسائط بين الله وبين البشر وان كتب الله المنزلة انما وصلت الى الانبياء بواسطة الملائكة (وكتبه)  
 وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف وفتح التاء مع المد بأن يعلم أن هذه الكتب رحي من الله تعالى الى رسوله  
 وانها ليست من باب الكهانة ولا من باب السحر ولا من باب القاء الشياطين والارواح الحبيثة وبأن يعلم  
 ان الوحي بهذه الكتب فانه تعالى لم يكن أحدا من الشياطين من القاء شيء من ضلالاتهم في أثناء هذا  
 الوحي الطاهر وبأن يعلم أن هذا القرآن لم يغير ولم يحرف فن قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء  
 فعله عثمان رضي الله عنه فقد أخرج القرآن عن كونه حجة وهو قول فاسد وبأن يعلم أن القرآن مشتمل  
 على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه (ورسله) بأن يعلم كونهم معصومين من الذنوب  
 وبأن يعلم أن النبي أفضل من ليس بنبي وان الرسل أفضل من الملائكة وأن يعلم أن بعضهم أفضل  
 من البعض (لان فرق بين أحد من رسله) أي يقول المؤمنون لا تكفروا بأحد من رسله بل تؤمن بجمعة  
 رسالة كل واحد منهم (وقالوا) أيضا (معنا) قول ربنا (وأطعنا) أمر ربنا (غفرانك) أي  
 نسألك غفرانك من ذنوبنا (ربنا اريك المصير) أي المرجع بعد الموت (لا يكلف الله نفسا) من  
 الطاعة (الأوسعها) أي طاقتها (لحما ما كسبت) أي ثوابه من الخير (وعليها ما اكتسبت) أي  
 وزره من الشرفان قلنا ان هذا من كلام المؤمنين فوجه النظم انهم لما قالوا سمعنا وأطعنا فكأنهم قالوا  
 كيف لانهم ولا نطيع وأه تعالى لا يكلفنا إلا ما في وسعنا وطاقتنا فاذا كان هو تعالى بمحكم الرحمة  
 الالهية لا يطلبننا إلا بالشيء السهل الهين فكذلك نحن بمحكم العبودية واجب أن نكون ساهمين مطيعين  
 بأن قلنا أن هذا من كلام الله تعالى فوجه النظم انهم لما قالوا سمعنا وأطعنا ثم قالوا بعده غفرانك ربنا

دل ذلك على ان قولهم غفرانك طلب لاغفرة عما يصدر عنهم من وجوه التقصير منهم على سبيل الحمد فلما  
كان قولهم غفرانك طلبا لاغفرة من ذلك التقصير فلا شك في ان الله تعالى خفف عنهم ذلك وقال لا يكلف  
الله نفسا الا وسعها والمعنى انكم اذا معتم واطعتم ولم تتعدوا التقصير فلو وقع منكم نوع تقصير على سبيل  
السهو والغفلة فلا تكونوا خائفين منه فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وبالجملة فهذا اجابة لهم من  
الله في دعائهم بقولهم غفرانك بنا ا هـ (ربنا لا تؤاخذنا) أى يا ربنا لا تعاقبنا (ان نسئنا) طاعتك  
(أو أخطأنا) في أمرك (ربنا ولا تحمل علينا اصرار) أى تكليفا بالامور الشاقة (كما حملت على  
الذين من قبلنا) من بنى اسرائيل أى لا تشدد علينا في التكليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال  
المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة  
ومن أصاب ثوبه نجاسة أمر بقطعها وكانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة في الدنيا وكانوا اذا أتوا بخطيئة  
حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة) أى قوة (لنا به) من  
البلاد والعقوبة أى ولا تحمل علينا ايضا ما لا راحة لنا فيها من الاستكراه (واعف عنا) أى امح آثار  
ذنوبنا (واغفر لنا) أى استر عيوبنا ولا تفضحنا بن عبادك (وارحنا) أى تعطف بنا وتفضل علينا  
(أنت مولانا) أى أنت سيدنا وناصرنا ونحن عبيدك ويقال واعف عنا من المسخ كما مسخت قوم عيسى  
واغفر لنا من الحسف كما خسفت بقارون وارحنا من القذف كما قذفت قوم لوط فلما دعوا بهذا الدعاء رفع  
الله عنهم ذنوب حديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه وعفى عنهم من الحسف والمسخ والقذف  
(فانصرنا على القوم الكافرين) أى انصرنا عليهم في محاربتنا معهم وفي مناظرتنا بالحق معهم وفي اعلاء  
دولة الاسلام على دولتهم ولما مدح الله تعالى المتقين في أول السورة بين في آخر السورة انهم أمة محمد صلى  
الله عليه وسلم فقال والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وهذا هو  
المراد بقوله تعالى هناك الذين يؤمنون بالغيب ثم قال ههنا وقالوا امعنا وأطعنا وهو المراد بقوله تعالى هناك  
ويقومون الصلاة وعما رزقناهم ينفقون ثم قال ههنا غفرانك ربنا اليك المصير وهو المراد بقوله تعالى  
هناك وبالآخرتهم يوقنون ثم حكى الله تعالى عنهم ههنا كيفية نصرتهم الى ربهم في قولهم ربنا  
لا تؤاخذنا ان نسئنا أو أخطأنا الى آخر السورة وهو المراد بقوله تعالى ثم أولئك على هدى من ربهم وأولئك  
هم المفلحون فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها

سورة آل عمران مدنية آياتها ثمان وكلما ثمان ثلاثة آلاف وأربعمائة  
وستون وحر وفيها أربعة عشر ألفا وخمسمائة وخمس وعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي) أى الذى لا يموت ولا يزول (القيوم) أى القائم بذاته  
والقائم بتدبير خلقه قال الكلبي والريبع بن أنس ومحمد بن اسحق نزلت هذه الآيات في شأن وفد  
نصارى نجران وكانوا ستة من راسخاء مواعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا المسجد حين صلى العصر  
عليهم ثياب الخبثات وفيهم أربعة عشر رجلا من أمراءهم وثلاثة منهم كانوا كبار القوم أحدهم أميرهم  
وامعه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رأيهم واسمها لايمم الثالث خبرهم يقال له أبو حارثة بن علقمة فكلما  
الايهم وعبد المسيح فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالوا قد أسلمنا فملك قال كذبتم عنكم من  
الاسلام ثلاثة أشياء اثباتكم له ولدا وعبادتكم للصليب وكلكما الخنزير قالوا ان لم يكن عيسى ولدا لله

فن أبوه وخاه موه صلى الله عليه وسلم في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أستم تعلمون انه لا يكون  
 ولدا لأوهو يشبهه أباه قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى  
 قال أستم تعلمون أن ربنا قديم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل بلك عيسى من ذلك شيئا قالوا  
 لا قال أستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك  
 الا ما علمه الله قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال أستم  
 تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحديث قالوا بلى قال أستم تعلمون أن عيسى  
 حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا  
 بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله تعالى من ابتداء السورة الى آية المباحلة ثم تلا  
 احتجاج به النبي عليهم (نزل عليك الكتاب) أي القرآن وقرئ قراءة شاذة بتخفيف نزل ورفع الكتاب  
 (بالحق) أي بالعدل في أحكامه أو بالصدق في أخباره وفي وعده ووعيده أو بالجميع المحققة انه من عند الله  
 تعالى أو بالقول الفصل وليس بالمرسل ولا بالمعاني الفاسدة المتناقضة (مصدق لما بين يديه) أي لما تقدمه  
 من الكتب السالفة في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله تعالى عما لا يليق بشأنه تعالى وفي الامر  
 بالعدل والاحسان وفي انباء الانبياء والامم الخالية وفي بعض الشرائع (وانزل التوراة) جملة على موسى  
 ابن عمران (والانجيل) جملة على عيسى بن مريم (من قبل) أي من قبل تنزيل القرآن (هدى  
 للناس) أي حال كونهم ما هادين من الضلالة أو انزل هذه الكتب الثلاثة لهداية الناس (وانزل  
 الفرقان) قيل المراد به الزبور فانه مشتمل على المواعظ الداعية الى الخير والزجر عن الشر الفارقة بين الحق  
 والباطل ثم المختار عند الفخر الرازي أن المراد من الفرقان هو المعجزات التي قرنها الله تعالى بانزال هذه  
 الكتب الثلاثة لانه لما أظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق دعوى الرسل حصلت المفارقة بين دعوى  
 الصادق ودعوى الكاذب فالمعجزة هي الفرقان (ان الذين كفروا بآيات الله) أي القرآن وغيره  
 كوفد بني نجران ونحوهم بأن كذبوا بالآيات الناطقة بالتوحيد والتنزيه المبشرة بنزول القرآن ومبعث  
 النبي صلى الله عليه وسلم (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم بها (والله عزيز) أي غالب لا يغلب  
 (ذو انتقام) أي عقوبة عظيمة فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو الانتقام اشارة الى كونه  
 فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل (ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء  
 هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) قصيرا أو طويلا حسنا أو قبيحا ذكر أو أنثى سعيدا أو شقيا  
 وهذه الآية واردة في الرد على النصارى وذلك أن النصارى ادعوا الهية عيسى بأمرين بالعلم والقدرة  
 فان عيسى كان يخبر عن الغيوب فيقول لهذا أنت أهك في دارك كذا وصنعت في دارك كذا وكان  
 يحيي الموتى ويرى الأكمه والابرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ثم انه تعالى  
 استدل على بطلان قولهم في الهية عيسى وفي التثليث بقوله تعالى الحي القوم فالاله يجب أن يكون حيا  
 قيوما وعيسى لم يكن كذلك فيلزم القطع بأنه لم يكن الها ولما قالوا ان عيسى أخبر عن الغيوب فوجب أن  
 يكون الها فرد الله عليهم بمقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء والمعنى لا يلزم من كونه  
 عالما ببعض الغيبات بأن يكون الها لاحتمال انه علم ذلك بتعليم الله تعالى له ذلك ولما قالوا ان عيسى  
 كان يحيي الموتى فوجب أن يكون الها فرد الله عليهم بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء والمعنى  
 ان حصول الاحياء على وفق قوله عليه السلام في بعض الصور لا يدل على كونه الها لاحتمال أن الله تعالى

أكرمه بذلك الأحياء انظار المجزئة وكراماته ولما قالوا يا أيها المسلمون أنتم توافقوننا على أن عيسى لم يكن له أب من البشر فوجب أن يكون أبنا لله فأجاب الله تعالى عن ذلك أيضا بقوله تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء فان هذا التصور لما كان من الله تعالى فان شاء صورته من نطفة الأب وان شاء صورته ابتداء من غير أب ولما قالوا والرسول صلى الله عليه وسلم أأست تقول ان عيسى روح الله وكلته فهذا يدل على انه ابن الله فأجاب الله عن ذلك بأن هذا اللفظ من باب التشابهات فوجب دله الى التأويل وذلك هو المراد بقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فظهر بذلك المذكور أن قوله تعالى الحى القيوم إشارة الى أن عيسى ليس بالاله ولا ابن الاله وأما قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شئ فهو جواب عن الشبهة المتعلقة بالعلم وقوله تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام جواب عن تمسكهم بقدرة عيسى على الأحياء ونحوه لانه لو قدر على الأحياء لقدرة على الامانة ولو قدر على الامانة لمات اليهود الذين قتلوه على زعم النصارى فثبت أن حصول الأحياء في بعض الصور لا يدل على كونه الها وهو جواب أيضا وعن تمسكهم بأن من لم يكن له أب من البشر فوجب أن يكون ابنا لله فكأنه تعالى يقول كيف يكون عيسى ولد الله وقد صورته في الرحم والمصور لا يكون أباً للمصور وأما قوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب الى آخر الآيات فهو جواب عن تمسكهم بما ورد في القرآن أن عيسى روح الله وكلته ثم انه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد زجر السائر النصارى عن قولهم بالتثليث فقال (لانه الا هو العزيز الحكيم) فالعزيز إشارة الى كمال القدرة والحكيم إشارة الى كمال العلم وهذا تثبت لما تقدم من أن علم عيسى ببعض الغيوب وقدرته على الأحياء في بعض الصور لا يكفي في كونه الها فان الاله لا بد وان يكون كامل القدرة وهو العزيز وكامل العلم وهو الحكيم (هو الذي أنزل عليك الكتاب) أى القرآن (منه آيات محكمات) أى محكمات العبارة محفوظة من الاحتمال قطعية الدلالة على المعنى المراد (هن أم الكتاب) أى أصل في الكتاب وعمدة ترد إليها آيات متشابهات ومثال التشابه قوله تعالى واذا أردنا أن نمهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فظاھر هذا الكلام انهم يؤثرون بأن يفسقوا والمحكم قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفسق اذ على الكفار فيما حكي عنهم واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آيةنا والله أمرنا بها والآية المتشابهة قوله تعالى نسوا الله فسيهم والآية المحكمه قوله تعالى وما كان ربك نسيا (وأخر متشابهات) أى وآيات آخر محتملات لمعان متشابهة لا يتضح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهرة لا بنظر دقيق وتأمل أنيق (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أى ميل عن الحق الى الأهواء الباطلة (فيتبعون ما تشابه منه) أى فيتعلقون بظواهر التشابه من الكتاب (ابتغاء الفتنة) أى طلب الفتنة في الدين وهي الضلال عنه فانهم متى أوقعوا تلك المتشابهات في الدين صار بعضهم مخالفا لبعض وذلك يفضي الى الهرج والتقاتل (وابتغاء تأويله) أى وطلب تأويل التشابه على ما ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان والمنصف يحمل الامر في الآيات على أقسام ثلاثة أحدها ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقاً وثانياً الذي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهرها وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فيكون من حقه التوقف فيه ويكون ذلك متشابهاً بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر الا ان الظن ارجح حاصل في اجرائها على ظواهرها (وما يعلم تأويله الا الله) أى وما يعلم تأويل المتشابه حقيقة الا الله وحده ونقل عن ابن

عما سدضى الله عنهما انه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير لا يمكن لاحد جهله وتفسير  
 تعرفه العرب بالسنتها وتفسير يعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تعالى (والراحمون في العلم يقولون  
 آمناه) أى بالكاتب (كل) أى كل واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) والراحمون في العلم  
 هو الذى عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القطعية وعرف أن القرآن كلام الله تعالى بالدلائل  
 اليقينية وعرف أنه تعالى لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا رأى شيئاً متشابهاً ودل الدليل القطعى على ان  
 الظاهر ليس مراد الله تعالى علم حينئذ قطعان مراد الله شئ آخر سوى ما دل عليه ظاهره ثم فوض تعيين  
 ذلك المراد الى الله تعالى وقطع بأن ذلك المعنى على أى شئ كان فهو الحق والصواب لانه علم أن ذلك  
 المتشابه لا بد وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى (وما يذكر الا أولوا الابواب) أى وما يتعظ بما فى  
 القرآن الا ذو العقول الكاملة الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائفة وهذا مدح للراحمين بجودة الذهن  
 وحسن النظر وهذه الآية دالة على علو شأن المتكلمين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية ويتوسلون بها  
 الى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ولا يفسرون القرآن الا بما يطابق دلائل العقول ويوافق اللغة  
 والاعراب ومن تكلم فى القرآن من غير أن يكون متبحراً فى علم الأصول وفى علم اللغة والنحو كان فى غاية  
 البعد عن الله تعالى ولما آمن الراحمون فى العلم بكل ما أنزل الله تعالى من المحكمات والمتشابهات  
 تضرعوا الى الله تعالى بقواهم (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) أى لا تغل قلوبنا عن دينك بعد  
 اذ هديتنا الدينك أو يقال ياربنا لا تجعل قلوبنا مائلة الى الباطل بعد أن تجعلها مائلة الى الحق (وهب لنا  
 من لدنك رحمة) أى نور لايمان والتوحيد والمعرفة فى القلب ونور الطاعة والعبودية والخدمة فى  
 الاعضاء وسهولة أسباب المعيشة من الامن والعمرة والكفاية فى الدنيا وسهولة سكران الموت عند الموت  
 وسهولة السؤال والظلمة فى القبر وغفران السيئات وترجى الحسنات فى القيامة (انك أنت الوهاب)  
 لكل مطلوب فان هذا الذى طلبته منك فى هذا الدعاء عظيم بالنسبة الى لكنك حقير بالنسبة الى كمال  
 كرمك وغاية جودك ورحمتك وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على  
 دينك (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أى ياربنا انك تجمع الناس للجزاء فى يوم لا شك فى  
 وقوعه فجازنا فيه أحسن الجزاء (ان الله لا يخلف الميعاد) أى الوعد وهذا من بقية كلام الراحمين فى  
 العلم وذلك لانهم لما طلبوا من ربهم أن يهونهم عن الزيف وأن يخصهم بالهداية وأنواع الرحمة فكأنهم  
 قالوا ليس غرضنا من هذا السؤال ما يتعلق بعصالح الدنيا فانهم منقرضه وانما غرضنا الاعظم منه ما يتعلق  
 بالآخرة فانا نعلم انك يا الله ناجم الناس للجزاء فى يوم القيامة ونعلم ان وعدك بالجزاء والحساب والميزان  
 والصراط والجنة والنار لا يكون خلف فن زاع قلبه بقى هناك فى العذاب أبداً لا يبادى من أعطيته الهداية  
 ورحمة بقى هناك فى السعادة والكرامة أبداً لا يبادى (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم  
 ولا أولادهم) أى ان الذين كفروا كعب بن الاشرف وأصحابه وأبى جهل وأصحابه لن تنفعهم كثرة  
 أموالهم وكثرة أولادهم (من الله) أى من عذاب الله أو عند الله (شيئاً) وقيل ان المراد بهم ولادهم وفد  
 لجهنم وفلك لان أباحارثة بن علقمة قال لآخيه كرزاني لا أعلم أن محمداً رسول الله حقاً وهو النبي الذى كنا  
 نتظره ولكننى ان أظهرت أيمانى بمحمد أخذ ملوك الروم منى ما أعطوني من المال الكثير والجاه فأن الله  
 تعالى بين ان أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله فى الدنيا والآخرة نعم ان اللفظ عام وخصوص  
 السبب لا يمنع عموم اللفظ (وأولئك) المتصفون بالكفر (هم وقود النار) أى حطب النار الذى

تسعر به (كذاب آل فرعون) أي شأن هؤلاء في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم كشأن آل فرعون في التكذيب عومي (والذين من قبلهم) أي من مكذبي الرسل كقوم هود وقوم صالح (كذبوا بآياتنا) وهي المعجزات ومتى كذبوا ما فقد كذبوا بالأنبياء بلا شك (فأخذهم الله بذنوبهم) أي عاقبهم الله بتكذيبهم المعجزات الدالة على صدق الرسل وأما الاستعمل الأخذ في العقاب لأن من ينزل به العقاب يصير كالمأسور المأخوذ الذي لا يقدر على النخلص (والله شديد العقاب) وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما غزا قريشا في بدر ورجع إلى المدينة جمع يهود بني قينقاع في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا يوم بدر فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك إن قتلت نفرا من قريش أنهارا لا يعرفون القتال لو قتلتنا لعرفت فأمر الله تعالى قومه هذا (قل للذين كفروا) هم يهود بني قينقاع (ستغلبون) عن قريب في الدنيا وقد صدق الله تعالى وعده بقتل بني قريظة فقد قتل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في يوم واحد ستمائة جمعهم في سوق بني قينقاع وأمر السياف بضرب أعناقهم وأمر بجفر حفرة ورميهم فيها وأجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على أهلها وبالامر على بعض كل (وتحشرون) في الآخرة (إلى جهنم) دلت الآية على حصول البعث في يوم القيامة والنشر والحشر وعلى أن مرد الكافرين النار (وبئس المهادر) أي الفراش جهنم وقرأ حمزة والكسائي بالغيبة في الغلين أي بلغهم أنهم سيغلبون ويحشرون والباقون بالخطاب أي قل لحسم في خطابك أيهم ستغلبون وتحشرون والفرق بينهما أنه على الخطاب يكون الأخبار بمعنى كلام الله تعالى وعلى الغيبة يكون بلغظه (قد كان لكم) أيها اليهود (آية) أي علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (في قمتين) أي فرقتين (التفتا) بالقتال يوم بدر (مئة تقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا بين كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة وثمانون السيوف ثمانية ومن الخيل فرسان للفعدان بن عمرو وارتد بن أبي مرثد (وأخرى كافرة) أي وجماعة أخرى كافرة بالله والرسول وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وقادوا مائة فرس وكانت معهم من الأبل سبعمائة وأهل الخيل كلهم كانوا دارعين وكان في الرجال دروع سوى ذلك (يرونها مثلهم رأي العين) أي يرى المشركون المؤمنين مثل عدد المشركين قريش من ألفين أو مئتي عدد المسلمين ستمائة ونيغوا عشرين رأيا ظاهر أعيانا بالعين في ذلك أنه تعالى كثر المؤمنين في أعين المشركين مع قتلهم ليها يوههم فيحترزوا عن قتالهم قال ابن عباس يرون أنفسهم مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عباس عن عاصم من السبعة ويعقوب ترونهم بالخطاب والمعنى ترون أيها اليهود المشركين مثل المؤمنين في القوة والشوكة ومع ذلك غلبهم المؤمنون مع قتلهم جدا فيكون هذا أبلغ في إكرام المؤمنين وعناية الله بهم (والله يؤيد) أي يقوى (بنصره من يشاء) ولو بدت الأسباب العادية (إن في ذلك) أي في نصرته الله الحمد يوم بدر ويقال أي في رؤية القليل كثيره غلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح (لعبرة) أي لعظة عظيمة (لاولى الأبصار) أي لذوى العقول ووجه نظم هذه الآية أن الآية المتقدمة وهي قوله تعالى ستغلبون تزلت في شأن اليهود وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى الإسلام أظهروا التمرد وقالوا السنأ أمثال قريش في الضعف وقلة المعرفة بالقتال بل معنا من الشوكة والمعرفة بالقتال ما يغلب كل من ينازعنا والله تعالى قال لحسم أنكم وان كنتم أقوى وأرباب



العدة والعدة فانكم ستغلبون ثم ذكر الله تعالى ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك القول فقال قد كان  
لكم آية في فتيين التقتا ثم قيل رويانا ان اباحرته ابن علقمة النصراني اعترف لاختيه بانه يعرف  
صدق محمد صلى الله عليه وسلم في قوله الا انه لا يقرب بذلك خوفا من أن يأخذ منه ملوك الروم المال والجاء  
وأيضار وينا أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهر وامن أنفسهم القوة  
والشدة والاستظهار بالمال والسلاح فبين ان الله تعالى ان هذه الاشياء وغيرها من متاع الدنيا زائلة وان  
الآخرة خير وأبقى فقال (زين للناس خب الشهوات) أي الاشياء المشتبهات (من النساء) وانما  
قدمهن على الكل لان الالتذاذ من أكثر والاستئناس بهن أتم (والبنين) ولما كان حب الولد الذكور  
أكثر من حب الانثى خصه الله تعالى بالذكر ووجه التمتع بهم من حيث السرور بهم وغير ذلك (والقناطير  
المنظرة من الذهب والفضة) والقنطار بلسان الروم مل مسلك ثور من ذهب أو فضة والقنطار واحد  
والقناطير ثلاثة والمنظرة تسعة ومعنى القناطير المنظرة أي الاموال المجموعة أو الاموال المضروبة  
المقبوضة حتى صارت دراهم ودنانير وانما كانا محبوبين لانهما جعلتا من جميع الاشياء فمالكهما كالملك  
لجميع الاشياء (والحييل المسومة) أي المظهمة الحسان بأن تكون غرامحيلة (والانعام) وهي  
الابل والبقر والغنم (والحسث) أي المزروع (ذلك) أي جميع ما سبق (متاع الحياة الدنيا)  
أي منفعة للناس في الدنيا ثم تفنى (والله عنده حسن المآب) أي المرجع في الآخرة وهو الجنة (قل)  
يا أشرف الخلق للكفار أو الناس عامة وهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ما أجمل أولا في قوله  
تعالى والله عنده حسن المآب (أو نبشكم بخير من ذلكم) أي زينة الدنيا (للذين اتقوا) أي تبتلوا  
الى الله تعالى وأعرضوا عما سواه فلا تشغلهم الزينة عن طاعة الله تعالى (عند ربهم جنات تجري من  
تحتها الانهار) أي عند ربهم بساكنات تطرد من تحت شجرها ومساكنها أنهار الحمر والعسل واللبن والماء  
(خالدين فيها) أي مقعين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وأزواج مطهرة) أي مهذبة من الحيض  
والنفاس والبصاق والمي وتشويه الخلقة وسوء العشرة والاخلق الذميمة (ورضوان من الله) ورضار بهم  
أكبر عاينهم فيه من النعيم (والله بصير بالعباد) أي بأحوال الذين اتقوا ثم وصفهم بقوله (الذين  
يقولون) في الدنيا (ربنا اننا آمننا) بل وبر رسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) أي استرها وتجارز عنا  
(وقم عذاب النار) أي ادفع عنا ذلك (الصابرين) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه وعلى  
المرأى (والصادقين) في أيمانهم وأقوالهم ونياتهم (والقانتين) أي المواظبين على العبادات  
(والمتقين) أموالهم في سبيل الله (والمستغفرين بالامحار) أي في أواخر الليل بأي صيغة كانت  
وقيل أي المصلين التطوع فيها وأعظم الطاعات قدرا أمران أحدهما الخدمة بالمال واليه الاشارة بقوله  
صلى الله عليه وسلم الشفقة على خلق الله والاشارة بقوله تعالى هنا والمتقين وثانيها الخدمة بالنفس واليه  
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لأمر الله والاشارة بقوله تعالى هنا والمستغفرين بالامحار  
(شهد الله) أي بين خلقة بالدلائل السمعية والايات العقلية (أنه لا اله) أي لا مستحق للعبودية  
موجود (الا هو والملائكة وأرسلوا العلم) وهم الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل الناطقة لان الشهادة  
انما تكون مقبولة اذا كان الاخبار مقررنا بالعلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس  
فاشهد وهذا يدل على أن الدرجة العالية والمرتبة الشريفة ليست الا لعلماء الاصول فشهادة الله تعالى على  
توحيده هو أنه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة وأولى العلم هي اقرارهم بتوحيده تعالى

(قائما بالقسط) أي مقبلا للعدل في جميع أموره وهذا بيان لسكاته تعالى في أفعاله بعد بيان كماله في ذاته  
(لأنه الإله العزيز الحكيم) فالعزة في الملكة لا تتم الوحدانية والحكمة في الصنع لا تتم القيام بالقسط قال  
المكلمي قدم حبران من أحبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فقالا له أنت محمد قال نعم قال له وأنت  
أحمد قال أنا محمد وأحمد قال فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال لهما سلا قال  
أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجلان وفي المدارك من  
قرأها عند منامه وقال بعدها أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي عنده وديعة يقول الله  
يوم القيامة إن لعبدى هذا عهدى وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة (إن الدين عند الله  
الأسلام) فلا دين مرضيا لله تعالى سوى الإسلام الذى هو التوحيد والتدرج بالشريعة الشريعة  
التي عليها الرسل عليهم السلام نزلت هذه الآية لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية وادعت  
النصارى أنه لا دين أفضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك وقال إن الدين عند الله الإسلام وقرأ  
الكسائي يفتح همزة ن وهو ما يدل من أنه بدل كل من كل إن فسر الإسلام بالتوحيد نفسه أي بالإيمان  
بكونه تعالى واحدا أو بدل كل من بعض إن فسر الإسلام بالشريعة فإنها تشمل على التوحيد والعدل  
ونحوهما أو معطوف على أنه محذوف حرف العطف أو مبنى على أن شهودا وقع على أن الدين إما باجراه  
أنه على التعليل والتقدير شهد الله لأجل أنه لا إله إلا هو أن الدين الآية أو باجرائه على قراءة ابن عباس  
وهو بكسره على جعل جملة أنه اعتراضا وعلى إيقاع شهد على أن الدين من باب تقديم وتأخير والتقدير  
شهد الله أن الدين عند الله الإسلام وشهد بذلك الملائكة والنبيون والمؤمنون أو بأجرائه شهد مجرى  
قال مع جعل أن الدين معمولا للحكيم باسقاط الجار أي الحكيم بأن الدين إما جعله بدل الاشتغال من أنه  
ممتنع بذلك التفسير لأنه صار البدل أشمل من المبدل منه ولأن شرط بدل الاشتغال أن يكون المحاطب  
منتظرا للبدل عند سماع المبدل منه وهنا ليس كذلك ولا سيما أن هنا فصلا بين البدل والمبدل منه  
بأجنى (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أي أعطوا التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى في  
دين الإسلام وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش لأنهم أميون  
ونحن أهل الكتاب (المن بعد ما جاءهم العلم) أي الدلائل التي لو نظر وأفيها لحصل لهم العلم (بغيا  
بينهم) أي لأجل الحسد الكائن بينهم وطلب الرياسة للشبهة وخفاء في الأمر (ومن يكفر بآيات الله)  
الناطقة بأن الدين عند الله هو الإسلام بأن لم يعمل بمقتضاها (فإن الله سريع الحساب) أي فإن الله  
بجأزيه على كفره عن قريب فإنه يأتي حسابه عن قريب (فإن حاجوك) أي خاضعك اليهود والنصارى  
في أن الدين عند الله الإسلام بعد قيام الحججة عليهم (فقل أسلمت وجهي) أي أخلصت نفسي أو على  
(الله) لا أشرك به في ذلك غيره (ومن اتبعن) عطف على التاء أي وأسلم من اتبعن أو مفعول  
معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) أي اليهود والنصارى (والأمة) أي الذين لا كتاب لهم وهم  
مشركوا العرب (أسلمتم) أي فهل أسلمتم بعد أن أتاكم من البينات ما وجب الإسلام ثم أنتم على  
الكفر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال على الله  
عليه وسلم لليهود أن تشهدون أن عيسى كلمة الله وعبداه ورسوله فآمنوا معاذ الله وقال على الله عليه وسلم  
لنصارى أن تشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فآمنوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا (فأسلموا) كما  
أسلمتم (فقد اهتدوا) للفرز والنجاة في الآخرة (وانقولوا) عن الإسلام والاتباع لدينك لم يضروك

شيئا (فانما عليك البلاغ) أى ابلاغ الأدلة واظهار الحجج فاذا بلغت ما جاء بك عن الله فقد أدبت ما عليك وليس عليك قبولهم (وانته بصير بالعباد) أى عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن فيجازى كلامهم بعلمه (ان الذين يكفرون بآيات الله) أى بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين بغير حق) أى بلا حرم (ويقتلون الذين يأمرون بالقط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) أى قاعلمهم بعذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم روى عن أبي عبيدة بن الجراح انه قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثناعشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمر وأمن قتلهم بالمعروف ونهى عن المنكر فرقتوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم قال الحسن هذه الآية تدل على ان القائم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الخوف تلى منزلته في العظم منزلة الانبياء وروى أن رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (أولئك المتصفون بالصفات القيحية) (الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أى بطلت محاسن أعمالهم في الدارين أما بطلانها في الدنيا فبإبدال المدح بالذم والثناء باللعن وبما ينزل بهم من القتل والسبي وأخذ المال منهم غنية والاسترقاق لهم الى غير ذلك من الذل الظاهر فيهم وأما بطلانها في الآخرة فبإزالة الثواب الى العقاب (ومالهم من ناصرين) من عذاب الله في إحدى الدارين (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أى حظا من علم التوراة وهم العلماء منهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد كما أخرجهم بن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (يدعون الى كتاب الله) أى التوراة (ليحكم) أى كتاب الله (بينهم) وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (تم يتولى فريق منهم) أى يعرض طائفة منهم بنو قريظة والنضير من أهل خيبر عن الحكم (وهم معرضون) أى مكذبون بذلك روى عن ابن عباس ان رجلا وامرأة من اليهود زنيا في خيبر وكانا ذوى شرف وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرجعوا الى أمرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يكون عنده رخصة في ترك الرجم فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى وعدى بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فان فيها الرجم فن أعلمكم بالتوراة قالوا عبد الله بن صور يا الغدكى فأخا به وأحضرنا التوراة فقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام قد جاء وزموضعها يا رسول الله فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله وعلى اليهود ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة فزجما وان كانت حبلى تبرص حتى تمضي ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فزجما فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ذلك) أى التولى والاعراض (بأنهم قالوا لن نؤمنسنا النار) أى لن تصيبنا في الآخرة (الا أياما معدودات) أى سبعة أيام (وغيرهم في دينهم) أى في ثباتهم على دينهم اليهودية (ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما أشبهه (فكيف) صنعهم (اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) أى في يوم لا شك في مجيئه (ووفيت كل نفس) برة وفاجرة (ما كسبت) أى جزاء ما عملت من ثواب أو عقاب (وهم لا يظلمون) فلا ينقص احد من ثواب الطاعات ولا يزد على عقاب السيئات (قل اللهم مالك الملك) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال

المنافقون منهم عبد الله بن أبي بن سلول واليهود هيئات هيئات من أين لمحمد ملك فارس والروم أولم يكف  
 محمد أهله والمدينة حتى يطعم في ملك فارس والروم فنزلت هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما خطب  
 الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق حفرة  
 كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاويل فوجهوا أسلماً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره فذهب إليه لحاء  
 رسول الله وأخذ المعول من سلمان فلما ضرب بها ضربة صدعها وبرق منها برق أضأه ما بين لا يتيها أي المدينة  
 كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال صلى الله عليه وسلم أضأه لي منها قصور الحيرة  
 كأنها أبواب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضأه لي منها القصور المحرمة من أرض الروم ثم ضرب الثالثة  
 فقال أضأه لي منها قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون  
 "لا تهيجون من نبيكم يعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وإنها تنفتح  
 لكم وأنتم أنما تحفرون الخندق من الخوف فنزلت هذه الآية وروى أنها نزلت في شأن قريش لقولهم  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم كسر عيسى نام على فرش الديباج فان كنت نبياً فأين ملكك (تؤق الملك)  
 أي تعطي الملك في الدنيا (من تشاء) من خلعتك (وتنزع الملك عن تشاء) منهم أبا الموت وأزالة العقل  
 وأزالة القوى والحواس أو بورود التلف على الأموال أو بسلب الملك (وتعزم من تشاء) بالإيمان والحق  
 وبالأموال الكثرة من الناطق والصامت وبالقائه الهيبة في قلوب الخلق (وتذل من تشاء) بالكفر  
 والباطل (بيدك الخير) أي بقدرتك العز والذل والغلبة والنصرة (اذل على كل شيء) من ذلك (قدير  
 توج الليل) أي تدخل بعض الليل (في النهار) فيكون النهار أطول من الليل (وتخرج النهار في الليل)  
 أي تدخل بعض النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار (وتخرج الحي من الميت) أي تخرج  
 النحلة من النطفة والدجاجة من البيضة والسنبلة من الحب والطيب من الخبيث كالتوبة من الذنب  
 والمؤمن من الكافر كسيدنا عكرمة من أبي جهل فالمسلم حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد (وتخرج الميت من  
 الحي) أي تخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الطير والحب اليابس من النبات الحي والخبيث من  
 الطيب كالأجيب من العبادة والكافر من المؤمن ككنعان من سيدنا نوح عليه السلام (وترزق من تشاء  
 بغير حساب) أي بلا تكلف ولا ضيق قال أبو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة  
 أوجه بمعنى التعب قال تعالى رزق من تشاء بغير حساب ويعني العبد قال تعالى انما يوفي الصابرون  
 أجرهم بغير حساب ويعني المطالبة قال تعالى فأمّن أو أمسك بغير حساب (لا يتخذ المؤمنون  
 الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أي لا يوال المؤمنون الكافرين لا استقلالاً ولا اشتراكاً مع المؤمنين  
 وانما الجائر لهم قصر الموالاة والمحبة على المؤمنين بأن يوال بعضهم بعضاً فقط واعلم أن كون المؤمن موالياً  
 للكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضياً بكفره ويتولاه لاجله وهذا ممنوع لأن الرضا بالكفر كفر  
 وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع وثالثها أن يكون الكفار والمعونة  
 والنصرة أما بسبب القرابة أو بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر إلا أنه منهي عنه  
 لأن الموالاة بهذا المعنى قد تجر إلى استهسان طريقته والرضا بدينه وذلك يخرج عن الإسلام فهذا هو الذي  
 هدد الله فيه بقوله (ومن يفعل ذلك) أي الموالاة مع الكافرين بالاستقلال أو بالاشتراك مع المؤمنين  
 (فليس) أي الموالى (من الله في شيء) أي ليس من ولاية الله في شيء يطلق عليه اسم الولاية (الان تنفوا  
 منهم تقاء) أي لا تتخذوا الكافرين أولياء ظاهراً أو باطناً في حال من الأحوال إلا حال اتفاقكم من جهتهم

اتقياء والمعنى ان الله نهى المؤمنين عن مداينة الكفار الا ان يكون الكفار غاليين أو يكون المؤمن في قوم  
كفار فيداهنهم بلسانه مطمئنا قلبه بالإيمان دفعاعن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير  
ذلك من المحرمات ومن غير أن يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الامع خوف القتل مع  
صحة النية روى عن الحسن أنه قال التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة لان دفع الضرر عن النفس  
واجب بقدر الامكان قال الحسن أخذ مسيلة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال لأحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم نعم فقال أفتشهد أني رسول الله قال نعم فتركه ودعا  
الآخر فقال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أفتشهد أني رسول الله فقال اني أصم ثلاثا فقدمه وقتله  
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما هذا المقتول فضي على يقينه وصدقه فنهيناه واما الآخر  
فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه (ويحذركم الله نفسه) أي ذاته المقدسة في التقية عن دم الحرام وفرج  
الحرام ومال الحرام وشرب الخمر وشهادة الزور والشرك بالله (والى الله المصير) أي المرجع  
فاحذروه ولا تعرضوا لخطئه بخالفه أحكامه والمعنى ان الله يحذركم عقابه عن دم الحرام وفرج  
تحقوا ما في صدوركم أي ما في قلوبكم من البغض والعداوة فمجد صلى الله عليه وسلم (أو تبدوه) أي  
تظهروه بالشتمه والطعن والحرب (يعلمه الله) أي يحفظه الله عليكم فيجازيكم به (ويعلم ما في السموات  
وما في الارض) من الخير والشر والسر والعلانية (والله على كل شيء) من أهل السموات والارض  
وثوابهم وعقابهم (قدير) نزلت هذه الآية في حق المنافقين واليهود (يوم تجد كل نفس ما عملت من  
خير محضرا) أي مكتوبا في ديوانها (وما عملت من سوء) أي من قبيح تجده مكتوبا في ديوانها (تود  
لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) أي والذي عملته نفس من سوء تمنى تباعد ما بين النفس وبين السوء  
مكثا بعيدا كما بين المشرق والمغرب لو أن بينها وبينه أجلا طويلا من مطلع الشمس الى مغربها لغرحت  
بذلك (ويحذركم الله نفسه) عند المعصية ذكر الله تعالى هذا أولا للتمنع من مولاة الكافرين وثانيا للحث على  
عمل الخير والتمنع من عمل الشر (والله رؤوف بالعباد) أي المؤمنين أي كما هو منتقم من الفساق فهو رؤوف  
بالمطيعين والمحسنين (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) أي فاتبعوا ديني فانكم اذا اتبعتم ديني  
فقد أطعتم الله فانه تعالى يحب كل من أطاعه (يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) أي ان اتبعتم  
شريعتي يرض الله عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجارز عما سلف من ذنوبكم (والله غفور رحيم)  
لمن يتحجب اليه بطاعته نزلت هذه الآية في حق اليهود لقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الضحاك عن  
ابن عباس وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قریش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا  
عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها السنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قریش والله لقد خالفتم ملة  
أبيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قریش انما نعبد هاهنا حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان  
نصارى نجران قالوا انما نعظم المسيح حبا لله فنزلت هذه الآية ولما نزلت قال عبد الله بن أبي لهعة ان  
محمد يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى المسيح وقالت اليهود يريد محمد أن  
نخذه ربنا حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فأنزل الله بسبب قولهم قوله تعالى (قل أطيعوا الله  
والرسول) أي في جميع الاوامر والنواهي أي انما أوجب الله عليكم متابعتي لا كما تقول النصارى في  
عيسى بل اكوني رسولا من عند الله (فان تولوا) أي أعرضوا عن طاعتها (فان الله لا يحب الكافرين)  
أي اليهود والمنافقين الذين ألغوا شبهة في الدين فلما نزلت هذه الآية قالت اليهود نحن على دين آدم مسلمين

فأنزل الله قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم) اسمعيل وإسماعيل والانبيا من أولادهما  
الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم (وآل عمران) موسى وهارون وقيل عيسى وأمه  
حكاة الكرماني ورجحه ابن عساكر والسهيلي (على العالمين) أي على أهل زمان كل واحد منهم - م  
بالاسلام وبالحصال الحميدة (ذرية بعضها من بعض) أي اصطفى الآلين حان كونهم ذرية متسلسلة  
متشعبة البعض من البعض في النسب (والله مميح) لا قوال العباد (عليم) بضمائرهم وأفعالهم  
وانما يصطفى من خلقه من يعلم أسس أمته قولا وفعلوا ويقال والله مميح لقائه اليهود نحن من ولد إبراهيم  
ومن آل عمران فنحن أبناء الله وأحباؤه وعلى دينه ولقائه النصارى المسيح ابن الله عليهم بعتوبتهم واذكر  
يا محمد (اذ قالت امرأت عمران) حنة بنت فاقودا أم مريم حين شاخت وكانت يومافى ظل شجرة فقرأت  
طائرا يطعم فرخانه فتحركت نفسها للولد قد عتد بها أن يهب لها ولدا فحملت بمريم ومات عمران فلما عرفت  
بالحمل قالت يا (رب اني نذرت) أن أجعل (لك ما في بطني محررا) أي عتيقا من أمر الدنيا لطاعة  
الله ومخلصا للعبادة وحاد ما لن يدرس الكتاب ويعلم في مسجد بيت المقدس (فتقبل مني) أي خذ مني  
مانذرتك على وجه الرضا (انك انت السميع) لتضرعي بدعائي ونذاتي (العليم) بما في ضميري وقلبي  
ونيتي (فلما وضعتها) أي ولدت المنذورة التي في بطنها (قالت رب اني وضعتها) أي ما في بطني (أنثى  
والله أعلم بما وضعت) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وضعت بضم التاء على حكاية كلامها وانما قالت  
ذلك للاعتذار ولازالة الشبهة التي في قولها اني وضعتها أنثى فانها خافت ان يظن بذلك القول أنها تخبر الله  
تعالى وقرأ الباقر بسكون التاء أي أنه تعالى قال والله أعلم بما وضعت تعظيما لولدها وتجهيلا لها به - در  
ذلك الولد والمعنى والله أعلم بأن الذي ولدته وان كان أنثى أحسن وأفضل من الذكر وهي غافلة عن ذلك  
فلذلك تحسرت وقرأ ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب  
والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات ثم قال تعالى حكاية عن قولها (وليس الذكر كالأنثى) أي  
وليس الذكر الذي يكون مطلوب كالأني التي هي موهوبة لله وهذا الكلام يدل على ان حنة كانت  
مستغرقة في معرفة جلال الله عاله بأن ما فعله الرب بالعبد خير مما يرده العبد لنفسه ويحتمل أن هذه  
الجملة محض كلامه تعالى والمعنى ليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي ولدتها بل هي خير منه وان لم  
تصلح للسدانة فان فيها مزايا أخرى لا توجد في الذكر (واني مميحتها) أي هذه البنت (مريم) أرادت حنة  
بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا فان مريم في لغتهم العبادية في  
لغة العرب (واني أعيد ذهابك وذريتهما من الشيطان الرجيم) أي واني ألجئ مريم وذريتها إلى  
رحمتك وعصمتك وألصق نفسي بها وأولادها بفضلك ورحمتك من الشيطان اللعين (فتقبلها ربها  
بقبول حسن) بأن اختص الله تعالى مريم بإفادتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل أنثى قبلها أو بأن  
أخذها الله من أمها عقب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روى أن حنة حين ولدت مريم لغتها في  
خرقة وحملت إلى المسجد وضعتها عند الاحبار أبناء هرون وقالت خذوا هذه النذيرة فتنافسوا فيها  
لانها كانت بنت امامهم الاعظم في العلم والصلاح فقال ذكر يا أباناحق بها لان حالتها عندي فقالت  
الاحبار لا تقل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس ما تركت لامها التي ولدتها ولا كنانة ترفع عليها فانطلقوا  
وكانوا تسعة وعشرين إلى نهر جارف في حلب يقال له قرقمق فألقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة بها  
على أن كل من ارتفع قلبه فهو راجع وعلى كل قلم اسم صاحبه ثم ألقوا أقلامهم ثلاث مرات ففي كل مرة



يرتفع قمر زكريا فوق الماء وترسب أقلامهم فاخذها زكريا (وابتها بياحسنا) أي رباعا لله سبحانه  
يصلها في جميع أحوالها وغازها بالسنين والشهور والأيام غدا حسنا (وكفلها زكريا) أي جعله  
الله مربيا لها وضامنا لمصالحها وقائما بتدبير أمورها ولما أخذها بنى لها غرفة في المسجد وجعل بابها في  
وسطه لا يرقى إليه إلا بالسلم ولا يصعد إليها غيره وكان إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يأتيها بأكلها  
وشربها ودونها (كلما دخل عليها زكريا) وهو من ذرية سليمان بن داود (المحراب) أي الغرفة  
(وجد عند هارزفا) أي فاكهة الشتاء في الصيف مثل القصب وفاكهة الصيف في الشتاء مثل العنب  
ولم ترضع نديا قط بل يأتيها رزقها من الجنة (قال يا مريم أني لك هذا) أي من أين لك هذا الرزق الآتي  
في غير حينه الذي لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة عليك (قالت هو من عند الله) أتاني به جبريل  
من الجنة فتكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولد هاعيسى عليه السلام وهو صغير في المهد (إن الله  
يرزق من يشاء بغير حساب) أي بغير تقدير لكثرة الرزق أو من غير مسئلة في حينه وفي غير حينه  
(هناك) أي في ذلك المكان الذي كان قاعدا فيه عند مريم وشاهد تلك الكرامات أو في ذلك الوقت  
الذي رأى فيه خوارق العادات عندها (دعا زكريا ربه قال) في مناجاته في جوف الليل (رب هب لي  
من لدنك ذرية طيبة) أي رب اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ولد مبارك كما تقيصا للحارضا  
كهيبتك لحنسة الجوز العاقر مريم (إنك سميع الدعاء) أي مجيب الدعاء (فنادته الملائكة) أي  
جبريل كما أخرج ابن جرير عن السدي (وهو قائم يصلي في المحراب) أي في الموضع العالي الشريف  
في المسجد (أن الله يبشرك) بولديسمي (يحيى) قرأ ابن عامر وخمزة أن بكسر الهمزة والياء قون بالغ  
(مصدقا بكلمة من الله) أي بعيسى بن مريم معني كونه كلمة من الله كونه مخلوقا بلا أب قال ابن عباس  
إن يحيى كان أكبر سننا من عيسى بستة أشهر وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله ثم قتل يحيى  
قبل رفع عيسى عدة يسيرة (وسيدا) أي رئيسا للمؤمنين في العلم والحلم والعبادة والورع قال ابن عباس  
أي حلما عن الجهول وقال مجاهد أي كريما على الله (وحصورا) أي مانعا من النساء للعفة والزهد  
لا لاهز (ونبيان الصالحين) أي من المرسلين (قال رب أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر) أي قال  
زكريا لجبريل يا سيدي من أين يكون لي ولد وقد أدركني كبر السن (وامرأتى عاقر) أي عقيم لا تلد  
قال ابن عباس كان زكريا يوم بشر با ولدا بن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته أيشاع بنت فاقود بنت  
تسعين وثمان (قال) أي جبريل (كذلك) أي الأمر كما قلت لك من خلق ولد منككرا أنتماعا على حالكم  
من الكبر (الله يفعل ما يشاء) من الإقاعيل الخارقة للعادة (قال) أي زكريا (رب اجعل لي آية)  
أي علامة في جبل امرأتى (قال) أي الله تعالى (آيتك) أي علامتك في جبل امرأتك (أن لا تكلم  
الناس) أي أن لا تقدر على تكليمهم من غير خرس (ثلاثة أيام) متوالية بلياليها (الارمرا) أي  
الاحتراق بالشفتين والحاجبين والعينين واليدين (واذكر ربك) باللسان والقلب في مدة الحبسة  
عن كلام الدنيا مع الخلق شكر الله تعالى على هذه النعمة (كثيرا) أي ذكر كثيرا كثيرا على كل حال  
(وسبح بالعشي والابكار) أي صل عشا وغدوة كما كنت تصلي (و) اذكر (اذ قالت الملائكة) أي  
وجبريل لمريم مشافهة (يا مريم إن الله اصطفاك) بتفريغك لعبادته وتخصيصك بأنواع اللطف والهداية  
والعصمة والسكافية في أمر المعيشة ومهاج كلام جبريل شفاهها (وطهرك) من المعصية ومسيس الرجال  
ومن الأفعال الذميمة ومن مقالة اليهود وبنوهم ويقال أنجباك من القتل (واصطفاك على نساء العالمين)

بولادة عيسى من غير أب ونطقه حال انفصاله من مريم حتى شهد ببراءتها عن التهمة وروى انه صلى الله  
 عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهن  
 السلام (يا مريم اقنتي لربك) أي دومي على طاعته بأنواع الطاعات شكر ذلك ويقال أطيلي القيام  
 في الصلاة شكر الربك (واسجدي) أي صلى منفردة (واركعي مع الراكعين) أي صلى مع أهل  
 الصلاة في بيت المقدس فان اقتداء النساء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء قال  
 المفسرون لما ذكرت الملائكة هذه الكلمات على مريم شفاها قامت مريم في الصلاة حتى ورمت قدميها  
 وسال الدم والقبح من قدميها (ذلك) الذي مضى ذكره من حديث خنثى ومريم وزكريا (من أنباء الغيب)  
 أي من اخبار الغائب عنك يا محمد (فوحى اليك) أي نزل جبريل بالقائه الغائب اليك (وما كنت لديهم)  
 أي عند الذين تنازعوا في تربيته مريم (اذ يلفون أقدامهم) التي كانوا يكتبون بها الكتب في جرى الماء ليعلموا  
 (أيهم يكفل مريم) أي أي أحدهم يربي مريم وكان القراع على أن كل من جرى قلبه على عكس جرى  
 الماء فالحق معه (وما كنت لديهم اذ يختصمون) أي وما كنت هناك اذ يتقارعون على تربيته مريم واذ  
 يختصمون بسببها (اذ قالت الملائكة) أي جبريل (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) أي بولد يكون مخلوقا  
 بكلمة من الله أي من غير واسطة الاسباب العادية فان غير عيسى من كل علق وان وجد بكلمة كن  
 لكنه بواسطة أب (اسمه) أي الولد (المسح) سمي بالمسح لانه يسح في البلدا ولانه ماسح بيده  
 ذاعاؤه الا برئ من مرضه (عيسى بن مريم) وانما نسبته الله تعالى الى الاماعلام لها بأنه محدث بغير  
 الاب فكان ذلك سببا لزيادة فضله وعلو درجته (وجيها) أي ذابجا وشرف (في الدنيا) بالنبوة  
 وبأحياء الموتى وبإبراء الالكه والارض بسبب دعائه (والآخرة) يجعله شفيصا أمته وبقبول شفاعته  
 فيهم وبعلو درجته عند الله تعالى (ومن المقربين) الى الله في جنة عدن وهذا الوصف كالتمنيبه على ان  
 عيسى سيرفع الى السماء وتصاحبه الملائكة (ويكلم الناس في المهد) أي في حجر أمه وهو ابن أربعين  
 يوما بقوله أتى عبدا لله (وكهلا) أي بعد ثلاثين سنة أي ان عيسى يكلم الناس مرة واحدة في حجر أمه  
 لاظهار طهارة أمه من الفاحشة ثم عند الكهولة يتكلم بالنبوة (ومن الصالحين) أي من المرسلين  
 (قالت رب أنى يكون لى ولد) أي قالت مريم لجبريل ياسيدى من أين يكون لى ولد (ولم يعسنى بشر)  
 بالجلال ولا بالحرام لان المحررة لا تزوج أبدا كالكاذب المحرر (قال) أي جبريل (كذلك) أي  
 الامر كما قلت لك من خلق ولد منك بلا أب (الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا) أي اذا أراد خلق شئ  
 (فاغيا يقول له كن) لا غير (فيكون) من غير ريث فنفع جبريل في جيب درعها فوصل نفسه الى  
 فرجها فدخل رحمها فله لت منه (ويعلمه الكتاب) قرأ نافع وعاصم بعلمه بالياء معطوف على الحال  
 وهي قوله وجيها فكان جبريل قال وجيها وعلمه أو على يبشرك وتعلمه بالنون معمول لقول  
 محذوف من كلام الملك تقدره وجيها ومقولا فيه تعلمه أو ان الله يبشرك بعيسى ويقول تعلمه كتب الانبياء  
 والكتابة أي الخط (والحكمة) أي العلم المقترن بالعمل وتهذيب الاخلاق (والتوراة والانجيل)  
 وخصا بالذكور لفضلهما (و) نبعنه (رسولا الى بني اسرائيل) أي كلهم وقيل هو معطوف على الاحوال  
 السابقة كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا وقرى ورسول بالجر عطف على كلمة والمعتمد عند الجمهور ان  
 عيسى انما نبى على رأس الاربعين وأنه عاش في الارض قبل رفعه مائة وعشرين سنة وهو آخر انبياء بني  
 اسرائيل كما ان أولهم يوسف بن يعقوب (أتى قد جئتكم) بفتح الهمزة مجرور بالياء المقدرة التي للابسة

المتعلقة بمحذوف حال من رسول المقدم لاقية من معنى النطق والتقدير فلما جاءهم قال لهم اني رسول الله  
فكم ملت بسباباني قد جئتكم (بآية) أي بعلامة على صدقي في الرسالة (من ربكم) قالوا وما هي قال هي  
(اني اخلق) أي اصور (لكم من الطين كهيئة الطير) أي شيأ مثل صورة الطير (فأنفخ فيه)  
أي في فم ذلك المماثل لهيئة الطير (فيكون) أي فيصير (طيرا) حيا يطير بين السماء والارض  
(بإذن الله) أي بأمره تعالى فطلبوه بخلق الخفاش لانه أكمل الطير خلقا وأبلغ دلالة على القدرة لان له  
نابا واسنانا ويضلك كما يضل الانسان ويطير بغير ريش ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل  
وانما يرى في ساعتين ساعة بعد المغرب وساعة بعد طلوع الفجر والاني منه لها ثدي وتحبض وتظهر  
وتدفل ما صور لهم خفاشا فقالوا هذا صحر فهل عندك غيره قال نعم (وأبرئ الا كه) بالدعاء أي وأصحح  
الذي ولد أعمى أو المسوح العينين (والابرس) وهو الذي في جلده بياض شديد فلما فعل ذلك قالوا هذا  
صحر فهل عندك غيره قال نعم (واحيي الموتي بإذن الله) أي بالاسم الاعظم وهو يا حي يا قيوم فأحيا  
أربعة أنفس أحياء عازرا بعد موته بثلاثة أيام حتى عاش وولده وأحيا ابن اليهودي وهو ميت محمول على  
السري فزله عن سريره حيا ورجع الى أهله وعاش وولده وأحيا بنت العاشري الذي يأخذ العشور  
من الناس بعد يوم من موتها فعاشت وولدها فقالوا لعيسى انك تحيي من كان قريبا العهد من الموت فلعلهم  
لم يعوتوا حقيقة بل أصابهم سكرة فأحيا الناس ام بن نوح وهو قد مضى من موته أكثر من أربعة آلاف سنة  
فقام على قبره فدعا الله باسمه الاعظم فقام من قبره وقال للقوم صدقوه فانه نبي الله ومات في الحال فأمن به  
بعضهم وكذب آخرون فقالوا هذا صحر فهل عندك غيره قال نعم (وأنبشكم بما تأكلون) غدوة وعشية  
(وما تدخرون) أي ترفعون من غداء لعشاء ومن عشاء لغداء (في بيوتكم) مما لم أعانيه (ان في ذلك)  
أي في ما قلنا لكم من هذه الخمسة (آية) أي لمجزة قوية دلالة على صحة رسالتي دلالة واضحة (لكم ان  
كنتم مؤمنين) أي مصدقين انتفعتم بها (ومصدقها بين يدي) أي لما قبلي (من التوراة) وبين  
موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة وخمس وسبعون سنة ومصدقها معطوف على رسولا وجئتكم  
(ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب للبقر والغنم  
ولحوم الابل وعما لا يصيبه من السمك والطيور ومن العمل في يوم السبت وهذا لا يقدح في كونه مصدقا  
للتوراة لان النسخ تخصيص في الازمان (وجئتكم بآية من ربكم) شهادة على صحة رسالتي وقرئ  
بآيات (فاتقوا الله) في عدم قبولها (وأطيعون) فيما أمركم به وأنها كم عنه عن الله تعالى (ان  
الله ربي وربكم) وانما أظهر سيدنا عيسى المذموم وأقر بالعبودية لكيلا يتقوا عليه الباطل فيقولوا  
انه اله وابن اله لان أقراره بالعبودية لله يمنع عما تدعيه جهال النصارى عليه (فاعبدوه) أي لازموا  
طاعته التي هي الايمان بالأوامر والانتها عن المناهي أي لما كان الله تعالى رب الخلائق بأمرهم  
وجب على الكل ان يعبدوه وقوله تعالى ان الله ربي وربكم إشارة الى ان استكمال القوة النظرية بالتوحيد  
وقوله فاعبدوه إشارة الى ان استكمال القوة العملية بالطاعة (هذا) أي الجمع بين التوحيد والعبادة  
(صراط مستقيم) أي دين قائم برضاء الله تعالى وهو الاسلام ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم قل  
آمنت بالله ثم استقم لرجل قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لا أسأل عنه أحد بعدك (فلما  
أحس عيسى منهم الكفر) أي فلما سمع عيسى بإذنه من بني اسرائيل تكرار الكفر وطلبوا قتله لانهم  
كانوا عازفين بأنه هو المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسج دينهم (قال) لأصفياء أصحابه (من أنصارى

الى الله) أى من أنصارى حال التجاؤ الى الله ويقال من أعوانى مع الله على أعدائه (قال الحواريون)  
 أى القصارون أى الذين يبيضون الثياب (نحن أنصار الله) أى نحن أعوانك مع الله على أعدائه قيل  
 كانوا تسعة وعشرين مئة منهم قطرس ويعقوب ولحيس وايدارانيس وقيلس وابن تلماس وبنو  
 وبوقاس ويعقوب بن حليفا وبدوسيس وقياسا وبودس وكدمابوطا وسرجس وهو الذى ألقى  
 عليه شبهه أخرج ذلك ابن جرير عن ابن اسحق وقيل كان الحواريون اثني عشر رجلا آمنوا بعيسى عليه  
 السلام واتبعوه وكانوا إذا جاؤوا جاعوا قالوا اجعنا يا روح الله فيضرب بيده الأرض فيخرج منها السكل واحد  
 رغيفان وإذا عطشوا قالوا اعطشنا فيضرب بيده الأرض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا  
 قال عليه السلام أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا  
 حوارين أى ان اليهود لما طلبوا عيسى عليه السلام لاقتل وكان هو فى الهرب عنهم قال لاولئك الاثنى  
 عشر من الحوارين أىكم يحب أن يكون رفيقى فى الجنة على أن يلقي عليه شبهى فيقتل مكانى  
 فأجابهم الى ذلك بعضهم (آمنوا بالله) فهذا استئناف يجرى مجرى العلة لما قبله والمعنى يجب علينا أن  
 نكون من أنصار الله لأجل أننا آمننا بالله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن أولياء الله  
 والمحاربة مع أعدائه (واشهد) ياسيدنا عيسى (بأننا مسلمون) أى مقرون بالعبادة والتوحيد لله  
 وذلك اقرار منهم بأن دينهم الاسلام وأنه دين كل الانبياء صلوات الله عليهم واشهاد الله أيضا على أنفسهم  
 بذلك فلما أشهدوا عيسى على ايمانهم واسلامهم تضرعوا الى الله تعالى وقالوا (ربنا آمنابما أنزلت)  
 من الكتاب أى الانجيل (واتبعنا الرسول) أى دين رسول الله عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين)  
 أى اكتبنا فى جملة من شهدك بالتوحيد ولا نبينا لك بالتصديق وقال ابن عباس فاما ~~كتبنا~~ فى زمرة  
 الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه أو فاككتبنا مع محمد وأمه لانهم هم المخصوصون بأداء الشهادة (ومكروا)  
 أى أراد اليهود قتل عيسى (ومكر الله) أى أراد الله قتل صاحبهم طيطيانوس وقيل مكرهم بعيسى هم  
 بقتله ومكر الله تعالى بهم رفع عيسى الى السماء وذلك أن يهودا ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام  
 وكان جبريل لا يفارقه ساعة فأمره جبريل أن يدخل بيتا فيه وزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل  
 من تلك الزنة وكان قد ألقى شبهه على غيره فأخذ وصلب (والله خير الماكرين) أى أقوى المريدن  
 ويقال أفضل الصانعين روى عن ابن عباس ان ملك بنى اسرائيل اسمه يهودا لما قصد قتل عيسى أمره  
 جبريل أن يدخل بيتا فيه وزنة فرفعه جبريل من تلك الزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم  
 يقال له طيطيانوس ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فلم ير عيسى فالتقى الله تعالى شبه عيسى عليه نخرج  
 يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا ارجعه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبه فان  
 كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم (اذ قال الله يا عيسى  
 انى متوفيك) أى مستوفى أجلك المسمى وعاصهك من أن يقتلك الكفار (ورائك الى) من الأرض الى  
 محل كرامتى الى محل ثوابك (ومطهرك من الذين كفروا) بك أى منجوك منهم (وجاعل الذين اتبعوك) أى  
 الذين آمنوا بأنك عبد الله ورسوله والذين صدقوا بنبوتك وادعوا بحجتك كالنصارى (فوق الذين كفروا)  
 بك وهم اليهود بالحق والسيف والقهر والسلطان والاستعلاء والنصرة (الى يوم القيامة) فان ملك اليهود  
 قد ذهب فلم يبق لهم قلعة ولا سلطان ولا شوكة فى جميع الأرض بل يكونون مقهورين أين ما كانوا بالذلة  
 والمسكنة وملك النصارى باق قائم الى قريب من قيام الساعة فان ترى أن دولة النصارى فى الدنيا أعظم

وأقوى من أمر اليهود ودوزكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحوارين بعد رفع عيسى عليه السلام الى السماء فشمسهم وعذبوهم فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته ثم بعث الى الحوارين فانتزعهم من أيديهم وسأهم عن عيسى عليه السلام فأخبروه فتابعهم على دينهم وأزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشبة فأكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طماريس وهو قد صار نصرانيا لانه لم يظهر ذلك ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ملطيس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بقدر أربعين سنة ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح وقصده قتله (ثم الى مرجعكم) بالموت والخطاب لعيسى ومن آمن معه ومن كفر به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) أي تخاضعون في الدين (فأما الذين كفروا) بالله ورسوله (فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا) بالقتل والسبي والجزية والذلة (والآخرة) بالنار (ومالهم من ناصرين) أي مانعين من عذاب الله في الدنيا والآخرة (وأما الذين آمنوا) بالله والكتاب وبنبوة عيسى وبنبوة محمد (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (فيؤفيمهم أجورهم) أي فيؤفهم أجور أعمالهم في الجنة (والله لا يحب الظالمين) أي لا يريد إيصال الخبر الى المشركين وقرأ حفص عن عاصم فيؤفيمهم بالياء والفاعل راجع الى الله والماقون بالنون (ذلك) أي خبر عيسى (نتلوه عليكم) أي تنزل عليكم جبريل به (من الآيات) أي من آيات القرآن أو من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك (والذكر الحكيم) أي الذي ينطق بالحكمة أو الحكمكم فان القرآن ممنوع من تطرق الملل اليه \* وروى انه حضر وفد فخران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ما شأنك تذكر صاحبنا وتسبه فقال من هو قالوا عيسى قال وما أقول قالوا نقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسا ناقط من غير أب ومن لا أب له فهو ابن الله ثم خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل فقال قل لهم اذا أتوك (ان مثل عيسى عند الله) أي ان صفة تخلق عيسى في تقدير الله وحكمته بلا أب (كمثل آدم) أي كصفته قاله كن من غير أب فكن ولدا بلا أب فاذا كان آدم كذلك ولم يكن ابن الله فكذلك عيسى فن لم يقرب ان الله خلق عيسى من غير أب مع اقراره بخلق آدم بغير أب وأم فهو خارج عن طور العقلاء وأيضا اذا جاز أن يخلق الله آدم من التراب فجواز خلق الله تعالى عيسى من دم مريم من باب أولى فان هذا أقرب الى العقل من تولد الميوان من الدم الذي يجتمع في رحم الام أقرب من تولده من التراب اليابس (الحق) أي الذي أنزلت عليكم من خبر عيسى انه لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه هو (من ربك) والباطل من النصاري واليهود والنصارى قالوا ان مريم ولدت الها واليهود وموهرم بالافك ونسبوها الى يوسف النجار (فلا تسكن من المترين) أي من الشاكين فيما بينت لك من تخليق عيسى بلا أب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تعريكاله لزيادة ثباته على اليقين ولكل سامع لينزع عما يورث الامتراء ثم ذكر الله تعالى خصومة وفد بني فخران مع النبي صلى الله عليه وسلم بعدما بين لهم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فقالوا ليس كما تقول ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه فقال الله تعالى (فمن حاجك) أي خاصمك من نصاري فخران (فيه) أي في شأن عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من الدلائل الموجبة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا) أي نخرج

بأنفسنا (وأنفسكم) أي اخرجوا بأنفسكم (ثم نبتهل) أي نجتهد في الدعا ونخلصه أو نلاعن بيننا  
وبينكم (فجعل لعنة الله) فيما بيننا (على الكاذبين) على الله في حق عيسى وهم من يقولون  
ان عيسى بن الله أو انه اله \* وروى انه صلى الله عليه وسلم لما ذكر الدلائل على نصارى نجران ثم انهم  
أصرواعلى جهلهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني ان لم تقبلوا الحجّة أن أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم  
حتى نرجع فننظر في أمرنا ثم تأتيل غد افلما رجعوا الى قومهم قالوا للعاقب وكان ذارأيهم يا عبد المسيح  
ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمد انبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر  
صاحبكم والله ما باهل قوم نبيّا قط فعاش كبيرهم ولا بنت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان أبيتم الا  
الاقامة على دينكم والاصرار على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم  
فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من بيته الى المسجد وعليه مرط من شعر أسود محتضنا الحسين  
أخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلى خلفه رضى الله عنهم أجمعين وهو يقول لهؤلاء الاربعة اذا  
دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى اني لا أرى وجوها لوسألو الله تعالى ان يزيل جبلا  
من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وان ثبت على ديننا فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم بالمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال  
فاني أناخركم القتال فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحكم على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا  
على ان نؤدى اليك في كل عام ألفي حلة ألفي صغرو ألفي رجب وثلانين درعا وثلانين فرسا وثلانين  
بعيرا وثلانين من كل صنف من أصناف السلاح فصالحهم رسول الله على ذلك (ان هذا) الذي ذكرت  
من الدلائل التي دلت على ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه ومن الدعاة الى المباهلة مع وفد بني  
نجران (لهو القصص الحق) دون كاذب النصارى (وما من اله الا الله) بلا شريك ولا ولده ولا  
زوجة (وان الله لهو العزيز) أي الغالب الذي لا يمنع القادر على جميع المقدورات (الحكيم) أي  
العالم بجميع المعلومات وبجميع عواقب الأمور فذكر العزيز الحكيم ههنا اشارة الى الجواب عن  
النصارى في الشبهتين لعيسى القدرة على الاحياء ونحوه وأخبار الغيوب (فان تولوا فان الله عليم  
بالغيبين) أي قال أبو اعن قبول الحق وأعرضوا عما وصفت من ان الله هو الواحد وأنه يجب أن يكون  
غالبا قادرا على جميع المقدورات عالما بالنهايات محيطا بالمعلومات مع اعترافهم بأن عيسى لم يكن كذلك  
ومع قولهم ان اليهود قتلوه فاعلم أن اباهم واعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم  
وفوض أمرهم الى الله فان الله عليم بفساد المفسدين مطلع على ما في قلوبهم من الاغراض الفاسدة قادر  
على مجازاتهم (قل يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في شأن نصارى بني نجران كما قاله ابن عباس وذلك  
لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر على نصارى نجران أنواع الدلائل أولا ثم دعاهم الى المباهلة ثانيا  
خافوا وقبلوا الصغار بأداء الجزية وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم فعدل الى رعاية  
الانصاف وترك المجادلة فكانه تعالى قال يا محمد اترك ذلك المنهج من الكلام واعد الى منهج آخر  
يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم انه كلام مبني على الانصاف وترك الجدال وقل يا أهل الكتاب أي  
يا معشر النصارى (تعالوا الى كلمسوا بيننا وبينكم) أي هلموا الى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض  
لا ميل فيه لاحد على صاحبه وقيل نزلت في حق يهود المدينة وقيل نزلت في شأن الفريقين وذلك لما قدم  
وفد نجران المدينة والتقوا مع اليهود واختصموا في دين ابراهيم فرمعت النصارى انه كان نصرا نيا وانهم



على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهود ياونحن على دينه وأولى الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين يرى من إبراهيم ودينه بل كان إبراهيم حنيفاً مسلماً وأنا على دينه فاتبعوا دينه الأسلام فقالت اليهود يا محمد ماتريد إلا أن نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ماتريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزيز فأنزل الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أي يا معشر اليهود والنصارى هلموا إلى قصة عاد لستمقيمة بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب فإذا آمننا نحن وأنتم بها كما على السواء والاستقامة ثم فسر الكلمة بقوله (أن لا نعبد إلا الله) أي أن نوحده بالعبادة ونحضره بها (ولا نشرك به شيئاً) أي ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نعتقد أهلاً إلا لا نعبد (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) أي لا يطيع أحد منا أحداً من الرؤساء في معصية الله تعالى وفيما أحدثوا من التحريم والتحليل ولا نقول عزيز بن الله ولا المسيح ابن الله لأنهم باشرنا مثلنا (فإن قولوا) أي أبوا إلا الأصرار على الشرك (فقلوا والشهدوا بأننا مسلمون) أي فأظهر أنت والمؤمنون بأنكم على هذا الدين وقلوا اعترفوا بأننا مقرون بالتوحيد والعبادة لله تعالى دونكم فقد لزمتمكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك وبأنكم كافرون بما نطقتم به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام (يا أهل الكتاب) أي يا معشر اليهود والنصارى (لم تحتاجون في إبراهيم) أي لم تحتاجون في دين إبراهيم ولم تدعون أن إبراهيم عليه السلام كان منكم (وما أنزلت التوراة) على موسى (والإنجيل) على عيسى (الأمم بعده) أي من بعد إبراهيم بزمان طويل إذ كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وبعد نزول التوراة حدثت اليهودية وبعد نزول الإنجيل حدثت النصرانية (أفلاتعتلون) أي أتدعون أن إبراهيم منكم فلا تعتقلون بطلان ادعائكم (ها أنتم هؤلاء حاجبتم) أي ها أنتم هؤلاء اليهود والنصارى خاضعتم (فيما لم يكن في كتابكم أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وإن محمداني مرسل وهو موجود في كتابكم بنعتهم فأنكرتم ذلك) فلم تحتاجون فيما ليس لكم به علم في كتابكم أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) أي ليس إبراهيم على دين اليهود ولا على دين النصارى (ولكن كان حنيفاً) أي ما ثلاً عن الأديان الباطلة كلها (مسلماً) أي على ملة التوحيد لا على ملة الأسلام الحادثة (وما كان من المشركين) وهذا تعريض بكون اليهود والنصارى مشركين بقولهم عزيز بن الله والمسيح بن الله ورد على المشركين في ادعائهم أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام (أن أولى الناس بإبراهيم) أي أن أقرب الناس إلى دين إبراهيم وأخصهم به (للذين اتبعوه) في زمانه (وهذا النبي) محمد (والذين آمنوا) بمحمد وفهم الذين يليق أن يقولوا نحن على دينه لأن غالب شرع محمد موافق لشرع إبراهيم أي أن حق الناس بدين إبراهيم فريقان أحدهما من أتبعه من أمته وثانيهما النبي وسائر المؤمنين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (والله ولي المؤمنين) أي ناصرهم وحافظهم ومكرهم ثم ذكر دعوة كعب بن الأشرف وأصحابه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ وحذيفة وعمار بعد يوم أحد إلى دينهم اليهودية عن دين الأسلام فقال (ودت طائفة) أي عجمت (من أهل الكتاب لو يضلونكم) أي أن يضلونكم عن دينكم الأسلام (وما يضلون) عن دين الله (إلا أنفسهم) لأن

المؤمنون لا يقولون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتقنيهم اضلال المؤمنين وهم صاروا خائنين حيث اعتقدوا  
 شيئا ولا ح لهم أن الامر بخلاف ما تصوروه (وما يشعرون) ١ هذا نصرهم لان العذاب يضاعف لهم  
 بسبب ضلالهم وتغني اضلال المسلمين (يا أهل الكتاب لما تكفرون بآيات الله) وهي الواردة في التوراة  
 والانجيل من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخبار بأن الدين هو الاسلام وبأن ابراهيم كان حنيفا  
 مسلما (وأنتم تشهدون) صحتها اذا خلا بعضكم مع بعض وتنكرون اشتغال التوراة والانجيل على  
 الآيات الدالة على نبوة محمد عند حضور عوامكم وعند حضور المسلمين أو المعنى لم تكفرون بالقرآن فانكم  
 تنكرون عند العوام كونه مجهزا وأنتم تشهدون بقلوبكم وعقولكم كونه مجهزا (يا أهل الكتاب لم  
 تلبسون الحق بالباطل) أي لما تخططون المنزل من التوراة بالمحرف من عندكم كما نقل عن الحسن وابن  
 زين أو لم تشككون للناس بانظهار الاسلام بالتواضع أول النهار ثم الرجوع عنه في آخر النهار كما نقل عن  
 ابن عباس وقتادة وقرئ تلبسون بتشديد الباء وقرأ يحيى بن وثان يلبسون بفتح الياء أي تكتمون الحق  
 مع الباطل (وتكتمون الحق) أي الآيات الموجودة في التوراة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم  
 (وأنتم تعلمون) انكم انما تفعلون ذلك عناد وحسد وتعلمون أن عقاب من يفعل مثل هذه الافعال عظيم  
 أي أنتم أرباب العلم والمعرفة (وقالت طائفة من أهل الكتاب) هم اثنا عشر حبراً من أحبار يهود خيبر  
 لسفلتهم منهم عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحريث وكعب وأصحابه من الرؤسا (آمنوا بالذي أنزل  
 على الذين آمنوا) بمحمد أي آمنوا ببعض القرآن أي بالقبلة التي صلى اليها محمد وأصحابه (وجه النهار)  
 أي أوله وهو صلاة الفجر (واكفروا) بالقبلة الاخرى التي صلوا اليها (آخره) صلاة الظهر فانه صلى  
 الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس بعد ان قدم المدينة ففرح اليهود بذلك وطمعوا أن يكون منهم  
 فلما حوله الله تعالى الى الكعبة عند صلاة الظهر شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف ومالك بن  
 الصيف لأصحابهم ما آمنوا بالذي أنزل على محمد في شأن القبلة وصلوا اليها أول النهار ثم ارجعوا الى قبلكم  
 وصلوا الى العصرة آخر النهار (لعلهم) أي أصحابه العوام (يرجعون) عن دينه وقبلته (ولا تؤمنوا الا لمن تبس  
 دينكم) أي ولا تأتوا بذلك الايمان الا لاجل من تبس دينكم فان مقصود كل واحد حفظ أتباعه على  
 متابعتهم أي غرضهم بالاثبات بذلك التلبس ابقاء أتباعهم على دينهم أو المعنى لا تصدقوا بالنبوة الا لمن  
 وافق دينكم اليهود يوقبلتكم بيت المقدس فاما من جاء بتغيير شيء من أحكام التوراة فلا تصدقوه  
 (قل ان الهدى هدى الله) أي ان الدين دين الله وهو الاسلام والقبلة قبلة الله هي الكعبة (أن يؤتى  
 أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) وهذا من جملة كلام الله تعالى فلا تنكروا يا معشر اليهود أن  
 يعطى أحد سواكم من الدين والقبلة مثلاً ما أعطيتموه أو ان يحاجج المسلمون اياكم بذلك عند ربكم ان لم  
 تقبلوا ذلك منهم وقرأ ابن كثير أن يؤتى بهم مرتين مع قصر الاولى وتسهيل الثانية على الاستفهام الذي  
 للانكار والتوبيخ والمعنى آمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم من الشرائع ينكرون اتباعه  
 وهذا الوجه مروى عن مجاهد وعيسى بن عمر وغاية ما في هذا الباب انه يفتقر في هذا التأويل الى  
 اخبره امرأته الانكار لان عليه دليلا وهو قوله تعالى ان الهدى هدى الله فانه لما كان الهدى هدى الله  
 كان له تعالى أن يؤتية من يشاء من عباده ومتى كان الامر كذلك لزم ترك الانكار (قل ان الفضل)  
 بالرسالة والنبوة والاسلام وقبله ابراهيم (بيد الله) فانه مالك له (يؤتية من يشاء) أي يعطيه محمداً  
 وأصحابه والله تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أنهم آمنوا بوجه النهار وكفروا آخره ليصير ذلك

شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الهدى هدى الله أى ان مع كل هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة قوة ولا أثر وثانيهم ما انهم استنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا من الكتاب والحكم والنبوة فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء (والله واسع) أى كامل القدرة فيقدر أن يتفضل على أى عبد شاء بأى فضل شاء (عليم) أى كامل العلم فلا يكون شئ من أفعاله الاعلى وجه الحكمة والصواب (يختص برحمته) التى بلغت فى الشرف وعلو المرتبة الى أن تكون أعلى وأجل من أن تقاس من النبوة والرسالة والدين (من يشاء) محمدا وأصحابه (والله ذو الفضل العظيم) فلانهاية لمراتب اعزاز الله وكرامه لعباده (ومن أهل الكتاب) أى اليهود (من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) بغیر تعب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) بل يستحله (الامادمت عليه قائما) أى مطالبا لمخاضها كسكع بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس أودع رجل قرشي عبد الله بن سلام ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأداه اليه وأودع قرشي آخر فخاص بن مازورا نخانته فنزلت هذه الآية ﴿تنبيه﴾ معنى الباء الصاق الامانة كما أن معنى على في قولك أمنت على كذا استعلاء الامانة فن اثن على شئ فقد صار ذلك الشئ في معنى الملتصق به وصار المودع كالمستعلى على تلك الامانة (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل) أى ذلك الاستحلال والحياة مستحق بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل أى قدرة على المطالبة والالزام فانهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا أو المعنى ليس علينا في أخذ أموال العرب سبيل أى انهم قالوا أموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أى انهم قالوا ان جواز الحياة مع المخالف مذکور في التوراة وكانوا كاذبين في ذلك وعالمين بكونهم كاذبين فيه ومن كان كذلك كانت خيائته أعظم وجرمه أخش (بلى) على اليهود في العرب سبيل وهـ ذارد على اليهود ولكن (من أوفى بعهد) فيها بينه وبين الله أو بينه وبين الناس (واتقى) عن نقض العهد بالحياة وترك الامانة (فان الله يحب المتقين) وهذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات محصورة في أمرين التعظيم لاسر الله والشفقة على خلق الله فالوفاء بالعهد شتمل عليهما معالان ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله وذلك أسر الله فالوفاء بالعهد تعظيم لاسر الله ثم الوفاء كما يكون في حق الغير يكون في حق النفس فالوفاء بعهد النفس هو الاتقى بالطاعات والتارك للصغريات (ان الذين يشتركون بعهد الله) أى من جميع ما أمر الله به وعما يلزم الشخص نفسه (وأيمانهم) وهى الحلف التى يؤكدها الانسان خبره من وعد أو وعيد أو انكسر أو اثبت (ثمنا قليلا) من الدنيا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لا خلاق) أى لانصيب (لهم في) خير (الآخرة) ونعيمها (ولا يكلمهم الله) أى يشتد غضب الله عليهم (ولا ينظر اليهم) بالاحسان والرحمة (يوم القيامة ولا يركبهم) أى لا يطهرهم من دنس ذنوبهم بالمغفرة (ولهم عذاب أليم) أى وجيع بخلص وجهه الى قلوبهم نزلت هذه الآية في حق عبدان بن الاشوع وامرى القيس اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فتوجهت اليين على امرى القيس فقال انظرني الى الغد ثم جاء في الغد وأقرله بالارض وقيل نزلت في شأن الاشعث بن قيس كان بينه وبين رجل خصومة في أرض وبثرا اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للرجل أقم بينك فقال ليس لي بينة فقال

للاشعث فليعلم باليمين فهم الاشعث باليمين فانزل الله تعالى هذه الآية فنسكل الاشعث عن اليمين ورد الارض الى الخصم واعترف بالحق وهذا قول ابن جرير وقيل نزلت في شأن كعب بن الاشرف ويحيى بن اخطب وأبي رافع وابابة بن أبي الحقيق بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وأخذوا الرشوة على ذلك وحلفوا بأنه من عند الله لئلا يفوتهم الرشاء كما قاله عكرمة أو كتبوا بأيديهم كتابا في ادعائهم أنه ليس علينا في الاميين سبيل وحلفوا أنه من عند الله كما قاله الحسن وهذه الآية دلت على انها نزلت في اقوام حلفوا بالايمان الكاذبة فتحمل على جميع الروايات (وان منهم) أي من اليهود (لفريقا يلوون الستهم بالكتاب) أي طائفة يحرفون اللفظة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ويحيى بن اخطب وأبي ياسر وشعبة بن هير (لتحسبوه) وقرئ شاذة بالياء (من الكتاب) أي لكي يظنهم السفلة أو المسلمون ان المحرف من التوراة (وما هو من الكتاب) أي والحال ان المحرف ليس من التوراة في نفس الامر وفي اعتقادهم (ويقولون هو) أي المحرف (من عند الله) أي موجود في كتب سائر الانبياء مثل اشعيا وأرخيا وحيفوف (وما هو من عند الله) فالانصار الجاهلون بالتوراة نسبوا ذلك المحرف الى انه من التوراة والاذ كما زعموا أنه موجود في كتب سائر الانبياء الذين جاءوا بعد موسى عليهم السلام وعلم من هذا التفسير المغارة بين اللفظين فانه ليس كل ما لم يكن في الكتاب لم يكن من عند الله فان الحكم الشرعي قد ثبت تارة بالكتاب وتارة بالسنة وتارة بالاجماع وتارة بالقياس والكل من عند الله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أي يتعمدون ذلك الكذب مع العلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيره والتوراة وكتبوا كتابا بدلوافيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوا خلطوه بالكتاب الذي عندهم (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) أي ما أمكن وما صح لاحد من الانبياء كعيسى ومحمد ان يعطيه الله الكتاب أي التوراة أو القرآن والفهم لذلك الكتاب والنبوة ثم يقول ذلك البشر المشرف بالصفات الثلاثة للناس كونوا عبادا كائنين لي متجاوزين الله اشرا كأفرادا قال مقاتل والضحاك نزلت هذه الآية في شأن نصارى فخران حيث يقولون ان عيسى عليه السلام أمرنا ان نتخذه رباً وقال ابن عباس لما قالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله نزلت هذه الآية وقال أيضاً في مقالاتهم نحن على دين ابراهيم وأمرنا هو بهذا الدين وقال ابن عباس وعطاء ان أبارافع القرظي من اليهود و رئيس وفد فخران من النصارى قال لارسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك وتتخذك رباً فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو ان نأمر بغير عبادة الله فابذلك بعثني الله ولا بذلك أمرني فنزلت هذه الآية وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضا على بعض أفلا نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله فنزلت هذه الآية (ولكن كونوا ربانيين) أي ولكن يقول ذلك البغرة الذي رفعه الله الى أعلا المراتب كونوا علماء عاملين (بما كنتم تعملون الكتاب) قرأ عبد الله بن كثير وأبو عمر و نافع بفتح التاء وسكون العين والباقون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة أي تعلمون الناس من الكتاب (وبما كنتم تدرسون) أي وبسبب كونكم تقرؤون من الكتاب (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) قرأ عاصم وحزمة وابن عامر يأمركم بفتح الراء والفاعل ضمير يعود على البشر

ولا مزية لنا كيد معني النفي أي ما كان لبشر أن يجعله الله نبيا ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو باتخاذ  
 الملائكة والنبين أو بابا وقرأ الباقر برفع الراء على سبيل الاستئناف كما يدل على ذلك ما روى عن  
 ابن مسعود أنه قرأ أولن يأمركم والفاعل حيثنضمير يعود على الله كما قاله الزجاج وإلى محمد كما قاله ابن  
 جريج أو إلى عيسى أو إلى كل نبي من الأنبياء كما قيل بكل أي ولا يأمركم يا معشر قريش واليهود  
 والنصارى بأن تتخذوا الملائكة والنبين أو بابا كما اتخذت الصائبة وقريش الملائكة واليهود عزيرا  
 والنصارى المسيح (أي يأمركم بالكفر) أي كيف أمركم ذلك البشر والله تعالى بالكفر (بعداذ  
 أنتم مسلمون) وهذا استغفام إنكارى وهو خطاب للمؤمنين على طريق التعجب من حال غيرهم ويقال  
 بعداذ أمركم بالاسلام (واذا أخذ الله ميثاق النبين لما أتيتكم من كتاب وحكمة) أي أعطيناكم  
 قرآننا فآتيناكم بالنون على التفتيح (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) وقرأ  
 الجمهور لما يفتح اللام وقرأ حمزة بكسر اللام وقرأ سعيد بن جبيرة لما مشددة أما القراءة بالفتح فلما وجهان  
 ما هو اسم موصول مرفوع بالابتداء وخبره قوله لتؤمنن به وأما هو متضمن لمعنى الشرط فاللام في قوله  
 لتؤمنن به هي المتلصقة بالقسم أما اللام في ما هي لا تمحذف تارة وتذكر أخرى ولا يتفاوت المعنى وهذا  
 اختيار سيبويه والمأزق والزجاج وقال أبو السعود واللام في لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى  
 الاستخلاف وما تحتل الشرطية ولتؤمنن سادس وجواب القسم والشرط وتحتل الخبرية وأما القراءة  
 بكسر اللام فلأنها للتعليل وما أمصدرية أو موصول وأما قراءة لما بالتشديد فإما هي بمعنى حين أولن أجل  
 ما على أن أصله لمن ما وأما معنى وإذا أخذ الله فقال ابن جرير الطبري وإذا كروا يا أهل الكتاب إذا أخذ الله  
 ميثاق النبين وقال الزجاج وإذا كروا يأخذ في القرآن إذا أخذ الله ميثاق النبين والمقصود بهذه الآية  
 أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده أن يصدق  
 بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره أن أدركه وأن لم يدركه  
 أن يأمر قومه بنصرته أن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد  
 صلى الله عليه وسلم وهذا قول سعيد بن جبيرة والحسن وطاوس وقيل أنما أخذ الله الميثاق من النبين في  
 أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبين بعضهم لبعض صفة محمد وفضله وهو قول علي وابن عباس وقتادة  
 والسدي وقال علي بن أبي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله  
 عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولتنبعث وهم أحياء لينصرنه وقيل إن المراد من الآية  
 أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق على أنهم بأنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمنون به  
 وينصرونه وهذا قول كثير من المفسرين والمراد من قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم هو محمد صلى  
 الله عليه وسلم والمراد بكونه مصدقا لما معكم هو أن كيفية أحواله مذكورة في التوراة والإنجيل فلما ظهر  
 على أحوال مطابقة لما كان مذكورا في تلك الكتب كان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم (قال) الله  
 تعالى لهم (أأقررتكم) بالإيمان به والنصرة له (وأخذتم على ذلكم أصري) أي قبلتم على ما قلت  
 عهدى (قالوا) أي النبيون (أقررتنا) بذلك (قال) الله تعالى (فأشهدوا وأنا معكم من  
 الشاهدين) أي فليشهد بعضكم على بعض بالأقرار وأنا على أقراركم وأشهد بعضكم بعضا من  
 الشاهدين (فمن تولي بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) أي من أعرض عن الإيمان بهذا الرسول  
 وبنصرته بعدما تقدم من هذه الدلائل كان من الخارجين عن الإيمان (أفغير دين الله يبغون وله

أسلم من في السموات والارض طوطا وكرها واليهير جعون) والوجه في هذه الآية ان هذا الميثاق لما  
 كان مذكورا في كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا طامنين بصدق محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة  
 فلم يبق لكفرهم سبب الا مجرد العداوة والحسد فصاروا كالبليس الذي دعا الحسد الى الكفر فأعلمهم الله  
 انهم متى كانوا كذلك كانوا طامنين ديننا غير دين الله ومعبود اسوى الله تعالى ثم بين ان الاعراض عن حكم  
 الله تعالى عما لا يليق بالعقلاء فقال وله أسلم من في السموات والارض أى لجلال الله تعالى لا لغيره انتقاد في  
 طرفي وجوده وعدمه لان كل ما سوى الله ممكن لذاته وكل ممكن لذاته لا يوجد الا بإيجاده ولا يعدم الا  
 باعدامه سواء كان عقلا ونفسا أو روحا أو جسما أو جوهر أو عرضا أو فعلا أو فعلا ونظير هذه الآية  
 في الدلالة على هذا المعنى قوله تعالى والله يسجد من في السموات والارض فالمسلمون الصالحون ينتقدون الله  
 طوعا وفيما يتعلق بالدين وينقادون له كرها فيما يخالف طباعهم من الفقر والمرض والموت وما أشبه ذلك  
 أما الكافرون فهم منتقدون الله تعالى كرها على كل حال لانهم لا ينتقدون فيما يتعلق بالدين ويخضعون  
 له تعالى في غير ذلك كرها لانه لا يمكنهم دفع قضائه تعالى وقدره وأيضا كل الخلق منتقدون لاهيته تعالى  
 طوعا بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ومنقادون لتكليفه تعالى  
 وإيجاده للآلام كرها ثم الهمة للاستفهام التوبيخى وموضعها اللفظة يبعثون والتقدير أي يبعثون غير دين الله  
 لان الاستفهام انما يكون عن الافعال الحوادث وقرأ حفص عن عاصم يبعثون ويرجعون بالياء على  
 الغيبة فيهما أي انما ذكر الله تعالى حكاية اخذ الميثاق حتى يبين ان اليهود والنصارى يلزمهم الايمان  
 بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما أصرروا على كفرهم قال تعالى على جهة الاستنكار أفعير دين الله يبعثون  
 وقرأ أبو عمر وتبعثون بالتاء خطا بالياء وبعثون بالياء ليرجع الى جميع المكلفين  
 المذكورين في قوله تعالى وله أسلم من السموات والارض وقرأ الباقر بالتاء على الخطاب فيهما لان ما قبلهما  
 خطاب كقوله تعالى أأقرتم وأخذتم وأيضا فلا يبعد أن يقال للسلم والكافر أفعير دين الله تبعثون مع علمكم  
 بانه أسلم له تعالى من في السموات والارض وان مرجعكم اليه وهو كقوله تعالى وكيف تكفرون وأنتم تتلى  
 عليكم آيات الله وفيكم رسوله ولما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة أنه انما أخذ الميثاق على الانبياء في  
 تصديق الرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم بين الله تعالى من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما  
 معهم فقال (قل آمنوا بالله وما أنزل علينا) وهو القرآن (وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب  
 والاسباط) من العصف والمراد بالاسباط احفاد يعقوب وأبنائه الاثنا عشر (وما أوتى موسى وعيسى) من  
 التوراة والانجيل وسائر المجزئات الظاهرة بأيديهما (والنبيون من ربهم) من الكتب والمجزئات (لان فرق  
 بين أحد منهم) أي نقر بأنهم كانوا باسرها على دين واحد في الدعوة الى الله وفي الانقياد لتكليف  
 الله ولا تكفر بأحد منهم كما فعل اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) أي مستسلمون لامر الله بالرضا وترك  
 المخالفة لا للسمعة ورأي أو طلب مال وتلك صفة المؤمنين بالله والكافرون يوصفون بالمخاربة لله ولما قال  
 تعالى ونحن له مسلمون بين أن الدين ليس الا الاسلام فقال (ومن يبتغ غير الاسلام) أي غير التوحيد  
 والانقياد لحكم الله (دينا فلم يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) بحرمان الثواب وحصول العقاب  
 ولحق التأسف على ما فات في الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب في الدنيا في تقرير الدين  
 الباطل ولفظ ديننا مفعول وغير الاسلام حال منه مقدم عليه أو عييز أو بدل من غير (كيف يهدي الله  
 قوما كفروا) أي كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر (بعد ايمانهم)



بالقلب (وشهدوا) أى والحال هم قد أقروا باللسان (أن الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (حق وجاءهم البينات) أى الحجج الظاهرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى الكافرين الأصليين والمرتين وهذه الآية نزلت في شأن الذين ارتدوا ولحقوا بجمعة وهم اثنا عشر رجلاً منهم أبو عامر الراهب والحارث بن سويد بن الصامت ووضوح بن الأسلت وطعيمة بن يبرق كما أخرجه عكرمة وابن العساكر (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) فإن لعنة الله هي الأبعاد من الجنة ونزال العقوبة واللعنة من الملائكة والناس هي بالقول وكل ذلك مستحق لهم بسبب كفرهم فصلح أن يكون جزاء ذلك وجميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ولا يمكنه يعتق في نفسه أنه ليس ببطل ولا بكافر فإذا لعن الكافر وهو في علم الله كافر فقد لعن نفسه وإن كان لا يعلم ذلك (خالدين فيها) أى اللعنة فلا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم في النار فلا يخلو شيء من أحوالهم من أن يلعنهم لا عن من هؤلاء (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يؤخر عذابهم من وقت إلى وقت (إن الذين تابوا) من الكفر (من بعد ذلك) أى الارتداد (وأصلحوا) باطنهم وظاهرهم بالعمل الصالح (فإن الله غفور) لقبائهم في الدنيا بالستر (رحيم) في الآخرة بالغفر نزلت هذه الآية في شأن الحرث بن سويد وهو رجل من الانصار فإنه لما لحق مكة مرتد اندم على ردة فأرسل إلى قومه بالمدينة أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فأ نزل الله هذه الآية فبعث بها إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة رتاب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل الرسول توبته وحسن إسلامه (إن الذين كفروا) بالله (بعد إيمانهم) بالله (ثم ازدادوا كفراً) أى ثم أصروا على الكفر (لن تقبل توبتهم) ما أقاموا على ذلك قال القاضي والفعال وابن الأنباري لما قدم الله تعالى ذكر من كفر بعد الإيمان وبين أنه أهل للعنة إلا أن يتوب ذكر في هذه الآية أنه لو كفر مرة أخرى بعد تلك التوبة فإنها تصير غير مقبولة وكأنها لم تكن والتقدير إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو فإن الله غفور رحيم فإن كانوا كذلك ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم (وأولئك هم الضالون) على سبيل الكمال عن الهدى (إن الذين كفروا) بالله والرسول (وماتوا وهم كفار) بالله والرسول (فلن يقبل من أحدهم مل الأرض) أى مقدار ما علوا الأرض مشرقها ومغربها (ذهباً ولو افتدى به) قال الزجاج إن الواو للعطف والتقدير لو تقرب إلى الله في الدنيا بمل الأرض ذهباً لينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى من العذاب في الآخرة بمل الأرض ذهباً لم يقبل منه أو المراد بالواو التعميم في الأحوال كأنه قيل لن يقبل من الكافر في جميع الأحوال في الآخرة ولو في حال افتدائه نفسه في الآخرة (أولئك لهم عذاب أليم) وبالهم من ناصرين) في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه (لن تنالوا البر) أى الثواب والجنة أولن تبلغوا إلى التوكل والتقوى (حتى تنفقوا عما تحبون) من أموالكم وعملكم وجاهكم في معاونة الناس وبدنكم في طاعة الله ومهجة بكم في سبيله (وماتنفقوا من شيء) تريدون به وجه الله أو مدحة الناس (فإن الله به عليم) هذا تعليل للجواب المحذوف أى فيجوز بكم بحسبه جيداً كان أو ردياً فإنه تعالى عالم بكل شيء تنفقونه من ذاته وصفاته علماً كاملاً بحيث لا يخفى عليه شيء (كل الطعام) أى كل طعام حلال على محمد وأمته (كان حلالاً لبني إسرائيل) أى كان حلالاً كله على أولاد يعقوب (إلا ما حرم إسرائيل) أى يعقوب (على نفسه) بالنذر (من قبل أن تنزل التوراة) على موسى وذلك بعد إبراهيم بألف سنة \* روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن يعقوب مرض مرضاً

شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرم من أحب الطعام والشراب عليه وكان أحب الطعام اليه لحوم الابل  
وأحب الشراب اليه ألبانها قال الأصم لعل نفسه كانت مائلة إلى أكل تلك الأنواع فامتنع من أكلها قهرا  
لنفسه وطلبها لمرضاة الله تعالى كما يفعله كثير من الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وروى ان  
اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تدعي انك على ملّة ابراهيم فكيف تأكل لحوم الابل وألبانها مع  
ان ذلك حرام في دين ابراهيم فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال ان ذلك كان حلالا لابراهيم واسماعيل  
وامحق ويعقوب عليهم السلام الا أن يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في  
أولاده أي فالحرمة عليهم ناشئة من نذره أيضا فأنا ذكر اليهود ذلك فأمرهم الرسول عليه السلام باحضار  
التوراة وباستخراج آية منها تدل على ان لحوم الابل وألبانها كانت محرمة على ابراهيم عليه السلام  
فجوزوا عن ذلك فظهر انهم كانوا كاذبين في ادعاء حرمة هذه الاشياء على ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى  
(قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) في دعواكم بأن التحريم قديم قال تعالى (فن افترى) أي  
اختلف (على الله الكذب) يادعاه انه تعالى حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل وعلى من  
قبلهم من الأمم (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الحجّة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب لا على  
عهد ابراهيم (فأولئك) المصرون على الاقرار بعد ما ظهرت حقيقة الحال (هم الظالمون) المستحقون  
لعذاب الله (قل صدق الله) في أن سائر الاطعمة كانت محللة لبني اسرائيل وانما حارمت على اليهود  
جزاء على قبائح أفعالهم (فاتبعوا ملّة ابراهيم) أي ملّة الاسلام التي هي في الاصل ملّة ابراهيم لانها ملّة  
محمد صلى الله عليه وسلم (حنيفا) أي ما اذاعن الاديان الزائفة كلها (وما كان من المشركين) في أمر  
من أمور دينه فإنه لم يدع مع الله الها آخر ولم يعبد سواه كما فعله العرب من عبادة الاوثان أو كما فعله اليهود  
في ادعاء ان عزير ابن الله وكما فعله النصارى في ادعاء ان المسيح ابن الله \* ولما حول صلى الله عليه وسلم  
القبلة الى الكعبة طعن اليهود في نبوته وقالوا ان بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال لانه  
وضع قبل الكعبة وتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ان  
أول بيت وضع للناس للذي ببكة) أي ان أول بيت بني لعبادات الناس للبيت الذي هو ببكة سميت  
مكة ببكة لانه يبسك بعضهم بعضا أي يزدحجون في الطواف روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن  
أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة أي ان  
آدم بنى الكعبة ثم بنى الاقصى وبين بنائهما أربعون سنة (مباركا) أي ذا بركة عما يجلب  
المغفرة والرحمة (وهدى للعالمين) أي قبلة لكل نبي ورسول وصديق ومؤمن يهتدون بذلك البيت  
الى جهة صلاتهم وذلك لان تكليف الصلاة كان لازما في دين جميع الانبياء عليهم السلام بدليل قوله  
تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وعن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم  
واسرائيل وعن هدينا واجتبيينا اذ اتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فدللت الآية على ان جميع  
الانبياء عليهم السلام كانوا يسجدون لله والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلة شيث وادريس ونوح  
عليهم السلام موضعا آخر سوى الكعبة لبطل قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة فوجب أن  
يقال ان قبلة أولئك الانبياء المنة دمين هي الكعبة فدل هذا على ان هذه الجهة كانت أبدا مشرفة مكرمة  
(فيه آيات بينات) أي علامات واضحة كالانحراف الطيور عن موازاة البيت فلا تعلوا فوقه بل اذا قابل  
هواء وهو في الجوانح عرف عنه يمينا أو شمالا ولا يستطيع أن يقطع هواء الا اذا حصل له مرض فيدخل

هو اه للتداوى ومخالطة ضواى السباع الصيد فى الحرم من غير تعرض لها واهلاك أصحاب الفيل لما  
 قصدوا تخريبه (مقام ابراهيم) وفيه دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم لان تأثير قدميه فى الصخرة  
 الصماء وغوصهما فيها الى السكعين والانه بعض الحضرة دون بعض وابقاء ألوف سنة مجهزة عظيمة  
 (ومن دخله) أى الحرم (كان آمنا) أى ان من دخله للنسك تقربا الى الله تعالى كان آمنا من النار يوم القيامة  
 وان الله أودع فى قلوب الخلق الشفقة على كل من التجأ اليه (ولله على الناس حج البيت) أى قصده للزيارة  
 على وجه مخصوص (من استطاع اليه) أى حج البيت (سيلا) أى بلا غاب وجود الزاد والراحة والنفقة  
 للعيال الى الرجوع (ومن كفر) أى بحمد فرض الحج (فان الله غنى عن العالمين) أى عن ايمانهم وحجهم قال  
 الضحاك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان الستة المسلمين والنصارى  
 واليهود والصابئين والمجوس والمشركين لخطبهم - م وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به  
 المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نضعه فانزل الله تعالى قوله ومن كفر  
 فان الله غنى عن العالمين أى ومن ترك اعتقاد وجوب الحج فان الله غنى عنه (قل يا أهل الكتاب) أى  
 اليهود والنصارى (لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) أى لم تكفرون بآيات الله  
 التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره والحال ان الله شهيد على  
 أعمالكم ومجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجترؤا على الكفر بآياته (قل يا أهل الكتاب لم  
 تصدقون عن سبيل الله من آمن) أى لم تصدقون عن دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو ملة  
 الاسلام من آمن بالله ومحمد وبالقرآن باضلالكم لضعة المسلمين (تبغونها عوجا) أى تطلبون للسبيل  
 زيفا لانكم قلتم النسخ يدل على البدء وقولكم ورد فى التوراة ان شريعة موسى باقية الى الابد (وانتم  
 شهداء) ان فى التوراة ان دين الله هو الاسلام لا يقبل غيره (وما الله بغافل عما تعملون) فانهم كانوا  
 يظهر الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يظهر ان لقاء الشبه فى قلوب المسلمين بل كانوا  
 يحتالون فى ذلك بوجوه الخيل نزلت هذه الآية فى الذين دعوا احمارا واصحابه الى دينهم اليهودية (يا أيها  
 الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) هم شاس بن قيس وعمر بن شاس وأوس بن  
 قبطى وجبار بن صخر (يردوكم) أى يصيروكم (بعدا عما انكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى  
 عليكم آيات الله وفيكم رسوله) أى كيف يوجد منكم الكفر والحال ان القرآن الذى فيه بيان الحق  
 من الباطل يتلى عليكم على لسان نبيكم غرضه طرية ومعكم رسول الله الذى يبين الحق ويدفع الشبه روى  
 أن شاس بن قيس اليهود كان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد فاتفق أنه مر على نفر  
 من الانصار الاوس والخزرج وهم فى مجلس يتحدثون وقد زال ما كان بينهم فى الجاهلية من العداوة ببركة  
 الاسلام فشق ذلك على اليهود فجلس اليهم وذكرهم ما كان بينهم من الحروب قبيل ذلك فى بغاث وهو  
 موضع فى المدينة وكان يوم بغاث يوما قتل فيه الاوس والخزرج قبيل مبعثه صلى الله عليه وسلم بمائة  
 وعشرين سنة وكان الظفر فيه للاوس وقرأ عليهم بعض ما قيل فى تلك الحروب من الاشعار فتنازع القوم  
 وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فوصل الخبر الى النبي صلى الله عليه  
 وسلم فخرج اليهم فيمن معهم المهاجرين والانصار وقال أترجعون الى أحوال الجاهلية وانابن أظهركم  
 وقد أكرمكم الله بالاسلام وألف بين قلوبكم فعرف القوم ان ذلك كان من عمل الشيطان ومن كيد ذلك  
 اليهود فالتقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقيم

أولاً وأحسن آخر من ذلك اليوم قال الامام الواحدى اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلمكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصنفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت النبي صلى الله عليه وسلم أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يبتكون (ومن يعتصم بالله) أى من يستمسك بكتاب الله وهو القرآن (فقد هدى) أى فقد حصل له الهدى (الى صراط مستقيم) أى الى طريق موصل الى المطلوب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى حق معاذ وأصحابه ثم نزل فى أوس وخزرج لخصومة كانت بينهم فى الاسلام افتخروا فيها ثعلبة بن غنم وأسعد بن زارة بالقتل والغارة فى الجاهلية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أى كما يجب ان يتقى وهو استغراق الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما فى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ويقال أطيعوا الله كما ينبغى (ولا تعوتن الا وأنتم مسلمون) لفظ النهى واقع على الموت والمقصود الامر بالاقامة على الاسلام أى ودوموا على الاسلام الى الموت وذلك لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل فى وسعهم (واعتصموا بحبل الله) أى بدينه وهو دين الاسلام أو بكتابه وهو القرآن (جميعاً) أى مجتمعين فى الاعتصام لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم لان الحق لا يكون الا واحداً وما عداه يكون ضلالاً (واذكروا نعمة الله عليكم) نعمة دنيوية وآخرية (اذ كنتم) فى الجاهلية (أعداء) يبغض بعضكم بعضاً ويحارب بعضكم بعضاً فالف بين قلوبكم أى قذف الله فيها المحبة بتوفيقكم للاسلام (فأصبحتم بنعمته) أى فصرتم بدينه الاسلام (أخواناً) فى الدين (وكنتم على شفا حفرة من النار) أى على طرفها أى وكنتم قريبين من الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فليس بين الحياة والموت المستلزم للوقوع فى الحفرة الا ما بين طرف الشئ الذى هو مثل الحياة وبين ذلك الشئ الذى هو مثل الموت (فأنقذكم منها) أى فأنجباكم من تلك الحفرة بأن هداكم للاسلام (كذلك) أى مثل البيان المذكور (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) أى لكي تهتدوا من الضلالة (ولتكن منكم أمة) أى لتوجد منكم جماعة يقتدى بها فرق الناس (يدعون) الناس (الى الخير) فأفضل الدعوة هى دعوة الى اثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة الممكات (ويأمرون بالمعروف) والامر بالمعروف تابع للأمر به ان كان واجباً فواجب وان كان مندوباً فمندوب (وينهون عن المنكر) فالنهي عن الحرام واجب كله لان تركه واجب وهذه الامور من فروض الكفايات لانها لا تليق الا من العالم بالحال وسياسة الناس حتى لا يوقع الأمور أو المتهى فى زيادة الفجور فان الجاهل ربما دعا الى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف وقد يغفل فى موضع الدين ويلين فى موضع الغلظة (وأولئك هم المفلحون) أى المختصون بكمال الفلاح روى انه صلى الله عليه وسلم قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) أى تفرقوا بالعداوة واختلفوا فى الدين أو تفرقوا بأبداً منهم بأن صار كل واحد من أولئك الاحبار رئيساً فى بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى انه على الحق وان صاحبه على الباطل قال الفخر الرازى انك اذا أنصفت علمت ان أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة (من بعد

ما جاءهم البينات) أى الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (وأولئك)  
 الذين تفرقوا (لهم عذاب عظيم) فى الآخرة بسبب تفرقهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أى يوم  
 تظهر بهجة السرور على قوم ومموا بياض الوجه والصفرة واشراق البشرة وسعى النور أمامه ويعينه يوم  
 تظهر كآبة الخوف والحزن على قوم ومموا بسواد اللون والصفرة واحاطة الظلمة بهم من كل جانب  
 وقرئ تبياض وسواد (فأما الذين اسودت وجوههم) فيلقون فى النار وتقول لهم الزبانية (أكفرتم  
 بعد ايمانكم) أى بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو الدلائل التى نصبها الله تعالى على التوحيد  
 والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج أى أكفرتم يا أهل الكتاب بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لم بعد  
 ايمانكم به قبل بعثته (فذوقوا العذاب) والامر بذوق العذاب على طريق الاهانة (عما كنتم  
 تكفرون) أى بسبب كفركم (وأما الذين ابيضت وجوههم فى رحمة الله) أى فى جنة الله وعبر عنها  
 بالرحمة تنبيهها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى  
 وقرئ ابيضت كما قرئ اسودت (هم فيها خالدون) أى لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) أى  
 الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار (آيات الله) أى دلائل الله (تتلوها عليكم بالحق)  
 أى بالمعنى الحق أو متلبسة بالعدل من اجزاء المحسن والمسي بما يستوجبانه (وما الله يريد ظلم العالمين)  
 أى ما يريد الله فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين فى وقت من الاوقات فضلا عن ان يفعله وأما ظلم  
 بعضهم بعضا فواقع كثير او كل واقع فهو بارادته تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقاً  
 احياء وامواتة واثابة وتعذيبا (والى الله) أى الى حكمه (ترجع الامور) فيجازى كل امة منهم (كنتم خير  
 امة اخرجت للناس) أى أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها (تأمرون بالمعروف)  
 أى بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وتنهون عن المنكر) أى عن الشرك ومخالفة الرسول  
 (وتؤمنون بالله) ايمانا متعلقا بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وقال قتادة هم  
 أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم فى الاسلام فهم خير  
 امة للناس (ولو آمن أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى ايمانا كاملا كما ايمانكم (لكان) أى  
 ذلك الايمان (خيرا لهم) فانهم آثروا دينهم على دين الاسلام حبلا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا  
 لحصلت لهم هذه الزيادة فى الدنيا مع الثواب العظيم فى الآخرة فكان ذلك خيرا لهم عما قنعوا به (منهم  
 المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي ورهطه من النصارى (وأكثرهم  
 الفاسقون) فى أديانهم فيكونون مردودين عند الطوائف كلهم لان المسلمين لا يقبلونهم لكفرهم  
 والكفار لا يقبلونهم لكونهم فاسقين فيما بينهم فلا يسواهم يجب الاقتداء بهم البتة عند أحد من العقلاء  
 (لن يضرركم الأذى) أى لن يضرركم اليهود ضررا البتة الا ضررا يسيرا وهو أذى أى ليس على المسلمين  
 من اليهود ضرر وانما منتهى أمرهم أن يؤذوكم باللسان اما بالطعن فى محمد وعيسى عليهما السلام واما  
 باظهار كلمة الكفر كقولهم عزيز بن الله واما بتحريف نصوص التوراة واما بالقاء الشبه فى الامماع واما  
 بتخويف الضعفة من المسلمين (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) أى ينهزموا من غير ان يضرركم بقتل  
 أو أسر (ثم لا ينصرون) أى ثم أخبركم انهم بعد صيرورتهم من هزيم لا يحصل لهم شوكة ولا قوة ولا  
 يحدون النصرة قط بل يبقون فى الذلة أبدا كما قال تعالى (ضربت عليهم الذلة) أى جعلت عليهم الذلة  
 بأن يحاربوا ويقتلوا وتغنم أموالهم وتسي ذرارهم وتملك أراضيهم (أينما تقفوا) أى صودفوا فلا

يقدر أن يقوموا مع المؤمنين الآن يعتصموا (بجبل من الله وجبل من الناس) أي المؤمنين فالأمان  
الحاصل للذي قسم أن أحدهما الذي نص الله عليه وهو أخذ الجزية وثانيهما الذي فوض الله إلى رأي  
الامام فيز يدفيه تارة وينقص بحسب الاجتهاد فالاول هو المسمى بجبل الله والثاني هو المسمى بجبل  
المؤمنين (و باؤا بغضب من الله) أي داموا في غضب الله أو استوجبوا العنة الله (وضربت عليهم  
المسكنة) أي جعل عليهم زى الفقر واليهود في غالب الاحوال مساكن تحت أيدي المسلمين والنصارى  
(ذلك) أي لزوم الذلة والمسكنة والمكث في اللعنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) الناطقة بنبوته محمد صلى  
الله عليه وسلم حتى يحرفونها وبسائر الآيات القرآنية (ويقتلون الانبياء بغير حق) أي بلا حرم فان الذين  
قتلوا الانبياء أسلافهم وهؤلاء المتأخرون كانوا راضين بفعل أسلافهم فنسب اليهم كما ان التحريف من  
أفعال أحبارهم ينسب الى كل من يتبعهم (ذلك) أي الكفر والقتل (بما عصوا) في السبت (و كانوا يعتدون)  
أي يتجاوزون حدود الله باستحلال المحارم قال أرباب المعاملات مع الله من ابتلى بترك الآداب وقع  
في ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الفريضة ومن ابتلى في ترك الفريضة وقع في استحقاق  
الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر (ليسوا) أي جميع أهل الكتاب (سواء) أي فليس من  
آمن منهم كن لم يؤمن (من أهل الكتاب أمة قائمة) أي جماعة عدل مهتدية بتوحيد الله وهم عبد الله  
ابن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم معهم من اليهود كما أخرجه ابن جرير  
وابن أبي حاتم عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن جريح قال هم عبد الله بن سلام وأخوه ثعلبة بن سلام  
وسعية وميس وأسيد وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسلم عبد الله بن سلام  
وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن محمد الاشرارنا ولولا ذلك ماتر كوادين آباءهم فأمر الله تعالى هذه  
الآية (يتلون آيات الله آناء الليل) أي يقرؤون القرآن ساعات الليل (وهم يسجدون) أي يصلون  
التهجد في الليل وهذا كلام مستقل والصلاة تسهي سجدوا (يؤمنون بالله واليوم الآخر) يأمررون  
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل أصناف  
الخيرات اللازمة والمتعدية (وأولئك) الموصوفون بالصفات السبعة (من الصالحين) أي من جملة  
الذين صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناه وقال ابن عباس أي من صالحى أمة محمد صلى الله عليه  
وسلم ويقال مع صالحى أمة محمد في الجنة مع أبي بكر وأصحابه وأعلم ان اليهود كانوا أيضا يقومون في الليالي  
للتعبد وقرأة التوراة فلما مدح الله المؤمنين منهم بالتهجد وقرأة القرآن أردف ذلك بقوله يؤمنون بالله  
واليوم الآخر ويأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات فالإيمان بالله يستلزم  
الإيمان بجميع أنبيائه ورسوله وكتبه والإيمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من المعاصي فإيمان اليهود  
بالله مع قولهم عزير بن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسول ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته وعدم  
الاحتراف عن معاصي الله وازلال الناس وصددهم عن سبيل الله ومباذرتهم الى الشرور واعلم ان كمال  
الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل وأفضل الاعمال الصلاة وأفضل الاذكار ذكر الله  
وأفضل المعارف معرفة المبدأ ومعرفة المعاد فقوله تعالى يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون إشارة  
الى الاعمال الصالحة الصادرة عنهم وقوله تعالى يؤمنون بالله واليوم الآخر إشارة الى فضل المعارف  
الحاصلة في قلوبهم فكان هذا الإشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وفي القوة النظرية وذلك أكل أحوال  
الانسان وهي المرتبة التي هي آخر درجات الانسانية وأول درجات الملكية واعلم ان الغاية القصوى



في السكال أن يكون تاما وفوق التمام فكون الانسان تاما ليس الا في كمال قوته العلية وقوته النظرية  
وكونه فوق التمام ان يسعى في تكميل الناقصين وذلك بطريقتين اما بارشادهم الى ما ينبغي أو بمنعهم عما  
لا ينبغي ثم الوصف بالصلاح غاية المدح ويدل عليه القرآن والعقل فان الصلاح ضد الفساد وكل ما لا ينبغي  
فهو فساد سواء كان في العقائد أو في الاعمال فاذا حصل كل ما ينبغي فقد حصل الصلاح فكان الصلاح  
دالا على كل الدرجات ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات الثمانية قال (وما يفعلو من خير فلن  
يكفروه) قرأ حزة والكسافي وحفص عن عاصم بالياء في الفعلين لان الكلام متصل بما قبله من ذكر  
مؤمني أهل الكتاب فان جهال اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه انكم خسرتم بسبب هذا  
الايمان قال تعالى وما يفعلو أي عبد الله بن سلام وأصحابه من خير عما ذكر ويقال من احسان الى  
محمد وأصحابه فلن يكفروه أي لن ينسى ثوابه بل يثابوا وقسرا الباقيون بالتاء فيه معا على الخطاب لجميع  
المؤمنين الذين من جملتهم هؤلاء أي وما تفعلو معاشر المؤمنين من خير فلن تمنعوا ثوابه وجزاه بل تجازوا  
عليه (والله عليم بالمتقين) وهذا بشارته لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده تعالى الا اهل  
التقوى (ان الذين كفروا لن تغني عنهم) أي لن تدفع عنهم (أموالهم ولا اولادهم من الله) أي من  
عذابه (شيئا واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) انما خص الله تعالى الاموال والاولاد بالذكر  
لان أنفع الجمادات هو الاموال وأنفع الحيوانات هو الولد ثم بين تعالى ان الكافر لا يتفجع به مما البتة في  
الآخرة وذلك يدل على عدم انتفاعه بشئ الاشياء بطريق الاولى (مثل ما ينفقون) أي الكفار (في  
هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر) أي بردهم هلك أو حرق (أصاب حرق قوم ظلموا أنفسهم)  
بالكفر والمعاصي (فاهلكته) والمعنى مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل الربح المهلكة للزرع أو مثل  
الكافر الذي أنفق أمواله في الحيات فحوى بناءه الى باطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والايتم  
والارامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك انفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلا  
لآثار الحيات فكان كمن زرع زرعاً وتوقع منه نفع كثير فأصابته ريح فأحرقته فلا يبقى معه الا الحزن  
والاسف هذا اذا أنفقوا الاموال في وجوه الحيات أما اذا أنفقوها في ما طمأنوه من الحيات  
وهو من المعاصي مثل انفاق الاموال في ايدى رسول الله وفي قتل المسلمين وتخريب ديارهم ففيه  
أشد تأثيرا في ابطال آثار أعمال البر (وما ظلمهم الله) حيث لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفستهم  
يظلمون) حيث أتوا بالنفقات مقرونة بالوجوه المانعة من كونها مقبولة لله (يا أيها الذين آمنوا)  
نزلت هذه الآية في شأن رجال من المؤمنين يشاورون اليهود في أمورهم لما كان بينهم من الرضا والخلف  
ظن منهم انهم ينصرون لهم في أسباب المعاش فنهاهم الله تعالى بهذه الآية عنه كما قاله ابن عباس أو في  
رجال من المؤمنين كانوا يغترون بظواهر أقوال المنافقين فيغشون اليهم الامرار ويطلعونهم على الاحوال  
فألله تعالى منعهم عن ذلك كما قاله مجاهد وقال الله تعالى (لا تتخذوا بطانة) أي خاصة يتباطون في الامور  
(من دونكم) أي من غير اهل ملتكم من الكفار والمنافقين (لا يألونكم خبالا) أي لا يتركون جهدكم  
في مضرتكم وفسادكم (ودوا ما عنتم) أي أحبوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر أي فان  
الكفار لا يقصرون لكم في افساد دينكم فان عجزوا عنه أحبوا بلوهم القاءكم في أشد أنواع الضرر  
(قد بدت البغضاء من أفواههم) أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم بالطعن وغيره مما يدل على نفاقهم  
وبأنهم يظهرون تكذيب نبيكم وكذبكم وينسبونكم الى الجهل والحق (وما تخفي صدورهم) من الحقد

(أكبر) مما يظهر على ألسنتهم (قد بينا لكم الآيات) أي علامة الحسد والعداوة (إن كنتم تعقلون) الفرق بين ما يستحقه العدو والولي (ها أنتم أولاء) أي أنبيكم أنتم يا معشر المؤمنين المخطئين في موالاتهم (تحبونهم) بسبب ما بينكم وبينهم من الرضاقة والمصاهرة وبسبب أنهم أظهر والكم الإيمان وأنهم يظهرن لكم محبة رسول الله (ولا يحبونكم) بسبب المخالفة في الدين وبسبب أن الكفر مستقر في باطنهم ولا أنهم يعلمون أنكم تحبون الرسول (وتؤمنون بالكتاب كله) وهم لا يؤمنون به وهم مع إيمانكم بكتبهم يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم (واذا القوم) أي منافقوا اليهود (قالوا) نفاقاً (آمننا) بمحمد فان نعته في كتابنا (واذا خلوا) أي رجع بعضهم إلى بعض (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) أي عضوا لأجل غمهم منكم أطراف الأصابع من شدة الغضب أي فاذا رجعوا إلى بعضهم أظهر واشدة العداوة على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة إلى عض الأنامل كما يفعل ذلك أحدنا إذا اشتد غيظه ولما كثرت هذه الفعل من الغضب صار ذلك كناية عن الغضب حتى يقال في الغضب إن بعض يده غيظاً وإن لم يكن هناك عض (قل موتوا بغيظكم) وهذا دعاء عليهم بآزاد ما يوجب هذا الغيظ وهو قوة الإسلام ودعاه عليهم بالموت قبل بلوغ ما يتقنون وليس أمر أبالاقامة على الغيظ فإن الغيظ كفر والأمر بالكفر غير جائز ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى قل موتوا بغيظكم أنه تعالى أمر رسوله بطيب النفس وقوة الرجا والاستبشار بوعد الله إياهم أنهم يهلكون غيظاً باهزاً الإسلام وأذالهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك (إن الله عليم بذات الصدور) أي أنه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر والبواعث والصوارف (إن تمسكم حسنة تسوهم) أي إن تصبكم منفعة الدنيا تحزنهم وذلك كصحة البدن وحصول الخصب والفوز بالغبية والاستيلاء على الأعداء وحصول المحبة بين الأحياء (وإن تصبكم سيئة) أي مضرة كمرض وفقير وانهم من عدو وقتل ونهب وغارة وحصول التفرقة بين الأقارب (يفرحوا) أي اليهود والمنافقون (بها) فإنهم متناهون في عداوتكم فاجتنبوهم (وإن تصبروا) على طاعة الله وعلى ما ينالكم فيها من شدة وغم (وتتقوا) كل ما نهاكم عنه وتتوكلوا في أموركم على الله (لا يضركم كيدهم) أي حيلتهم التي دبروها لاجلكم (شيئاً) من الضر لأن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى واتي كل ما نهى الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره حيل المحتالين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر ولا يضركم بفتح الياء وكسر الضاد وسكون الراء والباقون لا يضركم بضم الضاد والراء المشددة على الجزم بسكون مة در لا يتابع وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء للتحفيف (إن الله بما يعملون محيط) بالياء باتفاق القراء العشرة أي أنه عالم بما يعملون في معاداتكم فيعاقبهم عليه وفي قراءة شاذة بالتاء والمعنى أنه تعالى عالم بما يعملون من الصبر والتقوى فيفعل بكم ما أنتم مستحقون له (وإذا غدوت من أهلك) أي إذا ذكر يا أشرف الخلق لأصحابك وقت خروجك من عند أهلك أي من حجرة عائشة إلى أحد ليتذكر وأما وقع في ذلك الوقت من الأحوال الناشئة من عدم الصبر فاعلموا أنهم لو لموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة روى أنه صلى الله عليه وسلم ذهب من منزل عائشة في المدينة فمشى على رجله إلى أحد بعد صلاة الجمعة في نصف شوال وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت وجعل يصف أصحابه للقتال وكانوا ألفاً وأقل وكان الكفار ثلاثة آلاف وجعل صلى الله عليه وسلم ظهره وظهر عسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال لأصحابه اثبتوا في هذا المقام فإذا عاينوكم ولوكم الأدبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من

هذا المقام فلما التقى الفريقان انهم زعم عبد الله بن أبي مع ثلاثمائة من المنافقين فبقى من عسكر المسلمين  
 سبعمائة ثم قواهم الله حتى هزموا المشركين ثم طلبوا المدبرين وتركوا ذلك المقام واشتغلوا بطلب الغنائم  
 وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فترع الله الرعب من قلوب المشركين فكر عليهم المشركون  
 وتفرق المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشجع وجه الرسول وكسرت رباعية موشرت يد طلحة ولم  
 يبق معه صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكران محمدا  
 قد قتل وكان رجل يكنى أبا سفيان من الانصار نادى الانصار وقال هذا رسول الله فرجع اليه المهاجرون  
 والانصار وكان قد قتل منهم سبعون وكثر فيهم الجراح وكل ذلك يؤكده قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا  
 لا يضركم كيدهم شيئا والظفر اغما حصل ببركة طاعتهم لله ورسوله والالم يقوموا مع عدوهم (تبوأ  
 المؤمنون معاهد للقتال) أي تنزل المؤمنون بأحد أمكنة لقتال عدوهم (والله سميع) لا أقوالكم (عليهم)  
 بضماؤكم ونياتكم فان النبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه في ذلك الحرب فذهب من قال له أقم بالمدينة  
 وهو عبد الله بن أبي وأكثرا الانصار ومنهم من قال له اخرج اليهم وكان لكل أحد غرض (اذ همت  
 طائفتان منكم) بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج وهما جناح العسكر (أن تغشلا) أي  
 بأن تجبنا عن قتال العدو يوم أحد وترجعاروى انه صلى الله عليه وسلم خرج مع تسعمائة وخمسين ووعدهم  
 النصر ان صبروا فاطا بلغوا عند جبل أحد انزل ابن أبي المنافق مع ثلاثمائة من أصحابه المنافقين وقال  
 يا قوم لا شيء نقتل أنفسنا ولا دنائكم فبعهم عمرو بن حزم الانصاري وأبو جابر السلمي وقالوا أسألكم بالله  
 في حفظ نبيكم وأنفسكم أي فانكم لو رجعت فانتكم نصره نبيكم وفانتكم وقاية أنفسكم من العذاب  
 لتخلفكم عن نبيكم فقال عبد الله بن أبي لو نعلم قتالا لا تبعناكم فذهب الطائفتان باتباع عبد الله بن أبي  
 فعصمهم الله فثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (والله وليهم) أي عاصمهم عن  
 اتباع تلك الخطوة (وعلى الله فليتبوكل المؤمنون) في جميع أمورهم فانه حسبهم ولما حكى الله عن  
 الطائفتين انهما همتا بالهين والضعف أي بذلك بقصة بدر فان المسلمين كانوا في غاية الفقر والضعف  
 والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة ولكن لما كان الله ناصر لهم قهر وأعداءهم وفازوا بطلانهم  
 وقال تعالى (ولقد نصركم الله بيدروا أنتم أذلة) بقلة العدد وضعف الحال وقلة السلاح والمال وعدم  
 القدرة على مقاومة العدو فان المسلمين كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وما كان فيهم الا فرس واحد والكفار  
 كانوا قريشين من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الاسلحة الكثيرة والعدة الكاملة (فاتقوا الله)  
 في أمر الحرب ولا تخالفوا الامير الذي معكم (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته تعالى  
 ونصرته (اذ تقول للمؤمنين) فاذا ما منصوب بنصركم ويكون هذا الوعد حصل يوم بدر وهذه الجملة  
 من تمام قصة بدر ووقول أكثر المفسرين واما بدل من قوله اذ همت أو بدل ثان من قوله تعالى واذ غدوت  
 ويكون هذا الوعد حصل يوم أحد وهذه الجملة من تمام قصة أحد فيكون قوله ولقد نصركم الله معترض بين  
 الكلامين وهو مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق (ألن يكفيكم) مع  
 عدوكم (أن يدرككم ربكم) أي ينصركم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من السماء قرأ ابن عباس  
 منزلين مشددا لآي مفتوحة والباقون بفتح الـ أي مخففة وقرئ قراءة شاذة باسم الفاعل من الصيغتين أي  
 منزلين النصر (يلي) يكفيكم (ان تصبروا) مع نبيكم في الحرب (وتتقوا) معصية الله ومخالفة  
 نبيه صلى الله عليه وسلم (ويأتوكم) أي يأتىكم المشركون (من فورهم هذا) أي من ساعتهم هذه

من جهة مكة (يعدكم ربكم) أي ينصركم على عدوكم (بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو أي معلمين أنفسهم أو خيلهم والباقون بفتح الواو أي معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب واذنابها أو مجزوزة ذنابهم أو مسيلين (وما جعله الله) أي ما جعل الله الامداد (الابشري لكم) بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) أي بالمدد وفي ذكر الامداد مطلوبان ادخال السرور في قلوبهم وحصول الطمأنينة على ان اعانة الله معهم (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) لا من العدة والعدد ولا من عند الملائكة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) واللام متعلق بقوله وما النصر والمعنى والمقصود من نصركم ان يهلك الله طائفة من كفار مكة يقتل وأسرى (أو يكبتهم) أو يهزمهم ويخزيهم (فينقلبوا خائبين) أي يرجعوا منقطعي الآمال غير فائزين بطلوبهم بشئ (ليس لك من الامر شيء) وهذه الآية نزلت في قصة أحدلنعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم لما روى ان عتبة بن أبي وقاص شجبه وكسر ربا عيته وهي السن التي بين الشنبة والنايب ثم أراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية ولما روى سالم بن عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم لعن أقواما فقال اللهم العن أباسفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزل قوله تعالى أوتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم ولما حصل له صلى الله عليه وسلم من الهم بأنه رأى حمزة بن عبد المطلب ورأى ما فعلوا به من المثلة وقال لا مثلن منهم بثلاثين فنزلت هذه الآية ومات في ذلك اليوم من المسلمين سبعون وأسرعرون ومات من الكفار ستة عشر وروى علي بن عباس ان هذه الآية نزلت بسبب أنه صلى الله عليه وسلم أراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين انهمزوا يوم أحدلنعه الله من ذلك وانما ناص الله تعالى على المنع تقوية لهجمته (أوتوب عليهم أو يعذبهم) وهذا انما معطوفان على الامر والمعنى ليس لك يا أشرف الخلق من شأن هذه الحادثة شيء ومن التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء لانه ليس لك من مصالح عبادي شيء الا ما أوحى اليك وليس لك من سؤال اهلا كههم شيء لانه تعالى أعلم بالمصالح فريعاتاب الله عليهم أو معطوفان على شيء أي ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل المراد بالامر ضد النهي والمعنى ليس لك من أمر خلقي شيء أو من توبتهم أو من تعذيبهم شيء الا اذا كان على وفق أمرى والمقصود من الآية منعه صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وأمره وهذا هو الارشاد الى أكل درجات العبودية (فانهم ظالمون) أي بالمعاصي وهذه جملة مستقلة لكن المقصود من ذكرها تعليل لحسن التعذيب والمعنى أو يعذبهم فانه تعالى ان عذبهم اغنايهم لانهم ظالمون والمراد بالعذاب اما عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فعلم ذلك مفوض الى الله (ولله ما في السموات وما في الارض) ملكا وخالقا (يغفر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب من يشاء) تعذيبه وتقديم المغفرة على التعذيب الاعلام بأن رحمته تعالى سبقت غضبه وبأ الرحمة من مقتضيات الذات دون الغضب فانه من مقتضيات سيئات العصاة (والله غفور رحيم) والمغفرة والرحمة على سبيل الاحسان أما التعذيب فعلى سبيل العدل لان الطاعة لا توجب الثواب والمعصية لا توجب العقاب بل السكل من الله بحكم الهيته وقهره وارادته (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا بأضعافا) على الدرهم (مضاعفة) في الاجل وكان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى أجل فاذا جاء الاجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زد في المال حتى أزيد في الاجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل الثاني فعل في مثل ذلك ثم الى آجال كثيرة فياخذ بسبب تلك المائة أضعافها فها هو ذا هو

المراد من قوله أضعاف مضاعفة وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين بلا ألف قبلها وقال القفال يحتمل أن تكون هذه الآية متصلة بما تقدم من جهة أن المشركين اغما أنفقوا على ذلك العساكر أموا لاجمعوها بسبب الربا فحصل ذلك يصير داعيا للمسلمين إلى الاقدام على الربا حتى يجمعوا المال وينفقوه على العسكر فيتمكنون من الانتقام منهم لحقائهم الله عن ذلك (واتقوا الله) فيما نهيتهم عنه من أخذ الربا وغيره (لعلكم تفهون) أي لكي تفهموا من العذاب والسخط (واتقوا النار) بأن تحتنبوا ما يوجبها وهو استحلال ما حرم من الربا وغيره (التي أعدت للكافرين) وكان أبو حنيفة يقول هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعده الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه وفي الآية \* (تنبيهه) \* على أن النار بالذات للكفار وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله) فيما يأمركم به وينهاكم عنه من أخذ الربا وغيره (والرسول لعلكم ترحمون) الذي يبلغكم أوامر الله ونواهيه فان طاعة الرسول طاعة الله (وسارعوا) قرأنا فع وابن عامر بغير واو أي بادروا وابقبلوا وقرئ شاذة وسابقوا (إلى مغفرة من ربكم) أي إلى الاسلام كما قاله ابن عباس وإلى أداء الفرائض كما قاله علي بن أبي طالب والصلوات الخمس وإلى الاخلاص كما قاله عثمان بن عفان وإلى الجهاد كما قاله الضحاك ومحمد بن اسحق وإلى التكبير الأولى كما قاله سعيد بن جبير وإلى جميع الطاعات كما قاله عكرمة وإلى التوبة من الربا والذنوب كما قاله الاصم وابن عباس (وجنة) أي فكما تجب المسارعة إلى المغفرة فكذلك تجب المسارعة إلى الجنة فمعنى الغفران إزالة العقاب ومعنى الجنة إيصال الثواب فلا بد للكاف من تحصيل الأمرين (عرضها السموات والأرض) أي عرضها مثل عرض السموات والأرض لو جعلت السموات والأرض طبقات بحيث يكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحاً موزناً من أجزاء لا تجزى ثم وصل البعض ببعض طبقاتها وأحد الكائن ذلك مثل عرض الجنة وهذا غاية في السعة لا يعلمها إلا الله تعالى (أعدت) أي هيئت الجنة (للمتقين) ثم ذكر الله تعالى صفات المتقين فقال (الذين ينفقون) أموالهم في سبيل الله تعالى (في السراء والضراء) أي في حال الغنى والفقر أو في سرور وحزن أو على وفق طبعهم وعلى خلافه كما يحكي عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب (والكاظمين الغيظ) أي الكافين غيظهم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظاً وهو يقدر على أنفاذه ملائكة الله قلبه أمناً وإيماناً وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه زوجه الله من الخور العين حيث يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة لكنه الذي يملك نفسه عند الغضب (والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ومحبة الله للعبد أعظم درجات الثواب روى عن عيسى بن مريم أنه قال ليس الاحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك ذلك مكافأة اغما الاحسان أن تحسن إلى من أساء إليك وأعلم أن الاحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه أما إيصال النفع إليه فيدخل فيه انفاق العلم بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه انفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا بأن لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءة بأساءة أخرى فهذا داخل في كظم الغيظ وإما في الآخرة بأن يبرئ ذمة الغير عن المطالبات فهذا داخل في العفو عن الناس فهذه الآية دالة على جميع جهات الاحسان إلى الغير (والذين إذا فعلوا فاحشة) أي معصية (أو ظلموا أنفسهم) بأن أتوا ذنباً أي ذنباً كان (ذكروا الله) أي خافوا الله قال بعضهم لما وصف الله تعالى الجنة بأنهم معدة للمتقين بين أن المتقين قسمان أحدهما الذين أقبلوا على الطاعات وهم الذين وصفهم

الله بالانفاق وكظم الغيظ والعفوع عن الناس وثانيهما الذين أذنبوا ثم تابوا وعلى هذا فالاسم الموصول معطوف على الموصول قبله وقيل لما تدب الله تعالى في الآية الأولى إلى الأحسان إلى الغير ندب في هذه الآية إلى الأحسان إلى النفس وعلى هذا فالاسم الموصول معطوف على المحسنين روى ابن عباس أن هذه الآية نزلت في رجلين أنصاري وثقي والرسول صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بينهما وكان لا يفترقان في أحوالهما فخرج الثقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الأنصاري على أهله يتعاهداهم فكان يفعل ذلك ثم قام إلى امرأته ليقبلها فوضعت كفها على وجهها فندم الرجل فلما وافى الثقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرى الأنصاري وكان قد هاهم في الجبال للتوبة فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم سكت حتى نزلت هذه الآية وقال عطاء نزلت في شأن أبي سعيد تبهان التمارفانه أتمته امرأة حسناء تطلب منه عمرا بالشرا فقال لها هذا التمر ليس يجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له أتق الله فتركها وندم على ذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية (فاستغفروا الذنوب بهم) أي أتوا بالتوبة على الوجه الصحيح لاجل ذنوبهم وهو الندم على فعل ماضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فهذا هو حقيقة التوبة فأما الاستغفار باللسان فذلك لا أثر له في إزالة الذنب بل يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار انقطاعه إلى الله تعالى وقوله فاستغفروا معطوف على جواب اذا (ومن يغفر الذنوب الا الله) أي لا يغفر ذنوب التائب أحد الا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) من الذنوب بأن ألقوا واعنها في الحال وهذا معطوف على قوله فاستغفروا (وهم يعلمون) ان الذين فعلوا معصية الله وهذه الجملة حال من فاعل يصروا (أولئك) الذين خافوا الله وتابوا من ذنوبهم (جراؤهم مغفرة من ربهم) لذنوبهم (وجنات) أي بساتين (تجري من تحتها الانهار) أي من تحت شجرها ومساكنها أنهار الحمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) أي دائمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ونهم أجر العاملين) أي نعم ثواب التائبين المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنين) أي قدمضت من قبل زمانكم سنين الله تعالى في الهم السالفة المكذبة للرسول باهلا كهم ان لم يتوبوا وبالمغفرة ان تابوا فرغب الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم إلى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الرياسة في الدنيا وطلب الجاه (فسيروا في الارض فانظروا) أي تعرفوا أيها المؤمنون أحوال الهم السالفة بسرا وغيره ثم تفكروا فيها للتسلي والاتعاظ (كيف كان عاقبة المكذبين) أي كيف صار آخر أمر المكذبين بالرسول الذين لم يتوبوا من تكذيبهم (هذا) القرآن (بيان) بالحلال والحرام (للناس) عامة (وهدي) من الضلالة (وموعظة للمتقين) فالحاصل ان البيان جنس تحت نوعان أحدهما الكلام الهادي إلى ما ينبغي في الدين وهو الهدي والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة واغما خصص الله المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون به مادون غيرهم (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا عن الجهاد مع عدوكم (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الغنائم يوم أحد ولا على ما أصابكم من القتل والجراحة وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شهاس وسعد مولى عتبة ومن الأنصار سبعون رجلا رضي الله عنهم أجمعين (وأنتم الاعلون) أي والحال انكم في آخر الامر الغالبون بالنصرة لكم دون عدوكم فان مصير أمرهم إلى الدمار حسب ما شاهدتم من أحوال أسلافهم



(ان كنتم مؤمنين) وهذا اما منصب بالنهي أو بوعد النصر والغلبة أي ان كنتم مؤمنين فلا تنهوا ولا  
تخزوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بضع الله تعالى وقلة المبالة بالاعداء أو ان كنتم مؤمنين  
فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو بلا شك (ان يحبسكم قرح فقدمس القوم قرح مثله) أي ان  
أصابكم قرح يوم أحد فقد أصاب أهل مكة يوم بدر جرح مثل ما أصابكم يوم أحد ثم لم يضعف ذلك قلوبهم  
فانتم أحق بان لا تضعفوا وقيل ان المعنى ان نالككم يوم أحد قرح وانهم زام فقد نال الكفار في ذلك اليوم مثل  
ذلك فان المسلمين نالوا من الكفار قبل ان يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا  
وعشرين رجلا منهم صاحب لوأثمهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة  
عليهم في أول النهار (وتلك الايام) أي أيام الدنيا (نذاولها بين الناس) لا يدرم مسارها ولا مضارها  
فيوم يحصل فيه السرور للمؤمنين والنعم للاعداء يوم آخر بالعكس وليس المراد من هذه المداولة ان الله  
تعالى تارة ينصر المؤمنين والاخرى ينصر الكافرين وذلك لان نصر الله منصب شريف فلا يليق  
بالكافرين المراد من هذه المداولة انه تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين ولو شدد المحنة  
على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميع الاوقات لحصل العلم الاضطراري بان  
الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب وأيضا ان المؤمن قديقدم  
على بعض المعاصي فيشدد الله المحنة عليه في الدنيا تأديباً له وأما تشديد المحنة على الكافر فانه غضب من  
الله عليه وأيضا ان لذات الدنيا وآلامها غير باقية وانما السعادات المستمرة في دار الآخرة وروى ان أبا  
سفيان صعد الجبل يوم أحد ثم قال أين ابن أبي كبشة أين أبي خفاقة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول  
الله وهذا أبو بكر وهما أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب مجال فقال عمر لا سواء قتلانا في  
الجنة وقتلناكم في النار فقال ان كان الامر كما ترجمون فقد خبنا اذا وخسرنا (وليعلم الله الذين آمنوا)  
واللام متعلقة بفعل مضمر والتقدير وفعلنا هذه المداولة لكي يرى الله الذين اخلصوا في ايمانهم مقيمين من  
المنافقين اذا أصابتهم المشقة كما وقع في أحد (ويتخذ منكم شهداء) أي يكرم الله من يشاء منكم بالشهادة  
وهم شهداء أحد (والله لا يحب الظالمين) أي المشركين وانما يظفرهم في بعض الاحيان استدرأجا لهم  
وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) أي ليظهرهم من ذنوبهم بما يصيبهم في الجهاد ان كانت  
الغلبة للكافرين على المؤمنين (ويحقق الكافرين) أي يهلكهم في الحرب ان كانت الغلبة للمؤمنين  
على الكافرين (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) والخطاب  
للذين انهزموا يوم أحد أي أظننتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد  
والصبر أي الجمع بينهما أي لا تحسبوا ذلك والحال ان الله تعالى لم ير المجاهدين منكم في سبيل الله يوم أحد  
والصابرين على قتال عدوهم مع نبيهم (ولقد كنتم تمنون الموت) بالشهادة في الحرب (من قبل أن تلقوه)  
أي الموت يوم أحد حيث قلتم ليت لنا يوم ما نال شهداؤه من الكرامة وكانوا قد ألقوا على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (فقد رأيتموه) أي ان كنتم  
صادقين في غنيةكم الحرب فقد رأيتم الموت بمشاهدة أسبابه يوم أحد (وانتم تنظرون) الى سيوف  
الكفار حين قتل امامكم من قتل من اخوانكم فلم انهزمتم منهم ولم تثبتوا مع نبيكم (وما محمد الا رسول قد  
خلت من قبله الرسل) أي قدمضت من قبل محمد أمثاله من رسل الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد  
والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بأحد أمر الرماة أن يلزموا أصل الجبل ثم قتل على طلحة صاحب

لواء الكفار وشدة الزبير والمقداد على المشركين فانهزم الكفار ثم بادروا قوم من الرماة الى الغنمية وكان خالد بن الوليد صاحب مينة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم ورمى عبد الله بن قتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر ربا عيته وشبه وجهه وأقبل يريد قتله فذب عنه مصعب ابن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يرميهم حتى قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صرخ ألا ان محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فهناك قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي ياخذ لنا أمانا من أبي سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا بأيديهم وقال قوم من المنافقين أو كان محمد نبينا لما قتل وان كان قد قتل فارجعوا الى دينكم الاول فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون في الحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك عما يقول هؤلاء المسلمون وأبرأ اليك عما جاء به هؤلاء المنافقون ثم سل سيفه فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس ويقول الى عباد الله فأول من عرفه صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال عرفت عينيه تحت المغفر ترزهران فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن امسك فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هزيعتهم فقالوا يا نبى الله قد ينالك بآبائنا وأمهاتنا أتألم بالخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فوليها مدبرين فأمر الله تعالى هذه الآية (أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) أى أصرتم كفارا بعد ايمانكم ان مات محمد أو قتل كفرتم من الرسل فتخالفوا سنن اتباع الانبياء قبلكم في ثباتهم على ملل انبيائهم بعد موتهم أى لا ينبغي منكم الارتداد حينئذ لان محمد صلى الله عليه وسلم مبلغ لا معبود وقد بلغكم والمع وداق فلا وجه لرجوعكم عن الدين الحق لومات من بلغكم اياه (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) أى ومن يرجع الى دينه الاول وهو الشرك فلن ينقص الله رجوعه شيئا وانما يهلك نفسه باقباله على العذاب (وسيجزى الله الشاكرين) أى الثابتين على دين الاسلام الذى هو أجل نعمة وأعز معروف كأنس بن النضر وأمثاله (وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله) أى بإرادة الله وقضائه (كتابا مؤجلا) أى كتب الله الموت كتابا مؤقلا كتابة أجله ورزقه سواء لا يسبق أحدهما الآخر وهذا اعلام بأن الحذر لا يدفع القدر وان أحد الايعوت قبل الاجل واذا جاء الاجل لا يندفع الموت بشئ فلا فائدة في الجبن والخوف (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا) أى منفعة الدنيا (نؤته منها) أى يعطيه من الدنيا ما يريد عما نشاء ان نعطيها اياه وماله في الآخرة من نصيب (ومن يرد) بعمله (ثواب الآخرة) أى منفعة الآخرة (نؤته منها) أى نعطيه من الآخرة ما يريد عما نشاء من الاضحاف حسب ما جرى به الوعد الكريم (وسيجزى الشاكرين) أى نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما أتاهم الله تعالى من القوى الى ما خلق لاجله من طاعة الله تعالى فاعلم ان الذين حضروا يوم أحد كانوا فريقين منهم من يريد الدنيا كالذين تركوا المركز طلبا للغنمية والثنا وهو لا بد وأن يهزموا ومنهم من يريد الآخرة كالذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا والذين حضروا والذين لا بد وأن لا يهزموا واعلم ان هذه الآية وان وردت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان المؤثر في جلب الثواب والعقاب الدواعي والمقصود لا ظواهر الاعمال كافي قوله صلى الله عليه وسلم انما الاهمال بالنيات فان من وضع الجبهة على الارض في صلاة الظهر والشمس قداه فان قصد بذلك السجود لعبادة الله تعالى كان ذلك

من أعظم دعائم الاسلام وان قصده عبادة الشمس كان ذلك أعظم من دعائم الكفر (وكاين من نبي قاتل  
معريون كثير فاهنوا لما أصابهم في سبيل الله) قرأ ابن كثير كائن بألف بعد الكاف بعدها همزة  
مكسورة والباقيون بهمزة بعد الكاف بعدها ياء مشددة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وقتل مبنيا للمفعول  
وقتادة كذلك الا انه شدد التاء وباقي السبعة قاتل وضمير الفعل يعود على المبتدأ والجملة خبر المبتدأ  
وجملة معريون من المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال من ضمير الفعل وكثير صفة لبيون والمعنى على  
القراءة الاولى وكثير من الانبياء قتلوا وبعدهم الذين بقوا من جماعتهم فاهنوا أي ضاعفوا في دينهم بل  
استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي ان يكون حالكم يا أمة محمد هكذا قال سعيد بن جبير  
ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط والمعنى  
على القراءة المشهورة وكثير من نبي قاتل لاعلاء كلمة الله وأعزاز دينه كائنا معه في القتال جماعات كثيرة  
من أصحابه فأصابهم من عدوهم قرح فاهنوا أي جبنوا والان الذي أصابهم اغما هو في طاعة الله واقامة  
دينه ونصرة رسوله فكذلك ينبغي أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد (وما ضاعفوا) أي عجزوا عن قتال  
عدوهم (وما استكانوا) أي ذلوا العدوهم كما فعلتم حين قيل قتل نبيكم وأردتم ان تعترضوا بالمنافق عبد  
الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان (والله يحب الصابرين) على تحمل الشدائد في طريق الله  
أي يكرمهم ويعظمهم (وما كان قولهم) بعدما قتل نبيهم (الا أن مالوا) هذا الدعاء وقولهم  
بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) الصغائر والكبائر (واسر افنا) أي  
اقراطنا (في أمرنا) باتيان الذنوب العظيمة الكبيرة (وثبت أقدامنا) بإزالة الخوف عن القلوب  
 وإزالة الخواطر الفاسدة عن الصدور (وانصرنا على القوم الكافرين) وهذا تأديب من الله تعالى في  
كيفية الطب بالادعية عند النوائب والمحن سواء كان في الجهاد أو غيره (فأتاهم الله ثواب الدنيا)  
بالنصرة والغنمة وقهر العدو والثناء الجميل وانشر اح الصدر بنور الايمان وزوال ظلمات الشبهات  
وكفارة المعاصي والسيئات (وحسن ثواب الآخرة) أي حكم الله لهم بحصول الجنة وما فيها من المدايع  
واللذات وأنواع السرور والتعظيم في الآخرة (والله يحب المحسنين) أي المعترفين بكونهم مسيئين  
فلما اعترفوا بذلك مما هم الله محسنين كان الله تعالى يقول لهم اذا اعترفتم باساءتكم وعجزكم فأتانا أصفكم  
بالاحسان وأجعلكم أعباء لنفسي حتى تعلموا انه لا سبيل للعبد الى الوصول الى حضرة الله الا باظهار  
الذلة والمسكنة والعجز (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) أي المنافقين في قولهم للؤمنين  
المتهمين ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل (يردوكم على أعقابكم) أي يرجعوكم  
الى دينكم الاول قال علي والمراد بالذين كفروا المنافقون كما تقدم وقال السدي وغيره المراد بهم  
أبو سفيان بن حرب لانه شجرة الفتن وكبير القوم في ذلك اليوم ومعنى الآية حينئذ ان تخضعوا لابي سفيان  
وأشباعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل المراد عبد الله بن أبي وأتباعه من المنافقين لانهم قالوا لو  
كان محمد رسول الله ما وقعت له هذه الواقعة فارجعوا الى دينكم الذي كنتم فيه وقال ابن عباس والمراد بهم  
اليهود كعب وأصحابه والمراد بالذين آمنوا حذيفة وعمار (فتنقلبوا خاسرين) أي فترجعوا مغبونين  
في الدارين بالانقياد للعدو والتذلل له وبالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد (بل الله  
مولاكم) أي ناصركم (وهو خير الناصرين) أي أقواهم بالنصرة فلا ينبغي أن تطيعوا الكفار  
لينصروكم لانهم عاجزون (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) أي سننقذ في قلوب كفار مكة

المخافة منكم حتى انهزموا وذلك ان الكفار لما هزموا المسلمين في أحد أوقع الله الرعب في قلوبهم فتركوهم  
 وفر وامنهم من غير سبب حتى روى ان ابا سفيان صعد الجبل وقال أين ابن أبي كبشة وأين ابن أبي خفاقة  
 وأين ابن الخطاب فأجابهم ودارت كلمات بينهما وما تجاسرا أبو سفيان على النزول من الجبل والذهاب  
 اليهم (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به) أي بعبادته (سلطانا) أي كتابا ولا رسولا (وما أوهم النار)  
 أي مسكنهم في الآخرة النار (وبئس مثوى الظالمين) أي وبئس مقر الكافرين النار (ولقد صدقكم  
 الله وعده) يوم أخرجت هذه الآية لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة وقد  
 أصابهم ما أصابهم بأحد قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى هذه  
 الآية (إذا تحسبهم) أي تقتلونهم قتلًا كثيرًا في أول الحرب (بأذنه) أي بعلمه ونصرته (حتى إذا  
 فشلتم) أي إلى ان ضعفتم في الرأي أو إلى حين ملتم إلى الغنيمة (وتنازعتم في الأمر) أي اختلفتم في أمر  
 الحرب أو في أمثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم أمر الرماة بأن لا يرحوا  
 عن مكانهم البتة وجعل أميرهم عبد الله بن جبير فلما ظهر المشركون أقبل الرماة عليهم بالرمي الكثير  
 حتى انهزم المشركون ثم ان الرماة رأوا نساء المشركين صعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت  
 خلاخيلهن فقالوا الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله عهد الرسول الينا أن لا نبرح عن هذا المكان فأبوا عليه  
 وذهبوا إلى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة قليلة دون العشرة إلى أن قتلهم المشركون (وعصيتهم)  
 أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأقامة في أصل الجبل وتركتم المركز لاجل تحصيل الغنيمة (من بعد  
 ما أراكم ماتحبين) أي من بعد أراكم النبي صلى الله عليه وسلم النصر والغنيمة (منكم) أي من  
 الرماة (من يريد الدنيا) بجهاده وهم الذين تركوا المركز لاجل الغنيمة (ومنكم) أي من الرماة  
 (من يريد الآخرة) بجهاده وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى قتلوا وهم عبد الله بن جبير وأصحابه (ثم صرفكم  
 عنهم) أي ثم رد الله المسلمين عن الكفار وألقى الهزيمة عليهم وسلط الكفار عليهم (ليبتليكم) أي  
 ليجعل ذلك المصرف محنة عليكم لتتوبوا إلى الله وتستغفروه فيما خالفتم فيه أمره وملتكم فيه إلى الغنيمة  
 (ولقد عفا عنكم) لما علم من كدكم على المخالفة وتفضل الله تعالى (والله ذو فضل على المؤمنين)  
 حيث لم يستأصل الرماة (أذ تصعدون) أي تذهبون في الأرض (ولا تلوون على أحد) أي ولا  
 تلتفتون إلى أحد من شدة الحرب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي وهو واقف في آخركم وكان  
 يقول إلى عباد الله إلى عباد الله أنارسل الله من يكرفله الجنة (فانا بكم نحاربكم) أي جازاكم الله  
 غما حصل لكم بسبب الانهزام وقتل الاحباب وفوت الغنائم ثم حصل للرسول بسبب عصيانكم أمره  
 (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من الغنيمة (ولما أصابكم) من القتل والجراحة قال أبو السعد أي  
 لتتمروا على الصبر في الشدة فلا تحزنوا على نفع فات أو ضرات (والله خير بما تعملون) أي عالم  
 بأعمالكم ومقاصدكم قادر على مجازاتهم ان خيرا خيرا وان شرا شرا (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة)  
 من العدو (نعاسا يغشى طائفة منكم) أي يأخذ النعاس المهاجرين وعامة الانصار (وطائفة) وهم  
 المنافقون عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير وأصحابهما (قد أهتهم أنفسهم) أي أوقعتهم في الهموم لان  
 أسباب الخوف وهي قصد العدو كانت حاصلة لهم والدافع لذلك وهو الوثوق بوعد الله ورسوله غير معتبر  
 عندهم لانهم كانوا مكذبين بالرسول في قلوبهم فلذلك عظم الخوف في قلوبهم (يظنون بالله غير الحق  
 ظن الجاهلية) أي كانوا يقولون في أنفسهم لو كان محمد محقا في دعواه لما سلط الكفار عليه وهذا ظن

فأسد والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لا خد عليه فإن النبوة خلقة من الله تعالى يشرف  
عبد بها وليس يجب في العقل أن الله تعالى إذا شرف عبده بخلعة أن يشرفه بخلعة أخرى بل له الأمر  
والنهي كيف شاء بحكم الألهية (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) أي هل لنا من النصر الذي وعدنا به محمد  
نصيب قط وهذا الكلام أن كان قائله من المنافقين كعبد الله بن أبي فاعنا قاله طعنا في نبوة محمد صلى الله  
عليه وسلم وفي الإسلام وأن كان من المؤمنين المحققين كان غرضه منه اظهار الشفقة أنه متى يكون الفرج  
ومن أين يكون تحصل النصرة (قل إن الأمر) أي التدبير (كله الله) فإنه تعالى قد دبر الأمر كما جرى  
في سابق قضائه فلا مرد له (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) أي يقولون فيما بينهم بطريق الخفية  
مظهري أنهم مسترشدون طالمون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب مخافة القتل (يقولون) أي  
معتب بن قشير وعبد الله بن أبي (لو كان لنا من الأمر شيء ما قلناه ههنا) أي لو كان لنا من  
التدبير والرأي شيء ما قتل من قتل منا في هذه المعركة وما غلبنا (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب  
عليهم القتال إلى مضاجعهم) أي قل يا أشرف الخلق لهم لو جلستم في بيوتكم في المدينة لخرج منكم  
من كتب الله عليهم القتال إلى مصارعهم أي أما كنهم التي ما وافيا عند أحد حتى يوجد ما علم الله أنه  
يوجد فإن الحذر لا يدفع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر الله عليهم القتال لا بد وأن يقتلوا لأن الله  
تعالى لما أخبر أنه يقتل قلوبهم لا يقتل لقلب علمه جهلا وذلك محال (و) فرض الله عليكم القتال ولم ينصركم  
يوم أحد (ليبتلي الله ما في صدوركم) أي ليعاملكم معاملة من يختبر ما في قلوبكم من الإخلاص  
والنفاق وليظهر ما فيهما من السرائر وفي المثل المشهور لا تكرر هو الفتن فإنها حصاد المنافقين (وليحص  
ما في قلوبكم) أي يخلصها من الوسوس (والله عليهم بذات الصدور) أي بما في القلوب من الخير  
والشر (إن الذين تولوا منكم) أي انهزموا يوم أحد وهم عثمان بن عفان ورافع بن المعلى وخارجة  
ابن زيد (يوم التقى الجمعان) جمع محمد صلى الله عليه وسلم وجمع أبي سفيان (انما أسترهم  
الشیطان) أي أزرهم الشيطان بوسوسته أن محمدًا قتل (ببعض ما كسبوا) أي بشؤم بعض  
ما كسبوا من الذنوب بترك المركز وبالحرص على الغنمة أو على الحياة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم  
واعذارهم (إن الله غفور) لمن تاب (حليم) أي لا يجعل لهم بالعقوبة وأما الذين ثبتوا مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن  
أبي وقاص وطه بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الأنصار الحبابة بن  
المنذر وأبو دجانة وهاشم بن ثابت والحارث بن الصمت وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ  
(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أي في نفس الأمر وهم المنافقون عبد الله بن أبي  
وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) أي لأجل اخوانهم في النسب أو في الكفر والنفاق (إذا ضربوا في  
الأرض) أي ساروا فيها للتجارة أو غيرها فاماتوا (أو كانوا غزى) فقتلوا (لو كانوا عندنا) أي معيين  
في المدينة (مما أتوا) في سفرهم (وما قتلوا) في غزواتهم (ليجعل الله ذلك) أي ظنهم أن اخوانهم  
لولا يسافروا ولم يحضروا القتال لعاشوا (حسرة) أي حزننا (في قلوبهم) واللام العاقبة أي أنهم  
قالوا ذلك لاهما قلوب المسلمين ليضيق صدرهم وليتخلفوا عن القتال فلما كان المؤمنون لم يلتفتوا إلى قلوبهم  
فيصيح سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل الندامة في قلوبهم (والله يحيي ويميت) فمن قدر له البقاء لم  
يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وإن لم يجاهد فإنه تعالى قديمي المسافر والغازي مع اقتحامهما

لموارد الخوف وبعيت القاعد عن القتال والمقيم مع حيازتهم لاسباب السلامة ( والله بما تعملون بصير )  
فيجازيهم على قوتهم واعتقادهم ويجازيكم ان عاثلوهم في ذلك ( ولئن قتلتم في سبيل الله ) أى في  
الجهاد ( أو متهم ) في سفركم للفرز ومع الكفار أو في بيوتكم وكنتم مخلصين من النفاق ( لمغفرة من الله )  
لذنوبكم ( ورحمة ) منه لكم ( خير مما تجمعون ) أى مما تجمعونه أنتم لو لم تموتوا من الاموال التي تعد  
خيرات وقرأ حفص عن عاصم بالغيبة أى خير مما يجتمع به هؤلاء الكفرة من منافع الدنيا وطيبات هامة  
أعمارهم قال الفخر الرازي والاصوب عندي ان اللام في ولئن للتأكيدي كيدية كون المعنى ان وجب ان تموتوا  
أو تقتلوا في سفركم وغزوكم فكذلك يجب ان تفوزوا بالمغفرة والرحمة فلماذا تختارون عن الموت والقتل بل  
ذلك مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون لان الموت الذي يستحق الثواب العظيم كان خيرا من الموت من  
غير فائدة ( ولئن متهم ) في حضر أو سفر ( أو قتلتم ) في الجهاد أو غيره ( لالى الله تحشرون ) لجميع  
العالمين يوقفون في عرصة القيامة وبسط العدل فيجتمع المظلوم مع الظالم والمقتول مع القاتل والله تعالى  
يحكم بين عبده بالعدل واعلم ان الله تعالى رغب المجاهدين في الآية الاولى بالمغفرة والرحمة وفي هذه  
الآية بالحشر الى الله زيادة في اعلاء الدرجات يروى ان عيسى بن مريم مر بأقوام فحفت أبدانهم واصفرت  
وجوههم ورأى عليهم آثار العبادات فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هوأكرم من أن  
لا يخلصكم من عذابه ثم مر بأقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة  
فقال هوأكرم من أن يمنعهكم رحمة ثم مر بقوم ثالث ورأى آثار العبودية عليهم أكثر فسألهم فقالوا  
نعبد الله لانه الهنا ونحن عبده لا لرغبة ولا لرغبة فقال أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون فقله تعالى  
لمغفرة من الله اشارة الى من يعبد خوفه من عقابه وقوله ورحمة اشارة الى من يعبد لطلب ثوابه وقوله  
تعالى لالى الله تحشرون اشارة الى من يعبد الله لمجرد الرابوية والعبودية وهذا أعلا المقامات وأبعد  
النهايان في العبودية في علو الدرجة فهو هؤلاء الذين بذلوا أنفسهم وأبدانهم في طاعة الله ومجاهدة عدوه يكون  
حشرهم اليه واستثناسهم بكرمه وعتقهم بشروق نور ربوبيته ( فبما رحمة ) فما استفهام للتعجب  
تقديره فبأى رحمة ( من الله لنت لهم ) وذلك لانه لما كانت جنائيتهم عظيمة ثم انه صلى الله عليه وسلم  
لم يظهر تغليظا في القول البتة علما ان هذا لا يتأتى الا بتأييد دربانى فكان ذلك موضع التعجب من كمال ذلك  
التأييد ( ولو كنت فظا ) باللسان ( غليظ القلب ) أى قاسية ( لانفضوا من حولك ) أى لتهرقوا  
من عندك ولم يسكنوا اليك ولو انفضوا من حولك فأت المقصود من الرسالة ( فأعف عنهم ) فيما يتعلق  
بحقوقك ( واستغفر لهم ) من الله تعالى فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم راجعا للبرء - م  
( وشاورهم في الامر ) فان المشاورة تقتضى شدة محبتهم له صلى الله عليه وسلم ما شاور قوم قط الا هدى الارشد  
درجتهم فترك المشاورة معهم اعانة لهم قال صلى الله عليه وسلم ما شاور قوم قط الا هدى الارشد  
أمورهم ( فاذا عزم ) عقب المشاورة على شئ ( فتوكل على الله ) فى امضاء أمره على ما هو أصلح  
وليس التوكل اجمال التدبير بالكافة والالكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل التوكل  
هو ان يراعى الانسان الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول بقلبه على عصمة الله واعانته  
( ان الله يحب المتوكلين ) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصالح ( ان ينصركم الله فلا  
غالب لكم ) أى ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم ( وان يخذلكم ) أى يترك الله نصرتمكم  
كيوم أحد ( فمن ذا الذي ينصركم من بعده ) أى فلا أحد ينصركم على عدوكم من بعد خذلانه تعالى



(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بالنصرة وغيرها (وما كان لنبي أن يغفل) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم  
بفتح الياء وضم الغين أى وما جاز لنبي أن يخون أمته في الغنائم قال الكلبي ومقاتل نزلت هذه الآية حين  
ترك الزمالة المر كز يوم أحد طلبا للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له  
وإن لا يقسم الغنائم كالم يقسمها يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم لهم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المر كز حتى  
يأتيكم أمرى فقالوا تركنا ببيعة أخواننا وقوف فقال صلى الله عليه وسلم ظننتم أننا نغفل فلا تقسم لكم  
فنزلت هذه الآية وقرأ الباقون من السبعة يغفل بضم الياء وفتح الغين أى وما جاز لنبي أن يخون لأن الوحي  
كان يأتيه حالا لا في خانة فربما نزل الوحي فيه فيحصل له مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ولان الحياطة  
في حقه صلى الله عليه وسلم الخش لانه أفضل البشر ولان المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر كما روى  
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقعت في يده يوم حنين غنائم هوازن غل رجل عجمي فغلبت هذه الآية  
(ومن يغفل يأت بما غفل) أى يأت بالذي غفله بعينه يحمله على عنقه (يوم القيامة ثم توفى كل نفس) أى  
تعطى وأفياما (كسبت) أى جزاء ما عملت من الغلول وغيره (وهم) أى كل نفس (لا يظلمون) بزيادة  
عقاب أو بنقص ثواب لانه تعالى عادل في حكمه (أفمن اتبع رضوان الله) أى أمن اتقى فاتبع رضوان  
الله بالإيمان به والعمل بطاعته (كن به بسخط من الله) أى كن استحق مخطا من الله بالكفر به  
والاشتغال بعصيته (ومأواه) أى الغلال أو من استوجب بسخط الله (جهنم وبئس المصير) جهنم  
(هم درجات عند الله) أى الفريقان مختلفون في درجات الثواب والعقاب في حكم الله وعلمه باختلاف  
مراتب الطاعات والمعاصي (والله بصير عما يعملون) أى بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم بحسبها  
(لقد من الله على المؤمنين) أى لقد أحسن إليهم (اذبح فيهم رسولا من أنفسهم) أى بعث آدميا  
ولد في بلدهم ونشأ فيما بينهم وهم كانوا عارفين بأحواله من أول العمر إلى آخره أنه ملازم الصدق والأمانة  
وهو صار شرفا للعرب ونفرا لهم وذلك لأن الافتخار بإبراهيم عليه السلام كان مشترا كافيه بين اليهود  
والنصارى والعرب ثم إن اليهود يفخرون بعيسى والتوراة والنصارى يفخرون بعيسى والإنجيل فما  
كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك رائدا على شرف جميع  
الأمم فهذا الوجه الفائدة في قوله تعالى من أنفسهم (يتلو عليهم آياته) أى القرآن أى يبلغ الوحي من  
عند الله إلى الخلق بالأمر والنهي (ويركبه) أى يطهرهم بالتوحيد من الشرك وبأخذ الزكاة من  
الذنوب ويكمل نظرهم بحصول المعارف الإلهية (ويعلمهم الكتاب) أى ظواهر الشريعة أو يعرفهم  
التأويل (والحكمة) أى محاسن الشريعة وأسرارها وعلاها (وان كانوا من قبل) أى والحال أنهم  
كانوا من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) أو المعنى وما كانوا من قبل محبي محمد والقرآن  
الأن في ضلال بين وذلك لأن دين العرب قبل ذلك كان أزدل الأديان وهو عبادة الأوثان وأخلاقهم أزدل  
الأخلاق وهو الغارة والنهب والقتل وأكل الأطعمة الرديئة ثم لما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم  
إليهم انتقلوا ببركته من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أحسنها وصاروا أفضل الأمم في العلم  
والزهد والعبادة وعدم الالتفات إلى الدنيا وطبائعها ولا شأن بهذا أعظم المنفعة (أو لما أصابتكم  
مصيبة قد أصبتم مثلها فقلتم أئى هذا) أى أقلتم متعجبين من أين أصابنا هذا ونحن نصر الاسلام الذي هو دين  
الحق ومعنا الرسول وهم ينصرون دين الشرك بالله فكيف صاروا منصورين علينا وقد تقدم الوعد بالنصر  
حين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك وذلك لأن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد

سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين رأساً وسبعين والاسير في حكم المقتول لان الاسير يقتل أسيره  
 ان أراد (قل هو) أي حصول هذا الامر (من عند أنفسكم) أي بشؤم معصيتكم بترككم المركز وحرصكم  
 على الغنيمة (ان الله على كل شيء قدير) فانه قادر على نصركم لو ثبتتم وصبرتم كما هو قادر على التخليّة بينكم  
 وبين عدوكم اذا خالفتم وعصيتهم (وما أصابكم) في أحد من القتل والجراحة (يوم التقي الجمع) جمع محمد  
 وجمع أبي سفيان (قباض الله) أي فهو بقصائه وارادته (وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم)  
 أي وليظهر الله للناس الثابتين على الايمان والذين أظهر والنفاق والامتناع من الجهاد مع وجود  
 الطلب وهم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث رجعوا يوم أحد الى المدينة قال لهم عبد الله بن جبير أو عبد الله  
 ابن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله الانصاري اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم عند حضور العدو  
 (تعالوا) الى أحد (قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) أي كونوا امام من رجال الدين أو من رجال الدنيا  
 فان كان في قلبكم حب الدين والاسلام فقاتلوا الله ما في طاعة الله وان لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفعاً عن  
 أنفسكم وأهليكم وأموالكم وبلدكم (قالوا لنعلم قتالا) أي لو نحن قتلنا ونقدر عليه (لا تبعناكم)  
 الى أحد (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) أي هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا أقرب منهم للايمان  
 فانهم كانوا قبل هذه الواقعة يظهرن الايمان من أنفسهم وما ظهرت منهم امارة تدل على كفرهم  
 فلما رجعوا عن عسكر المسلمين تباعدوا بذلك عن أن يظن بهم كونهم مؤمنين وأيضاً قولهم ذلك يدل على  
 كفرهم لانه اما على السخرية بالمسلمين واما على عدم الوثوق بقول النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد منهما  
 كفر (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) فانهم أظهر وأمرين ليس في قلوبهم واحد منهما أحدهما  
 عدم العلم بالقتال والآخرة الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيه ما قالهم عالمون بالقتال غير ناوين للاتباع  
 بل كانوا مصرين على الانخزال عاجزين على الارتداد (والله أعلم بما يكتمون) أي يعلم من تفاصيل تلك  
 الاحوال ما لا يعلمه غيره (الذين قالوا) أي الذين نافقوا وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (لاخوانهم) أي  
 لاجل اخوانهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو أقاربهم (و قد) (فعدوا) عن القتال بالانخزال  
 (لو أطاعونا) أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك (ماقتلوا) كما لم تقتل (قل) للنفاقين (فادروا)  
 أي ادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) في أن التعمد ينجي منه وروى انه أنزل الله بهم الموت فأت  
 منهم يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً من غير قتال ومن غير خروج لاظهار كذبهم (ولا تحسبن الذين قتلوا  
 في سبيل الله أمواتاً) نزلت هذه الآية في حق قتلى أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن  
 عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى  
 عليهم أجمعين وأما شهداء بدر فنزلت فيهم آية البقرة ولاتة ولولو المن يقتل في سبيل الله الآية (بل) هم  
 (أحياء عند ربهم يرزقون) التحف من الجنة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال في صفة الشهداء ان ارواحهم في أجواف طير خضر وانها ترد أنهار الجنة وتأكّل من ثمارها  
 وتسرح حيث شاءت وتأري الى قتاديل من ذهب تحت العرش وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك أن أبالك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال ما تريد يا عبد الله بن عمرو  
 أن أفعل بك فقال يا رب أحب أن تردني الى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى (فرحين بما آتاهم الله من فضله)  
 وهو شرف الشهادة والقرب من الله والتمتع بالنعيم المخلد عاجلاً (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من  
 خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي ان الشهداء يقول بعضهم لبعض تركنا اخواننا فلانا

وفلانا في صف المقاتلة مع الكفار فيقتلون ان شاء الله فيصيبون من الرزق والكرامة ما أصبنا أي  
 يفرحون بحسن حال اخوانهم الذين تركوهم في الدنيا بدوام انتقاء الخوف والحزن وبطوقهم بهم لان الله  
 بشرهم بذلك (يستبشرون بنعمة من الله) أي بثواب أعمالهم من الله (وفضل) أي زيادة عظيمة  
 من الكرامة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) من الشهداء وغيرهم (الذين استجابوا لله والرسول من  
 بعدما أصابهم القرح) في أحد منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن  
 مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح وجابر بن عبد الله (لذين أحسنوا منهم) في طاعة  
 الرسول في ذلك الوقت (واتقوا) في التخلف عن الرسول (أجر عظيم) روى أن أباسفيان وأصحابه  
 لما انصرفوا من أحد قبلوا الرواحندمووا قالوا اننا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم بل  
 الواجب أن نرجع ونستأصلهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يهرب  
 الكفار ويرى بهم من نفسه ومن أصحابه قوة فندب أصحابه الى الخروج في طلب أبي سفيان وقال  
 لا أريد أن يخرج الآن معي الا من كان معي في القتال بالامس فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع  
 قوم من أصحابه قيل كانوا سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال على  
 مسار الطريق لمن أراد اذا الحليفة وكان بأصحابه القرح فتحاموا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الا حرفا لقي  
 الله تعالى الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فترزت هذه الآية (الذين قالوا اللهم الناس) وهو أعرابي من  
 خزاعة أو جماعة راكبون من عبد القيس أو نعيم بن مسعود الاشجعي (ان الناس) أي أباسفيان  
 وأصحابه (قد جمعوا لكم) في اللطيمة وهي سوق في قرب مكة (فاخشوهم) بالخروج اليهم روى ان  
 أباسفيان لما عزم على أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر ان شئت فقال صلى الله  
 عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله تعالى فلما حضر الاجل خرج أبوسفيان مع قومه حتى  
 نزل عبر الظهر ان قال في الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فربه ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة لليرة  
 فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم  
 اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب وقد بدا لي أن أرجع ولكن ان خرج محمد ولم أخرج  
 زاد بذلك جراءة فاذهب الى المدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد  
 المسلمين يتجهزون لمعاد أبي سفيان فقال لهم أين تريدون فقالوا واعدنا أباسفيان بموسم بدر ان نقتل  
 فيها فقال لهم ما هذا بالأي أتوكم في دياركم وقتلوا أكثركم فان ذهبت اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع  
 هذا الكلام في قلوب بعضهم فكره الخروج فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك قال والذي نفس  
 محمد بيده لا اخرجن اليهم ولولم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وباقي الجماعة يحشون وفيهم ابن مسعود  
 فذهبوا وكلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها  
 كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرا أباسفيان ثمان ليال ولم يلق أحدا  
 من المشركين واتفقوا السوق وباعوا ما كان معهم من التجارات واشتروا دما وزيبا ورجعوا في الدرهم  
 درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانين كما قال تعالى (فزادهم إيمانا) أي زادهم هذا الكلام  
 المخوف جراءة بالخروج اليهم وعزمائهم كداعلي محاربة الكفار وعلى طاعة الرسول (وقالوا احسبنا  
 الله) أي كافينا الله وثقتنا به (ونعم الوكيل) أي الكفيل بالنصرة والكافي (فانقلبوا بنعمة من الله)  
 أي فخرجوا الى بدر فرجعوا من بدر ملتبسين بسلامة وثواب من الله (وفضل) أي ربح في التجارة (لم يحسبهم)

أى لم يصيبهم في الذهاب والرجى (سوء) أى قتل ولا جراح (واتبعوا رضوان الله) في طاعة رسوله  
(والله ذو فضل عظيم) يدفع العدو عنهم ويعطيهم ثواب الغزو ويرضى عنهم (انما ذلكم الشيطان  
يخوف أولياءه) قرأ ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقرأ أبى بن كعب يخوفكم بأوليائه  
أى ذلكم الشيطان يخوفكم أيها المؤمنون المشركين أباسفيان وأصحابه وقال الحسن والسدى  
معنى هذه الآية الشيطان يخوف أولياءه الذين يطيعونه ويختارون أمره وهم المنافقون ليقعدوا عن  
قتال المشركين فاما أولياء الله فانهم لا يخافون الكفار اذا خوفهم الشيطان ولا ينقادون لأمره (فلا  
تخافوهم) أى أولياء الشيطان بالخروج اليهم (وخافون) في مخالفة أمرى بالجلوس (ان كنتم  
مؤمنين) فان الايمان يقتضى تقديم خوف الله على خوف الناس ويستلزم عدم الخوف من شر الشيطان  
وأوليائه (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى في جميع  
ما في القرآن الا قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر في سورة الانبياء فانه قطع الياء وضم الزاى كباقي القراء  
في جميع ما في القرآن (انهم لن يضروا الله شيئا) اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية فقيل  
انها نزلت في شأن كفار قريش والله تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم والمعنى لا يحزنك من يسارع في  
الكفر بنصرته بأن يقصد جمع العساكر بحمار بتلك وابطل هذا الدين وازالة هذه الشريعة وهذا المقصود  
لا يحصل لهم بل يصح عمل أمرهم وترزول شوكتهم ويعظم أمرك ويعلو شأنك فانهم لن يضروا الله شيئا  
بهذا الصنيع وانما يضررون أنفسهم وقيل نزلت في شأن المنافقين انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب  
وقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر وقيل نزلت في شأن رؤساء اليهود كعب بن الاشرف وأصحابه  
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم لمتاع الدنيا (يريد الله) بذلك (أن لا يجعل لهم حظا) من  
الثواب (في الآخرة) أى الجنة (ولهم عذاب عظيم) في النار (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن  
يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس هم المنافقون اختاروا الكفر على الايمان فانهم متى  
كانوا مع المؤمنين أظهروا الايمان فاذا خلوا الى شياطينهم كفروا وتركوا الايمان فكان ذلك كأنهم  
اشتروا الكفر بالايمان ويمكن حمل هذه الآية على اليهود ومعنى اشتروا الكفر بالايمان منهم انهم  
كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمنون به قبل مبعثه ويستنصرون به على أعدائهم فلما بعث  
كفروا به وتركوا ما كانوا عليه فكانهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر بدلا عنه كما يفعل المشتري من  
اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه (ولا يحسبن الذين كفروا انهم انما غلغلي لهم) أى غهل لهم بتطويل الاعمار (خير  
لأنفسهم انما غلغلي لهم ليزدادوا انما) أى ذنبا في الدنيا ودركات في الآخرة (ولهم عذاب مهين) يهانون  
به يوما فيوما وساعة بعد ساعة قال الفخر الرازى بن الله تعالى في هذه الآية ان بقاء هؤلاء المتخلفين عن  
القتال ليس خيرا من قتل أولئك الذين قتلوا في أحد لان هذا البقاء صار وسيلة الى الخزي في الدنيا  
والعقاب الدائم في القيامة وقتل أولئك الذين قتلوا في أحد صار وسيلة الى الثناء الجميل في الدنيا والثواب  
الجزيل في الآخرة فترغب أولئك المشبطين في مثل هذه الحياة وتنفرهم عن مثل ذلك القتل لا يقبله  
الاجاهل قرأ ابن كثير وأبو عمرو في الآية ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن الذين يدخلون لا تحسبن  
الذين يفرحون فلا تحسبنهم بالتاء وضم الباء في قوله تعالى تحسبنهم وقرأ نافع وابن عامر بالياء الا قوله  
فلا تحسبنهم فانه بالتاء وقرأة حمزة كلها بالتاء وقيل نزلت الآية من قوله ولا يحزنك الى ههنا في حق  
مشركي أهل مكة يوم أحد (ما كان الله ليذر المؤمنين) أى ليرك الخلفين (على ما أنتم عليه) أيها

الناس من اختلاط المنافقين بالمخلصين واظهارهم انهم من اهل الايمان (حتى يميز الخبيث) أى المتافق (من الطيب) أى المؤمن بالقائه المحن والمصائب والقتل والهزيمة فن كان مؤمناً ثبت على ايمانه وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كان منافقاً ظهر نفاقه و~~كفره~~ أو بالقرائن فان المسلمين كانوا يفرحون بنصرة الاسلام وقوته والمنافقين كانوا يغتمون بذلك (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى ان عادة الله جارية بانه لا يطلع عوام الناس على غيبه بل لا سبيل لـ~~كم~~ الى معرفة ذلك الامتياز الا بالامتحانات من التكاليف الشاقة كبذل الاموال والانفس في سبيل الله فأما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلماذا قال تعالى (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) فخصهم باعلامهم أن هذا مؤمن وهذا منافق أو المعنى فيمكن خلقه بالشرائع على أيديهم حتى يميز الفريقان بالامتحان أو المعنى وما كان الله ليجعلكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصير وامستغنين عن الرسول بل الله يخص من يشاء من عباده بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل (فآمنوا بالله ورسوله) أى لما طعن المنافقون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بوقوع الحوادث المذكورة في أحاديث الله تعالى انه كان فيهما مصالح منها تميز الخبيث من الطيب ولم يبق بعد جواب هذه الشبهة الا أن تؤمنوا بالله ورسوله (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) أى الكفر والنفاق (فلكم أجر عظيم) أى ثواب وافر في الجنة (ولا يحسبن الذين يخولون عبا آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم) أى لا يتوهم هؤلاء الخلائط بئذ المال في الجهاد ان يظلمهم هو خير لهم بل هو شر لهم لانه يبقى عقاب يظلمهم عليهم (سيطوقون ما يخولوا به يوم القيامة) أى سيجعل ذلك المال طوقاً من النار في عنتهم وقيل ان المراد الجمل بالعلم وذلك لان اليهود كانوا يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك الكتمان بخلافه يثبت ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقاً من نار قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة والمعنى انهم عوقبوا في أفواههم وألسنتهم بهذا اللجام لانهم لم ينطقوا بأفواههم وألسنتهم بما يدل على الحق (ولله ميراث السموات والارض) أى له تعالى ما يتوارثه أهلها من مال وغيره (والله بما تعملون) من الجمل والسخاء (خبير) فيجازيكم عليه أو فيجازيهم عليه (لقد سمع الله قول الذين قالوا) أى فخصاص بن عاذورا كما قاله ابن عباس والسدي وأوحى بن أحطب كما قاله قتادة أو كعب بن الأشرف كما نقله ابن عساكر روى أنه صلى الله عليه وسلم كتب: أبى بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فقال فخصاص اليهود ان الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه أبو بكر في وجهه وقال ولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقه فشقاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر ما قاله فنزلت هذه الآية تصديقالا بى بكر رضى الله عنه والجمع حينئذ مع كون القائل واحداً لرضا الباقين بذلك (ان الله فقير) محتاج يطلب منا القرض (ونحن أغنياء) ولا نحتاج الى قرضه (سنكتب ما قالوا) أى من العظيمة الشنعاء في هوائف الحفظة ليقرأوا ذلك يوم القيامة أو سنحفظه ونثبتته في علمنا لا ننساه ولا نهمله أو المراد سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يعلم الخلق الى يوم القيامة شدة جهلهم وطعنهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما قدر واقعليه (وقتلهم الانبياء بغير حق) في اعتقادهم كفى نقس الامر أى نكتب عليهم رضاهم بقتل آبائهم الانبياء بغير جرم أو المعنى سنحفظ عن الفريقين معاقبوا لهم وأفعالهم (ونقول) عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتاب أو عند

الالتقاء في النار ويحتمل أن يكون هذا القول كناية عن حصول الوعيد وان لم يكن هناك قول وقرأ حمزة  
 سيكتب بالياء وضمها على لفظ ما لم يسم فاعله وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء والباقون بالنون ونصب  
 اللام من قتلهم وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وبالبناء للفاعل (ذوقوا عذاب الحريق) أي  
 المحرق (ذلك) أي هذا العذاب المحرق (بما قدمت أيديكم) أي بسبب ما اقترفتموه من التفوه بتلك  
 العظيمة وغيره من المعاصي (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي والامر أنه تعالى ليس بعذب لعبيده بغير  
 ذنب من قبلهم (الذين قالوا) نصب على الذم أو جرنعت للذين الاول أي لقد سمع الله قول الذين قالوا قال  
 ابن عباس نزلت هذه الآية في حق كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيغف وهب بن يهودا  
 وزيد بن ثابت وفخاص بن عاذوراء وحجي بن أخطب وغيرهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا  
 يا محمد تزعم أنك رسول الله وأنه تعالى أنزل عليك كتابا وقد عهد الله الينا في التوراة ان لانؤمن لرسول  
 حتى يأتينا بقربان تأكله النار ويكون لها دوى خفيف تنزل من السماء فان جئتنا بها فصدقناك فترلت  
 هذه الآية (ان الله عهد الينا) أي أمرنا في الكتاب (أن لانؤمن لرسول) أي ان لانصدق أحدا  
 بالرسالة (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) ما كان عليه أمر أنبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب  
 بالقربان من النعم أو من الصدقات غير الحيوان فيقوم النبي في البيت وينادي بجهنم وبنيها واسرائيل  
 واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء أي لادخان لها ولها دوى فتأكل القربان أي تحرقه وهذا من  
 أباطيلهم فان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه مهجزة فهو وساثر المجزئات سواء وقد تقدمت  
 المجزئات الكثيرة لمحمد صلى الله عليه وسلم وطلبهم لهذا المهجز وقع على سبيل التعنت لاعلى سبيل  
 الاسترشاد ولذلك رد الله عليهم بقوله (قل) يا أشرف الخلق (قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات)  
 أي بالمجزئات الواضحة (وبالذي قلتم) وهو القربان الذي تأكله النار (فلم تلتقوهم ان كنتم صادقين)  
 في مقاتلتكم انكم تؤمنون لرسول يأتيتكم بما اقترحتموه فان ذكر يا ويحيى وعيسى وغيرهم من الانبياء  
 عليهم السلام قد جاءكم بما قلتم في مجزئات أخر فالكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم (فان  
 كذبوا) في أصل النبوة والشرعة فتسل (فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات) أي المجزئات  
 (والزبر) أي الصحف كصحف ابراهيم وموسى (والكتاب المنير) أي الواضح وهو التوراة والانجيل  
 والزبور وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الباء كقراءة ابن عباس دلالة على المغيرة وقصر أهشام وبالكتاب  
 باعادة الباء والباقون بغير الباء فيهما (كل نفس ذائقة الموت) أي كل حيوان حاضر في دار التكليف  
 يذوق الموت وروى عن الحسن انه قرأ ذائقة الموت بالتنوين ونصب الموت وقرأ الهمش بطرح التنوين  
 مع نصب الموت (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) أي وانما تعطون أجرية أعمالكم على التمام يوم  
 قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية اشارة الى ان بعض أجورهم يصل اليهم قبله كما يدل عليه قوله صلى  
 الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (فن زحج) أي أبعد (عن  
 النار) بالتوحيد والعمل الصالح (وأدخل الجنة فقد فاز) أي نال غاية مقصوده وقال النبي صلى الله  
 عليه وسلم من أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر  
 ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتي اليه (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) أي ليس ما في الدنيا من  
 التعميم الا كمتاع البيت في بقاءه مثل الحزف والزجاجة وغير ذلك أي ان العيش في هذه الدنيا يغتر  
 الانسان بما عينيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بأنها متاع الغرور لانها تغري ببذل المحبوب



وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدا ثم قال بعضهم الدنيا ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشر وقال  
سعيد بن جبران هذا في حق من آثر الدنيا على الآخرة وأما من طلب الآخرة بها فانهانهم المتاع (لتبلون  
في أموالكم وأنفسكم) أي والله لتختبرن في ذهاب أموالكم بالمهلكات كالغرق والحرق وبالتكاليف  
كالزكاة والجهاد وفي ما يصب أنفوسكم من البلياء كالأمراض والأوجاع والقتل والضرب ومن  
التكاليف كالصلاة والجهاد والصبر فيهما (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين  
أشركوا إذا كنتم) أي ولتسمعن من اليهود والنصارى ومشركي العرب أنواع الأذى من الطعن في  
الدين الخفيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن ونخطيئة من آمن وما كان  
من كعب بن الأشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتشيب نسايمهم وتحريض المشركين على مضادة  
رسول صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خفيه (وان تصبروا) على تلك البلوى وأذى الكفار  
وتستعملوا احتمال المكروه ومداراة الكفار في كثير من الأحوال (وتتقوا) أي تحترزوا عما لا ينبغي  
وعن المداينة مع الكفار وعن السكوت عن اظهار الانكار (فان ذلك) أي الصبر والتقوى (من  
هزم الأمور) أي من حزم أمور المؤمنين وخبرها ومن صواب التدبير أو المعنى فان ذلك مما قد عزم عليكم  
فيه أي ألزمت الأخذ به وما يجب ان يعزم عليه كل أحد لانه حميد العاقبة (واذا أخذ الله ميثاق الذين  
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) أي واذا كروقت أخذه تعالى العهد على علماء اليهود  
والنصارى لتذكرن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والانجيل وللناس  
ولا تلقوا فيها التاريات الفاسدة والباطلة قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو بالغيبة في الفعلين  
والباقون بالخطاب فيهما (فتبذوه) أي طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) أي فلم يهلوا به (واشترؤا  
به) أي الكتاب (ثمنًا قليلًا) أي شيئًا نافعًا من الدنيا أي أخفوا الحق لئلا يسلبوا به إلى وجدان شيء من الدنيا  
(فبئس ما يشترتون) أي بئس شيئًا يشترونه ذلك الثمن فكل من لم يبين الذي للناس وكنتم شيئًا منه لغرض  
فأسد من تسهيل على الظلمة وتطبيب قلوبهم أو لجر منفعة أو لحوق أوليخ للعلم دخل تحت هذا الوعيد  
قال صلى الله عليه وسلم من كنتم علماء من أهل الجحيم يلجأ من نار وعن محمد بن كعب قال لا يحل لأحد من  
العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وكان قتادة يقول طوبى لعالم  
ناطق ولمستمع واع هذا علم علماء قبضه وهذا سمع خبر افو عاه (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا) أي بما فعلوا  
من تحريف نصوص التوراة وتفسيرها بتفسيرات باطلة (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي  
يحبون أن يوصفوا بالدين والفضل والعفاف والصدق (فلا تحسبنهم بغيره) أي بعبادة (من العذاب)  
وقيل نزلت هذه الآية في شأن المنافقين فانهم يفرحون بما أوتوا من اظهار الايمان للمسلمين على سبيل  
النفاق من حيث انهم كانوا يتوصلوا بذلك إلى تحصيل مصالحهم في الدنيا ثم كانوا يتوقعون من النبي صلى  
الله عليه وسلم أن يحمدهم على الايمان الذي لم يكن موجودا في قلوبهم ولا شأن ان هذه الآية واردة في  
الكفار والمنافقين الذين أمر الله رسوله بالصبر على أذاهم فان أكثر المنافقين كانوا من اليهود والاولى  
أجرا الموصول على العموم فيشتمل على كل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح أعجاب ويود أن  
يعدحه الناس بما هو عار منه من سداد السيرة واستقامة الطريقة والهدى والاقبال على طاعة الله وقرأ  
حمزة وعاصم والكسائي تحسبن وتحسبنهم بالناء الفوقية وكلاهما بفتح الباء والتقدير لا تحسبن يا محمد  
وأيها السامع أو كلاهما بضم الباء والخطاب للمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والآتي بغيره وقوله

تعالى فلا تحسبنهم تأكيد والغاء مقحمة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالياء التحتية وكلاهما  
بفتح الباء والفاعل للرسول وبضمها والفاعل من يتأتى منه الحسبان أو بفتح الباء في الأول وضمها في  
الثاني وهو قراءة أبي عمرو والفاعل هو الموصول والمفعول الأول محذوف والتقدير ولا يحسبن الذين يفرحون  
أنفسهم بغفارة من العذاب ويجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف المفعولين مع اختصار الدلالة مفعولي  
الفعل الثاني عليهما أي لا يحسبن هؤلاء أنفسهم فائزين أو على أن الفعل الأول مسند للرسول أو اسكل  
حاسب ومفعوله الأول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند  
إلى ضمير الموصول والغاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانته صلى الله عليه وسلم  
ومفعولاه مابعد (ولهم عذاب أليم) أي وجميع في الآخرة (ولله ملك السموات والأرض) أي له تعالى  
السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء إيجادا أو اعدا ما أحياء وأماتة تعذيب  
وإثابة وهو تعالى يملك ما فيهما من خرائن المطر والنبات والرزق (والله على كل شيء قدير) فلا يشذ من  
ملكوته شيء من الأشياء وكل ما سواه تعالى مقدوره تعالى (إن في خلق السموات والأرض) أي في  
إنشائها على ما هما عليه في ذواتهما وصفاتهما (واختلاف الليل والنهار) أي في تعاقبهما في وجه الأرض  
وكون كل منهما خلقا للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها الناشئين من حركات السموات وسكون  
الأرض أو في تفاوتهما بآزاد أو انتقاص باختلاف حال الشمس بالنسبة إليها اقربا أو بعدا بحسب الأزمنة  
أو في اختلافهما بحسب الأمكنة (لآيات) كثيرة عظيمة دالة على وحدانيته تعالى وقدرته تعالى  
(لأول الألباب) أي لذوى العقول المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في حكمه المودعة  
في الانفس والآفاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال بيننا رجل مستلق على فراشه أذ رفع رأسه فنظر  
إلى النجوم وإلى السماء وقال أشهد أن لك رباً وأخاف الله فغفر الله إليه فغفرله وقال النبي صلى الله  
عليه وسلم لا عبادة كالتفكير وحكى أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلمته  
سحابة فعبد في تلك المدة فتى من فتيانهم فما أظلمته سحابة فقالت له أمه لعل فرطه صدرت منك في مدتك  
فقال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال نعم قالت فما أوتيت إلا من ذلك (الذين  
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أي الذين لا يغفلون عن الله تعالى في جميع أوقاتهم لا طمئنانا  
قلوبهم بذكره تعالى واستغراقهم في مراقبته لما أيقنوا بأن كل ما سواه فائض منه وعائد إليه  
فلا يشاهدون حالا من الأحوال في أنفسهم ولا في الآفاق إلا وهم يعاينون في ذلك شأنهم شؤنه تعالى  
فالمراد بذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه  
الذكر للسان أو لا وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لأنها الأحوال  
المعتادة التي لا يحلو عنها الإنسان غالباً والمراد تعميم الذكر للأوقات قال النبي صلى الله عليه وسلم من  
أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) وعلى وفق  
هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق أي لأن الاستدال بالخلق  
على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة وإنما يمكن وقوعه على نعت المخالفة فإذا استدلل بحدوث هذه  
المحسوسات على قدم خالقها وبكميتها وكيفيتها وشكلها على براءة خالقها عن الكمية والكمية والشكل  
وقوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه معناه من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم ومن  
عرف نفسه بالإمكان عرف ربه بالوجوب ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء فكان التفكير في

الخلق ممكن من هذا الوجه أما التفكير في الخالق فهو غير ممكن البتة فإذا لا يتصور حقيقة إلا بالسلوب  
فنقول أنه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا في الجهة ولا شئ أن حقيقة الخصوصية مغايرة لهذه  
السلوب وتلك الحقيقة الخصوصية لا سبيل للعقل إلى معرفتها فيصير العقل كالواله فهذا السبب نهي النبي  
صلى الله عليه وسلم عن التفكير في الله وأمر بالتفكير في المخلوقات فلهذه الدققة أمر الله في هذه الآية  
بذكره ولم يأمر بالتفكير فيه بل أمر بالتفكير في مخلوقاته قال بعض العلماء الفكرة تذهب الذخلة وتجلب  
للقلب الخشنة كما ينبت الماء الزرع وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه  
كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض أي وذلك لأن عمله والتفكير في معرفة الله لأنه لا يقدر أحد  
أن يعمل بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وإنما هو عمل القلب واعلم أن دلائل التوحيد محصورة في قسمين  
دلائل الآفاق ودلائل الأنفس والشئ أن دلائل الآفاق أعظم وأعجب فلو أن الإنسان نظر إلى ورقة  
صغيرة من أوراق شجرة رأى في تلك الورقة عرقاً واحداً اعتدافاً وسطها ثم يتشعب من ذلك العرق عروق  
كثيرة إلى الجانبين ثم يتشعب منها عروق دقيقة ولا يزال يتشعب من كل عرق عروق أخرى حتى تصير في  
الدقة بحيث لا يراها البصر وعند هذا يعلم أن الخالق في تدبير تلك الورقة على هذه الحلقة حكماً بالغة وأمراراً  
عجيبة ولو أراد الإنسان أن يعرف كيفية خلقه الورقة لعجز فإذا عرف أن عقله قاصر عن الوقوف على  
كيفية خلق تلك الورقة الصغيرة فإذا قاس تلك الورقة إلى السموات مع ما فيها من الشمس  
والقمر والنجوم وإلى الأرض مع ما فيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف أن  
تلك الورقة بالنسبة إلى هذه الأشياء كالعدم فإذا عرف قصور عقله عن معرفة ذلك الشئ الخفي عرف أنه  
لا سبيل له إلى الاطلاع على عجائب حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض وإذا عرف بهذا البرهان  
قصور عقله لم يبق معه إلا الاعتراف بأن الخالق أجل من أن يحيط به وصف الواصفين ومعارف العارفين  
بل يسلم أن في كل ما خلقه الله تعالى حكماً بالغة وأمراراً عظيمة ولا سبيل له إلى معرفتها فعند هذا يقول  
(ربنا ما خلقت هذا) أي المخلوق العجيب (باطلاً) أي بغير حكمة بل خلقته بحكمة عظيمة وهي أن  
تجعلها مساكن للكافرين الذين اشتغلوا بطاعتك وتحرزوا عن معصيتك ومدار المعاش العباد ومنازل  
يرشدكم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد (سبحانك) وهذا إقرار بعجز العقول عن الاطاعة بما تار حكمة  
الله تعالى في خلق السموات والأرض أي أن الخلق إذا تفكر في هذه الأجسام العظيمة لم يعرفوا منها  
إلا هذا القدر وهو أن خالقها ما خلقها بباطل بل خلقها بالحكمة عجيبة وأمراراً عظيمة وإن كانت العقول قاصرة  
عن معرفتها (فمنا عذاب النار) أي أذفع عنا عذاب النار لأنه جرم من عصي ولم يطع اعلم أنه تعالى لما  
حكى عن هؤلاء العباد المخلصين أن ألسنتهم مستغرقة بذكر الله تعالى وأبدانهم في طاعة الله وقلوبهم في  
التفكير في دلائل عظمة الله ذكرهم مع هذه الطاعة يطلبون من الله أن يقيهم عذاب النار لأنه يجوز على  
الله تعذيبهم لأنه لا يقع من الله شئ أصلاً (ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجته) أي اهتنته (وما للظالمين)  
أي الكافرين (من أنصار) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (ربنا انما سمعنا نادياً ينادي للإيمان  
أن آمنوا بربكم) أي سمعنا نادياً ينادي بآمره وأجبننا داءه (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أي كبائرنا  
(وكفرنا سيئاتنا) أي صغائرنا وقيل المراد بالاول ما يزل بالتوبة والثاني ما تكرر الطاعة العظيمة  
وقيل المراد بالاول ما أتى به الإنسان مع العلم بكونه معصية والثاني ما أتى به الإنسان مع جهله بذلك (وتوفنا)

مع الأبرار) أي على مثل أعمالهم لتكون في درجاتهم يوم القيامة أو المعنى توفنا على الإيمان واجمعنا مع  
أرواح النبيين والصالحين (ربنا وأتينا ما وعدتنا على رسلك) والجوار والمجرر متعلق بوعده تعالى  
وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة مصدره مؤكده محذوف أي وعدتنا وعدا كأننا على السنة  
رسلك وقيل والمعنى وفقنا للأعمال التي نصير بها أهلا لوعده من الثواب وأعمهنا من الأعمال التي نصير  
بها أهلا للعقاب والخزي (ولا نخزنا) أي لا تفضحنا (يوم القيامة أنك لا تخاف الميعاد) وهذا يدل على  
أن مقتضى لحصول منافع الآخرة هو الوعد لا الاستحقاق وفي الآثار عن جعفر الصادق من حربه أمر  
فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله عما يخاف وأعطاه ما أراد واستدل بهذه الآية (فاستجاب لهم ربهم)  
فيما سألوهم من غفران الذنوب وأعطاهم الثواب (أنى لا أضيع عمل عامل منكم) وقرأ الجمهور بفتح  
الهمزة وقرأ أبي باني بالياء التي للسببية وقرأ عيسى بن عمر بكسر الهمزة والمعنى انى لا أبطل ثواب عامل  
عامل منكم والمراد حصلت اجابة دعائكم في كل ما طلبتموه (من ذكر أو أنثى) فلا تفاوت في الاجابة  
وفي الثواب بين الذكر والانثى اذا كانا في التمسك بالطاعة على السوية (بعضكم من بعض) أي بعضكم  
كبعض في الثواب عن الطاعة والعقاب على العصية (فالذين هاجروا) أي اختاروا المهاجرة من  
أوطانهم في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم (وأخرجوا من ديارهم) أي ألجأهم الكفار الى الخروج  
من منازلهم التي ولدوا فيها (وأوذوا في سبيلي) أي بسبب طاعتي ومن أجل ديني (وقاتلوا وقتلوا)  
قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وقاتلوا بالالف وقتلوا مخففة والمعنى قاتلوا العدو معه صلى الله عليه وسلم  
حتى قتلوا في الجهاد وقرأ ابن كثير وابن عامر وقاتلوا بالالف وقتلوا مشددة لتكرار القتل فيهم  
وقيل معناه قطعوا وقرأ حمزة والكسائي وقتلوا بواو غير ألف أولا وقاتلوا بالالف ثانيا أي قتلوا  
وقد قاتلوا (لا كفرن عنهم سياتهم) ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله  
والله عنده حسن الثواب) أي ان الله تعالى وعد من فعل ذلك بأمر ثلاثة أولها محو السيئات  
وغفران الذنوب وذلك هو الذي طلبوه بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وثانيها اعطاء  
الثواب العظيم وهو دخول الجنان وهو الذي طلبوه بقولهم وأتينا ما وعدتنا على رسلك وثالثها كون  
الثواب مقرونا بالتعظيم وهو المشار اليه بقوله تعالى من عند الله وهو الذي طلبوه بقولهم ولا تخزنا  
يوم القيامة وقوله تعالى ثوابا مصدره مؤكده المعنى ما قبله لان معنى مجموع قوله تعالى لا كفرن ولا دخلتهم  
لا يبينهم فكأنه قيل لا يبينهم ثوابهم من عند الله وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب تأكيده لكون  
الثواب في غاية الشرف روى ان أم سلمة قالت يا رسول الله اني لم أسمع ذكرا للنساء في الهجرة فنزل قوله  
تعالى فاستجاب لهم ربهم الى هنا ولما قال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيماترى من الخير ونحن في الجهد  
نزل قوله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) أي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة  
ووفور الحظ ولا تغتر بظواهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع (متاع قليل) أي  
ذلك الذي ترى من الخير منفعه يسيرة في الدنيا لا قدر لها في مقابلة ما أعد الله للمؤمنين من الثواب قال صلى  
الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بمرجع رواه مسلم (ثم  
ماوهم) أي مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) أي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا  
ربهم) من الشرك والمعاصي وان أخذوا في التجارة (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها)  
فلا يضرهم ذلك الكسب (نزلنا من عند الله) أي حال كونه الجنات عطاءا وكراما من الله لهم كما تعد

الضيفة للضيف اكراما (وما عند الله) من الثواب الدائم (خير للابرار) أى للواحد من عايتقلب فيه الفجار في الدنيا من المتاع القليل السريع الزوال (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم) أى القرآن (وما أنزل اليهم) أى التوراة والانجيل قال ابن عباس وجابر وقتادة نزلت هذه الآية في شأن أمة النجاشي حين مات وأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم بموته فقال النبي لأصحابه أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع وكشف الله له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظر وإلى هذا يصلى على علق حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه وقال ابن جريج وابن زيد نزلت في حق عبد الله بن سلام وأصحابه وقال عطاء نزلت في حق أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فأسلموا وقال مجاهد نزلت في حق مؤمنى أهل الكتاب كلهم (خاشعين لله) أى متواضعين لله في الطاعة (لا يشترطون بآيات الله غنا قليلا) أى لا يكتفون أمر الرسول ونعته كما يفعل غيرهم من أهل الكتاب لغرض المأكله والرياسة (أولئك) أى المتصفون بصفات حميدة (لهم أجرهم عند ربهم) في الجنة (ان الله سريع الحساب) أى سريع لا يصال الاجر الموعود اليهم من غير حاجة الى تأمل لكونه عالم بجميع الاشياء فيعلم بالكل واحد من الثواب والعقاب (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشقة الاستدلال في معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات تحو الفلاسفة وعلى مشقة أداء الواجبات والمذدوبات وعلى مشقة الاحتراز عن المنهيات وعلى شدائد الدنيا من المرض والفقر والخوف (وصابروا) على تحمل المكروه الواقعة بينكم وبين غيركم فيدخل فيه تحمل الاخلاق الرديئة من أهل البيت والاقارب والجيران وترك الانتقام عن أساء والعفو عن ظلم والا يشار على الغير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والمصابرة مع المبطلين وحل شبههم (ورابطوا) أى جاهدوا القوى التي هي مصادر الافعال الذميمة من الشهوة والغضب والحرص أو المعنى انتظروا الصلاة بعد الصلاة (واتقوا الله) في مخالفة أمره وبتقوى الله يحصل دفع القوى الداعية إلى القبائح والمنكرات (لعلكم تفلحون) أى كي تنتظموا في زمرة الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل كرب فظهر ان هذه الآية مشتملة على علوم الاصول والفروع وعلى الحكم والاسرار

سورة النساء مدنية وآياتها مائة وست وسبعون وكمالاتها ثلاثة آلاف

وخمس وأربعين حرفا وفها ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم) بالتناسل (من نفس واحدة) أيكم آدم (وخلق منها) أى من نفس آدم (زوجها) أمكم حواء روى أنه تعالى لما خلق آدم وأسكنه الجنة ألقى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع أعوج فان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استقتت بها (وبت منهما) أى نشر من تلك النفس وزوجها بطريق التوالد (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة روى بن جرير عن ابن اسحق ان بني آدم لصلبه أربعون في هشرين بطنا فحفظ من ذكورهم قابيل وهايل وياذ وشبوبة وهندومر انيس وثور وسند وبارق وشيث ومن نسايتهم اقلية واشوف وجرز ورو وعز وراثال ابن هسا كرو وقد روى ان من بني آدم لصلبه عبد المغيث

وقوامته أمة المغيث ووداوسوا ويغوث ويعوق ونسرا وجميع أنساب بني آدم ترجع إلى شيث وسائر أولاده انقضت أنسابهم من الطوفان (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) قرأ عليهم وحزرة والكسافي تساءلون بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ حمزة وحده والأرحام بجر الميم والتقدير واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام لأن العادة حرت في العرب بأن أحدهم قديس تعطف غيره بالرحم فيقول أسألك بالله والرحم ورجعوا فأفرد ذلك فقال أسألك بالرحم وأما قراءة الأرحام بالنصب فعناء واتقوا الله بالتزام طاعته واجتناب معاصيه واتقوا الأرحام بوصولها وعدم قطعها فيما يتصل بالبر والاحسان والاعطاء أو يقال والرحموا الأرحام وصلوها وقدرت الآية على جواز المسئلة فيما بيننا بالله كقوله بالله أسألك روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه (إن الله كان عليكم رقيبا) أي حافظا مطلقا على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مریدا لجازاتكم على ذلك (وأتوا اليتامى) الذين بلغوا (أموالهم) التي عندهم وقال أبو السعود أي لا تعرضوا لأموال اليتامى بسوء حتى تأتيتهم وتصل إليهم سالمة سواء أريد باليتامى الصغار وما يعم الصغار والكبار (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) أي لا تستبدلوا الحرام الذي هو مال اليتامى بالحلال الذي هو مالكم الذي أبيع لكم من المكاسب بأن تتركوا أموالكم وتأكلوا أموالهم (ولأننا كلوا أموالهم إلى أموالكم) أي لأننا كلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم حتى لا تفرقوا بين أموالهم وأموالكم في حل الانتفاع بها فلا يحل لكم من أموالهم ما زاد على قدر الأقل من أجر تكم ونفقتكم (أنه) أي وأكل مال اليتيم (كان حوبا كبيرا) أي ذنبا عظيما عند الله نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال ففنهعه فمترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها ألم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع ماله إليه (وان خفتهم) يا أولياء اليتامى (أن لا تقسطوا) أي أن لا تعدلوا (في اليتامى) إذا فككتهم موهن (فأنكحوا) غيرهن من الغرائب روى عن عسرة أنه قال قلت لعائشة ما معنى قوله تعالى وان خفتهم أن لا تقسطوا في اليتامى قالت يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فیرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينكحها بأدنى من صداقها ثم إذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لها من يذب عنها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في الكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لا لجل مالها وهي لا تعجبه وإنما تزوجها كراهة أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء محبتها ويترصب بها إلى أن تموت فبرئها فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية وروى عن عكرمة أنه قال كان الرجل عنده نسوة وأيتام فإذا أنفق مال نفسه على النسوة ولم يبق له مال وصار محتاجا أخذ في انفاق أموال اليتامى عليهن فقبيل لهم لا تزيدوا على أربع فانهم كانوا يتزوجون من النساء ما سواهن وأتسعوا وعشرا وكان تحت قيس بن الحرث ثمان نسوة فحرم الله عليهم ما فوق الأربع أي وان خفتهم أن لا تعدلوا في حق اليتامى إذا تزوجتم بهن بأساءة العشرة أو بنبذ الصداق فأنكحوا (ما طاب لكم من النساء) أي فتزوجوا من استطابتها نفوسكم ومالت إليها قلوبكم من الأجنبية (مثنى وثلاث ورباع) ولا تزيدوا على أربع (فان خفتهم أن لا تعدلوا) بين هذه الأعداد في القسمة والنفقة كالم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد وكالم تعدلوا في حق اليتامى (فواحدة) أي فالزموها أو فاخترنا واحدة وذروا الجمع وقرئ فواحدة بالرفع أي فكفت



واحدة أو خمسكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) أى من السرارى فإنه لا قسمة لهن عليكم (ذلك أدنى أن لا تعملوا) أى اختيار الحرمة الواحدة أو التسرى أقرب إلى أن لا تملوا وما لا يحظور بالنسبة إلى ما عداها والامر يدور مع عدم الجور لا مع تحقق العدل (وأتوا النساء) اللاتي أمرتم بنكاحهن (صدقاتهن) أى مهورهن (فحيلة) أى فريضة من الله تعالى كما قاله ابن عباس وقتادة وابن جرير وابن زيد وأغافير والحيلة بالفريضة لأن الفحيلة في اللغة معناها الديانة والملة والشرعة والمذهب فقوله تعالى وأتوا النساء صدقاتهن فحيلة أى أعطوهن مهورهن لأنها شريعة ودين ومذهب وما هو كذلك فهو فريضة وانتصاب فحيلة على أنها مفعول له أو حال من الصدقات (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا) أى فإن وهبن لكم شيئا من الصدق بطيبة نفس من غير أن يكون السبب فيه شكاسة أخلاقكم معهن أو سوء معاشرتكم معهن (فكلوه) أى خذوا ذلك الشيء وتصرفوا فيه (هنيئا) أى حلا بلائكم (مرثيا) أى بلا ملامة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كتب إلى قضاته أن النساء يعطين رغبة ورهبة فأبيا امرأة أعطته ثم أرادت أن ترجع فذلك لها (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أى وبأيام الأولياء لا تؤتوا المبذرين من اليتامى الذين يكونون تحت ولايتكم أموالهم التي في أيديكم التي جعل الله الأموال معاشكم أى لا يحصل معاشكم إلا بهذا المال مخافة أن يضيعوها وأضاف الله المال إلى الأولياء من حيث أنهم ملكوه والتصرف فيه لا لأنهم ملكوه والمال ويكفي حسن الإضافة أدنى سبب (وارزقوهم فيها) أى انفقوا عليهم (واكسوهم) وأغافير قال الله فيها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك أمرا يجعل بعض أموالهم رزقاً لهم بل أمرهم بأن يجعلوا أموالهم مكاناً لرزقهم وكسوتهم بأن يتجروا فيها ويشمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول المال (وقولوا لهم قولاً معروفاً) أى جميلاً وهو كل ما سكنت إليه النفس من قول لحسنه شرباً أو عقلاً كأن يقول الولي للصبي مالك عندي وأنا خازن له فإذا رشدت سلمت إليك أموالك (وابتأوا اليتامى) أى واختبروا من لا يتبين منهم السفه قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أموالهم بما يليق بحالهم بأن تجربوا أولاد التاجر بالبيع والشراء والمماكسة فيهما وولد الزراع بالزراعة والنفقة على القوام بها والاثني فيما يتعلق بالغزل والقطن وصون الأطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الأمير ونحوه بالانفاق مدة في خبز وماه ولحم ونحوها قال أبو حنيفة رضى الله عنه تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي محيطة بآثار قوله تعالى وابتأوا اليتامى أمر الأولياء بأن يأذنوا لهم في البيع والشراء قبل البلوغ وذلك يقتضى صحة تصرفاتهم وقال الشافعي ولا يصح عقد الصبي المميز بل يخفى في المماكسة فإذا أراد العقد عقد الولي لأنه لا يجوز دفع المال إليه حال الصغر فثبت عدم جواز تصرفه حال الصغر (حتى إذا بلغوا النكاح) أى إذا بلغوا مبلغ الرجل الذي يلزمه الحدود وذلك بأن يحتلموا وانغمسوا في الاحتلام يبلوغ النكاح لأنه انزال الماء الدافق الذي يكون في الجماع (فإن أنستم) أى عرفتكم (منهم رشداً) أى اهتداء إلى وجوه التصرفات من غير تبذير وتعجز عن خديعة الغير (فادفعوا إليهم أموالهم) التي عندكم من غير تأخر عن حد البلوغ وقرئ رشداً بفتحين ورشداً بضمين وعند الشافعي يعتبر مع صلاح المال صلاح الدين بأن لا يرتكب كبيرة ولا يصغر على صغيرة وعند أبي حنيفة هو غير معتبر وفائدة هذا الخلاف أن الشافعي يرى المجرع على الفاسق وأبو حنيفة لا يراه (ولاً تأكلوها) أى أموال اليتامى أيها الأولياء (اسرفوا بداراً) أى مسرفين بغير حق ومبادرين إلى انفاقها (أن يكبروا) أى مخافة كبرهم فيمنعوكم عن ذلك وتقولون ننفق كما نشتهي

قبل أن يكبر اليتامى فينزعوهما من أيدينا (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (غنيا) عن مال  
 اليتيم (فليستعفف) أي فليتنزه عن أكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الرزق اشقافا على اليتيم وابقاء  
 على ماله (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (فقيرا) محتاجا (فليأكل بالمعروف) أي بقدر حاجة  
 خدمته لليتيم وعمله في مال اليتيم ويقال فليأكل بالمعروف أي بالقرض ثم إذا أيسر قضاءه وان مات ولم  
 يقدر على القضاء فلا شيء عليه وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية وهذا القرض في أصول  
 الأموال أما نحو ألبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فباح لنحو الوصي إذا كان غير مضر  
 بالمال وهذا قول أبي العالية وغيره (فإذا دفعتم إليهم) أي اليتامى (أموالهم) بعد البلوغ  
 والرشد (فأشهدوا) ندبا (عليهم) عند الدفع فإن الأشهاد أبعد من الخصومة ولو ادعى الوصي بعد  
 بلوغ اليتيم أنه قد دفع المال إليه أو قال أنفقت عليه في صغره فقال مالك والشافعي لا يصدق وقال أبو  
 حنيفة يصدق مع اليمين وقال الشافعي القيم غير مؤتمن من جهة اليتيم وانما هو مؤتمن من جهة الشرع  
 (وكفى بالله حسيبا) أي شهيدا روى أن رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير لحاء عمه إلى النبي صلى الله  
 عليه وسلم وقال ابن أخي يتيما في حجرى فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله فأترل الله قوله تعالى وابتلوا  
 اليتامى إلى هنا (الرجال نصيب) أي للأولاد والأقرباء الذكور صغارا أو كبارا حظ (عمارتك  
 الولدان والأقربون) المتوارثون منهم (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أي المتوفون  
 (مما قل منه) أي مما تركوه (أو أكثر) وأتى بهذه الجملة لتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل  
 ما حل ودق ولدفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال (نصيبا  
 مفروضا) أي أعني نصيبا مقدرا مقطوعا بتسليمه إليهم فالوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه  
 بالأعراض وهذا إبطال لحكم الجاهلية فإنهم لا يورثون النساء والأطفال ويقولون اغتارث من طاعن  
 بالرماح وإذا دع عن الحوزة وحازا للنعمة وذكر الله في هذه الآية أن الارث أمر مشترك فيه بين الرجال  
 والنساء ثم ذكر التفصيل في قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم (وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة  
 (أول القربى) أي قرابة الميت الذي ليس بوارث (واليتامى) أي يتامى المؤمنين (والمساكين) أي  
 مساكين المؤمنين من الأجانب (فأرزقوهم منه) أي أعطوهم من المال المقسوم شيئا قبل القسمة  
 (وقولوا لهم قولا معروفا) وهذا الإعطاء مندوب إذا كانت الورثة كبارا أما إذا كانوا صغارا فليس  
 على الولي إلا القول المعروف كأن يقول اني لا أملك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعقلون وان  
 يكبروا فسيعرفون حقكم أو يقول سأوصيهم ليعطوك شيئا (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية  
 ضعفا خافوا عليهم) أي وليخش الذين يحضرون المريض على أولاد المريض ان تركوا بعد موتهم أولادا  
 صغارا خافوا عليهم الضياع وهذا خطاب مع الذين يجلسون عند المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون  
 عنك من الله شيئا فأوص بما لك لفلان وفلان ولا يزالون يأمرونه بالوصية إلى الأحانب إلى ان لا يبقى من ماله  
 للورثة شيء أصلا وحاصل الكلام انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضى لأخيك المسلم عن أنس  
 قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (فليتقوا الله) في أمر  
 اليتامى (واليقولوا قولا سديدا) أي عدلا إذا أرادوا بيع غيرهم على فعل بأن يقولوا لليتامى مثل  
 ما يقولون لأولادهم بالشفقة والتأديب ويخاطبونهم بقولهم يا ولدي يا بني وبأن يقولوا للمريض إذا أردت  
 الوصية فلا تسرف في وصيتك ولا تجحف بأولادك وذكروا التوبة وكلمة الشهادة وبأن يلفظ الورثة

القول للناظرين الذين لا يرثون حال قسمة الميراث (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أى على وجه الغصب (انما يأكلون في بطونهم ناراً) أى حراماً يؤدى الى النار أو يقال يجعل الله في بطونهم ناراً يوم القيامة بأن يخلق الله لهم ناراً يأكلونها في بطونهم (وسيصلون سعيراً) أى سيدخلون ناراً وقوداً لا يعرف غاية شدتها الا الله تعالى قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وسيصلون بضم الياء والباقون بالفتح وقرئ شاذة بضم الياء وتشديد اللام نزلت هذه الآية في شأن حنظلة بن شمر دل وقيل في شأن رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيدولى مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله (يوصيكم الله في أولادكم) أى يبين الله لكم في ميراث أولادكم بعد موتكم \* روى عطاء قال استشهد سعد بن الربيع وترك ابنتين وامراً وأخاف أخذ الاخ المال كله فأنت المرأة وقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعدا قتل وانعهما أخذ ما لهما فقال صلى الله عليه وسلم ارجعي فلعن الله سيقضي فيه ثم انها عادت بعد مدة وبكت ففزلت هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهما وقال اعطى ابنتى سعد الثلثين وأمهما الفن وما بقى فهو لك فهذا أول ميراث قسم في الاسلام (لذكركم مثل حظ الانثيين) أى فذا خلف الميت ذكر واحد أو أنثى واحدة قلل ذكراً سهمان وللأنثى سهم واحد إذا كان الوارث جماعة من الذكور وجماعة من الإناث كان لكل ذكراً سهمان ولكل أنثى سهم واحد وإذا كان مع الأولاد أبوان وأحداً من زوجين فالباقي بعد سهام الأبوين وأحد الزوجين بين الأولاد للذكور مثل حظ الانثيين (فان كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) أى فان كانت بنات الصلب نساءً خالصات بنين أو أكثر فلكل النساء ثلثا ما ترك المتوفى (وان كانت) أى الوارثة بنتاً (واحدة فلها النصف) وقرأ نافع واحدة بالرفع فكان تامة (ولابويه) أى الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك) أى الميت (ان كان له ولد) ذكر أو أنثى أى فان كان مع الأبوين ولد ذكر فأكثر أو بنتان فأكثر فلكل واحد من الأب والأم السدس وان كان معها بنت فلها النصف وللأم السدس وللأب السدس بحكم هذه الآية والسدس الباقي للأب أيضاً بحكم التعصيب (فان لم يكن له) أى الميت (ولد وورثته أبواؤه فلاهم الثلث) وذلك فرض لها والباقي للأب في أخذ السدس بالفريضة والنصف بالتعصيب وإذا انفرد أخذ كل المال كما هو شأن العصبية وأذا ورثته أبواؤه مع أحداً من زوجين فلاهم ثلث ما يبقى بعد فرضه والباقي للأب خلافاً لابن عباس فان للام ثلث الكل عنده ووافقه ابن سيرين في الزوجة وخالفه في الزوج لان الثلث فيه يغضى الى كون نصيب الأنثى مثل نصيب الذكور (فان كان له) أى الميت (اخوة) اثنتان فصاعداً من جهة الأبوين أو من جهة أحدهما ذكر أو أنثى وارثون أو محبوبون للأب (فلامه السدس) والباقي للأب ولا شئ للاخوة وأما السدس الذى محبوبها عنه فهو للأب عند وجوده ولهم عند عدمه (من بعد وصية) أى هذه الانصبا للورثة من بعد اخراج وصية (يوصي بها أو دين) وذلك لان أول ما يخرج من التركة الدين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق فأما اذا لم يكن دين أو كان الا انه قضى وفضل بعده شئ فان أوصى الميت بوصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثاً على فرائض الله تعالى قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم يوصي بفتح الصاد وقرأ نافع وأبو عمرو وحزرة والكسافى بكسر الصاد (آباًؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نعماً) والمعنى ان قسمة الله لهذه الموارث أولى من القسمة التى عمل اليها طباعكم (فريضة من الله) أى فرض ذلك فريضة وهذا اشارة الى وجوب الانقياد لهذه القسمة التى قدرها الشرع وقضى بها (ان الله كان عليماً) أى بالمصالح والرتب (حليماً) فى كل ما قضى وقدر قال ابن عباس ان الله ليسخف

المؤمنين بعضهم في بعض فاطو عليكم الله تعالى من الابناء والآباء أرفعكم درجة في الجنة وان كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله اليه ولده بمسئلته ليقر بذلك عيونه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه ولده ولذا قال تعالى لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا لان أحد المتوالدين لا يعرف أن انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذلك (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) من المال (ان لم يكن لهن ولد) ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم والباقي لورثتهن (فان كان لهن ولد) وارث واحد أو متعدد (فلكم الربع مما تركن) من المال والباقي لباقي الورثة (من بعد وصية) أي هذه الانصبا غمات تدفع الى هؤلاء اذا فصل عن وصية (يوصين بها أودين) أي أو من بعد قضاء دين عليهن (ولهن الربع مما تركتم) من المال (ان لم يكن لكم ولد) ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن والباقي لبقية ورثتكم من أصحاب الفروض والعصبات أو ذوى الارحام أو لبنت المال ان لم يكن لكم وارث آخر أصلا (فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) من المال والباقي للباقيين (من بعد وصية توصون بها أودين) أي أو من بعد قضاء دين عليكم من المال (وان كان رجل) أي ميت (يورث كلاله) أي لا ولده ولا والد (أو امرأة) أي أو كانت امرأة تورث كلاله (وله) أي الميت (أخ أو أخت) من أمه فقط (فلكل واحد منهما) أي الاخ والأخت (السدس) من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الأنوثة (فان كانوا) أي من يرث من الاخوة من الام (أكثر من ذلك) أي من الواحد (فهم) أي الزائد على الواحد كيفما كانوا (شركاء في الثلث) فالذكر والانثى فيه سواء والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات (من بعد وصية يوصي بها أودين غير مضار) للورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث أو يقرب بكل ماله أو ببعضه لاجنبي أو يقر على نفسه بدين لأحققة له أو يقر بأن الدين الذي له على الغير قد وصل اليه أو يبيع شيئا بثمن بخس أو يشتري شيئا بثمن غال أو يوصي بالثلث لغرض تنقيص حقوق الورثة (وصية من الله) أي فريضة من الله عليكم في قسمة الموارث وقيل المعنى وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة يتكفون وجوه الناس بسبب الاسراف في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية بالاضاعة (والله عليم) بمن جارأ وعدل في وصيته (حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة فلا يغتر بالامهال (تلك) أي شؤون الايتام وأحكام الانسحة وأحوال الموارث (حدود الله) أي أحكام الله (ومن يطع الله ورسوله) في جميع الاوامر والنواهي (يدخله جنات) نصب على الظرفية عند الجهور وعلى المفعولية عند الاخفش (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) حال من الهاء في يدخله وهي طائفة على من وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى فلهذا صم الوجهان (وذلك) أي دخول الجنات على وجه الخلود (الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو في بعض الاوامر والنواهي (ويتعد حدوده) أي يتجاوز أحكامه بالجور وقال الكلبي أي ومن يكفر بقسمة الله الموارث ويتعد حدوده استحلالا وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله تعالى ويتعد ما قال الله تعالى (يدخله ناراً) أي عظمة هائلة (خالدا فيها وله عذاب مهين) أي وله مع عذاب الحريق الجسهاني عذاب شديد روحاني وقرأ نافع وابن عامر يدخله بنون العظمة في الموضعين والباقيون بالياء (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من أزواجكم المحصنات فاطلبوا أن يشهد عليهن بفعله أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم وقرئ بالفاحشة (فان شهدوا) عليهن بذلك كما ينبغي (فأمسكوهن في

(البيوت) أي نخلدوهم محبوسات في بيوتكم (حتى يتوفاهن الموت) أي إلى أن يأخذهن الموت  
 ويستوفى أرواحهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) أي أو إلى أن يشرع لهن حكما خاصا بهن ثم قال النبي  
 صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الشيب ترجم والبكر تجلد وتنفى (واللذان  
 يأتيا نهما منكم) أي البكران اللذان يأتيان الفاحشة من أحراركم (فأذوهما) بالتهديد والتعير كأن  
 يقال بشس ما فعلتما وقد تعرضتما لعقاب الله ومخطئه وأخر جتما أنفسكما عن اسم العدالة ويخوفا بالرفع إلى  
 الامام وبالحد وقرأ ابن كثير والذان بتشديد النون (فان تابا) عما فعلا من الفاحشة بعد زواج الأذية  
 (وأصلها) أي ما فيها من ما بين الله (فأعرضوا عنهما) أي أتركوا أياهما (ان الله كان  
 توابا) أي كثير القبول للتوبة عن تاب (رحيما) أي واسع الرحمة وقد نسخ الأذى باللسان للفتى والفتاة  
 بجلد مائة وقال أبو مسلم الأصفهانى والمراد بقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة السحاقيات وحدث عن الحسن  
 إلى الموت أو إلى أن يسهل الله لها قضاء الشهوة بطريق النكاح والمراد بقوله تعالى والذان يأتيانها  
 منكم أهل اللواط وحدثهما الأذى بالقول والفعل (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) أي  
 انما التوبة التي يجب على الله قبولها وجوب الكرم والفضل لا وجوب الاستحقاق للذين يعملون المعصية  
 مع عدم علمه بانها معصية لكنه يصح العلم بانها معصية (ثم يتوبون من قريب) أي من زمان  
 قريب وهو ما قبل معاناة سبب الموت وأهواله (فأولئك يتوب الله عليهم) أي يتجاوز الله عنهم (وكان  
 الله عليما) بأنه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه (حكيم) بأن العبد لما كان  
 من صفته ذلك ثم تاب قبل سوق الروح فانه يجب في الكرم والاحسان قبول توبته (وليست التوبة  
 للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) أي وليست قبول التوبة للذين  
 يعملون الذنوب إلى حضور موتهم أي علامات قربهم وقولهم حينئذ اني تبت الآن ولذلك لم ينفع إيمان  
 فرعون حين أدركه الغرق روى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم  
 يغرغرائه في حلقه وقال عطاء ولوقبل موته بغواقي الناقة وعن الحسن ان ابليس قال  
 حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دامت روحه في جسده فقال الله وعزتي لا أغلق عليه  
 باب التوبة ما لم يغرغر (ولا الذين يوتون وهم كفار) أي الكفار (أعتدنا لهم عذابا أليما) بيان لكونهم  
 محتصين بسبب كفرهم بزيادة العقوبة والاذلال نزلت هذه الآية في حق طعنة وأصحابه الذين ارتدوا قاله  
 ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) أي عين النساء (كرها) أي لا يحل  
 لكم أن تأخذوهن بطريق الارث وهن كارهات لذلك أو كرهات عليه نزلت هذه الآية في حق أهل  
 المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام اذ مات الرجل وكانت له زوجة جاء ابنه من غيرها أو بعض  
 أقاربه فالتقى ثوبه على المرأة وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصارت حق بها من سائر الناس ومن نفسها  
 فان شاء تزوجها بغير صداق وان شاء زوجها من انسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فأنزل  
 الله تعالى هذه الآية قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وكذا في التوبة وفي الاحقاف وقرأ عاصم  
 وابن ذكوان عن ابن عامر في الاحقاف بالضم والباقون بالفتح وقرأ ثقف وابن كثير وأبو عمرو بالفتح في  
 جميع ذلك قال الفراء الكره بالفتح الا كراه وبالضم المشقة فأكراه عليه فهو كره بالفتح وما كان من قبل  
 نفسه فهو كره بالضم (ولا تعضلوهن) أي وكذلك لا يحل لكم بعد التزوج من الحبس والتضييق (لتذهبوا

بعض ما أتيفوهن) من المهر (الأن يأتين بفاحشة مبينة) وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بفتح  
الياء والباقون بالكسر أي ببينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايداء الزوج وأهله بالبذاء  
والسلطنة ويدل عليه قراءة أبي بن كعب إلا أن يفحش عليكم والمعنى لا يحل لكم أن تضيقوا الأمر  
عليهن لعله من العلل إلا لتيانهم بالنشوز فإن السبب حيث يذكون من جهتهن فقد عذرتهم في طلب الخلع  
(وعاشروهن بالمعروف) أي النصفة في المبيت والنفقة والأجمال في القول (فإن كرهتموهن فعسى  
أن تكونن منهن) أي أن تكونن منهن خيراً كثيراً (أي فإن كرهتموهن فامسكوهن بالمعروف  
ولا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس من غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك فقد قربت كراهتكم شيئاً  
أي محبة معهن مع كون الله جعل في محبتهم خيراً كثيراً كحصول ولد فتنقلب الكراهة محبة وكاستحقاق  
الثواب الجزيل في العقبى والثناء الجليل في الدنيا لا نفاق عليهن والاحسان اليهن على خلاف الطبع  
(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) أي وإن أردتم زوجاً ترغبون فيها بدل امرأة تنفرون  
عنها بأن أردتم أن تطلقوها (وأتيتهم أحداهن قنطاراً) أي وقد أعطيتهم إحدى الزوجات التي تريدون  
أن تطلقوها ما لا كثير من الصداق (فلا تأخذوا منه) أي من ذلك القنطار (شيئاً) أي يسيراً أي  
إن كان سوا العشرة من قبل الزوج كره له أن يأخذ شيئاً من مهرها ثم إن وقعت المحالعة ملك الزوج بذلك  
الخلع وإن كان من قبل المرأة فيحل أخذ بدل الخلع (أ تأخذونه) أي المهر (بهتاناً) أي ظمناً (وإنما  
مبيناً) أي حراماً بيننا أي أن أخذ المال طعن في ذاتها وأخذ لها فهو بهتان من وجه وظلم من وجه  
آخر فكان ذلك معصية عظيمة من أمهات الكبائر وروى أن الرجل إذا مال إلى التزوج بأمرأة أخرى  
رمى زوجته نفسه بالفاحشة حتى يلجئها إلى الاقتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج المرأة التي يريد  
(وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض) أي ولا يوجب وجه تأخذون المهر وقد أجمعتم في الخاف  
واحد فأنها قد بذلت نفسها لك وجعلت ذاتها لذلك وتمتعك وحصلت اللفة التامة بينكما فكيف يليق  
بالعقل أن يسترد منها شيئاً فهذا لا يليق بمن له طبع سليم وذوق مستقيم (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً)  
قال ابن عباس ومجاهد وهو كلفة النكاح المعقودة على الصداق وتلك الكلمة كلمة تستحل بها فروج  
النساء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة  
الله وهذا الإسناد مجاز عقلي من الإسناد للسبب لأن الأخذ للعهد حقيقة هو الله لكن بولغ فيه حتى جعل  
كأنهن الأخذات له أي وقد أخذ الله عليكم العهد بسببهن (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا  
ما قد سلف) أي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم من النساء فإنه موجب للعقاب إلا ما قدم في قبل نزول  
آية التحريم فإنه معفو عنه ويقال ولا تنكحوا نكاح آباؤكم فإن أنكحتم كانت بغيرولي وشهود  
وكانت موقته وعلى سبيل القهر وهذا الوجه منقول عن محمد بن جرير الطبري في تفسيره هذه الآية وقيل  
المعنى لا تزوجوا امرأة وطئها آباؤكم بآزنا إلا ما قد سلف من الأب في الجاهلية من الزنا بأمرأة فإنه يجوز  
للأب أن تزوجها كما نقل هذا المعنى عن ابن زيد وكما قال أبو حنيفة يحرم على الرجل أن يزوج بغيرنية أبيه لهذه  
الآية وقال الشافعي لا يحرم (أنه) أي نكاح نساء الآباء (كان فاحشة) أي قبحاً لأن زوجة الأب  
تشبه الأم فكانت مباشرتهم من أخش الفواحش (ومقتناً) أي عقوتاً عند ذوى المروآت من الجاهلية  
وغيرهم وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقتى (وسام سبيلاً) أي بش مسلكاً لأن  
هذه الآية في حق محسن بن قيس الأنصاري وأعلم أن مراتب القبح ثلاثة القبح في القول وفي الشرائع



وفي العادات فقوله تعالى انه كان فاحشة اشارة الى القبح العقلي وقوله تعالى ومقتا اشارة الى القبح الشرعي وقوله وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية في القبح (حرمت عليكم امهاتكم) من النسب (وبناتكم) من النسب (وأخواتكم) من النسب من أى وجه يكن (وعماتكم) أى اخوات آبائكم (وخالاتكم) أى اخوات أمهاتكم (وبنات الاخ) من النسب من أى وجه يكن (وبنات الاخت) من النسب من أى وجه يكن (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) في الحولين خمس رضعات متفرقات عند الشافعي وابن حنبل وقال أبو حنيفة ومالك يحصل التحريم بمصصة واحدة وفاقا للادوراهي ولسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك كقول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب (وأخواتكم من الرضاعة) وهي من أرضعتها أمك أو أرتضعت لبنك أو ولدتها مرضعتك أو ولدها الفحل (وأمهات نسائكم) من نسب أو رضاع سواء دخل بزوجه أم لا (وربائكم اللاتي في حجوركم) أى بنات نسائكم اللاتي ربيتم في بيوتكم (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) أى جامعتموهن سواء كان ذلك بعقد صحيح أو فاسد (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) في نكاح الربائب بعد طلاق أمهات وموتها (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) أى ونساء أبنائكم الذين من أولاد فراسكم دون نساء أولاد الأدياء قال الشافعي لا يجوز للاب أن يتزوج بجارية ابنة لانها حليلته وقال أبو حنيفة يجوز واتفقوا على أن حرمة التزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد كما أن حرمة التزوج بحليلة الأب تحصل بذلك (وأن تجمعوا بين بين الأختين) بالنكاح وبالوطء في ملك اليمين لا في نفس ملك اليمين قال الشافعي نكاح الأخت في عدة الأخت البائن جائز لانه لم يوجد الجمع وقال أبو حنيفة لا يجوز (الأمأ قد سلف) أى قدم في الجاهلية فانه مغفور لكم (إن الله كان غفورا) فيما كان منكم في الجاهلية (رحيما) أى فيما يكون منكم في الاسلام إذا تبتم (والمحصنات من النساء) الأمأ ملكت أعيانكم) أى وحرم عليكم نكاح ذوات الأزواج كائنات من جميع النساء الأمأ ملكت أعيانكم من السبا يافانهم حلال لكم بعدما استبرأتم أرحامهم بمصينة وإن كان أزواجهن في دار الحرب واختلف القراء في كلمة المحصنات سواء كانت معرفة بالأم نكحة فقرأ المجهور بفتح الصاد والكسائي بكسر هاء في جميع القرآن الا التي في هذه الآية فانهم أجمعوا فيها على الفتح والمعنى أحصنهن الأزواج بالتزوج أى أعفوهن عن الوقوع في الحرام والاولياء أعفوهن عن افساد بالتزوج وهن يحصن أزواجهن عن الزنا ويحصن فروجهن عن غير أزواجهن بعفافهن (كتاب الله عليكم) أى كتب عليكم تحريم ما تقدم ذكره من المحرمات كتابا من الله أو المعنى الزموا كتاب الله (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وأحل لكم البناء للفعول عطفا على قوله حرمت عليكم والباقون وأحل بالبناء للفاعل عطفا على كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم هذه الاشياء وأحل لكم ما وراءها ومحل أن تبتغوا رفع على البدل من ما على القراءة الاولى ونصب على القراءة الثانية وقوله محصنين حال وقيل خبر كان الناقصة والمعنى وأحل لكم ما سوى المحرمات المعذوبة أن تطلبوا النساء بصرف أموالكم في المهور أو الأثمان على طريق النكاح الى الأربع أو التسرى للامأ حال كونكم متعفين عن الزنا وغير زانين وهذا تكرير للتأكيد وقيل المعنى كونوا مع النساء متزوجين أو متسرين (فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن) أى فإى فعل استمتعتم به من جهة المنكوحات من جماع أو عقد فاعطوهن مهورهن لاجله بالتام ان استمتعتم بالدخول ولو مرة وبالنصف ان استمتعتم بعقد النكاح (فريضة) أى حال كون أجورهن مفروضة

من الله عليكم (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به) أي لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرها  
أو يهب الزوج للمرأة المطلقة قبل الدخول تمام المهر أو فيما ترضيه من نفقة ونحوها (من بعد الفريضة)  
أي من بعد ذكر القدر المعين (ان الله كان عليما) بمصالح العباد (حليما) فلا يشرع الاحكام الا  
على وفق الحكمة وذلك يوجب التسليم لأوامره والانقياد لأحكامه (ومن لم يستطع منكم) أيها الاحرار  
(ما ولا أن يتكع المحصنات المؤمنات) أي الحرائر (فما ملكت أيمانكم من فتيانكم المؤمنات) أي من امائكم  
المؤمنات فقله تعالى أن ينكح اماءه فقله لوطولا واما بدل منه واما ففعل ليستطع ووطولا مصدر مؤكده  
لانه معناه اذا استطاعة هي الطول أي الفضل والزيادة في المال أو غير أي ومن لم يستطع منكم زيادة  
في المال يبلغ بها نكاح الحرائر فليكن الاماء أو المعنى ومن لم يستطع منكم استطاعة نكاحهن أو المعنى  
ومن لم يستطع منكم من جهة سعة المال لا من جهة الطبيعة نكاح الحريرة فليكن الاماء لانها في العادة  
تخفيف مهورها ونفقة اشتغالها بخدمة السيد بخلاف الحريرة الفقيرة ويقال للمرأة الحديثة السن فتاة  
والغلام فتى والامة تسمى فتاة سواء كانت عجوز أم شابة لانها كالشابة في أنها لا توقر توقير الكبير وقال  
بجاهد وسعيد والحسن ومالك والشافعي لا يجوز الزواج بالامة الكتابية سواء كان الزوج حرا أو عبدا  
وقال أبو حنيفة يجوز (والله أعلم بايمانكم) أي انه تعالى أعلم منكم بمراتبكم في الايمان فرب امة  
يفوق ايمانها ايمان الحرائر فاعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله يتولى  
السرائر والحقائق (بعضكم من بعض) أي كلكم مشتركون في الايمان وهو أعظم الفضائل فاذا  
حصل الاشتراك في ذلك كان التفاوت فيما وراءه غير معتبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه  
قال ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الانساب والتعثر بالاحساب والاستسقاء بالانواء (فانكحوهن  
بأذن أهلهن) أي سيدهن (وآتوهن أجورهن بالمعروف) أي اعطوهن مهورهن على العادة الجميلة  
عند المطالبة من غير مطل (محصنات) أي عفاف عن الزنا وهي حال من مفعول فانكحوهن (غير  
مسالجات) أي غير موجرات أنفسهن مع أي رجل أرادها (ولا متحذات أخدان) أي غير متحذات  
أخلاء معينين يرتون بهما سرا (فاذا أحصن) أي زوجن وقرأه حمزة والكسائي وأبو بكر البناء للفاعل  
أي أسلمن كما قاله حمز بن مسعود والشعبي والنخعي والسدي (فان آتين بفاحشة) أي فان فعلن زنا  
(فعلين نصف ما على المحصنات) أي فثبت عليهن شرعا نصف ما على الحرائر الا بكرا (من العذاب)  
أي الحد فيجلدون خمسين ويغرم نصف سنة كما هو كذلك قبل الاحصان وهذه الآية بيان عدم تفاوت  
حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فتخفيف الحد لارق (ذلك) أي نكاح الاماء حلال (لمن خشى  
العنت منكم) أي الضرر الشديد في العزوبة بالشبق الشديد فانه قد يحمل على الزنا وقد يؤدي بالانسان  
الى الامراض الشديدة (وأن تصبروا) عن نكاح الاماء (خير لكم) لما في نكاحهن من تعريض الولد  
لارق (والله غفور رحيم) بأباحتكم في نكاح الاماء وان كان يؤدي الى ارقاق الولد مع أن هذا  
يقتضي المنع منه لاحتيالكم اليه فكان ذلك من باب المغفرة والرحمة (يريد الله ليبين لكم) ما هو خفي  
عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أي يرشدكم طرائق الانبياء  
والصالحين لتقتدوا بهم فكل ما بين الله تحريمه وتحليله لنا من النساء كان الحكم كذلك في جميع الشرائع  
والملل (ويتوب عليكم) اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير في مراعاة الشرائع (والله عليم)  
بأحوالكم (حكيم) في كل ما يفعله بكم ويحكم عليكم (والله ير يد أن يتوب عليكم) أي أن يتجاوز

عنكم حين حرم عليكم الزنا ونكاح الاخوات من الاب (ويريد الذين يتبعون الشهوات) في نكاح  
 الاخوات من الاب وهم اليهود وفي الزنا وهم الفجرة (أن تعيلوا ميلا عظيما) بموافقتهم على استحلال  
 المحرمات في قول اليهود ان نكاح الاخوات من الاب حلال في كتابنا وعلى اتباع الشهوات فان الزاني  
 يحب ان يشركه في الزنا غيره ليتفرق اللوم عليه وعلى غيره (يريد الله أن يخفف عنكم) في جميع  
 أحكام الشرع كما باجحة نكاح الامة عند الضرورة (وخلق الانسان ضعيفا) أي عاجزا عن  
 مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه حيث لا يصبر عن النساء وعن اتباع الشهوات ولا يستخدم  
 قواه في مشاق الطاعات ولذلك خفف الله تكليفه وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل  
 والضمير لله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي بما يخالف الشرع  
 كالغصب والمزقة والخيانة والقمحار وعقود الربا وشهادة الزور والحلف الكاذب وبمحمد الحق (الا  
 أن تكون تجارة عن تراض منكم) قرأ عاصم وحزمة والكسائي تجارة بالنصب أي لا يأكل كل بعضكم  
 أموالا بغير طريق شرعي بل كلوا بان تكون الاموال تجارة صادرة عن تراض منكم والباقيون بالرفع أي  
 لكن بأن توجد تجارة عن طيب نفس (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من قتل  
 المؤمن بغير حق والردة والزنا بعد الاحصان (ان الله كان بكم رحيمًا) حيث نهاكم عن كل ما تستوجبون  
 به مشقة (ومن يفعل ذلك) أي ما نهى عنه من قتل النفس وغيره من المحرمات (عدوانا) أي افراطا  
 في مجاوزة حد الحلال (وظلما) أي اتيانا بما لا يستحقه (فسوف نصليه) أي ندخله (نارا) هائلة  
 شديدة العذاب (وكان ذلك) أي أصلاؤه النار (على الله يسيرا) أي هينا (ان تجتنبوا كثير  
 ما تنهون عنه) في هذه السورة (نكفر عنكم سيئاتكم) أي صفاتكم من جماعة الى جماعة ومن  
 جمعة الى جمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان (وندخلكم) في الآخرة (مدخلا كريما)  
 قرأ نافع يفتح الميم والباقيون بالضم أي موضع عاحدا وهو الجنة (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم  
 على بعض) قال ابن عباس لا يتقن الرجل مال غيره ودابته وامرأته ولا شيئا من الذي ثبت له كالجماء  
 وغير ذلك مما يجسرى فيه التنافس وذلك هو الحسد المذموم لان ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى  
 صادرة من حكمة وتدبير لا تقب بأحوال العباد متفرع على العلم بجلال شؤنهم ودقائقها وأسألوا الله من  
 فضله وقولوا اللهم ارزقنا مثله أو خير منه مع التفويض ويقال نزلت هذه الآية في حق أم سلمة زوج النبي  
 صلى الله عليه وسلم لقولها للنبي ليت الله كتب علينا ما كتب على الرجال لكي نؤجر كما يؤجر الرجال  
 فنهى الله عن ذلك وقال ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم أي الرجال على بعض أي النساء من الجماعة  
 والجمعة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بين الله تعالى ثواب الرجال والنساء باكتسابهم  
 فقال (الرجال نصيب) أي ثواب (عما اكتسبوا) أي الخير كالجهاد والنفقة على النساء (وللنساء  
 نصيب) أي ثواب (عما اكتسبن) من الخير في بيوتهن كحفظ فروجهن وطاعة الله وأزواجهن  
 وقيامهن بمصالح البيت من الطبخ والخبز وحفظ الثياب ومصالح المعاش وكانطلق والارضاع (وأسألوا  
 الله) قرأ ابن كثير والكسائي وسألوا الله بغير همز (من فضله) أي وأسألوا الله ما احتجتم اليه يعطكم  
 من خزائنه التي لا تنفذ قال الفخر الرازي قوله تعالى وأسألوا الله من فضله تنبيه على ان الانسان لا يجوز له  
 ان يعين شيئا في الطلب والدعاء ولكنه يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاحه في دينه ودنياه على  
 سبيل الاطلاق اهـ وقد جاء في الحديث لا يتقن أحدكم مال أخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم

اعطاني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسئل وأفضل العباد أنظار الفرج (إن الله كان بكل شيء عليما) ولذلك جعل الناس على طبقات فرفع بعضهم على بعض درجات أي فاته تعالى هو العالم بما يكون صلاحا للساكنين فليقتصر السائل على الجمل وليحترز في دعائه عن التعيين فربما كان ذلك محض المفسدة والضرر (ولكل جعلنا موالى عاترك الوالدان والاقربون) أي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحززون منها انصباهم بحسب استحقاقهم وعما ترك بيان لكل (والذين عقدت أيمانكم) أي وعما ترك الزوج والزوجة فالنكاح يسمى عقدا وهذا قول أبي مسلم الأصمhani ويصح أن تكون جملة جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر والمعنى حينئذ ولكل قوم جعلناهم ورثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين عما ترك المورثون (فأتوهم نصيبهم) من الميراث قيل إن هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصديق لأنه حلف أن لا ينفق على ابنه عبد الرحمن ولا يورثه شيئا من ماله فلما أسلم عبد الرحمن أمر الله أبا بكر أن يؤتيه نصيبه وقيل المراد من قوله تعالى والذين عقدت أيمانكم الحلفاء وبقوله فأتوهم نصيبهم النصيحة والمصافاة في العشرة وحينئذ فقوله والذين مبتدأ متضمن المعنى الشرط ولذلك صدر الخبر بالغاء أو منه صوب بضمير يفسره قوله فأتوهم وعلى هذه الوجوه فهذه الآية غير منسوخة بخلاف ما لو حمل قوله الذين عقدت أيمانكم على الحلفاء في الجاهلية وقوله فأتوهم نصيبهم على الميراث وهو السدس فوهذه الآية حينئذ منسوخة بقوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وبقوله تعالى يوصيكم الله وكذا الوصل قوله الذين عقدت أيمانكم على الأبناء الأدعياء أو على من وأخاء النبي صلى الله عليه وسلم لرجل آخر فإنه وأخاين كل رجلين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (إن الله كان على كل شيء) من أعمالكم (شهيدا) أي مطلعا (الرجال قومون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) أي الرجال مسلطون على أدب النساء بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن بكمال العقل وحسن التدبير ورزاقته الرأى ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا وجوب الجهاد والجمعة وغير ذلك وبسبب انفاقهم من أموالهم للهرم والنفقة (فالصالحات) أي الحسنات إلى أزواجهن (فانتات) أي مطيعات لازواجهن (حافظات للغيب) أي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة أزواجهن من الفروج والأموال (بما حفظ الله) أي بالذي حفظه الله لهن أي فان حفظ حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل عليهن وأمسأكنهن بالمعروف وأعطائهن أجورهن أو المعنى بحفظ الله إياهن بالأمر بحفظ الغيب والتوفيق له وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف أي بسبب حفظهن حدود الله وأوامره (واللاتي تخافون نشوزهن) أي والنساء اللاتي تظنون عصيانهن لكم (فعظوهن) أي فانهوهن بالترغيب والترهيب (واهجروهن في المضاجع) أي حولوا عنهن وجوهكم في المراقف فلا تدخلوهن تحت اللثام إن علمتم النشوز ولم ينفعهن النصيحة (واضربوهن) أي لم يجز أن يضربوا غير مبرح ولا شائن ولا رلى ترك الضرب فإن ضرب فواجب أن يكون الضرب بحيث لا يكون مفضيا إلى الهلاك بأن يكون مفرقا على البدن بأن لا يكون في موضع واحد وأن لا يوالى به وأن يتقى الوجه وأن يكون بمنديل ملفوف (فإن أظعنكم) أي رجعن عن النشوز إلى الطاعة عنده هذا التأديب (فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي فلا تطلبوا عليهن

طريقا في الحب ولا في الاذية واكتفوا بظواهر حال المرأة ولا تقتشوا عما في قلبها من الحب والبغض  
(ان الله كان عليا كبيرا) أي ان الله تعالى مع علوه وكبر ياته لا تكلفكم ما لا تطيقون فكذلك  
لا تكلفوهن ما لا طاقة لهن من المحبة وأنه تعالى مع ذلك يتجاوز عن سيئاتكم فأنتم أحق بالعضو عن  
أزواجكم عند اطاعتن لكم (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) أي وان  
علمتم أيها المؤمنون مخالفة بين الرجل والمرأة ولم تدروا من أيهما فابعثوا الى الزوجين لاصلاح  
الحال بينهما حكما أي رجلا وسطا صالحا للاصلاح من أهله أي الزوج وحكما آخر على  
صفة الأول من أهلها لان أقاربهم ما أعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا  
أجنبيين جاز فيستكشف كل واحد منهما حقيقة حال الزوجين ثم يجتمع الحكمان فيفعلان ما هو الصواب  
من جمعهما أو ايقاع طلاق أو خلع (ان يريد الاصلاحا يوفق الله بينهما) فالضمير الاول اما عائدة على  
الحكمين أو الزوجين والضمير الثاني كذلك فالوجوه أربعة والمعنى ان كانت نية الحكمين قطعا للخصومة  
أو وقع الله الموافقة بين الزوجين (ان الله كان عليما) بمواقفة الحكمين ومخالفتهما (خييرا) بفعل  
المرأة والرجل قال ابن عباس نزلت الآية من قوله تعالى الرجال قوامون على النساء الى ههنا في شأن بنت  
محمد بن مسلمة بلطمة لطمها زوجهاسعد بن الربيع لعصيانها في المضاجع فطلبت من النبي صلى الله عليه  
وسلم قصاصها من زوجها فنهاها الله عن ذلك (وأعبدوا الله) بقلوبكم وجوارحكم (ولا تشركوا به  
شيئا) أي شركا جليا وخفيا وهذا أمر بالاخلاص في العبادة (وبالوالدين احسانا) أي أحسنوا  
بهما احسانا بالقيام بخدمةتهما وبالسعي في تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما وعدم رفع الصوت عليهما  
وعدم تخشين الكلام معهما وعدم شهر السلاح عليهما وعدم قتلها ولو كان كافرا لانه صلى الله عليه  
وسلم نهى عن قتل أبيه أي عامر الراهب وكان مشركا وعن أبي سعيد الخدري ان رجلا جاء الى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن استأذنه في الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم هل لك أحد باليمن  
فقال أبو اي فقال أوالا اذناك فقال لا فقال فارجع فاستأذنها فان اذناك الجاهدوا لآقبرهما (وبذي  
القربي) أي صلبوا بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك (واليتامى) أي أحسنوا اليهم  
بالرفق بهم وبتربيتهم وحفظ أموالهم (والمساكين) أي أحسنوا اليهم بالصدقة أو بالارد  
الجميل (والجار ذي القربى) أي الذي قرب جواره أو الذي له مع الجوار اتصال بالنسب وقرى بالنسب  
على الاختصاص تعظيما لحقه لانه ثلاثة حقوق حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام كما قرئ  
والصلاة الوسطى نصبا على الاختصاص (والجار الجنب) أي الذي بعد جواره أو الذي لا قرابة له فله  
حقان حق الاسلام وحق الجوار (والمصاحب بالجنب) وهو ما رفيق في سفر أو جار ملاصق أو شريك في  
تعلم أو حرفة أو قاعد يجنبك في مسجد أو مجلس وقيل هي المرأة فانها تكون معك وتضعك الى جنبك (وابن  
السييل) أي المسافر المنقطع عن بلده بالسفر أو الضيف أي أحسنوا له بالاكرام وله ثلاثة أيام حق وما  
فوق ذلك صدقة (وما ملكت أيمانكم) أي أحسنوا الى الخدم من العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان  
مختالا) أي متكبرا عن أقاربه الفقراء وجيرانه الضعفاء وأصحابه ولا يحسن عشرتهم (نحورا) على الناس  
بما أخطأه الله تعالى من العلم وغيره (الذين يخلون ويأمرون الناس بالبطل ويكتُمون ما آتاهم الله  
من فضله) من العلم بما في كتابهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم والظاهر أن الموصول منصوب على  
الذم أو مرفوع على الذم أي هم الذين ويجوز أن يكون بدلا من قوله من كان مختالا وان يكون مبتدأ

خبره محذوف تقديره احقاه بكل ملامة أو كافر ونزلت هذه الآية في حق كدوم بن زيد وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع ومحرى بن عمر ووحى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التياوت حين أمر وارجالا من الأنصار بترك النفقة على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً للفقير عليهم أخرجهم ابن جرير عن ابن عباس (وأعتدنا للكافرين) أي لليهود (عذاباً مهيناً) أي من كان شأنه كذلك فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافراً بنعمته فله عذاب مهين كما أهان النعمة بالجل والاختفاء وفي الحديث الذي رواه أحمد انه صلى الله عليه وسلم قال إذا نعم الله على عبده نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والموصول اما معطوف على الموصول الاول واما معطوف على قوله تعالى للكافرين قال الواحدى نزلت هذه الآية في شأن المنافقين وقيل نزلت في مشركى مكة المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قريناً) أي ومن يكن الشيطان معيناً لا صاحب هذه الافعال في الدنيا (فساء قريناً) أي فبئس صاحب له في النار هو فان الله تعالى يقرن مع كل كافر شيطاناً في سلسلة في النار ثم بين الله تعالى سوء اختيارهم في ترك الايمان فقال (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أي وأي ضرر عليهم في الايمان والاتفاق ابتغاء لوجه الله (وكان الله بهم) وبأحوالهم المخفية (علماً) فانه تعالى عالم بواطن الامور فان العبد الى الرياء اغما يكون باطناً غير ظاهر (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) أي ان الله لا يظلم أحداً وزن غلة حمراء صغيرة أي لا يظلم قليلاً ولا كثيراً (وان تلك حسنة يضاعفها) قرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع والمعنى وان حدثت حسنة والباقيون بالنصب والمعنى وان تكن ذرة الذرة حسنة وقرآن كثير وابن عامر يضعفها بالتشديد من غير ألف أي فيكون التضعيف للثواب الى مقدار لا يعلمه الا الله تعالى روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة وينادى مناد على رأس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاً حقوقهم فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا في أعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضله ورحمته وقال أبو عثمان النهدي بلغني عن أبي هريرة انه قال ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقد رآه الله أن ذهب الى مكة حاجاً ومعه مائة ألف حسنة فقلت بلغني عنك انك تقول ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لم أقل ذلك ولكن قلت ان الحسنة تضاعف بألف ضعف وتلا قوله تعالى (ويؤتى) أي يعطى الله صاحب الحسنة (من لذه) أي من عنده تعالى (أجر عظيم) فلا يقدر أحد قدره \* روى أن عمر كان جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى لا طالب كينف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاء فقال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكدلة بالؤلؤلؤ لاى نبي هذا ولاى صديق أولأى شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى الثمن قال يارب ومن علك ذلك قال أنت علكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت



منه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات  
 بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (فكيف) يصنع الكفار يوم القيامة (اذا جئنا من كل  
 أمة) أى قوم (شهيد) أى بنى يشهد على قبح أعمالهم (وجئنا بك) أى أشرف الخلق (على هؤلاء)  
 الشهداء وهم الرسل (شهيدا) فتشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم ويقال وجئنا بك لامتك من كذا  
 معدلا لان أمته صلى الله عليه وسلم يشهدون للانبياء على قومهم اذا جحدوا بالبلاغ (يوم تذبذود الذين  
 كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض ولا يكتفون الله حديثا) أى يوم يحى ذلك يقضى الذين  
 كفروا بالله وعصوا أمر الرسول ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموت ويقال يمتنون ان  
 يصبروا تراياهم البهائم لعظم هول ذلك اليوم ولا يقدر ان يكتفوا من الله حديثا بأن يقولوا والله ربنا  
 ما كنا مشركين أى انهم يريدون الكتمان أولا لما علموا ان الله لم يغفر شر ~~كافية~~ قولون والله ربنا ما كنا  
 مشركين رجاء غفران الله لهم لكنهم تشبه عليهم الاعضاء والزمان والمكان فلم يستطيعوا الكتمان  
 فهناك يودون انهم كانوا ترايا ولم يكتفوا الله حديثا (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى  
 حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل) أى لا تقيموا الصلاة حال كونكم سكارى من الشراب  
 الى ان تعلموا قبل الشروع فيها ما تقولونه ولا تقيموها حال كونكم جنبا الا حال كونكم مسافرين وقيل  
 ان الا معنى غير وهو صفة للجنب والمعنى لا تقيموها حال كونكم جنبا غير مسافرين وسيأتى حكم المسافرين  
 (حتى تغتسلوا) من الجنابة (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم  
 النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) والمعنى وان كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء  
 أو مسافرين طال السفر أو قصر أو أحدثتم بخروج الخارج من أحد السبلين أو تلاقى بشرتكم مع  
 بشرة النساء فلم تجدوا ماء فتطهروا به للصلاة بعد الطلب فاقصدوا أرضا لاسخنة فيها (فامسحوا بوجوهكم  
 وأيديكم) الى المرفقين بضربتين (ان الله كان عفوا غفورا) وهذا كناية عن الترخيص والتيسير  
 لان من كان عادته انه يعفو عن المذنبين فبان برخص العاجزين كان أولى (ألم تر) أى تنظر (الى  
 الذين أوتوا نصيبا) أى حظا يسيرا (من الكتاب) أى من علم التوراة (يشترون الضلالة) أى  
 يوثرون تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ليأخذوا الرشاعلى ذلك ويحصل لهم الرياسة كما قاله الزجاج  
 (ويريدون أن تضلوا السبيل) أى ويتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يخرجوا عن  
 الاسلام (والله أعلم بأعدائكم) أى هو سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما فى قلوبهم من العداوة والبغضاء (وكفى  
 بالله وليا) أى متصرفا في جميع أموركم (وكفى بالله نصيرا) فى كل موطن فتقوا به وقال ابن عباس  
 نزلت هذه الآية فى شأن اليسع ورافع بن حرملة حبرين من اليهود دعوا رئيس المنافقين عبد الله بن أبى  
 وأصحابه الى دينهما ثم نزل فى مالك بن الصييف وأصحابه قوله تعالى (من الذين هادوا يجرئون الكلام عن  
 مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين) أى من اليهود  
 قوم يغفرون الكلام التى أنزل الله فى التوراة عن مواضعه التى وضعها الله تعالى فيها كقصر يفهم فى نعت  
 النبي أسمر ربعة فوضعوا مكانه آدم طوال وتحرف يفهم الرجم فوضعوا بدله الجلدو يقولون فى الظاهر اذا  
 أمرهم النبي عليه السلام سمعنا قولك وفى أنفسهم وعصينا أمرنا ويقولون فى انشاء مخاطبة النبي عليه  
 السلام كلاما ذوا جهين وهو محتمل للغير والش رمزهم من المدح ويضفرون الشتم وهو واعمع منا غير  
 مسمع مكروها والمراد واعمع منا حال كونك غير مسمع كلاما أصلا لهم أو موت وهو دعاء منهم على

الرسول صلى الله عليه وسلم بذهاب السمع أو غير مسمع جوابا بواو اقل فكأنك ما سمعت شيئا يقولون للنبي  
 اسمع ويقولون في أنفسهم لا سمعت فقوله غير مسمع معناه غير سامع ويقولون في أثناء خطابهم له صلى الله  
 عليه وسلم راعنا وهي كلمة ذات وجهين محتمل للغير إذا حملت على معنى اصرف سمعك الى كلامنا وانصت  
 لحدثننا وتفهم وللشر إذا حملت على السبب بالرعونة أو على أنهم يريدون أنك يا محمد كنت ترعى أغناما  
 لنا فانهم يغتلون الحق فيجعلونه باطلا لأن راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لا صحابهم  
 اغنامناشتم ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فأطلع الله تعالى على خبيث ضمائرهم وعلى ما في قلوبهم من  
 العداوة والبغضاء أى يقولون ذلك لصرف الكلام عن فهمه وللقبح في دين الاسلام بالاستهزاء  
 والسخرية (ولو أنهم قالوا) باللسان أو بالمال عند سماع شيء من أوامر الله تعالى ونواهيه (معنا)  
 وأطعنا واسمع وانظرونا بدل ذلك (لكن) قولهم ذلك (خير لهم) عند الله (وأقوم) أى أصوب  
 (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أى أبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم بذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك  
 (الاقليلا) أى الايمان اقليل لا غير نافع وهو الايمان بالله والتوراة وموسى وكفر وابتسار الانبياء  
 أو الايمان اقليل وهو زمان الاحتضار فلا ينفعهم الايمان وبعضهم جعل قليلا مستثنى من الهاء في  
 لعنهم أى الا نفر اقليل فلا يلعنهم الله لأنهم لم يفعلوا ذلك بل كانوا مؤمنين كعبد الله بن سلام وأصحابه  
 (يا أيها الذين آمنوا بما نزلنا) أى بالقرآن (مصدق لما معكم) أى موافقا للتوراة  
 في القصص والمراعى والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش  
 (من قبل أن نطمس وجوها) أى نمحوتخطيط صورها من عيين وحاجب وأنف وفم (فتردها على  
 أدبارها) أى فنجعلها على هيئة ألقائها (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) فهم ملعونون بكل لسان  
 وضمير الغائب راجع الى الذين آمنوا الكتاب على طريقة الالتفات فلما لعنهم الله ذكرهم بعبادة  
 الغيبة (وكان أمر الله) بإيقاع شيء ما (مفعولا) أى نافذا وهذا اخبار عن حريان عادة الله في الانبياء  
 المتقدمين أنه تعالى مهما أخبرهم بانزال العذاب على الكفار فعل ذلك لا محالة (ان الله لا يغفر أن  
 يشرك) أى لا يغفر الكفر لمن اتصف به (بالتوبة وإيمان) (ويغفر ما دون ذلك) أى الشرك في  
 القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة من غير توبة عنها (لمن يشاء) روى عن ابن عباس أنه قال لما  
 قتل وحشي حمزة يوم أحد وكانوا قد وعدوه بالاعتاق ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا له بذلك فعند ذلك ندم هو  
 وأصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بذنبهم وأنه لا يمنعه من الدخول الى الاسلام الا قوله تعالى  
 والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في هذه الآية فنزل قوله تعالى الامن تاب وآمن  
 وعمل عملا صالحا فلو اهدوا هذا شرط شديد يخاف أن لا تقوم به فنزل قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به  
 ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقالوا يخاف أن لا نكون من أهل مشيئته تعالى فنزل قل يا عبادي الذين  
 اصرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فدخلوا عند ذلك في الاسلام (ومن يشرك بالله فقد افترى إثما  
 عظيما) أى فقد فعل ذنبا غير مغفور (ألم ترالى الذين يزكون أنفسهم) أى يدحون بها قال قتادة  
 والخمالي والسدي هم اليهود أخرجه ابن جرير وذلك لما هدد الله تعالى اليهود بقوله تعالى ان الله لا يغفر  
 أن يشرك به فعند هذا قالوا السنا من المشركين بل نحن من خواص الله تعالى وهذا استفهام تعجب وهو  
 أمر المخاطب على التعجب أى انظر اليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أزيكاه عند الله تعالى مع ما هم عليه من  
 الكفر والاثم العظيم وفي هذه الآية تحذير من انجاب المرء بنفسه وعمله (بل الله يزكى من يشاء) عطف

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهذه الآية مشتملة على أصول الشريعة الأربعة السكّاب  
والسنة والجماع والقياس فالكاتب يدل على أمر الله ثم نعلم منه أمر الرسول لا محالة والسنة تدل على  
أمر الرسول ثم نعلم منه أمر الله لا محالة فثبت أن قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على وجوب  
متابعة السكّاب والسنة والمراد بأولى الأمر جميع العلماء من أهل العقد والحل وأمر الله الحق وولاية  
العدل وأما أمر الله الجور فله من استحقاق وجوب الطاعة لهم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في حق  
عبد الله بن حذافة السهمي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على سرية وعن ابن عباس أنها نزلت  
في شأن خالد بن الوليد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على سرية وفيها عمار بن ياسر فخرى بينهما  
اختلاف في شيء فنزلت هذه الآية وأمر بطاعة أولى الأمر حينئذ فالمراد بهم أمر الله السرايا قال بعضهم  
طاعة الله ورسوله واجبة قطعاً وطاعة أهل الجماعة واجبة قطعاً وأما طاعة الأمراء والسلاطين فالأكثر  
أنها تكون محرمة لأنهم لا يأمرون إلا بالظلم وقد تكون واجبة بحسب الظن الضعيف حينئذ يحمل أولوا  
الأمر على الجماعة وأيضاً أعمال الأمراء والسلاطين موقوفة على فتاوى العلماء والعلماء في الحقيقة  
أمر الله الأمراء فهو أولوا الأمر (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) أي فإن اختلفتم أيها  
المجتهدون في شئ حكمه غير مذكور في السكّاب والسنة والجماع فردوه إلى واقعة تشبهه في الصورة  
والصفة وهذا المعنى يؤيد بالخبر والاثار ما الخبر فهو أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبلة  
الصائم فقال صلى الله عليه وسلم أرايت لو غصمت والمعنى أخبرني هل تبطل المصغضة الصوم أم لا أي  
فكأن المصغضة مقدمة للكل فكذا القبلة مقدمة للمعصية فإذا كانت المصغضة تفسد الصيام فكذلك  
القبلة ولما سأله صلى الله عليه وسلم الخنعية عن الحج عن أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أرايت لو كان على  
أيك دين فقضيته هل يجزئ فقالت نعم قال صلى الله عليه وسلم فدين الله أحق بالقضاء وأما الأثر في رد  
عن عمر رضي الله عنه أنه قال أعرف الأشباه والنظائر وقس الأمور برأيك فدل مجموع ما ذكر على أن  
قوله تعالى فردوه إلى شئ إلى شبيهه وهذا هو الذي يسميه الشافعي رحمه الله تعالى قياس الأشباه ويسميه  
أكثر الفقهاء قياس الطرد (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وهذا محمول على التهديد فإن الإيمان  
بهما يوجب ذلك (ذلك) أي الذي أمرتكم به في هذه الآيات (خير) لكم (وأحسن تأويلاً) أي  
عاقبة لكم (ألم تر إلى الذين يزعمون) أي يدعون (أنهم آمنوا بما أنزل إليك) وهو القرآن (وما أنزل من  
قبلك) وهو التوراة (بريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) أي كثير الطغيان (وقد أمروا أن يكفروا به)  
أي والحال أنهم قد أمروا في القرآن أن يتبرؤا من الطاغوت (ويريد الشيطان) بالتحاكم إليه (أن يضلهم  
ضلالاً بعيداً) عن الحق والهدى قال كثير من المفسرين خاصم رجل من المنافقين يقال له بشر رجلاً  
من اليهود فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف وسبب ذلك  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة واليهودي كان محقاً وإن كعباً شديداً  
الرغبة في الرشوة والمنافق كان مبطلاً وأصر اليهودي على قوله بذلك فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وسلم لحكم اليهودي على المنافق فلما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أرضى أنطلق بنا إلى أبي بكر  
فأتياه لحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال بيني وبينك عمر فذهب إليه فأخبره اليهودي بأن الرسول صلى  
الله عليه وسلم وأبا بكر حكما على المنافق فلم يرض بحكمهما فقال للمنافق أهكذا فقال نعم قال أصبر إن لي حاجة  
أدخل بيتي فأقضيهما وأخرج اليكافد خلاً وأخذ سيفه ثم خرج اليهما فضرب به عنق المنافق حتى برد أي

مات وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي فجاء أهل المنافق فشكروا  
 عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأل صلى الله عليه وسلم عمر عن قصته فقال أنه رد حكمك يا رسول الله فجاء  
 جبريل عليه السلام في الحال ونزلت هذه الآية وقال جبريل إن عمر هو الفاروق فرق بين الحق والباطل  
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر أنت الفاروق وعلى هذا القول الطاغوت هو كعب بن الأشرف معي  
 بذلك لشبهه بالشیطان في فرط طغيانه (واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله) أي أقبلوا إلى القرآن  
 الذي فيه الحكم (والى الرسول) الذي تجب طاعته ليحكم بينكم (رأيت المنافقين يصدون عنك  
 صدوداً) أي أبصرت المنافقين يعرضون عنك إلى غيرك أعراضاً بالكلية (فكيف إذا أصابتهم مصيبة)  
 أي كيف يكون حالهم وقت أصابة المصيبة أي بهم بقتل عمر صاحبهم بظهور نفاقهم (بعاقدمت أيديهم)  
 أي بسبب ما عملوا من التحاكم إلى الطاغوت والأعراض عن حكمك (ثم جاؤك يحلفون بالله أن أردنا إلا  
 أحساناً وتوفيقاً) أي ثم جاءك أهل المنافق مطالبين عمر بدمه وقد أهدره الله تعالى ويحلفون بالله كذباً  
 للاعتذار فقالوا ما أراد صاحبنا المقتول بالتحاكم إلى عمر إلا أن يصلح ويجعل الاتفاق بينه وبين خصمه ويأمر  
 كل واحد من الخصمين بتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهم ما المواقعة وأنت يا رسول الله  
 لا تحكم إلا بالحق المروى لا يقدر أحد على رفع الصوت عندك (أولئك) أي المنافقون (الذين يعلم الله ما في  
 قلوبهم) من النفاق والغيظ والعداوة (فأعرض عنهم) أي لا تقبل منهم ذلك العذر ولا تظهر لهم أنك  
 عالم بكنهه ما في بواطنهم فإن من هتك ستر عدوه فربما يصيرته ذلك على أن لا يبالي باظهار العداوة فيزداد الشر  
 وإذا تركه على حاله بقي في وجس فيقل الشر (وعظمهم) أي ازجرهم عن النفاق والكيد والحسد  
 والكذب وخوفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم في أنفسهم) أي خالباهم ليس معهم غيرهم لأن النصيحة  
 على الملا تفرع وفي السر محض المنفعة (قولاً بليغاً) أي مؤثراً وهو التخويف بعقاب الدنيا بأن يقول لهم  
 إن ما في قلوبكم من النفاق والكيد معلوم عند الله ولا فرق بينكم وبين سائر الكفار وانما رفع الله السيف  
 عنكم لأنكم أظهرتم الإيمان فأنواظبتهم على هذه الأفعال القبيحة تظهر لكل الناس بقاؤكم على الكفر  
 وحشيتد يلزمكم السيف (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) أي وما أرسلنا من رسول إلا ليؤمر  
 الناس بطاعته بتوفيقنا وأعاننا فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله تعالى وهذه الآية دالة على أنه  
 لا رسول إلا معه شريعة ليكون مطاعاً في تلك الشريعة ومتبوعاً فيها ودالة على أن الأنبياء معصومون عن  
 المعاصي والذنوب ودالة على أنه لا يوجد شيء من الخير والشر والكفر والإيمان والطاعة والعصيان  
 إلا بإرادة الله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بترك طاعتك (جارك) وبالغوا في التضرع إليك  
 لينصوبك شفيعاً لهم (فاستغفروا الله) أي أظهر الندم على ما فعلوه وتابوا عنه (واستغفر لهم  
 الرسول) بأن يسأل الله أن يغفر الذنوب لهم عند توبتهم (لوجدوا الله تواباً) أي يقبل توبتهم (رحيماً)  
 أي رحم تضرعهم ولا يرد استغفارهم والفائدة في العدول في ذنبه تعالى واستغفر لهم الرسول عن لفظ  
 الخطاب إلى لفظ المغايبة إجلال شأن رسول الله فإن شأنه أن يستغفر من عظم ذنبه وأنهم إذا جاؤه فقد  
 جاؤا من خصه الله تعالى برسالته وأكرمه بوجبه وجعله سفيراً بينه وبين خلقه وذلك مثل قول الأمير حكم  
 الأمير بكذا بدل قوله حكمت بكذا (فلأوربك) لأمر يدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لتأيد  
 لتأكيد وجوب العلم أو مفيدة لنفي أمر سبق والتقدير ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا وهم يخالفون  
 حكمك فوربك (لا يؤمنون حتى يحكموك) أي حتى يجعلوك حاكماً (فيما شجر بينهم) أي فيه

اختلف بينهم من الامور فتقضى بينهم (ثم لا يجذوا في أنفسهم) أي صدورهم (حرجا) أي ضيقا  
 (مما قضيت ورسلا وتسليما) أي وينقادوا لك انقادا تاما بطواهرهم قال عطاء ومجاهد والشعبي ان  
 هذه الآية نازلة في قصة اليهود والمنافق فهذه الآية متصلة بما قبلها وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن  
 المسيب قال نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ما فقضى النبي صلى الله عليه وسلم  
 للزبير (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) أي ولو  
 أوجبنا عليهم قتل أنفسهم أو الخروج عن أوطانهم في توبتهم كتبنا بني اسرائيل ما فعلوا أحد الامرين  
 بطيبة النفس الا قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين والمعنى أنا لو شددنا التكليف على الناس لما فعلوه  
 الا الاقلون وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم بل اكتفينا منهم في توبتهم بالتسليم لحكمك فليقبلوه  
 بالاخلاص حتى ينالوا خير الدارين روى ان ثابت بن قيس بن شماس الانصاري ناظر يهود يافق قال  
 اليهودي ان موسى أمرنا بقتل أنفسنا قبلنا ذلك وان محمدا يأمركم بالقتال فتهكروه فقلت يا أنت لو ان  
 محمدا أمرني بقتل نفسي لفعلت ذلك وروى ان ابن مسعود وعمار بن ياسر قالا مثل ذلك فنزلت هذه الآية  
 وعن عمر بن الخطاب انه قال والله لو أمرنا بقتل أنفسنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يأمرنا بذلك قال صلى  
 الله عليه وسلم وأشار الى عبد الله بن رواحة لو أن الله كتب ذلك لكان هذا في أولئك القليل أخرجه ابن أبي  
 حاتم (ولو أنهم) أي المنافقين (فعلوا ما وعظون به) أي ما يكفون به (اكان) أي فعلهم ذلك  
 (خير لهم) أي لحصل لهم خير الدنيا والآخرة (وأشد تثبيتا) لهم على الايمان ومميت أو امر الله  
 مواعظ لا اقترانها بالوعد والترغيب (واذا) لوقعوا ما أمروا به (لا تبتناهم من لدنا) أي لا عطيناهم  
 من عندنا (أجر عظيم) أي ثوابا وافرا في الجنة وكيف لا يكون عظيم ما وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها  
 مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ولهديناهم صراطا مستقيما) أي طريقا من  
 عرصة القيامة الى الجنة وحمل لفظ الصراط في هذا الموضع على هذا المعنى أولى لانه تعالى ذكره بعد ذكر  
 الاجر والدير الحق مقدم على الاجر والطريق من عرصة القيامة الى الجنة اغما يحتاج اليه بعد استحقاق  
 الاجر (ومن يطع الله) بأن يعرف انه اله ويقر بجلاله وعزته واستغنائاه عن سواه (والرسول) أي  
 بان ينقاد له انقيادا تاما لجميع الاوامر والنواهي (فاولئك) أي المطيعون (مع الذين أنعم الله عليهم)  
 أي فانهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد  
 بعضهم بعضا واذا أرادوا الزيادة والتلاقى قدروا على الوصول اليهم بسهولة (من النبيين) محمد صلى  
 الله عليه وسلم وغيره (والصديقين) أي السابقين الى تصديق الرسل فصاروا في ذلك قدوة لسائر الناس  
 وهم افضل اصحاب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والشهداء) أي الذين يشهدون بجهنم دين الله  
 تعالى تارة بالحجة والبيان وأخرى بالسيف والسنان فالشهداء هم القائمون بالقسط وأما كون الانسان  
 مقتول الكافر فليس فيه زيادة شرف لان هذا القتل قد يحصل في الفساق ومن لا منزلة له عند الله  
 والمؤمنون قد يقولون اللهم ارزقنا الشهادة فلو كانت الشهادة عبارة عن قتل الكافرين لكانوا قد طلبوا  
 من الله ذلك القتل فانه غير جائز لان طلب عدو ذلك القتل من الكافر كفر فكيف يجوز ان يطلب من  
 الله ما هو كفر (والصالحين) في الاعتقاد والعمل فان الجهل فساد في الاعتقاد والمعصية فساد في  
 العمل وهم الصارفون أعمالهم في طاعة الله وأموالهم في مرضاته وكل من كان اعتقاده صوابا وعمله غير  
 معصية فهو صالح ثم ان الصالح قد يكون بحيث يشهد لدين الله بأنه هو الحق وان ما سواه هو الباطل وهذه

الشهادة تارة تكون بالحجة والدليل وأخرى بالسيف وقديكون الصالح غير موصوف بكونه قائما بهذه  
الشهادة فثبت ان كل من كان شهيدا كان صالحا ولا عكس فالشهيد أشرف أنواع الصالح ثم الشهيد قد  
يكون صديقا وقد لا ومعنى الصديق هو الذي كان أسبق إيمانا من غيره وكان إيمانه قدوة لغيره فثبت ان  
كل من كان صديقا كان شهيدا ولا عكس فثبت ان أفضل الخلق الانبياء وبعدهم الصديقون وبعدهم  
من ليس له درجة الا محض درجة الشهادة وبعدهم من ليس له الا محض درجة الصلاح (وحسن أولئك  
رفيقا) أي ما أحسن أولئك المذكورين صاحبيا في الجنة وحسن لها حكم نعم والمخصوص بالمدح محذوف  
تقديره وحسن أولئك من جهة الرفيق الممدوحون (ذلك) أي مرافقة هؤلاء المنعم عليهم هو (الفضل  
من الله) وما سواه ليس بشئ (وكفى بالله عليما) بجزائه من أطاعه وبعقادر الفضل واستحقاق أهله  
روى جمع من المفسرين أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله قليل  
الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونخل جمعه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذالم أراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة  
حتى ألقاك فذكرت الآخرة فقلت ان لا أراك هناك لاني ان دخلت الجنة فانت تسكون في درجات  
النيبين وأنا في درجات العبيد فلا أراك وان أنا لم أدخل الجنة فينتزلا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقال  
الشعبي جاهر رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما بك يا فلان فقال  
يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت أحب الى من نفسي وأهلي ومالي وولدي ولاني لاذكرك وأنا في  
أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك وذكر موتك وانك ترفع مع النبيين وانني ان أدخلت الجنة كنت  
في منزلة أدنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا خذوا  
حذرکم) أي خذوا سلاحكم واحذروا من العدو ولا تمتكموه من أنفسكم (فانقروا ثبات) أي انهضوا  
الى قتال عدوكم وأخرجوا للحرب جماعات متفرقة مريبة بعدسرية (أو انقروا جميعا) أي مجتمعين  
كوكبة واحدة (وان منكم من ليبطئن) أي وان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتشاغلن  
وليتخلفن عن القتال وهم ضعفة المؤمنین والمنافقون (فان أصابتكم) يا معشر المجاهدين (مصيبة)  
كقتل وهزيمة وجهد من العيش (قال) أي من يبطل في فرح شديد بالتخلفه وجاءه الداراه (قد أنعم  
الله علي) بالعود (اذلم أكن معهم شهيدا) أي حاضر في المعركة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم  
فضل) كفتح وغنمة (من الله ليقولن) أي من يبطل في دامة على عوده (كان لم تكن بينكم وبينه  
مودة) وهذه الجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله والمراد التجب كأنه تعالى يقول انظر والى ما يقول هذا  
المنافق كأنه ليس بينكم أيها المؤمنون وبين المنافق صلة في الدين ومعرفه في الهمة ولا محالطة أصلا  
(يا ليتني كنت) غازيا (معه فافوز فوزا عظيما) أي فاصيب غنائم كثيرة وأخذ حظا وافرا وقيل  
الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن أي ليقولن مشبها بغيره لا معرفة بينكم وبينه وقيل هي داخله في  
القول أي ليقولن المثبط للشبهتين من المنافقين وضعفة المؤمنین كان لم تكن بينكم وبين محمد معرفة في  
الهمة حيث لم يستهجمكم في الغزو حتى تغزوا بغيره فافوز فوزا عظيما (الذين يشرون  
الحياة الدنيا بالآخرة) وهم المنافقون الذين يخلفوا عن أحد فأمرنا ان يغير وأماهم من النفاق ويخلصوا  
الأيما بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله فلم تدخل الباء الاعلى المتروكة لان المنافقين اراكون



للاخرة آخذون الدنيا أي فليقاتل الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة وعلى هذا فلا بد من حذف  
تقديره آمنوا ثم قاتلوا أو المراد بالذين يشرون هم المؤمنون الذين تخلفوا عن الجهاد وعلى هذا فيشرون  
بمعنى يبيعون أي فليقاتل في طاعة الله الذين يبيعون الدنيا بالآخرة أي يختارون الآخرة على الدنيا  
(ومن يقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله (فيقتل) أي يمت شهيدا (أو يغلب) أي ينظر على  
العدو (فسوف تؤتيه) أي تعطيه في كلا الوجهين (أجر عظيم) وهو المنفعة الخالصة الدائمة  
المقرونة بالتعظيم وإذا كان الأجر حاصل على كلا التقديرين لم يكن عمل أشرف من الجهاد (وما لكم  
لا تقاتلون) أي أي شيء لكم يا معشر المؤمنين غير مقاتلين مع أهل مكة أي لا عذر لكم في ترك المقاتلة  
(في سبيل الله) أي لأجل طاعة الله (والمستضعفين) أي ولأجل المستضعفين (من الرجال والنساء  
والولدان) أي الصبيان وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء أي وهم قوم من المسلمين الذين بقوا بمكة وعجزوا  
عن الهجرة إلى المدينة وكانوا يلقون من كفار مكة أذى شديدا قال ابن عباس كنت أنا وأخي من المستضعفين  
من النساء والولدان (الذين يقولون) في مكة (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) وهي مكة وكون  
أهلها موصوفين بالظلم لأنهم كانوا مشركين وكانوا يؤذون المسلمين ويوصلون إليهم أنواع المكاره  
(واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) أي ول علينا واليا من المؤمنين يقوم بمصالحنا  
ويحفظ علينا ديننا وانصرنا على أعدائنا برجل ينعنا من الظالمين فأجاب الله دعاءهم واشتد غضبهم من  
أيدي الكفار لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جعل عتاب بن أسيد أمير لهم وكان الولي هو  
رسول الله صلى الله عليه وسلم والنصير عتاب بن أسيد وكان ابن عثمانية عشرة سنة فكان ينصر  
المظلومين على الظالمين وينصف الضعيف من القوى والذليل من العزيز (الذين آمنوا يقاتلون  
في سبيل الله) أي لغرض نصر دين الله وأعلى كلمته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي  
في سبيل غير رضا الله (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي جند الشيطان (إن كيد الشيطان) أي إن صنع  
الشيطان في فساد الحال على جهة الخيلة (كان ضعيفا) لأن الله ينصر أوليائه والشيطان ينصر  
أوليائه ولا شك أن نصر الشيطان لأوليائه أضعف من نصر الله لأوليائه ألا ترى أن أهل الخير والدين  
يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وإن كانوا حال حياتهم في غاية الفقر وأما الملوك والجبابرة فإذا  
ماتوا انقرض أثرهم ولا يبقى في الدنيا رعمهم (ألم ترائي الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة  
وآتوا الزكاة) نزلت هذه الآية في جماعة من الصحابة عبد الرحمن بن عوف الزهري وسعد بن أبي  
وقاص الزهري وقدامة بن مظعون الجحفي ومقداد بن الأسود الكندي وطلحة بن عبد الله التيمي كانوا  
مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة ويلقون من المشركين أذى شديدا  
فيسكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أئذن لنا في قتالهم ويقول لهم رسول الله كفوا  
أيديكم عن القتل والضرب فأنى لم أوامر بقتالهم واشتغلوا بأقامة دينكم من الصلاة والخمس وزكاة  
أموالكم فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمروا بقاتلهم في وقعة بدر كرهه  
بعضهم لا شك في الدين بل نفور عن الأخطار بالارواح وخوف من الموت بموجب الجيلة البشرية وذلك  
قوله تعالى (فلما كتب) أي فرض (عليهم القتال) أي الجهاد في سبيل الله (إذا فریق منهم)  
كطلحة بن عبد الله التيمي (يخشون الناس) أي أهل مكة (تخشيه الله) أي تكو فهم من الله (أو أشد  
خشية) أي بل أكثر خوفا لما كان من طبع البشر من الجبن لا الاعتقاد ثم تابوا وأهل الإيمان يتفاضلون

فيه (وقالوا) خوفاً من الموت لالكرهاتهم أمر الله بالقتال وهذا عطف على جواب لما هو اذا قاما  
لجائية مكانية (ربنا لما كتبت علينا القتال) في هذا الوقت (ولا أخرتنا الى أجل قريب) أى  
هلا عافيتنا من بلاء القتال الى موتنا يا جالنا وهذا القول استزادة في مدة الكف ويجوز ان يكون هذا  
عما نطق به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحاً (قل) جواباً لهذا السؤال عن حكمة فرض القتال  
عليهم من غير توبخ لانه لا للاعتراض لحكمه تعالى رزغياً فيما ينالونه بالقتال من النعم الباقى  
(متاع الدنيا) أى منفعة الدنيا (قليل) لانه سريع التقضى وشيئ الانصرام وان أخرتم الى ذلك  
الاجل (والآخرة) أى ثواب الآخرة لاسيما المنوط بالقتال (خير لمن اتقى) الكفر والفواحش  
لان نعم الآخرة كثيرة ومؤبدة وصافية عن كدورات القلوب وبقينية بخلاف نعم الدنيا فانها مشكوك  
عاقبتها في اليوم الثانى ومشوبة بالمكاره (ولا تظلمون فتيلاً) وقرأ ابن كثير وحزمة والكسافى بالغيبة  
والباقون بالخطاب أى لاتنقصون من أجور أعمالكم قدر خيط فى شق النواة أو المعنى لا ينقصون من  
ثواب حسناتهم أدنى شئ (أينما تكونوا) فى الحضر والسفر فى البر أو البحر (يدرككم الموت) الذى  
تكرهون القتال لاجله زعماً منكم انه من محاله (ولو كنتم فى بروج مشيدة) أى حصون مرتفعة قوية  
بالجص (وان تصيبهم) أى اليهود والمنافقين (حسنة) أى خصب ورخص السعر وتتابع الامطار  
(يقولوا هذه من عند الله) قال المفسرون كانت المدينة مملوءة من النعم وقت مقدم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فلما ظهر عند اليهود والمنافقين على دعائه اياهم الى الايمان أمسك الله عنهم بعض الامساك  
كما جرت عادته تعالى فى جميع الامم فعند هذا قالوا ما رأينا أعظم شؤماً من هذا الرجل نقصت ثمارنا  
ومزارعنا وغلّت أسعارنا منذ قدم (وان تصيبهم سيئة) أى جدوبة وشدة وغلاء سعر (يقولوا هذه من  
عندك) أى هذه من شؤم محمد وأصحابه أى وان تصيبهم نعمة نسبوها الى الله تعالى وان تصيبهم بليية  
أضافوها اليك كما حكى الله عن قوم موسى بقوله تعالى وان تصيبهم سيئة يطير واعمسى ومن معه وعن قوم  
صالح بقوله تعالى قالوا اطيروا بابل وبعن معك (قل) لهم رد الزعمهم الباطل وارشادهم الى الحق (كل  
من عند الله) أى كل واحدة من النعمة والبليية من جهة الله تعالى خلقا وابدأ من غير ان يكون لى  
مدخل فى وقوع شئ منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلاً ووقوع  
الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة (فال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) أى وحيث  
كان الامر كذلك فأى شئ حصل لهؤلاء المنافقين واليهود حال كونهم يعزل من ان يفقهوا حديثاً  
من الاحاديث أصلاً فقالوا ما فالوه اذ لو فهموا شيئاً من ذلك لفهموا ان الكل من عند الله تعالى فالنعمه منه  
تعالى بطريق التفضل والبليية منه تعالى بطريق العقوبة على ذنوب العباد عدلاً منه تعالى (ما أصابك  
من حسنة فمن الله) أى ما أصابك أيها الانسان من نعمة من النعم فهى من الله تعالى بالذات تفضلاً واحساناً  
من غير استيجاب لها من قبلك (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى أى شئ أصابك من بليية من البلايا  
فهى منها بسبب اقترافها المعاصى الموجبة لها وعن عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا  
نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر (وأرسلناك  
للناس رسولا) أى ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت (وكفى بالله شهيداً) على  
جدك وعدم تقصيرك فى اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما حصول الهداية فليس اليك بل الى الله (من يطع  
الرسول فقد أطاع الله) وهذه الآية تدل على انه لا طاعة الا لله البتة لان طاعة الرسول لا تكون الا طاعة

لله وقال الشافعي رضي الله عنه وهذه الآية تدل على ان كل تكليف كلف الله به عباده في باب الوضوء  
 والصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الابواب في القرآن ولم يكن ذلك التكليف مبينا في القرآن حيث  
 لا يسيل لنا الى القيام بتلك التكاليف الا ببيان الرسول واذا كان الامر كذلك لزم القول بان طاعة  
 الرسول عين طاعة الله قال مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من أحبني فقد أحب  
 الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارب هذا الرجل الشرك وهو ينسى ان نعبد غير الله  
 ويريد ان نتخذة ربا كما اتخذت النصراني عيسى فأنزل الله هذه الآية (ومن تولى فإنا أرسلناك عليهم  
 حفيظا) وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له أي ومن أعرض بقلبه عن حكمك يا محمد فأعرض  
 عنه أو المعنى ومن أعرض عن طاعة الله بظواهرهم فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك الاعراض وان تحزن فإنا  
 أرسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي أو المعنى فإنا أرسلناك لتشتغل بزجرهم عن ذلك التولى ثم نسخ  
 هذا الآية الجهاد فالله تعالى ذكر هذا الكلام تسلية له صلى الله عليه وسلم عن الحزن فانه صلى الله عليه  
 وسلم كان يشتد حزنه بسبب كفرهم وأعرانهم (ويقونون طاعة) أي يقول المنافقون عبد الله بن أبي  
 وأصحابه إذا أمرتهم بشئ شأنا طاعة أو منا طاعة أو أمرك يا محمد طاعة مرعيا شئت نفعله (فأذا برزوا  
 من عندك) أي خرجوا من مجلسك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) أي تفكر ليلافريق من المنافقين  
 وهم رؤسائهم غير الذي تأمر وتكلموا فيما بينهم بعضيا نك وتوافقوا عليه (والله يكتب ما يبيتون)  
 أي ينزل اليك ما يتدبرونه ليلاف في جملة ما يوتى اليك فيطلعك على أمرارهم أو يثبت ذلك في محادث  
 أعمارهم ليجازوا به (فأعرض عنهم) أي لا تمسك سترهم ولا تفضحهم الى أن يستقيم أمر الاسلام  
 (وتوكل على الله) في شأنهم فان الله يكفيك شرهم ويتقهم منهم (وكفى بالله وكيلا) أي مفوضا اليه  
 لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) أي أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه  
 من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الناطق بنفاقهم (ولو كان)  
 أي القرآن (من عند غير الله) كما يزعمون (لوجدوا فيه) أي القرآن (اختلافا كثيرا) بأن يكون  
 بعض أخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلية لغيره تعالى وحيث  
 كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به)  
 أي واذا جاء المنافقين خبر بأمر من الامور سواء كان من باب الامن أو من باب الخوف أفسوه وكان  
 ذلك سبب الضرر لان هذه الارجافات لا تنفع عن الكذب الكثيرة ولان العداوة الشديدة صارت  
 قائمة بين المسلمين والكفار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث سرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر  
 المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به  
 قلوب المؤمنين فأنزل الله هذه الآية (ولوردوا الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلهم لا يفتنوا به)  
 منهم) أي ولوردوا الخبر الذي تحدثوا به الى الرسول والى ذوى العقل والراى من المؤمنين وهم كبار  
 الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلى بان لم يحدثوا به حتى يكون هؤلاء هم الذين يظهرونه لعل ذلك الخبر  
 من يستخرجونه من جهة هؤلاء أي ولوان هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الامن والخوف الى الرسول  
 والى اولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعل هؤلاء المنافقون المذيعون من جانب الرسول  
 ومن جانب اولى الامر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن  
 (لاتبعتم الشيطان) وكفرتم بالله (الا قليلا) منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد صلى الله

عليه وسلم وعدم ائزال القرآن ما كان يتبع الشيطان وما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة  
ابن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل واضرابهم (فقاتل في سبيل الله) أى فى طاعة الله قيل وهذا متصل  
بقوله تعالى وما السك لا تقاتلون فى سبيل الله وقيل هذا معطوف على قوله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان  
(لا تتكلف الانفس) أى لا تفعل نفسك فلا يضرك مخالفتهم فتقدم أنت الى الجهاد وان لم يساعده  
أحد فان الله ناصر لك واعلم أن الجهاد فى حق غير الرسول من فروض الكفايات فإلم يغلب على الظن أنه  
يفيد لم يجب بخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه على ثقة من النصر والظفر (وحرض المؤمنين) أى  
على الخروج معك بذلا للنصيحة فانهم آثروا بالخلف لا القتال كان مغر وضاع عليهم اذ ذاك فان فرضه  
فى السنة الثانية وهذه القضية فى الرابعة كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدأ بأسيان بعد  
حرب أحد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة فلما بلغ الميعة دعا الناس الى الخروج فذكره بعضهم فنزلت  
هذه الآية (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أى ان يمنع صولة كفار مكة وعسى وعدم من الله  
تعالى واجب الانجاز (والله أشد بأسا) أى قوة من قريش (وأشد تنكيلا) أى تعذيبا (من يشفع  
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أى من ثوابها ويندرج فيها الدعاء للسلم فإنه شفاعة الى الله تعالى (ومن  
يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أى نصيب من وزرها مساو لها فى المقدار والغرض من هذه الآية  
بيان انه صلى الله عليه وسلم لما حرضهم على الجهاد فقد استحق بذلك التحريض أجرا عظيما ولو لم يقبلوا  
أمره صلى الله عليه وسلم لم يرجع اليه من عصيانهم شئ من الوزر وذلك لانه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد  
فى ترغيبهم فى الطاعة ولم يرغبهم فى المعصية البتة فحقاير جمع اليه من طاعتهم -م أجر ولا يرجع اليه من  
معصيتهم وزر (وكان الله على كل شئ مقيتا) أى قادر على اىصال الجزاء الى الشافع مثل ما رصده الى  
المشغوع فيه وحافظا للاشياء شاهد اعليها فهو عالم بأن الشافع يشفع فى حق أو فى باطل فيجازى كلا بما  
علم منه (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أى اذا سلم عليكم فردوا على المسلم ردأ أحسن  
من ابتدأه أو أجيبوا التحية بعقلها ومنتهى الامر فى السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
بدليل ان هذا القدر هو الوارد فى التشهد فالأحسن هو ان المسلم اذا قال السلام عليكم زيد فى جوابه الرحمة  
وان ذكر السلام والرحمة فى الابتداء زيد فى جوابه البركة وان ذكر الثلاثة فى الابتداء أعيدت فى  
الجواب ورد الجواب واجب على الفور وهو فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقيين  
والأولى للكل ان يذكر الجواب اظهار اللاد كرام ومبالغة فيه وترك الجواب اهانة والاهانة ضرر  
والضرر حرام واذا استقبلك واحد فقل سلام عليكم واقصد الى رجل والملكين فانك اذا سلمت عليهما ردا  
السلام عليك ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم  
أهل الكتاب فقولوا وعليكم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لا تبدأ اليهود بالسلام واذا بدأك فقل  
وعليك وعن أبى حنيفة انه قال لا يبدأ اليهود بالسلام فى كتاب ولا فى غيره وعن أبى يوسف قال لا تسلم  
عليهم ولا تصالحهم واذا دخلت عليهم فقل السلام على من اتبهم الهدى ورخص بعض العلماء فى ابتداء  
السلام عليهم اذا دعت الى ذلك حاجة وأما اذا سلموا علينا فقال أكثر العلماء ينبغى ان يقال وعليكم ثم ههنا  
تفريع وهو أنا اذا قلنا لهم وعليكم السلام فهل يجوز ذكر الرحمة فقال الحسن يجوز ان يقال للكافر وعليكم  
السلام لكن لا يقال ورحمة الله لأنها استغفار وعن الشعبي انه قال لا صرائى وعليكم السلام ورحمة الله  
فقيل له فى ذلك فقال أليس فى رحمة الله يعيش وقيل التحية بالأحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند

كونه كافرا والمقصود من هذه الآية الوعيد فان الواحد من جنس الكفار قد يسلم على الرجل المسلم ثم ان  
 ذلك المسلم يتقصص عن حاله بل ربما قتله طمعاً منه في سلبه فآله تعالى زجر عن ذلك فإياكم أن تتعرضوا له  
 بالقتل (ان الله كان على كل شيء حسيباً) أي محاسباً على كل أعمالكم وكافياً في إيصال جزاء  
 أعمالكم اليكم فكونوا على حذر من مخالفة هذا التكليف وهذا يدل على شدة الاعتناء بحفظ الدماء  
 (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر قال بعضهم كأنه تعالى يقول من سلم عليكم فاقبلوا سلامه وأكرموا بنياء  
 على الظاهر فان البواطن اغما يعرفها الله الذي لا اله الا هو اغما ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة  
 (ليجمعنكم الى يوم القيامة) أي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة (لا ريب فيه) أي في يوم  
 القيامة (ومن أصدق من الله حديثاً) وهذا استفهام على سبيل الانكار والمقصود منه بيان انه يجب كونه  
 تعالى صادقاً وان الكذب والخلاف في قوله تعالى محال (فإنكم في المنافقين فتنين) أي ما لكم يا معشر  
 المؤمنين صرتم في أمر المنافقين فرقتين وهو استفهام على سبيل الانكار أي لم تختلفون في كفرهم مع ان  
 دلائل كفرهم ونفاقهم ظاهرة جليلة فليس لكم ان تختلفوا في كفرهم بل يجب ان تقطعوا به نزلت هذه الآية  
 في عشرة نفر قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم مسلمين فأقاموا بالمدينة ما شاء الله ثم قالوا يا رسول الله نريد  
 ان نخرج الى الصحراء فأذن لنا فيه فأذن لهم فلما خرجوا لم ير الوارحون مرحلة من رحلة حتى لحقوا  
 بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم لو كانوا مسلمين مثلنا لبقوا معنا وصبروا كما صبرنا وقال قوم  
 هم مبسئون وليس لنا ان ننسبهم الى الكفر الى أن يظهر أمرهم فبين الله تعالى نفاقهم في هذه الآية (والله  
 أركسهم) أي ردهم الى أحكام الكفار من الذل والسبي والقتل (بما كسبوا) من اظهار الكفر  
 بعدما كانوا على النفاق وذلك أن المنافق مادام يكون متمسكاً في الظاهر بالشهادتين لم يكن لنا سبيل  
 الى قتله فاذا أظهر الكفر حينئذ يجري الله تعالى عليه أحكام الكفار (أتريدون أن تهدوا من أضل الله)  
 عن الايمان (ومن يضل الله) عن دينه (فلن تجد له سبيلاً) الى ادخاله في الايمان (ودوا لوتكفرون  
 كما كفروا) أي تمنوا كفركم بمحمد والقرآن كفر مثل كفرهم (فتكونون) أنتم وهم (سواء) في  
 الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) أي اذا كان عالمهم ودادة كفركم فلا تولوهم  
 حتى ينتقلوا من أعمال الكفار الى أعمال المسلمين لاجل أمر الله تعالى اعلم أن الهجرة تارة تحصل بالانتقال  
 من دار الكفر الى دار الايمان وأخرى تحصل بالانتقال عن أعمال الكفار الى أعمال المسلمين فالصلى  
 الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه وقال المحققون الهجرة في سبيل الله عبارة عن ترك المنهيات  
 الله وفعل ما أمر الله به وذلك يشمل مهاجرة دار الكفر ومهاجرة شعار الكفر وانما قيد الله تعالى الهجرة  
 بكونها في سبيل الله لخراج الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن شعار الكفر الى شعار الاسلام  
 لغرض من اغراض الدنيا فاعلموا واعتبروا وقوع تلك الهجرة لاجل أمر الله تعالى (فان تولوا) أي أعرضوا  
 عن الايمان والهجرة ولزموا مواضعهم خارجاً عن المدينة (نحذوهم) أي فأمرهم اذا قدرتم عليهم  
 (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أي في الحقل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين أمر وقتلهم  
 (ولا تتخذوا منهم) في هذه الحالة (ولياء) يتولى شيئاً من مهماتهم (ولا نصبروا) ينصركم على أعدائكم  
 (الا الذين يصلون) أي ينتهون (الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي الامن دخل في عهد من كان  
 داخل في عهدكم فهم أيضاً داخلون في عهدكم أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية  
 في حق هلال بن عويمر الأسلمي وسراق بن مالك المدلجي وبنو خزاعة بن عامر بن عبد مناف وفي هذه الآية

بشارة عظيمة لاهل الايمان لانه تعالى لما رفع السيف عن التجأ الى من التجأ الى المسلمين فبان يرفع العذاب  
في الآخرة عن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان أولى (أو) الا الذين (جاؤكم حصرت) أى ضاقت  
(صدورهم) عن المقاتلة فلا يريدون (أن يقاتلوكم) لانكم مسلمون وللعهد (أو) لا يريدون أن  
(يقاتلوا قومهم) لانهم أقاربهم فهم لا عليكم ولا لكم أى لما أمر الله بأخذ الكفار وقتلهم استثنى من  
المأمورين فريقين أحدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال  
الفريقين (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وإزالة الرعب عنها والمعنى أن  
ضيق صدورهم عن قتالكم أغاها بقذف الله الرعب في قلوبهم ولوقوى قلوبهم على قتال المسلمين  
لتسلطوا عليهم والمقصود من هذا الكلام أن الله تعالى من على المسلمين بكف بأس المعاهدين (فلقاتلوكم)  
وهذا في الحقيقة جواب لو وما قبله توطئة له وأعيدت اللام توكيدا (فإن اعتزلوكم) أى تركوكم  
(فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) أى الانقياد للصالح والامان (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أى  
طريقا بالأسرا وبالقتل (ستجدون) عن قريب (آخرين) أى قوما من المنافقين غير من سبق  
وهم قوم من أسد وغطفان كانوا مقيمين حول المدينة فاذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا وقالوا لا تصاب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أنا على دينكم ليأمنوا من قتال المسلمين واذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا  
عهودهم ليأمنوا من قومهم حتى كان الرجل منهم يقول له قومه بعبادنا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد  
وبهذا العقب والخنفساء كما قال تعالى (يريدون أن يأمنواكم) أى يأمنوا من قتالكم باظهار الاسلام  
عندكم (ويأمنوا قومهم) أى من بأسهم باظهار الكفر اذا رجعوا اليهم (كلما ردوا الى الفتنة) أى  
كلما دعوا الى قتال المسلمين (أو كسوا فيها) أى قلبوا في الفتنة أقبح قلب وكانوا فيها شر من كل عدو  
شرير أى كلما دعاهم قومهم الى الكفر وقتال المسلمين رجعوا اليه وهذا الاستعارة لشدة اصرارهم على  
الكفر وعداوة المسلمين لان من ودة في شئ منكوسا يتعذر خروجه منه (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم  
السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتهموهم) أى فإن لم يتركوا قتالكم ولم يطلبوا الصلح  
منكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم أى امرؤهم واقتلوهم حيث ثقتهموهم أى وجدتموهم  
في الحل والحرم (وأولئكم) أى أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أى جعلنا لكم  
على جواز قتل هؤلاء حجة واضحة وهي ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم  
بأهل الاسلام أو جعلنا لكم عليهم سلطانا ظاهرا حيث أذن لكم في أخذهم وقتلهم (وما كان لمؤمن أن  
يقتل مؤمنا الا خطأ) أى ليس لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة الا عند الخطأ وهو ما إذا رأى عليه شعار  
الكفر أو وجدته في عسكرهم فظنهم مشركا فنهنايجوز قتله ولا شك هذا خطأ فإنه ظن أنه كافر مع  
أنه غير كافر روى أن عياش ابن أبي ربيعة أسلم في مكة وهاجر الى المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه  
وسلم اليها وتحصن في أطعم من أطامها خوفا من قومه فاقسمت أمه لائتا كل ولا تشرب ولا تجلس تحت  
سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل بن هشام والحريث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه فقال أبو جهل أليس  
إن محمدا يأمر بك ببر الام فانصرف وأحسن الى أمك وأنت على دينك فرجع الى مكة فلم يدنو من مكة  
قيدا يديه ورجليه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة فلم يدخل على أمه حلفت لا يزول عنه القيد حتى  
يرجع الى دينه الاول فتركوه موثوقا مطروحا في الشمس ماشاء الله ففعل بلسابه فأتاه الحريث بن زيد  
فقال يا عياش إن كان دينك الاول هدى فقد تركته وإن كان ضلالا فقد دخلت الآن فيه فغضب عياش



من مقاتله وقال والله لا ألقاك خاليا أبدا الا قتلتك ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرب بعد ذلك وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقية عياش في ظهر قباء خاليا ولم يشعر باسلامه فقتله فلما أخبره الناس بأنه كان مسلما ندب على فعله وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتلته ولم أشعر باسلامه فنزلت هذه الآية (ومن قتل مومنا خطأ) بأن يصدري المشرک فأصاب مسلما أو يظن الشخص مشركا فقتله فبان مسلما أو يضرب المسلم بضربة لا تقتل غالباً فيموت منها فالاول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد والثالث خطأ في القتل وإن كان عمداً في الضرب ولذلك سمي شبه العمد (فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله) أي فعله اعتاق نسمة محكوم باسلامها وإن كانت صغيرة ودية مؤداة الى ورثة المقتول يقتسمونها كسائر الموارث (الا أن يصدقوا) أي الا أن يعفوا أهل المقتول عن الدية ويمتروا كوها وهي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبها على فضله وفي الحديث كل معروف صدقة (فإن كان) أي المقتول خطأ (من قوم عدولكم) أي من سكان دار الحرب (وهو مؤمن) ولم يعلم القاتل بكونه مؤمنا (فتحرير رقبة مؤمنة) أي فما اجب على القاتل بسبب قتله الواقع على سبيل الخطأ هو تحرير الرقبة وأما الدية فلا تجب اذا لورثة بين المقتول وبين أهله لانهم محاربون كالحرث بن زيد فانه من قوم محاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الكفارة فأنها حق الله تعالى ليقوم المعتوق به مقام المقتول في المواظبة على العبادات (وإن كان) أي المقتول خطأ (من قوم كفرة) (بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد مؤقت أو مؤبد (فدية) أي فعلى قاتله دية (مسلمة الى أهله) أي المقتول وهي ثلث دية المؤمن إن كان نصرانياً أو يهودياً تحل منا كحته وثلثا عشرها إن كان مجوسياً أو كتابياً لا تحل منا كحته (وتحرير رقبة مؤمنة) على القاتل (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أي فمن كان فقيراً فعليه ذلك الصيام بدلا عن الرقبة وقال مسروق بدلا عن مجموع الكفارة والدية والتتابع واجب حتى لو أفطر يوماً وجب الاستئناف الا أن يكون الفطر بحيض أو نفاس (توبة من الله) أي شرع ذلك تجاوزاً من الله على تقصيره في ترك الاحتياط لانه لو بالغ في الاحتياط لم يصد عنه ذلك الفعل (وكان الله عليماً) بأن القاتل لم يتعمد (حكيماً) في أنه تعالى ما يؤاخذ به ذلك الخطأ (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) روى ان مقيس بن ضبابة الكناني كان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد مقيس أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فأرسل رسول الله معه برب بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقص منه ان علموه وبأداء الدية ان لم يعلموه فقالوا اسمعوا وطاعة فأتوه بمائة من الابل فأنصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق تغفل مقيس الكناني رسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الفهري فرماه بمخزاة فشده ثم ركب بعيراً من الابل واستاق بقيته اراجعا الى مكة كافر فنزلت هذه الآية وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح عن أمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (خالد افياها) حال مقدرة من فاعل قتل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لجزاؤه أن يدخل جهنم خالد افياها (وغضب الله عليه) أي انتقم منه عطف على مقدر كأنه قيل بطريق الاستثناء فحكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه (ولعنه) أي أبعد عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر (وأعدله) في جهنم (عذاباً عظيماً) لا يقاد قدره وقال ابن عباس ومن يقتل مؤمناً رسول سيدنا رسول الله متعمداً بقتله أي بأن يصدقه قتله بالسبب الذي يعلم افضاءه الى الموت سواء كان ذلك جارحاً أو لم يكن لجزاؤه جهنم بقتله عامداً لما بكونه مؤمناً خالد افياها بشركه وارتداده وغضب الله عليه بأخذه الدية ولعنه بقتله غير قاتل أخيه وأعدله عذاباً عظيماً

عظيما أى شديد اجراءه على الله (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) أى سافرتهم في الغزو  
(فتبينوا) أى تحققوا حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر قرأ حمزة والكسائي هنا في الموضعين وفي  
الطهرات فتبينوا أى اطلبوا التثبت والمراد في الآية فتأنوا وارتكوا العجلة واحتاطوا (ولا تقولوا لمن ألقى  
اليكم السلام) أى لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الاسلام أولن ألقى اليكم الانقياد بقول لا اله  
الا الله محمد رسول الله (لست مؤمنا) فتقفلونه (تبتغون عرض الحياة الدنيا) أى حال كونكم  
طالبين لماله الذى هو سريع النفاذ (فعند الله مغايم كثيرة) أى ثواب كثير (كذلك كنتم من قبل)  
أى مثل ذلك الذى ألقى اليكم السلام كنتم أنتم أيضا في أول اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه  
لكم من تحية الاسلام ونحوها (فمن الله عليكم) بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بهادماكم  
وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم (فتبينوا) أى إذا كان الامر كذلك أى فقيسوا حاله بحالكم  
وأفعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على توأطى الظاهر والباطن  
(ان الله كان بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والخفية (خبيرا) فيجازيكم بحسبها ان خيرا الخير  
وان شرا فشر فلا تنهاون في القتل واحتاطوا فيه نزلت هذه الآية في شأن مرداس بن نعيم رجل من  
أهل فدك وكان قد أسلم هو ولم يسلم غيره من قومه فذهبت سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه  
مع أميرهم غالب بن فضالة فهربوا وبقي مرداس لثقتهم باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من  
الجبل فلما تلاحقوا وكبروا وكبروا وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن  
زيد واستاق غنمه فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا شديدا وقال قتلتموه ارادة مامعه  
فقال أسامة انه قال بلسانه دون قلبه فقال صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه ثم قرأ هذه الآية على  
أسامة فقال يا رسول الله استغفركم فقال فكيف وقد تلالا اله الا الله قال أسامة فازال صلى الله عليه وسلم  
يعيدها حتى وددت ان لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفركم ثلاث مرات وقال أعنتق رقبة (لا يستوى  
القاعدون) الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتبه ما به غيرهم الذين هم (من المؤمنين غير أولى  
الضرر) من مرض أو عاهة من عى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه العز عن الالهة قرأ ابن كثير  
وأبو عمر ووحمة وعاصم بالرفع بدل من القاعدون ونافع وابن عامر والكسائي والباقيون بالنصب على  
الحال من القاعدون والاعمش بالجر على الصفة للمؤمنين (والجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم)  
قال ابن عباس أى لا يستوى القاعدون عن بدر والخارجون اليها (فضل الله المجاهدين بأموالهم  
وأنفسهم على القاعدين) أولى الضرر (درجة) أى فضيلة في الآخرة لان المجاهد باشر الجهاد  
بنفسه وماله مع النية واولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فتنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا)  
من المجاهدين والقاعدين (وعدا الله الحسنى) أى الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) في سبيل  
الله (على القاعدين) الذين لا عذر لهم ولا ضرر (أجر اعظم ادرجات منه) أى من الله تعالى  
(ومغفرة) للذنوب (ورحمة) من العذاب (وكان الله غفورا) لمن خرج الى الجهاد (رحيما) لمن  
مات على التوبة وقيل هذا التفضل بين المجاهدين والقاعدين غير أولى الضرر فقط وذلك اما التنزيل  
الاختلاف بين التفضيلين منزلة الاختلاف الذاتي كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين  
درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين على ان المراد بالتفضل الاول  
ما أعطاهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيقي بكونه درجة

واحدة وبالتفصيل الثاني ما أنتم به في الآخرة من الدرجات العالية كأنه قيل وفضلهم عليهم في الدنيا  
 درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى أما أولو الضرر ففهم مساوون للمجاهدين ويدل على المساواة  
 النقل والعقل أما النقل فقوله تعالى ثم ردناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم  
 أجر غير ممنون وذكر بعض المفسرين في تفسير ذلك أن من صار هرما كتب الله له أجر ما كان يعلمه قبل  
 هرمه غير منقوص من ذلك شيئا وأما العقل فالمقصود من جميع الطاعات استنارة القلب بنور معرفة الله  
 تعالى فإن حصل الاستواء فيه للمجاهد والقاعد فقد حصل الاستواء في الثواب وإن كان القاعد أكثر  
 حظا من هذا الاستغراق كان هو أكثر ثوابا وقال بعضهم والمراد بقوله وفضل الله المجاهدين لدفع  
 التكرار هو من كان مجاهدا في كل الأمور بالظاهر والقلب وهو أشرف أنواع المجاهدة وحاصل هذا  
 الجهاد صرف القلب من الالتفات إلى غير الله إلى الاستغراق في طاعة الله وإما كان هذا المقام أعلى جعل  
 فضيلته درجات (أن الذين توفاهم الملائكة) أي ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يملون قبض  
 أرواح المؤمنين وثلاثة يملون قبض أرواح الكفار (ظالمى أنفسهم) بترك الهجرة واختيار مجاورة  
 الكفرة الموجبة للاخلال بأموال الدين فإن هذه الآية نزلت في ناس من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا حين  
 كانت الهجرة فريضة فقتلوا يوم بدر مع الكفار منهم علي بن أمية بن خلف والحارث بن زمة وقيس بن الوليد  
 ابن المغيرة وأبا العاص بن ممنة بن الجراح وأبا قيس بن الفاكه (قالوا) أي الملائكة لهم حين القبض (فيم  
 كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمر دينكم أي أكنتم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أم كنتم  
 مشركين أو فم كنتم في حرب محمد أو في حرب أعدائه (قالوا) معتذرين باعتذار غير صحيح (كنا  
 مستضعفين في الأرض) أي كنا مهزومين في أرض مكة في أيدي الكفار (قالوا) أي الملائكة لهم توبخا  
 مع ضرب وجوههم وأدبارهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أي أنكم كنتم قادرين على  
 الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم فبقيتم بين الكفار وقال ابن عباس  
 أي ألم تكن المدينة آمنة فتهاجروا إليها (فأولئك مأواهم) في الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم في  
 الدنيا دار الكفر لتركههم الفريضة فأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لا وثلك وهذه الجملة خبران  
 وقوله تعالى قالوا فم كنتم حال من الملائكة أو هو الخبر والعائنه محذوف أي قالوا لهم (وساعت مصيرا)  
 أي بشئ مصيرهم جهنم (الاستضعفين من الرجال والنساء والولدان) أي الصبيان أو المماليك  
 (لا يستطيعون حيلة) أي لا يقدر على حيلة الخروج ولا نفقة أو كان بهم مرض أو كانوا تحت قهر  
 قاهر يمنعهم من تلك الهجرة (ولا يهتدون سبيلا) أي لا يعرفون طريقا ولا يجتهدون من يدلهم على  
 الطريق كعباش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام وسيدنا عبد الله بن عباس وأمه أمهم بالبابة كما قال كنت  
 أنا وأمي من عفا الله عنه بهذه الآية (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) وذكر العفو بكلمة عسى لا بالكلمة  
 الدالة على القطع لأن الإنسان لشدة نفرتة عن مفارقة الوطن ربما ظن نفسه عاجزا عنهم أنه لا يكون كذلك  
 في الحقيقة فكانت الحاجة إلى العفو شديدة في هذا المقام (وكان الله عفوا) لما كان منهم (غفورا)  
 لمن تاب منهم (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة) في المعيشة أي ومن  
 يهاجر في طاعة الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سبيلا رغم أنف أعدائه  
 الذين كانوا معه في بلده الأصلية وذلك لأن من ذهب إلى بلدة أجنبية فإذا استقام أمره في تلك البلدة  
 ووصل ذلك الخبر إلى أهل بلده نجلوا من سوء معاملتهم معه ورحمت أنوفهم بسبب ذلك (ومن يخرج من

بيته مهاجرا الى الله ورسوله ( أى الى موضع أمر الله ورسوله ) ( ثم يدرك الموت ) قبل أن يصل الى  
 المقصد وان كان خارج بابيه ( فقد وقع أجره على الله ) أى فقد وجب أجر هجرته عند الله بإيجابه على نفسه  
 بحكم الوعد والتفضل والتكرم لاجلكم الاستحقاق الذى لولم يفعل لخرج عن الالهية ( وكان الله غفورا )  
 لما كان منه من القعود الى وقت الخروج ( رحيم ) باكمال أجر الهجرة فكذلك كل من قصد فعل  
 طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه  
 قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة الى آخر الآيات بعث بها الى مكة فتلقت على المسلمين الذين كانوا فيها  
 اذ ذل فسمعهم ارجل من بنى ليث شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال لبيته احملى فاني لست  
 من المستضعفين وانى لا هتدى الطريق والله لا آيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما  
 بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على  
 ما أبايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لوفى بالمدينة لكان أتم أجزاؤه  
 المشركون وقالوا ما أدرك ما طلب فأنزل الله تعالى قوله تعالى ومن يخرج من بيته الآية قالوا كل هجرة فى  
 غرض دينى من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهى هجرة الى الله تعالى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ( واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ) أى اذا سافرتكم أى مسافرة كانت  
 فليس عليكم مأثم فى أن تردوا الصلاة من أربع ركعات الى ركعتين اذا كان السفر طويلا لاغير معصية  
 وهو عند الشافعى ومالك أربعة بردهى مرحلتان وعند أبى حنيفة ثلاثة أيام بلياليهن وروى عن عمرانه  
 قال يقصر فى يوم تام وبه قال الزهرى والاوزاعى وقال أنس بن مالك المعتبر خمس فراسخ ( ان خفتم أن  
 يفتنكم الذين كفروا ) أى ان خفتم أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره وقال ابن عباس  
 أى ان علمتم أن يقتلواكم فى الصلاة وهذا الشرط بيان للواقع اذ ذاك وهو ان غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم الى الله  
 عليه وسلم وأصحابه لم تخل من خوف العدو لكثرة المشركين وأهل الحرب اذ ذاك فحينئذ لا يشترط الخوف  
 بل للسافر القصر مع الأمن لما فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم سافر بين مكة والمدينة لا يخاف الله  
 عز وجل فكان يصلى ركعتين قال يعلى بن أمية قلت لعمران قال الله تعالى ان خفتم وقد أمن الناس قال  
 عمر قد عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدق الله به عليكم فأقبلوا  
 صدقته رواه مسلم ( ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ) أى ان العداوة الحاصلة بينكم وبين الكافرين  
 قديمة والآن قد أظبرتكم خلافهم فى الدين وازدادت عداوتهم وبسبب شدة العداوة قصدوا اتلافكم ان  
 قدروا فان طالت صلواتكم فرموا بكم وجدوا الفرصة فى قتلكم فعلى هذا رخصت لكم فى قصر الصلاة ( واذا  
 كنت فيهم فأقتلهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ) أى اذا كنت يا أثرى الخلق مع المؤمنين فى خوفهم  
 فأردت أن تقيم بهم الصلاة فاجعلهم طائفتين فلتقم منهم طائفة معك فصل بهم ولتقف الطائفة الاخرى  
 بازاء العدو ليحرسوكم منهم ( وليأخذوا ) أى الطائفة الذين يصلون معك ( أسلحتهم ) من التى لا تشغلهم  
 عن الصلاة كالسيف والخنجر فان ذلك أقرب الى الاحتياط وأمنع للعدو من الاقدام عليهم ( فاذا وجدوا  
 أى القاصون معك رأيتوا صلواتهم بعدنية المفارقة ) فليكونوا من ورائكم ) أى فليمنصرفوا من ورائكم  
 الى مصاف أصحابهم بازاء العدو للحراسة ثم يبقى الامام قائما فى الركعة الثانية ( ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا  
 فليصلوا معك ) فى الركعة الثانية ثم يجلس الامام فى التشهد الى أن يصلوا ركعة ثانية ثم يسلم الامام بهم  
 وهذا قول سهل بن أبى حنيفة ومذهب الشافعى ( وليأخذوا ) أى هذه الطائفة ( حذرهم ) من العدو

(وَأَسْلَمْتُمْ) معهم وانما ذكر الحذر هنا لان العدو لم يتنبه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائلين لاجل المحاربة فاذا قاموا في الركعة الثانية ظهر للكفار كونهم في الصلاة لم يثنوا بتهزؤهم والفرصة في الهجوم عليهم فخص الله تعالى هذا الوضع بزيادة الحذر من الكفار (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَتَغْلِقُونَ عَنْ أَسْلَاحِكُمْ وَأَمْتَعْتُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً) أي تمنوا نسيانكم عن الاسلحة وما تستمتعون بها في الحرب اذا قمتم الى الصلاة فينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشددوا عليكم شدة واحدة في الصلاة (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلَاحَكُمْ) أي لا رزركم في وضع الاسلحة ان تعذر حملها ما ثقلها بسبب مطر أو مرض أو لا يذامن في الجنب (وَخُذُوا حِذْرَكُمْ) أي احذروا من العدو وما استطعتم لثلاث سببوا عليكم وهذه الآية تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا والله أعلم (إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) في الدنيا بأن يخذلهم وينصرهم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه تعالى بأيديكم بالقتل والاسر والنهب (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ إِذَا أطمأنتم فاقموا الصلاة) أي فاذا فرغتم من صلاة الخوف فداوموا على ذكر الله في جميع الاحوال حتى في حال المسابقة والقتال فان ما أنتم عليه من الخوف والحذر مع العدو وجدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع اليه فاذا سكنت قلوبكم من الخوف فادروا الصلاة التي دخل وقتها حينئذ على الحالة التي كنتم تعرفونها ولا تغيروا شيئا من أحوالها وهياتها وقيل معنى الآية فاذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما حال اشتغالكم بالمسابقة والمقارعة وقعودا جالسين على الركب حال اشتغالكم بالمراماة وعلى جنوبكم حال ما تكثروا لبراحات فيكم فتسقطون على الأرض فاذا زال الخوف عنكم بانقضاء الحرب فاهضوا ما صليتم في تلك الاحوال وهذا ظاهر على مذهب الشافعي من ايجاب الصلاة على المحارب في حال المسابقة اذا حضر وقتها واذا اطمأنوا فاعليهم القضاء وقال بن عباس أي فاذا فرغتم من صلاة الخوف فصلوا الله قياما للهجهج وقعودا للمريض وعلى الجنوب للبرج والمريض فاذا ذهب منكم الخوف ورجعتم الى منازلكم فأتوا الصلاة أربعا (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) أي فرسا موقتا (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ) أي لا تهجزوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال نزلت هذه الآية في شأن بدر الصغرى وذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه فشقكوا الجراحات حين رجعوا من أحد (إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَانْتُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ) أي ان كنتم تتوجعون بالجراح فانهم يتوجعون بالجراح لحصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم فلم يصبر خوف الألم ما بعثهم عن قتالكم فكيف صار ما نعالكم عن قتالهم (وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) أي وأنتم ترجون من الله ثوابه وتخافون عذابه لانكم تعبدون الله تعالى والمشركون يعبدون الأصنام فلا يصح منهم أن يرجوا منها ثوابا أو يخافوا منها عذابا فيجب أن تكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها وقرأ الأعرج أن تكونوا بفتح الهمزة أي لان تكونوا (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) أي لا يكلفكم شيئا لا يجاهو عالم بانه سبب لصلاحكم في دينكم ودنياكم (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ) أي بين طمعة وزيد بن سمين (بِمَا أَرَادَ اللَّهُ) أي بما علمه الله في القرآن وسمى العلم الذي يعني الاعتقاد بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن الريب يكون جارا يجرى الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقول أحدكم قضيت بما أراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك إلا لنبيه والرأي من أي ما يكون ظنا لا علمًا نزلت هذه الآية

في شأن رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان وهي في  
 جراب دقيق فصار الدقيق يتناثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن ميمن اليهودي فالتفت الدرع عند طعمة فلم  
 توجد فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له  
 ناس من اليهود فقال بنو طعمة - را نطلقوا بنا الى رسول الله نشهد أن اليهود هو السارق لئلا نقتضج بل  
 عزمو على الحلف فذهبوا وشهدوا وزورا ولم يظهر له صلى الله عليه وسلم قاذح فيهم فهم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم بضرب اليهودي أو بقطع يده لثبوت المال عنده فأعلمه الله الحال بالوحي فهم أن يقضي على طعمة  
 فهرب الى مكة وارتد ونقب حائط السرق متاع أهله فوقع عليه فقتله ومات مرتداً في مكة (ولا تكن)  
 يا أشرف الخلق (لخائنين) أي لاجل المنافقين وللذب عنهم - وهم طعمة وقومه بنو يبرق بشرو بشير  
 ومبشركما أخرجه الترمذي من حديث قتادة بن النعمان (خميما) أي مخافهما لمن كان بريئاً عن الذنب  
 وهو اليهودي (واستغفر الله) من هلك بضرب اليهودي زيد بن ميمن تعويلاً على شهادتهم لأنهم كانوا في  
 الظاهر مسلمين فاستغفاره صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك اللهم بالحكم الذي لو وقع لكان خطياً في نفسه وإن  
 كان معذوراً عند الله فيه فأمر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهذا القدر فان حسنة الارباب سيأت المقربين  
 (إن الله كان غفوراً رحيماً) أي مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون  
 أنفسهم) طعمة ومن عاونه من قومه من علم كونه سارقاً (إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً) فإن  
 طعمة خان في الدرع وأثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن  
 يدفع السرقة عنه ويطلقه باليهودي وهذا يبطل رسالة الرسول ومن حاول ابطاله ذلك وأظهر كذبه فهو  
 كافر وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروى عن عمرانه أمر بقطع يد سارق  
 لحاقت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال عمر كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول  
 الأمر (يستخفون من الناس) أي يستترون منهم حياء وخوفاً من ضرر (ولا يستخفون من الله) أي  
 ولا يستحيون منه تعالى ولا يخافون من عذابه تعالى (وهو معهم) بعلمه ورؤيته وقدرته (اذيبيتون) أي  
 يقدرون في اذهاهم (مالاً يرضي) أي الله (من القول) وهو أن طعمة قال ارمي اليهودي بأنه  
 هو الذي سرق الدرع وأحلف اني لم أدرقها فيقبول الرسول عيني لاني على دينه ولا يقبل عيني اليهودي  
 (وكان الله بما يعملون محيطاً) لا يعزب عنه تعالى شيء ولا يفوت (ها أنتم هؤلاء) أي أنتم يا قوم طعمة  
 (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) أي هبوا انكم خاصتهم عن طعمة وأمثاله في الدنيا وقرأ عبد الله بن مسعود  
 وأبي بن كعب عنه بالافراد (فن يجادل الله عنهم يوم القيامة) عند تعذيبهم (أم من يكون عليهم وكيلاً)  
 أي أم من الذي يكون محافظاً لهم من عذاب الله (ومن يعمل سوءاً) أي قبيحاً يحزن به غيره كما فعل  
 طعمة من سرقة الدرع لقتادة ومن رمى اليهود بالسرقه (أو يظلم نفسه) كالخلف الكاذب (ثم يستغفر  
 الله) بالتوبة الصادقة (يجد الله غفوراً) لذنوبه (رحيماً) حيث قبل توبته (ومن يكسب أثماً)  
 أي ذنباً (فأثم يكسبه على نفسه) فلا يتهمدى ضرره الى غيره فليتهرر عن اقبال نفسه للعقاب  
 عاجلاً وآجلاً والكسب عبارة عما يفيد جرم منفعته أو دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الله تعالى بذلك (وكان  
 الله عليماً) بما في قلب عبده عند اقدمه على التوبة (حكيماً) تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب  
 وان لا يحمل نفساً او زنة او وزن نفس أخرى (ومن يكسب خطيئة) أي صغيرة أو قاصرة على الفاعل  
 أو ما لا ينبغي فعله بالعمد أو بالخطأ (أو أثماً) أي كبيرة أو ما يتعدى الى الغير كالظلم والقتل أو ما يحصل



بالعمد (ثم يرميه) أي يقذف بذلك الذنب (يرشاق قد احتمل بهتاناً وأثماً مبيناً) أي فقد أوجب على نفسه عقوبة بهتان عظيم وعقوبة ذنب بين فالبهتان أن ترمى أخاك بأمر منكرو هو بري منه فصاحب البهتان مذموم في الدنيا أشد الذم ومعاقب في الآخرة أشد العقاب فقوله تعالى بهتاناً إشارة إلى الذم العظيم في الدنيا وقوله تعالى أثماً مبيناً إشارة إلى العقاب العظيم في الآخرة (ولو لا فضل الله عليك) بأعلامك ما هم عليه بالوحى (ورحمته) بتنبيهك على الحق أو المعنى لولا أن الله خصل بالفضل وهو النبوة وبالرحمة وهي العمة (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) أي لارادت طائفة من قوم طعمته أن يلقوك في الحكم الباطل وذلك لأن قوم طعمته قد عرفوا أنه سارق ثم سأوا النبي أن يجادل عنه ويبرئه عن السرقة وينسب تلك السرقة إلى اليهود (وما يضلون إلا أنفسهم) بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان (وما يضررونك من شيء) أي أنهم وإن سعوا في العائن في الباطل فأنت ما وقعت فيه لانه تعالى عاصمك ولأنك بنيت الأمر على ظاهر الحال وأنت ما أمرت إلا ببينة الأحكام على الظواهر (وأنزل الله عليك الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي علم الشرائع (وعلمك ما لم تكن تعلم) من أمور الدين وأسرار الكتاب والحكمة وأخبار الأولين وحيل المنافقين (وكان فضلك عظيمًا) وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف المناقب والفضائل مع أن الله تعالى ما أعطى الخلق من العلم الا القليل (لاخبرني كثير من نجواهم الا) في نجوى (من أمر بصدقة) واجبة أو مندوبة (أو معروف) وهو أصناف أعمال البر كالقرض واغاثة الملهوف (أو إصلاح بين الناس) عند وقوع المعادة بينهم من غير مجاوزة حدود الشرع في ذلك وذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لاله الا ما كان من أمر معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أي هذا المذكور من الصدقة وفنون الجميل والإصلاح أو ذلك الأمر بهذه الأقسام الثلاثة كأنه قيل ومن يأمر بذلك ويجوز أن يراد بالفعل الأمر فعبر عن الأمر بالفعل لأن الأمر فعل من الأفعال أي ومن يأمر بذلك (ابتغاء مرضاة الله) أي طلب رضوان الله (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) أما إذا أتى بذلك للرياء والسعفة صار من أعظم المفاسد وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية وتصفية القلب عن داعية الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان الله وقرأ أبو عمرو وخمزة يؤتيه بالياء مناسبة للغيب في قوله ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والباقون بنون العظمة مناسبة لقوله تعالى الآتي قوله ونصله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) روى أن طعمة بن أبيرق لما رأى أن الله تعالى هتك ستره وبرأ اليهودي عن تهمة السرقة ارتد وذهب إلى مكة ونقب جدار إنسان لاجل السرقة فتهدم الجدار عليه ومات فنزلت هذه الآية ومعناها ومن يخالف الرسول في الحكم من بعد ما ظهر له بالدليل صحة دين الإسلام ويتبع ديناً غير دين الموحدين وتركه إلى ما اختار لنفسه وتخله إلى ما اعتمد عليه في الدنيا وندخله جهنم في الآخرة وبئس مصيره جهنم وذلك أن طعمة قد تبين له بما أوحى الله تعالى من أمره من أنه سارق مادله ذلك على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعادى الرسول وأظهر الشقاق وترك دين الإسلام واتبع دين عبادة الأصنام (إن الله لا يغفر أن يشرك به) إذا مات على الشرك (ويغفر ما دون ذلك) أي الشرك (لمن يشاء) سواء حصلت التوبة أو لم تحصل روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن شيخهما من العرب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتى شيخ منكم في الذنوب الا أنى لم أشرك

بالله شيئا منذ عرفته وأمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جراحة على الله تعالى وما توهمت  
 طرفة عن أني أعجز الله هربا وأني لنأثم نائب مستغفر فأتري حالى عند الله تعالى فنزلت هذه الآية  
 (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة أما من لم يشرك بالله  
 لم يكن ضلاله بعيدا فلا يصير محرورا من الرحمة ثم بين الله تعالى كون الشرك ضلالا بعيدا فقال (إن يدعون  
 من دونه إلا آتانا) أي ما يعبد المشركون من أهل مكة إلا آتانا يسمونها باسم الآتات كقولهم اللات والعزى  
 ومناة واللات تأبث الله والعزى تأبث العزيز ومناة تأبث الثمان أولادهم كانوا يزنيونها على هيات  
 النسوان وقرأت عائشة قرضى الله عنها إلا آتانا ابن عباس إلا آتانا جمع وثمن مثل أسد وأسود والهزمة بدل  
 من الواو المضمومة (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله) أي وما يعبدون إلا شيطانا شديدا بهد عن  
 الطاعة طرده الله من كل خير لأن إبليس هو الذي أمرهم بعبادة الأوثان فكانت طاعته في ذلك عبادة له  
 (وقال) أي الشيطان عند ذلك (لا اتخذ من عبادك نصيبا مفروضا) أي لا جعلن لي من عبادك حظا مقدرا  
 معيناهم الذين يتبعون خطوات إبليس ويقبلون وسأوسه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال  
 من كل ألف واحد لله وسائر للناس ولا إبليس (ولا ضللتهم) عن الهدى (ولا منيتهم) أي القين في  
 قلوبهم الأمانى وهى تورث شيئين الحرص والامل وهما يسئلان أكثر الأخلاق الذميمة ويلتزمان  
 للإنسان قال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص والامل اه فالحرص يستلزم  
 ركوب الأهوال فاذا اشتد حرصه على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله إلا بعصية الله واذا طال  
 أمسه نسي الآخرة وصار غريقا في الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة ولا يكاد يوثق فيه الوعظ فيصير قلبه  
 كالجمارة أو أشد قسوة (ولا أمرهم) بالتبجيل أي شق آذان الناقة (فليبتكن آذان الأنعام) فإن  
 العرب كانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء لها من ذكرا حرموا على أنفسهم الانتفاع  
 بها (ولا أمرهم) بالتغيير (فليغيرن خلق الله) صورة أو صفة كاختصاص العبيد وفق العيون  
 وقطع الأذان والوشم والوشرو وصل الشعر فإن المرأة تتوصل بهذه الأفعال إلى الزنا وكانت العرب إذا بلغت  
 ابل أحداهم الفاعور واعي خلها ويدخل في هذه الآية التخلف والسحاقيات لأن التخلف عبارة عن ذكر  
 يشبه الأنثى والسحق عبارة عن أنثى تشبه الذكرو عموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في  
 البهائم للحاجة فيجوز في الماء كقول الصغير ويحرم في غيره (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بأن  
 فعل ما أمره الشيطان به وترك ما أمره الرحمن به (فقد خسر خسرانا مبينا) أي بتضييع أصل ماله  
 وهو الدين الفطرى كما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة أي دين الإسلام ولكن أبواه  
 يهودانه وينصرانه ويمجسانه وذلك لا طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة وطاعة الشيطان تفيد  
 المنافع القليلة المنقطعة ويعقبها العذاب الاليم (يعدهم ويعينهم) بأن يلقى الشيطان في قلوبهم أنه  
 سيطول أعمارهم وينالون من الدنيا ما لهم ومقاصدهم ويقع في قلوبهم أن الدنيا دواول فرع ما تسرت لهم كما  
 تسرت لغيرهم وأيضا أن الشيطان يعدهم بأنه لا قيامة ولا جزاء فاجتهدوا في استيفاء الذات الدنيوية  
 (وما يعدهم الشيطان إلا غسورا) وهو أن يظن الإنسان بالشيء أنه نافع ولا يذنب ثم يتبين اشتماله على  
 أعظم الآلام والمضار وجميع أحوال الدنيا كذلك (أولئك) أي أولياء الشيطان وهم الكفار  
 (ما أراهم جهنم ولا يجحدون عنها) أي جهنم (محيضا) أي معدلا ومهربا (والذين آمنوا) أي أقروا  
 بالإيمان (وعملوا الصالحات) أي الطاعات تصديقًا لأقرارهم (ستدخلهم جنات تجري من تحتها

(الأنهار خالدين فيها) أى ما كثر في الجنة مكنات طويلا لا يخرجون منها (أبدا وعد الله حقا) أى  
 وعدهم الله بذلك الإدخال وعد الا خلف فيه وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره  
 (ومن أصدق من الله قيلا) أى لا أحد أصدق من الله وعدا وهذا تو كيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات  
 معارضة لمواعيد الشيطان الكاذبة وترغيب للعباد في تحصيل ما وعده الله (ليس بأمانيتكم ولا أمانى  
 أهل الكتاب) أى ليس الثواب الذى تقدم الوعد به في قوله تعالى سدد خلفهم جنات بأمانيتكم يامعشر  
 المؤمنين ان يغفل لكم وان ارتكبتم الكبائر أى فانه كذبكم عنيتم ان لا تؤاخذوا بسوء بعد الايمان ولا أمانى  
 اليهود والنصارى فانهم قالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فلا  
 يهذبنا وقالوا لن نعص النار الا أيا ما معدودة وليس الامر كذلك فانه تعالى يخص بالعفو والرحمة من  
 يشاء أى ليس يستحق ذلك الثواب بالامانى واغما يستحق بالايمان والعمل الصالح (من يعمل سوءا  
 يجزيه) فالمؤمن يجزى عند عدم التوبة اما في الدنيا بالمصيبة أو بعد الموت قبل دخول الجنة أو بالتحباط  
 ثواب طاعة بعقد عقاب تلك المعصية والكافر يجزى في الدنيا بالخن والبلاء في الآخرة دائما روى أنه  
 لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله  
 لك يا أبا بكر ألسنت تعرض أليس يصيبك الاذى أى من البلاء والحزن قال بلى يا رسول الله قال فهو  
 ما تجزون وعن عائشة رضيت الله عنها أن رجلا قرأ هذه الآية فقال أنجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا ببلغ  
 كلامه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبته في جسده وما يؤذيه وعن أبي هريرة  
 قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحرنا وقلنا يا رسول الله ما أبقت هذه الآية لنا شيئا فقال صلى الله عليه وسلم  
 ابشروا فانه لا يصيب أحد منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التى تقع في قدمه  
 (ولا يجده من دون الله) أى مجاوزا عن حفظ الله ونصرته (وليا) أى حافظا يحفظه (ولانصيرا)  
 ينصره فشفاعة الانبياء والملائكة في حق العصاة اغما تكون بأذن الله تعالى واذا كان الامر كذلك  
 فلاولى لاحد ولا نصير لاحد الا الله تعالى (ومن يعمل من الصالحات) أى من يعمل بعض الصالحات  
 كائنا (من ذكر أو أنثى وهو مومن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) أى ولا ينقصون قدر من حيث  
 النواة من ثواب أعمالهم فاذ لم ينقص الله الثواب لخير أن لا يزيد في العقاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو  
 وشعبة عن عاصم يدخلون الجنة بالبنا للمفعول وكذلك في سورة مريم وفي حم المومن قال مسروق لما نزل  
 قوله تعالى من يعمل سوءا يجزيه قال أهل الكتاب للسلامين نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية (ومن  
 أحسن ديننا من أسلم وجهه لله) أى لا أحد أحسن ديننا من عرفه بقلبه وأقر به بيو بيته وبعبودية  
 نفسه (وهو محسن) أى والحال أنه آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) حال  
 للتبوع أو للتابع واغما عاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الى دين ابراهيم لانه اشتهر عند كل الخلق  
 أن ابراهيم ما كان يدعو الا الى الله تعالى وشرعه مقبول عند الكل لان العرب لا يفخرون بشئ  
 كافتخارهم بالانتساب الى ابراهيم وأما اليهود والنصارى فلا شك في كونهم مفتخرين به (واتخذ الله  
 ابراهيم خليلا) روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يسمى أبا الضيفان وكان منزله على ظهر  
 الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس أزمة فاجتمعوا في بابه فحشر والى بابه يطلبون الطعام  
 وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلامه بالابل الى الخليل الذى بمصر فقال خيل له لغلمان  
 لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكن يريد هاللا ضيفا وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة

فرجع غلماناه فرأى به طمها أى بأرض ذات حمى فلوأمنها الغراثر حياه من الناس حيث كانت ابلمهم فارغة وجاؤا بها الى منزل ابراهيم وألقوها فيه وتفرقوا وأخبره أحدهم القصة فاغتم لذلك غم شديدا فغلبه عيناه ومعدت سارة الى الغراثر ففتحتها فاذا فيها أجود حواري بضم الحاء المهمة تشديد الواو وفتح الراء وهو الدقيق الذى نخل مرة بعد أخرى فأمرت الخبازين لخبز وافأطعمت الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد راثحة الخبز فقال من أين هذا لكم فقالت سارة من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماء الله تعالى خيلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذ كرا سم الله بصوت رخم فهبى فقال ابراهيم عليه السلام اذ كره مرة أخرى فقال لا أذكركه مجانا فقال لك مالى كله فذكره الملك بصوت أشجى من الأول فقال اذ كره مرة ثالثة ولك أولادى فقال الملك ابشر فاني ملك لا أحتاج الى مالك وللك وانما كان المقصود امتحانك فلم يابل المال والأولاد على سماع ذكر الله لهما أتخذ الله خليلا (ولله ما في السموات وما في الأرض) يختار منهما ما يشاء لمن يشاء (وكان الله بكل شيء) من أهل السموات والأرض (محيطا) بالقدرة والعلم (ويستفتونك في النساء) أى يسألك يا أشرف الخلق جماعة من الصحابة عن أحوال كثيرة مما يتعلق بحق النساء فالأى بين الله حكمه فيما سبق في أول هذه السورة أحوال بيان الحكم في ذلك والذي لم يبين حكمه بين هنا وذلك قوله تعالى (قل الله يفتيك فيهن وما يتلى عليكم) أى قل يا أشرف الخلق لهم الله تعالى قدين لكم أحوال النساء والمتلو (في الكتاب) في أول هذه السورة قدين لكم (في يتامى النساء) أى في شأنهن فماعطوف على المبتدأ وهذا متعلق ببتلى وذلك المتلو في الكتاب هو قوله تعالى وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) أى اللاتى لا تعطونهن ما وجب لهن من الميراث أو الصداق وذلك لانهم يورثون الرجال دون النساء والبنات دون الصغار (وترغبون أن تنكوهن) وهذا يحتمل الرغبة والنفرة فان حمل على الرغبة كان المعنى وترغبون في أن تنكوهن لما لهن وجمالهن باقل من صداقهن وان حمل على النفرة كان المعنى وترغبون عن أن تنكوهن لعدم ما لهن وتمسكوهن رغبة في ما لهن وهذه الجملة معطوف على الصلة عطف المبتدأ على المنفية ويجوز أن تكون حالا من فاعل تؤتونهن والتأويل وأنتم ترغبون وهذا اذا أريد بقوله تعالى ما كتب لهن صداقهن روى مسلم عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها وما لها ويريد أن ينكحها وينقص صداقها عن عادة نساءها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في الكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأنزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الى قوله تعالى وترغبون أن تنكوهن فبين الله لهم أن اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال ترغبوا في نكاحها ولم يطعوا بعبادتها في الكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال تعالى فكياتر كونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبو فيها إلا أن يعطوها حتمها الا وفي من الصداق ويقسطوا لها (والمستضعفين من الولدان) معطوف على يتامى النساء وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون الاطفال ولا النساء الذى تلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم وروى أن عبيثة بن حصن الغزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا بآل تعطى الابنة النصف والاخذ النصف وانما كانوا يرث من يشهد القتال ويجوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين وتقديره الآية وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيك في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط والذي تلى في

حقهم قوله تعالى ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم (وما تفعلوا من خير فإن الله  
 كان به عليما) أى يجازيكم عليه ولا يضيع عند الله منه شئ (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا) أى  
 اظهار الخسونة في القول أو الفعل أو فيهما (أو أعراضا) أى سكونا عن الخير والشر (فلا جناح عليهما)  
 حيث ذنبا (أن يصلحا بينهما ماصليا) بأن بذلت المرأة كل الصداق أو بعضه للزوج أو أسقطت عنه مؤنة  
 النفقة أو القسم وكان غرضا من ذلك أن لا يطلقها زوجها وهذا من جملة ما أخبر الله تعالى أنه يقتضيهم به  
 في النساء مما لم يتقدم ذكره في هذه السورة روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن الآية نزلت في ابن أبي  
 السائب كانت له زوجة وله منها أولاد وكان شيخا ففهم بطلاقها فقال لا تطلقني ودعني اشتغل بصالح  
 أولادي وأقسم في كل شهر ليالي قليلة فقال الزوج إن كان الأمر كذلك فهو أصليح لي فأتى رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية قرأها عصم وحزرة والكسافي يصلحها بضم الياء وسكون الصاد  
 والباء قون يصلحها بفتح الياء والصاد المشددة الممدودة قالوا معناه يتوافقا وهو أليق بهذا الموضع (والصلح  
 خير) أى والصلح بين الزوجين خير من سوء العشرة أو من الفرقة أو من الخصومة أو هو خير من  
 الخيور (وأحضرت الأنفس الشح) أى جعل الشح حاضرا للأنفس لا يغيب عنها ولا ينفك عنها أبدا  
 فالمرأة تجل ببذل حقها للزوجها وطمعها يجبرها إلى أن ترضى والرجل يجمل بأن يقضى عمره معهما مع  
 دماثة وجهها وكبر سنهما وعدم حصول اللذة بعاشرتها (وإن تحسنوا) بالاقامة على نساءكم وإن كرهتموهن  
 بأن تسوا بين السابقة والعجوز في القسمة والنفقة (وتتقوا) ما يؤدي إلى الأذى والخصومة (فإن الله  
 كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) وهو يشيكم عليه وروى أن هذه الآية نزلت  
 في امرأة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة  
 وأثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت إليه ذلك (ولن تستطيعوا أن تعدلوا  
 بين النساء) أى لن تقدروا على التسوية بينهن في ميل الطباع وإذا لم تقدر واعليه لم تكونوا مكلفين به  
 (ولو حرصتم) أى جهدتم على إقامة العدل في الحب (فلا تعجلوا كل الميل) إلى التي تحبون منها في القسم  
 والنفقة أى أنكم لستم منييين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لأن ذلك خارج عن وسعكم ولكنكم  
 منييون عن اظهار ذلك التفاوت في القول والفعل (فتذروها كما لعلقة) أى فتبقي الأخرى لا أيم ولا ذات  
 بعل كما أن الشئ المعلق لا يكون على الأرض ولا على السماء وفي قراءة أبي فتذروها كما لعلجونة (وإن  
 تصلحوا) ماضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة (وتتقوا) في المستقبل عن مثله غفر الله لكم ذلك  
 (فإن الله كان غفورا رحيما) فيغفر ما حصل في القلب من الميل إلى بعضهن دون البعض ويتفضل عليكم  
 برحمته (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) أى وإن رغبنا في المفارقة بأن لم يتفقا بصلح أو غيره يغن الله  
 كلا واحد منهما عن صاحبه بزواج خير من زواجه الأول يعيش أهنا من عيشه الأول من غناه تعالى  
 وقدرته (وكان الله واسعا) أى في العلم والقدرة والرحمة والفضل والجود (حكيم) أى متقنا في  
 أفعاله وأحكامه (ولله ما في السموات وما في الأرض) من الموجودات من الخلاق والحزائن فيهما  
 (والقدوسين الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله) أى ولقد أمرنا اليهود والنصارى ومن  
 قبلهم من الأمم وأمرناكم يا أمة محمد في كتابكم بطاعة الله وهي وصية الله في الأولين والآخرين فهي  
 شريعة عامة لجميع الأمم لم يلقها نسخ (وإن تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا  
 حكيما) أى وقلنا لهم ولكم وإن تكفروا فاعلموا أن الله ما في سمواته وما في أرضه من أصناف المخلوقات

من يعبدوه وكان مع ذلك غنيا عن خلقهم وعن عبادتهم ومستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمد أحد  
 منهم فهو تعالى في ذاته محمود سواء حمدوه أو لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم  
 وتقواهم وإنما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته فهو منزّه عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين فلا  
 يزاد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات (ولله ما في السموات وما في الأرض) من الخلاق  
 قاطبة مفتقرون إليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن قبضه طرفه عين لحقه أن يطاع  
 ولا يعصى ويتقوا عقابه ويرجى ثوابه (وكفى بالله وكيلًا) في تدبير أمور الكل وكل الأمور فلا بد من  
 أن يتوكل عليه لا على أحد سواه (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) أي إن يشأ أفسأكم  
 بالكلية وإيجاد قوم آخرين يشتغلون بعبوديته وتعظيمه يغفركم بالمرّة ويوجد مكانكم قومًا خيرا منكم  
 وأطوع لله (وكان الله على ذلك) أي أهلاكهم وتخليق غيركم (قديرا) أي إن أبقأكم على ما أنتم  
 عليه من العصيان اغناهم لكال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق إرادته باستئصالكم لا ليجزه تعالى عن  
 ذلك (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أي من كان يريد بعمله منفعة الدنيا  
 فلا يتصر عليه وليطلب الثوابين فعند الله ثواب الدارين وقال الفخر الرازي تقرير الكلام فعند الله ثواب  
 الدنيا والآخرة له أن أراد الله تعالى وعلى هذا التقدير يتعلق الجزاء بالشرط وقال ابن عباس من كان  
 يريد منفعة الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه فليعمل لله فإن ثواب الدنيا والآخرة بيد الله أي فإن العاقل  
 يطلب ثواب الآخرة حتى يحصل له ذلك ويحصل له ثواب الدنيا على سبيل التبع (وكان الله سميعا بصيرا)  
 أي عالما بجميع السموعات والمبصرات (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) أي  
 كونوا مبالغين في اختيار العدل وفي الاحتراز عن الجور تقيمون شهادتكم لوجه الله كما أمرتم بأقامتها  
 (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أي ولو كانت الشهادة وبالاعلى أنفُسكم أو آبائكم أو أقاربكم  
 (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) أي إن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تسكتوا الشهادة أما  
 لطلب رضا الغني أو لترحم على الفقير فالله أولى بأمرهما ومصلحهما وفي قراءة أبي فأنه أولى بهم وهو  
 أمارأجع إلى قوله أو الوالدين والأقربين أو راجع إلى جنس الغني وجنس الفقير وقرأ عبد الله أن يكن  
 غني أو فقير على كان التامة (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي لأجل أن تعدلوا والمعنى أن تكونوا متابعين  
 الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل (وان تلووا) بواوين على قراءة الجمهور رأى وإن تعرفوا  
 ألسنتكم عن شهادة الحق وقرأ ابن عامر وحزمة وان تلووا بضم اللام وحذف الواو الأولى أي ان تقموا  
 الشهادة وتقبلوا عليها (أو تعرضوا) عن أداء الشهادة أصلا (فإن الله كان بما تعملون خبيرا)  
 فيجازي المحسن المقبل والمسيء المعرض نزلت هذه الآية في مقيس بن حبابة كانت عنده شهادة على أبيه  
 (يا أيها الذين آمنوا) في الماضي والحاضر (آمنوا) في المستقبل (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه  
 وسلم (والكتاب الذي نزل على رسوله) وهو القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) أي قبل القرآن  
 أو المعنى يا أيها الذين آمنوا على سبيل التقليد آمنوا على سبيل الاستدلال أو يا أيها الذين آمنوا بحسب  
 الاستدلالات الجمالية آمنوا بحسب الدلائل التفصيلية وهذا خطاب لسكافة المسلمين وقيل هو خطاب  
 لمؤمني أهل الكتاب لما إن عبد الله بن سلام وابن أخيه مسلمة وأسدا وأسيد ابني كعب  
 ونعلبة بن قيس ويامين بن يامين أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله أنا نؤمن بك  
 وبكنايل وبجوسي والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسول فقال صلى الله عليه وسلم بل



آمنوا بالله ورسوله محمد وكتبه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت هذه الآية فآمنوا  
 كلهم (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر) أي ومن يكفر بواحد من ذلك  
 المذكور (فقد ضل ضلالا بعيدا) بحيث يعسر العود من الضلال إلى سواء الطريق (إن الذين آمنوا  
 ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) أي إن الذين يشكرون منهم الكفر بعد الإيمان مرات  
 ثم ماتوا على الكفر أو المعنى إن الذين أظهروا الإسلام ثم كفروا بكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم آمنوا  
 بالسنتهم فكلما القوا جمعاً من المسلمين قالوا أنا مؤمنون وانما أظهرنا الإيمان لتجربى عليهم أحكام المؤمنين  
 ثم كفروا فاذا دخلوا على شياطينهم قالوا انما معكم انما نحن مستهزون ثم ازدادوا كفرا باجتهادهم في  
 استخراج أنواع المكفر في حق المسلمين وبعوتهم على الكفر (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) فان  
 كل من كان كثيرا لا انتقال من الإسلام إلى الكفر لم يكن للإسلام في قلبه عظم فلا يتوب عن الكفر حتى  
 يموت عليه (بشر المنافقين) أي أنذرهم (بأن لهم عذابا أليما الذي يتخذون الكافرين أولياء من دون  
 المؤمنين) أي فإن المنافقين يقول بعض المنافقين لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود  
 فيقولون إن العزة لهم (أيتبعون) أي أيتطلب المنافقون (عندهم العزة) أي عند اليهود والقوة  
 (فإن العزة لله جميعا) أي أن القدرة الكاملة لله وكل من سواه فباقداره صار قادرا وباعـ زاده صار عزيزا  
 فالعزة الحاصلة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لم تحصل إلا من الله تعالى فكان الأمر عند التحقيق  
 أن العزة جميعا لله (وقد نزل عليكم) يا معشر المنافقين (في الكتاب) أي القرآن في سورة الأنعام  
 قبل هذه آية (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها) أي أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها  
 ومستهزأ بها (فلا تعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي الكفر والاستهزاء وذلك قوله تعالى  
 وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا نزل بحكمة لأن المشركين كانوا يخوضون في  
 القرآن ويستهزئون به في مجالستهم ثم إن أخبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين  
 والقاعدون معهم والموافقون لهم على ذلك الكلام المنافقون فقال تعالى مخاطبا للمنافقين قد نزل عليكم  
 في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها أي إذا سمعتم آيات الله حال ما يكفر بها  
 ويستهزئ بها (أنكم إذا نلتم) أي أنكم أيها المنافقون مثل أولئك الأخبار في الكفر قال أهل  
 العلم هذا يدل على أن من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بكفره كافر وإن لم يباشركن في  
 الاثم بمنزلة المباشر أما إذا كان ساخطا لقولهم وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر ليس كذلك  
 فالمنافقون الذين كانوا يجالسون اليهود وكانوا يطعنون في الرسول والقرآن هم كافرون مثل أولئك  
 اليهود أما المسلمون الذين كانوا يبايعون الكفار الذين كانوا يطعنون في القرآن فانهم كانوا باقين على  
 الإيمان فهم كانوا يجالسون الكفار عند الضرورة بخلاف المنافقين فانهم كانوا يجالسون اليهود مع الاختيار  
 (إن الله جامع المنافقين) أي منافقي أهل المدينة عبد الله بن أبي وأصحابه (والكافرين) أي كفار أهل مكة  
 أبي جهل وأصحابه وكفار أهل المدينة كعب وأصحابه (في جهنم جميعا) أي كما أنهم اجتمعوا على الاستهزاء  
 بآيات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيامة (الذين يترصدون بكم) أي إن المنافقين  
 ينتظرون أمركم وما يحدث لكم من خير أو شر (فإن كان لكم فقه من الله) أي ظهور على اليهود (قالوا)  
 أي المنافقون للمؤمنين (ألم نكن معكم) أي مظاهرين لكم فاعطونا قسما من الغنيمة (وإن كان للكافرين)  
 أي اليهود (نصيب) أي ظفر على المسلمين (قالوا) أي المنافقون لليهود (ألم نستحوذ عليكم) أي

ألم تغلبكم وتغلبكم من قتلكم وأمركم ثم لم تفعل شيئا من ذلك (وغنمكم من المؤمنين) بأن تبطنناهم عنكم  
والالكنتهم نهيبة للنوايب فها توأنا نصيبها أصبتم وقيل إن أولئك الكفار كانوا قد هموا بالدخول في  
الاسلام والمنافقون جذروهم عن ذلك واطمعوهم أنه سيضعف أمر محمد وسيقوى أمركم فإذا اتفقت  
لهم صولة على المسلمين قال المنافقون للكفار ألسنا غلبناكم على رأيكم في الدخول في الاسلام ومنعناكم  
منه وقلنا لكم سيضعف أمر محمد ويقوى أمركم فلما شاهدتم صدق قولنا فادفعوا اليها نصيبها وجدتم  
(فإن الله يحكم بينكم) أي بين المؤمنين والمنافقين (يوم القيامة) أي فإن الله تعالى ما وضع السيف في  
الدين من المنافقين بل أخر عقابهم إلى يوم القيامة وأجرى عليهم حكم الاسلام في الدنيا (ولن يجعل  
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي بالشرع فإن شريعة الاسلام ظاهرة إلى يوم القيامة ويتفرع  
على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها أن الكافر لا يرث من المسلم ومنها أن الكافر إذا استولى على مال المسلم  
وأحرزه في دار الحرب لم يملكه ومنها أن الكافر ليس له أن يشتري عبدا مسلما ومنها أن المسلم لا يقتل بالذم  
بدلالة هذه الآية وقيل المعنى ليس لاحد من الكافرين أن يغلب المسلمين بالحجة وأن يهود دولة المؤمنين  
بالكلية وقال ابن عباس ولن يجعل الله لليهود على المؤمنين دولة دائما (إن المنافقين يخادعون الله وهو  
خادعهم) أي يفعلون ما يفعل الخادع من اظهار الايمان وابطال الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه تعالى  
الدينونة والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا وأعد لهم في الآخرة الدرك  
الاسفل من النار قال جرير زلت هذه الآية في حق عبد الله بن أبي وأبي عامر بن النعمان وقال الزجاج أي  
يخادعون رسول الله فيبطنون له الكفر ويظهرون له الايمان والله مجازيهم بالعقاب على خداعهم  
وقال ابن عباس انه تعالى خادعهم في الآخرة عند الصراط وذلك انه تعالى يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين  
فإذا وصلوا إلى الصراط انطفأ نورهم وبقوا في الظلمة ويبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين انظرونا  
نقتبس من نوركم ويقول المؤمنون ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ودليل ذلك قوله تعالى مثلهم كمثل الذي  
استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (وإذا أقاموا إلى  
الصلاة) أي أتوا إلى الصلاة مع المؤمنين (قاموا كسالى) أي متناقضين متباطئين لانهم لا يرجون بها  
ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا (يرأون الناس) ليحسبوا هم مؤمنين فانهم لا يقومون إليها الا لاجل  
الرياء والسمعة لاجل الدين (ولا يذكرون الله الا قليلا) أي لا يصلون الا بجرأى من الناس وإذا لم  
يكن معهم أحد لم يصلوا ولا يذكرون الله الا باللسان فقط (مفذين بين ذلك) أي متردد بين كفر  
السروايمان العلانية (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) أي ليسوا مع المؤمنين في السرفيجب لهم ما يجب  
للمؤمنين وليسوا مع اليهود في العلانية فيجب عليهم ما يجب على اليهود (ومن يضل الله فلن تجد  
سبيلا) موصلا إلى الصواب (يا أيها الذين آمنوا) بالسروا العلانية (لا تتخذوا الكافرين) أي  
المجاهدين بالكفر (أولياء من دون المؤمنين) المخلصين (أتريدون) يا معشر المؤمنين الخالص  
(أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا) أي أتريدون بذلك أن تجعلوا لاهل دين الله وهم الرسول وأمرته حجة  
بيننا على كونكم منافقين فإن مولاتهم أوضح أدلة النفاق وقيل المعنى يا أيها الذين آمنوا بالعلانية عبد  
الله بن أبي وأصحابه لا تتخذوا اليهود أولياء في التعذر من دون المخلصين أتريدون يا معشر المنافقين أن  
تجعلوا الرسول الله عليكم عنرا بيننا بالقتل أو المعنى أتريدون أن تجعلوا الله عليكم في عقابكم حجة بسبب  
مولاتكم لليهود (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وهو الطبقة التي في قعر جهنم لانهم

أخبرت الكفر حيث ضمو إلى الكفر الاستهزاء بالاسلام وأهله وخذاعهم ولائهم لما أظهر والاسلام  
يكنهم الاطلاع على أسرار المسلمين ثم يخبرون الكفار بذلك فكانت المحنة تتضاعف من هؤلاء المنافقين  
لهذه الأسباب جعل الله عذابهم أزيد من عذاب الكفار الخالص (ولن تجد لهم) أي المنافقين  
(نصيرا) يخلصهم من عذاب الله ثم استثنى الله من الظهير المجرور أو من الظهير المستكن في خبران بقوله  
(الذين تابوا) عن النفاق والتبجح (وأصلحوا) أي أقدموا على الحسن (واعتصموا بالله) بأن  
يكون غرضهم من التوبة وإصلاح الأعمال طلب مرضاة الله تعالى لا طلب مصلحة الوقت (وأخلصوا  
دينهم لله) بأن يكون ذلك الغرض خالصا لا يمتزج به غرض آخر (فأولئك) المتصفون بهذه الشروط  
الأربعة من المنافقين (مع المؤمنين) أي المخلصين الذين لم يصدر عنهم نفاق أصلا منذ آمنوا أي معهم في  
الدرجات العالية من الجنة (وسوف يؤت الله المؤمنين) أي يعطي الله الخالص (أجرا عظيما) أي  
ثوابا وافر في الجنة (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) فما استغفامية مفيدة للنفي أي أيعذبكم  
الله لأجل التشفي من الغيظ أم لطلب النفع أم لدفع الضرر كما هو شأن الملوكة وكل ذلك محال في حقه  
تعالى وإنما التعذيب أمر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالإيمان والشكر انتفى التعذيب وتقديم الشكر  
على الإيمان لأن الإنسان اذا نظر في نفسه رأى النعمة العظيمة حاصلة في تخليقها وترتيبها فيشكر شاكرا  
مجتلما اذا تم النظر في معرفة المنعم آمن به ثم شكر شاكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المجمل مقدا على  
الإيمان (وكان الله شاكرا) أي مشيا على الشكر (علما) أي بجميع الجزئيات فلا يقع الغلط له  
تعالى البتة فيوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من  
ظلم) أي لا يحب الله تعالى ان يجهر أحد بالسوء كأنما من القول الاجهر من ظلم فهو غير مسخوط عنده  
تعالى وذلك بأن يقول سرق فلان مالي أو غصبني أو سبني أو قذفني ويدعو عليه دعاء جائزا بأن يكون بقدر  
ظلمه فلا يدعوه عليه بخراب دياره لأجل أخذ ماله منه ولا يسب والده وان كان هو فعل كذلك ولا يدعوه عليه  
لأجل ذلك بالهلاك بل يقول اللهم خلص حق منه أو اللهم جازه أو كافئه ولا يجوز ان يدعوه عليه بسوء الخاتمة  
أو الفتنة في الدين فالدعاء بغيره رما ظلم به حرام كاللعمري مستحيل عادة أو عقلا ومثل المظلوم ما اذا أريد  
اجتماع على شخص فيجب على من علم عيوبه بذل النصيحة له وان لم يستشره لان الدين النصيحة فيذكره  
ما ينفع به فان زاد حرم الزائد فالله تعالى لا يحب اظهار القبائح الا في حق من عظم ضرره وكثر مكره فعند  
ذلك يجوز اظهار فضائله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاسد عافيه كي تحذره الناس وقرأ  
الضحك وزيد بن أسلم وسعيد بن جبير الامن ظلم بالبناء للفاعل والمعنى لكن من ظلم فآثر كره وقال  
الفراء والزجاج لكن من ظلم نفسه فانه يجهر بالسوء من القول ويفعل ما لا يحبه الله تعالى هذا ان جعل  
الاستئناء كلاما منقطعاعا قبله أما ان جعل متصلا فيكون التقدير الامن ظلم فانه يجوز الجهر بالسوء  
من القول معه (وكان الله سميعا) لقول الظالم والمظلوم ولفعلهما (علما) لفعل الظالم والمظلوم  
ولقولهما فليتيق الله ولا يقل الا الحق ولا يقذف بسوء مستور فانه يصير عاصيا لله بذلك وهو تعالى سميع  
لما يقوله عليهم بما يضره (ان تبدوا خيرا أو تحقوه) في إيصال النفع إلى الخلق (أو تعفوا عن سوء) كان  
تدفعوا الضرر عنهم (فان الله كان عفوا) عن المذنبين مع قدرته على الانتقام فعليه ان تقتدوا بسنة الله  
تعالى كما قاله الحسن (قديرا) أي فهو أقدر على عقوبتك منك على عقوبتك من ظلمك كما قاله  
الكلبي وقيل المعنى ان الله كان عفوا من عفا وهو المظلوم قديرا على إيصال الثواب إليه وعقوبة الظالم

وقوله تعالى فان الله الآية تعليل لجواب الشرط المقدر والتقدير فذلك أولى لكم من تركه لان الله الخ أعلم  
أن مواضع الخيرات على كثرتها محصورة في أمرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق  
محصور في قسمين ايصال نفع اليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى ان تبدوا خيرا أو تخفوه ودفع ضرر عنهم وهو  
المشار اليه بقوله تعالى أو تعفوا عن سوء فدخل في هذين القسمين جميع أنواع الخير وأعمال البر (ان الذين  
يكفرون بالله ورسوله) كاليهود فانهم آمنوا بعيسى والتوراة وعزروا وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن  
وكان نصارى فانهم آمنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقرآن (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله)  
بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) أي نؤمن ببعض الانبياء  
ونكفر ببعض (ويريدون) بقولهم ذلك (أن يتخذوا بين ذلك) أي بين الايمان بالكل أو الكفر بالكل  
(سيلا) أي ديناً وسطاً وهو الايمان ببعض دون البعض (أو لئلا) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم  
الكافرون حقاً) أي كفرا كاملاً ثابتاً قيناً لانه تعالى قد أمرهم بالايمان بجميع الانبياء عليه الصلاة  
والسلام وما من نبي من الانبياء الا وقد أخبر قومهم بحقيقة دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فن كفروا بواحد  
منهم فقد كفروا بالكل وبالله تعالى (وأعتدنا للكافرين) اليهود وغيرهم (عذاباً مهيناً) أي شديداً  
يهانون به (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم) في الايمان به (أو لئلا) سوف يؤثيهم  
أجورهم) وقرأنا صم في رواية حفص بالياء والضمير راجع الى اسم الله والباقيون بالنون (وكان الله  
غفوراً) لما فرط منهم (رحيماً) أي مبالغافى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك) يا أشرف  
الخلق (أهل الكتاب) أي أحبار اليهود (أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) روى ان كعباً وأصحابه  
وقفاض قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من عند الله فأتنا بكتاب من السماء بحملة  
كجاء موسى بالالواح أي فلا تبال يا أشرف الخلق بسؤالهم فانه هادتهم (فقد سألوها) أي اليهود (موسى  
أكبر من ذلك) أي أعظم مما سألوكم (فقالوا أرنا الله جهرة) أي أرنا نره معاينة (فأخذتهم  
الصاعقة) أي فأحرقتهم النار التي جاءت من السماء (بظلمهم) وهو سؤالهم لما يستحيل وقوعه في ذلك  
الوقت (ثم اتخذوا العجل) أي عبده (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الصاعقة وأحيائهم بعد  
موتهم ومهجرات موسى التي أظهرها الفرعون من العصا واليد البيضاء وخلق البحر وغيرها (فغفونا عن  
ذلك) أي تركنا عبادة العجل ولم نستأصلهم (وآتيناهم موسى سلطاناً أميناً) أي قهرنا ظاهرنا عليهم فانه  
أمرهم يقتل أنفسهم توبة من عبادة العجل فبادروا الى الامتثال فقتل منهم سبعون ألفاً في يوم واحد  
(ورفعنا فوقهم الطور مبنيانهم) أي بسبب ميثاقهم على ان لا يرجعوا عن الدين ليخالفوا فلا ينقضوه  
فانهم هموا بنقضه (وقلنا) على لسان موسى أو على لسان يوشع (لهم ادخلوا الباب) أي باب بيت  
المقدس أو أريحا (مهجداً) أي مطاطئين الرؤس (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تعدوا) أي  
لا تظلموا باصطياد الحيوان (في السبت وأخذنا منهم) على الامتثال بما كانوا (ميثاقاً غليظاً)  
أي مؤكداً وقال ابن عباس وهو ميثاق وليق في محمد صلى الله عليه وسلم (فبما نقضهم) فقامت  
والباء للسببية متعلقة بمحذوف أي فلغناهم بسبب نقضهم (ميثاقهم وكفرهم بآيات الله) أي بالمهجرات  
فن أنكرهم مهجزة رسول واحدة قد أنكر جميع مهجرات الرسل (وقتلهم الانبياء بغير حق) أي بلا جرم  
فانهم معصومون من كل نقيصة لا يتوجه عليه حق (وقولهم قلوبنا غلف) أي أوعية للعلم فلا حاجة  
بنا الى علم سوى ما عندنا فكذبوا الانبياء بهذا القول أو المعنى قلوبنا في أغطية جبلية فهي لا تنفقه ما تقولون

(بل طبع الله عليها بكفرهم) أى بل أحدث الله عليها صورة مانعة عن وصول الحق اليها أو بل ختم الله على قلوبهم بكفرهم (فلا يؤمنون) أى اليهود (الأقليات) أى الأفريقا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه أو فلا يؤمنون أى المطبوع على قلوبهم الايمان اقليل لا وهو الايمان بعيسى والتوراة بحسب زعمهم فان من يكفر برسول واحد وبمعجزة واحدة لا يـ ~~مكنه~~ الايمان بأحد من الرسل البتة (وبكفرهم) لانكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من دون الاب (وقولهم على مريم بهتنا عظيمما) أى نسبتهم مريم الى الزنا بعد ما ظهر منها من الكرامات الدالة على براءتهم من كل عيب فانها ملزمة للعبادة بأنواع الطاعات وعيسى تكلم حال كونه طفلا لمنغصا لآمن أمه (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وصلبناه (رسول الله) أى فى زعم عيسى نفسه وان وصفهم له بوصف الرسالة استهزأ به أو ان الله وضع الذكر الحسن بقوله رسول الله مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم فانهم قالوا هو ساحر ابن ساحرة أو ان الله وصف له من عند الله تعالى مدحاه وتغزيبه له عن مقالتهم الذى لا يليق به قال الله تعالى ابطالا لا فتخارهم بقتل النبي والاستهزأ به (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) قال كثير من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله تعالى الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم لما اتهم اجتماعا على قتله لان الله صيغ من سبوه وسبوا أمه قرودة وخنازير بدعائه عليهم فأخذوا انسانا يقال له طيطافوس اليهودى وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه المسيح والناس ما كلوا يعرفونه الا بالاسم لانه كان قليل الخفاطة للناس ثم ان تواتر النصارى ينتهى الى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب وقال الضحالك لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون فى غرفة وهم اثنا عشر رجلا فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر ابليس جميع اليهود فركب أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين أىكم يخرج ويقتل ويكون معى فى الجنة فقال رجل يقال له سرجس أنا يانبي الله فألقى اليه مدرعته من صوف وعمامة من صوف وناولها عكازة وألقى الله عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه وأما المسيح فكساه الله تعالى الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطم والمثرب فصار مع الملائكة (وان الذين اختلفوا فيه) أى فى شأن عيسى (لنى شك منه) أى من قتله (المهم به) أى بقتله (من علم الاتباع الظن) أى لكنهم يتبعون الظن فان فسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه الناس فالاستثناء متصل أى لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فليس هذا المقتول بعيسى وقال آخرون بل هو هو وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى (وما قتلوه يقينا) أى قتلا يقينا كما قالوا انا قتلنا المسيح (بل رفعه الله اليه) أى الى موضع لا يجرى فيه حكم غير الله تعالى ولا يصل اليه حكم آدمى وذلك الموضع هو السماء الثالثة (وكان الله عززنا) أى كامل القدرة (حكيم) أى كامل العلم فرفع عيسى من الارض الى السماء لا تعذر فيه بالنسبة الى قدرة الله تعالى وحكمته (وان من أهل الكتاب الا يؤمنون به قبل موته) أى وما من اليهود والنصارى أحد الا يؤمنون بعيسى قبل أن ترهق روحه بأه عبدا لله ورسوله فلا ينفعه ايمان لا نقطاع وقت التكليف كما نقل عن محمد بن علي بن أبي طالب من الخليفة أن اليهود اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجوههم وبره وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذب به فيقول آمنت بأنه عبدا لله ورسوله ويقال للنصارى أتاك عيسى نبيا فزعمت انه هو الله وابن الله فيقول آمنت انه عبدا لله وابنه فاهل الكتاب

يؤمنون به ولكن لا ينفعهم ذلك الايمان (ويوم القيامة يكون) أى عيسى عليه السلام (عليهم) أى أهل  
الكتاب (شهادة) فيشهد على اليهود انهم كذبوه ووطعنوا فيه وعلى النصارى انهم أشركوا به وكل نبي  
شاهد على أمته (فبظلم من الذين هادوا) أى فبسبب ظلم عظيم من الذين تابوا من عبادة العجل (حرمتنا  
عليهم طيبات أحلت لهم) فان اليهود كانوا كلما فعلوا معصية من المعاصي يحرم عليهم نوع من الطيبات  
التي كانت محللة لهم ولمن قبلهم عقوبة لهم (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) أى وبنحهم عن دين الله  
ناسا كثيرا (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا (وأكلهم أموال  
الناس بالباطل) أى بطريق الرشوة (وأعتدنا للكافرين منهم) أى هياتنا للكافرين على الكفر من  
اليهود (عذابا أليما) سيدوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون في العلم  
منهم) أى لكن المتكثرون في علم التوراة من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون)  
منهم ومن المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر  
الانبياء من الكتب (والقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) أى وأعني القيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة  
فالقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وجاء في مصنف عبد الله بن مسعود والمقيمون الصلاة بالواو  
وهي قراءة مالك بن دينار والخدري وعيسى الثقفي وابن جبير وعاصم عن الاعمش وعمر بن عبيد  
(والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قال أبو السعود والمراد بالكل مؤمنوا أهل الكتاب (أولئك) أى  
المتصفون بتلك الصفات الجميلة من أهل الكتاب (سنؤتيهم أجرا عظيما) وجملة هذه خبر اسم الإشارة  
والجملة من المبتدأ والخبر خبر قوله تعالى والراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيده الوعد (أنا وأوحينا  
اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) أى بعد نوح (و) كما (أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل  
واسحق) ابني إبراهيم (ويعقوب) ابن اسحق (والاسباط) أى أولاد يعقوب الاثني عشر فمنهم  
يوسف نبي رسول باتفاق وفي البقية خلاف (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أى  
وكما أعطينا آباء (داود ذبورا) وكان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم  
ومواعظ وتسميح وتقديس وتحميد وتمجيد وثناء على الله تعالى وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية  
فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس  
والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيمقن بين يديه وترفرق الطيور على رؤس الناس  
وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها قلما قارف الخطيئة زال عنه ذلك (و) كما أرسلنا (رسلا قد  
قصصناهم عليك) أى بهيئناهم لك في القرآن وعرفناك أخبارهم وما حصل لهم من قومهم (من قبل) أى  
من قبل هذه السورة وهذه الآية أو قبل هذا اليوم (ورسلناهم عليهم) أى لم نهمهم لك ولم نعرفك  
أخبارهم والمعنى أنا وأوحينا اليك إياهم مثل ما أوحينا إلى نوح ومثل ما أوحينا إلى إبراهيم ومن بعده  
وآتيناك الفرقان آيتا مثل ما آتينا داود ذبوراً وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلنا آخرين  
لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايمان وأصل الارسل في الكفرة يسألونك شيئا  
يعطيه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام (وكلم الله موسى تكليما) أى كلم على التدريج شيئا فشيئا  
بحسب المصالح بغير واسطة ملك أى أزال الله تعالى عنه الحجاب حتى سمع المعنى القاصم بذاته تعالى لأنه تعالى  
أحدث ذلك لأنه تعالى يتكلم أبدا والمعنى انه تعالى يعث هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام  
بالتكلم معه ولم يلزم من تخصيص موسى بهذا التشريف الطعن في نبوة سائر الانبياء عليهم السلام



فكذلك لم يلزم من تخصيص موسى بانزال التوراة عليه دفعة واحدة طعن فيمن أنزل الله عليه الكتاب متفرقا وقد فضل الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بإعطائه مثل ما أعطى كل واحد منهم وقرأ إبراهيم ويحيى بن وثاب وكلم الله بالنصب (رسلا) منصوب على المدح أو باضمار أرسلنا أو على الحال الموطئة لها بعدها أو على البدلية من رسلا الأول (مبشرين) لاهل الطاعة بالجنة (ومنذرين) للعصاة بالنار (لئلا يكون للناس على الله حجة) أي معذرة يعتذرون بها (بعد الرسل) أي بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يصحج الناس يوم القيامة على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا لم ترسل إلينا رسولا ولم تنزل علينا كتابا فان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل وان قبول المعذرة عنده تعالى يقتضي كرمه ورحمته لعباده وهي عزلة الحجة التي لا مرد لها وله تعالى أن يفعل ما يشاء كيف يشاء (وكان الله عزيزا) لا يغالب في أمر من أموره (حكيم) في أفعاله فاختلف الكتب في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والأحكام اغماها وتفاوت طبقات الأمم في الأحوال التي عليها يدور فلاك التكليف فكلفهم الله بما يليق بشأنهم (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) بتخفيف النون ورفع الجلالة وبالبناء للفاعل أي لكن الله يشهدك بحقيقة ما أنزل اليك من القرآن الناطق بنبوته روى انه لما أنزل قوله تعالى انا وأوحينا اليك قال اليهود نحن لانشهدك بذلك فنزل لكن الله يشهد والمعنى أن اليهود وان شهدوا بأن القرآن لم ينزل عليك يا محمد من السماء لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله اغما عرفت بسبب انه أنزل عليه صلى الله عليه وسلم هذا القرآن البالغ في الفصاحة في اللفظ والشرف في المعنى الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته فكان ذلك معجزا واطهارا للمعزة شهادة بكون المدعي بالرسالة صادقا ولما كانت شهادته تعالى عرفت بواسطة انزال القرآن فقال لكن الله يشهد بما أنزل اليك أي يشهدك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي أنزله اليك (أنزله بعلمه) بأنه في غاية الحسن ونهاية السكال وهذا مثل ما يقال في الرجل المشهور بكال الفضل والعلم اذا صنف كتابا واستقصى في تحريره انه اغما صنف هذا بكال علمه وفضله أي انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيف هذا الكتاب فيدل ذلك القول على وصف ذلك التصنيف بغاية الجودة ونهاية الحسن فكذا ههنا (والملائكة يشهدون) بصدقه واغما تعرف شهادة الملائكة له صلى الله عليه وسلم بذلك لان ظهور المعجز على يده صلى الله عليه وسلم يدل على انه تعالى شهد له بالنبوة واذا شهد الله له بذلك فقد شهدت الملائكة بذلك بلا شك لانه ثبت في القرآن انهم لا يسبقونه تعالى بالقول والمعنى يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله تعالى وهو اله العالمين يصدقك في ذلك وملائكة السموات السبع والعرش والكسبي يصدقونك في ذلك ومن صدقه الله والملائكة أجمعون لم يلتفت الى تكذيب أخس الناس (وكفى بالله شهيدا) على حجة نبوته وان لم يشهد غيره (ان الذين كفروا) بما أنزل الله وشهد به (وصدوا عن سبيل الله) أي دين الاسلام من أراد سلوكه وهم اليهود حيث قالوا ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقالوا لو كان رسولا لاتي بكتاب دفعة واحدة من السماء وقالوا ان الله ذكر في التوراة أن شر يعقبة موسى لا تنسخ الى يوم القيامة وقالوا ان الانبياء لا يكونون الا من ولد هرون وداود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق والصواب لان أشد الناس ضلالا من كان ضالا ويعتقد في نفسه انه محق ثم يتوسل بذلك الضلال الى كتساب المال والجاه ثم يبذل غاية في طاقته في القاء غيره في مثل ذلك الضلال (ان الذين كفروا وظلموا) محمد ابكتهم ذكر بعثته وعوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم وما قوا على الشرك (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) الى الجنة يوم القيامة (الاطريق

جهنم خالدين فيها أيدوا وكان ذلك) أي جعلهم خالدين في جهنم (على الله يسيرا) أي لا يهتد عليه شيء  
 فكان إيصال الالم اليهم شيئا بعد شيء إلى غير النهاية يسيرا عليه وان كان معتذرا على غيره (يا أيها  
 الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أي يا أهل مكة قد جاءكم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن  
 أو متكلما بالدعوة إلى عبادة الله والاعراض عن غيره من عند ربكم (فآمنوا خير لكم) أي فآمنوا  
 بالرسول يكن ذلك الايمان خيرا لكم بما أنتم فيه أي يكن أحمد عاقبة من الكفر (وان تكفروا فان الله  
 مافي السموات والارض) أي وان تكفروا بالرسول فان الله غني عن إيمانكم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع  
 بإيمانكم لانه مالك السموات والارض وخالقهما ومن كان كذلك كان قادرا على أنزال العذاب الشديد  
 عليكم لو كفرتم أو فن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادو لامره وحكمه أو فن كان لم يكن محتاجا  
 إلى شيء (وكان الله عليما) لا يخفى عليه من أعمال عباده المؤمنين والكافرين شيء (حكيم) لا يضيع  
 عمل عامل منهم ولا يسوي بين المؤمن والكافر والمحسن والمسيئ (يا أهل الكتاب) أي الانجيل من  
 النصراني (لا تغلوا في دينكم) أي لا تبالغوا في تعظيم عيسى فانه ليس بحق كما أن اليهود بالغوا في  
 طعنه حيث قالوا انه ابن زانية وكلا طرفي قصدهم ذميم (ولا تقولوا على الله الا الحق) أي لا تصفوه بما  
 يستحيل اتصافه تعالى به من الاتحاد والخلول في بدن الانسان أو روحه واتخاذ الزوجة والولد بل زهوه  
 عن هذه الاحوال فان نصراني أهل نجران أربعة أنواع ملكانية وهم الذين قاوا عيسى والرب شريكان  
 ومرقسية وهم الذين قالوا ثلثة ومار يعقوبية وهم الذين قالوا عيسى هو الله ونسطورية وهم الذين  
 قالوا عيسى بن الله فانزل الله فيهم هذه الآيات (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله) فالمسيح مبتدا  
 وعيسى بدل منه أو عطف بيان له وابن مريم صفة له ورسول الله خبر المبتدا (وكلمته) أي مكنون بأمره  
 من غير واسطة أب ولا نطفة (ألقاها إلى مريم) أي أوصل الكلمة اليها بنفخ جبريل (وروح منه)  
 أي وروح صادر من أمر الله فصار ولدا بلا أب وقد جرت عادة الناس أنهم اذا وصفوا شيئا بغاية الطهارة  
 والنظافة قاوا أنه روح فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وانما يتكون من نفخة جبريل وصف  
 بأنه روح وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لروح أي كائنة من عند الله وجعلت منه تعالى وان  
 كانت بنفخ جبريل لكون النفخ بأمره تعالى ومن ابتدائية لا كما زعمت النصراني من أنها تبعية ضيقة  
 أن طيبيا حاذقا نصرانيا جاء للرشيد فناظر على بن الحسين المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابهم ما يدل  
 على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية فقرأ المروزي ومخبركم مافي السموات وما في الارض جميعا منه  
 فقال اذا يلزم أن يكون جميع تلك الاشياء جزء منه تعالى فانقطع النصراني فأسلم وفرح الرشيد فرحاشدا  
 وأعطى للمروزي عطاء عظيما (فآمنوا بالله) واعتقدوا الوهيته وحده (ورسله) أجمعين وصفوهم  
 بالرسالة ولا تصفوا واحدا منهم بالالوهية (ولا تقولوا ثلثة) أي الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم ولا تقولوا  
 ان الله واحد بالجواهر ثلثة بالاقانيم (انتهوا خير لكم) أي انتهوا عن مقاتلتكم بالثبوت يكن ذلك  
 الانتهاء خير لكم (انما الله اله واحد) أي منفرد في الوهيته (سبحانه أن يكون له ولد) أي أسبحه  
 تسبيحا من أن يكون له ولد أو سجدوا تسبيحا من ذلك وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع الفعل أي  
 سبحانه ما يكون له ولد (له مافي السموات وما في الارض) فمن كان ماله كالهما وما فيهما ما كان ماله كالهما  
 لعيسى ومريم واذا كانا لم يكن له فكيف يتوهم كونهم له ولدا وزوجة (وكفى بالله وكيل) أي ربا  
 للخلق فانه كاف في تدبير المخلوقات وفي حفظ المحدثات فلا حاجة معه إلى اثبات اله آثم (لن يستنكف

المسيح أن يكون عبدا لله) أي لن يترفع عن أن يكون عبدا لله تعالى أي مقرا بالعبودية لله مستقرا على  
 عبادته وطاعته روى أن وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول أنه عبد الله فقال النبي صلى  
 الله عليه وسلم إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف المسيح أن يكون  
 عبدا لله وقرأ على بن أبي طالب رضي الله عنه عبدا لله بصيغة التصغير (ولا الملائكة المقربون) أي  
 ولا يستنكف الملائكة المقربون كحاملة العرش أن يقروا بالعبودية لله أي لن يستنكف المسيح عن  
 عبادة الله تعالى بسبب أنه قادر على الاتيان بخوارق العادات من الاحياء والابرار وعالم بالمغيبات مخبر عنها  
 وتمتاز عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالرفع الى السماء فان الملائكة المقربين أعلى حالا منه في  
 العلم بالمغيبات لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وأعلى حالا منه في القدرة لان أربعة منهم حملوا العرش  
 على عظمتهم وأنهم مخلوقون من غير أب وأم ومقارهم السموات العلى ولا خلاف لاحد في علو درجتهم من  
 هذه الحالات وانما الخلاف في علو هاهنا حيث كثرة الثواب على الطاعات ثم ان الملائكة مع كمال حالهم في  
 العلوم والقدرة لن يستنكفوا عن عبودية الله فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر  
 القليل الذي كان معه من العلم والقدرة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا)  
 أي ومن يترفع عن طاعته تعالى ويعد نفسه كبيرا أي يعتقدها كذلك فان الله يجمع المترفعين والمعتقدين  
 أنفسهم كبيرة ومقابلهم وهم غيرهم اليه تعالى يوم القيامة حيث لا يعلو كون لانفسهم شيئا فيجازيهم  
 (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهما أجورهم) من غير أن ينقص من هاهنا شيئا أصلا (ويرى يدهم  
 من فضله) بتضعيفها ضعافا كثيرة وباعطائها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أي  
 على وجه التفصيل وانما يخطر نعم الجنان على قلوبنا وتسجعه من السنة على وجه الاجمال (وأما الذين  
 استنكفوا) عن عبادته تعالى (واستكبروا) أي عدوا أنفسهم كبيرة (فيعذبهم عذابا أليما)  
 بما وجدوا من لذة الترفع والتكبر (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) يلي مصالحهم (ولا نصيرا)  
 ينجيهم من عذاب الله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان) أي رسول (من ربكم) وهو محمد صلى الله  
 عليه وسلم وانما سمى برهانا لان حرقته اقامة البرهان على تحقيق الحق وابطال الباطل (وأزلنا اليكم  
 نورا مبينا) أي نيرا بنفسه من نور الغيرة وهو القرآن وذلك بواسطة ازاله على الرسول وسماء نورا لانه  
 سبب لوقوع نور الايمان في القلب أي فقه من آمن ومنهم من كفر (فأما الذين آمنوا بالله) في ذاته  
 وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه (واعتمدوا به) أي بالله في أن يثبتهم على الايمان ويصونهم عن  
 نزغ الشيطان (فسيدخلهم في رحمة منه) وهي الجنة ومنفعتا (وفضل) أي احسان زائد كالتنظر  
 الى وجهه الكريم والتعظيم وغير ذلك من مواهب الجنة (ويهديهم الى صراطا مستقيما) وهو الاسلام  
 والطاعة والسعادة الى وحانية الجار والمجور وفي محل نصب حال من صراطا والضمير المحرور عائد على الله  
 بتقدير مضاف أي الى ثوابه (يستفتونك) أي يسألونك يا محمد عن الكلالة روى الشيخان عن جابر بن  
 عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فانمى على فتوضأ  
 النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فأفقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله  
 كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يرد على شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك الآيات  
 وروى الطبري عن قتادة أن الصحابة أهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل  
 الله هذه الآيات (قل الله يفتيكم في الكلالة) وهو اسم يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على

الأورث فهو من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو الذي مات ولا يرثه أحد من الوالدين ولا أحد من الأولاد (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) أى ان مات امرؤ غير ذى ولد والدوله أخت شقيقة أو من الأب فلاخت نصف ما ترك بالفرض والباقي للعصبة أولها بالردان لم يكن له عصبة (وهو) أى المرأة الكلانة (يرثها) أى يرث أخته جميع ما تركت ان فرض موتها مع بقائه (ان لم يكن لها ولد) ذكر أو أنثى فان كان لها أوله ولد ذكر فلا شيء له أولها أولد أنثى فله أولها الباقي من نصيبها (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان عما ترك) أى فان كان من يرث بالاخوة أختان شقيقتان أو من أب فصاعدا فلهما ولا كثر الثلثان عما ترك الميت من المال (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) أى وان كان من يرث بطريق الاخوة أخوة مختلطة رجالا أشقاء أو من أب ونساء شقيقات أو لأب فللذكر منهم مثل نصيب الأنثيين يقتسمون التركة على طريق تقسيم العصب (يبين الله لكم) قسمة الميراث (أن تضلوا) أى لكيلا تخطئوا في قسمة الميراث وقيل المعنى بين الله ضلالكم لتعلموا أن غير هذا البيان ضلال فتجنبوه (والله بكل شئ) من الأشياء المتعلقة بحكمكم وعما تكم (عليم) أى مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم

### سورة المائدة مدنية مائة وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وهي جميع ما ألزمه الله تعالى عباده من التكليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ديناً (أحل لكم بهيمة الأنعام) أى أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وقيل المعنى أحلت لكم ما عائل الأنعام ويدانها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب وذلك كالظباء وبقر الوحش ونحوهما من صيد البرية كحمر الوحش فأضيفت البهيمة الى الأنعام لحصول المشابهة أى أحلت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام وقيل المعنى أحلت لكم أجنة الأنعام وهذان القولان مرويان عن ابن عباس وهذا الثالث مروى أيضاً عن ابن عمر وهذا الوجه يدل على صحة مذهب الشافعي في أن الجنسين مذكى بذكاة الام (الاما يتلى عليكم) في هذه السورة (غير محلى الصيد وأنتم حرم) أى الا ان كانت الأنعام ميتة أو موقوفة أو متردية أو نطيحة أو افترسها السبع أو ذبحت على غير اسم الله فهي محرمة والا أن تحلوا الصيد في حال احرامكم أو في حال كونكم في الحرام فانه لا يحل لكم ذلك (ان الله يحكم ما يريد) من التحليل وغيره لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه فوجب التكليف والحكم هو ارادته لا مراعاة المصالح (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغضون فضلاً من ربهم ورضواناً) أى يا أيها الذين آمنوا أقرروا بالايمن لا تحلوا معالم دين الله أى لا تنهوا نواشياً من فرائضه تعالى ولا تحلوا الشهر الحرام ذال القعدة وذال الحجة والمحرم ورجب بالقتال فيه والغارة قال أبو السعود والمراد بالشهر الحرام شهر الحج وقال عكرمة هو ذوالقعدة واختار ابن جرير أنه رجب لانه أكل الأشهر الأربعة ولا تحلوا الهدى بالغصب أو بالنزع عن بلوغ محله وهو ما أهدى الى بيت الله من ابل أو بقر أو شاة ولا تحلوا ذوات القلائد من الهدى وهو البدن ولا تحلوا قوماً قاصدين زيارة المسجد الحرام بصددهم عن ذلك بأى وجهه كان وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام بالاضافة حال كونهم مبتغين فضلاً من ربهم بالتجارة المباحة والمعنى

طالبين ثوابا من ربهم ورضوانا وقرأ حميد بن قيس الاعرج تبتغون بالناء على خطاب المؤمنين فالجملة  
حينئذ حال من الضمير في لا تحلوا واضافة الى ب الى ضمير الامين للاشارة الى اقتصار التشريف عليهم  
(واذا حلتهم فاصطادوا) والامر للاباحة أي واذا خرجتم من الاحرام والحرم فلا جناح عليكم في  
اصطياد حيوان البرية (ولا يجرم منكم شئ ان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) أي  
ولا يحملنكم بعضكم لقوم من أهل مكة بمنعهم اياكم عن المسجد الحرام أي عن العمرة عام الحديبية على  
ظلمكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي من البغض وقرأ أبو هرير وابن كثير ان صدوكم بكسر الهمزة على أنه  
شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرم منكم والمعنى ان وقع صد مثل ذلك الصد الذي وقع عام الحديبية  
وهي سنة ست على أن نزول هذه الآية عام الفتح وهو سنة ثمان غير مجمع عليه (وتعاونوا على البر  
والتقوى) أي على متابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم) أي المعصية للتشفي  
(والعدوان) أي التعدي في حدود الله للانتقام (واتقوا الله) في جميع الامور ولا تستحلوا شيئا من  
محارمه (ان الله شديد العقاب) لمن لا يتقيه فلا يطيق أحد عقابه (حرمت عليكم الميتة) أي حرم  
عليكم كل ما فارقته الروح من غير ذبح شرعي وكان أهل الجاهلية يقولون انكم تأكلون ما قتلتم  
ولأنكم كلون ما قتل الله واعلم أن تحريم الميتة موافق لما في العقول لان الدم جوهر لطيف جدا فإذ مات  
الحيوان حثف أنفه احتبس الدم في عروقه ووقف عن فساد وحصل من أكله مضار عظيمة (والدم) أي  
السائل منه فخرج الكبدر الطحال وكان أهل الجاهلية يملئون الامعاء من الدم بصبه فيها ويشوونه  
ويطعمونه الضيف (ولحم الخنزير) قال أهل العلم الغذاء يصير جزأ من جوهر المغتذى فلا بد ان  
يحصل للغتذى أخلاق وصفات من جنس ما كان ماصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم  
ورغبة شديدة في المشتبهات لحرم أكله على الانسان لثلاث تكيف بتلك الكيفية ولذلك أن الفرخ لما  
واظبوا على أكل لحم الخنزير أو رثهم الحرس العظيم والرغبة الشديدة في المشتبهات وأورثهم عدم  
الغيرة فان الخنزير يرى الذكرا من الخنازير ينزوع على الانثى التي هي له ولا يتعرض له لعدم الغيرة  
وأما الشاة فانها حيوان في غاية السلامة فكانها ذات عارية عن جميع الاخلاق فلذلك لا يحصل للانسان  
بسبب أكل لحمها كيفية أجنبية عن أحوال الانسان (وما أهل لغير الله به) أي وما رفع الصوت لغير الله  
عند ذبحه وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى (والمخنقة) أي التي ماتت بانعصار الحلق  
فالمخنقة على وجوه منها أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة فإذ ماتت أكلوها ومنها ما يخنق بحبل  
الصائد ومنها ما يدخل رأسها بين عودين في شجرة فتختنق وتموت (والموقودة) أي المضراوبة الى أن  
ماتت ويدخل في الموقودة ما رمى بالبندق فمات وهي في معنى الميتة وفي معنى المخنقة لانها ماتت ولم يسلم  
دمها (والمتردية) أي الساقطة من علو الى سفلى فماتت ويدخل فيها ما إذا أصابه سهم وهو في الجبل  
فسقط عن الارض فانه يحرم أكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم ولورحمي سيدا في الهواء بسهم  
فأصابه فان سقط على الارض ومات حل لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على شجرة  
أو جبل ثم تردى منه فمات لم يحل لانه من المتردية الا أن يكون السهم ذبحه في الهواء فيحل كيفما وقع لان  
الذبح قد حصل قبل التردية (والنطيحة) أي التي ماتت بنطح شاة أخرى وانما دخلت الهاء في النطيحة  
لانها صفة لمؤنث غير مذكور وهو الشاة كما تقول رأيت قتيلة بني فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء  
لم يعرف المقتول أرجل هو أم امرأة بخلاف ما إذا ذكر الموصوف فانه تحذف الهاء حينئذ كقولهم كف

خضيب ولحية دهن وعين كحيل وخصت الشاة لانها من أعم ما يأكله الناس والكلام عيشى على الاغلب  
ويكون المراد الكل (وما أكل السبع) منه فئات وهي فريسة السبع قال قتادة كان أهل الجاهلية  
إذا جرح السبع شيئاً فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي لحرمه الله تعالى (الاماذكيتيم) أى الاما  
أدركتم ذلك كانه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء الخمسة وذلك بحيث يتحرك بالاختيار والا  
فلا يحل بتذكية لان موته حينئذ يحال على السبب المتقدم على التذكية من الخنق وأكل السبع  
وغيرهما (وما ذبح على النصب) أى على اعتقاد تعظيم النصب وقال ابن جرير النصب ليس بأصنام فان  
الاصنام أبحار مصورة منة وشاة وهذه النصب أحجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها  
للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويضعون اللحم عليها ويعدون ذلك الذبح قربة فقال المسلمون  
يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه وكان النبي صلى الله عليه  
وسلم لم يذكره فأنزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها (وأن تستقسموا بالازلام) أى وحرم عليكم  
طلب معرفة ما قسم لكم من الخير والشرب بواسطة ضرب القداح بذلك أنهم إذا قصدوا سفراً أو غزوا أو تجارة  
أو نسكاً أو أمراً آخر من معاطم الامور ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمر في ربي وعلى الثانى  
نهاني ربي والثالث خال عن الكتابة فان خرج الامر أقدم على الفعل وان خرج النهى أمسك وان خرج  
الغفل أعاد العمل مرة أخرى (ذلكم) أى الاستقسام بالازلام (فسق) أى خروج عن الطاعة  
لانه طلب لمعرفة الغيب وذلك حرام وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من  
تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة وذلك  
ضلال باعتقاده طريق الى الدخول في علم الغيب واقتراء على الله تعالى ان كان مرادهم بربى هو الله تعالى  
وقال قوم آخرون انهم كانوا يحملون تلك الازلام عند الاصنام ويعتقدون أن ما يخرج من الامر والنهى  
على تلك الازلام فبارشاد الاصنام واعانتهم فلهذا السبب كان ذلك فسقاً أى شركاً وجهالة وهذا القول  
أولى وأقرب كما قاله الفهر (اليوم يشس الذين كفروا من دينكم) أى هذا الزمان انقطع رجاء كفر  
مكة من ابطال أمر دينكم (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا المشركين في خلافكم اياهم في الشرائع  
والاديان فاني أنعمت عليكم بالدولة القاهرة والقوة العظيمة وصاروا مقهورين لكم ذليلاً عنكم  
(وأخشون) أى ومخضوا والخشية وحدي في ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه (اليوم أكملت  
لكم دينكم) بالنصر والاطهار على الاديان كلها والحكم ببقائه الى يوم القيامة (وأتممت عليكم  
نعمتي) بفتح مكة ودحوها آمنين وبانفراد المسلمين بالبلد الحرام واجلاء المشركين عنه حتى حج المسلمون  
لا يخالطهم المشركون (ورضيت لكم الاسلام ديناً) أى اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين  
المرضى عند الله تعالى لا غير (فن اضطر) الى تناول شيء من هذه المحرمات (في محضه) أى جماعة  
يخاف معها الموت (غير متجانف لاثم) أى غير متعمد لاثم بان يأكلها فوق الشيع تلذذاً كما قاله  
أهل العراق أو بان يكون عاصياً بسفره كما قاله أهل الخجاز (فان الله غفور) لمن أكل المحرم عندما اضطر  
الى أكله (رحيم) بعباده حيث أحل لهم ذلك المحرم عند اجتياهم الى أكله (يسألونك ماذا أحل  
لهم) من الصيد والساكنون طاهرين عدى وسعدى بن خيثمة وعوى بن ساعدة كذا قاله عكرمة كما  
أخرج ابن جرير وقال ابن عباس والسائل بذلك زيد بن مهلهل الطائي وعدي بن حاتم الطائي وكانا  
صيادين وكذا قال سعيد بن جبيرة أخرجه ابن أبي حاتم (قل أحل لكم الطيبات) وهو أى كل ما يشتهى



عند أهل المروءة والخلق الجميلة ما لم تستحبش الطباع السليمة ولم تنفر عنه مما لم يرد نص بتحريمه من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) أى وأحل لكم صيد ما علمتموه من الدكواصب من سباع البهائم والطيور كالكلب والبالذ (مكبين) أى مهلين الجوارح الصيد (تعلمونهن) حال ثابته من ضمير علمتم والمقصود من التكرار المبالغة في اشتراط التعليم وإن يكون من يعلم الجوارح نحرير أفعاله موصوفاً بالتأديب (عما علمكم الله) من طرق التعليم ومن الخيل في الاصطيد (فكلوا مما أمسكن عليكم) أى كلوا بعض ما أمسكنه لكم وهو الذى لم يأكل منه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك فاذا كرام الله فان أدركته ولم يقتل فاذا ببح واذكر اسم الله عليه وإن أدركته وقد قتل ولم يؤكل فكل فقد أمسك عليك وإن رجده قدأكل فلا تطعم منه شيئاً فأنما أمسك على نفسه (واذكروا اسم الله عليه) أى وهو على ما علمتم من الجوارح عند إرساله على الصيد كما قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل أو هو على ما أمسكن عند ذبحه وقيل المعنى مما على أى كل الصيد \* روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن أبي سلمة ميم الله وكل مما يليك (واتقوا الله) أى واحذروا مخالفة أمر الله في تحليل ما أحله وتحريم ما حرمه (إن الله سريع الحساب) فإنه تعالى يؤخذكم سريعاً في كل ما حل وودق (اليوم أحل لكم الطيبات) أى المستلذات المشتهيات لأهل المروءة والخلق الجميلة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فيحل لنا أكل ذبائحهم من عسكوا بالتوراة والانجيل إذا حلت المناكحة بينهم فحل الذبيحة تابع لحل المناكحة ولو ذبح يهودى أو نصرانى على اسم غير الله تعالى كالنصرانى يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته بخلاف من عسكوا بغير التوراة والانجيل كصنف إبراهيم فلا تحل ذبائحهم واتفق العلماء على أن الجوس قدس بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وروى عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم من الجوسى أن يذكر الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحفة فلا بأس (وطعامكم حل لكم) فيحل لكم أن تطعموههم من طعامكم وتبيعوه منهم (والمحصنات) أى الحرائر العفائف (من المؤمنات) أى حل لكم وذكركم عن العمل على ما هو الأولى لأننى ما عداهن فإن نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف وأما الاماء الكنائيات فهن كالمسلمات عند أبى حنيفة خلافاً للشافعى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى هن حل لكم أيضاً وإن كن حريات قال الكثير من الفقهاء اغياحل نكاح الكنائية التي دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن فن دان ذلك الكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم الكتاب وهذا مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وأما أهل المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل أطلقوا القول بحل أكل ذبائح أهل الكتاب وحل التزوج من نسائهم ولو دخلوا في دين أهل الكتاب بعد نسختهم (إذا آتيتهم من أجورهن) وتقييد التحليل بإعطاء المهور يدل على تأكد وجوبها وعلى أن الأكل بيانها لا هو شرط لصحة العقد إذ لا تتوقف على دفع المهر ولا على التزامه ومن تزوج امرأه وعزم على أن لا يعطيها صداقها كان في صورة الزانى وتسهمية المهر بالاجر يدل على أن أقل الصداق لا يتقدر كما أن أقل الاجر لا يتقدر في الاجارات (محصنين) أى متزوجين (غير مسالحين) أى غير معلمين بالزنا (ولا متخذي أخدان) أى ولا مسريرين بالزنا بمن لها حل (ومن يكفر بالآب ان فقد حبس عمله) أى ومن يكفر بشرائع الله وبسكاليفه فقد بطل ثواب عمله الصالح سواء عاد الى الاسلام أولاً (وهو فى

الآخرة من الخاسرين) اذالم يعد الى الايمان بما نزل في القرآن حتى يموت على الكفر اما اذا عاد الى  
 الايمان بذلك قبل الموت فان عمله لا يبطل فلا يجب اعادة صلاة وجمعة قد اتاهما قبل الرد (يا أيها الذين  
 آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أي اذا أردتم الاشتغال باقامة الصلاة وأنتم على غير وضوء (فاغسلوا  
 وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فان صب الماء على المرفق حتى سال الماء الى الكف فلا يجوز لانه  
 تعالى جعل المرافق غاية الغسل لجعله مبدأ الغسل خلاف الآية كذا قال بعضهم وقال جمهور الفقهاء ان  
 ذلك لا يبطل بصحة الوضوء الا أنه يكون تركه كاللينة (وامسحوا برؤوسكم) قيل الباء فارقة بين حمل المسح  
 بالكل والبعض كما في قولك مسحت المنديل ومسحت يدي بالمنديل فقولك مسحت المنديل لا يصدق  
 الا عند مسحه بالكلية وقولك مسحت بالمنديل يكفي في صدقه مسح اليدين بجزء من أجزاء ذلك المنديل  
 وتحقيق هذه الباء انها تدل على تضمين الفعل معنى الالتصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك  
 لا يقتضي الاستيعاب (وأرجلكم الى الكعبين) قرأ ابن كثير وحزرة وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي  
 بكر عنه بالجرو قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب اما القراءة بالجرف فهي معطوفة على  
 الرأس فكما يجب المسح في الرأس كذلك في الأرجل وانما عطف الأرجل على الرأس على المسح للتنبيه على  
 الاسراف في استعمال الماء فيها لانها موضع صب الماء كثيرا والمراد غسلها أو مجرورة بحرف جر محذوف  
 متعلق بفعل محذوف تقديره وافعلوا بأرجلكم غسلها لا وحذف حرف الجر وابقاء الجر جائز ولا يجوز وهذا  
 الكسر على الجواز على أنه منصوب في المعنى عطف على المغسول لانه معدود في اللحن الذي قد يحمل  
 لاجل الضرورة في الشعر ويجب تنزيه كلام الله عنه ولانه يرجع اليه عند حصول الامن من الالتباس  
 كما في قول الشاعر \* كبير اناس في مجاد منزل \* وفي هذه الآية لا يحصل الامن من الالتباس ولانه  
 انما يكون بدون حرف العطف وأما القراءة بالنصب فهي اما معطوفة على الرأس لانه في محل النصب  
 والعطف على الظاهر وعلى المحل جائز كما هو مذهب مشهور للنحاة واما معطوفة على وجوهكم فظهر انه  
 يجوز أن يكون عامل النصب في قوله تعالى وأرجلكم هو قوله تعالى وامسحوا وقوله تعالى فاغسلوا فاذا  
 اجتمع العاملان على معمول واحد كان الاولى افعال الاقرب حتى ان بعضهم لا يجوز ان يكون العامل  
 فاغسلوا لما يلزم عليه من الفصل بين المتعاطفين بمجمله مبينة حكم جديد ليس فيها تأكيذ للاول وليست  
 هي اعتراضية فوجب أن يكون عامل النصب في قوله وأرجلكم هو قوله وامسحوا فتدل هذه الآية على  
 وجوب مسح الأرجل لكن الاخبار الكثيرة زردت بإيجاب الغسل وهو مشتمل على المسح ولا ينعكس  
 فكان الغسل أقرب الى الاحتياط فوجب الرجوع اليه ويجب القطع بان غسل الأرجل يقوم مقام  
 مسحها وأيضا ان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح وهذا جواب  
 لقولهم ولا يجوز دفع وجوب مسح الرجل بالاخبار لانها باسرها من باب الآحاد ونسخ القرآن بخبر الواحد  
 لا يجوز (وان كنتم جنبا فاطهروا) أي فاغتسلوا لحصول الجنابة سيان نزول المني والتقاء الختانين  
 فختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة وشعر المرأة محيطان بثلاثة أشياء ثقبه في أسفل  
 الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبه أخرى فوق هذه مثل أحليل الذكر وهي مخرج  
 البول لا غير وموضع ختانها هو فوق ثقبه البول وهناك جلدة قائمة مثل عرف الديك وقطع هذه الجلدة  
 هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانها ختانه (وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء كجراحة  
 أو جدي (أو على سفر) أي مستقرين عليه (أو جاء أحد منكم من الغائط) أي الموضع الذي

يقضى فيه حاجة الانسان التي لا بد منها (أولاً مستم النساء) بذكراً أو غيره (فلم تجدوا) يا معشر  
المسافرين والمحدثين حدثاً أصغراً أو أكبر (ماء) بعد طلبه (فتيمموا صعيداً طيباً) أى فاقصدوا تراباً  
نظيفاً (فامسحوا بوجوهكم) بالضربة الاولى (وأيديكم) بالضربة الثانية (منه) أى التراب  
(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى ضيق بما فرض عليكم من الطهارة للصلاة (ولكن يريد  
ليظهركم) أى ليظهر قلوبكم عن صفة التردد عن طاعة الله تعالى لأن الكفر والمعاصي نجاسات للارواح  
وذلك لأنه تعالى لما أمر العبد بإيصال الماء الى هذه الاعضاء المخصوصة وكانت طاهرة لم يعرف العبد في  
هذا التكليف فائدة معقولة فلما انتقاد لهذا التكليف كان ذلك الانقياد لمحض اظهار العبودية فأزال هذا  
الانقياد عن قلبه آثار التردد فكان ذلك طهارة (وليتم نعمته عليكم) ببيان كيفية الطهارة وهي نعمة الدين  
بعدد كثر نعمة الدنيا وهي اباحة الطيبات من المطاعم والمناكح أو بالترخص في التيمم والتخفيف في حال  
السفر والمرض فاستدلوا بذلك على انه تعالى يخفف عنكم يوم القيامة بأن يعفو عن ذنوبكم ويتجاوز عن  
سيئاتكم (اعلمكم تشكرون) نعمته (واذكروا نعمة الله عليكم) أى تأملوا في جنس نعم الله عليكم وهو  
اعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات والايصال الى جميع الخيرات في الدنيا  
والآخرة فجنس نعمة الله جنس لا يقدر عليه غير الله ففى كانت النعمة على هذا الوجه كان وجوب الاشتغال  
بشكرها أتم (وميثاقه الذى واثقكم به) بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قلتم سمعنا وأطعنا)  
وهو الميثاق الذى حث بين رسول الله والمسلمين فى أن يكونوا على السمع والطاعة فى المحبوب والمكروه  
مثل مبايعته صلى الله عليه وسلم مع الانصار فى أول الامر ليلة العقبة ومبايعته صلى الله عليه وسلم مع  
عامة المؤمنين ببيعة الرضوان تحت الشجرة فى الحديبية وغيرهما وقال السدى المراد بالميثاق الدلائل  
العقلية والشرعية التى نصبها الله تعالى على التوحيد والشرائع وهو اختيار أكثر المتكلمين (واتقوا  
الله) فى نسيان نعمته ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) فلا تعزموا بقولكم على نقض تلك  
العهد فانه ان خطر ببالكم فانه يعلم ذلك وكفى بالله مجازياً (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله)  
بأن تقوموا لله بالحق فى كل ما يلزمكم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط)  
فلا تشهدوا بأمر مخالف للواقع بل أشهدوا بما فى نفس الامر والتكاليف محصورة فى نوعين تعظيم أمر  
الله والشفقة على خلق الله فقوله تعالى كونوا قوامين إشارة الى النوع الاول وهو حقوق الله وقوله تعالى  
شهداء بالقسط إشارة الى الثانى وهو حقوق الخلق (ولا يجرم منكم شأن قوم على أن لاتعدلوا) أى  
لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم بل اعدلوا فيهم وان أساءوا عليكم  
والمعنى ان الله تعالى أمر جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً الا على سبيل الانصاف وترك الاعتساف  
(اعدلوا) فى عدوكم ووليكم (هو) أى العدل (أقرب للتقوى) أى الى الاتقاء من معاصي الله  
تعالى أو الى الاتقاء من عذاب الله (واتقوا الله) فيما أمركم ونهاكم (ان الله خبير بما تعملون) فلا  
يخفى عليه شئ من أحوالكم فيجازيكم على ذلك (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بالعدل  
والتقوى (لهم مغفرة) أى اسقاط السيئات (وأجر عظيم) وهو إيصال الثواب وجملة قوله لهم مغفرة  
بيان للوعد لا محل لها فكأنه قيل وأى شئ وعده فقال المجيب لهم مغفرة وأجر عظيم (والذين كفروا  
وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى ملازموها وهذه الجملة مستأنفة أتى بها جمعاً بين الترغيب  
والترهيب أيقاء الحق الدعوة بالتبشير والانذار (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم

أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله) أي كونوا موابطين على طاعة الله تعالى  
 ولا تخافوا أحد في إقامة طاعات الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وسبب نزول هذه الآية  
 وجهان الأول أنها نزلت في واقعة عامة وذلك أن المشركين في أول الأمر وهو في ضعف المسلمين يريدون  
 إيقاع البلاء والقتل والنهب بالمسلمين والله تعالى كان يمنعهم عن مطاوعهم إلى أن قوى الإسلام وعظمت  
 شوكة المسلمين الثاني أنها نزلت في واقعة خاصة وفي هذا ثلاثة أوجه \* الأول أنها نزلت في شأن يهود  
 من بني قريظة أو بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى دخلوا  
 عليهم وقد كانوا عاهدوا النبي على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديار فطلب منهم ما لا قرصا لدية  
 رجاءين مسلمين أو معاهدين قتلهم ما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين أو حرييين فقالوا اجلس  
 حتى نطعمك ونعطيك ما تريد ثم هموا بالقتل برسول الله وبأصحابه فجاء عمر وبن جحاش برجي عظيمة  
 ليطرحها عليه صلى الله عليه وسلم بوافقتهم فأمسك الله تعالى يده فنزل جبريل عليه صلى الله عليه وسلم  
 وأخبره بذلك فقام في الحال مع أصحابه وخرجوا إلى المدينة \* والثاني عن قتادة أنها نزلت في قوم من  
 العرب وهم بنو ثعلبة وبنو محارب أرادوا القتال به صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة فأرسلوا إليه أعرابيا  
 ليقتله ببطن نخل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق أصحابه عنه يستظلون في شجرة  
 العضاة وعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء أعرابي وسل سيف رسول الله ثم أقبل عليه  
 وقال يا محمد من يمنعك مني قال صلى الله عليه وسلم الله قالها ثلاثا فأسقطه جبريل من يده فأخذه النبي صلى  
 الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد ثم صاح رسول الله بأصحابه فأخبرهم ولم يعاقبه وفي رواية أن  
 أعرابيا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وعلى هذين القولين فالمراد من قوله تعالى  
 إذ كروا نعمة الله عليكم تذكرة من الله عليهم بدفع الشر عن نبيهم فإنه لو حصل ذلك لكان من أعظم  
 المحن \* والثالث أنها نزلت في شأن المشركين أنهم رأوا رسول الله وأصحابه بعسفان في غزوة ذي أغار  
 وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه صلى الله عليه وسلم وذلك أن المسلمين قاموا إلى صلاة  
 الظهر بالجماعة فلما صلوا ندم المشركون في عدم اكبابهم عليهم وقالوا ليتنا أوقعنا بهم في أثناء صلاتهم  
 فقل لهم إن المسلمين بعد هذه الصلاة صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وآبائهم فهموا بأن يوقعوا بهم إذا  
 قاموا إلى صلاة العصر فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل جبريل بصلاة الخوف (ولقد أخذ الله ميثاق بني  
 إسرائيل) أي أقرارهم أن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئا (وبعشنا منهم اثني عشر نجيبا) وهو  
 المسند إليه أمور القوم وتدبير مصالحهم \* روى ابن بني إسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم  
 الله تعالى بالسير إلى أريحا أرض الشام وقد سكتها الجبارة الكنعانيون وقال لهم اني كتبته لكم دارا  
 فاخرجوا إليها واجاهدوا من فيها واني ناصركم وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا فاختار الله تعالى من  
 كل سبط رجلا ليكون نقيباً لهم وما كما فيهم والنقباء الاثني عشر كما قال ابن المصنف هم شعور وشوق وكالب  
 وبعورك ويوشع ويعلي وكراييل وكدي وعماييل وستور ويحيى وآل ثم ان هؤلاء  
 النقباء بعثوا إلى مدينة الجبارين الذي أمر موسى عليه السلام بالقتال معهم ليقتلوا على أحوالهم  
 ويرجعوا بذلك إلى نبيهم موسى عليه السلام فلما ذهبوا إليهم رأوا أحراراً عظيمة وقوة وشوكة فهابوهم  
 ورجعوا لحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنهكثوا الميثاق الا كالب ويوشع وهما  
 اللذان قال الله تعالى في حقهما قال رجلان من الذين يخافون الآية (وقال الله) هؤلاء النقباء (اني

معكم) بالعلم والقدرة فأسمع كلامكم وأرى أفعالكم وأعلم ضمائركم وأقدر على إيصال الجزاء إليكم  
لئن أقم الصلاة) أى التى فرضت عليكم (وآتيت الزكاة) أى زكاة أموالكم (وآمنتم برسلى) أى  
بجميعهم (وعزرتهم) أى نصرتهم بالسيف على الأعداء (وأقرضتم الله قرضاً حسناً) أى  
صادقاً من قلوبكم والمراد بهذا الاقتراض الصدقات المندوبة وخصها بالذكور تنبيهاً على شرفها وعملوا  
مرتبها (لا كفرن عنكم سيئاتكم) وهذا إشارة إلى إزالة العقاب (ولادخلناكم جنات تجري من  
تحتها الأنهار) وهذا إشارة إلى إيصال الثواب (فمن كفر بعد ذلك) أى بعد أخذ الميثاق (منكم  
فقد ضل سواء السبيل) أى أخطأ الطريق المستقيم الذى هو الدين الذى شرعه الله تعالى لهم (فبما  
نقضهم ميثاقهم لعناهم) أى بسبب نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتل الأنبياء وكتمان صفة محمد  
صلى الله عليه وسلم لعناهم أخرجنهم من رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) أى منصرفه عن الانقياد  
للدلائل وقرأ حمزة والكسائي قسية بغير ألف بعد القاف وتشديد الياء أى رديئة يابسة بلا نور (يحرفون  
الكلام عن مواضعه) يغيرون نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الرجم بعد بيانه في التوراة (ونسوا  
حظاً مما ذكرناه) أى تركوا بعضاً مما أمرناه في كتابهم وهو الإيمان بمحمد صلى الله عليه  
وسلم (ولا تزال) يا أشرف الخلق (تطلع على خائنة منهم) أى تظهر على خيانة صادرة من بنى قريظة  
(الأقبيلا منهم) وهم الذين آمنوا بعبد الله بن سلام وأصحابه وأولئك بقوا على الكفر لكنهم بقوا  
على العهد ولم يخونوا فيه (فأعف عنهم) أى لا تعاقبهم (واصفح) أى أعرض عن صفائر زلاتهم  
ماداموا باقين على العهد (إن الله يحب المحسنين) إلى الناس قال ابن عباس إذا عفوت فأنت محسن  
وإذا كنت محسناً فقد أحبك الله (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) في الإنجيل باتباع محمد  
وبيان صفته وإن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً كما أخذنا الميثاق على بنى إسرائيل اليهود (فنسوا  
حظاً مما ذكرناه) أى تركوا نصيباً عظيماً مما أمرناه في الإنجيل من الإيمان ونقضوا الميثاق  
(فأغرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) أى الصفتين نصارى أهل نجران العداوة بالقتل  
والبغضاء في القلب بعد أن جعلناهم فرقاً أربعة نسطورية والملكانية واليعقوبية والمرقسية فإن بعضهم  
يكفر بعضاً إلى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله) أى يخبرهم في الآخرة (بما كانوا يصنعون) من  
الخلفاء والحياة والسكران فيجازيهم عليه (يا أهل الكتاب) أى يامعشر اليهود والنصارى (قد  
جاءكم رسولنا) محمد أفضل الخلق (يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) أى تسكتون من  
التوراة والإنجيل كنعت محمد وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل (ويعفوا عن كثير)  
أى لا يظهر كثير إرثائهم إذ لم تدع حاجة دينية إلى إظهاره (قد جاءكم من الله نور) أى رسول وهو  
محمد صلى الله عليه وسلم (وكتاب مبين) وهو القرآن لما فيه إبانة ما خفي على الناس من الحق (يهدى  
به) أى بذلك الكتاب (الله من اتبع رضوانه) وهو من كان مطلوبه من طلب الدين اتباع الدين الذى  
يرضيه الله تعالى (سبل السلام) أى إلى طرق السلامة من العذاب وهو دين الإسلام وهذا منصوب  
بنزع الخافض لأن يهدى يتعدى إلى الثانى بالي أو باللام (ويخرجهم من الظلمات) أى ظلمات فنون  
الكفر (إلى النور) أى نور الإيمان (بإذنه) أى بتوفيقه والباء متعلق باتباع ولا يجوز أن تتعلق  
بيهدى ولا يخرج إذ لا معنى لها حيث قد قلت الآية على أنه لا يتبع رضوان الله إلا من أراد الله منه ذلك  
(ويهديهم إلى صراط مستقيم) أى يشبثهم على ذلك الدين بعد إجابة دعوة الرسول (لقد كفر الذين قالوا)

وهم نصارى نجران (ان الله هو المسيح ابن مريم) وهذه المقالة لليعقوبية فانهم قالوا ان الله قد يحل في بدن  
 انسان معين أو في روحه وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكنه مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا اتصاف  
 عيسى بصفات الخاصة أي بأنه يخلق ويحيي ويميت ويدير أمر العالم (قل) لهم يا أكرم الخلق (فمن يملك  
 من الله شيئاً) أي فمن الذي يقدر على دفع شيء من أفعال الله تعالى ومنع شيء من مراده (ان أرادهم لك المسيح  
 ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) أي ان عيسى غاثل لمن في الأرض في الصورة والخلق والجسمية  
 والتركيب وتغيير الصفات والاحوال فلما سلمتم كونه تعالى خالق الكل مدبر الكل وجب أن يكون أيضاً  
 خالق العيسى (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما مما يخلق ما يشاء) فتارة يخلق من غير أصل تخلق  
 السموات والأرض وتارة أخرى يخلق من أصل تخلق ما بينهما ما فينشي من أصل ليس من جنسه تخلق آدم  
 وكثير من الحيوانات ومن أصل من جنسه اما من ذكر وحده تخلق حواء ومن أنثى وحدها تخلق عيسى  
 عليه السلام أو منهما تخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات تخلق عامة المخلوقات وقد  
 يخلق بتوسط مخلوق آخر تخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له وكأحياء الموتى وإبراهيم  
 والأبرص على يده أيضاً فيجب أن ينسب كله اليه تعالى لا إلى من أجرى ذلك على يده (والله على كل شيء  
 قدير) وازهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة (وقالت اليهود) أي يهود أهل المدينة  
 (والنصارى) أي نصارى أهل نجران (نحن أبناء الله وأحباره) أي ان اليهود لما زعموا أن عزير ابن الله  
 والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله ثم زعموا أن عزير او المسيح كانا منهم صار ذلك كأنهم قالوا نحن أبناء الله  
 كما يقول أقارب الملوكة عند المفارقة نحن الملوكة فالمراد بأبناء الله خاصته وقال ابن عباس ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى قالوا كيف نخوفنا بعقاب  
 الله ونحن أبناء الله وأحبائه والذي قال تلك الكلمة من اليهود نجان ويحري وشاس (قل) لهم يا أكرم  
 الخلق الزاما وتبكيتهما (فلم يعذبكم بذنوبكم) أي ان صح ما زعمتم فلا شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر  
 والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أيا ما بعدد أيام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما  
 زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع فأنتم كاذبون لان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب  
 حبيبه (بل أنتم بشر من خلق) أي لستم كذا بل أنتم بشر من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية  
 لكم عليهم (يفقر لمن يشاء) ان يغفر له من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله وتابوا من  
 اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله وما تواعلى  
 اليهودية والنصرانية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) فمن كان ملكه هكذا وقدرته هكذا  
 فكيف يستحق البشر الضعيف عليه تعالى حقاً واجباً (واليه المصير) في الآخرة فيجزى المحسن باحسانه  
 والمسي بسأساته (يا أهل الكتاب) أي يا أهل التوراة والانجيل (قد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله  
 عليه وسلم (يبين لكم) أي مبيناً لكم الشرائع (على فترة من الرسل) أي على حين انقطاع من  
 الانبياء فروى عن سلمان انه قال فترة ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة أخرجه البخارى وكان بينهما أربعة  
 من الانبياء ثلاثة من بنى اسرائيل كما قال تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعز زنا بثالث واحد من  
 العرب وهو نالدين سنان وقال في حقه نبينا صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه (أن تقولوا ما جاءنا من بشير  
 ولا نذير) أي انما يبعثنا اليكم الرسول في وقت فترة من ارسال الرسل كراهة أن تقولوا اذ اسئلتم عن  
 أعمالكم يوم القيامة ما جاءنا بشير بالجنة ولا نذير بالنار وقد انطمت آثار الشرائع السابقة وانقطعت



أخبارها فلا تعتذروا بذلك (فقد جاءكم بشير) كامل البشارة (ونذير) كامل النذارة (والله على كل شيء قدير) فكان قادرا على الأرسال ترى كما أرسل الرسل بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف وسبع مائة سنة وألف نبي (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) لانه لم يبعث في أمة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء فمنهم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه فانطلقوا معه الى الجبل ومنهم أولاد يعقوب فانهم كانوا على قول الاكثرين أنبياء (وجعلكم ملوكا) فقد تكاثروا فيهم الملوك ثم ان أقارب الملوك يقولون عند المفاخره نحن الملوك قال السدي أي وجعلكم أحرارا على كون أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم وقيل كل من كان مستقلا بأمر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا في مصالحه الى أحد فهو ملكا وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكانت لهم أموال كثيرة فمن كان كذلك كان ملكا وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان بنو اسرائيل اذا كان لا أحد منهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال قتادة وهو ملك لا نهم كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من كان له امرأة يأوي اليها ومسكن يسكنه فهو غني ثم ان كان له خادم بعد ذلك فهو من الملوك (وأتاكم ما لم يوت أحد من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو واوراث أموالهم وانزال المن والسلاوي واخراج المياه العذبة من الحجر وظليل الغمام فان ذلك لم يوحى في غير بني اسرائيل (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) أي المباركة (التي كتب الله لكم) أي وهبها الله لكم ميراثا من أبيكم ابراهيم عليه السلام روى أن سيدنا ابراهيم عليه السلام لما صعد جبل لبنان قال له الله تعالى انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث للذريته وكان بنو اسرائيل يسهون أرض الشام أرض الموعد قال ابن عباس والارض هي الطور وما حوله (ولا تردوا على أديباركم) أي لا ترجعوا الى خلقكم أي الى مصر خوفا للعدو (فتنقلبوا خاسرين) في الدين والدنيا لانهم صاروا أشاكين في صدق موسى عليه السلام فيصبروا كافرين بالالهية والنبوة فان موسى قد أخبر ان الله تعالى جعل تلك الارض لهم فكان ذلك وعدا بأن الله تعالى ينصرهم على العدو ولان الله تعالى منعهم عن المن والسلاوي ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا ليتجسسوا لهم عن أحوال تلك الاراضي فلما دخلوا تلك البلاد رأوا أجساما عظيمة هائلة ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام فاخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكتبوا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله الا رجلا من منهم وهما يوشع وكالب فانهما سهلا الامر وقالاهي بلاد طيبة كثيرة النعم وقلوب القوم الذين فيها ضعيفة وان كانت أجسامهم عظيمة وأما العشرة من النقباء فقد أوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى أظهر والامتناع من غز وهم ورفعوا أصواتهم بالبكاء (قالوا يا موسى ان فيها) أي في الطور أو أريحا أو دمشق وفلسطين كما روى كل واحد من هذه الثلاثة عن ابن عباس (قوبا جبارين) أي طوا الاغظماء أقويا فلا تصل أيدي قوم موسى اليهم فسموهم جبارين لهذا المعنى (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع منا فانها لا طاقة لنا باخراجهم منها (فان يخرجوا منها) بسبب ليس منا (فأنا داخلون) قالوا هذاعلى سبيل الاستبعاد (قال رجلا من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى في مخالفة أمره ونهييه (أنعم الله عليهما) بالهداية والثقة بعون الله والاعتماد على نصرته الله وهما يوشع بن نون وهو الذي نبئ بعد موسى وهو ابن أخت موسى وكالب بن يوفناختن موسى وهو يفتح اللام وكسرها و قيل هما رجلا من الجبابرة أسلموا واجتمع مع موسى والموصول عبارة عن الجبابرة واليههم يعود العائد المحذوف والتقدير قال رجلا من

الجبارة الذين يخافهم بنو إسرائيل وهما رجلا نمنهم أنعم الله عليهما بالإيمان فآمنوا يشهد لهذا الوجه قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبنى للفعول (أدخلوا عليهم الباب) أي باب بلدهم أي باغتوهم وضاعتوهم في المضيق وامنعوهم من البروز إلى الصحراء لئلا يجذوا للحرب بجبالا (فإذا دخلتموه) أي باب بلدهم (فأنكم غالبون) من غير حاجة إلى القتال فأنا شاهدنا أن قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسامهم عظيمة وانما جزم هذان الرجلان بالغلبة لأنهما كانا جازمين بنبوة موسى فلما أخبرهم موسى بأن الله تعالى أمرهم بالدخول في تلك الأرض قطعاً بأن النصر لهم والغلبة حاصلة في جهتهم (وعلى الله فتوكلوا) في حصول هذا النصر لكم بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فانها غير مؤثرة (ان كنتم مؤمنين) بصحة نبوة موسى ومقرين بوجود الاله القادر مصدق لوعده (قالوا يا موسى انال ن تدخلها) أي أرض الجبارين (أبدا ماداموا فيها) أي أرضهم (فأذهب أنت وربك) انما قالوا هذه المقالة على وجه التمرد عن الطاعة أي على وجه مخالفة أمر الله فهم فسقة (فقاتلوا) هم (اناهنا قاءدون) عن القتال (قال) عليه السلام لما رأى منهم عناداً على طريق الحزن والشكوى إلى الله تعالى (رب اني لا أملك الانفسى وأخي) هرون أي لا أملك التصرف ولا ينفذ أمرى إلا في نفسى وأخي وانما قال ذلك تقليلاً لأن يوافقه ويجوز أن يكون المعنى الانفسى ومن يواخيني في الدين (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أي احكم لنا بما نستحقه واحكم على القوم الخارجين عن طاعتك بما يستحقونه وهو في معنى الدعاء عليهم (قال) الله يا موسى (فانها) أي الأرض المقدسة (محرمة عليهم) أي ممنوع عليهم من الدخول فيها (أربعين سنة يتيهون في الأرض) أي يتحسرون في البرية وكان طول البرية تسعين فرسخاً وقد تاهوا في تسعة فرامخ عرضاً في ثلاثين فرسخاً طولاً وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بي حلفت لأحر من عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولا تيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي تجسسوا سنة أي كانت مدة غيبة النقباء للتجسس أربعين يوماً ولا لقين جيفهم في هذه القفار أي ومات أولئك العصاة فيها وأهلك النقباء العشرة فيها بعقوبات غليظة وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشرفيد خلون تلك الأرض المقدسة اه قال ابن عباس وكلهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلمهم من الشمس وكان عمود نور يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم المن والساوى وماؤهم من الحجر الذي يحملون ولا تطول شعورهم وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق التأديب وروى ان موسى وهرون كانا معهم ولكن كان ذلك لهما راحة وسلامة كالنار لآبراهيم وللائكة العذاب عليهم السلام وزيادة في درجتها وعقوبة لهم ومشاهدتهم لهما حال العقوبة أبلغ (فلا تأس) أي لا تحزن (على القوم الفاسقين) قال مقاتل ان موسى لما دعا عليهم أخبره الله تعالى بأحوال التيهه ثم ان موسى عليه السلام أخبر قومه بذلك فقالوا له دعوت علينا وندم موسى على ما عمل فأوحى الله اليه لا تأس على القوم الفاسقين فانهم أحقاه بذلك لنفسهم (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) أي أذكركم يا كرم الخلق لقومك وأخبرهم خبر ابني آدم قابيل وهابيل ملتبساً بالصدق ليغترروا به وهذه القصة دالة على ان كل ذى نعمة محسود فلما كانت نعم الله على سيدنا محمد أعظم النعم كان أهل الكتاب استخرجوا أنواع المكر في حقه صلى الله عليه وسلم حسداً منهم فكان ذلك هذه القصة تسلية من الله تعالى لرسوله قال محمد بن اسحق ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فلهما مات بقاياه ل واخوته فلم يجد عليهما وحماً ولا وصباً ولا طلقاً ولم ترد

ما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها ثيابا من هابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحش والوصب والطلق والدم وقال بعضهم غشي آدم حوا بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وأقليما في بطن ثم هابيل ولبودا في بطن فان حوا كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وبارية لاشيسا فانها وضعت مفردا عرضا عن هابيل وجملة أولاد آدم تسعة وثلثون في عشرين بطننا أولهم قابيل وتوأمته أقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ويتزوج كل من الذكور غير توأمته وأمر الله آدم ان يزوج قابيل لبودا اخت هابيل وينكح هابيل أقليما اخت قابيل وهي أحسن من لبودا فذ ك ذلك آدم فرضي هابيل ومخط قابيل وقال هي اختي وأنا حق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال له آدم انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمر بك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو أحق بأقليما وكانت القرايين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع فخرجوا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل قرب بصرة من قعر ردى وهابيل قرب كبشاً أحسن وقصد بذلك رضا الله تعالى فوضع اقربا بينهما على جبل ثم دعا آدم فتنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل وقيل رفع الى الجنة فلم ير عى فيها الى ان فدى به اسماعيل عليه السلام (اذقربا) أى كل منهما (قربانا) وهو اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة أو صدقة (فتقبل من أحدهما) وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) وهو قابيل فأضمر لا خيه الحسد الى ان أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب فأتى قابيل لهابيل وهو في غفاه (قال) لهابيل (لا تقتلك) فقال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قرباني وتر يدان تمكح اختي الحسناء وأندكح أختك الذميمة فيمحدث الناس بأذن خير منى ويفتحرو ولدك على ولدي (قال) هابيل وما ذنبي (انما يتقبل الله من المتقين) أى ان حصول التقوى شرط في قبول القربان (لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لا تقتلك) أى والله لئن باشرت قتلى حسب ما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات (انى أخاف الله رب العالمين) في قتلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمحذبن مسلمة ألق كملك على وجهك وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل (انى أريد ان تبوء باثمى وأثمك) أى ان تحمل اثم قتلى وأثمك الذى كان منك قبل قتلى كما قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة رضى الله عنهم (فتسكون من أصحاب النار) أى فتصير من أهل النار (وذلك جزاء الظالمين) روى ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضى خصمه أخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم (فطوعت له) أى سهلته (نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جرير لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدرك كيف يقتله فقتل له ابليس وقد أخذ طير افوض رأسه على حجر ثم رضعه بحجر آخر وقابيل ينظر اليه فعلم منه القتل فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر روى عن عمرو بن خير الشعاني قال كنت مع كعب الاحبار على جبل ديرة تران فأراني لمعة حمراسا تله في الجبل فقال ههنا قتل ابن آدم أخاه وهذا أثر دمه جعله الله آية للعالمين (فأصبح) أى صار (من الخاسرين) بقتله ديناً وديناً لانه أسخط والديه وبقي مذموماً الى يوم القيامة ولان له عقاباً عظيماً في الآخرة ولما قتل قابيل هابيل تركه بالعرا ولم يدري ما يصنع به لانه أول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره في جراب أربعين يوماً وقيل سنة (فبعث الله غراباً يبحث في الارض) أى يحفر الحفرة بمنقاره ورجليه بعد قتل صاحبه ثم ألغاه فيها وأثار التراب عليه فتعلم قابيل ذلك من الغراب (ليريه كيف يوارى

سواء أخيه) واللام امامتعلقة ببعث حتما والخمير المستكن فائد الى الله تعالى أو متعلقة ببعث  
 أو ببعث والخمير راجع للغراب وكيف حال من ضمير يوارى العائد الى قابيل كالضميرين البارزين  
 وهو معمول ليوارى وجملة متعلقة بالرؤية البصرية أو العرفانية المتعدية لمفعول قبيل تعديتها بهمة  
 النقل وبعده لاثنين وحيث ذكر كيف في محل المفعول الثاني سادة مسددة والمراد بالسوءة الجسد لقبحه  
 بعد موته (قال) أي قابيل (يا وليتا) أي ياهلاكى تعال وهي كلمة تستعمل عند وقوع الداهية  
 العظيمة ولفظها لفظ النداء كان الويل غير حاضره فناده ليحضره أي أيها الويل احضر فهذا وان  
 حضورك (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سواء أخي) أي فأعطى جسداً أخى بالتراب أي  
 لما قتل قابيل أخاه تركه بالعراء استخفافاً به ولما رأى الغراب يدفن غراباً ميتاً رقيق قلبه وقال ان هذا  
 الغراب لما قتل ذلك الآخر أخفاه تحت الأرض أفأكون أقل شفقة من هذا الغراب (فأصبح من النادمين)  
 على حمله لها بيل على ظهره سنة لأنه لم يعلم الدفن الا من الغراب وعلى قتله لأنه لم ينتفع بقتله ولأنه لم يخط  
 عليه بسببه أبواه وأخوته فكان ندمه لأجل هذه الأسباب لا لكونه معصية وعلى استخفافه بها بيل بعد  
 قتله لتركه في العراء فلما رأى ان الغراب يدفن غراباً ميتاً ندم على قساوة قلبه وقال هذا أخى لجمه مختلط  
 بلحمي ودمه مختلط بدمي فاذا ظهرت الشفقة من الغراب على غراب ولم تظهر مني على أخى كنت دون  
 الغراب في الرحمة والاخلاق الحميدة فكان ندمه لهذه الأسباب لا لأجل الخوف من الله تعالى فلا ينفعه  
 ذلك الندم قيل لما قتل قابيل ها بيل هرب الى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس وقال اغشأ كات النار  
 قربان ها بيل لأنه كان يخدم النارو يعبدها فان عبدها أيضاً حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو  
 أول من عبد النار وروى انه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه  
 وكبلاً قال بل قتلته ولذلك اسود جسدي ومكث آدم بعده مائة سنة لم يضحك قط (من أجل ذلك) أي  
 المذكور من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل الحرام وهي حصول خسارة الدين والدنيا وحصول الندم  
 والحسرة والحزن في القلب والجوار والمجرور متعلق بكتبنا وهو ابتداء كلام فلا يوقف على اسم الإشارة  
 فالوقف على قوله تعالى من النادمين تام هذا عند جمهور المفسرين وأصحاب المعاني ويرى عن نافع انه  
 كان يقف على اسم الإشارة ويجعله من تمام الكلام الاول فينبذ الجار والمجرور متعلق بما قبله واسم  
 الإشارة فائد على القتل أي من أجل ان قابيل قتل ها بيل ولم يوار به بالتراب (كتبنا) أي أوجبنا في  
 التوراة (على بني اسرائيل أنه) أي الشأب (من قتل نفساً) واحدة من بني آدم (بغير نفس) أي بغير  
 قتل نفس يوجب الاقتصاص (أو فساد في الأرض) أي أو بغير فساد يوجب اهدار الدم من كفر أو زنا  
 أو قطع طريق وقرأ الحسن بنصب فساد باضمار فعل أي أرعمل فساداً (فكأنما قتل الناس جميعاً) في  
 تعظيم أمر القتل العمد العدوان كما ان قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد فالمقصود مشاركة  
 الامرين في الاستعظام وكيف لا يكون مستعظماً وقد قال تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً جزاؤه جهنم  
 خالد فيها وغضب الله عليه واعذله عذاباً عظيماً (ومن أحيها فكأنما أحيانا الناس) أي ومن  
 خلاص نفساً واحدة من المهلكات كالحرق والغرق والجوع والمفرط والبرد والحرام المفرطين قال ابن عباس  
 أي وجبت له الجنة بعفون نفس كما لو عفا الناس (جميعاً) ولقد جاءتهم (أي بني اسرائيل) رسلاً  
 بالبينات أي المعجزات (ثم ان كثير منهم بعد ذلك في الأرض) أي بعد مجي الرسل وبعد ما كتبنا عليهم  
 نحریم القتل (لمسرفون) في القتل لا يبالون بعظمته فانهم كانوا أشد الناس جراءة على القتل حتى كانوا

يقتلون الانبياء (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أى انما جزاء الذين يخالفون أحكام الله  
وأحكام رسوله أو انما مكافأة الذين يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون (ويسعون في  
الارض فسادا) أى يعملون في الارض مفسدين بالمعاصي وهو القتل وأخذ المال ظلما (أن يقتلوا)  
واحد بعد واحد ان قتلوا (أو يصلبوا) ثلاثة أيام بعد القتل والصلاة عليهم وقيل يصلبون احياء ثم يزرع  
بطنهم برمح حتى يموتوا ان جمعوا بين أخذ المال والقتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى  
تقطع مختلفه بأن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ان اقتصر وأعلى أخذ المال من مسلم أو ذمى وكان  
المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كلا منهم نصاب السرقة (أو ينفوا من الارض) ان أخافوا السبل  
قال أبو حنيفة النفي من الارض هو الحبس وهو اختيار أكثر أهل اللغة قالوا والمحبوس قد يسمى منفيًا من  
الارض لانه لا ينتفع بشئ من طيبات الدنيا ولذاتها ولا يرى أحدا من أحبائه فصار منفيًا عن جميع اللذات  
والشهوات والطيبات فكان كالنفي في الحقيقة وقال الشافعي هذا النفي محمول على وجهين الأول ان  
هؤلاء المحاربين اذا قتلوا وأخذوا المال فالامام ان أخذهم أقام عليهم الحدود ولم يأخذهم طلبهم أبدا  
فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني القوم الذين يحضرون الواقعة  
ويكثرون جمع هؤلاء المحاربين ويخيفون المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما أخذوا المال فان الامام يأخذهم  
ويعزهم ويحبسهم فالمراد بنفيهم عن الارض هو هذا الحبس لا غير قال ابن عباس نزلت هذه الآية في قوم  
هلال بن عوير لانهم قتلوا قوما من بني كنانة أرادوا الهجرة الى رسول الله ليسلموا فقتلهم وأخذوا ما كان  
معهم من السلب وقيل نزلت في قوم من عرينة وكانوا غنمية نزلوا المدينة منظهرين للإسلام فرضت أبدانهم  
واصغرت ألوانهم فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من أبوالها وألبانها  
فيه وهو اقل ما شربوا وهو اقل ما قتلوا الراعى مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه يسار النوفى رماقوا  
الابل وكانت خمسة عشر فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عشرة من فارس أميرهم كرز بن جابر الفهري في  
طلبهم فحلبهم وأمرهم ففعلت أيديهم وأرجلهم وسهرت أعينهم بأن أحصى مسامير الحديد وكحل بها  
أعينهم حتى ذهب ضوءها وتركوا في الحرة حتى ماتوا (ذلك) أى الحد (لهم خزي) أى هوان وفضيحة (في  
الدنيا) اذ لم تحصل التوبة أما عند حصول التوبة فان هذا الحد لا يكون على جهة الاستخفاف بل  
يكون على جهة الامتحان (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أى أشد عما يكون في الدنيا لم يتب (الا  
الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) أى ان ما يتعلق من تلك الأحكام بحقوق الله  
تعالى يسقط بعد هذه التوبة وما يتعلق منها بحقوق الآدميين لا يسقط فهو هؤلاء المحاربون ان قتلوا انسانا  
ثم تابوا قبل القدرة عليهم كان ولي الدم على حقه في القصاص والعفو الا انه يزول وجوب القصاص بسبب  
هذه التوبة لا جواز القصاص وان أخذوا مالا وجب عليهم رده ولم يكن عليهم قطع اليد والرجل وان جمعوا  
بين القتل وأخذ المال فبسقط وجوب القتل ويجوز استيفاؤه ويجب ضمان المال وعن علي رضي الله  
عنه ان الحرب بن بدر جاءه ثأبيا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة أما اذا تاب  
القاطع بعد القدرة فالتوبة لا تنفعه وتقام الحدود عليه وقال الشافعي رحمه الله ويحتمل ان يسقط كل حد  
لله بالتوبة لان ما عزم المارجم أظهر توبته فلما تم عزمه مذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال هل اتركتوه وذلك يدل على ان التوبة تسقط عن المكاف كل ما يتعلق بحق الله تعالى وهذا  
التفصيل انما يكون للمسلم أما ان كان القاطع كافرا سقطت عنه الحدود مطلقا لان توبته تدرأ عنه العقوبة

قبل القدرة وبعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك المنهيات (وابتغوا إليه الوسيلة) بفعل  
 المأمورات (وجاهدوا في سبيله) أي في سبيل عبوديته وطريق الاخلاص في معرفته وخدمته  
 (لعلكم تفطنون) بنيل مرضاته وبالغوز بكراماته اعلم ان مجامع التكليف محصورة في نوعين أحدهما  
 ترك المنهيات وهو المشار إليه بقوله تعالى اتقوا الله وثانيهما ما فعل المأمورات وهو المشار إليه بقوله تعالى  
 وابتغوا إليه الوسيلة والمراد بطلب الوسيلة إليه تعالى هو تحصيل مرضاته وذلك بالعبادات والطاعات  
 ولما أمر الله تعالى بترك ما لا ينبغي وبفعل ما ينبغي وكان الانقياد لذلك من أسقى الاشياء على النفس  
 وأشد هائلا على الطبع لان النفس لا تدعو الا الى المشتهة واللذات المحسوسة أردف ذلك التكليف  
 بقوله وجاهدوا في سبيله أي مجاربة أعدائه البارزة والسكينة ثم ان من يعبد الله تعالى فريقان منهم  
 من يعبد الله لا لغرض سوى الله وهو المشار إليه بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله ومنهم من يعبد الله للثواب  
 مثلاً وهو المشار إليه بقوله لعلكم تفطنون أي تفوزون بالمحسوب وتخلصون عن المكروه (ان الذين كفروا  
 لو أن لهم) أي لو ثبت ان لكل واحد منهم (ما في الارض جميعاً) أي من أصناف أموالها وسائر  
 منافعها قاطبة (ومثله معه ليفقدوا به) أي ليجعلوا كلا منهما فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة)  
 أي من العذاب الواقع يومئذ (ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) تصريح بعدم قبول الفداء وتصور للذوم  
 العذاب فلا سبيل لهم الى الخلاص منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة رأيت  
 لو كان لك ملء الارض ذهباً كنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك فأبيت  
 (يريدون أن يخرجوا من النار) بتحويل حال الى حال وقيل يتمنون الخروج اذا دفعهم لهب النار الى  
 فوق ويقصدونه وقيل يكادون يخرجون منها القوة النار ودفعها لهم وقيل يريدون الخروج بقلوبهم كما قرأ  
 بعضهم ان يخرجوا بالبناء للفعل (وما هم بخارجين منها ولهم) أي الكافرين خاصة دون عصاة المؤمنين  
 (عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع تارة بالبرد وتارة بالحرق وتارة بغيرهما (والسارق والسارقة فاقطعوا  
 أيديهما) أي أيما منهما من الكوع كما يدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات  
 فاقطعوا أي أيما منهما لانه صلى الله عليه وسلم أتى بسارق وهو طعمة فأمر بقطع يمينه من الرسغ (جزاء  
 كسبا) أي لجزاء فعلهما (نكالا) أي للدهانة والذم (من الله) لجزاء مفعول من أجله وعامله  
 فاقطعوا ونكالا مفعول من أجله وعامله جزاء على طريقة الاحوال المتداخلة كما تقول ضربت ابني  
 تأديباً له احساناً اليه فالتأديب علة للضرب والاحسان علة للتأديب (والله عزيز) في انتقامه (حكيم)  
 في شرائعه وتكاليفه (فمن تاب) الى الله تعالى (من بعد ظلمه) أي سرقته (وأصلح) بأن يتوب  
 بنية صالحة صادقة وعزيمة صحيحة خالية عن سائر الاغراض (فان الله يتوب عليه) أي يقبل توبته  
 تفصلاً منه واحساناً لا رجوعاً عليه (ان الله غفور رحيم) فلا يعذبه في الآخرة ولا يسقط عنه القطع  
 بالتوبة بل يقطع على سبيل الامتحان عند الجمهور وقيل يسقط بها الحد وقال الشافعي ان عفا المستحق  
 عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) والمالك له أن يتصرف  
 في ملكه كيف شاء (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير) فيقدر على التصرف  
 الكلي فيهما وفيما فيهما بحسب ما تقتضيه مشيئته تعالى ونحن نعتقد ان المغفرة تابعة للشيئة في حق غير  
 التائب (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن  
 قلوبهم) أي لا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر وذلك بسبب احتيالهم في استخراج وجوه المكفر في



حق المسلمين وفي مبالغتهم في موالاة المشركين فاني ناصر كعليهم وكافيل شرهم وقرأت نافع يحزنك بضم الياء  
وكسر الزاي وقرئ يسرعون من أمرع والباء متعلقة بقالوا لا بأفواهم قال ابن عباس نزلت هذه  
آية في حق عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في عبد الله بن صوريا (ومن الذين هادوا سماعون  
للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي ان هؤلاء القوم من اليهود لهم صفتان سماع الكذب في  
دين الله وفي طعن محمد صلى الله عليه وسلم من أجبارهم ونقله الى عوامهم وسماع الحق منك ونقله  
لأجبارهم ليحرفوه أي فيكونوا وسائط بينك وبين قوم آخرين والوسائط هم يهود بني قريظة كعب  
وأصحابه والعموم الآخرون هم يهود خيبر فهم لا يقربون مجلسه صلى الله عليه وسلم لبغضهم إياه وتكبرهم  
(يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يضع هؤلاء الأجبار الجلود مكان الرجم والطعن في محمد مكان  
المدح في التوراة (يقولون) أي المحرفون وهم القوم الآخرون للسماعين لهم عند القائهم اليهم  
أقاولهم الباطل لئلا مشيرين الى كلامهم الباطل (ان أوتيتهم) من جهة محمد (هذا) المحرف من جلد  
المحصن (لتخذه) أي فأقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) ولا تقبلوا منه قال المفسرون ان رجلا  
وامرأة من أشرف أهل خيبر زيارتهما محصنان وكان حد الزنا في التوراة الرجم فكرهت اليهود  
رجمهما لما لشرفهما فأرسلوهما مع قوم منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عن  
حكمه في الزانيين وقالوا ان أمركم بالجلد وتسويد الوجه فأقبلوا وان أمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا  
فلما سألوا رسول الله عن ذلك نزل جبريل بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام  
اجعل بينك وبينهم ابن صور يا فقال الرسول هل تعرفون شأبا أريد أبيض أعور يسكن فذلك يقال له  
ابن صور يا قالوا نعم فقال هو أي رجل فيكم فقالوا هو أعلم يهودي على وجه الأرض بما في التوراة فقال  
فأرسلوا اليه فأتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صور يا قال نعم قال وأنت أعلم اليهود  
قال كذلك يزعمون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق  
آل فرعون والذي نزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال ابن صوريا  
نعم فوثب عليه سقلة اليهود فقال خفت ان كذبت أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن أشياء كان  
يعرفها من علاماته فأجابها فقال ابن صور يا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبي الامي العربي  
الذي بشر به المرسلون ثم أمر رسول الله بالزانيين فرجما عندي باب مسجده (ومن يرد الله فتنته) أي  
ضلالته وكفره (فلن نملك) أي تستطيع (له من الله شيئا) على دفعها (أولئك) أي اليهود  
والمنافقون (الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) أي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهم ما كهم  
فيهم ما (لهم في الدنيا خزي) أي ذل بالفضيحة للنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين وخوفهم من قتل المسلمين  
أيهم والجزية والافتضاح لليهود بظهور كذبهم في كتمان التوراة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو  
الخلود في النار (سماعون للكذب) الذي كانوا ينسبونه الى التوراة (أكلون للسحت) أي الحرام  
الذي يصل اليهم من الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسب الفعل وكسب الحرام وخن السكب وخن الخمر  
وخن الميتة وحلوان السكاخن والاستئجار في المعصية روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس وأبي  
هريرة ومجاهد (فان جاؤك) متحاذين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم أو أعرض  
عنهم) ومذهب الشافعي أوجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في أمضاء

حكم الاسلام عليهم ذلهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخير الذي في هذه الآية مخصوص بالمعاهدين ولو ترفع الينا ذميان في شرب خمر لم نجد هما وان رضيا بحكمنا لانهم لا يعتقدان تحريمها ولو ترفع الينا مسلم وذمي وجب الحكم بينهما اجماعا وكذا الذمي مع المعاهدين (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) أى فانهم كانوا لا يتحاجون اليه صلى الله عليه وسلم الا لطلب الاخف فاذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم اعراضه عنهم وصاروا أعداء له فلا تضره عداوتهم له فان الله يعصمه من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل الذي أمرت به (ان الله يحب المقسطين) أى يشيب العادلين في الحكم (وكيف يحكمونك) وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك) استغفهم تجميع من الله تنبيه من تحكيمهم اياه صلى الله عليه وسلم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيهه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو أهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم ثم يعرضون عن حكمه صلى الله عليه وسلم الموافق لكتابهم من بعد التحكيم والرضا بحكمه صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة وقوله تعالى ثم يتولو معطوف على يحكمونك (وما أولئك) أى البعداء من الله (بالمؤمنين) بالتوراة وان كانوا يظهرون الايمان بها ولا يكفون ولا معتقدين في صحة حكمهم وان طلبوا الحكم منك وذلك دليل على أنه لا ايمان لهم بشئ وأن مقصودهم تحصيل منافع الدنيا فقط (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) أى بيان الاحكام والشرائع والتكاليف (ونور) أى بيان للتوحيد والنبوة والمعاد (يحكم بها) أى التوراة (النيبون الذين أسلموا) أى انقادوا للحكم التوراة فان من الانبياء من لم تكن شريعته شريعة التوراة والذين كانوا منقادين لحكم التوراة هم الذين كانوا من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليه ما السلام وبينهما ألف نبي وكلهم بعثوا باقامة التوراة حتى يحدوا حدودها ويقوموا بفرائضها ويحلوا حلالها ويحرموا حرامها وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدد يحتمل أن يكون المراد بالنيبين الذين أسلموا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه حكم على اليهوديين بالرجوع وكان هذا حكم التوراة وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيم ماله ولانه قد اجتمع فيه من خصال الخير ما كان حاصلا لا كثيرا لانبياء وقال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لان بعضهم كانوا يقولون الانبياء كلهم يهودا ونصارى فرد الله عليهم بذلك أى فان الانبياء ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين أى منقادين لتكاليف الله تعالى وفي ذلك تنبيه على قبح طريقة هؤلاء اليهود المتأخرين فان غرضهم من ادعاء الحكم بالتوراة أخذ الرشوة واستتباع العوام وتعريضهم بأنهم بعدد واعن الاسلام الذي هو دين الانبياء عليهم السلام (لذين هادوا) متعلق بهكم أى يحكمون بها فيما بين اليهود (والر باتيون والاحبار) أى ويحكم بها العلماء المجتهدون لدين انسخوا عن الدنيا وسائر العلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين (بما استحفظوا) أى بسبب الذي استحفظوا من جهة النبيين (من كتاب الله) وهو التوراة فان الانبياء سألوا الر باتيين والاحبار أن يحفظوا التوراة من التغيير والتبديل وذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء أحكامها من غير اخلال بشئ منها (وكأنواعه) أى ذلك الكتاب (شهادة) أى كان هؤلاء النبيون والر باتيون والاحبار شهداء على أن كل ما في التوراة حق وصدق وأنه من عند الله فخما كانوا يعصون

أحكام التوراة ويحفظونها عن التحريف والتغيير (فلا تخشوا الناس) أيها اليهود (واخشوني) أي  
 أيكم وأن تحرقوا كتابي للنفوس من الناس والمالوك والاشراف فتسقطوا عنهم الحدود لواجبة عليهم  
 وتستغفر جوا الخيل في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم فلا تكونوا خائفين من الناس بل كونوا خائفين مني  
 ومن عقابي في كتابي الأحكام ونعوت محمد صلى الله عليه وسلم (ولاشترى بآياتي غنا قليلا) أي  
 ولا تستبدلوا بآياتي التي في التوراة عرضا قليلا من الدنيا أي كأنه يتكلم عن تغيير أحكامي لأجل الخوف  
 فكذلك أنهم أكرم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فإن كل متاع الدنيا  
 قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس ومن لم يبين ما بين الله في  
 التوراة من نعت محمد وآية الرجم فأولئك هم الكافرون بالله والرسول والكتاب وقال عكرمة أي ومن لم  
 يحكم بما أنزل الله منكره بقلبه وجاحده بلسانه فقد كفر أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه  
 ذلك إلا أنه حكم بضده فهو ظالم فأسق لتركه حكم الله تعالى (وكتبنا عليهم فيها) أي فرضنا على بني  
 إسرائيل في التوراة (أن النفس) مقتولة (بالنفس والعين) مفعولة (بالعين والانف) مجدوع  
 (بالانف والأذن) مقطوعة (بالأذن واللسن) مقلوعة (باللسن والجروح قصاص) أي ذات  
 قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة كالشفتين والذكروا لا تقيين والقدمين واليدين فأما ما لا يمكن  
 القصاص فيه من رض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منه التلف ففيه إرش وحكومة  
 قرأ الكسافي العين والانف والأذن واللسن والجروح كلها بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو  
 بنصب غير الجروح فانه بالرفع وقرأ نافع وعاصم وحزرة بنصب الكل وخبر الجميع قصاص (فن تصدق  
 به) أي بالقصاص من المستحقين (فهو) أي التصدق (كفارة له) أي للتصدق يكفر الله تعالى بها  
 نوبه أي إذا عفا الجروح أو ولي المقتول كان ذلك العفو كفارة للعافي كما قال صلى الله عليه وسلم أي يجوز  
 أحدكم أن يكون كافي مضمم كان إذا خرج من بيته تصدق بعرضه على الناس وروى عبادة بن  
 الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تصدق من جسده بشئ كفر الله تعالى عنه بقدره من  
 ذنوبه وقيل إن المجنى عليه إذا عفا عن الجاني صار ذلك العفو كفارة للجاني وسقط عنه ما لزمه فلا يؤاخذ الله  
 تعالى بعد ذلك العفو وأما المجنى عليه الذي عفا فاجره على الله تعالى ثم القاتل يتعلق به ثلاثة حقوق حق لله  
 تعالى وحق للمقتول وحق للولي فإذا سلم القاتل نفسه طوعا واختيارا إلى الولي فمأ على ما فعل خوفا من الله  
 تعالى وقوبة نصوحا سقط حق الله تعالى بالتوبة وحق الأولياء بالاستيفاء أو الصلح أو العفو وبقي حق  
 للمقتول يعرضه الله عنه يوم القيامة عن عبده التائب ويصلح بينه وبينه ولو سلم القاتل نفسه اختيارا من  
 غير ندم وقوبة أو لم يكن من نفسه بل قتل كرها فيسقط حق الوارث فقط ويبقى حق الله تعالى لانه  
 لا يسقطه إلا التوبة ويبقى حق المقتول أيضا ويطالب به في الآخرة لأن القاتل لم يسلم نفسه تائباً ولم يصل  
 منه للمقتول شئ (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالتعصير في حق النفس لابقاء  
 النفس في العقاب الشديد والتدين بترك حكم الله نهاية الظلم وهو الكفر لانكار نعمة الله تعالى وبجدها  
 (وقبينا على آثارهم) أي أتبعنا على آثار النبيين الذين يحكمون بالتوراة (بعيسى بن مريم مصدقا  
 لما بين يديه) أي لما قبل عيسى عما أتى به موسى (من التوراة) ومعنى كون عيسى مصدقا للتوراة  
 أنه أقرب بانه كتاب منزل من عند الله تعالى وأقرب بانه كان حقا وواجب العمل به قبل ورود النسخ (وآتيناه  
 الإنجيل فيه هدى) لاشتماله على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه وبراهين الله تعالى عن الزوجة

والولادوا لمثل والضد وعلى النبوة وعلى المعاد (وفور) لانه يبان للاحكام الشرعية ولتفاصيل  
 بالتكاليف (ومصدق المايين يديه) أى لما قبل الانجيل (من التوراة) وهذا المنسوب معطوف على محل  
 فيه هدى وهو النصب على الحال أى موافقا لما فى التوراة من أصول الدين ومن بعض الشرائع ومن كون  
 الانجيل مبشرا ببعث محمد صلى الله عليه وسلم (وهدى) لاشتماله على البشارة بمجى محمد صلى الله عليه  
 وسلم فهو سبب لا يعتد به الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذه المسئلة أشد المسائل احتياجا الى  
 البيان فالانجيل يدل دلالة ظاهرة عليها الكثرة المنازعة بين المسلمين واليهود والنصارى فى ذلك  
 (وموعظة للأتقين) لاشتماله على النصائح والزواجر وانما خص الموعظة بالمتقين لانهم الذين يتفعلون  
 بها (واحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن  
 الاحكام التى لم تنسخ بالقرآن فان الحكم بالاحكام المنسوخة ليس حكما بما أنزل الله فيه بل هو تعطيل له  
 اذ هو شاهد بنسخها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وقرآن حجة وليحكم بكسر  
 اللام ونصب الفعل بأن مضمرة بعد لام كي وهو متعلق بقدر رأى وآ تناء الانجيل ليحكم وابه وقرأ الباكون  
 وليحكم بسكون اللام وجزم الفعل بلام الامر (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أى  
 الخارجون عن الايمان ان كان مستهينابا وعن طاعة الله ان كان لا تباع الشهوات (وأزلنا اليك  
 الكتاب) أى القرآن (بالحق) أى ملتبسا بالصدق والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع حالا من  
 الكتاب أو من فاعل أنزلنا ومن الكافى فى اليك (مصدق المايين يديه) أى لما تقدمه (من الكتاب)  
 أى من كل كتاب نزل من السماء سوى القرآن (ومهيمننا عليه) أى شاهدنا على الكتب كلها لان  
 القرآن هو الذى لا ينسخ ولا يتطرق اليه التبديل والتحريف واذا كان كذلك كانت شهادة القرآن  
 على سائر الكتب صدق باقية وقرأ ابن محيصن وبجاءهم مهيمنا ففتح الميم الثانية فان القرآن يسان عن  
 التحريف والتبديل والحافظ هو الله تعالى (فاحكم بينهم) أى بين جميع أهل الكتاب اذا ترفعوا  
 اليك (بما أنزل الله) فان ما أنزل الله اليك وهو القرآن مشتمل على جميع الاحكام الشرعية (ولا تتبع  
 أهواءهم عما جاءك من الحق) وعن متعلقة لا تتبع على تضمن معنى تفرح ونحوه أى لا تحرف عما  
 جاءك من الحق متبعاً أهواءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أى لكل واحد من الامم الثلاثة  
 أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد جعلنا منكم أيها الامم شريعة وهى العبادات التى أمر الله بها عباده  
 ومنهاجا أى طريقا واضحا يودى الى الشريعة فالتوراة شريعة للامة التى كانت من مبعث موسى الى  
 مبعث عيسى والانجيل شريعة من مبعث عيسى الى مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن شريعة  
 للوجودين من سائر المخلوقات فى زمنه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ليس الا والدين واحد وهو  
 التوحيد (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أى جماعة متفقة على شريعة واحدة فى جميع الاعصار  
 من غير اختلاف ولا نسخ ولا تحويل أو المعنى لجعلكم ذوى أمة واحدة أى دين واحد (ولكن ليلوكم  
 فيما آتاكم) أى ولكن لم يشأ الله أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء أن يختبركم فيما أعطاكم من  
 الشرائع المختلفة المناسبة للارزمنة والجماعة هل تعملون بها منقادين لله معتقدين أن اختلافها مبنى على  
 الحكم اللطيفة والمصالح النافعة لكم أم تتبعون الهوى وتقصرون فى العمل (فاستبقوا الخيرات)  
 أى اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا يا أمة محمد الى ما هو خير لكم فى الدارين وابتدروا انتهازا للفرصة  
 وحيازة لفضل السبق (الى الله مرجعكم جميعا فينبشكم بما كنتم فيه تحتفون) فى الديار امر

الدين أي فيخبركم بما لا تشكون فيه من الجزاء الفاصل بين الحق والمبطل والموفى والمقص في العمل فان الامر سوف يرجع الى ما يحصل معه اليقين وذلك عند مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باسائه (وأن احكم بينهم) أي بين أهل الكتاب اذا اتحاكموا اليك (بما أنزل الله) وهذه الجملة معطوفة على الكتاب أي أنزلنا اليك الكتاب والحكم بينهم وذكر انزال الحكم لتأكيد وجوب امتثال الامر أعلى قوله بالحق أي أنزلنا اليك الكتاب بالحق وبالحكم وذكر انزال الامر بالحكم بعد الامر الصريح به تأكيداً كيدللاً وتقريراً لما بعده ولان الآيتين حكمان أمر الله بهما جميعاً لانهم احتسبوا اليه صلى الله عليه وسلم في زنا المحصن ثم احتسبوا في قتل كان فيهم (ولا تتبع أهواءهم) في عدم قتل الشريف بالوضع وعدم قتل الرجل بالمرأة (واحذرهم أن يقتنوك) أي يعلوك (عن بعض ما أنزل الله اليك) ويردوك الى أهوائهم وكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا اليهم الدية كاملة ويقتلون النفس بالنفس ويفقون العينين بالعين فغير واحكم الله الذي أنزه في التوراة فها هم يخالفون قال ابن عباس ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه أي نصرفه عن دينه فأتوه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد عرفت انا أحبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك فابي ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى أن يقتنوك بدل اشتمال من المفعول أي واحذرهم فنتتهم أو مضاف اليه لمفعول من أجله أي احذرهم مخافة أن يقتنوك أي يصرفوك عن الحق ويلقوك في الباطل (فان تولوا) أي أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله تعالى وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي أن يتليهم مجزأة بعض ذنوبهم في الدنيا وهو أن يسلط عليهم ويعذبهم في الدنيا بالقتل والجلاء والسبي فالعوم جو زوا في الدنيا ببعض ذنوبهم وذلك كاف في اهلاكهم (وان كثير من الناس) أهل الكتاب وغيرهم (لغاسقون) أي خارجون عن دائرة الطاعات ومعادن السعادات (أحكم الجاهلية يبغون) قرأ ابن عامر تبغون بالتاء على الخطاب وقرأ السلي برفع حكم على انه مبتدأ وقرأ قتادة أبحكم بالياء لجارة بدل القام قرئ حكم بفتح الفاء والكاف أي أفيطلبون كما حكاه الجاهلية وهي امالة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للدهانة في الاحكام واما أهل الجاهلية قال مقاتل كانت بين قريظة والنضير دماء قبل أن يبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا أبونا واحد وديتنا واحد وكتابتنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلاً اعطونا سبعين وسقاً من تمر وان قتلنا منهم واحداً أخذوا منا مائة وأربعين وسقاً من تمر وأروش جراحاتنا على النصف من أروش جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احكم أن دم القرظي كدم النضري ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا ترضى بحكمك فانك عدولنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فانهم هم الذين يعرفون انه لا أحد أعدل من الله حكماً ولا أحسن منه بياناً (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أي لا تعمدوا على الاستنصار بهم ولا تعاشرهم ومعاشره الاحباب روي ان عبادة بن الصامت جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتيبرأ عنده من موالاة اليهود فقال عبد الله بن أبي ريثس المنافق لكني لا أتيبرأ منهم لاني أخاف الدوائر فنزلت هذه الآية وقال السدي لما كانت واقعة أحداث الامر على طائفة

من الناس وتخوفوا ان تدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألقى بفلان اليهودي وأخذ منه أمانا  
 اني أخاف أن تدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألقى بفلان النصراني من أهل الشام وأخذ منه أمانا  
 فأنزله الله هذه الآية وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة  
 حين حاصروهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا لجعل أصبعه في حلقه أي انه يقتلكم  
 (بعضهم أولياء بعض) أي بعض كل فريق من ذينك الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق  
 لا من الفريق الآخر (ومن يتولهم منكم) يا معشر المؤمنين (فانه منهم) أي فهو من أهل دينهم فانه  
 لا يوالى أحدا أحدا الا هو وعنه مراض فادارضى عنه رضى دينه فصار من أهله دينه وهذا على سبيل  
 المبالغة في الزجر عن اظهار صور الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة أولان الموالين كانوا منافقين  
 (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) بموالاة الكفار روى عن أبي موسى الأشعري انه قال قلت لأبي هريرة  
 الخطاب ان لي كتابا ن كان نصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا ما سمعت قول الله تعالى يا أيها  
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء قلت له دينه ولى كتابته فقال لا أكرههم اذا هانهم الله  
 ولا أعزهم اذا ذلهم الله ولا أدفهم اذا بعدهم الله قلت لا يتم أمر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام  
 والمعنى اجعله في ظنك انه قد مات فمات عمل بعد موته أي فاعمله الآن ميتا واستغن عنه بغيره (فترى الذين  
 في قلوبهم مرض) بالنفاق ورخاة العقل في الدين كعبد الله بن أبي ربيعة (يسارعون فيهم) أي  
 في موادة يهود بني قيناع ونصارى نجران لانهم كانوا أهل ثروة يقرضونهم ويعينونهم على مهماتهم  
 (يقولون) معتذرين عنها إلى المؤمنين (نخشى) أي نخاف خوفا شديدا (أن تصيبنا دأثرة) من دوائر  
 الدهر كالهزيمة والحوادث المخوفة وتكون الدولة للكفار وتقال الدأثرة في المكروه كالجذب والقطط وتقال  
 الدولة في المحبوب وقال الزجاج أي نخشى أن لا يتم الأمر لمحمد في دور الامر كما كان قبل ذلك (فعسى الله  
 أن يأتي بالفتح) رسول الله على أعدائه وللأسلمين على أعدائهم وباطهار الدين (أو أمر من عنده) بقطع  
 أصل اليهود أو باخراجهم عن بلادهم وعسى بمنزلة الوعد وهو من الله تعالى واجب (فيصيحوا على  
 ما أمروا في أنفسهم نادمين) أي فيصير هؤلاء المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم من ان الدولة  
 أي الغلبة لا أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يشكون في أمر الرسول ويقولون لا نظن  
 انه يتم له أمره (ويقول الذين آمنوا) قرأه عاصم وحزمة والكسائي بالرفع مع اثبات الواو كما في مصاحف  
 أهل العراق على الاستثناف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالرفع مع حذف الواو كما في مصاحف  
 أهل الحجاز والشام على أن الجملة مستأنفة استأنافا بيانيا في جواب سؤال نشأ من قوله تعالى فعسى  
 الله أن يأتي بالفتح كأن القائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا الخ وقرأ  
 أبو عمرو بالنصب مع الواو عطف على يصيحوا الأعلى يأتي لان ذلك القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور  
 ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى يقول المؤمنون مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين  
 كانوا يولونهم ويرجون دولتهم عند مشاهدتهم لانعكاس رجائهم تعريضا بالمخاطبين (أهؤلاء الذين  
 أقسموا بالله جهد أيمانهم) أي غاية إيمانهم (انهم لعنكم) بالمعونة فان المنافقين حلفوا لليهود  
 بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله وان قوتلتم لننصرنكم والمعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض  
 مشيرين للمنافقين متجهين من حالهم متجهين بآمان الله عليهم من اخلاص الايمان عند مشاهدتهم  
 لاظهارهم الميل إلى موالاة اليهود والنصارى انهم كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم انهم معناني ديننا في



السر ومن أنصارنا فالآن كيف صار واما الذين لا عدائنا محبين للاختلاط بهم والاعتضاد بهم وهذا  
 نسب لقراءة الرفع مع اثبات الواو على الاستثناف أما المعنى الأول فهو أنسب لقراءة النصيب ولقراءة الرفع  
 مع حذف الواو ولقراءة الرفع مع الواو يجعل عطف جملة على جملة والله أعلم (حبطت أعمالهم) أي  
 بطل ما أظهره ومن الايمان وبطل كل خير عمله لاجل انهم الآن أظهر واما الالة اليهود والنصارى  
 (فأصبحوا خاسرين) في الدنيا والآخرة فاستحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا  
 من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ ابن عامر وناقم يرتد بدلين من غير ادغام  
 وهذا من السكتات التي أخذ برعنها القرآن قبل وقوعها روى انه ارتد عن الاسلام احدى عشر فرقة  
 ثلاثة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى بنو مدح ورئيسهم ذو الحار و يلقب بالاسود كان له حمار  
 يقول له قف فيقف وسرفيسير وكانت نساء أصحابه يتعطرون بروث حمارة وكان كاهنا ادعى النبوة  
 فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمين وأمرهم بالنهوض الى حراب  
 الاسود فقتله فير وزالديلى على فراشه والثانية بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلة الكذاب ادعى النبوة  
 في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي بعث أبو بكر خالد بن الوليد في جيش كبير وقتل على يد  
 وحشى الذى قتل حمزة رضى الله عنه والثالثة بنو أسد ورئيسهم طلحة بن خويلد ادعى النبوة فبعث  
 أبو بكر خالد فنهزمهم وأفلت طلحة ففهر بنحو الشام ثم أسلم أيام عمر وحسن اسلامه وسبيع في عهد أبي  
 بكر الأولى فزاره قوم عيينة بن حصن والثانية غطفان قوم قرينة سلمة القشيري والثالثة بنو سليم قوم  
 الفجاءة بن عبد اليل والرابعة بنو ربوع قوم مالك بن نيرة والخامسة بعض عجم قوم مجاع بن المنذر وهى  
 ادعت النبوة وزوجت نفسها مسيلة الكذاب والسادسة كندة قوم الاشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن  
 وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضى الله عنه وفرقة واحدة في  
 عهد عمر وهى غسان قوم جبلة بن الايمم وذلك ان جبلة أسلم على يد عمر وكان يطوف فوطى رجل طرف  
 ردائه فغضب فلطمه واشتكى الرجل الى عمر فضى له بالقصاص عليه الا ان يعفو عنه فقال أنا اشتريها  
 بألف فأبى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء الى ان بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل الا القصاص فاستنظر عمر  
 فأنظره ففهر بنو جبلة الى الروم رارند والمراد بقوم يحبهم ويحبونه كما قال على بن أبى طالب والحسن وقتادة  
 والضحاك وابن جريج هم أبو بكر وأصحابه لانهم الذين قاتلوا أهل الردة ومعنى يحبهم أي يلهمهم الطاعة  
 ويشبههم عليها ومعنى يحبونه أي يطيعون لا وامره تعالى ونواهيته (أذلة على المؤمنين) أي عاطفين  
 عليهم (أعزة على الكافرين) أي شداد عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم ارحم أمتي بأمتي أبو بكر وكان  
 أبو بكر في أول الامر حين كان رسول الله في مكة يذب عنه ويلازمه ويخدمه ولا يبالي بأحد من جبابرة  
 الكفار وشياطينهم وفي وقت خلافته كان يبعث العسكر الى المرتدين والى مانعي الزكاة حتى انهزموا  
 وجعل الله ذلك مبدء الدولة الاسلام (يجاهدون في سبيل الله) أي لنصرة دين الله (ولا يخافون لومة  
 لائم) فالواو للحال أي بخلاف المنافقين فانهم كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فن كـ قويا في  
 الدين فلا يخاف في نصرته دين الله بيده ولسانه لومة لائم وهذا الجهاد مشترك فيه بين أبي بكر وعلى الا ان  
 حظ أبي بكر في الجهاد أتم لان مجاهدة أبي بكر مع الكفار في أول البعث وفي ذلك الوقت كان الاسلام في  
 غاية الضعف والكفر في غاية القوة وكان يجاهد الكفار ويذب عن رسول الله بغاية وسعه وأما على فانه  
 كان جهاده في بدر وأحد وفي ذلك الوقت كان الاسلام قويا وكانت العساكر محترمة فثبت ان جهاد أبي

بكر كان أكمل من جهاد على لوجهين لتقدمه على جهاد على في الزمان ولأنه كان وقت ضعف الاسلام  
(ذلك) أي وصف القوم بالمحبة والسفقة والقوة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة الواحدة (فضل الله  
يؤتيه من يشاء والله واسع) أي كامل القدرة فلا يهجز عن هذا الموعود (عليم) أي كامل العلم فيمتنع  
دخول الخلق في أخباره ومواعيده (انما وليكم الله) أي انما ناصركم ومؤنسكم الله (ورسوله  
والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أي منقادون لجميع أوامر الله  
ونواهيه قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أنابرى إلى  
الله من حلف قريظة والنضير وأولى الله ورسوله والمؤمنين وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن  
سلام وذلك انه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا  
واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة أحدهم ابك بعد المنازل فنزلت هذه الآية فقرأها النبي عليه فقال  
رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين وأوليائه والمراد بالمؤمنين المذكورين عامة المؤمنين والمراد بذلك هذه  
الصفات تميز المؤمنين عن المنافقين وقيل المراد أبو بكر وقيل على لما روى ان عبد الله بن سلام قال لما  
نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أناريت عليا تصدق بخاتمته على محتاج وهو راكع فخنقنتولا (ومن  
يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) أي من يتخذهم أولياء في النصر فأنهم جند  
الله وجند الله هم الغالبون على أعدائهم بالحجة فانها مستمرة أبدا أما بالصولة والدولة فقد يغلبون (يا أيها  
الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا) أي هخرية (ولعبا) أي خفكة (من الذين أوتوا الكتاب  
من قبلكم) أي اليهود والنصارى (والكفار) أي المشركين كعبدة الاوثان (أوليائه) في العون  
والعنى ان القوم لما اتخذوا دينكم هزوا وهخرية فلا تتخذوهم أحمابا وأنصارا فان ذلك كالأمر الخارج  
عن العقل والمروءة \* روى ان رفاعه بن زيد وسويد بن الحرث أظهر الايمان ثم نافقا وكان رجال من  
المسلمين يوادونهم فا نزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقرأ أبو عمرو والكسائي والكفار بالجر ويعضده  
قراءة أبي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أشركوا فهم من جملة المستهزين أيضا بخلاف قراءة  
الباقين بالنصب فلا يفيد انهم منهم وانما يستفاد ذلك من آية أخرى (واتقوا الله) في موالاتهم (ان  
كنتم مؤمنين) أي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء بالأشك (و) أولئك الذين اتخذوا دين المسلمين  
هزا ولعبا هم الذين (اذ ناديتهم الى الصلاة) بالاذان والاقامة (اتخذوها) أي الصلاة والمناداة  
(هزا ولعبا) أي لما اعتدوا انه ليس فيها فائدة ومنفعة في الدين والدنيا قالوا انها لعب روى الطبراني  
ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهدان محمد رسول الله قال أحرقت الله الكاذب فدخل  
خادمه ذات ليلة بنار أهله نيام فتطايروا شرره في البيت فأحرقه وأهله وقيل كان المنافقون من اليهود  
يتصاحبون عند القيام الى الصلاة تنفير الناس عنها وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان  
دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى فان كنت نبيا  
فقد خالفت الانبياء قبلك فن أن لا يصباح كصباح العير فأتبع هذا الصوت وهذا الأمر فانزل الله ومن  
أحسن قولاً من دعا الى الله والآية وانزل واذا ناديتهم الى الصلاة الآية وقد دلت هذه الآية على ثبوت الاذان  
ينص الكتاب العزيز لا بعام الأصحاب وحده وجملة واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها من الشرط والجواب  
مسألة ثانية للوصول المجرورين البيانية وفي الحقيقة ان قوله اتخذوها معطوف على أوتوا وان قوله اذا  
ناديتهم ظرف له كأنه قيل ومن الذين اتخذوها هزا ولعبا وقت أذانكم والله أعلم (ذلك) أي الاستهزاء

الذكور (بأنهم قوم لا يعقلون) أى لو كان لهم عقل كامل لعلوا ان خدمة الخالق المنعم بغاية التعظيم لا تكون مهزوزة بها فانه أحسن أعمال العباد وأشرف أفعالهم ولذلك قال بعض الحكماء أشرف الحركات الصلاة وأنفع السككات الصيام (قل) يا أشرف الخلق لليهود (يا أهل الكتاب هل تنعمون منا إلا أن آمننا بالله) أى ما تكرهون من أحوالنا إلا الايمان بالله (وما أنزل اليها) أى بالقرآن (وما أنزل من قبل) أى بما أنزل من قبل أنزال القرآن من التوراة والانجيل وسائر الكتب الالهية (وأن أكثركم فاسقون) وقرأ الجمهور أن بفتح الهمزة أى وما تكرهون من أوصافنا إلا ايماننا بما ذكرنا واعتقادنا بأن أكثركم خارجون عن الايمان بما ذكرنا بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدق به بلا شك وقرأنا نعيم ابن مسيرة ان بالكسر على الاستثناى (قل هل أنبشكم بشر من ذلك) أى عما قلتم لمحمد وأصحابه روى انه أتى نفر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن دينه فقال صلى الله عليه وسلم نؤمن بالله وما أنزل اليها الى قوله ونحن له مسلمون حين معوا امنه صلى الله عليه وسلم ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم فنزلت هذه الآية أى هل أخبركم بما هو شر مما تعتقدونه شرا (مثوبة) أى عقوبة (عند الله) فثوبة تعبير لشرعنى عقوبة لالتهمكم (من لعنه الله) فمن موصولة بدل من شراى من أبعد الله من رجهته (وغضب عليه) أى مخط عليهم بانهم ما كرههم بعد سنوح البينات (وجعل منهم القردة) فى زمن داود عليه السلام وهم أصحاب السبت (والخنازير) فى زمن عيسى عليه السلام بعد أن كلهم من المائدة فكفروا وروى أيضا ان المسخين كانوا فى أصحاب السبت لان شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أى من أطاع أحدا فى معصية الله كالكهنة وهو معطوف على صلة من كقرأة أبى وعبد الطاغوت كما أفصح على ذلك قراءة ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وكقرأة الاعمش والنخعي وعبد مبنيا للمفعول وكذا على قراءة عبد بفتح العين وضم الباء على وزن كرم أى صار الطاغوت معبودا من دون الله تعالى ورفع الطاغوت على هاتين القراءتين فالراجح الى الموصول محذوف فيها أى عبد الطاغوت فيهم أو بينهم وقرأ حمزة عبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت وهو مفرد راد به الكثرة أى بالغ الغاية فى طاعة الشيطان وهو معطوف على القردة كقراءة عابد الطاغوت وعابدى وعبادة وعبيد وعبد بضمهتين وعبد بوزن كفرة وعبد بفتح تحتين جمع عابد تخدم جمع خادم وقرئ وعبد الطاغوت بجر عبد عطفا على من بناء على انه مجرور وعلى انه بدل من شر والسبعية اثنتان أولاها عبد الطاغوت على ان عبد فعل ماض مبنى للفاعل وفيه ضمير عائذ على من وهذه قراءة غير حمزة وثانيهما قراءته وغيرهما قراءات شاذة (أولئك) الملعونون المسوخون (شرمكنا) من المؤمنين لان مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه أو المعنى أولئك الملعونون المغضوب عليهم المجهول منهم القردة والخننازير العابدون الطاغوت شرمكنا من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال الذميمة (وأضل عن سواء السبيل) أى أكثر ضلالا عن الطريق المستقيم قال المفسرون لما نزلت هذه الآية غير المسلمون أهل الكتاب وقالوا يا اخوان القردة والخننازير فينكسون رؤوسهم (واذا جاؤكم قاروا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) نزلت هذه الآية فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم أنهم يخرجون من مجلسك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يتعلق بقلوبهم شيء مما معوا منكم من نصائحتك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغرضهم من هذا النفاق المبالغة فيما فى قلوبهم من الجدفى المكر

بالمسلمين والعداوة لهم (وترى كثير منهم) أي اليهود (يسارعون في الانتم) أي الكذب وكلمة الشرك (والعدوان) أي الظلم على الناس (وأكلهم السمحت) أي الحرام كالرشا (لبئس ما كانوا يعملون) أي لبئس شيئا كانوا يعملونه عملهم هذا (لولا) أي هلا (ينهاهم الربانيون) أي العباد (والاحبار) أي العلماء (عن قولهم الانتم وأكلهم السمحت) مع علمهم بفجهم ما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما (لبئس ما كانوا يصنعون) أي لبئس شيئا كانوا يصنعونه تركهم للنهي عن ذلك والصنع أقوى من العمل لأن العمل انما يسمى صناعة اذا صار اسخا لجعل جرم العاملين دنا غير راسخ وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنبا راسخا ولذلك ذم بهذا خواصهم ولان ترك الانكار على المعصية اقبح من موافقة المعصية لان النفس تلتذ بها لانها مرض الروح وهو صعب شديد لا يكاد يزول ولا كذلك ترك الانكار عليها فيدخل في هذا الذم كل من كان قادرا على النهي عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية أشد آية في القرآن وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها والله أعلم (وقالت اليهود) قال ابن عباس وعكرمة والضحاك ان الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما بعث الله محمدا وكذبوا به ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قال فخصاص بن عازوراه وأخرج الطبراني عن ابن عباس أنه قال النبش بن قيس (يد الله مغلوله) أي مقبوضة عن العطاء على وجه الصفة بالبخل (غلت أيديهم وله وابعاء قالوا) وهذه الكلمات دعاء عليهم والمعنى أنه تعالى يعلمنا أن ندعو عليهم بهذا الدعاء كما علمنا الاستثناء في قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وكما علمنا الدعاء على المنافقين في قوله تعالى فزادهم الله مرضا وعلى أبي لهب في قوله تعالى تبت يدا أبي لهب فحينئذ يكون المعنى دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله تعالى وبغل الأيدي حقيقة بأن يغلو في الدنيا أسارى وتشد أيديهم إلى أعناقهم في نار جهنم ويحبوا إلى النار باغلاها وقوله ولعنوا بما قالوا أي عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار بسبب قولهم ذلك (بل يدها مبسوطتان) عطف على مقدر أي ليس الأمر على ما وصفتهموه تعالى به من البخل بل هو تعالى جواد كريم على سبيل الكمال فان من أعطى يديه من الانسان فقد أعطى على أكمل الوجوه فتثنية اليد مبالغة في الوصف بالجوود وأيضا ان المراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة فالمعنى ان نعمة الله متتابعة ليست كما دعي من أنها مقبوضة مختصة وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمته الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه كراما وعلى اعطائه استدراجا فقيل نعمته تعالى نعمة الدين ونعمة الدنيا ونعمة الباطن ونعمت الظاهر أو نعمة النفع ونعمة الدفع أو نعمة الشدة ونعمة الرخاء (ينفق كيف يشاء) أي يرزق خلقه كما شاء على أي حال يشاء ان شاء قتر وان شاء وسع (وليزيدن كثير منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أي والله ليزيدن القرآن علماء اليهود غلوا في الانكار وشدة في الكفر إذ كلما نزلت آية كفروا بها كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فكل فرقة من اليهود تخالف الأخرى فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم فان اليهود فرق فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة وكذا النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية (كلما أو قد و انار للحرب أطفأها الله) أي كلما هموا بحاربة أحد رجعوا خائبين مقهورين وقد أتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطر من الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله

عليهم المسلمين وكلما أرادوا محاربة النبي صلى الله عليه وسلم ورثوا أسباغهم وأوركبوا في ذلك متن كل صعب  
 ردهم الله تعالى وقهرهم وذلك لعدم اثباتهم (ويسعون في الأرض فسادا) أي ويجهتدون في الكيد  
 للإسلام وأهله واثارة الفتنة بينهم وفي تعويق الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يحب  
 المفسدين) أي والله يعاقب المفسدين في الأرض كاليهود وغيرهم (ولو أن أهل الكتاب) أي إن  
 اليهود والنصارى (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) مخالفة كتابهم (لكفرنا عنهم  
 سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم) فالكتاب لا يدخل الجنة ولا يرفع عنه العقاب ما لم يسلم والإسلام  
 يجب ما قبله (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) أي أقاموا أحكامهما وحدودهما (وما أنزل إليهم  
 من ربه) من الكتب ككتاب شعيب وكتاب حيقوق وكتاب دانيال وكتاب أرميا وزبور داود لأنهم  
 مكافون بالإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وأيضا في هذه الكتب ذكر محمد صلى الله عليه وسلم  
 فيكون المراد بإقامة هذه الكتب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربه  
 القرآن لأنهم مأمورون بالإيمان به فكأنه نزل إليهم من ربه (لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)  
 وهذه مبالغ في السعة والخصب لأن هناك فوقا وتحتا والمعنى لا كلوا أكلام متصلا كثيرا وقيل من نزول  
 القطر ومن حصول النبات وقيل من الأشجار المثمرة ومن الزروع المغلة وقيل المراد أن يرزقهم الله الجنان  
 البانعة النمار فيجتنون ما تهدل من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم  
 هذا في القائلتين يد الله مغولة الذين ضيق عليهم عقوبة لهم (منهم) أي من أهل الكتاب (أمة مقتصدة)  
 أي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وبجير الراهب وأصحابه والنجاشي  
 وأصحابه وسلمان الفارسي وأصحابه (وكثر منهم ساء ما يعملون) من العناد وتحريف الحق والافراط  
 في العداوة وكتمان صفة محمد ككعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وسعيد بن عمرو وأبي  
 ياسر وجدي بن أخطب (يا أيها الرسول) أي يا محمد (بلغ ما أنزل إليك من ربك) من غير مبالاة  
 لليهود والنصارى. ومن غير خوف من أن ينالك مكروه أبدا (وان لم تفعل) ما أمرت به من تبليغ  
 جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها (فابلعت رسالته) أي رسالة ربك وقرأ ابن عامر ونافع  
 وشعبة رسالته بجميع تأنيث سالم وقرئ فابلعت رسالاتي وهذا تنبيه على غاية التهديد (والله يعصمك  
 من الناس) أي السكفار أي يؤمنك من مكر اليهود والنصارى من قتلهم وعن أنس رضي الله عنه كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه سعد وحذيفة حتى زالت هذه الآية فأخرج رأسه من قبة آدم وقال  
 انصرفوا يا أيها الناس فقد عهني الله من الناس (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) أي انه تعالى  
 لا يمكنهم بما يريدون بل من القتل روى أنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة في بعض أسفاره وعلق  
 سيفه عليها فأتاه أعرابي وهوناهم فأخذ سيفه وأخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد  
 الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه (قل يا أهل الكتاب لستم على  
 شيء) من الدين ولا في أيديكم من الصواب (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) أي تحافظوا على ما فيهما من  
 دلائل رسالة الرسول وشواهد نبوته فان أقامتهم ما غاياتكون بذلك وأما إعادة أحكامهما المنسوخة  
 فليست من أقامتهما في شيء (وما أنزل إليكم من ربكم) أي حتى تراعوا على ما في القرآن بالإيمان به فان  
 إقامة الجميع لا تحصل بغير ذلك (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك) وهو القرآن (طغيانا)  
 أي تماديا في الجحود (وكفرا) أي ثباتا على الكفر (فلاتأس على القوم الكافرين) أي لا تتأسف

عليهم بسبب زيادة طغيانهم وكفرهم ولا بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم (ان الذين آمنوا) اي ايماناً  
حقاً بموسى وبجمله الانبياء والكتب وما توا على ذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (والذين هادوا)  
أي دخلوا في اليهودية (والصابئون) هم قوم من النصارى وهم الذين قولوا من النصارى (والنصارى من  
آمن) من هؤلاء الثلاثة (بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) أي خالصاً فيما بينهم وبين دبه وتاب اليهودي  
من اليهودية والصابئون من الصابئة والنصارى من النصرانية (فلا خوف عليهم) اذا ذبح الموت  
(ولا هم يحزنون) اذا طبقت النار قولهم والذين هادوا مبتدأ فالواو لعطف الجمل أولاً لاستئناف وقوله  
والصابئون عطف على هذا المبتدأ كقوله والنصارى وقوله فلا خوف عليهم الخ خبر عن هذه المبتدآت  
الثلاثة وقوله من آمن يدل بعض من هذه الثلاثة فهو محض ص فالأخبار عن اليهود ومن بعدهم بما ذكر  
بشرط الايمان بما ذكر وقوله ان الذين خبران محذوف دل عليه المذكور من خبر هذه الثلاثة وقرئ  
والصابئين وقرئ يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وهم من صبو الى اتباع الهوى والشهوات  
في دينهم (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) أي بالله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الاحكام  
المكتوبة عليهم في التوراة (وأرسلنا اليهم رسلاً) ذوي عدد كثير ليقرروهم على مراعاة حقوق  
الميثاق (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) أي كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تحبه  
أنفسهم المنهمكة في الفنى من الشرائع وميثاق التكليف عصوه وعادوه (فريقاً كذبوا) أي فريقاً من  
الرسل كذبوهم كعيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم (وفريقاً) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى  
عليهما السلام وقصدوا أيضاً قتل عيسى وان كان الله منهم عن مرادهم وهم يرمون انهم قتلوه فذكر  
التكذيب بلفظ الماضي إشارة مع معاملتهم مع موسى عليه السلام فانهم كذبوه في كل مقام وعردوا على  
أوامره لانه قد انقضى من ذلك الزمان أدوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المضارع إشارة الى معاملتهم مع  
زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ليكون ذلك الزمان قريبا فكان كالحاضر ومحافظة للفاصلة  
(وحسبوا أن لا تكون فتنة) أي ظن بنو اسرائيل أن لا توجد بلاء وعذاب يقتل الانبياء وتكذيبهم  
لانهم كانوا يعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله لانهم  
اعتقدوا أن النسخ ممتنع على شرع موسى وكانوا يعتقدون أن نبوة اسلافهم تدفع عنهم العقاب الذي  
يستحقونه بسبب ذلك القتل والتكذيب (فعموا) عن الهدى (وهو) عن الحق فخالفوا أحكام التوراة  
فقتلوا شعياء وأوجبوا أرمياء عليهما السلام فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهم راسب على بابل  
فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفاً عن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى أرضه فبقوا هناك  
دهرا طويلا على أقصى الذل الى أن أحمدوا توبة صحيحة (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا فوجه الله  
تعالى ملكا عظيما من ملوك فارسى الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من أسر بخت نصر  
وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الأقطار فعمرو ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا  
عليه وقيل لما ورثهم من الملك من جده ألقى الله تعالى في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم  
دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى  
أحسن ما كانوا عليه من الحال (ثم عموا وصموا كثير منهم) فعادوا الى الفساد واجترأوا على قتل زكريا  
ويحيى وقصدوا قتل عيسى فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه  
خيدرودفعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الحيش مذبح قرايينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم فقالوا دم



قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوف منهم ثم قال ان لم تصدقوني ماتركت منكم أحدا فقالوا  
أنه دم يحيى عليه السلام فقال بئس هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب  
قومك من أجلك فاهدأ بذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا منهم فهدأ (والله بصير عما يعملون) أى  
وان دق فيجازيهم به وفق أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) قيل هم الملكانية  
والمارونية منهم القائلون بالاتحاد وقيل هم اليعقوبية خاصة لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولعل  
معنى هذا المذهب انهم يقولون ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى (وقال المسيح) أى  
والحال قد قال المسيح مخاطبا لهم (يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) أى وحدوا الله في العبادة  
خالق وخالقكم (انه) أى الشأن (من يشرك بالله) شيئا في عبادته أو فيما يختص به من صفات  
الالهية (فقد حرم الله عليه الجنة) أى فقد منعه الله من دخولها (ومأواه النار) فانها هي المعدة  
للمشركين (ومال للظالمين من أنصار) أى ومال لهم من أحد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المبالغة  
أو بطريق الشفاعة فقولته تعالى انه من يشرك الى الآيات واردة من جهته تعالى لتأكيده مقالة عيسى عليه  
السلام ولتقرير مضمونها (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهم النسطورية والمرقسية وفي  
تفسير قولهم طريقان الاول قال بعض المفسرين انهم أرادوا بذلك ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة فعنى  
ثالث ثلاثة أى أحد ثلاثة آلهة فكل واحد من هؤلاء انه لانهم يقولون ان الالهية مشتركة بين هؤلاء  
الثلاثة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة اذ المريد به ثالث ثلاثة آلهة فانه مامن شيتين  
الا والله ثالثهما بالعلم اه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاني بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والثاني  
حكى المتكلمون عن النصارى انهم يقولون ان الاله جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم أب وابن وروح  
قدس فهذه الثلاثة الاله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القصر والشعاع والحراة وعنوانها بالآب  
الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى  
اختلاط الماء بالماء واختلاط الماء بالخمير وزعموا أن الآب والابن والروح الاله والكل الاله واحد  
(ومامن الاله الا الاله واحد) أى وما في الوجود من هذه الحقيقة الا فرد واحد أو المعنى ومامن الاله لاهل  
السموات والارض الا الاله لا ولده ولا شريك له فهو الاله واحد بالذات منزوع عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه  
(وان لم ينتهوا عما يقولون) أى من هاتين المقالتين وما قرب منهما (ليمن الذين كفروا منهم) أى  
لبصيين الذين أقاموا على هذا الدين (عذاب أليم) أى شديد الألم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه)  
أى ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله عن تلك المقالة والعقيدة  
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول أو المعنى أي سمعون هذه الشهادات المكررة  
والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقب سماع تلك القوارع الهائلة (والله غفور) لمن تاب وآمن  
(رحيم) لمن مات على التوبة (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى ما هو الا رسول  
من جنس الرسل الذين مضوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بامثالها فليس باله كالرسل الخالية له  
فانهم لم يكونوا آلهة فان كان الله أبره الا كبره الأبرص وأحيا الموتى على يد عيسى عليه السلام فقد خلق  
البحر وأحيا العصار جعلها حية تسمى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب منه وان كان الله خلقه من غير  
أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب منه (وأمة صديقة) أى ومأمة الصديقة أى تلازم  
الصدق وتصدق الانبياء وتبالغ في بعدها عن المعاصي وفي إقامة مراسم العبودية كسائر النساء اللاتي

يلزم الاتصاف بذلك فارتبة عيسى الارتبة نبي ومارتبة أمه الارتبة صحابي فمن أين لكم أن تصفوهما  
 بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواص الناس فإن أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكمل  
 صفات أمه الصديقية وذلك لا يستلزم لهما الألوهية (كأناباً كلان الطعام) كسائر أفراد البشر  
 (انظر) يا شرف الخلق (كيف نبين لهم الآيات) أي العلامات بأن عيسى ومريم لم يكونا بالهين  
 وببطلان ما تقولوا عليهما (ثم انظر أفي يؤفكون) أي كيف يصرفون عن استماع الآيات وعن التأمل  
 فيها فانه بين لهم الآيات بيانا عجبا واعراضهم عنها أعجب منها (قل أتعبدون من دون الله) أي غيره  
 (مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) وهو عيسى عليه السلام فإن مذهب النصاري أن اليهود صلبوه ومزقوا  
 أضلاعه ولما عطش وطلب الماء منهم صبوا الخلل في منخرية ومن كان في الضعف هكذا كيف يعقل أن  
 يكون الهافلو كان كذلك لا متنه كونه مشغولا بعبادة الله تعالى ومن كان كذلك كان محتاجا اليه في  
 تحصيل المنافع ودفع المضار ومن كان كذلك كيف يقدر على إيصال المنافع إلى العباد ودفع المضار عنهم وإذا  
 كان كذلك كان عبدا كسائر العبيد (والله هو السميع العليم) والمراد من هذه الجملة التهديد أي سميع  
 بكفرهم ولما لثمتهم في عيسى وأمه عليم بضمائرهم وبعقوبتهم (قل يا أهل الكتاب) أي يامعشر اليهود  
 والنصارى (لا تغلوا في دينكم غير الحق) أي لا فتجاوزوا الحد في دينكم تجاوزا باطلا فإن الغلو في الدين  
 نوعان غلو حق وهو أن يجتهد في تحصيل حجة وتقريرها كما يفعله المتكلمون وغلو باطل وهو أن يتكلف في  
 تقرير الشبهة ويتجاوز الحق ويعرض عن الأدلة وذلك الغلو هو رفع النصاري لعيسى فقالوا إنه اله وخفض  
 اليهود له فقالوا إنه ابن زنا وأنه كذاب (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أي لا تتبعوا مذهب قوم قد  
 ضلوا من قبلكم عن التوراة والانجيل (وأضلوا كثيرا) من الناس بتأديهم في الباطل (وضلوا عن سواء  
 السبيل) أي عن الدين الحق وعن القرآن بسبب اعتقادهم في ذلك الاضلال أنه ارشاد إلى الحق (لعن  
 الذين كفروا من بني إسرائيل) أي لعن الله تعالى اليهود في الزبور والنصارى في الانجيل (على لسان داود  
 وعيسى بن مريم) فاليهود لعنوا على لسان داود والنصارى لعنوا على لسان عيسى والغريقان من بني  
 إسرائيل وهم أصحاب السبت وأصحاب المائة أما أصحاب السبت فمهم قوم داود وذلك أن أهل أيلة لما  
 اعتدوا في السبت بأخذ الخيتان دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فندخهم  
 الله قردة وأما أصحاب المائة فانهم لما أكلوا من المائة وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم  
 عذب من كفر بعد ما أكل من المائة عذابا لم تعذبه أحد من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت  
 فندخوا قردة وخنازير وكانوا خمسة آلاف ليس فيهم امرأة ولا صبي (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي  
 ذلك لعن الغطيع بسبب عصيانهم ومبالغتهم في العصيان (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي  
 كانوا لا يمتنعون عن معاودة منكر فعلوه ولا يتركونه ولا يصدر من بعضهم نهى لبعض عن منكر أرادوا  
 فعله روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رضى عمل قوم فهو منهم ومن كثر سوءا قوم فهو  
 منهم (لبئس ما كانوا يفعلون) أي أقسم لبئس ما كانوا يفعلونه فعلهم هذا وهو ترك الاصرار على  
 منكر فعلوه وترك النهي عنه (ترى كثيرا منهم) أي تبصر كثيرا من أهل الكتاب ككعب بن  
 الأشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) أي يصادقون كفارا أهل مكة أباسفیان وأصحابه بغضا  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أي فإن كعبا واضرا به خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على  
 محاربة النبي صلى الله عليه وسلم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن يخط الله عليهم) أي لبئس شيئا

قدموا من مواليتهم لعبدة الاوثان - لئلا يمعادهم موجب سخطه تعالى عليهم (وفي العذاب هم خالون)  
 أي وخلودهم أبد الأبد في عذاب جهنم وهذه الجملة مبطوفة على ما قبلها فهي من جملة المخصوص بالذم  
 (ولو كانوا) أي أهل الكتاب الذين يوالون المشركين (يؤمنون بالله والنبي) أي نبيهم وهو موسى (وما  
 أنزل اليه) من التوراة كما يدعون (ما اتخذوهم) أي ما اتخذ اليهود المشركين (أولياء) لان تحريم  
 ذلك متأكد في التوراة في شرع موسى عليه السلام فلما فعلوا ذلك ظهرا انه ليس مرادهم تقرر دين  
 موسى بل مرادهم الرياسة فيسعون في تحصيله بأي طريق قدر واعليه فلهذا وصفهم الله تعالى بالفسق  
 فقال (ولكن كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الدين والايان بالله ونبيهم وكما هم أما البعض  
 منهم فقد آمن وفي هذه الآية وجه آخر ذكره القفال وهو أن يكون المعنى ولو كان هؤلاء المتولون من  
 المشركين يؤمنون بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذهم هؤلاء اليهود أولياء وهذا الوجه حسن ليس  
 في الكلام ما يدفعه (لتجدن) يا أكرم الخلق (أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)  
 من أهل مكة لشدة شقيتهم وقضاء كفهم وانما كهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم  
 عن التحقيق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما خلا يهوديان بمسلم الا هما يقتله وقد قال بعضهم  
 مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من خالفهم في الدين بأي طريق كان فان قدر واعلى القتل  
 فذلك والا فبغصب المال أو بالسرقة أو بدموع من الحيلة وأما النصارى فليس مذهبهم ذلك بل الايذاء  
 حرام في دينهم فهذا وجه التفاوت وذكر الله تعالى ان النصارى ألين عريكة من اليهود وأقرب الى المسلمين  
 منهم (ولتجدن) يا أشرف الخلق (أقربهم) أي الناس (مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى)  
 انما أسند تسميتهم نصارى اليهم دون تسمية اليهود للاشعار بقرب مودتهم حيث يدعون انهم أنصار الله  
 وأدلاء أهل الحق وان لم يظهر والاعتقاد حقيقة الاسلام فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية  
 اليهود يهودا فانها حقيقة سواء هو بذلك لكونهم أولاد يهود بن يعقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة الجبل  
 أو لتحركهم في دراستهم (ذلك) أي لكونهم أقرب مودة للمؤمنين (بأن منهم) أي بسبب انهم  
 (قسيسين) أي علماء (ورهبانا) أي عبادا أصحاب الصوامع (وأنهم لا يستكبرون) عن قبول  
 الحق اذا فهموه كما استكبر اليهود والمشركون من أهل مكة (ر) انهم (اذا سمعوا) أي القسيسون  
 والرهبان الذين آمنوا منهم (ما أنزل الى الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (ترى أعينهم  
 تفيض من الدمع) أي تمتلئ من الدمع حتى تفيض أي تسيل (عما عرفوا من الحق) أي من نعت محمد  
 صلى الله عليه وسلم في كتابهم أو عما عرفوا بعض الحق الذي هو القرآن وروى ان قريشا تشاورت ان يقتنوا  
 المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من آمن منهم فأذوهم وعذبوهم ومنع الله تعالى رسوله محمد صلى  
 الله عليه وسلم بعمة أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه أمرهم بالخروج الى  
 أرض الحبشة وقال ان بهاملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوه اليه حتى يجعل الله للمسلمين  
 فرجا فخرج اليها مرة أحد عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقيقة بنت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة  
 وأمه أته سهلة ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت أمية وعمة مان بن مظعون  
 وهاشم بن ذبيبة وامرأة ليلى وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة  
 بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعدهم

جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر إلى أرض الحبشة اثنتين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش إن ناركم بأرض الحبشة فاهدوا إلى النجاشي واسمعه أحمدة وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة بهدايا إلى النجاشي وبطارقته ليردهم إليهم فدخلوا إليه فقال له أيها الملك أنه قد خرج فينا رجلاً زعم أنه نبي وهو قد بعث إليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نخبرك خبرهم وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم فقال حتى نسألهم فأمر بهم فأحضروا فلما أتوا باب النجاشي قالوا يا سيدي أؤلياء الله فقال أنذروا لهم فرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى أنهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منكم أن تحيوني بتحيتي قالوا أنا حينئذ بك تحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى واه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء ويقول في مريم أنها العذراء البتول فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذه العود فذكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئاً مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرأوا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأوا فتحدثت دموعهم وما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر الطيار من القراءة فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فإنتم بأرضي آمنون فرجع عمرو ومن معه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار إلى أن علا أمر رسول الله وقهر أعداءه في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليروجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشي إليها جارية اسمها ابرهة فخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرت أم حبيبة بذلك وأذنت لخالد بن سعيد أن يزوجها فانفذ النجاشي إليها ربعمائة دينار صدقها على يد ابرهة وقالت ابرهة قد صدقت بمحمد وأمنت به وهاجتي إليك أن تقرتيه مني السلام قالت نعم وقالت نخرجنا إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وأقت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فقراءت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد الرسول عليها السلام ووافى جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخير ومع جعفر سبعون رجلاً عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلاً من الحبشة وثمانية نفر من رهبان الشام بخير الراهب وأصحابه ابرهة وأشرف وأدريس وعجم ودريد وبعين وكلهم من أصحاب النجاشي فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس إلى آخرها فبكوا وآمنوا وأسلموا وقال ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام (يقولون ربنا آمنا) بما سمعنا مما أنزل على رسولك وشهدنا أنه حق (فاكتبنا مع الشاهدين) أي فاجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا فلما لامهم قومهم بالاسلام فقالوا بتحقيق إيمانهم (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وجملة قوله تعالى لا تؤمن حال من الضمير في لنا وجملة لا نطمع حال ثانية منه بتقدير مبتدأ أي أي شيء محصل لنا غير مؤمنين بالله وما جاءنا من القرآن والرسول ونحن نطمع في محبة الصالحين ويجوز أن يكون قوله ونطمع حالاً من الضمير في لا تؤمن على معنى أنهم أنكروا على أنفسهم عدم إيمانهم مع أنهم يطمعون في محبة المؤمنين) فأثابهم الله بما قالوا أي جعل الله ثوابهم على قولهم ربنا آمنا مع اخلاص النية ومعرفة الحق أو بسبب ما سألوا

بقولهم فاكتمنا مع الشاهدين كما رواه عطاء عن بن عباس وقرئ قاتاهم الله (جنات تجري من تحتها  
الأنهار خالدين فيها وذلك) أي الجنات (جزاء المحسنين) بالإيمان أو المعنى جزاء الذين اعتادوا  
الاحسان في الأمور وروى أن هذه الآيات الأربع نزلت في النجاشي وأصحابه (والذين كفروا وكذبوا  
بما ياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي ملازمون لها لا يتفكون عنها دون غيرهم من عصاة المؤمنين وأن  
كثرت كثرتهم (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أي لا تعتقدوا تحريم ما أحل  
الله لكم ولا تظهروا باللسان تحريمه ولا تجنبوا عند الطيبات اجتنابا يشبه الاجتناب من المحرمات ولا  
تلتزموا تحريم الطيبات بنذر أو عين (ولا تعتدوا) أي لا تسرفوا في تناول الطيبات ولا تتجاوزوا أمر الله  
بقطع المذاكير (إن الله لا يحب المعتدين) من الحلال إلى الحرام كالمثلة فمن اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد  
كفرا ما ترك لذات الدنيا والتفرغ بعبادة الله تعالى من غير إضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير فضيلة  
مأمور بها نزلت هذه الآية في عشرة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم أبو بكر الصديق  
وعمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون الجهمي ومقداد بن الأسود الكندي وسالم مولى أبي  
حذيفة وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وذلك لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يوم القيامة لأصحابه يوما فبالغ الكلام في الإنذار فبكوا واجتمع هؤلاء العشرة في بيت عثمان بن مظعون  
وتشاوروا واتفقوا على عزههم أن يرفضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة والمشارب الذنية  
وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل وأن لا يناموا على الفرش ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح ويسبحوا  
في الأرض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أني لم أؤمر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم أن  
لا تنفسم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأكل اللحم والدم  
وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني \* وروى أن عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه وسلم  
وسلم فقال ائذن لي في الاختصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منامن خصي ولا من اختصني ان  
خصاء أمتي الصيام فقال يا رسول الله ائذن لي بالسياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله قال  
يا رسول الله ائذن لي في الترهيب قال إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد لا تنتظار الصلاة (وكلوا مما  
رزقكم الله حلالا طيبا) أي كلوا بعض رزقكم من الله الذي يكون حلالا مستلذا وأصرفوا البقية إلى  
الصدقات والخبرات (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) في تحريم ما أحل الله لكم وفي المثلة (لا يؤاخذكم  
الله بالغفوي أيمانكم) قد تقدم أن قوما من أصحابه حرموا على أنفسهم المطاعم والملابس واختاروا  
الرهانية وحلفوا على ذلك على ظن أنه قربة فلما نهاهم الله تعالى عنها قالوا يا رسول الله فكيف نصنع  
بإيماننا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) أي بتعقيدكم الأيمان  
بالقصد إذا حنثتم قرأنا نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم عقدتم بتشديد القاف وقرأ حمزة  
والكسائي وأبو بكر عن عاصم عقدتم بتخفيف القاف وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر ما قدتم بالالف  
والتخفيف (فكفارته) أي فكفارة تكلم الأيمان التي ليست بلفظ (اطعام عشرة مساكين من أوسط  
ما تطعمون أهليكم) في قدر الطعام وهو ثلثا من لكل مسكين فإن الإنسان قد يكون قليل الأكل جدا  
يكفيه الرغيف الواحد وقد يكون كثيرا لا يكفيه المنوان والمتوسط الغالب يكفيه من الخبز ما يقرب  
من المنى فثلثا منى من الخنطة إذا جعل دقيقا أو خبزافا أنه يصير قريبا من المنى وذلك كاف في قوت اليوم  
الواحد (أو كسوتهم) بأقل ما يملق عليه اسم الكسوة كالأرداء وقيص أو سراويل أو عمامة لكل

مسكين ثوب واحد (أو تحرير رقبة) وتقديم الطعام على العتق لأن المقصود تنبيهه على أن هذه الكفارة  
وجب على التخيير بين هذه الثلاثة ولأن الطعام أسهل لكون الطعام أعم وجوداً ولأن الطعام  
أفضل لأن الحر الفقير قد لا يجد الطعام أما العبد فإنه يجب على مولاه إطعامه وكسوته (فإن لم يجد)  
واحداً من هذه الثلاثة (فصيام ثلاثة أيام) ولو متفرقة لما روى أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم  
على أيام من رمضان أفأقضيها متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم رأيت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم  
فألدرهم أما كان يجزيك قال بلى قال فإنه أحق أن يعفو ويصقع والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص  
السبب (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم إذا حلفتم) وحذثتم (واحفظوا أيمانكم) أي قللو الأيمان  
وضنوا بها (كذلك) أي مثل ذلك التبيين لحكم الأيمان (يمين الله لكم آياته) أي أعلام شريعته  
(لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم (يا أيها الذين آمنوا اغتوا الحمر) أي المسكر (والميسر) أي القمار  
والانصاب أي الأصنام التي نصبها المشركون ويعبدونها (والأزلام) سهام مكتوب عليها خير وشر  
(رجس) أي قدر تعاف عنه العقول (من عمل الشيطان) أي من الأمور التي يزينها للنفس (فاجتنبوه)  
أي الرجس (لعلكم تفلحون) أي لكي تنجوا من العذاب (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة  
والبغضاء في الخمر) إذا صرتم نشاوى كما فعل الانصارى الذي شجع رأس سعد بن أبي وقاص بلهى الجمل  
(والميسر) إذا ذهب مالكم (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لأن شرب الخمر يورث اللذة الجسمية  
والنفس إذا استغرقت فيها غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة ولأن الشخص إذا كان غالباً في القمار صار  
استغراقه في لذة الغلبة مانعاً من أن يخطر بباله شيء سواه (فهل أنتم منتهون) أي قد بينت لكم مفسد  
الخمر والميسر فهل تنتهون عنهم أم أنتم مقيمون عليهما كأنكم لم توعظوا بهذه المواعظ (وأطيعوا الله  
وأطيعوا الرسول) في أمرهما بالاجتناب عن الخمر والميسر (واحدروا) عن مخالفتهم في التكليف  
(فإن قوليتم) أي أعرضتم عن طاعتهم ما وعن الاحتراز عن مخالفتهم (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ  
المبين) أي الفالحة قامت عليكم والعلل انقطعت لأن الرسول قد خرج عن عهدة التبليغ كمال الخروج  
وما بقي بعد ذلك إلا العقاب وهذا تهديد شديد (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح) أي أنتم  
(فيما طعموا) من الخمر ومن مال اللعب بالملاهي (إذا ما اتقوا) أن يكون في ذلك شيء من المحرمات  
أي إذا عملوا الاتقاء (وآمنوا وعمالوا الصالحات) أي واستمروا على الأيمان والاعمال الصالحة (ثم  
اتقوا) ما حرم عليهم بعد ذلك (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) أي استمروا على اتقاء المعاصي (وأحسنوا)  
أي اتجروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها (والله يحب المحسنين) روى أنه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت  
المحابة أن اخواننا كانوا قد شربوا الخمر يوم أحد ثم قتلوا فكيف حالهم فنزلت هذه الآية وروى أبو  
بكر الأصم أنه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر يا رسول الله كيف بأخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر  
وفعلوا القمار وكيف بالغائبين عنا في البلدان لا يشعرون أن الله حرم الخمر وهم يطعمونها فأنزل الله  
هذه الآيات (يا أيها الذين آمنوا ألبسواكم الله) أي ليختبرن الله طاعتكم من معصيتكم (بشيء من  
الصيد) أي من صيد البر (تناله أيديكم ورماحكم) قال مقاتل بن حبان ابتلاه الله بصيد البر وهم  
محرمون عام الحديبية حتى كانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم فيقيدون على أخذ الطير بالأيدي  
والوحش بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عنها ابتلاء (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أي ليعاملكم  
معاملة من يطلب أن يعلم من يخافه حال كون الله تعالى غير مرئي له غائباً عن رؤيته أو يخافه بأخلاص



القلب فيترك الصيد (فن اعتدى) بالتعرض للصيد (بعد ذلك) أي بعد بيان أن ما وقع من الصيد ابتلاء من عند الله تعالى لتمييز المطيع من العاصي (فله عذاب أليم) وهو العذاب في الآخرة والتعزير في الدنيا قال ابن عباس هذا العذاب هو أن يضرب بطنه ويظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه ولما قتل أبو اليسر ابن عمرو صيدا متعمدا بقتله ناسيا لأحرامه أنزل الله تعالى قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أي محرمون أو داخلون في الحرم (ومن قتله) أي الصيد (منكم متعمدا) أي بقتله مع نسيان الأحرام كما قاله مجاهد والحسن (جزاء مثل ما قتل من النعم) أي شبهة في الحلقة والتقييد بالتعمد لأن الآية نزلت في المتعمد حيث قتل أبو اليسر حمارا وحش وهو محرم عمدًا ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ ملحق بالعمد فيستوى في محظورات الأحرام العمد والخطأ في جزاء الاتلافات (يحكم به) أي بمثل ما قتل (ذو عدل منكم) أي رجلان صالحان من أهل دينكم فقيهان عدلان فينظران إلى أشبه الأشياء بالمقتول من النعم فيه كان به قال ميمون بن مهران جاء أعرابي إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال أنى أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر رضي الله عنه أي بن كعب فقال الأعرابي أتيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر رضي الله عنه وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقنا على شيء أمرناك به وعن قبيصة بن جابر أنه حين كان محرمًا ضرب ظبيًا فأت فسأل عمر بن الخطاب وكان يجنبه عبد الرحمن بن عوف فقال عمر لعبد الرحمن ما ترى قال عليه شاة قال وأنا أرى ذلك فقال اذهب فاهد شاة قال قبيصة فخرجت إلى صاحبي وقلت له إن أمير المؤمنين لم يدري ما يقول حتى سأله غيره قال ففاجأني هرو علفي بالدرة وقال أقتل في الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم فأنامر وهذا عبد الرحمن بن عوف وقد حكم ابن عباس وعمر وغيرهما بشاة في الحماة وهو كل ما عاب وهدر من الطير كالقمرى والدبسى (هديا بالغ الكعبة) فهديا منصوب على التمييز والمعنى يحكم بالمثل هديا يساق إلى الكعبة أي إلى أرض الحرم فينحر هناك (أو كفارة طعام مساكين) فقوله كفارة عطف على قوله جزاء أي فعليه جزاء أو كفارة الخ أو عطف على محل قوله من النعم وقوله طعام مساكين عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة (أو عدل ذلك) أي أو مثل ذلك الطعام (صياما) فقوله أو عدل عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعددهم فيثبت ذلك المماثلة وصفًا لا لزما للجزاء بقدر به الهدى والطعام والصيام أما الأولان فبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثالث فيختار الجاني كلا من هذه الثلاثة (ليذوق وبال أمره) أي جزاء ذنبه والوبال في اللغة الثقل وانما سمى الله ذلك وبالًا لأن أحد هذه الثلاثة ثقيل على الطبع لأن في الجزاء بالمثل والاطعام تنقيص المال وفي الصوم انهاء البدن والمعنى أنه تعالى أوجب على قاتل الصيد أحد هذه الأشياء التي كل واحد منها ثقيل على الطبع حتى يحترز عن قتل الصيد في الحرم وفي حال الأحرام (عفا الله عما سلف) أي لم يؤاخذ الله بقتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم لأن قتله إذ ذاك مباح (ومن عاد) أي قتل الصيد بعد النهي عنه (فيعتقم الله منه) أي فهو ينتقم الله منه في الآخرة مع لزوم الكفارة (والله عزيز) أي غالب لا يغالب (ذو انتقام) أي ذو عقوبة شديدة (أحل لكم صيد البحر وطعامه) أي أحل لكم أيها الناس صيد جميع المياه العذبة والمالحة بحرا كان أو نهرا أو غدير أي اصطيدا بصيد الماء والانتفاع به بأكله ولاجل عظامه واسنانه وأحل لكم طعام البحر أي أكله فالصيد كما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد

عما لفظه البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة في أخذه قال الشافعي رحمه الله السمكة الطافية في البحر  
محلاة والسمك عنده ما لا يعيش إلا في الماء ولو كان على صورة غير الماء كولد من حيوان البر كالآدمي  
والكلب والخنزير فهذا كله حلالا عنده بخلاف ما يعيش في الماء والبر كالسرطان والضفدع والتمساح  
والسلحفاة وطير الماء وحجة الشافعي القرآن والخبر أما القرآن فهو قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه  
فما يمكن أكله يكون طعاما فيحل وأما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم في حق البحر هو الطهور وماؤه الحل  
ميتته نزلت هذه الآية في قوم من بني مدلج كانوا أهل صيد البحر سأوا النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام  
البحر وعما حسر البحر عنه ومعنى قوله وطعامه أي ما حسر عنه البحر وألقاه (متاعا لكم وللسيارة) أي  
أحل لكم ذلك لأجل انتفاعكم وللسافرين منكم يتزودونه قديدا فالطير للقيم والمالح للمسافر (وحرم  
عليكم صيد البر ما دمتم حرما) أي محرمين أو في الحرم فذهب أبي حنيفة يحل للمعمر أكل ما صاده الحلال  
وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل إحرامه لأن الخطاب للمعمرين فكانه قيل  
وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح ما صيده فان لحم  
الصيد عندهم مباح للمعمر بشرط أن لا يصطاده المحرم ولا يصطاده والحجة فيه ما روى أبو داود في سنته  
عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصطاد لكم  
(واتقوا الله الذي إليه تحشرون) لا إلى غيرهم حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إلى غيره  
فاخشوه تعالى في جميع المعاصي (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أي صير الله الكعبة  
سببا لحصول الخيرات في الدنيا والآخرة وخلق الدواهي في قلوب الناس لتعظيمها حتى صار أهل الدنيا  
يأتون إليها من كل فج عميق لأجل التجارة فصار ذلك سببا لاسيماغ النعم على أهل مكة وكان العرب  
يتفائلون ويغيرون إلا في الحرم فكان أهل الحرم آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم وجعل الله في  
الكعبة الطاعات الشريفة والمناسك العظيمة وهي سبب لحط الخطيئات ورفع الدرجات وكثرة  
الكرامات وصار أهل مكة بسبب الكعبة أهل الله وخاصته وسادة الخلق إلى يوم القيامة وكل أحد يعظمهم  
(والشهر الحرام) أي وجعل الله الشهر الحرام سببا لقوام معيشتهم فإن العرب كان يقتل بعضهم بعضا  
في سائر الأشهر ويغير بعضهم على بعض فإذا دخل الشهر الحرام الذي هو ذو القعدة وذو الحجة والمحرم  
ورجبا زال الخوف وقدر وأعلى الأسفار والتجارات وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم (والهدى)  
أي وجعل الهدى سببا لقيام الناس وهو ما يهدي إلى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه على الفقراء فيكون  
ذلك نسكا للهدى وقواما لمعيشة الفقراء (والقلائد) أي وجعل الله الأشخاص الذين يتقلدون بها  
شجر الحرم سببا لآمنهم من العدو فأنهم كانوا إذا أرادوا شخصاً جعل في عنقه تلك القلادة عرفوا أنه راجع من  
الحرم فلا يتعرضون له (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) أي ذلك التدبير اللطيف  
من الجعل المذكور لأجل أن تتفكر وفيه أنه تدبير لطيف فتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في  
الأرض فان جعل ذلك لأجل جلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل الوقوع دليل على علمه بما هو في  
الوجود وما هو كائن ثم إذا عرفتم ذلك عرفتم أن علمه تعالى صفة قديمة واجبة الوجود فوجب كونه متعلقا  
بجميع المعلومات فلذلك قال تعالى (وأن الله بكل شيء عليم) فلا يخرج شيء عن علمه المحيط (اعلموا أن  
الله شديد العقاب) لما ذكر الله تعالى أنواع الرحمة ذكر بعد شدة عذابه تعالى لأن الإيمان لا يتم  
إلا بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلائهم ذكر عقبه ما يدل

على الرحمة دلالة على انها أغلب فقال (وأن الله غفور رحيم) وهذا تنبيه على دققة وهي ان ابتداء الابداع كان لاجل الرحمة والظاهر ان الختم لا يكون الا على الرحمة (ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي ان الرسول كان مكلفا بالتبليغ فلما بلغ خرج عن عهده التكليف وبقي الامر من جانبكم وقد قامت عليكم المحجة فلا عذر لكم من بعد في التفريط وأنما لم يمتدون وبما تكتمون فان خالفتم فاعلموا ان الله شديد العقاب فيؤاخذكم بذلك تقيرا وقطميرا وان أطعتم فاعلموا ان الله غفور رحيم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) فان الحمود القليل من الاعمال والاموال خير من المذموم الكثير منها والخطاب لكل معتبر قيل نزلت هذه الآية في رجل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارقي واني اعتقدت من بيعها ما لا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم ان أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب (فاتقوا الله) بأن تتحروا وترك الخبيث من الاعمال والاموال ظاهرا وباطنا ولا تختالوا في تركه بالتأويل (يا أولى الابواب) أي أصحاب العقول السليمة (لعلكم تفطنون) أي لعلكم تصيرون فائزين بالمطالب الدنيوية والدينية العاجلة والآجلة (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسوكن) أي ان تظهر لكم تلك الاشياء تحزنكن والمعنى اتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن أحوال مخفية ان تبدلكن تسوكنكم وما بلغه الرسول اليكم فكونوا منقادين له وما لم يبلغه اليكم فلا تسألوا عنه فان خضتم فيما لا يكلف عليكم فربما جاءكم بسبب ذلك الخوض ما يشق عليكم روى أنس أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر والمسألة فقام على المنبر فقال سألوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامى هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من أبي فقال أبو له حذافة بن قيس وقام آخر فقال يا رسول الله أين أبي فقال في النار وقال سراق بن مالك أو عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مرتين أو ثلاثة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول ذم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكم لفسدتكم فارتد كوفي ما تركتكم وإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ولما اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنكم يا أيها الذين آمنوا فاستمعوا له وانصتوا لعلكم تتقون انما حديث عهد بجاهلية فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكنم) أي وان تسألوا عن أشياء مستحاجة لاكم الى التفسير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل جبريل بالقرآن ويظهرها حينئذ فالسؤال على قسمين سؤال عن شيء لم يجز ذكره في الكتاب والسنة بوجه من الوجوه فهذا السؤال منهى عنه بقوله تعالى لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكنم تسوكنكم وسؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فهنا السؤال واجب وهو المراد بقوله تعالى وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكنم فالضمير في عنها يرجع الى أشياء أخر كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالمراد بالانسان آدم عليه السلام والمراد بالضمير ابن آدم لان آدم لم يجعل نطفة في قرار مكين (عفا الله عنها) أي أمسك الله عن أشياء أي عن ذكرها ولم يكلف فيها شيء فهذا كقوله صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة الخيل والريق أي خففت عنكم باسقاطها أو المعنى عفا الله عما سلف من مسائلكم التي تغضب رسول

الله صلى الله عليه وسلم فلا تعود والمثلها (والله غفور) لمن تاب (حليم) عن جهلكم (قد سألها)  
 قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أي قد سأل أشياء قوم من قبلكم ثم صاروا كافرين بها فان  
 قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فصار ذلك وبالاعليهم وبني اسرائيل  
 قالوا النبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ثم كفروا وقوم عيسى سألوا المائدة ثم كفروا بها والمعنى  
 ان قوم محمد صلى الله عليه وسلم لم في السؤال عن أحوال الاشياء مشابهون لاولئك المتقدمين في سؤال  
 ذوات تلك الاشياء في كون كل واحد من السؤالين فضولا وخوضا فيما لا فائدة فيه فان المتقدمين انما  
 سألوا من الله انخراج الناقة من الحضرة وأنزل المائدة من السماء فهم سألوا نفس الشيء وأما أصحاب محمد  
 فهم سألوا عن صفات الاشياء فلما اختلف السؤالان في النوع اختلفت العبارة لكن يشتركان في وصف  
 واحد وهو خوض في الفضول وشروع فيما لا حاجة اليه وفي ذلك خطر المفسدة (ما جعل الله من بحيرة  
 ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أي ما أمر الله بذلك فالبحيرة هي الناقة التي تنتج خمسة أبطن في آخرها  
 ذكرا فتشقى اذنها ولا تذبح ولا تتركب ولا تحلب ولا تطرد عن ماء ومرعى ولا يجز لها وبر ولا يحمل على  
 ظهرها بل تسبب لأهنتهم والسائبة هي البعير المسيية وكان الرجل اذا شقى من مرض أو قدم من سفر أو نذر  
 نذرا أو شكر نعمة سبب بغيره أو جعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها والوصيلة فهي الشاة الموصلة وذلك  
 أن الشاة اذا ولدت تسبعة أبطن عمدوا الى البطن السابع فاذا كان ذكرا ذبحوه فأكله الرجال والنساء  
 جميعا وان كان أنثى لم تنتفع النساء منها بشيء حتى تموت فاذا ماتت كان الرجل والنساء يأكلونها جميعا  
 وان كان ذكرا أو أنثى قيل وصلت أحاهنا فيتركان مع اخوتها فلا يذبحان وكان للرجال دون النساء حتى  
 يموتا فاذا ماتا اشترك في أكلهما الرجال والنساء والحام هو الفحل اذا ركب ولد وله قيل حتى ظهره فلا  
 يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ومرعى الى أن يموت فحينئذ تأكله الرجال والنساء (ولكن الذين  
 كفروا يفترون على الله الكذب) أي ان رؤسائهم عمرو بن لحي وأصحابه يفتلقون على الله الكذب  
 ويقولون أمرنا الله بهذا (وأكثرهم) أي الاتباع (لا يعقلون) ان ذلك افتراء باطل قال المفسرون  
 ان عمرو بن لحي الخزاعي كان قد ملك مكة وكان أول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان  
 وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال النبي صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته في النار يؤذى أهل  
 النار برمح قصبه أي معاه (واذا قيل لهم) أي للاكثر الذي هم الاتباع (تعالوا الى ما أنزل الله) من  
 الكتاب المبين للحلال والحرام (والى الرسول) الذي أنزل الكتاب عليه لتمييز الحرام من الحلال (قالوا)  
 حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) والواو والواو الحال  
 دخلت عليها همزة الانكار والتقدير كافيهـم دين آباؤهم وقد كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين  
 ولا يهتدون للصواب ولسنة النبي فكيف يقتدون بهم (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أي احفظوا  
 أنفسكم من ملازمة المعاصي والاصرار على الذنوب (لا يضركم من ضل اذا هتديتم) أي لا يضركم ضلالة من  
 ضل اذا هتديتم الى الايمان وبينتم ضلالتهم كما قاله ابن عباس وقال عبد الله بن المبارك والمعنى عليكم أهل  
 دينكم ولا يضركم من ضل من الكفار وهذا كقوله تعالى فاقتلوا أنفسكم أي أهل دينكم فقوله تعالى  
 عليكم أنفسكم أي اقبلوا على أهل دينكم وذلك بأن يعظ بعضهم بعضا ويرغب بعضهم بعضا في الخيرات  
 وينفروا عن القبائح والسيئات وهذه الآية أو كذا آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله  
 لا يضركم اما مجزوم على أنه جواب للامر وهو عليكم أنفسكم أو مسمى مؤكدا وانما ضمت الراء اتباعا للضممة

الضاد المتقضولة اليها من الراء المدغمه فان الاصل لا يضرركم ويؤيده قراءة يضرركم بفتح الراء وهو مجزوم  
وانما فتحت الراء لاجل الخفة وقراءة من قرأ لا يضرركم بسكون الراء مع كسر الضاد وضمها من ضا يضرير  
ويضور وامام فروع على أنه كلام مستأنف في موضع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضرركم  
بالرفع وبالياء بعد الضاد أي ليس يضرركم ضلال من ضل اذا كنتم ثابتين في دينكم (الى الله مرجعكم  
جميعا أي رجوعكم ورجوع من خالفكم يوم القيامة (فينبشكم بما كنتم تعملون) في الدنيا من الخير  
والشر فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أي شهادة ما بينكم من التنازع (اذا  
حضر أحدكم الموت) أي اذا ظهر لاحدكم أمارات وقوع الموت (حين الوصية) وهذا بدل من قوله  
اذا حضر لان زمان حضور الموت هو زمان حضور الوصية فعرف ذلك الزمان بهذين الأمرين الواقعين فيه  
أي الشهادة المحتاج اليها عند مشاركة الموت (اثنان ذوا عدل منكم) أي من أهل دينكم يامعشر  
المؤمنين (أو آخرا من غيركم) أي غير عادلين من غير أهل دينكم (ان أنتم ضربتم) أي سافرتهم  
(في الأرض) فالعدلان المسلمان صالحان للشهادة في الحضر والسفر وشهادة غير المسلمين لا تجوز الا في  
السفر (فأصابكم مصيبة الموت) أي حضرت عندكم علامات نزول الموت وهذا بيان محل جواز  
الاستشهاد بغير المسلمين (تحبسونهم من بعد الصلاة) أي تقفونهمما للتخليف من بعد صلاة العصر  
كما استحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها جميع أهل الأديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون  
الله فيه ويحترزون عن الحلف بالكاذب (فيقسمان) أي يحلفان (بالله ان ارتبتم) أي ان شككنكم  
في شأن آخرين بقولهم ما والله (لان شترى به) أي بالقسم بالله (ثمنا) أي عوضا يسيرا من الدنيا  
أي لاناخذ لاناخذ أنفسنا بدل ما من القسم بالله عوضا من الدنيا (ولو كان ذا قربي) أي ولو كان ذلك العوض  
اليسير حياة ذا قربي منا أي لانحلف بالله كاذبين لاجل المال (ولانكنتم شهادة الله) أي لانكنتم  
الشهادة التي أمرنا الله تعالى باقامتها واظهارها (انا اذ المن الآثمين) أي انا ان كنا نكنتم شذوذا من  
العاصين (فان عمر على انهما استحقا الثمنا) أي فان حصل الاطلاع بعد ما حلف الوصيان عن أنهما  
استحقا حثنا في اليمين بكذب في قول وخيانة في مال (فآخرا نيقومان مقامهما) أي مقام الشاهدين  
الذين هما من غير ملتهم (من الذين استحق عليهم الأوليان) أي باليمين وبالمال أو الاقربان الى  
الميت الوارثان له والأوليان اما بدل من آخران أو من الضمير الذي في يقومان أو صفة لآخران عند الاخفش  
لان النسكرة اذا تقدم ذكرها ثم أعيد عليها لا كصارت معرفة أو خبر لمبتدأ محذوف وهذا على القراءة  
المشهورة للجمهور وهو استحق بضم التاء وكسر الحاء بالبناء للعجول وانما وصف الورثة بكونهم استحق  
عليهم لانه لما أخذ ما لهم فقد استحق عليهم ما لهم أول كونهم جنى عليهم أما على قراءة حفص وحده وهي  
استحق بفتح التاء والحاء بالبناء للفاعل فقوله الأوليان فاعل له والمعنى ان الوصيين اللذين ظهرت  
خيانتهم هما أولى من غيرهما بسبب ان الميت عينهم بالوصاية ولما خاناه في مال الورثة صح ان يقال ان الورثة  
قد استحق عليهم الأوليان أي خان في ما لهم الأوليان بالوصية (فيقسمان) أي هذان الآخران (بالله)  
بقولهما (لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي والله ليمين المسلمين أصدق وأحق بالقبول من عين النصرانيين  
(وما اعتدينا) أي ما تجاوزنا الحق فيما ادعينا وفي طلب المال وفي نسبتهم الى الخيانة (انا اذ المن الظالمين)  
أي انا ان كنا نكنتم شذوذا من الظالمين أنفسهم بأقوالها السخطة الله تعالى وعذابه واتفق المفسرون  
على ان يجب نزول هذه الآيات ان تميم بن أوس الداري وعدي بن بدها وكانا نصرانيين ومعهما

بديل بن أبي مارية مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً مهاجراً خرجوا إلى الشام للتجارة فلما قدموا الشام  
مرض بديل فكتب كتاباً فيه نسخة جميع ما معه والقاء فيه ما بين الألقشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم أوصى  
اليهما وأمرهما أن يدفعامتاعه إلى أهله ومات بديل فأخذ من ممتاعه أناة من فضة فيه ثلثمائة منقال  
منقوشاً بالذهب ولما رجعا دفع الباقي المتاع إلى أهله ففتشوا فوجدوا الصحيفة وفيها ذكر الأناة فقالوا التميم  
وعدي أين الأناة فقال لا ندري والذي دفع اليها فنعناه إليكم فرفعوا الواقعة إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
العصر ودعا تميمًا وعدياً فاستخلفهما عند المنبر ولما خلفا خلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ولما  
طالت المدة أظهر الأناة فبلغ ذلك بني سهم فطالبوه ما فقالا كنا قد اشتريناه منه فقالوا ألم نقل لكم  
هل باع صاحبنا شيئاً فقلتما لا فقالا لم يكن عندنا بينة ففكر هنان نقر لكم فكنتمنا لذلك فرفعوا القصة إلى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قوله فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب أبو ربيعة  
السهميان خلفاً بالله بعد العصر فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم الأناة إليهما وإلى أولياء الميت وكان تميم  
الداري يقول بعد أسلامه صدق الله ورسوله أنا أخذت الأناة فأتوب إلى الله تعالى (ذلك أدنى أن يأتوا  
بالشهادة على وجهها) أي ذلك الطريق الذي بيناه أقرب إلى أن يؤدي الشهود الشهادة على طريقها  
الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفاً من العذاب الآخروي (أو يخافوا أن ترد أيمان  
بعد أيمانهم) أي أو أقرب إلى أن يخافوا أن ترد أيمانهم بعد أيمان المدعين لا نقلا بالدعوى بأن صار  
المدعى عليه مدعياً للملك وصار المدعى مدعياً عليه فلذا الزمته اليمين والمعنى أو لم يخافوا عذاب الآخرة بسبب  
اليمين الكاذبة بل يأتوا الشهادة على غير وجهها ولو كنهم يخافون الافتضاح على رؤس الأشهاد بإبطال  
أيمانهم والعمل بإيمان الورثة فينزحوا عن الخيانة المؤدية إليه فأى الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو  
الاثبات بالشهادة على وجهها (واتقوا الله) في أن تخونوا في الأمانات (واسمعوا) مواعظ الله أي اعملوا  
بما أو طيعوا الله فيها (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي الخارجين عن الطاعة إلى ما ينفعهم في  
الآخرة (يوم يجمع الله الرسل) وهو يوم القيامة فيوم يدل اشتغال من مفعول اتقوا أو ظرف ليهدي  
والمعنى لا يهديهم إلى الجنة (فيقول) لهم مشيراً إلى خروجهم عن عهد الرسالة (ماذا أجبتكم) أي أي  
اجابة أجابكم بها أمكم حين دعوتهم في دار الدنيا إلى توحيدى وطاعتي أهى اجابة قبول أو اجابة رد  
(قالوا) تفويضاً للامر إلى العدل الحكيم العالم وعلماء منهم أن الأدب في السكوت والتفويض وان قولهم  
لا يفيد خيراً ولا يدفع شراً (لا علم لنا) أي لا نك تعلم ما أظهر وما أضررنا ونحن لا نعلم إلا ما أظهر والنا  
فعلمنا فيهم أنفهم علمنا ولا نالحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن وهو معتبر في الدنيا لأن الأحكام في  
الدنيا مبنية على الظن وأما الأحكام في الآخرة فهي مبنية على حقائق الأشياء وبواطن الأمور ولا عبرة  
بالظن في القيامة فلهذا السبب قالوا لا علم لنا (انك أنت علام الغيوب) أي فأنك تعلم ما أجابوا وأظهروا  
لنا وما لم نعلمه مما أضررنا في قلوبهم وقرئ شاذ أعلام الغيوب بالنصب اما على الاختصاص أو على  
النداء أو على أنه بدل من اسم ان والكلام قد تم يقوله تعالى انك أنت أي أنت متصف بصفاتك السنية (اذ  
قال الله) بدل من يوم يجمع الله ويجوز أن يكون موضع اذ رفعاً بالابتداء على معنى ذلك اذ قال الله (يا عيسى  
ابن مريم اذ كر نعتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) أي اذ كرنا على عليك اذ طهرت أمتك  
واصطفيتها على نساء العالمين وقويتك بجبريل لتنبئ الحجاة (تسكلم الناس في المهد) أي طفلاً يقولك



انى عبد الله الآية (وكهلا) أى اذا أنزله الله تعالى الى الارض أنزله وهو فى صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو  
 السكهل فيقول لهم انى عبد الله كما قال فى المهد (واذ علمتكم الكتاب) أى الكتابة وهى الخط (والحكمة)  
 أى العلوم النظرية والعلوم العملية (والتوراة والانجيل) وذكر الكتابين اشارة الى الاسرار التى  
 لا يطالع عليها أحد الا كبار الانبياء عليهم السلام فان الاطلاع على أسرار الكتب الالهية لا يحصل الا  
 لمن صار ربانيا فى أصنام العلوم الشرعية والعقلية الظاهرة التى يبحث عنها العلماء (واذ تخلق من)  
 الطين كهية الطير) أى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير (باذنى) أى بأمرى (فتنفخ فيها) أى  
 فى الهيئة المصورة فالغدير راجع للكاف وهى دالة على الهيئة التى هى مثل هيئة الطير (فتكون  
 طيرا باذننى) أى فتصير تلك المصورة خفاشات طير بين السماء والارض بارادنى (وتبرى الاكهم) أى  
 الاكهم المطموس البصر (والابرص باذننى) أى بأمرى وارادنى وقد رقى (واذ تخرج الموتى) من  
 قبورهم احياء (باذنى) أى بفعلنى ذلك عند دعائى وعند قولك لليت اخرج باذن الله من قبرك (واذ  
 كففت بنى اسرائيل عنك) أى منعت اليهود الذين أرادوا قتلك عن مطلوبهم بك (اذ جثتهم بالمينات)  
 بما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما ياء كلون وما يدخرون فى بيوتهم ونحو ذلك قال للجنس (فقال الذين  
 كفروا منهم ان هذا الامحرمين) قرأ حمزة والسكسنى هنا وفى هود والصف ويونس ساحر بالالف  
 أى ما هذا الرجل وهو عيسى الساحر ظاهر وقرأ ابن عامر وعاصم فى يونس فقط بالالف والباقيون مخرج  
 بكسر السين وسكون الحاء أى ما هذا الذى جاء به عيسى من الخوارق أو ما هذا أى عيسى المحرمين وهذا  
 على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف روى ان عيسى عليه السلام لما أظهر هذه المعجزات العجيبة  
 قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالى منهم حيث رفعه الى السماء (واذا أوجيت الى الحوارين) أى  
 الانصار أى ألهمت القصارين وهم اثنا عشر رجلا فى قلوبهم وأمرتهم فى الانجيل على لسانك (أن  
 آمنوا بى ورسولى) والمعنى أى آمنوا بوحدايتى فى الالهية ورسالة رسولى عيسى (قالوا آمنا)  
 بوحدايته تعالى ورسالة رسوله (واشهد) أنت يا عيسى (بأننا مسلمون) أى مخلصون فى ايماننا (اذ قال  
 الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) قرأ الجمهور بالياء على الغيبة أى هل يفعل ربك  
 والمقصود من هذا السؤال تقرير ان ذلك المطلوب فى غاية الظهور كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر  
 السلطان على اشباع هذا او يكون غرضه منه ان ذلك أمر جلى لا يجوز لعاقل ان يشك فيه فكذا ههنا وقرأ  
 السكسنى تستطيع بناء الخطاب لعيسى وربك بالنصب على التعظيم وبادغام اللام فى التاء وهذه  
 القراءة مروية عن على وابن عباس وعن عائشة أى هل تستطيع ان تسأل ربك (أن ينزل علينا مائدة  
 من السماء قال) عيسى لشعوب قل لهم (اتقوا الله) فى اقتراح معجزة لم يسبق لها مثال بعد  
 تقدم معجزات كثيرة (ان كنتم مؤمنين) بكونه تعالى قادرا على انزال المائدة فلعلمكم تتركون شكرها  
 فيعذبكم فقال لهم ذلك شععون (قالوا نريد أن نأكل منها) أكل تبرك أو أكل حاجة وتطمئن  
 قلوبنا) بكمال قدرته تعالى لحصول علم المشاهدة مع علم الاستدلال (ونعلم أن قد صدقتنا) أى ونعلم علما  
 يقينيا أنه قد صدقتنا فى دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وفى قولك انا اذا ههنا ثلاثين يوما لا نسأل الله  
 تعالى الا أعطانا (ونكون عليها من الشاهدين) لله بكمال القدرة ولك بالنبوة وهذه معجزة سماوية  
 وهى أعظم وأعجب فاذا شاهدناها كما عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها  
 من بنى اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويؤمن بسببها كفارهم (قال عيسى

ابن مريم) أى لما رأى ان لهم غرضاً صحيحاً فى ذلك فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأ طأ رأسه  
 وغض بصره وقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) أى طعاماً (من السماء تكون لنا عيداً لا أولنا  
 وآخرنا) أى نتخذ اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيداً نعظمه نحن ومن يأتى بعدنا ونزلت يوم الأحد فاتخذ  
 النصارى عيداً وانما أسند العيد الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها والمعنى يكون يوم نزولها  
 عيداً لاهل زماننا ومن بعدها لى نعبدك فيها (وآية منك) أى دلالة على وحدانيتك وكمال قدرتك  
 وحقبة نبوة رسولك (وارزقنا) أى اعطنا ما سألناك (وأنت خير الرازقين قال الله انى منزلها) أى  
 المائدة (عليكم) وقرأ ابن مامر وعاصم منافع منزلها بالتشديد والباقون بالتخفيف (فمن يكفر بعد  
 أى بعد نزولها) منكم فانى أعذبه عذاباً لا أعذبه) أى انى أعذب من يكفر تعذيباً لا أعذب مثله ذلك  
 التعذيب (أحد من العالمين) روى ان عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء بس صوفاً ثم قال اللهم انزل  
 علينا الخ فزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين  
 أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من السالكين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مشقة  
 وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شععون رأس  
 الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين  
 فاذا هكته مشوية بلا شوك ولا فلوس تسيل دسها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خيل وحوطها من ألوان  
 ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثمانى عسل وعلى الثالث سمع وعلى  
 الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شععون ياروح الله من طعام الدنيا هذا ثم من طعام الآخرة فقال  
 ليس منهما ولا كنهى اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم وأشكروا عذركم الله ويردكم من فضله  
 فقال الحواريون لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها  
 عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا وقالوا بعد النزول والاكل هذا سمح بمين  
 فسبح الله منهم ثلاث مائة وثلاثين رجلاً باتوا ليلتهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات  
 والكنايات وياً كلون العذرة فى الحشوش ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بككت وجعلت  
 تطيف به وجعل يدعوهم باسمائهم واحد بعد واحد فبكون ريشير ون برؤسهم ولا يقدرون على  
 الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (واذ قال الله) يوم القيامة (يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس)  
 فى الدنيا (اتخذونى واحى الهين من دون الله) أى غيره أراد الله تعالى بهذا السؤال ان يقر عيسى على  
 نفسه بالعبودية فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه انه أمرهم بذلك فذكر هذا السؤال مع علمه تعالى ان  
 عيسى لم يقل ذلك اغالتو بيج قومه (قال) أى عيسى وهو برعد (سبحانك) أى انزهت تنزيهاً لا تقابل  
 من ان أقول ذلك (ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) أى ما كان ينبغى ان أقول ما ليس بجائز لى (ان  
 كنت قلت) لهم (فقد علمته) وهذا مبالغة فى الادب وفى اظهار الذلل فى حضرة ذى الجلال وتغويض  
 الامور بالكلية الى الكبير المتعالى (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) أى تعلم ما عندى ومعلومى  
 ولا أعلم ما عندك ومعلومك (انك أنت علام الغيوب) عن العباد (ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن  
 اعبدوا الله ربى وربكم) وان مفسرة اللهم اراجع للقول المأمور به والمعنى ما قلت لهم فى الدنيا الا قولاً  
 أمرتنى به وذلك القول هو ان أقول لهم اعبدوا الله ربى وربكم (وكنتم عليهم شهداء) على ما يفعلون  
 (مادم فىهم) أى مدة دواى فيما بينهم (فلما توفيتنى) أى رفعتنى من بينهم الى السماء (كنت

أنت الرقيب عليهم) أي المحافظ لأعمالهم المراقب لأحوالهم (وأنت على كل شيء شهيد) وعالم بصير  
 (أن تعذبهم فإنهم عبادك) وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك (وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز)  
 أي القادر على ما تريد (الحكيم) في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك فإن عذبت فعذل وان  
 غفرت ففضل وعدم غفران الشريك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذا ته ومقصود عيسى عليه  
 السلام من هذا الكلام تفويض الامور كلها الى الله وترك الاعتراض عليه بالكلية لانه يجوز في مذهبنا  
 من الله تعالى ان يدخل الكفار الجنة وان يدخل العباد النار لان الملك مله ولا اعتراض لأحد عليه  
 (قال الله هذا) أي يوم القيامة (يوم ينفع الصادقين صدقهم) في الدنيا في امور الدين قرأ الجمهور يوم  
 بالرفع وقرأ نافع يوم بالنصب أي هذا القول واقع يوم الخ (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها  
 أبدا رضى الله عنهم) أي عن الصادقين بطاعتهم له (ورضوا عنه) بالثواب والكرامة (ذلك)  
 الرضوان (الفوز العظيم) فالجنة بما فيها بالنسبة الى رضوان الله كالعدم بالنسبة الى الوجود وكيف  
 لا والجنة مرغوب الشهوة والرضوان صفة الحق وأي مناسبة بينهما (لله ملك السموات والارض وما  
 فيهن وهو على كل شيء قدير) أي ان كل ما سوى الله تعالى من الكائنات والاجساد والارواح ممكن  
 لذاته موجود بايجاده واذا كان الله موجودا كان ملكه واذا كان ملكه كان له تعالى أن يتصرف  
 في الكل بالامر والنهي والثواب والعقاب كيف أراد فصيح التكليف على أي وجه أراد الله تعالى  
 ولما كان الله مالك الملك فله بحكم المالكية ان ينسخ شرع موسى ويضع موضعه شرع محمد فبطل قول  
 اليهود بعدم نسخ شرع موسى ثم ان عيسى ومريم داخلا في ما سوى الله فهو كائن بتكوين الله تعالى  
 وثبت كونهما عبيدين لله مخلوقين له فظهر بهذا التقرير ان هذه الآية برهان قاطع في صحة جميع العلوم  
 التي اشتملت هذه السورة عليها

\*(سورة الانعام مكية الاست آيات فانها مدنيات وهي قوله قل تعالى الى آخر الآيات الثلاث وهو  
 لعلمكم تتقون وقوله تعالى وما قدرنا الله الى قوله تعالى وكنتم عن آياته تستكبرون  
 وهي مائة وخمس وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة  
 وعدد حروفها ثمان عشرة ألفا وأربعمائة واثنان وعشرون حرفا)\*

\*(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور)\* والمدح  
 أعم من المدح لان المدح للعاقل ولغير العاقل فكما يدح العاقل على أنواع فضائله كذلك يدح اللؤلؤ لحسن  
 شكله والياقوت على نهاية صفاته وصفاته والحمد لا يحصل الا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الاحسان  
 والحمد أعم من الشكر لان الحمد تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الانعام واصلا اليك أو الى غيرك  
 والشكر تعظيمه لأجل انعام وصل اليك وحصل عندك والمقصود من هذه الآية ذكر الدلالة على وجود  
 الصانع والفرق بين الجعل والخلق ان كلا منهما هو الانشاء والابداع الا ان الخلق مختص بالانشاء  
 التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية والجعل عام له كما في هذه الآية الكريمة ولا تشريعي أيضا كما في  
 قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وجمع الظلمات دون النور لكثرة محالها اذ ما من جرم الا وله ظل  
 والظل هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار وهذا اذا حمل على الكيفيتين المحسوستين  
 بحس البصر وان حمل النور على نور الاسلام والايان واليقين والنبوة والظلمات على ظلمة الشرك

والكفر والنفاق فنقول لان الحق واحد والباطل كثير وتقدم الظلمات على النور لان الظلمة عدم النور عن الجسم الذي يقبله وعدم المحدثات متقدم على وجودها (ثم الذين كفروا بهم يعدلون) أى يشركون به غيره وهذه الجملة امامعطوفة على قوله الحمد لله والباء متعلقة بكفروا فيكون يعدلون من العدول ولا مفعول له والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه لانه تعالى ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بهم يميلون عنه في كفرون بنعمته أو متعلقة بيعدلون وهو من العدول ويوضع الرب موضع الضمير العائد اليه تعالى والمعنى انه يختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار شؤنه العظيمة الخاصة به ثم هؤلاء الكفرة يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد وامامعطوف على قوله خلق السموات والباء متعلقة بيعدلون وقدمت لاجل الفاصلة وهي اما معني عن ويعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواء ثم الذين كفروا يعدلون عن ربهم الى غيره أو للتعدية ويعدلون من العدول وهو التسوية والمعنى انه تعالى خلق هذه الاشياء العظيمة الذي لا يقدر عليها أحد سواء ثم انهم يعدلون به جمادا لا يقدر على شيء أصلا فيكون المفعول محذوفا وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح آيات قدرته تعالى (هو الذي خلقكم من طين) أى ان الله خلق جميع الانسان من آدم وآدم كان مخلوقا من طين فلماذا السبب قال هو الذي خلقكم من طين أى من جميع أنواعه فلذلك اختلفت ألوان بني آدم وعجنت طينتهم بماء العذب والمطع والمرف فلذلك اختلفت اخلاقهم وأيضاً ان الانسان مخلوق من المني والمني اغمايتولد من الاغذية وهي اما حيوانية أو نباتية فخال الحيوانية كالحال في كيفية تولد الانسان فبقي أن تكون الاغذية نباتية فثبت ان الانسان مخلوق من الاغذية النباتية ولا شك أنها متولدة من الطين فثبت ان كل انسان متولد من الطين وقال المهدوي ان الانسان مخلوق ابتداء من طين الخبر ما من مولود يولد الا ويذرع على النطفة من تراب حفرة وأياما كان الانسان فقيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على احياء ما قارنهامدة أظهر قدرة (ثم قضى أجلا) أى خصص الله موت كل واحد بوقت معين وذلك التخصيص تعلق مشيئته تعالى بإيقاع ذلك الموت في ذلك الوقت (وأجل مسمى) أى حدد معين لبعثكم جميعاً من البرزخ (عنده) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلا من مولده الى موته وأجلا من موته الى مبعثه فان كان براتقيار وصولا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وقال حكماء الاسلام ان لكل انسان أجلين أحدهما الآجال الطبيعية والثاني الآجال الاخترامية فالآجال الطبيعية هي التي لو بقي ذلك المزاج مصوتا من الاعراض الخارجية لانتهت مدة بقائه الى الوقت الفلاني والآجال الاخترامية هي التي تحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق ولدغ الحشرات وغيرها من الامور المعضلة (ثم أنتم تغترون) أى ثم بعد ظهور مثل هذه الحجة الباهرة أنتم أيها الكفار تنكرون صحة التوحيد للصانع أو ثم بعد ما شهدتمكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع الشك بالكلية أنتم أيها الكفار تستبعدون وقوع البعث ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر فالآية الارلى دليل التوحيد والثانية دليل البعث (وهو الله في السموات وفي الارض) أى وهو الذي اتصف بالخلق هو المعبود في السموات والارض والمتصرف فيهما (يعلم مكرم) في الغلوب من الدواعي والصوارف (وجهركم) في الجوارح من الاعمال (ويعلم ماتكسبون) أى مكتسبكم أى ما تستحقون على فعلكم من الثواب والعقاب (وماتأتيتهم من آية من

آيات ربهم الا كانوا معرضين) أى ما يظهر للكفار من آية من الآيات التكوينية التي يجب فيها النظر التي من حملتها جلائل شؤنه الدالة على وحدانيته تعالى الا كانوا معرضين عن تأمل تلك الدلائل تاركين للنظر المؤدى الى الايمان بكونها وهذه الآية تدل على ان التقليد باطل والتأمل في الدلائل واجب ولو لا ذلك لما ذم الله المعرضين عن التفكير في الدلائل أو المعنى ما ينزل الى أهل مكة آية من الآيات القرآنية الا كانوا كاذبين بتلك الآية ومن الاولى مزيدة لاستغراق الجنس الذي يقع في النفي والثانية للتبعيض وهي مع مجرور هاضمة لاية (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) أى فقد كذب أهل مكة بالمعجزات كأنشقاق القمر بمكة وانفلاقه فلقين فذهبت فلقه وبقيت فلقه أو بالقرآن أو بمحمد صلى الله عليه وسلم (فسوف يأتيهم أنبياء ما كانوا يستهزئون) أى سوف يأتيهم أخبار كونهم مستهزئين بذلك الحق يوم يدرى يوم أحد ويوم الأحزاب (المير واكم أهلكم من قبلهم من قرن) أى ألم يعرف أهل مكة بعائنة الآثافي أسفارهم للتجارة الى الشام في الصيف والى اليمن في الشتاء وبسماع الأخبار كم أمة أهلكم من قبل زمان أهل مكة كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وغيرهم (مكناهم في الارض ما لم تكن لكم) أى أعطينا أولئك الجماعة من البسطة في الأجساد والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال والاستظهار بأسباب الدنيا ما لم نعطيكم يا أهل مكة (وأرسلنا السماء) أى المطر (عليهم مدرارا) أى متتابعاً كلما اجتاجوا اليه (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) أى من تحت بساطتهم ووزوعهم وشجرهم (فأهلكناهم بفرغهم) بتكذيبهم الانبياء و بكونهم باعوا الدين بالدنيا (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) أى أحدثنا من بعدهم هلاك كل قرن قرناً آخرين بدلا من الهالكين وهذا تنبيه على ان اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا ولا يتعاطم على الله هلاكهم وخلق بلادهم منهم فإنه تعالى قادر على ان ينشئ مكانهم قوما آخرين يعمرهم ببلادهم (ولو أنزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصحاح من السماء دفعة واحدة عليك يا أشرف الخلق كما سألك عبد الله بن أبي أمية الخزرجي وأصحابه في صحيفة واحدة فأروه عيانا ولمسوه لطمعنوا فيه وحملوه على انه مخرفة وقالوا انه سحر وقال ابن اسحق والقائلون بالاقوال الآتية زمعة بن الاسود والنضربن الحرف بن كلدة وعبد بن عبد يعوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل كما أخرجه ابن أبي حاتم (وقالوا ولا أنزل عليه ملك) أى هلا أنزل على محمد ملك يخبرنا بصدقه في دعوى النبوة ويشهد له بما يقول والمعنى ان منكري النبوات يقولون لو بعث الله الى الخلق رسولا لوجب ان يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة لان علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيازهم عن الخلق أكمل ووقوع الشبهات في نبوتهم أقل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجهين الاول قوله تعالى (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) أى لفرغ من هلاكهم أى لو أنزل الملك على هؤلاء الكفار فرعبا لم يؤمنوا وذا لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال حينئذ ما أنزل الله تعالى الملك اليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب وأيضا أنهم اذا شاهدوا الملك ذهقت روعهم من هول ما يشاهدون وذلك ان آدمي اذا رأى الملك فاما ان يراه على صورته الاصلية أو على صورة البشر فلن يدرى على صورته الاصلية لم يبق آدمي حيا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل على صورته الاصلية غشى عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كضياف ابراهيم وأضياف لوط وخم داود وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام وأيضا اذا رأى من الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم

وذلك محل بصحة التكليف وان رآه على صورة البشر فلا يتفاوت الحال سواء كان هو في نفسه ملكا  
 أو بشرا وأيضا انزال الملك يقوى الشبهات لان كل معجزة ظهرت عليه مردوها وقالوا هذا فعلك فعلته  
 باختيارك أو قدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلته (ثم لا ينظرون) أي  
 لا يجهلون بعد نزول الملك طرفه عين وكلمة ثم للتنبيه على ان عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة  
 الشدة أشد من نفس الشدة وأشق والثاني قوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي ولو جعلناه  
 الرسول ملكا لجعلناه الملك على صورة الرجل لان البشر لا يستطيعون ان ينظروا الى الملائكة في صورهم  
 التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر من الآدمي لصعق عند رؤيته (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي  
 ولو صورنا الملك رجلا لصار فعلنا نظير الفعلهم في التلبس وانما كان ذلك تلبسا لان الناس يظنون انه  
 بشر مع انه ليس بشرا وانما كان فعلهم تلبسا لانهم يقولون لقومهم انه بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولا  
 من عند الله تعالى واذا كان الامر كذلك فلم يقدم طلب نزول الملك لانه لو نزل لم الملك لنزل على صورة  
 رجل لعدم استطاعتهم لمعاينة هيكله ولان الجنس الى الجنس أميل فيقولوا له ما أنت الا بشر مثلنا ويقولوا  
 انا لانرضى برسالة هذا الشخص فيعود سؤالهم ويستمررون يطلبون الملك فلا تنقطع شبهتهم فنزول الملك  
 لا يفيدهم شيئا بل يزدادون في الحيرة والاشتباه وأيضا ان طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة  
 البشر وربما لا يعذرونهم في الاقدام على المعاصي (ولقد استهزى برسل من قبلك) أي وبالله لقد  
 استهزى برسل أولى شأن خطير وذوى عدد كثير كاثنين من زمان قبل زمانك وهذه الآية تسلية لرسول  
 الله صلى الله عليه وسلم أي تخفيف لضيق قلب رسول الله عند سماعه من القوم الذين قالوا ان رسول الله  
 يجب أن يكون ملكا من الملائكة ووعيد أيضا لاهل مكة (لحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزئون)  
 أي فداروا حاط بالذين سخروا من أولئك الرسل عليهم السلام العذاب الذي يستهزئون به وينكرونه فان  
 الكفار كانوا يستهزئون بالعذاب الذي كان يخوفهم الرسول بنزوله أو المعنى فاحاط بعن استهزاء بالشرائع من  
 الرسل عقوبة استهزائهم بالرسول المندرج في جملة الرسل (قل) يا أكرم الرسل لاهل مكة (سيروا في  
 الارض) أي قل لهم لا تغتروا بما وجدتم من الدنيا وطيباتها ووصلتم اليه من لذاتها وشهواتها بل سيروا في  
 الارض لتعرفوا صحة ما أخبركم الرسول عنه من نزول العذاب على الذين كذبوا الرسل في الازمنة السالفة (ثم  
 انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي ثم تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال فانكم  
 عند السير في الارض والسفر في البلاد لا بد وان تشاهدوا تلك الآثار فيكمل الاعتبار ويقوى الاستبصار  
 (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (لمن ما في السموات والارض) أي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا  
 وتصرفا فان أجابوك فذاك والا (قل لله) لانه لا جواب غيره (كتب على نفسه الرحمة) أي أوجب على  
 نفسه ايجاب الفضل والكرم والرحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بتأخير العذاب وقبول التوبة (ليجمعنكم  
 الى يوم القيامة) أي والله ليجمعنكم في القبور ومحشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر  
 معاصيكم أوليجمعنكم الى المحشر في يوم القيامة فالجمع يكون الى المكان لا الى الزمان (لا ريب فيه) أي  
 في الجمع (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) أي ان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك  
 في التقليد وترك النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان وان سبق قضاء الله  
 بالحسran هو الذي حملهم على الامتناع من الايمان بحيث لا سبيل لهم اليه أصلا (وله ما سكن في الليل  
 والنهار) أي له تعالى كل ما حصل في الزمان سواء كان متحركا أو ساكنا (وهو السميع العليم) فيسمع



نداه المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين (قل أغير الله أتخذوليا) أي قل يا أشرف الخلق أغير الله أجعله  
 معبودا (فاطر السموات والأرض) وعن ابن عباس ر قال ما عرفت فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان  
 يختصمان في بئر فقال أحدهما في فطرتهما أي ابتدأتها وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله أو بدل منه  
 بدل المطابق وبالرفع على أنه هار هو والنصب على المدح وقرأ الزهري فطر السموات (وهو يطم ولا يطم)  
 أي وهو الرزق لغيره ولا يرزقه أحد ويقال ولا يعان على التزيق (قل) يا كرم الخلق لكفار مكة  
 (إني أمرت) أي من حضرة الله تعالى (أن أكون أول من أسلم) فإنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته  
 في الاسلام وقيل لي يا محمد (ولا تكون من المشركين) أي في أمر من أمور الدين (قل إني أخاف أن  
 عصيت ربّي) بمخالفة أمره ونهيه أي عصيان كان (عذاب يوم عظيم) أي عذابا عظيما في يوم عظيم  
 وهو يوم القيامة (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) قرأ أبو بكر عن عاصم وحزرة والكسائي يصرف  
 بفتح الياء وكسر الراء والمفعول محذوف والتقدير من يصرفني عنه يومئذ العذاب فقد أنعم عليه والباقون  
 يصرف بالبناء للمفعول والمعنى أي شخص يصرف العذاب عنه ذلك اليوم العظيم فقد أدخله الله الجنة  
 (وذلك الفوز المبين) أي وذلك الرحمة هو الفوز الظاهر وهو الظفر بالمطلوب (وان عيسى الله بضرف لا  
 كاشف له الا هو) أي وان يصبك الله ببليّة أيها الانسان كمرض وفقر ونحو ذلك فلا رافع له الا هو وحده  
 (وان عيسى بخير) أي وان ينزل الله بك خيرا من صحة وغنى ونحو ذلك فلا راد له غيره (فهو على كل شيء  
 قدير) روي عن ابن عباس انه قال أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة أهدها له كسرى فركبها بمجل  
 من شعر ثم أردفني خلفه ثم سار بي ميلا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله  
 يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا  
 استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلاق أن يفعلوا بما لم يقضه الله لك لم يقدروا  
 عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين  
 فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وان مع الكرب  
 فريضا وان مع العسر يسرا (وهو الفاعل فوق عباده) بالقدرة والقوة وهذا الاشارة الى كمال القدرة (وهو  
 الحكيم الخبير) فان أفعاله تعالى محكمة آمنة من وجوه الخلل والفساد وانه تعالى عالم بما يصح أن  
 يخبر به وهذا الاشارة الى كمال العلم اه روي ابن عباس أن رؤساء أهل مكة قالوا يا محمد ما وجد الله غيرك  
 رسولا وما نرى أحدا يصدر عنك وقد سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا انه لا ذلك عندهم بالنبوة  
 فإننا لمن يشهدك بالنبوة فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل) يا أشرف الخلق لهم (أي شيء أكبر شهادة)  
 من الله كي يقرروا بالنبوة وان أكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فان اعترفوا بذلك فذاك (قل الله  
 شهيد بيني وبينكم) بأني رسوله وهذا القرآن كلامه وهو ممجز لا تكلم ففهماء بلغاه وقد عجزتم عن  
 معارضته فاذا كان مجزا كان اظهر الله اياه على وفق دعواي شهادة من الله على كوني صادق في دعواي  
 (وأوحى الى هذا القرآن لا نذكركم به ومن بلغ) أي أنزل الله الى جبريل بهذا القرآن لا خوفكم يا أهل مكة  
 بالقرآن ولا خوف به من بلغ اليه القرآن من الثقلين عن يأتي بعدى الى يوم القيامة (أنتمكم) يا أهل  
 مكة (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وهي الاصنام التي كنتم تعبدونها وتقولون انهم بنات الله  
 فان شهدوا على ذلك (قل) لهم (لا أشهد) أي بما تذكرونه من اثبات الشركاء (قل اغما هو اله  
 واحد) أي بل اغما أشهد أن الله لا اله الا هو (وانني بري بما تشركون) أي من اشراككم بالله تعالى

في العبادة الاصنام قال العلماء المستحب لمن أسلم ابتداءً أن يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى  
 دين الإسلام ونص الشافعي على استحباب ضم التبري إلى الشهادة لأن الله تعالى لما صرح بالتوحيد قال  
 وإنني بريء مما تشركون (الذين آتيناهم الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى الذي كانوا في زمن  
 النبي صلى الله عليه وسلم (يعرفونه) أي يعرفون محمدًا من جهة الكفاين بصفته المذكورة فيهما (كما  
 يعرفون أبناءهم) بصفاتهم فانهم كذبوا في قولهم أن لا نعرف محمدًا لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمران الله أنزل على نبيه بمكة هذه الآية فكيف هذه المعرفة  
 قال عبد الله بن سلام يا محمد لقد عرفته حين رأيته كما عرف ابني ولأننا أشد معرفة بمحمد مني بابني فقال عمر  
 كيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما تضع النساء (الذين خسروا أنفسهم فهم  
 لا يؤمنون) ومعنى هذا الخسران كما قاله جمهور المفسرين أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة  
 ومنزلاً في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولا هزل النار منازل أهل  
 أهل الجنة في النار (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) أي لا أحد أجراً من اختلق على الله كذباً  
 كقول كفار مكة هذه الاصنام شركاء لله والله تعالى أمرنا بعبادتها وقولهم إن الملائكة بنات الله ثم قولهم  
 أمرنا الله بتحريم البهائم والسواائب وكقول اليهود والنصارى حصل في التوراة والإنجيل إن هاتين  
 الشريعتين لا يتطرق إليهما النسخ ولا يجرى بعدهما نبى (أو كذب بآياته) أي قدح في معجزات محمد  
 صلى الله عليه وسلم وأنكر كون القرآن معجزة قاهرة بينة (أنه لا يفلح الظالمون) أي لا يظفرون  
 بباطلهم في الدنيا والآخرة بل يبقوا في الحرمان والحذلان (ويوم نحشرهم جميعاً) أي كافة الناس وهو  
 يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) خاصة على رؤس الاشهاد للتوبيخ (أين شركاؤكم) أي آلهاةكم  
 التي جعلتموها شركاء لله تعالى (الذين كنتم ترعّبون) أي ترهبونها شركاء وانها شفعاؤكم عند الله  
 قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب (ثم لم تكن فتنتهم) أي اقتنائهم بالآوثان (الأن قالوا  
 والله ربنا ما كنا مشركين) أي لم تكن عاقبة اقتنائهم بشركهم إلا براهم من خلفهم انهم ما كانوا  
 مشركين ومثاله أن ترى إنساناً يحب عارياً مذموم الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه قراً ابن  
 عامر وابن كثير وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالثناء الفوقية وفتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي لم يكن  
 بالياء التحتية وفتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي ربنا بنصبه على النداء أو المدح والباقيون بالكسر  
 (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا (وضل عنهم ما كانوا  
 يفترون) أي وكيف زال عنهم افتراؤهم بعبادة الاصنام فلم تغن عنهم شيئاً وذاك انهم كانوا  
 يرجون شفاعتها ونصرتها لهم (ومنهم من يستمع إليك) أي وبعض من أهل مكة من يستمع إلى كلامك  
 حين تتلو القرآن (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) أي وقد القينا على قلوبهم  
 أغطية كثيرة كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن وفي آذانهم صمماً وتغلاً مانعاً من سماعه  
 فمهل أن يفقهوه مفعول معه بحذف المضاف أو مفعول لفعل مقدر أي منعناهم أن يفقهوه بمجموع القدرة  
 على الايمان مع الداعي اليه بوجوب الفعل فالكفر من الله تعالى وتكون تلك الداعية الجادة إلى الكفر  
 كننا للقلب عن الايمان ووقر للسمع عن استماع دلائل الايمان (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي  
 وان يشاهدوا كل آية من الآيات القرآنية بسماعها كقروا بكل واحدة منها لاجل أن الله تعالى  
 جعل على قلوبهم أكنة (حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) أي بلغوا بكذبهم الآيات

الى انهم اذا جاؤا اليك يجادلونك (ان هذا الاساطير الاولين) أى ما هذا الذى يقول محمد الاخرافات  
الاولين وكذبهم أى ان هذا الكلام من جنس سائر الحكايات المكتوبة للاولين واذا كان هذا كذا  
فلا يكون معجزا خارقا للعادة وجملة قوله تعالى يقول الذين كفروا تفسير لقوله يجادلونك أى يناكرونا  
قال ابن عباس رضى الله عنهما حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن حرب والوليد بن  
المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميرة وأبي ابنا خلف والحارث بن عامر وأبو جهل  
واستمعوا الى القرآن فقالوا للنضر وكان كثير الاخبار للقرون الماضية يا أبا قيس ما يقول محمد قال  
ما أدري ما يقول لكنى أراه يحرك شفقتيه ويتكلم بأساطير الاولين كالذى كنت أحدثكم به عن اخبار  
القرون الاولى فقال أبو سفيان انى أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا أى لا تقر بشئ من هذا فأنزل  
الله تعالى هذه الآية (وهم ينهون عنه) وأولئك الكفار ينهون الناس عن استماع القرآن لتسلايقفوا على  
حقية فيؤمنوا به (وينأون عنه) أى ويتباعدون عنه بأنفسهم تأكيد انهم (وان يهلكون الا أنفسهم)  
أى وما يهلكون بما فعلوا من النهى والنأى الا أنفسهم باقبالها لاشد العذاب (وما يشعرون) انهم  
يهلكون أنفسهم ويذهبونها الى النار بما يفعلون من الكفر والمعصية (ولو ترى اذ وقفوا على النار) أى  
ولو تبصر حالهم حين يوقفون على النار وهم يعاينونها رأيت سوء حالهم أو المعنى ولو تبصرهم حين يحسبون  
فوق النار على الصراط وهى تحتهم رأيت سوء منقلبهم أو المعنى ولو صرفت فكرك الصحيح لان تندبر حالهم  
حين يدخلونها لزدت يقينا وقرى اذ وقفوا بالبناء للفاعل أى ولو تراهم حين يكونون فى جوف النار  
وتكون النار محيطة بهم ويكونون غائضين فيها العرفوا مقدار عذابها وانما صرح على هذا التقدير ان يقال  
وقفوا على النار لانها دركات وطبقات بعضها فوق بعض فيه هناك معنى الاستعلاء (فقالوا يا ليتنا  
نزد) الى الدنيا لنؤمن (ولا نكذب بآيات ربنا) أى بآياتها الناطقة بأحوال النار وأهوالها الآمرة  
باتقائها (ونكون من المؤمنين) بها كى لا نرى هذا الموقف قرأ ابن عامر وأبو بكر رفع نكذب ونصب  
نكون أى ولا يكون من الكاذبين مع كوننا من المؤمنين وقرأ حمزة وحفص عن عاصم بنصبهما والتقدير  
يا ليتنا لنأرد وانتفاء تكذيب بآيات ربنا وكون من المؤمنين فهذه الاشياء الثلاثة متممة بقيد الاجتماع  
وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير والكسائى برفعهما واتفقوا على الرفع فى قوله نرد والمعنى انهم تراءوا الى  
دار الدنيا وعدم تكذيبهم بآيات ربهم وكونهم من المؤمنين أو المعنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكاثنين من  
المؤمنين فيكون تمنى الرد مقيدا بهاتين الحالتين (بل بدأهم ما كانوا يخفون من قبل) أى ليس التمنى  
الواقع منه بل اجل كونهم راغبين فى الايمان بل لانه ظهر لهم فى موقفهم ما كانوا يخفونه فى الدنيا من  
تكذيبهم بالنار فان التكذيب بالشئ اخفاه له بلا شك أى فلخوفهم منها ومن العقاب الذى عاينوه قالوا  
ما قالوا (ولوردوا ليعادوا لما نهوا عنه) أى ولوردهم الله تعالى من موقفهم ذلك الى الدنيا كما سألوها  
وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال لم يحصل منهم فعل الايمان وترك التكذيب بل كانوا يستمرون على  
الكفر والتكذيب (وانهم لكاذبون) فى تمنىهم وعدمهم بفعل الايمان وترك التكذيب فان دينهم  
الكذب لانه قد جرى عليهم قضاء الله تعالى فى الازل بالشرك (وقالوا) أى كفار مكة (ان هى الا  
حياتنا الدنيا) أى ما حياتنا الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها (وما نحن بمبعوثين) بعد ان فارقنا هذه  
الحيات وليس لنا بعد هذه الحيات ثواب وعقاب (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) أى حبسوا عند ربهم  
لاجل السؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده للعقاب رأيت أمرا عظيما أو المعنى وقفوا على جزاء

ربهم أى على ما وعدهم ربهم من عذاب الكافرين وثواب المؤمنين وعلى ما أخبرهم به من أمر الآخرة  
 (قال أليس هذا) أى البعث بعد الموت والثواب والعقاب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق وذلك  
 اقرار مؤكداً باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء وهم يطمعون في نفع ذلك الاقرار وينكرون الاشرار  
 فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم وبهدمكم  
 في الدنيا بالبعث بعد الموت (قد خسروا الذين كذبوا بآيات الله) أى أنكروا البعث والقيامة (حتى اذا  
 جاءتهم الساعة بغتة) أى انهم كذبوا ذلك الى ان ظهرت القيامة باغتة فلا يعلم أحد متى يكون مجيئها وفى أى  
 وقت يكون حصولها (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) أى يادامتنا على تفريطنا في تحصيل الزاد  
 للساعة في الدنيا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) أى والحال انهم يحملون ثقل ذنوبهم عليهم  
 أى انهم يماسون عذاب ذنوبهم بمقاساة ثقل ذلك عليهم فلا يفارقهم ذنوبهم وقال قتادة والسدى ان  
 المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شئ هو أحسن الاشياء صورة وأطيبها ريحاً ويقول أنا عملك الصالح طال  
 ما ركبتك في الدنيا فأركني فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً أى ركبنا وانا ان الكفار اذا  
 خرج من قبره استقبله شئ هو أقبح الاشياء صورة وأخبثها ريحاً فيقول أنا عملك الفاسد طال ما ركبتني في  
 الدنيا فانا أركبك اليوم فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (الاسماء ما يرون) أى  
 بشئ شيئاً يحملونه آثامهم (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أى وما اللذات والمستحسنات الحاصلة في هذه  
 الدنيا الا فرج يشغل النفس مما تنتفع به وباطل يصرف النفس عن الجسد في الامور الى الهزل (وللدار  
 الآخرة) أى الجنة أو التمسك بعمل الآخرة أو نعيم الآخرة (خير للذين يتقون) من المعاصي والسيئات  
 وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة باضافة دار الى الآخرة (أفلا تعقلون) وقرأ أنافع وابن عامر وحفص بالتاء على  
 الخطاب أى قل لهم ألا تتفكرون أيها المخاطبون فلا تعقلون ان الدنيا فانية والآخرة باقية وقرأ الباقر  
 بالياء على الغيبة أى أيغفل الذين يتقون فلا يعقلون ان الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملون لما  
 ينالون به الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم فلا يفترون في طلب ما يوصل الى ذلك (قد نعلم انه ليحزنك الذين  
 يقولون) انهم لا يؤمنون بك ولا يقبلون دينك وشريعتك أو يقول انك ساحر وشاعر وكاهن ومجنون  
 قرأ أنافع ليحزنك بصم الياء وكسر الزاى والباقر بفتح الياء وضم الزى (فانهم لا يكذبونك) قرأ أنافع  
 والكسائي بسكون الكاف والباقر بفتحها وتشديد الذال أى لا يجدونك كاذباً لانهم يعرفونك بالصدق  
 والامانة ولا ينسبونك الى الكذب بالاعتقاد واللسان (ولكن الظالمين بآيات الله يجمعون) أى  
 ولكن يجمعون واحدة نبوتك ورسالتك والمعنى انهم يقولون في كل معجزة انهم يحزنونك لانهم  
 المجرة على الصدق على الاطلاق أو المعنى ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني لانك رسولى كقول السيد  
 لعبده: وقد أهانة بعض الناس أيها العبد انه ما أهانك وانما أهاننى والمقصود تعظيم الشأن لاننى الاهانة  
 عن العبد ونظيره قوله تعالى ان الذين يباعدونك انما يباعدون الله \* روى ان الحرث بن عامر من  
 من قريش قال يا محمد والله ما كذبتنا قط ولكنا ان اتبعناك نتخطف من أرضنا فنحن لا يؤمن بك لهذا  
 السبب \* وروى ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا أبا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو أم  
 كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله ان محمد الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنوقصى  
 بالواء والسقاية والحجابه والنبوة فماذا السائر قريش فنزلت هذه الآية وعن علي بن أبي طالب ان أبا جهل  
 قال للنبي صلى الله عليه وسلم اننا لا نكذبك فانك عندنا لصادق ولكنك كاذب ما جئتنا به فنزلت هذه

الآية (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا وحتى أتاهم نصرنا) أى ولقد كذب  
الرسل قومهم كما كذب قومك فصبروا على تكذيبهم وايدأثم لهم حتى أتاهم النصر بهلاك قومهم فاصبر  
يا أشرف الخلق كما صبروا وتظفركم وظفروا بل أنت أولى بالتزام الصبر لأنك مبعوث إلى جميع العالمين (ولا  
مبدل لكلمات الله) بالنصرة فإن وعد الله أياك بالنصر حق وصدق ولا يمكن تطرق الخلف والتبديل  
إليه (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أى خبرهم في القرآن كيف كذبهم قومهم وكيف أنجيناهم  
ودمرنا قومهم (وان كان كبير عليك اعراضهم فإن استطعت أن تبغى نفقا في الأرض أو سلما في السماء  
فتأتهم بآية) أى وان كان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن وأحببت أن  
تجيبهم إلى ما سألوهم فإن قدرت أن تتخذ من هذا تنفذ فيه إلى جوف الأرض أو مصعدا ترتقي فيه إلى السماء  
فتأتهم بآية مما اقترحوه عليك من تحت الأرض أو من فوق السماء فلتفعل وعن ابن عباس رضي الله  
عنهما أن الحرف بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا  
يا محمد أتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فأننا نصدق بك فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوه  
فأعرضوا عنه صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لشدة حرصه على ايمان قومهم فنزلت هذه الآية والمقصود  
من هذا الكلام أن يقطع الرسول طمعه عن ايمانهم وان لا يتأذى بسبب اعراضهم عن الايمان  
واقبالهم على الكفر وهذا دليل على مبالغة حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلام قومه إلى حيث  
لو قدر على أن يأتي بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لفعل رجاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على  
الهدى) أى ولو شاء الله تعالى جمعهم على الهدى لجمعهم عليه بأن يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولو كان  
لم يشأ لعدم صرف اختيارهم إلى جانب الهدى مع تمكنهم التمام منه في مشاهدتهم لايات الداعية إليه  
(فلا تكونن من الجاهلين) أى فلا تكونن بالميل إلى اتيان اقتراحاتهم من الجاهلين بعدم تعلق مشيئته  
تعالى بإيمانهم لعدم توجههم إليه لخروج الايمان عن الحكمة المؤسسة على الاختيار أو المعنى ولا تجزع  
على اعراضهم عنك ولا يشتد تحزنك على تكذيبهم بك فإن فعلت ذلك فتقارب حالك من حال الجاهلين  
الذين لا صبر لهم (انما يستجيب الذين يسمعون) أى انما يقبل دعوتك إلى الايمان الذين يسمعون  
ما يلقي اليهم سمع تفهم وانما يطيعك من يعقلون الموعظة دون الموق الذين هؤلاء منهم (والموق يبعثهم  
الله ثم إليه يرجعون) أى والموق يبعثهم الله بعد الموت ثم يوقفون بين يديه للحساب والجزاء فإله تعالى هو  
القادر على احياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الايمان وأنت لا تقدر عليه (وقالوا) أى كفار مكة حرث بن  
عامر وأصحابه وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأمية وأبي ابن خلف والنضر بن الحارث (لولا نزل  
عليه آية من ربه) أى هلا أنزل على محمد من ربه معجزة دالة على نبوته مثل فلق البحر واطلال الجبل  
واحياء الموق وانزال الملائكة واسقاط السماء كسفا (قل) لهم يا أكرم الرسل (ان الله قادر على  
أن ينزل آية) أى ان يوجد خوارق للعادة كما طلبوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى لا يدرون ان  
في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار وان الله تعالى لو أعطاهم ما طلبوه من  
المعجزات القاهرة فإن لم يؤمنوا عند ظهورها لاستحقاق عذاب الاستئصال ولم يبق لهم عذر ولا علة كما هو  
سنة الله فاقتضت رحمة الله صونهم عن هذا البلاء فأعطاهم هذا المطلب برحمة منه تعالى عليهم وان  
كانوا لا يعلمون كيفية هذه الرحمة (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم)  
أى وما من دابة تمشي في الأرض أو تسبح في الماء ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو

الاطوائف أمثالكم في ابتغاء الرزق وتوقى المهالك وفي أنهم اتعرف ربها وتوحدوه في أنها يفهم بعضها عن  
 بعض وفي أنها تبعث بعد الموت للحساب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قتل عصفورا  
 عبثا جاء يوم القيامة يعرج الى الله يقول يا رب ان هذا قتلني عبثا لم يتفجع بي ولم يدعني آكل من خشاش  
 الأرض وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقتص للجماء من القرناء والمقصود من هذه الآية  
 الدلالة على كمال قدرته تعالى وشهول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على أن ينزل  
 آية (ما فرطنا في الكتاب من شيء) أي ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة أي أن القرآن واف  
 ببيان جميع الاحكام فليس الله على الخلق بعد ذلك تكليف آخر وان القرآن دل على أن الاجماع وخبر  
 الواحد والقياس حجة في الشريعة فكل ما دل عليه أحد هذه الاصول الثلاثة كان ذلك في الحقيقة موجودا  
 في القرآن روى أن ابن مسعود كان يقول مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه فقرأت امرأة جميع القرآن  
 فأتته فقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجده فيه لعن الواشعة والمستوشعة فقال لوتلوته  
 لوجدته قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وان مما آتانا به رسول الله أنه قال لعن الله الواشعة  
 والمستوشعة وذكر أن الشافعي كان جالسا في المسجد الحرام فقال لا تسألوني عن شيء الا أجبتكم فيه  
 من كتاب الله تعالى فقال رجل ما تقول في المحرم اذا قتل الزنبيرو فقال لا شيء عليه فقال أين هذا من كتاب  
 الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بستي وسنة الخلفاء  
 الراشدين من بعدى وقال عمر رضي الله عنه للمعمر قتل الزنبيرو روى أن أبا العفيف قال للنبي صلى  
 الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا قضين بيننا بكتاب الله  
 ثم قضى بالجلد والتغريب على العفيف وبالرجم على المرأة وهذا يدل على أن كل ما حكم به النبي صلى الله  
 عليه وسلم هو عين كتاب الله لانه ليس في نص الكتاب ذكر الجلد والتغريب (ثم الى ربهم يحشرون) فان  
 الله تعالى يحشر الدواب والطيور يوم القيامة بمجرد الارادة ومقتضى الالهية وروى أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجسام من القرناء قال المغشرون  
 انه تعالى بعد توفير العوض عليها يجعلها ترابا وعند هذا يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا (والذين كذبوا  
 بآياتنا) التي هي من القرآن (صم) لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير الاولين  
 (وبكم) لا يقدر على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوة الرسول بها (في الظلمات) أي  
 في ضلال الكفر والجهل والعناد فلا يهتدون سبيلا (من يشاء الله يضلله) أي من يشاء الله اضلاله  
 يخلق الله الضلال فيه ويمتعه على الكفر فيضل يوم القيامة عن طريق الجنة وعن وجدان الثواب (ومن  
 يشاء يجعله على صراط مستقيم) أي ومن يشاء أن يجعله على طريق يرضاه وهو الاسلام يجعله عليه  
 ويهدى اليه ويمتعه عليه فلا يضل من مشى اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه (قل أرأيتم ان آتاكم  
 عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أي قل يا أكرم الرسل لكفار مكة  
 يا أهل مكة اخبروني ان آتاكم عذاب الله في الدنيا كالغرق أو الخسف أو المسخ أو نحو ذلك أو آتاكم  
 العذاب عند قيام الساعة أترجعون الى غير الله في دفع ذلك البلاء أترجعون فيه الى الله تعالى ان كنتم  
 صادقين في ان أصنامكم آلهة فأجيبوا سؤالي أو المعنى ان كنتم قوما صادقين فأخبروني ألهام غير الله  
 تدعون الخ (بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) أي انكم لا تترجعون في طلب دفع البلية  
 الا الى الله تعالى فيكشف الضر الذي من أجله دعوتكم بمحض مشيئته (وتنسئون ما تشركون) أي



وتتركون الاصنام ولا تدعونهم لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذوا بالأساء والضراء) أي وبالله لقد أرسلنا إلى أمم كثيرة كاثنة من زمان قبل زمانك رسلاً فخالفوهم فعاقبناهم بشدة الفقر والخوف من بعضهم والأمراض والأوجاع (لعلهم يتضرعون) أي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم (فلولا) أي فهلا (اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعبدون) من الكفر والمعاصي أي فلم يؤمنوا حين جاءهم عذابنا ولكن ظهر منهم الكفر وسوس لهم الشيطان أن حال الدنيا هكذا تكون شدة ثم نعمة فلم يخطر وابتالهم أن ما أصابهم من الشدائد ما أصابهم إلا لاجل علمهم الفاسد (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) أي فلما أنهم كفوا في المعاصي وتركوا ما وعظوا به من الشدائد فتحنا عليهم فنون النعماء على منهاج الاستدراج (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) أي حتى إذا طمأنوا بما فتح لهم وبطروا بأن ظنوا أن الذي نزل بهم من الشدائد ليس على سبيل الانتقام من الله وأن تلك الحيرات باستحقاقهم نزل بهم عذابنا فجأة لئلا يكون عليهم أشد وقعاً (فأذا هم مبلسون) أي محزونون غاية الحزن منقطع رجاؤهم من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي قطع غاية المشركين أي استؤصلوا بالهلاك بسبب ظلمهم - ثم باقاة المعاصي مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على استئصالهم بالنكال فإن أهلك الكفار والعصاة من حيث أنه تخلص لاهل الأرض من شؤم عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستحقة للحمد (قل أرأيتم أن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من الله غير الله يأتىكم به) أي قل يا أكرم الخلق لاهل مكة يا أهل مكة أخبروني أن أزال الله سمعكم وأبصاركم وعقولكم أي فرد من الآلهة الثابتة بزعيمكم غير الله يأتىكم بذلك الذي أزيل (انظر) يا أكرم الرسل (كيف نصرف الآيات) أي كيف نكررهما متغيرة من نوع إلى نوع آخر فتارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب تارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين فكمل واحد يقوى ما قبله في الإيصال إلى المطلوب (ثم هم يصدفون) أي يعرضون عن تلك الآيات وشم لا يستبعد اعراضهم عنها بعد ذكرها على الوجوه المختلفة (قل أرأيتمكم) أي أخبروني يا أهل مكة (إن أتاكم عذاب الله) أي عذابه الخاص بكم (بغتة) أي فجأة بأن يجيئهم من غير سبق علامة تدلهم على مجيئ ذلك العذاب (أو جهرة) بأن يجيئهم مع سبق علامة تدل عليه فالعذاب وقع بهم وقد عرفوه حتى لو أمكنهم الاحتراز عنه لتحزوا منه (هل يهلك الا القوم الظالمون) أي هل يهلك بذلك العذاب غيركم عن الاستحقاق (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) بالثواب على الطاعات (ومنذرين) بالعقاب على المعاصي ولا قدرة لهم على اظهار المعجزات بل ذلك مفوض إلى مشيئة الله تعالى (فن آمن وأصالح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي فن قبل قول المرسلين وأتى بعمل القلب الذي هو الايمان وبعمل الجسد الذي هو الاصلاح فلا خوف عليهم من العذاب الذي أنذر وه دنيوياً كان أو آخره ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل (والذين كذبوا بآياتنا) وهي ما ينطق به الرسل عند التبشير والانتذار ويبلغونه إلى الأمم (يعسهم العذاب) أي يصيبهم العذاب الذي أنذروه (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم وخروجهم عن الطاعة (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني ملائكة أن أتبع الامم) واعلم أن الكفار يطلبون من رسول الله أن يوسع خيرات الدنيا وأن يخبر عما يقع في المستقبل من المصالح والمصاير وطعنوا فيه في كل

الطعام والمشي في السوق وفي تزوجه للنساء فأمر الله تعالى أن ينسئ عن نفسه أمورا ثلاثة تواضع الله تعالى واعتزأه بالعبودية وان يقول لهم اغابعت مبشرا ومنذرا ولا أدعي كوني موصوفا بالقدرة الثلاثة بالله تعالى وان خزائن الله مفوضة الى أتصرف فيها كيف ما أشاء وأعطيكم منها ما تريدون ولا أدعي كوني موصوفا بعلم الله تعالى فاخبركم بما تريدون ولا أدعي اني ملك - حتى تكلفوني من الخوارق للعادات ما لا يطيق به البشر وحتى تعدوا عدم اتصافي بصفات الملائكة قاذحافي أمري فتسكرون قولي وتبعدون أمري وما أخبركم من غيب الابوحى من الله أنزله على (قل) لهم (هل يستوى الامي والبصير) أى هل يكونان سواء من غير مزية فان قالوا نعم كابر وا الحس وان قالوا لا قيل فن تسع هذه الآيات الجليات فهو البصير ومن أعرض فهو الامي (أفلا تتسكرون) أى ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه - زلت هذه الآية من قوله قل لا أقول لكم في أبى جهل وأصحابه الحرب وعينته (وأذره الذين يخافون أن يحشروا الحد بهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلمهم يتقون) أى وأذره يا أشرف الرسل بما أوحى اليك من يجوزون الحشر ويرجى منهم التأثر بالتخويف غير منصورين بقرب ولا مشفوعا لهم من جهة أنصارهم على زعمهم من غير الله تعالى سواء كانوا جازمين بأصل الحشر كالمؤمنين العاصين وأهل الكتاب المتردين في شفاعه آبائهم الانبياء وبعض المشركين المعترفين بالبعث المتردين في شفاعه الاصنام أو متردين في أصل الحشر وفي شفاعه الآباء والاصنام معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقا فيهلكوا الكي ينتهوا عن الكفر والمعاصي واما المنكرون للحشر بالكيفية والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الاصنام فهم خارجون عن أمر بانذارهم (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أى الذين يعبدون ربهم بالصلاة الخمس أو يذكرون ربهم طرفي النهار (يريدون وجهه) أى يريدون بذلك محبة الله تعالى ورضاه أى مخلصين في ذلك روى انه جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب وبلال وخباب وابن مسعود وسلمان الفارسي ومهجع وعامر بن فهيرة قلمارا وهم حوله حقروهم وقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس وأبعدت عنك هؤلاء ورأيتهم جبا بهم لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي ما نابطارد المؤمنين قالوا فانحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فتستحي أن ترانا مع هؤلاء الا عبيد فاذا نحن جئناك فاقهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فكتب لنا عليك بذلك كتابا فأتى بالعصيفة ودعا عبد اليكتب فترجل جبريل بهذه الآية فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعصيفة وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد لمبايعنا محمدا فنزل الله تعالى هذه الآية وروى أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من الاشراف له صلى الله عليه وسلم اذا صلينا فآخر هؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت هذه الآية (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) أى ما عليك من حساب رزق هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي شيء فتعلمهم وتبعدهم ولا من حساب رزقك عليهم شيء وانما الرزق لهم ولاك هو الله تعالى فدعهم يكونوا عندك ولا تطردهم فتكون من الظالمين لنفسك بهذا الطرد ولهم لانهم استحقوا مزيدا للتقريب وقيل ان الكفار طعنوا في ايمان أولئك الفقراء وقالوا يا محمدا انهم انما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون بهما السبب ما كولا ولملبوسا عندك والافهم

فارغون عن دينك فقال الله تعالى ان كان الامر كما يقولون فما يلزمك الاعتبار الظاهر وان كان لهم -  
 باطن غير مرضي عند الله فحسابهم عليه لازم لهم لا يتعدى اليك كما أن حسابك عليك لا يتعدى اليهم  
 (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي ومثل ذلك الفتون المتقدم فتنا بعض هذه الامة ببعض وكل أحد مبتلى  
 بضده فأولئك الكفار رؤساء الاغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين في الاسلام  
 مسارعين الى قبوله فقالوا لودخلنا في الاسلام لوجب علينا أن نتقاد هؤلاء الفقراء المساكين وان نعترف  
 لهم بالتبعية فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك واعتزوا على الله في جعل أولئك الفقراء رؤساء في  
 الدين وأما فقراء الصحابة فكانوا يرون أولئك الكفار في الراحة والمسرات والطيبات والخصب والسعة  
 فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الاحوال هؤلاء الكفار وبالجملة فصفت الكمال مختلفة متفاوتة محبوبة  
 لذاتهم موزعة على الخلق فلا تجتمع في انسان واحد البتة فكل أحد يحسد صاحبه على ما أناء الله من  
 صفات الكمال (ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا) بالايان بالله ومتابعة الرسول وغرضهم بذلك  
 انكار وقوع المن رأسا وهذه اللام كي والتقدير ومثل ذلك الفتون فتنا يقولوا هذه المقالة امتحاننا  
 وقيل انها لام الصبر ورة والمعنى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليصبروا أو ليسكروا فكان عاقبة أمرهم  
 ان قالوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا قال تعالى رد عليهم (أليس الله بأعلم بالشاكرين) لنعمه حتى  
 تستبعدوا انعامه عليهم وفي هذا الاستفهام التقريرى اشارة الى أن الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى  
 في تنزيل القرآن وفي التوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك وتعريض بان القائلين بتلك المقالة  
 بعزل من ذلك كله (واداجاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قيل نزلت هذه الآية في أهل  
 الصفة الذين سأل المشركون رسول الله عليه السلام طردهم فآكرمهم الله تعالى بهذا الاكرام فان الله  
 تعالى نهي رسوله أولا عن ابعادهم ثم أمره بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه في الدنيا والرحمة في الآخرة  
 (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي أوجب على ذاته المقدسة الرحمة بطريق الفضل والكرم تبشيرهم  
 بسعة رحمته تعالى وبنييل المطالب (أنه من عمل منكم سوءاً) أي ذنباً (بجهالة) بتعمد بسبب الشهوة  
 وكان جاهلاً لا يعقد ارماسه من العقاب وما يفوته من الثواب (ثم تاب من بعده) أي ندم من بعد عمل  
 المعصية (وأصلح) عمله بالتوبة منه تداركاً وعزماً على أن لا يعود اليه أبداً (فأنه) أي الله (غفور)  
 بسبب ازالة العقاب (رحيم) بسبب ائصال الثواب الذي هو النهاية في الرحمة (وكذلك نفصل الآيات)  
 أي كما فصلنا لك في هذه السورة دلالة على صحة التوحيد والنبوة والقضاء والقدر فكذلك نفصل لك حججنا  
 في تقرير كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأنا فاع لتستبين بالتاء خطاب للنبي  
 وسبيل بالنصب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المشركين فتعاملهم بما يليق بهم وقرأ حزقيا والكسائي  
 وأبو بكر عن عاصم ليستبين بالياء وسبيل بالرفع والباقون بالتاء وسبيل بالرفع وقوله وليستبين عطف على  
 المعنى كأنه قيل ليظهر الحق وليتضح سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل (قل) يا أشرف الخلق للصيرين  
 على الشرك (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي اني نهيت في القرآن عن عبادة  
 ما تعبدونه من دون الله وهو الاصنام (قل لا أتبع أهواءكم) في عبادة الاحجار وهي أخس مرتبة من  
 الانسان بكثير فانهم كانوا يختمون تلك الاصنام وانما يعبدونها ابنا على محض الهواه لا على سبيل الحجة  
 فان اشتغال الاشرف بعبادة الاخس أمر يدفعه صريح العقل (قد ضللت اذا) أي ان اتبعت أهواءكم  
 (وما أنا من المهتدين) أي ما أنا في شيء من الهدى حين أكون في عدادهم (قل اني على بينة) أي حجة

واضح تفصل بين الحق والباطل وهي الوحى (من ربى) فى انه لا معبود سواه (وكذبتم به) أى ربى  
حيث أشركتم به غيره (ما عندى ما تستعجلون به) أى من العذاب أى ليس أمره بمفوض الى غير الاول  
نافية وما الثانية موصولة وسبب نزول هذه الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب  
عليهم بسبب هذا الشرك وكان النضر بن الحرث وأصحابه يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعدان كنتم  
صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام على زعمهم فقال تعالى قل يا أشرف الخلق ليس ما تستعجلونه  
من العذاب الموعود فى القرآن وتجمعون تأخره ذريعة الى تكذيبه فى حكمى وقد رتبى حتى أجى به  
وأظهر لكم صدقه (ان الحكم الا لله) أى ما الحكم فى نزول العذاب تهجيلا وتأخيرا الا لله (يقض الحق)  
قرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقض بالصاد المشددة وضم القاف أى ينهى الحق ويقول الحق لا كل ما أخبر  
الله به فهو حق وقرأ الباقر يقض بسكون القاف وكسر الصاد بغير ياء لستقوطها فى اللفظ أى يقضى  
القضاء الحق أو يصنع الحق لأن كل شئ صنعه الله فهو حق (وهو خير الفاصلين) أى أفضل القاضين  
(قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمرينى وبينكم) أى قل يا أكرم الرسل لو أن فى قدرتى  
ما تطلبون به قبل وقته من العذاب الذى يرد به الوعيد بأن يكون أمره مفوضا الى من الله تعالى لفصل  
ما بينى وبينكم بأن نزل عليكم ذلك عقب استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد واسترحت (والله أعلم  
بالظالمين) أى أعلم بحال المشركين وبأنهم مستحقون للإمهال بطريق الاستدراج فوقع بالنضر بن  
الحرث العذاب الذى سأل فقتل صبرا يوم بدر (وعنده مفاتيح الغيب) أى علم الغيب لأن المفاتيح هى التى  
يتوصل بها الى ما فى الخزائن فمن علم كيف يفتحها ويتوصل بها الى ما فيها فهو عالم أو المعنى وعنده تعالى  
خاصة خزائن الغيب أى قدرة كاملة على كل المسكنات من المطر والنبات والثمار ونزول العذاب (لا يعلمها  
الا هو) أى لا يعلم مفاتيح الغيب بنزول العذاب الذى تستعجلون به الا هو فالعذاب ليس مقدورا الى حتى  
أعجله لكم ولا معلوما لدى حتى أخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلم (ويعلم ما فى البر  
والبحر) من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثر أفرادها وانما قدم ذكر البر  
لأن الانسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال والحيوان  
والنبات والمعادن وأما البحر فاعما أعم لأنه لا حاطة العقل بأحواله أقل لكن الحس يدل على ان  
عجائب البحر أكثر وأجناس المخلوقات أعجب وان طول البحر وعرضه أعظم (وما تسقط من ورقة)  
من الشجر والنجم (لا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) أى وما  
حبة ملقاة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس من كل شئ الا فى علم الله تعالى فاذا سمع الانسان ان الحبة  
الصغيرة الملقاة فى مواضع متسعة يبقى أكبر الاجسام مخفيا فيها وان الماء والنبات والحي وخلقها لا تخرج  
عن علم الله تعالى صارت هذه الامثلة منبهة على معنى قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وقيل  
والمراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ انما كتب هذه الاحوال فى اللوح المحفوظ لتقف الملائكة على  
نفاذ علم الله تعالى فى المعلومات فيكون فى ذلك عبرة تامة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون  
به ما يحدث فى صحيفة هذا العالم فيجدونه موافقا له (وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى يغميكم فى الليل وانما  
ضح اطلاق لفظ الوفاة على النوم لأن ظاهر الجسد صار معطلا عن بعض الاعمال عند النوم كما ان جملة  
البدن صارت معطلة عن كل الاعمال عند الموت ففصل بين النوم والموت مشابهة من هذا الاعتبار (ويعلم  
ما جرحتم بالنهار) أى يعلم ما كسبتم من أعمال الجوارح فى النهار (ثم يبعثكم فيه) أى يوقظكم فى

النهار (ليقضى أجل مسمى) أى لى يتم أجل معين عند الله لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتجاوز أحد ما عين له طرفة عين (ثم اليه مرجعكم) أى رجوعكم بالموت (ثم ينشئكم بما كنتم تعملون) أى ينجزكم بمجازاة أعمالكم التى كنتم تعملونها فى الليل والنهار من الخير والشر (وهو القاهر فوق عباده) أى وهو الغالب المتصرف فى أمور عباده يفعل بهم ما يشاء أيجال أو أهداماً أو أحياءاً وماتة وإثابة وتعذيباً إلى غير ذلك فالمكاث كلها مقهورة تحت قهر الله تعالى مسخرة تحت تسخير الله تعالى (ويرسل عليكم حفظة) أى ملائكة يحفظون أعمالكم ويكتبونها فى صحائف تقرأ عليكم يوم القيامة على رؤس الشهاد (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) أى حتى إذا انتهت مدة أحدكم وانتهى حفظ الحفظة وجاءه أسباب الموت قبضه ملك الموت وأعوانه (وهم) أى هؤلاء الرسل (لا يفرطون) أى لا يؤخرون الميت طرفة عين وقرئ بسكون الفاء أى لا يجاوزون ما حدد لهم بزيادة أو نقصان (ثم ردوا إلى الله) أى ثم رد جميع البشر بعد البعث بالحشر إلى حكم الله وجزائه فى موقف الحساب وقيل المعنى ثم يرد أولئك الملائكة فانهم يعيرون كما يعوت بنو آدم (مولا هم الحق) أى مالكمهم الذى لا يقضى إلا بالعدل (إلا الله الحكيم) يومئذ صورة ومعنى (وهو أمرع الحاسدين) بحاسب جميع الخلائق فى أقصر زمان لا يشغله كلام عن كلام ولا حساب عن حساب وفى الحديث أن الله تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة أى وذلك لأنه تعالى لا يحتاج إلى فكر وعد (قل) يا كرم الخلق لتكفار مكة (من ينحيكم من ظلمات البر والبحر) أى من شدائد هما الهائلة التى تبطل الحواس وتدهش العقول (تدعونه) والضمير عائذ لمن وهذه الجملة فى محل نصب على الحال إما من مفعول ينحيكم أى من ينحيكم منها داعين إياه راما من فاعله أى من ينحيكم منها مدعو من جهةكم (تضرعوا وخفية) أى تدعونه دعاء إعلان وإخفاء أو تدعونه متضرعين ومخلصين بقلوبكم قائلين (لئن أنجيتنا من هذه) أى الأهوال والشدائد (لنكونن من الشاكرين) أى من المؤمنين المداومين على الشكر لاجل هذه النعمة وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر خفية بكسر الخاء والباقون بالضم وعلى هذا الاختلاف فى سورة الاعراف وقرأ الامش وخيفة بكسر الخاء فبعده الياء الساكنة من الخوف أى مستكينة أو دعاء خوف والآية تدل على أن الإنسان يأتى عند حصول الشدائد بأمور أحدها الدعاء وثانيها التضرع وثالثها الإخلاص بالقلب وهو المراد من قوله وخيفة ورابعها التزام الشدائد بالشكر وهو المراد من قوله لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقرأ عاصم وحزق الكسائى لئن أنجيتنا على المغاية وينحيكم بالتشديد فى الموضوعين والباقون لئن أنجيتنا على الخطاب وينحيكم بالتشديد والتخفيف وحجة من قرأ على المغاية أن ما قبل لفظ أنجيتنا هو تدعونه وما بعده وهو قل الله ينحيكم منها مذكور بلفظ المغاية ولا يحتاج فى هذه القراءة على إضمار نحو تقولون فإضمار خلاف الأصل وحجة من قرأ على المخاطبة قوله تعالى فى آية أخرى لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (قل الله ينحيكم منها) أى الله وحده ينحيكم من شدائد البر والبحر (ومن كل كرب) أى غم سوى ذلك (ثم أنتم) يا أهل مكة بعدما تشاهدون هذه النعم الجليلة (تشركون) بعبادته تعالى غيره الذى عرفتم أنه لا يضر ولا ينفع ولا تفنون بعهدكم (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) كالطرقاء فى قوم نوح والنجارة كمارى بها أصحاب الفيل وقوم لوط والصيحة أى صرخة جبريل التى صرخها على قوم صالح والريح كفى قوم هود (أو من تحت أرجلكم) كالرجفة وغرق فرعون وخسف قارون (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) أى يخلط أموركم خلطاً اضطراب

• جعلكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة متتابعة لآمام فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضا  
 (انظر كيف نصرف الآيات) أي نكرر هامتغيرة من حال الى حال (لعلهم يفقهون) أي كي يفقهوا  
 على جلية الامر فيرجعوا هم عليه من العناد (وكذب به قومك وهو الحق) أي وكذبوا بالعذاب  
 والحال انه الواقع لا بد وان ينزل بهم أو المعنى وكذب قريش بالقرآن وهو الكتاب الصادق في كل ما نطق  
 به وفي كونه منزلا من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أي قل يا أكرم الرسل لهؤلاء المكذبين لست  
 عليكم بمحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما أنا منذروا والله هو المجازي لكم  
 بأعمالكم (لكل نبأ مستقر) أي لكل خبر يخبره الله تعالى وقتا يحصل فيه من غير تأخير أو المعنى لكل قول  
 من الله من الوعد والوعيد استقرار حقيقة منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة (وسوف تعملون)  
 أي ولا بد ان يعملوا ان الامر كما أخبر الله تعالى عنه عند ظهوره (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا  
 فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي وإذا رأيت أيها السامع الذين يستهزؤن بآياتنا فاترك  
 مجالسهم كي يشرعوا في حديثهم في غير آياتنا أي في غير الاستهزاء بالقرآن ونقل الواحدى ان المشركين  
 كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فشتوا واشتهزوا فامرهم الله  
 بترك مجالسة المشركين (واما ينسيتك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى من القوم الظالمين) أي وان يشغلك  
 الشيطان فتنسى النهى فتجالسهم فلا تقعد معهم بعد تذكر النهى (وما على الذين يتقون من حسابهم من  
 شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون) قال ابن عباس قال المسلمون ان كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن  
 قناعهم لما قدرنا على ان نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت هذه الآية أي ما على الذين  
 يتقون قبايح أعمال الخائضين عما يحاسبون عليه من آثامهم شيء ولكن تذكر لهم محاسبهم عليه من  
 القبايح بما أمكن من التذكير لعلهم يحسبون الخوض حيا أو فحوا وقوله تعالى ذكرى معطوف على محل  
 شيء وهو رفع على انه مبتدأ مؤخر أو اسم ما ومن مريدة للاستغراق ومن حسابهم حال من شيء (وذر الذين  
 اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) أي أعرض عن الذين نصرروا الدين ليمتسكوا به الى أخذ  
 المناصب والرئاسة وغلبة الخصم وجمع الاموال ولا تبالي بتكذيبهم واستهزائهم ولا تقم لهم في نظرك وزنا  
 وانما نصرروا الدين للدنيا لا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا أي اطمأنوا بها فلا جل استيلاء حب الدنيا على  
 قلوبهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصر واعلى تزين الظواهر ليمتسكوا بها الى حطام الدنيا واذا تأملت  
 في حال أكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وداخلين تحت هذه الحالة والله أعلم والمحقق في الدين  
 هو الذي ينصر الدين لا لاجل انه قام الدليل على انه صواب (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت) أي  
 ذكرهم بمقتضى الدين مخافة احتباسهم في نار جهنم بسبب جنائياتهم لعلهم يخافون (ليس لها من دون  
 الله ولي ولا شفيع) أي ليس للنفس من غير الله ناصر ولا شفيع يمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل  
 لا يؤخذ منها) أي وان تغد تلك النفس بكل فداء لا يقبل منها حتى لو جعلت الدنيا بأسرها فدية من عذاب  
 الله لم تنفع (أولئك الذين أبدلوا آياتهم كسبوا لهم شرابا من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) أي  
 أولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا هم الذين حبسوا في جهنم بما كسبوا في الدنيا  
 لهم شراب من ماء مغلى يتجر جرف بطونهم وتقطع به امعاؤهم وعذاب أليم ينارت شعل بأبدانهم بسبب  
 كفرهم المستمر في الدنيا (قل اندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونزدع على أعقابنا بعد اذ هانا الله)  
 أي قل يا أكرم الرسل لهؤلاء المشركين الذين دعوا الى دين آباءهم كعينته وأصحابه أن يعبد متجاوزين



عبادة الله الجامع لجميع صفات الألوهية بما لا يقدر على تفهيمنا في الدنيا والآخرة أن عبدناه ولا على ضرفا  
 فيهما إذا تركناه ونزد إلى الشرك بعد أذهانا الله إلى الإسلام وأنقذنا من الشرك وأنما يقال لكل من  
 أعرض عن الحق إلى الباطل أنه رجع إلى خلف ورجع على عقبيه لأن الأصل في الإنسان هو الجهل ثم  
 إذا تكامل حصل له العلم فإذا رجع من العلم إلى الجهل مرة أخرى فكان رجع إلى أول مرة (كالذي  
 استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثننا) أي فيكون مثلنا كالذي استنزله  
 الشياطين من الموضع العالي إلى الوعدة السافلة العميقة في قعر الأرض أنما عن الجادة لا يدري ما يصنع  
 وللنازل إلى الوعدة المظلمة عينيه وأصحابه رفقته وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعونه إلى الطريق  
 المستقيم يقولون ائتنا إلى الجادة والغيالان ينزلونه إلى السافلة المظلمة فبقى متحيرا أين يذهب وهذا المثل في  
 غاية الحسن وذلك لأن الذي يهوى من المكان العالي إلى الوعدة العميقة يهوى إليها مع الاستدارة على نفسه  
 كما أن الحجر حال نزوله من الأعلى إلى الأسفل ينزل على الاستدارة وذلك يدل على كمال التردد والتحير فعند  
 نزوله لا يعرف أنه يسقط على موضع يكثربلاؤه بسبب سقوطه أو يقل فاذا اعتبرت مجموع هذه الأحوال  
 علمت أنك لا تجد مثالا للتحير المترددا لحادث أحسن ولا أكمل من هذا المثال (قل إن هدى الله) الذي  
 هدانا إليه وهو الإسلام (هو الهدى) الكامل النافع الشريف وما عدا ضلال محض وغى بحت (وأمرنا  
 لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوا) أي قل وأمرنا بأن نخلص العبادة لرب العالمين لأنه المستحق  
 للعبادة وقل أقيموا الصلاة واتقوا الله تعالى في مخالفة أمره والمقصود من ذكر هذين النوعين من الخطأ  
 تنبيه على الفرق بين حالتي الكفر والإيمان فإن الكافر بعيد فائب والمؤمن قريب حاضر فيخاطب الكافر  
 بخطاب الغائبين لأنه كالأجنبي الغائب فيقال له وأمرنا لنسلم لرب العالمين وإذا أسلم وآمن صار كالقريب  
 الحاضر فيخاطب بخطاب الحاضرين ويقال له وأقيموا الصلاة واتقوا (وهو الذي إليه تحشرون) أي  
 تجمعون يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم (وهو الذي خلق السموات والأرض) وما فيهما (بالحق) أي  
 قائما بالحق لا عابثا (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) أي وأمره المتعلق بكل شيء مر يد خلقه حين  
 تعلقه به هو المعروف بالحقيقة والمراد من هذا الأمر التنبيه على نفاذ قدرته ومشيتته في تكوين الكائنات  
 وهذا بيان أن خلقه تعالى للسموات والأرض ليس عما يتوقف على مادة ولا مدة بل يتم بمحض الأمر  
 التكويني من غير توقف على شيء آخر أصلا والمراد بالقول كلمة كن تخيل لأن سرعة قدرته تعالى أقل  
 زمانا من زمن النطق بكن (وله الملك يوم ينفخ في الصور) أنما أخبر الله عن ملكه يومئذ لأنه لا منازع  
 له يومئذ فإن الملوك اعترفوا بأن الملك لله الواحد القهار والصور قرن ينفخ فيه أسرافيل نفختين نفخة الصعق  
 أي الموت ونفخة البعث للحساب (عالم الغيب والشهادة) أي عالم ما غاب عن العباد وما علمه العباد وقوله  
 تعالى وله الملك يدل على كمال القدرة وقوله عالم الغيب والشهادة يدل على كمال العلم (وهو الحكيم الخبير)  
 فالحكيم هو المصيب في أفعاله والخبير هو العالم بحقائق الأشياء من غير اشتباه (واذ قال إبراهيم لأبيه آزر)  
 وهو في التوراة تارح فلائب إبراهيم اسمان آزر وتارح بن ناحور واسم جميع نسب رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم مطهر من عبادة الأصنام مادام النور المحمدي في أصلهم أما بعد انتقاله منهم فتجوز عليهم عبادة  
 الأصنام وغيره من سائر أنواع الكفر (أنتخذ أصناما آلهة) أي أنتجعل لنفسك أصناما آلهة فتعبد  
 أصناما شتى صغيرا وكبيرا ذكرًا وأنثى (إني أراك وقومك في ضلال مبين) أي إني أراك يا أبا وقومك  
 في ضلال عن الحق بين في الاتفاق على عبادة الأصنام (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض

وليكون من الموقنين) أى كما أرىنا إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف ما كان قومه عليه من عبادة الأصنام نزيه ملكوت السموات والأرض من وقت طفوليته ليراهن ما يتوسل بها إلى معرفة جلال الله تعالى وقدره وعلوه وعظمته وليصير زمان بلوغه من البالغين درجتين اليقين من معرفة الله تعالى لأن مخلوقات الله وإن كانت متناهية في الذوات والصفات فهي غير متناهية من جهات دلالتها على الذوات والصفات كما نقل عن إمام الحرمين أنه يقول معلومات الله تعالى غير متناهية ومعلوماته في كل واحد من تلك المعلومات غير متناهية أيضاً وذلك لأن الجوهر الفردي يمكن وقوعه في أحيان لانهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لانهاية لها على البدل وكل تلك الأحوال التقديرية دالة على حكمة الله وقدرته وإذا كان الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ كذلك فكيف القول في ملكوت الله تعالى فثبت أن دلالة ملك الله تعالى على سمات عظمته وعزته غير متناهية وحصول المعلومات التي لانهاية لها دفعة واحدة في عقول الخلق محال حينئذ لا طريق إلى تحصيل تلك المعارف إلا بان يحصل بعضها عقب بعض وهذا هو المراد من قول المحققين السفر إلى الله له نهاية وأما السفر في الله فإنه لانهاية له والله أعلم (فلما جن) أى أظلم (عليه الليل) في السرب (رأى كوكبا) وهى الزهرة وهى في السماء الثالثة (قال هذاربي) مجازاً مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب (فلما أفل) أى غرب (قال لأحب الآفلين) أى لأحب الأرباب المبتدئين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال المحتجين بالاستتار (فلما رأى القمر بازغا) أى مبتدئاً في الطلوع أثر غروب الكوكب (قال هذاربي) هذا أكبر من الأول حكاية لقول الخصم الذين يعبدون الكواكب (فلما أفل قال لنن لم يهدني رب) إلى حضرت الحق (لا كون من القوم الضالين) فإن شيئاً مما رأيته لا يليق بالرؤية (فلما رأى الشمس بازغة) أى مبتدئة في الطلوع (قال هذاربي هذا أكبر) من الأول والثاني (فلما أفلت) أى هى (قال) مخاطباً للكل صادها بالحق بينهم (يا قوم اني برى عما تشركون) بالله من الأجرام المحدثه المحتاجة إلى حدث اعلم أن أكثر المفسرين ذكروا أن ملك ذلك الزمان وهو غروذن كنعان رأى رؤيا كأن كوكباً قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام يمازعه في ملكه فأمر ذلك الملك بفتح كل غلام يولد في هذه السنة فحبلت أم إبراهيم به وما أظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت إلى كهف ووضعت إبراهيم فيه وسدت الباب بحجر فجاء جبريل عليه السلام ووضع أصبعه في فيه فحسه فخرج منه رزقه وكان يتعهد جبريل عليه السلام فكانت الام تأتبه أحياناً وترضعه وبقى على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف أنه ربا فسأل الام فقال لها من ربى فقالت أنا فقال ومن ربك قالت أبوك فلما أتاه أبوه آزر فقال يا أبتا من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال ملك البلد غروذن فعرف إبراهيم جهلها وبرهما فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيئاً يستدل به على وجود الرب تعالى فرأى النجم الذي هو أضوء النجوم في السماء فقال هذاربي إلى آخر القصة والاتباع إبراهيم من المشركين توجه إلى منشي هذه المصنوعات فقال (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض) أى اني وجهت طاعتي وصرفت وجه قلبي للذي أخرج السموات والأرض إلى الوجود (حنيفاً) أى مائلاً عن كل معبود دون الله تعالى (وما أنا من المشركين) في شئ من الأفعال والأقوال (رحاجه قومه) أى خاصه قومه في آلهتهم وخوفهم بها روى أنه لما شب إبراهيم جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها فيذهب بها وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فآزر أتى به عليه ذهب بها إلى نهر وضرب فيه رؤسها وقال

لها شر بي استهزأه بقومه حتى فشا فيهم استهزأوه بما قالوا له احذر الاصنام فاننا نخاف أن تمسك بعبيل أو  
جنون بعبيل أياها فذلك قوله تعالى وحاجه قومه (قال) أي ابراهيم لهم (أتحتاجوني في الله) أي  
أتحتاجونني في وحدانية الله (وقد هذان) لدينه فكيف التفت إلي حجتكم العلية وكلما تكلم الباطلة  
(ولا أخاف ما تشركون به) من الاصنام لان الخوف انما يحصل عن يقدر على النفع والضرر والاصنام  
جمادات لا قدرة لها على النفع والضرر فكيف يحصل الخوف منها (الا أن يشاء رب شيأ) أي لا أخاف  
معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا أن يشاء رب شيأ من المكر ويصيني من  
جهتها كان يحبسها ويكتمها من ايصال المنفعة والمضرة الى أو من تزع المعرفة من قلبي فأخاف عما تخافون  
وسع رب كل شي علما) فانه هلام الغيوب فلا يفعل الا الصلاح والحكمة فبتقدير أن يحدث من مكره  
الذي ياف ذلك لانه تعالى عرف وجه الصلاح والخير فيه لا لاجل انه عقوبة على الطعن في الهية الاصنام  
(أفلا تتذكرون) ان نفي الشركاء عن الله تعالى لا يوجب زول العذاب واثبات التوحيد له تعالى لا يوجب  
استحقاق العقاب أو المعنى أعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع فلا  
تتذكرون أنها غير قادرة ولا تتعظون فيما أقول لكم من النهي (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون  
أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا) أي وكيف أخاف الاصنام التي لا قدرة لها على النفع والضرر  
وأنتم لا تخافون من الله أشرككم بالله ما يمنع حصول المحبة فيه أو ما لم يرد الأمر به أي وكيف أخاف أنا  
ما ليس في حيز الخوف أصلا وأنتم لا تخافون فأناله ما هو أعظم المخوفات وهو أشرككم بالله الذي لا يعاقل  
ذاته وصفاته شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته (فأي الفريقين أحق بالامن) أي  
مالككم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف فأي  
الفريقين من الموحدين والمشركين أحق بالامن من معبود أحد الفريقين (ان كنتم تعلمون) من  
أحق بذلك فأخبروني فلم يجيبوا فأجاب الله ما سأله عنهم فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم  
أولئك لهم الامن) أي الفريق الذين آمنوا ولم يخلطوا ايمانهم بشرك بأن لم يثبتوا لله شريكا في العبودية  
أولئك لهم الامن من العذاب (وهم مهتدون) الى الصواب ومن عداهم في ضلال ظاهر والله تعالى  
شرط في الايمان الموجب للامن عدم الظلم أي عدم النفاق بالايمان وأما الفاسق فهو مؤمن فوعيد  
الفاسق من أهل الصلاة يحتمل أن يعذبه الله وأن يعفو عنه فالامن زائل والخوف حاصل فلم يلزم من عدم  
الامن القطع بمحصل العذاب والله أعلم (وتلك) أي ما احتج به ابراهيم على قومه (حجتنا آتيناها)  
أي ألهمنها (ابراهيم على قومه) متعلق بحجتنا (نرفع درجات من نشاء) قرأ عاصم وحمة  
والكسائي بغير إضافة أي نرفع من نشاء رفعه في رتب عظيمة عالية من العلم والحكمة والمنزلة وقرأ الباقر  
بالإضافة (ان ربك) يا أكرم الرسل (حكيم) في كل ما فعل من رفع وخفض (عليم) بحال من  
يرفعه أي ان الله يرفع درجات من يشاء بمقتضى حكمته وعلمه فان أفعاله تعالى منزهة عن العيب (وهبنا  
له) أي لابراهيم لصلبه (امحق ويعقوب) من امحق (كلا هدينا) أي كل واحد من ابراهيم وامحق  
ويعقوب أرشدنا الى النبوة والرسالة (ونوحا هدينا من قبل) أي من قبل ابراهيم (ومن ذريته) أي  
وهدينا من ذريته نوح (داود وسليمان وأيوب) هو ابن أموص من أسباط عيص بن امحق (ويوسف  
وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين) أي ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائننا مثل ذلك الجزاء  
على احسانهم وهو الاتيان بالاعمال الحسنة على حسن الوصف في المقارن لحسنها الذاتي وقد فسر النبي صلى

الله عليه وسلم بقوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك (وذكر يا) ابن أذن  
(ويحيى) ابنه (وعيسى) بن مريم بنت عمران (والياس) بن ياسين بن فخصاص بن عيزار بن  
هرون بن عمران (كل) أى كل واحد من أولئك المذكورين (من الصالحين) أى من السكاملين  
في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي (واهميل) بن ابراهيم (واليسع) بن أحطوب  
ابن العجوز قرأ حمزة والكسائي واليسع بتشديد اللام وسكون الياء والباقون واليسع بلام واحدة  
ساكنة وبفتح الياء (ويونس) بن متى (ولوطا) بن هاران أخى ابراهيم (وكلد) من هؤلاء  
الانبياء (فضلنا على العالمين) فهم يفضلون على الملائكة والاولياء واعلم أن الله تعالى  
خص كل طائفة من الانبياء بنوع من الكرامة والفضل فمنهم أصول الانبياء واليههم يرجع  
حسبهم جميعا وهم نوح و ابراهيم واسحق ويعقوب ثم المراتب المعتمدة عند جمهور الخلق بعد النبوة  
الملك والسلطان والقدرة وقد أعطى الله داود وسليمان من هذا الباب نصيبا عظيما ثم المرتبة  
الثالثة البلا الشديدا والحننة العظيمة وقد خص الله أيوب بهذه الخاصية والمرتبة الرابعة من كان  
مستجيبا لهما تين الحاليتين وهو يوسف فإنه نال البلا الكثير في أول الامر ثم أعطاه الله النبوة مع  
ملك مصر والمرتبة الخامسة من فضائل الانبياء قوة المعجزات وكثرة البراهين والمهابة العظيمة والاصولة  
الشديدة وذلك في حق موسى وهرون والمرتبة السادسة الزهد الشديد والاعراض عن الدنيا وترك مخالطة  
الخلق وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين ثم  
ذكر الله بعد هؤلاء من لم يبق له فيما بين الخلق اتباع وهم احماسيل واليسع ويونس ولوط والله أعلم  
(ومن آباؤهم وذرياتهم واخوانهم) وهذا ما عطف على كلاً فالعامل فيه فضلنا ومن تبعه ضية أو على نوحا  
فالعامل فيه هدينا ومن ابتدائية والمفعول محذوف أى وهدينا بالنبوة والاسلام من آباؤهم جماعات  
كثيرة آدم وشيث وادريس وهود وصالح ومن ذرياتهم جماعات كثيرة وأولاد يعقوب ومن اخوانهم  
جماعات اخوة يوسف (واجتبتناهم) أى اصطفتيناهم بالنبوة والرسالة (وهديناهم الى صراط  
مستقيم) أى الى معرفة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشرك (ذلك) أى معرفة الله بوحدانيته  
(هدى الله) أى دين الله فان الايمان لا يحصل الا بخلق الله تعالى (يهدي به من يشاء من عباده) وهم  
المستعدون للهداية في الارشاد (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) أى ولو أشرك هؤلاء الانبياء  
لحبط عنهم مع فضلهم وعلو درجاتهم أعمالهم المرضية وعبادتهم الصالحة فكيف بمن عداهم والمقصود من  
هذا الكلام تقرير التوحيد وابطال طريقة الشرك (أولئك) أى الانبياء الثمانية عشر (الذين  
آتيناهم الكتاب) أى أعطيناهم فهما تاما ما في الكتاب وعلما محيطا بأسراره (والحكم) فان الله  
تعالى جعلهم حكاما على الناس نافذى الحكم فيهم بحسب الظاهر (والنبوة) فيقدرون بها على  
التصرف في ظواهر الخلق كالسلاطين وفي بواطنهم وأرواحهم كالعلماء (فان يكفربها) أى بهذه  
الثلاثة (هؤلاء) أى كفار قريش (فقدروا كتابها) أى وفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها (قوما  
ليسوا بها بكافرين) أى يجاحدين في وقت من الاوقات وهم الانصار وأهل المدينة (أولئك الذين هدى  
الله فبهداهم اقتده) أى أولئك الذين قصصناهم من النبيين هداهم الله بالاخلاق الحسنى فباخلاقتهم  
الشريفة اقتده واستدل بهذه الآية بعض العلماء على ان محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع  
الانبياء وذلك لان جميع الصفات الحميدة كانت متفرقة فيهم فأمر الله تعالى رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه

وسلم أن يقتدى بهم بأمرهم في جميع صفات الكمال التي كانت متفرقة فيهم فيلزم أنه صلى الله عليه وسلم حصلها ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال أنه صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بكلية ثم فكان نوح صاحب تحمل الأذى من قومه وكان إبراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله تعالى وكان اسحق ويعقوب صاحبي صبر على البلاء والمحن وكان داود وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة وكان أيوب صاحب صبر على البلاء وكان يوسف جامع بين الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (لأأسألكم عليه) أي القرآن (أجرا) من جهنكم (إن هو إلا ذكرى للعالمين) أي ما القرآن إلا عظة للعن والانس من جهته تعالى (وما قدرنا الله حق قدره) أي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم لم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) روى أن مالك ابن الصيف وهو من أحبار اليهود ورؤسائهم جاء في مكة يخاضعون النبي صلى الله عليه وسلم لم وكان رجلا مهينا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين فقال نعم وكان يحب اخفاء ذلك لكن أقر لاقسام النبي عليه فقال له النبي أنت جبري من قدمه من الأشياء التي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب مالك بن الصيف ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فلما سمع قومه تلك المقالة قالوا ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبتني محمد فقلت له فقالوا وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فعزلوه من الحبرية وعز رياستهم لاجل هذا الكلام وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف (قل) لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) أي حال كون الكتاب ظاهرا جليا في نفسه وهاديا للناس من الضلالة (تجعلونه قراطيس تبدونهم وتخفون كثيرا) أي تضعون الكتاب في ورقات مفرقة فجعلوه أجزاء نحو نيف وثمانين جزءا ففعلوا ذلك ليتمكنوا من اخفاء من أرادوا اخفاءه فيجعلون ما يريدون اخفاءه على حدة ليتمكنوا من اخفاءه قرأ ابن كثير وأبو عمر وبياه الغيبة في الأفعال الثلاثة والباقيون بتساء الخطاب (وعلمتم) أيها اليهود من الأحكام وغيرها (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من قبل نزول التوراة وقيل المراد من قوله تعالى وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم أن التوراة كانت مشتملة على البشارة بمحمد محمد واليهود قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم كانوا يقرؤن تلك الآيات وما كانوا يفهمون معانيها لم يابعد الله محمد إذ أظهر أن المراد من تلك الآيات هو مبعثه صلى الله عليه وسلم (قل الله) أي قل يا أكرم الرسل المنزل لهذا الكتاب هو الله تعالى (ثم نذرهم في خوضهم يلعبون) أي ثم أتركهم في باطلهم الذي يخوضون فيه يسخرون فانك إذا أقت الحجة لم يبق عليك من أمرهم شيء البتة (وهذا كتاب أنزلناه) أي وهذا القرآن كتاب أنزلناه بالوحى على لسان جبريل (مبارك) أي كثير خبره دائم منفعة يبشر بالمغفرة ويزجر عن العصية (مصدق الذي بين يديه) أي موافق للكتب التي قبله في التوحيد وتنزيه الله والدلالة على البشارة والندارة (ولنتذرا أم القرى) قرأ شعبة لينذر على الغيبة أي لينذر الكتاب والمباثون ولنتذرا بالخطاب أي ولنتذرا يا أكرم الرسل أهل مكة مهيت أم القرى لأنها قبله أهل الدنيا ولا نهام موضع الحج وهي من أصول عبادات أهل الدنيا فيجتمع الخلق إليها كجميعهم الأولاد إلى الأم فلما اجتمع أهل الدنيا فيها بسبب الحج فيلزم أن يحصل فيها نواع التجارات

وهي من أصول المعيشة فلهذا السبب سميت مكة أم القرى (ومن حولها) أي من أهل جسيم بلاد العالم  
(والذين يؤمنون بالآخرة) أي بالوعد والوعيد والثواب والعقاب (يؤمنون به) أي بالكتاب (وهم  
على صلاتهم يحافظون) فإن الإيمان بالآخرة يحمل على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على  
المحافظة على الصلاة وتخصيصها بالذكرك لأنهم أشرف العبادات بعد الإيمان بالله فلم يقع اسم الإيمان على  
شيء من العبادات الظاهرة إلا على الصلاة قال تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم ولم يقع  
اسم الكفر على شيء من العاصي إلا على ترك الصلاة قال صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد  
كفر (ومن أظلم عن افترى على الله كذبا) نزل هذا في مسيلة الكذاب صاحب اليمامة وفي الأسود  
العنسي صاحب صنعاء فانهما كانا يدينان النبوة والرسالة من عند الله تعالى على سبيل الكذب (أو قال  
أوحى إلى ولم يوح إليه شيء) روى ابن عبد الله بن سعد بن أبي مريح كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم فلم ينزل قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فلما بلغ قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر يحجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال فتبارك الله أحسن  
الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت الآية اكتمها كذلك فسل عبد الله وقال إن كان محمد  
صادقا فقد أوحى إلى مثل ما أوحى إليه فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك إلى الإسلام  
فأسلم قبل فتح مكة حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الظهران (ومن قال سأ نزل مثل ما أنزل الله)  
كما ادعى النضر بن الحرث معارضة القرآن فانه قال في شأن القرآن انه من أساطير الأولين وكل أحد  
يمكنه الاتيان بمثله وقال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى  
على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم (ولو ترى اذ الظالمون في  
نمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون  
على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) أي ولو ترى يا أشرف الخلق الظالمين وقت كونهم  
في شدائد الموت في الدنيا والملائكة باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من  
هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآلام هذا الوقت تجزون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد بسبب  
الافتراء على الله والتكبر على آيات الله لرأيت أمرا فظيما أو المعنى ولو ترى الظالمين اذا صاروا إلى أنواع  
الشدائد والتعذيبات في الآخرة فادخلوا جهنم والملائكة باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب مبكيتين لهم  
قائلين أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد هذا الوقت تجزون العذاب المشتمل لاهانة بسبب  
كونكم قائلين قولاً غير الحق وكونكم مستكبرين عن الإيمان بآيات الله لرأيت أمرا عظيما (ولقد  
جئتمونا) للحساب (فرادى) عن الأهل والمال والجاه (كما خلقناكم أو مرة) أي مشبهين  
ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلابهم ما أي ليس معهم شيء (وتركتم) بغير اختياركم (ما حولناكم) أي  
أعطيناكم من الأموال (وراء ظهوركم) في الدنيا ما اذا صرف الأموال إلى الجهات الموجبة لتعظيم  
أمر الله وللشفقة على خلق الله فمات كهوا وراء ظهورهم بل قدمها لتلقاه وجهه (وما ترى معكم شفعاءكم  
الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي وما ترى معكم أصنامكم التي زعمتم أنها شركاء الله في استحقاق عبادتكم  
(لقد تقطع بينكم) قرأ نافع وحفص عن عاصم والكسافي بالنصب أي لقد تقطع الشراكة بينكم  
والباقون بالرفع أي لقد تقطع وصلكم فالبين اسم يستعمل للوصل والفراق فهو مشترك بينهما كالجنون  
للأسود والابيض (وضل) أي ضاع (عنكم ما كنتم تزعمون) ان الأصنام شفعاءكم (ان الله



فألق الحب) أى شاق جميع المحبوب من الخنطة وغيرها (والنوى) وهى التى فى داخل الثمار أى  
 فاذا وقعت الحبة أو النواة فى الأرض الرطبة ثم مر عليها مدة أظهر الله تعالى فى تلك الحبة أو النواة من  
 أعلاها شدة ومن أسفلها شدة آخر فيخرج من الحبة ورق أخضر ومن النواة ثمرة صاعدة فى الهواء  
 ويخرج منها عروق هابطة فى الأرض (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى يخرج من  
 النطفة بشر أحياء ومن البيضضة فروخا حية ومن الحب اليابس نباتا غضا ومن الكافرة مؤمنا ومن العاصى  
 مطيعا وبالعكس (ذلكم الله فأنى تؤفكون) أى ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيى المميت  
 فمن أين تكذبون فى إثبات القول بعبادة الأصنام وقيل المراد الانكار على تكذيبهم بالحشر والنشر  
 فالمعنى انكم لما شاهدتم أنه تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ثم شاهدتم أنه تعالى  
 أخرج البدن الحى من النطفة الميتة مرة واحدة فكيف تستبعدون أن يخرج البدن الحى من ميت  
 التراب الرميم مرة أخرى (فألق الأصباح) أى فألق ظلمة الأصباح بنور الصباح وذلك لأن  
 الأفق من الجانب الغربى والشمالى والجنوبى ملأ من الظلمة وانما ظهر النور فى الجانب الشرقى  
 فكان الأفق كأن بجرا ملأ من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بأن أجرى جردولا من  
 النور فيه (وجعل الليل سكنا) أى يستريح فيه الخلق من التعب الحاصل فى النهار قرأ عاصم وحزرة  
 والكسافى على صيغة الماضى والباقون على صيغة اسم الفاعل (والشمس والقمر حسبانا) أى  
 قدر الله تعالى حركة بقدر معين من السرعة والبطء بحيث تتم الدورة فى سنة وقدرة حركة القمر بحيث يتم  
 الدورة فى شهر وهذه المقادير تنتظم مصالح العالم فى الفصول الأربعة وبسببها يحصل ما يحتاج اليه من  
 نفع الثمار وحصول الفلات (ذلك تقدير العزيز العليم) أى حصول هذه الأحوال لا يمكن إلا بقدرته  
 كاملة متعلقة بجميع المحركات وبعلم نافذ فى جميع المعلومات من الكليات والجزئيات فليس حصول  
 حركات اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة بالطبع وانما هو بتخصيص الفاعل المختار (وهو الذى جعل  
 لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى وهو الذى خلق لكم النجوم لاهتدائكم بها فى  
 مشتهات الطرق اذا سافرتم فى بر أو بحر ولا استدلالكم بها على معرفة القبلة وعلى معرفة أوقات الصلاة  
 (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) أى قد بينا العلامات الدالة على قدرتنا وحدانيتنا لقوم يتأملون  
 فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب أى فان هذه النجوم كما يستدل بها على  
 الطرقات فى ظلمات البر والبحر فكذلك يستدل بها على معرفة الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه (وهو  
 الذى أنشأكم من نفس واحدة) أى الذى خلقكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام (فستقر  
 ومستودع) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فستقر بكسر القاف والباقون يفتحها وأما مستودع فهو بفتح  
 الدال لا غير فالمعنى على الأول فنسلكم مستقروا ومنكم شئ مودع فى الصلب وهو النطفة وعلى الثانى  
 فلكم مكان استقرار وهو الارحام ومكان استيداع وهو نفس الاصلاب والفرق بين المستقر والمستودع  
 ان المستقر ما لم يكن على قرب الزوال والمستودع ما كان على قرب الزوال فان النطفة تبقى فى صلب الاب  
 زمانا نصيرا والجنين يبقى فى رحم الام زمانا طويلا ولما كان المكث فى بطن الام أكثر من المكث فى صلب  
 الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وقيل ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم  
 الام لان النطفة حصلت فى صلب الاب قبل حصولها فى رحم الام لحصول النطفة فى الرحم من فعل الرجل  
 مشبه بالوديعة وحصولها فى الصلب لان جهة الغير وقال أبو مسلم الأصمباني أن تقدير الآية هو الذى

أنشأكم من نفس واحدة فتسكنم ذكر ومنكم أنثى وانما عبر عن الذكر بالمستقر لان النطفة انما تنشأ في  
صلبه وتستقر فيه وانما عبر عن الانثى بالمستودع لان رحمها شبيه بالمستودع لتلك النطفة (قد فصلنا  
الآيات) أى قدينا العلامات الدالة على قدرتي ما من تفاصيل خلق البشر (لقوم يعقهن) أى يدقن  
النظر فان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف صنعة وان الاستدلال  
بالانس أدق من الاستدلال بالنجوم في الآفاق لظهورها (وهو الذي أنزل من السماء ماء) أى وهو  
الله الذي خلق هذه الاجسام في السماء ثم ينزلها الى السحاب ثم من السحاب الى الارض (فأخرجنا  
به) أى بسبب الماء (نبات كل شئ) من الاشياء التي تنمو من أنواع النجم والشجر (فأخرجنا  
منه) أى النباتات (خضرا) أى زرعها والمراد من هذا الخضرة العود الاخضر الذي يخرج أولا في القمم  
والشعر والذرة والارز ويكون السنبل في أعلاه (فخرج منه) أى من ذلك الخضرة (حبام تراكبا)  
بعضه على بعض في سنبلة واحدة (ومن النخل من طلعها) أى كبرانها قبل أن ينشق عن الاغريض  
(قنوان) أى عراجين تدلت من الطلع (دانية) أى قريبة من القاطف يناله القاطم والقاعد (وجنات  
من أعناب) قرأها صم بالرفع وهي قراءة على أى ومن الكرم جنات من أعناب والباقون بالنصب والتقدير  
وأخرجنا بالماء بساكنين من أعناب (والزيتون والزمان) أى شجرهما والاحسن أن ينتصباعلى  
الاختصاص لغزة هذين الصنفين عندهم (مشتبهان وغير متشابه) أى ان هذه الفواكه قد تكون  
متشابهة في اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة في الطعم واللذة وقد تكون مختلفة في اللون والشكل مع  
أنها تكون متشابهة في الطعم واللذة وأيضا بعض حبات العنقود من العنب متشابهة وبعضها غير متشابه  
فانك اذا أخذت العنقود ترى جميع حباته نضيجة حلوة طيبة الاحبات مخصوصة منها بقيت على أول  
حاله من الخضرة والجودة والعفوسة (انظروا) أيها المخاطبون نظرا اعتبار (الى غره) أى غر كل  
واحد مما ذكر قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وقرأ أبو عمرو وبضم الثاء وسكون الميم والباقون بفتح  
الثاء والميم (اذا أغمر) أى اذا خرج غره فتجدوه مشبها لا يكاد ينتفع به (وينعه) أى وانظروا الى  
حال نضجه وكما له فتجدوه قد صار قويا جامعا لنافع جمته (ان في ذلكم) أى في اختلاف الالوان وهو  
ما أمر بالنظر اليه (آيات) أى عظيمة دالة على وجود القادر الحكيم ووجدته (لقوم يؤمنون) أى  
لمن سبق في حقه قضاء الله بالايمان فأما من سبق له قضاء الله بالكفر لم ينتفع بهذه الدلالة البتة أصلا  
(وجعلوا لله شركاء الجن) أى قال المجوس ان الله تعالى وابليس اخوان شريكان فانه تعالى خالق  
الناس والدواب والانعام وابليس خالق السباع والحيات والعقارب وقالوا كل ما في هذا العالم من  
الخيرات فهو من برزdan وجميع ما فيه من الشرور فهو من أهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا (وخلقهم)  
أى وقد علموا ان الله خلقهم فان أكثر المجوس معترفون بأن ابليس ليس بقديم بل هو حادث وانما كان  
ابليس أصلا لجمع الشرور والآفات والمفاسد والقبائح وقد سلموا أن اله العالم هو الخالق لما هو أصل  
الشرور والقبائح والمفاسد ثم ان في المجوس من يقول أنه تعالى تفكر في عملة نفسه واستعظمها الخمل  
نوع من العجب فنشأ الشيطان عن ذلك العجب ومنهم من يقول شك في قدرة نفسه فنشأ من شكه الشيطان  
فهو لا معترفون بأن أهرمن محدث وان محدثه هو الله تعالى فقوله تعالى وخلقهم اشارة الى هذا المعنى  
والضمير عائد الى الجن (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قرأنا نافع خرقوا بتشديد الراء والجمهور بتخفيفها  
وقرأ ابن عباس بالحاء المهملة والفاء وتخفيف الراء وابن عمر كذلك الا أنه شدد الراء أى كذبوا في الله حيث

وصفوا له تعالى بثبوت البنين والبنات مصاحبين لجهل حقيقة ما وصفوه فالذين أثبتوا البنين النصارى  
وقوم من اليهود حيث قال النصارى المسيح ابن الله واليهود عزير بن الله والذين أثبتوا البنات العرب الذين  
يقولون الملائكة بنات الله فلو عرفوا أن الإله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته لا تمتنعوا أن يثبتوا له  
تعالى البنين والبنات فإن الولد دال على كونه منفصلاً من جزء من أجزاء الوالد وذلك إما أن يكون في مركب  
يمكن انفصال بعض أجزائه وذلك في حق الفرد الواجب لذاته محال فمن عرف حقيقة الإله استحال أن  
يقول له تعالى ولد (سبحانه) نزه الله ذاته بنفسه عما لا يليق به (وتعالى) أى تقدر (عما يصفون)  
بأن له تعالى شريكاً وولداً فالنسيج يرجع إلى قول المسيح والتعالى يرجع إلى صفته الذاتية التي حصلت له  
تعالى سواء سبجه تعالى مسيح أم لا (بديع السموات والأرض) والمعنى أن الله تعالى أخرج عيسى إلى  
الوجود من غير سبق إلا بالونطفة كما أنه تعالى خلق السموات والأرض من غير سبق مادة ومدة فلو لم  
من مجرد كونه تعالى مبدعاً لأحداث عيسى كونه تعالى والد له عليه السلام لم من كونه تعالى مبدعاً  
للسموات والأرض كونه تعالى والد الله ما وذلك باطل بالاتفاق فثبت أن مجرد كونه تعالى مبدعاً لعيسى  
لا يقتضى كونه والد له (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له تعالى ولد والحال ليس  
له زوجة أى لأن الولد لا يصح إلا بمن كانت له زوجة وشهوة وينفصل عنه جزء ويحتبس ذلك الجزء في  
باطن تلك الزوجة وهذه الأحوال إنما تثبت في حق الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة  
والسكون والشهوة واللذة وكل ذلك محال على خالق العالم (وخلق كل شيء) أى من أين يكون له  
ولد والحال أنه تعالى خلق جميع الأشياء فان تحصيل الولد بطريق الولادة إنما يصح في  
حق من لا يقدر على التكوين دفعة واحدة فمن كان قادراً على تكوين كل المحدثات فإذا أراد أحداث  
شيء قال له كن فيكون ومن كان صفته هكذا امتنع منه أحداث شخص بطريق الولادة (وهو بكل شيء  
عليم) أى فان علم الله أن في تحصيل الولد نفعاً له تعالى وكما لا وجب حصول الولد قبل ذلك وهذا يوجب  
كون ذلك الولد أزلياً وهو محال وإن علم أنه ليس له تعالى في تحصيل الولد ازدياد مرتبة في الإلهية ولا كمال  
حال فيها رجب أن لا يجد نه البتة في وقت من الأوقات وأيضاً الولد المعتاد إنما يحدث بقضاء الشهوة وهو  
يوجب اللذة وهي مطلوبة لذاتها فوجب أن يعلم الله أن تحصيل تلك اللذة يدعو إلى تحصيلها قبل ذلك  
الوقت فوجب أن يحصل تلك اللذة في الأزل فلم يكن الولد أزلياً وذلك محال فثبت عدم صحة الولد عليه  
تعالى (ذالكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه) واسم الإشارة راجع إلى الإله الموصوف بما تقدم  
من الصفات واسم الجلالة خبر أول ربكم خبر ثان لا اله الا هو خبر ثالث خالق كل شيء خبر رابع  
والغناء في قوله فاعبدوه مجرد السببية من غير عطف أى ثبت أن الإله العالم فرد صمد منزّه عن الشريك  
والنظير والضد والاولاد وذلك الجامع لهذه الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة مالك أمركم  
لا شريك له في ذلك خالق ما كان وما يكون فاعبدوه ولا تعبدوا أحداً غيره وللعلماء في اثبات التوحيد طرق  
كثيرة ومن جملتها هذه الطريقة وتقريرها من وجوه الأول أن يقال البصانع الواحد كافى في كونه  
المعال للعالم ومديره وما زاد على الواحد فالقول فيه متكافى لأنه لم يدل الدليل على ثبوت له لأنه يلزم إما  
اثبات آلهة لانهاية لها وهو محال أو اثبات عدد معين مع أنه ليس ذلك العدد أولى من سائر الأعداد وهو  
محال أيضاً وإذا كان القسمان باطلين لم يبق القول بالتوحيد والثاني أن يقال أن الإله القادر على  
كل الممكنات العالم بكل المعلومات كافى في تدبير العالم فلو قدرنا لها ثانياً فإما أن يكون فاعلاً أولاً فان كان

فاعلا صارنا لالا<sup>١</sup> نخرج عن تحصيل مقدوره وذلك يوجب كون كل واحد منهما سببا للجزء الآخر وهو محال  
وان لم يكن فاعلا كان ناقصا معطلا وذلك لا يصلح للالهية والثالث ان يقال ان الاله الواحد لا يدوان  
يكون كاملا في صفات الالهية فلو فرضنا الها ثانيا فاما ان يكون مشاركا للاول في جميع صفات الكمال  
اولا فان كان مشاركا في ذلك فاما ان يكون متميزا عن الاول أولا فان لم يكن متميزا عنه بأمر من الامور لم  
يحصل الاثنية وان امتاز بصفات الكمال لم يكن جميع صفات مشتركا فيه بينهما وان امتاز بغير صفات  
الكمال فذلك نقصان فثبت بهذه الوجوه الثلاثة ان الاله الواحد كاف في تدبير العالم وابعاده وان الزائد  
يحب نفيه (وهو على كل شيء وكيل) أي حافظ فيجب ان يعلم كل مكلف انه لا حافظ الا الله ولا مصلح  
للمهمات الا الله حقيقة نذيفة طمعه عن كل ما سواه ولا يرجع في مهم من المهمات الا اليه ويقال أي  
كفيل بأرزاق خلقه (لا تدركه الابصار) أي لا نزاه الابصار في الدنيا هو تعالى يراه المؤمنون في الآخرة  
لقوله صلى الله عليه وسلم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فالتشبيه واقع  
في تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح لا في تشبيه المرتى بالمرتى واتفق الجمهور انه صلى الله عليه وسلم  
قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هي الجنة والزيادة النظر الى وجه الله وروى  
ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى الله تعالى ليلة المعراج أولا ولم يكفر بعضهم  
بعضا بهذا السبب وما نسبته الى الضلالة وهذا يدل على انهم كانوا مجمعين على انه لا امتناع عقلا في رؤية الله  
تعالى وقيل المعنى لا تحيط به تعالى الابصار في الدنيا ولا في الآخرة لعدم انحصاره (وهو يدرك الابصار)  
أي والله تعالى مدرك لحقيقة الابصار (وهو اللطيف) فيلطف عن أن تدركه الابصار (الحبيرة) أي  
العالم بكل لطيف فلا يلطف شيء عن ادراكه وقيل انه تعالى لطيف بعباده حيث يشئ عليهم عند الطاعة  
ويأمرهم بالتوبة عند المعصية ولا يقطع عنهم كثرة رحمته سواء كانوا طيعين أو عصاة وقيل انه تعالى  
لطيف بهم حيث لا يأمرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم بما هو فوق استحقاقهم (قد جاءكم بصائر من ربكم)  
أي جاءكم آيات القرآن كائنة من ربكم وسميت تلك الآيات بصائر لانها أسباب لحصول الانوار للقلوب  
قوله تعالى قد جاءكم الآية استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (فمن أبصر فلنفسه) أي  
فمن اهتدى بآيات القرآن فآمن فنفع اهتدائه لنفسه (ومن عمى فعليها) أي ومن ضل عنها بأن كفر بها  
فخسر ضلالتة وكفره على نفسه (وما أنا عليكم بحفيظ) أي لا أعمالكم وانما أنا منذر والله تعالى هو الذي  
يحفظ أعمالكم ويمجازيكم عليها (وكذلك نصرف الآيات) أي مثل ذلك الاتيان البديع تأتي بالآيات  
متواترة حالا بعد حال لتلزمهم الحجة (وليقلوا درست) قرأه ابن كثير وأبو عمر بالالف وفتح التاء أي ليقول  
بعضهم أي ذا كرت يا محمد أهل الاخبار الماضية فيزداد كفرا على كفروا ثم ثبتا لبعضهم فيزداد ايمانا على  
ايمان وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظهر آيات القرآن فجماجمما والكفار كانوا يقولون ان محمدا  
يضم هذه الآيات بعضها الى بعض يتفكر فيها ويصطفا آية فآية ثم يظهرها ولو كان هذا بوحى نازل اليه من  
السماء فلم يأت بهذا القرآن دفعة واحدة كما كان موسى عليه السلام أتى بالتوراة دفعة واحدة أي فان  
تكرر هذه الآيات حالا بعد حال هي التي أوقعت الشك للقوم في ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما يأتي بهذا  
القرآن على سبيل المدارس مع التفكير والمذاكرة مع أقوام آخرين وقرأ ابن عامر درست بفتح السين  
وسكون التاء أي هذه الاخبار التي تلوتها علينا قديما قد انعمت وتكررت على الاسماع كقولهم أساطير  
الاولين وقرأ الباقر درست بدون الالف وسكون السين وفتح التاء أي حفظت وأتقنت بالدرس أخبار

الاولين كقولهم أساطير الاولين اكتبها فهي تملئ عليه بكروا أصيلا (ولئيبينه) أى الآيات (لقوم يعلمون) وهم أولياء الله الذين هداهم الى سبيل الرشاد (اتبع ما أوحى اليك من ربك) أى ألزم العمل بما أنزل اليك من ربك ولا يصرد لك القول سبيلا الفتور في تبليغ الرسالة والدعوة (لا اله الا هو) يجب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه (وأعرض عن المشركين) أى اترك في الحال مقابلتهم فيما يأتونه من سفه واعتدل الى الطريق الذي يكون أقرب الى القبول وأبعد عن التغليظ والتنفير (ولو شاء الله) عدم اشراكهم (ما أشركوا) أى لا تلتفت يا أشرف الخلق الى سفاهات هؤلاء الكفار الذين قالوا لك انما جئناك بهذا القرآن من مذاكرتنا لا يثقلن عليك كفرهم فانالوا ردنا ازالة الكفر عنهم لقد رنا ولسنا نرى كثرة كفرهم فلا ينبغي ان تشغل قلبك بكلماتهم (وما جعلناك عليهم حفيظا) أى رقيباً من جهتنا نحفظ أعمالهم عليهم (وما أنت عليهم بوكيل) أى وما أنت يا كرم الرسل حافظ عليهم من جهتهم فتدبر مصالحهم وتقوم بأمورهم وتكفل أرزاقهم (ولا تسبوا الذين يدهون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) أى ولا تسبوا أيها المؤمنون من يعبدون الاصنام من حيث عبادتهم لا الهتهم كأن تقولوا اتبنا لكم ولم تعبدون الاصنام مثلاً فيسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزا عن الحق الى الباطل بجهالة منهم بما يجب عليهم فان الهابة متى شتموهم كانوا يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى أجرى شتم الرسول مجرى شتم الله تعالى لان الكفار كانوا مقرين بالله تعالى وكانوا يقولون انما حسنت عبادة الاصنام لتصير شفعا لهم عند الله تعالى أو المعنى ولا تسبوا الاصنام الذين كان المشركون يعبدونهم فيسبوا الله للظلم بغير علم لانهم جهلة بالله تعالى لان بعضهم كان قائلين بالدهر ونفى الصانع قال قتادة كان المؤمنون يسبون أو ثمان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل اه وانما هو أعنى سب الاصنام وان كان مباحا لما ينشأ عن ذلك من المفساد وهو سب الله وسب رسوله فظاهر الآية كان نهيها عن سب الاصنام وحقيقتها النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وفي ذلك دلالة على ان الطاعة اذا أدت الى معصية رابحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر (كذلك) أى مثل تزيين عبادة الاصنام للمشركين (زيينا لكل أمة) أى لاهم الكفرة (عملهم) أى شرهم وفسادهم باحداث ما يحملهم عليه فان المعاصي هم قاتلة تدبر زنت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات فانها مع كونها أحسن الاحسن قد ظهرت عندهم بصور مكرهه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمسكاره وحفت النار بالشهوات وفي هذه الآية دلالة على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله تعالى خلق الكفرة وتزيينهم (ثم الى ربهم مرجعهم) بالبعث بعد الموت (فينبئهم بما كانوا يعملون) في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم فأعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان أعمالهم ما ذافعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها الما ان كلامهم ما سبب للعالم بحقيقتها كما هي (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى أقسم كفار مكة بالله غاية ايمانهم (لئن جاءتهم آية) أى مجهزة كما طلبوا (ليؤمنن بها) أى قالوا لسيدنا رسول الله ان هذا القرآن كيفما كان أمره فليس من جنس المعجزات البتة ولو انك يا محمد جئتنا بمجزة قاهرة لا منابك وحلفوا على ذلك وقال محمد بن كعب القرظي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى ضرب الحجر بالعصا فانفجر المامون عيسى أحيى الميت وان صالحا أخرج الناقة من الجبل فأتينا بآية لنصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي تحبون

فقالوا ان تجعل لنا الصفا ذهباً وحلفوا لئن فعل ليتبعونه أجمعون فقام صلى الله عليه وسلم يدعو لهما  
جبريل فقال ان شئت كان ذلك واثن كان فلم يصدقوا ليتبعنهم الله وان تركتهم تاب الله على بعضهم فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب على بعضهم فأزل الله تعالى هذه الآية (قل انما الآيات عند الله)  
أى انه تعالى هو المختص بالقدرة على أمثال هذه الآيات دون غيره (وما يشعركم) أى أى شئ يعلمكم  
أيها المؤمنون بأيمانهم أى لا تعلمون ذلك (أنها اذا جاءت لا يؤمنون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو أنها بكسر  
الهمزة على الاستثناف والباقيون بالفتح فهي بمعنى لعل ويقوى هذا الوجه قراءة أبي لعلها اذا جاءت هم  
لا يؤمنون (ونقلب أقدتكم وأبصارهم) أى وما يشعركم اننا قلب أقدتكم عن ادراك الحق فلا  
يفهمونه ونقلب أبصارهم عن اجتلاء الحق فلا يبصرونه (كالم يؤمنوا به) أى بما جاء صلى الله عليه وسلم  
من الآيات (أول مرة) أى فلا يؤمنون عند نزول مقترحهم لو نزل كالم يؤمنوا عند نزول الآيات  
السابقة على اقتراحهم كانشقاق القمر (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) أى نتركهم في ضلالهم متحيرين  
لانهدبهم هداية المؤمنين (ولو أنزلنا اليهم الملائكة) كما طلبوا فشهدوا على ما أنكروا (وكلمهم  
الموتى) من القبور كما طلبوا بأن محمد رسول الله والقرآن كلام الله (وحشرنا عليهم كل شئ قبلاً)  
قرأ طاصم وحزمة والكسائي بضمهين أى وجمعنا على المستهزئين زيادة على ما اقترحوه كل شئ من أصناف  
المخلوقات كالسباع والطيور كفلاء بصدق محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى وحشرنا عليهم كل شئ من أنواع  
نوعا من سائر المخلوقات وقرأ أنانع وابن عامر قبلاً بكسر القاف وفتح الباء أى حال كون الكفار معانين  
للأصناف (ما كانوا يؤمنوا) بمحمد والقرآن (الا ان يشاء الله) إيمانهم أى ولو أظهر الله جميع  
تلك الاشياء الهيبة الغريبة لولا الكفار فأنهم لا يؤمنون في حال من الاحوال الداعية الى الايمان  
الافى حال مشيئته تعالى لا إيمانهم (ولكن أكثرهم يجهلون) أى ان الكفار لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا ولكن  
أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجي الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لا إيمانهم فيتمنون  
مجيئها طمعاً فيما لا يكون قال ابن عباس المستهزون بالقرآن كانوا خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي  
والعاصم بن وائل السهمي والاسود بن عبد قيس الزهري والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة ثم انهم  
أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم في رهط من أهل مكة وقاراه أرناء الملائكة يشهدوا بأن رسول الله  
أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل أو اثنتا بالله والملائكة قبلاً أى كقبلاً على صحة  
ما تدعيه فنزلت هذه الآية (وكذلك) أى كما جعلنا المستهزين عدوا لك (جعلنا لكل نبي عدوا شياطين  
الانس والجن) أى جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا واردة من الانس والجن فيا طين الانس أشد تمرداً من  
شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح استعان على اغوائه بشيطان الانس  
ليقتنه وازافة شياطين بمعنى من البيانية وهى بدل من عدوا وهو مفعول أول قدم على الثانى مسارعة الى  
بيان العداوة (يوسخ بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) أى يلقى شياطين الجن الى شياطين الانس  
تزيين القول بالباطل لكي يغروا به الانس (ولو شاء ربك) عدم تزيين القول لاجل الغرور (ما فعلوه)  
أى تزيين القول المتعلق بأمرك خاصة (فذرهم وما يفترون) أى اترك الكفرة المستهزين واقترأهم  
بأنواع المكاييد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة (ولتصفي اليه أقدته الذين لا يؤمنون  
بالآخرة) أى ولكي تميل الى هذا الزخرف قلوب الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (وليرضوه) أى هذا  
الزخرف لانفسهم (وليقرءوا ما هم مقترفون) أى وليكتبوا بسبب ارتضاؤهم له ما هم مكتسبون من



الآثم فيعاقبوا عليها ( أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا ) أي قل لهم أأميل إلى  
 زخارف الشياطين فأطلب حكما غير الله يحكم بيننا والحال انه تعالى أنزل اليكم القرآن وأنتم أمة  
 أمية لا تدرون ما تأتون وما تذررون مبينافيه الحق والباطل فلم يبق في أمور الدين شيء من الإيهام فأى  
 حاجة بعد ذلك إلى الحكم وهو الحاكم عند أهل اللغة واحد لكن بعض أهل التأويل قال الحكم أكل  
 من الحاكم لأن الحكم لا يحكم إلا بالحق والحاكم قيديجورولان الحكم من تكرر منه الحكم والحاكم  
 يصدق بمره ( والذين آتيناهم الكتاب ) أي التوراة والإنجيل والزبور ( يعلمون أنه ) أي القرآن  
 ( منزل من ربك ) ملتبسا ( بالحق ) قرأ ابن عامر وحفص منزل بتشديد الزاي والباقون بسكون النون  
 ( فلا تكونن من المترين ) أي من الساكنين في ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وأنه  
 منزل من عند الله ( وممت كلمت ربك صدقا وعدلا ) أي كفى القرآن من جهة صدقه في اخباره ومن جهة  
 عدله في أحكامه وكفى في بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى قيام القيامة علماء وعملوا في كونها مهيضة دالة  
 على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قرأ طاصم وحزمة والكسائي كلمة على التوحيد دون ألف والباقون بألف  
 على الجمع وترسم بالتاء المجرورة على كل من قراءة الجمع وقراءة الافراد وكذا كل موضع اختلف فيه  
 القراء جمعوا وافرادا ( لا مبدل لكلماته ) أي لا أحد يبدل شأن القرآن بما هو أصدق وأعدل ولا بما  
 هو مثله ( وهو السميع العليم ) بالمقال والاعمال ( وان تطع أكثر من في الارض ) أي وان تطع يا أشرف  
 الخلق كفارا للناس فيما يعتقدهونه من احقاق الباطل وابطال الحق ( يضلوك عن سبيل الله ) أي عن  
 الطريق الموصل الى الله ( ان يتبعون الا الظن ) أي ما يتبعون في اثبات مذهبهم الارجوعهم الى تقليد  
 أسلافهم وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم مقتدون ( وان هم الا يخرسون ) أي  
 يكذبون فار رؤساء أهل مكة منهم أبو الاحوص مالك بن عوف الجشمي وبديل بن ورقاء الخزاعي وجليس  
 ابن ورقاء الخزاعي قالوا للمؤمنين ان ما ذبح اته خير مما تذبحون أنتم بسكا كمينكم وروى أن المشركين  
 قالوا للنبي اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أنت ترعهم أن ما قتلت أنت وأصحابك  
 حلال وما قتلها السكب والصقر حلال وما قتله الله حرام ( ان ذبلك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم  
 بالمهتدين ) أي فان هؤلاء الكفار كاذبون في ادعاء اليقين والله عالم بكونهم متحيرين في سبيل الضلال  
 تأثمين في أودية الجهل أي فانك اذا عرفت ذلك ففوض أمرهم الى خالقهم لانه عالم بالمهتدى والضلال  
 فيجازي كل واحد بما يليق بعمله ( فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ما كنتم بآياته مؤمنين ) وهذا أمر  
 متفرع من النهي عن اتباع المضلين وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم ترعهمون انكم تعبدون الله فما  
 قتله الله أحق ان تأكلوه مما قتلتهموه أنتم فقال الله للمسلمين ان كنتم متحققين بالايان فكلوا مما ذكر اسم  
 الله عليه وهو المذكي ببسم الله خاصة لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات حتف أنفه  
 ( وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم ) أي وأي سبب حاصل لكم في  
 أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وان تأكلوا من غيره والحال انه قد بين لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل  
 لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه فهذا وان كان متأخرا في التلاوة فلا يمنع ان يكون هو المراد  
 لان التأخر في هذا قليل وأيضا التأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول أو بقوله تعالى في أول  
 سورة المائدة حرمت عليكم الميتة الآية لان الله تعالى علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في  
 الترتيب لافي النزول ( الا ما اضطررتم اليه ) أي الا ما دعتكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة

عاصم عليكم فهو حلال لكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ببناء عاصم للفعل ونافع وحفص  
عن عاصم ببناءهما للفاعل وحزرة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ببناء الفعل الاول للفاعل وبناء الثاني  
للفعل (وان كثيرا) من الذين يناظر ونسكم في احلال الميتة ويقولون لما حل ما تذبحونه انتم فبان  
يحل ما يذبحه الله أولى وهم أبو الاحوص وأصحابه أو عن اتخاذ الجاهل والسواقي وهو عمرو بن لحي فن دونه  
من اضرابه فانه أول من غير دين اسماعيل (ليضلون) قرأ عاصم وحزرة والكسائي بضم الياء والباقون  
بفتحها (بأهوائهم) أي بسبب اتباعهم شهواتهم (بغير علم) أي ملتبسين بغير علم مأخوذ من الشريعة  
(ان ربك هو أعلم بالعتدين) أي الذين تجاوزوا الحق الى الباطل (وذروا ظاهر الاسم وباطنه) أي  
اتركوا الاهل بالزنا والاستمرار به وأهل الجاهلية يعتقدون حل السرمنه وقال ابن الانباري أي  
وذروا الانتم من جميع جهاته (ان الذين يكسبون الانتم) في الدنيا (سيجزون) في الآخرة (بما  
كانوا يقدرون) أي يكسبون ان لم يتوبوا وأراد الله عقابهم أما اذا تاب المذنب من الذنب توبة صحيحة لم  
يعاقب واذا لم يتب فهو في مشيئة الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضله (ولانما كلوا مما لم يذكر اسم الله  
عليه) وهو الميتة وما ذبح على ذكر الاصنام (وانه) أي الاكل مما لم يذكر اسم الله بغير ضرورة أو ان  
ما ذكر عليه اسم غير الله (لفسق) أي خروج عما يحل وأجمع العلماء على ان أكل ذبيحة المسلم التي  
ترك التسمية عليها لا يفسق وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذكر الله مع المسلم سواء قال أو لم  
يقول ويحمل هذا الذكر على ذكر القلب (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) أي ان ابليس  
وجنوده وسوسوا الى المشركين أو المعنى ان مرادة المجوس من أهل فارس كتبوا الى مشركي قريش وذلك  
لما نزل تحريم الميتة معهم المجوس فكتبوا الى قريش ان محمد وأصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله ثم  
يزعمون ان ما يذبحونه حلال وما يذبحه الله حرام فوقع في نفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله تعالى  
هذه الآية (ليجادلوكم) في أكل الميتة (وان أطعموهم) في استحلال الميتة (انكم لمشركون) قال  
الرجاج وهذا دليل على ان كل من أحل شيئا حرم الله تعالى أو حرم شيئا أحل الله تعالى فهو مشرك  
وانما سمى مشركا لانه أثبت ما كاسوى الله تعالى وهذا هو الشرك (أو من كان ميتا فأحييناه) أي أو  
من كان كافرا فهديناه الى الايمان (وجعلنا له نورا) عظيما وهو نور الوحي الالهي (عشى به) أي  
بسببه (في الناس) أي فيما بين الناس آمننا من جهتهم (كن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي  
ظلمات الكفر والطغيان وهي البصيرة (ليس بخارج منها) أي من تلك الظلمات فاذا دام الكافر في  
ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت تلك الظلمات كالصفة الذاتية يعسر ازالته اعنه وانما جعل الكفر  
موتانا جهل والجهل يوجب الخيرة فهو كالمرت الذي يوجب السكون والكافر ميتا لانه لا يهتدى الى شيء  
كالجاهل (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي مثل تزيين المؤمنين بالايمان والنور زين من  
جهة الله بطريق الخلق ومن جهة الشياطين بطريق الزخرفة للكافرين ما استمروا على عمله قال زيد بن  
أسلم والغصاك نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب وأبي جهل وقال عكرمة نزلت في عمار بن ياسر وأبي  
جهل وقال ابن عباس ان أبا جهل رعى النبي صلى الله عليه وسلم بفرت فأخبر بذلك حمزة هند قدومه من صيد  
والقوس بيده وهو لم يؤمن يومئذ فعمد الى أبي جهل وجعل يضرب رأسه بالقوس فقال له أبو جهل وقد  
تضرع اليه يا أبا يعلى أمار ترى ما جاء به سفيه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة انتم أسفه الناس  
تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم حمزة

يومئذ فنزلت هذه الآية (وكذلك) أي وكما جعلنا في مكة صناد يد هارث و ساء ليكر وافيها (جعلنا في كل قرية) من سائر القرى (أ كابر مجرميها) وأ كابر مفعول ثان ومجرميها مفعول أول والظرف لغو وهو متعلق بنفس الفعل قبله أي جعلنا في كل بلدة فساقها عظما (ليكر وافيها) أي ليفعلوا المكروفيها وهذا دليل على أن الخير والشر بإرادة الله وانما جعل المجرمين أ كابر لانهم أقدر على الغدر والمكرو وترويح الباطل على الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أ كابرهم وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر يصرفون الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون لكل من يقدم هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم (وما يكفرون إلا بأنفسهم) أي وما يجيئ شرم كمرهم إلا بهم (وما يشعرون) بذلك أصلا بل يزنمون أنهم يكفرون بغيرهم (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) أي وإذا جاءتهم مشركي العرب الوليد بن المغيرة وعبد ياليس وأبام سعيد الثقفي آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتخبرهم بضييعهم قالوا لن نصدقك حتى يوحى الينا أو يأتينا جبريل فيخبرنا أنك رسول الله وأنك صادق قال تعالى رداعليه م (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي الله أعلم من يليق بإرسال جبريل اليه لا من الأمور وهذا اعلام بأنهم لا يستحقون ذلك التشريف وهذا المعنى قول الحسن ومنقول عن ابن عباس وقيل معنى الآية وإذا جاءتهم آية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن برسالته أصلا حتى نؤتي نحن من الوحي والنبوة مثل آيات رسل الله قال تعالى انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرقه بها ويعلم من لا يستحقها وأنتم لستم أهلا لها ولان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصاً لمن عنده حسد ومكر وغدر وقرأ حفص وابن كثير رسالته على التوحيد والباقون على الجمع ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين وهذا دعاء عظيم يدهي به بينهما وهو اللهم من الذي دعاك فلم تجبه ومن الذي استجارك فلم تجره ومن الذي سألك فلم تعطه ومن الذي استعان بك فلم تعنه ومن الذي توكل عليك فلم تكفه يا غوث يا غوث يا غوث يا غوث بك أستعيت أغثنى يا مغيث واغثنى هداية من عندك واقض حوائجنا واشف مرضانا واقض ديوننا واغفر لنا ولا بائنا ولا ما تنابح القرآن العظيم والرسول الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين (سبيصيب الذي أجرموا) أي أشركوا وليد أو أحماء بقولهم لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله (صفار) أي حقارة (عند الله) أي في الآخرة فلاحا كم فيها ينفذ حكمه سواء (وعذاب شديد بما كانوا يكفرون) أي بسبب مكرهم بقولهم ذلك وحسد هم للنبي وتكذيبهم له (فمن يرد الله أن يهديه) أي يرشده لدينه (يشرح صدره) أي قلبه (للاسلام) أي لقبول الاسلام (ومن يرد أن يضله) أي يتركه كافرا (يجعل صدره) أي قلبه (ضيقا) كضيق الزج في الرمح قرأ ابن كثير ساكنة الياء والباقون مشددة الياء مكسورة (حرجا) قرأه نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الراء أي شديد الضيق والباقون يفتحها أي مثل المواضع الكثيرة الأشجار المشتمكة التي لا طريق فيها فلا يصل اليها راعية ولا وحشية (كأنها يصعد في السماء) أي كأنه يكاف الصعود الى السماء قرأه ابن كثير ساكنة الصاد وقرأه أبو بكر عن عاصم بتشديد الصاد وبالالف والباقون بتشديد الصاد والعين بغير ألف ومعنى الآية فمن يرد الله أن يهديه قوي في قلبه ما يدعو الى الإيمان بأن اعتقد ان نفعه زائد وخيره راجع ورجحه ظاهر فالطبعه اليه وقويته رغبتة في حصوله وحصل في القلب استعداد شديد لتخصيله ومن يرد أن يضله ألقي في قلبه ما يصرفه عن الإيمان ويدعوه الى الكفر بأن اعتقد ان شر

الايمان زانم وضربه راجع فعظمت النفر عنه فان الكافر اذا دهي الى الاسلام شق عليه جدا كانه قد  
 كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك او المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء تكبرا عن قبول  
 الاسلام (كذلك) أى مثل جعل الله صدرهم ضيقا (يجعل الله الرجس) أى يسلط الله الشيطان  
 (على الذين لا يؤمنون) أى فى قلوبهم (وهذا) أى كون الفعل متوقفا على الداعي الحاصل من الله  
 تعالى (صراط ربك) أى لان العلم بذلك يؤدى الى العلم بتوحيد الله (مستقيما) فكل فعل العباد  
 بقضاء الله تعالى وقدره (قد فصلنا الآيات) أى قد ذكرنا فافصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها  
 بالآخر (لقوم يذكرون) فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان أو شرا بقضاء الله تعالى  
 لانه لا يترجح أحد طرفي الممكن على الآخر الا لمرجح وهو الله تعالى (لهم دار السلام) أى للتذكير  
 دار الله المنزهة عن النقائص وهى الجنة (عند ربهم) أى انهم امددة عند الله تعالى موصوفة بالشرف الى  
 حيث لا يعرف كنهها غيره تعالى (وهو وليهم) أى متكفل لهم بجميع مصالحهم فى الدين والدنيا  
 (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم الصالحة (ويوم يحشرهم جميعا) قلنا (يامعشر الجن)  
 وقرأ حفص بالباء أى يوم يحشر الله الخلق جميعا يقول يا جماعة الشياطين (قد استكثرتم من الانس)  
 أى قد أكثرتم من اغواء الانس (وقال أولياؤهم من الانس) أى وقال الذين أطاعوا الشياطين الذين  
 هم الانس (ربنا استمتع بعضنا ببعض) فاستمتع الانس بالشياطين هو أن الشياطين كانوا يذلون  
 الانس على أنواع الشهوات والذات والطيبات ويسهلون تلك الامور عليهم واستمتع الشياطين بالانس  
 هو ان الانس كانوا يطيعون الشياطين فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم (وبلغنا الذى أجلت  
 لنا) أى أدركنا وقت موتنا الذى عينته لنا (قال) تعالى (النار منكم) أى منزلتكم يا جماعة الجن  
 والانس (خالدين فيها) أى فى النار من ذنبتهم (الا ما شاء الله) من مقدار حشرهم من قبورهم  
 ومن مقدار محاسبتهم (ان ربك حكيم عليم) أى فيما ينفى عنه من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة  
 (وكذلك) أى مثل تمكين الشياطين من اضلال الانس (فولى بعض الظالمين) من الانس (بعضا)  
 آخر منهم (بما كانوا يكسبون) أى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم قال على رضى الله عنه  
 لا يصلح للناس الا أمر يدبره أو جائر فأنكروا قوله أو جائر فقال نعم يؤمن السبيل ويمكن من إقامة  
 الصلوات وحج البيت وروى عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا ولى أمرهم خيارهم  
 واذا أراد بقوم شرا ولى أمرهم شرارهم وروى أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الامارة فقال له  
 انك ضعيف وانها لامانة وهى فى القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحتمها وأدى الذى عليه فيها  
 (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) والعصم ان الرسل انما كانت من الانس خاصة وقد قام  
 الاجماع على ان النبي صلى الله عليه وسلم مرسل للانس والجن والمراد برسل الجن هم الذين معهموا القرآن  
 من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم من ذرين فالمراد بالرسل ما يعمر رسل الرسل فآله تعالى انما  
 بكت الكفار بهذه الآية لانه تعالى أزال العذر وأزاح العنة بسبب انه تعالى أرسل الرسل الى الكل  
 مبشرين ومنذرين فاذا وصلت البشارة والندارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل ما هو المقصود من  
 ازالة العذر وازالة العلة (يقصون عليكم آياتي) أى يتلونوا عليكم مع التوضيح (وينذرونكم لقاء  
 يومكم هذا) أى ويخوفونكم لقاء عذابي فى يومكم هذا وهو يوم الحشر الذى عاينوا فيه ما أعد لهم من  
 فآتين العتوبات الهائلة (قالوا) عند ذلك التوبيخ الشديد (شهدنا على أنفسنا) ان الرسل أتونا قد

بلغوا الرسالة وأنذرونا عذاب يومنا هذا وانما وقعوا في ذلك الكفر بسبب انهم (غرتهم الحياة الدنيا) أي اغتروا من الدنيا بما في الزهرة والنعم (وشهدوا) في الآخرة (على أنفسهم أنهم كانوا) في الدنيا (كافرين) فهم وان بالغوا في عداوة الانبياء والطعن في شرائعهم ومهجزاتهم أقروا على أنفسهم بالكفر في عاقبة أمرهم (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها فافلون) أي شهداتهم على أنفسهم بالكفر ثابت لا تتغير كون ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه قبل ان ينهبوا على بطلانه برسول وكتاب أو المعنى ارسال الرسل ثابت لان الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى ملتبسين بظلم وهم خافلون عن تبليغ الرسل وعن أمرهم ونهيهم (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل عامل من الجن والانس مراتب من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة (وماربك بغافل عما يعملون) أي فلا يترك شيئا مما يستحق كل عامل من الفريقين من الجزاء فيجزى كلا بما يليق به من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر وحده تعملون على الخطاب (وربك الغني ذو الرحمة) أي ان تخصيص الله المطيعين بالثواب والمذنبين بالعذاب ليس لاجل انه تعالى محتاج الى طاعة المطيعين أو ناقص بعصية المذنبين فانه تعالى غني لذاته عن جميع العالمين ومع كونه تعالى غنيا فان رحمته عامة كاملة ومن رحمته تعالى على الخلق ترتيب الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ومن رحمته تعالى ارسال الرسل وعدم استئصالهم بالهلاك بذنوبهم في وقت واحد (ان يشاء يذهبكم) أيها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي ويوجد من بعد اذهابكم خلقا آخر يخلفا للجن والانس فتخصيص الرحمة بهؤلاء ليس لاجل انه لا يمكنه اظهار رحمته الا بخلق هؤلاء (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أي وينشئ الله انشاء كائنا كانت انفسكم من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم في العصيان أي فكما ان الله تعالى قادر على تصوير هذه الاجسام بهذه الصورة الخاصة كذلك قادر على تصويرهم بصورة مخالفة لها (انما توعدون) من مجيئ الساعة (لآت) أي واقع لا بد لانهم كانوا ينكرون القيامة وكل ما تعلق بالوعد من الثواب والعقاب فهو آت لا محالة (وما أنتم بمهجرين) أي لستم بخارجين عن قدرتنا وحكمتنا (قل) يا أشرف الخلق لكفار قريش (يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على أقصى امكانكم واستطاعتكم واثبتوا على حالتكم من الكفر والعداوة (اني عامل) بما أمرت به من الثبات على حالتكم من الاسلام والمصابرة فسوف تعملون من تكون له عاقبة الدار) أي فسوف تعرفون أي أحد الفريقين له العاقبة المحمودة وهي الاستراحة واطمئنان خاطر انتم أم أنتم وذلك حاصلة الجنة وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء (انه) أي الشأن (لا يفلح الظالمون) أي لا يفوز الكافرون بظالمهم البتة فلا ينجون من عذاب الله تعالى (وجعلوا لله مما نذرنا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزمهم وهذا شركائنا لئلا يشرؤا شركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) أي عين كفار مكة لله مما خلقه من الحرث والانعام وكذا من الثمار وسائر أموالهم نصيبا يصرفونه الى الضيقات والساكنين ونصيبا من ذلك لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويتبعون ذبايح عندها فقالوا هذا الله بكذبهم في جهة انه تعالى يستحق ذلك من جهتهم لافي وجه التقرب به اليه وهذا الآلهتنا ثم ان رأوا ما عينوه الله أنزكى بدلوه بما لآلهتهم فاعطوا نصيب الله لاسدنة الاصنام وان رأوا ما لآلهتهم أنزكى تركوه لآلهتهم يصرفوه للساكنين بل يصرفون لاسدنة وكان اذا أصابهم قحط استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لآلهتهم ولم يأكلوا منه فاذا هلك ما جعلوه لآلهتهم أخذوا به مما جعلوه لله ولا يفعلون كذلك فيما جعلوه لآلهتهم وان سقط مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني

عن هذا وان سقط مما جعلوه للاوثان في نصيب الله أخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير  
(سواء ما يحكون) أى بشئ الذى يحكون حكمهم من انهم رجوا جانب الاصنام على جانب الله ومن انهم  
جعلوا شيئا غير الله تعالى مع ان الله تعالى الخالق للجميع ومن انهم أحدثوا الحكم من قبل أنفسهم ولم  
يشهد بصحته عقل ولا شرع (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة الاموال بين  
الله والآلهة (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) بوأدانائهم ونحز كورهم (شركاؤهم) أى  
اولياؤهم من الشياطين ومن السدنة قرأ العامة زين مبنيا للفاعل وقتل نصبا على المفعولية واولادهم  
خفضا بالاضافة وشركاؤهم رفعوا على الفاعل أى وهكذا زينهم شياطينهم مثل اولادهم فأمر وابتان يادوا  
بنائهم خشية الفقر والسبي وبتان ينحروا ذكورهم لآلهتهم فكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف  
بالله اثنى ولله كذا من الذكور لينحرن أحدهم كالحلف عبد المطلب لينحرن عبد الله وقرأ ابن عامر وحده  
زين مبنيا للمفعول وقتل رفعوا على الفاعلية واولادهم نصبا على المفعولية وشركائهم خفضا على اضافة المصدر  
الى فاعله أى زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم وهذه القراءة متواترة صحيحة فقد قرأ ابن عامر  
على ابي الدرداء واثلة ابن الاسقع وفضالة بن عبيد ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة المخزومي وقرأ أيضا على  
عثمان وولده في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (يردوهم) أى يهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم  
دينهم) أى وليخلصوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام أى ليدخلوا عليهم الشرك في  
دينهم لانهم كانوا على دين اسمعيل فهذا الذى آتاهم بهذه الارضاع الفاسدة أراد أن يزيلهم عن ذلك الدين  
الحق واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة (ولو شاء الله ما فعلوه)  
أى ما فعل كثير من المشركين قتل الاولاد دفن البنات في حياتهم ونحرو الاولاد الذكور للاصنام (فذرهم  
وما يفترون) أى فاتركهم وكذبهم في قولهم ان الله يأمرهم بقتل اولادهم فان فيما شاء الله تعالى حكما  
بالغة وذلك دليل على أن كل ما فعله المشركون فهو عبثية الله تعالى (وقالوا) أى المشركون الذين  
قسموا نصيب آلهتهم أقساما ثلاثة (هذه) أى التى جعلناها لآلهة (أنعام وحوت) أى زروع  
(حجر) أى محرمة (لا يطعمها الا من نشأ) أى لا يأكل هذه الانعام والحوت الا خدما الاوثان  
والرجال دون النساء (يرمهم) أى قاروا ما ذكر ملتبسين بكذبهم ومن غير حجة (و) هذه (أنعام  
حرمت ظهورها) وهى الجحائر والسواثب والحوامى والوصائل (و) هذه (أنعام لا يذكرون اسم الله  
عليها) اذا ركبت واذا حملت واذا ذبحت ونسبوا ذلك التقسيم الى الله تعالى (افتراء عليه) وهذا ما  
مفعوله وعامله قالوا أو حال من ضميره أو مصدر مؤكده لا بقولهم ذلك هو الافتراء (سيجزئهم بما  
كانوا يفترون) أى ان الله سيكافئهم بسبب تقواهم عليه (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة  
لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) أى ما ولد من الجحائر والسواثب حلال  
للذكور خاصة ومحرم على جنس أزواجنا وهى الاناث وما ولد منها ميتا كله الرجال والنساء جميعا  
(سيجزئهم وصفهم) أى سيوصل الله لهم جزاء ذنبهم وهو وصفهم بالتكليل والتحريم فالواصف بذلك حمرو  
ابن الحى وقدر آء النبي صلى الله عليه وسلم في جهنم بجر قصبه من دبره وكان يعلمهم تحريم الانعام (انه  
حكيم) فى التكليل والتحريم (عليم) فى وصفهم بذلك (قد خسرا الذين قتلوا اولادهم) بالواد للبنات  
وبالنحر للذكور (سفها بغير علم) وهم ربيعة ومضر وأما لهم من العرب وبنو كنانة لا يفعلون ذلك  
وسبب هذا الخسران لان الولد نعمة عظيمة من الله على العبد فاذا سعى في ابطاله استحق اللوم العظيم فى



الدنيا لان الناس يقولون قتل ولده خوفا من أن يأكل طعامه والعقاب العظيم في الآخرة وسيبه خفة العقل لان قتل الولد انما يكون للخوف من الفقر والقتل أعظم ضررا منه والقتل ناجز والفقر موهوم وهذه السفاهة انما نشأت من الجهل الذي هو أعظم المنكرات وقرأ أبو عمرو وابن عامر بتشديد التاء (وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) فان تجريم الحلال من أعظم أنواع الحماقة لانه يمنع نفسه تلك المنافع ويستحق بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العقاب أو ان الجراءة على الله أعظم الذنوب وهم قد ضلوا عن الرشدي مصالح الدين ومنافع الدنيا ولم يحصل لهم الاهتداء قط (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) أي وهو الذي خلق بساتين مرفوعات على ما يحملها من العروش والساق وملقيات على وجه الارض ويقال معروشات أي وهو ما غرسه الناس في البساتين وغير معروشات وهو ما أنبتته الله في الجبال والبراري (و) أنشأ (النخل والزروع) أي جميع الحبوب التي يقتات بها (مختلفا أكله) أي مختلفا لما ياكل من كل منه ما في الهيئة والطعم (والزيتون والزمان) أي أنشأ شجرهما (متشابههما وغير متشابه) في اللون أو الطعم (كلوا من ثمره) أي ثمر كل واحد من ذلك (إذا أثمر) ولوقبل النضج وقرأ حمزة والكسائي برفع التاء والميم من ثمره (وأتوا حقه يوم حصاده) وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وطاسم بفتح الحاء أي اعزموا على ابتاء الزكاة لسكل من الزروع والثمار يوم الحصاد ولا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الابتاء وانما يجب اخراج الزكاة بعد التصفية والجفاف والامر بابتائهم يوم الحصاد لئلا يؤخر عن وقت امكان الاداء وليعلم أن وجوبها بالادراك ولو في البعض لا بالتصفية والمعنى وأتوا حق كل وجب يوم الحصاد بعد التصفية وفائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب بنفس الزرع وادراكه وانما يجب يوم حصاده وحصوله في يده مالكة لا فيمات تلف من الزرع قبل حصوله في يده مالكة وهذا يقتضي وجوب الزكاة في الثمار كما قاله أبو حنيفة وتقتضي ثبوت حق في القليل والكثير فالعشر واجب في القليل والكثير كما قاله أبو حنيفة (ولا تسرفوا) أي لا تتجاوزوا الحد في الاعطاء والبخل حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وتعطوا كله وروى أن ثابت بن قيس بن شماس عمه دأى خمسمائة نخلة فخذها ثم قسمها في يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيئا فأنزل الله هذه الآية ولا تسرفوا وقد جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (انه لا يجب المسرفين) فكل مكلف لا يجب الله تعالى فهو من أهل النار (و) أنشأ (من الانعام حمولة) أي ما يحمله الاثقال (وفرشا) أي ما يفرش للذبيح أو ما ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش (كلوا مما رزقكم الله) أي كلوا بعض ما رزقكم الله وهو ما أحل الله لكم من الحرث والانعام (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي ولا تسلكوا الطريق الذي يسوقه لكم الشيطان بتحريم الحرث والانعام (انه) أي الشيطان (لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة فقد أخرج آدم من الجنة وقال لا تحتك ذريته الا قليلا (ثمانية أزواج) أي أصناف أربعة ذكور من كل من الابل والبقر والغنم وأربعة أناث كذلك وهذا يدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثنين) بدلا من ثمانية أزواج أي أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة (ومن المعز اثنين) أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز (قل) لهم اظهروا الانقطاع عنهم عن الجواب (الذكريين) من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس (حرم) أي الله تعالى كما ترمعون أنه هو المحرم (أم الانثيين) وهما النعجة والعنز (أمما شملت عليه أرحام الانثيين) أي أم ما حلت عليه أناث النوعين حرم الله تعالى ذكرها كان أو أنثى (نبشوني بعلم) أي اخبروني بعلم ناشئ عن طريق الاخبار من الله بأنه حرم ما ذكر (ان كنتم

صادقين) في دعواكم ان الله حرم بحيرة أو سائبة أو وصيلة أو حاماً (ومن الابل اثنين) أى وان شأمن الابل  
اثنين الجمل والناقة (ومن البقر اثنين) ذكر أو أنثى (قل أذكركم حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه  
أرحام الانثيين) من ذينك النوعين (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا) أى بل أكنتم حاضرين  
حين أمركم الله بهذا التحريم والمراد هل شاهدتم الله حرم هذا ان كنتم لا تؤمنون برسول فانكم لا تقرون  
بنبوة أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله تعالى (فن أظلم عن افترى على  
الله كذباً) أى لا أحد أظلم عن تعمد على الله كذباً بنسبة التحريم اليه قال المحققون اذا ثبت ان من افترى  
على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد فن افترى على الله الكذب في مسائل  
التوحيد ومعرفة الذات والصفات والنبوات والملائكة ومباحث المعاد كان وعيده أشد وأشق (ليضل  
الناس) عن دين الله (بغير علم) حال من فاعل يضل أى ملتبساً بغير علم بما يؤدى بهم اليه أو حال من  
فاعل افترى أى افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور التحريم عنه تعالى أى فن افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور  
التحريم عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه كان أظلم ظالمات ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه  
لم يصدور عنه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يهدي أولئك المشركين أى لا ينقلهم من ظلمات  
الكفر الى نور الايمان (قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه) أى قل يا أشرف الخلق لهؤلاء  
الجهلة الذين يحكمون بالحلال والحرام من عند أنفسهم لا أجد في القرآن طعاماً محرماً من المطاعم التي  
حرمتموها على آكل يأكله من ذكراً أو أنثى (الا ان يكون ميتة) قرأ ان كثير وحمة تكون بالتأنيث ميتة  
بالنصب على تقدير الا ان تكون المحرم ميتة وقرأ ابن عامر تكون بالتأنيث ميتة بالرفع على معنى الا ان  
توجد ميتة أو الا ان تكون هناك ميتة وقرأ الباقر يكون بالتذكير ميتة بالنصب أى الا ان يكون ذلك  
المحرم ميتة وعلى قراءة ابن عامر يكون ما بعده ما عطفوا على أن يكون الواقعة مستثناة أى الاحداث ميتة  
(أو دماء مسفوها) أى جارياً كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد (أو لحم خنزير فانه) أى الخنزير  
(رجس) أى نجس فكل نجس يحرم أكله (أو فسقا) أى ذبيحة خارجة عن الحلال (أهل لغير الله به) أى  
ذبح على اسم الاصلنام (فن اضطر) أى فن أصابه الضرورة الداعية الى أكل الميتة (غير باع) في ذلك  
على مضطر مثله (ولا عاد) أى متجاوز قدر الضرورة وهو الذي يسد الرق (فان ربك غفور رحيم) أى  
فلا يؤاخذك ربك إلا كل من ذلك لانه مبالغ في المغفرة والرحمة (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) أى  
وحرمنا على اليهود كل ذى مخالب وبرش (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) وهو شحم الكرش  
والسكلى (الا ما حملت ظهورهما) أى الا الشحم الذى حملته ظهورهما (أو الحوايا) أى أو الا الشحم الذى  
حملته المباخر (أو ما اختلط بعظم) أى أو الا شحماً مختلطاً بعظم مثل شحم الالية فانه متصل بالعصص  
فتلخص ان الذى حرم عليهم من الشحوم هو شحم الكرش والسكلى وان ما عدا ذلك حلال لهم (ذلك  
جزيناهم ببغيهم) أى ذلك التحريم عاقبتناهم بسبب ظلمهم والانبياء وأخذهم الربا وأكلهم  
أموال الناس بالباطل (وانا الصادقون) فى الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم بسبب بغيهم وهم  
كاذبون فى قولهم حرم ذلك اسرائيل على نفسه بلا ذنب منافحن مقتدون به (فان كذبوك) أى فان  
كذبك اليهود فى الحكم المذكور أو كذبك المشركون فى ادعاء النبوة والرسالة وفى تبليغ هذه الاحكام  
(فقل لهم) ربكم ذو رحمة واسعة (فلذلك لا يجمل عليكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه  
امهال لا اجمال (ولا يرد بأسه) أى عقابه اذا جاء وقته (عن القوم المجرمين) الذين كذبوك فيما

تقول وقيل المعنى ذور حمة واسعة للطيعين وذو باس شديد للمجرمين (سيقول الذين أشركوا) عنادا  
لا اعتذارا عن ارتكاب هذه القبائح (لو شاء الله) عدم اشراكنا وعدم تحريكنا (ما أشركنا ولا آباؤنا ولا  
حرمنا من شيء) ففعلنا حق مرضى عند الله تعالى ولولا انه تعالى رضى ما نحن فيه لحال بيننا وبينه  
(كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ما كذب هؤلاء فى أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب  
كفار الامم الماضية أنبياءهم فكل من كذب نبيا قال الكل بعشيرة الله تعالى فهذا الذى أنافيه من الكفر  
انما حصل بعشيرة الله تعالى فلم يعنى منه وفى قراءة بتخفيف كذب أى مثل كذبهم فى قولهم ان ما فعلوه  
حق مرضى عند الله تعالى كذب من قبلهم فى ذلك (حتى ذاقوا بأسنا) أى عذابنا الذى أنزلنا عليهم  
بتكذيبهم الرسل وبكذبهم فى قولهم ان الله أمرنا بالشرك (قل) هؤلاء المشركين (هل عندكم من علم)  
أى بيان على ما تقولون من تحريم ما حرمت ومن ان الله راض بشرككم (فتخرجوه) أى فتظهروه  
(لنا) كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم (ان تتبعون الا الظن) أى ما تتبعون فيما أنتم عليه الا الظن  
الباطل الذى لا يغنى من الحق شيئا (وان أنتم الا تخرصون) أى وما أنتم فى ذلك الا تكذبون على الله تعالى  
(قل لله الحجة البالغة) أى قل لهم ان لم تكن لكم حجة فله الحجة الواضحة التى تقطع حذرا المحجوج وتزيل  
الشك عن من نظرفيها وهى ازال الكتب وارسال الرسل (فلو شاء) هدايتكم جميعا الى الحجة البالغة  
(لهذاكم أجمعين) ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض (قل) يا أكرم الرسل لهم (هلم شهداءكم  
الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى احضر واقدوتكم الذين ينصرون قولكم ان الله حرم الذى حرمتموه  
(فان شهدوا) بعد حضورهم بأن الله حرم ذلك (فلا تشهد معهم) أى فلا تصدقهم فيما يقولون بل بين  
لهم فساد لان السكوت قد يشعر بالرضا (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة  
وهم يرميهم يعدلون) أى ان وقع منهم شهادة فاعلموا بتابع الهوى فلا تتبع أنت أهواءهم فهم كذبوا  
القرآن ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ويجعلون الله تعالى عديلا (قل) يا أكرم الرسل لمن سألك أى  
شيء حرم الله وهم مالك بن عوف وأصحابه (تعاوا أتل ما حرم ربكم عليكم) فى الكتاب الذى أنزل على  
(أن) مفسرة لفعل التسلاوة (لا تشركو به) أى ربكم (شيئا) من الاشراك (وبالوالدين) أى  
واحسنوا بهما (احسانا) ولم يقل لله ولا نسيثوا الوالدين لان مجرد تلك الاساءة اليهما غير كاف فى  
قضاء حقوقهما (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) أى من خوف الفـمـ قرو كانوا يذفنون البنات احياء  
فبعضهم للغيرة وبعضهم لحوف الفقر وهذا هو السبب الغالب فبين تعالى فساد هذه العلة بقوله (تحن  
نرزقكم وإياهم) أى أولادكم (ولا تقربوا الفواحش) أى الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى ما يفعل  
منها علانية فى الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخذان كما هو عادة اشرافهم  
وجمع الفواحش للنهى عن أنواعها ولذلك ذكر ما أبدل عنها بدل اشتمال وتوسيط النهى عن الزنا بين  
لنهى عن قتل الاولاد والنهى عن القتل مطلقا لانه فى حكم قتل الاولاد فان أولاد الزنا فى حكم الاموات  
او قد قال صلى الله عليه وسلم فى حق العزل ذاك وأدخني (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بكونها  
معصومة بالاسلام أو بالعهد (الا بالحق) أى الا قتلا ملتبسا بالحق وهو ان يكون القتل القصاص أو  
للردة أو للزنا بشرطه (ذلكم) أى التكاليف الخمسة (وصاكم به) أى أمركم به ربكم أمرا مؤكدا  
(لعلكم تعقلون) أى لعلكم تعقلوا فوائدها هذه التكاليف فى الدين والدنيا (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي  
أحسن) أى الا بالحصلة التى هى أحسن لليتم كحفظه وتحصيل الربح به (حتى يبلغ أشده) أى قوته



وهو التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) وهم اليهود والنصارى (وإن كانوا عن دراستهم لغافلين) أي وإنه كنّا عن قراءتهم لجاهلين فلا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن بلغتنا والمراد بهذه الآيات اثبات الحقّة على أهل مكة بأنزال القرآن على سيدنا محمد كي لا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والانجيل أنزل على اليهود والنصارى ولا نعلم ما فيهما فقطع الله عذرهم بأنزال القرآن عليهم بلغتهم (أو تقولوا) أي لا عذر لكم في القيامة بقولكم (لو أنّا أنزل علينا الكتاب) كما أنزل على اليهود والنصارى (لكنّا أهدي منهم) أي أصوب ديناً منهم وأسرع أجابة للرسول منهم (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدي ورحمة) أي لم تعتذروا بذلك فقد جاءكم قرآن من ربكم فإنه بيان فيما يعلم بمعناه وهو هدي فيما يعلم بمعناه وعقلا وهو نعمة في الدين (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي لا أحد أحرأ على الله عن كذب بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ومال عن ذلك (ستجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) أي شدته (بما كانوا يصدفون) أي بسبب اعراضهم (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) أي ما ينتظر أهل مكة إلا أحده هذه الأمور الثلاثة أي فلا يؤمنون بك إلا إذا جاءهم أحد هذه الأمور وقرأ أحزّة والكسافي على التذكير (أو يأتي ربك) أي بحسب ما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وهم كانوا كفاراً واعتقاد الكافر ليس بحجة وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت أقبل أصحابهم وبآيات الله تعالى آيات بمعنى آيات القيامة كلها وقيل المعنى أو يأتي ربك يوم القيامة بلا كيف (أو يأتي بعض آيات ربك) أي بعض علامات ربك الدالة على قرب الساعة وهي عشرة وهي العلامات الكبرى وهي الدجال والدابة وخسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها وأجوج وءاجوج وزول عيسى ونار تخرج من عدن تسوق الناس إلى المحشر (يوم يأتي بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها (لا ينفع نفساً) كافرة (إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أي قبل آيات بعض الآيات (أو) نفساً مؤمنة عاصية توبتها لم تكن (كسبت في إيمانها خيراً) حكم الإيمان والعمل الصالح حين طلوع الشمس من المغرب حكم من آمن أو عمل عند الغرّة وذلك لا يفيد شيئاً أمام من كان يومئذ مؤمناً مذنباً فتأب أو صغيراً أو مولوداً بعد ذلك فإنه ينفع توبتهم وإيمانهم وعملهم كما قاله ابن عباس وروى عن ابن عباس أنه قال لا تزال الشمس تجري من مطلعها إلى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن له ما في حيسان مقدار ثلاث ليالٍ للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس وهم أهل الأولاد وحلة القرآن فينادي بعضهم بعضاً فيجتمعون في مساجدهم بالثفرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فيبينما الناس كذلك إذ نادى مناد إلا أن باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادهما وتضع كل ذات حمل حملها وأما الصالحون والابرار فانهم ينفعهم بكاءهم يومئذ يكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاءهم يومئذ يكتب عليهم حسرة قال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وما باب التوبة يا رسول الله فقال يا عمر خلق الله بالتوبة جهة المغرب فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكلاّن بالدر والجواهر ما بين المصراع إلى المصراع مسيرة أربعين عاماً لا راكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله تعالى إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس وانقضاء من مغاربهم ما لم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك التوبة في ذلك

الباب قال أبي بن كعب يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدينا فقال يا أبي  
 إن الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النار ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس  
 بعد ذلك فيطهون على الدينا ويعمر ونهار يجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار وينون فيها  
 البنيان ثم تمكث الدينا بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة السنة منها بقدر شهر والشهر  
 بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئا إلا  
 أعطوه حتى تتم أربعون سنة بعد الدابة ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهاجون  
 في الطرق كالهائم حتى ينسكع الرجل المرأة في وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من  
 يقول لو تخيتم عن الطريق لكان أحسن وروى عن أنس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنزير وتطوى الدواوين وتجف الأقلام  
 لا يراد في حسنة ولا ينقص من حسنة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا  
 (قل انتظروا) ما تنتظرونه من آيات أحد الأمور الثلاثة (أما منتظرون) لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء  
 العاقبة والمراد بهذا أن المشركين انما يعاينون قدر مدة الدينا فإذا ما قوا وظهرت الآيات لم ينفعهم الإيمان  
 وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أي أحرابا في الضلالة (لست منهم في  
 شيء) أي لست من البحث في تفريقهم فأنت منهم بري وهم منك برآء ولست من قتالهم في هذا الوقت في شيء  
 (انما أمرهم إلى الله) أي يدره كيف يشاء يؤخذهم في الدينامي شأنا ويأمرهم بقتالهم إذا أراد (ثم ينبئهم  
 بما كانوا يفعلون) أي ثم يظهر الله لهم يوم القيامة على رؤس الأشهاد ويعلمهم أي شيء شنيع كانوا  
 يفعلونه في الدنيا ويرتب عليهم ما يليق به الجزاء والمراد بهؤلاء المغرقيين الخوارج كما أخرجه ابن أبي حاتم  
 من حديث أبي امامة وهم أصحاب البدع والأهواء كما أخرجه الطبراني من حديث عائشة وقال قتادة هم  
 اليهود والنصارى كما أخرجه عبد الرزاق وكما أخرج ابن أبي حاتم عن السدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم  
 افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الواحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين  
 فرقة كلهم في الهاوية الواحدة واستثناء الواحد من فرق أهل الكتابين انما هو باعتبار ما قبل النسخ  
 وأما بعده فالكل في الهاوية وإن اختلفت أسباب دخولهم وسبب تفرق أمتي على ثلاث وسبعين  
 فرقة كلهم في الهاوية الواحدة رواه أبو داود والترمذي والحاكم وقرأ حمزة والكاظمي فارقوا بالالف  
 أي بآينو بأن تركوا بعض دين آبائهم والباقيون فرقوا ما تشديد أي اختلفوا في دينهم كما اختلف  
 المشركون بعضهم بعدون الملائكة ويرحمون أنهم ينسب الله وبعضهم يعبدون الأصنام ويقولون  
 هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم يعبدون الكواكب (من جاء بالحسنة) أي من جاء يوم القيامة  
 بالاهمال الحسنة من المؤمنين (فله عشر أمثالها) أي فله جزاء عشر أمثالها وهذا أقل ما وعد من  
 الأضعاف فالمراد بالعشرة الأضعاف مطلقا لا التحديد وقد جاء أوعد بسبعين ووسبع مائة وبغير حساب  
 ولذلك قيل المراد بذكر العشريين الكثرة لا الحصر في العدد الخاص (ومن جاء بالسيسة) أي بالأعمال  
 السيئة (فلا يجزي الأمثلها) أي الأجزاء السيئة الواحدة أن جوزي (وهم لا يظلمون) أي  
 لا ينقصون من ثواب طاعتهم ولا يرادون في عقاب سيئاتهم (قل) يا أشرف الخلق للمشركين الذين يدعون  
 انهم على ملأ إبراهيم من أهل مكة واليهود والنصارى (انني هداني ربي إلى صراط مستقيم) أي أرشدني  
 ربي بالوحي وبما نصب من الآيات التكوينية في النفس وفي السموات والأرض إلى طريق حق (دينا



قيميا) أى لا عوج فيه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح القاف وكسر اليااء مشددة والباقيون بكسر  
 القاف وفتح اليااء مخففة وهو مصدر كالصغر والكبر والحول والشبع أى ديننا ذا قيم أى صدق (ملة إبراهيم  
 حنيفا) أى ما ثلأ عن الضلالة إلى الاستقامة (وما كان من المشركين) وقوله تعالى ديننا بدل من محل  
 صراط لان محله النصب على انه مفعول ثان أو مفعول لفعل مقدر والتقدير الزموادينا وقوله تعالى ملة  
 إبراهيم عطف بيان لدينا وحنيفا حال من إبراهيم وكذا وما كان فهو عطف حال على أخرى (قل ان  
 صلاتي) أى الصلوات الخمس (ونسكى) أى ذبيحتي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله تعالى فصل  
 لربك وانحر أو المعنى وكل ما تقربت به إلى الله تعالى فان معنى الناس من صفاته نفسه من دنس الآثام  
 (ومحياى وعماتى) أى وما أنا عليه فى حياتى وما أكون عليه عند موتى من الايمان والطاعة (لله رب  
 العالمين) أى ان صلاتى رسائى عباداتى وحياتى وعماتى كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه  
 وحكمه (لا شريك له) فى الخلق والتقدير (وبذلك) أى وبهذا التوحيد (أمرت وأنا أول المسلمين)  
 أى المستسلمين لقضاء الله وقدره فانه صلى الله عليه وسلم أول من أجاب ببلى يوم العهد لسؤال الله تعالى  
 ألست بربكم والمعنى وأنا أول المنتقدين لله من أهل ملتي وهذا بيان لمسار عتقه صلى الله عليه وسلم إلى  
 الامتثال بأمر الله (قل) يا أشرف الرسل للكفار الذين قالوا لك ارجع إلى ديننا (أغير الله أبغى ربا) أى  
 أعبد ربا غير الله (رهوب كل شئ) أى والحال ان الله رب كل شئ مع ان الذين اتخذوا ربا غير الله أقروا  
 بان الله خالق الاشياء كما قال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وأصناف المشركين أربعة  
 عبدة الاصنام فهم معترفون بأن الله هو الخالق للسموات والأرض وللانعام بأسرها وعبدة الكواكب  
 فهم معترفون بأن الله خالقها والقائلون بيزدان وأهزم من فهم معترفون بأن الشيطان محدث وان محدثه هو  
 الله والقائلون بأن المسيح ابن الله والملائكة بناته فهم معترفون بأن الله خالق الكل واذا ثبت هذا فنقول  
 العقل الخالص يشهد بأنه لا يجوز جعل الربوب شريكا للرب وجعل المخلوق شريكا للخالق (ولا تكسب كل  
 نفس ذنبا) (الاعليها) أى الاحالة كونه مستعليا عليها بالمضرة أو حالة كونه مكتوبا عليها لا على غيرها  
 (ولا ترزوا رزوا رزوا أخرى) أى ولا تحمل نفس آثمة ولا غير آثمة انتم نفس أخرى فلا تحمل نفس طائفة  
 أو خاصية ذنب غيرها وانما قيد فى الآيات بالوازرة موافقة لسبب النزول وهو ان الوليد بن المغيرة كان يقول  
 للمؤمنين اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم (ثم إلى ربكم) أى إلى مالك أموركم (مرجعكم) أى  
 رجوعكم يوم القيامة (فينبئكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون) من الاديان فى الدنيا (وهو الذى  
 جعلكم خلائق الارض) أى جعلكم بخلاف بعضكم بعضا فى الارض (ورفع بعضكم) فى الشرف  
 والرزق (فوق بعض درجات) كثيرة متفاوتة فجعل الله منهم الحسن والقبيح والغنى والفقر والشرىف  
 والوضيع والعالم والجاهل والقوى والضعيف واطهار هذا التفاوت ليس لاجل الهز والجهل والجنل  
 فانه تعالى منزّه عن ذلك وانما غول اجل الامتحان وهو المراد من قوله (ليبلوكم فيما آتاكم) أى  
 ليعاملكم معاملة المختبر فيما أعطاكم من الجاه والمال والفقر أياكم يشكر وأياكم يصبر وهو أعلم بأحوال  
 عبادهم والمراد من الابتلاء هو التكليف ثم ان المكلف اما أن يكون مقصرا فيما كلف به أو موفرا فيه  
 فان كان مقصرا كان نصيبه من التخويف قوله تعالى (انذركم سريع العقاب) لمن كفر به ولا يشكره  
 ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب وان كان المكلف موفرا فى الطاعات كان نصيبه من  
 الترغيب قوله تعالى (وانه لغفور رحيم) لمن راعى حقوق ما أعطاه الله تعالى كما ينبغى عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال أنزلت على سورة الانعام جملة واحدة يتبعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح  
والتمحيد فنقرأ الانعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بمدد كل آية من سورة  
الانعام يوم اوليلة

﴿سورة الاعراف مكية وآياتها مائتان وست آيات وكلما تها ثلاثة آلاف وثلاثمائة  
وخمس وعشرون كلمة وحرفها أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وعشرة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم المص) قيل هي حروف مقطعة اسم تقرأ الله بعلمها وهي سره تعالى في كتابه  
العزبز (كتاب) أى هذا قرآن (أنزل اليك) أى ان الملك انتقل به من العلو الى أسفل (فلا يكن في  
صدرك حرج منه) أى فلا يكن فيك شك من هذا الكتاب في كونه كتابا نزل اليك من عنده تعالى  
أو المعنى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغ هذا الكتاب مخافة أن تقصر في القيام بحقه أو مخافة أن يكذبوك  
(لتنذربه) أى بهذا الكتاب الكافرين (وذكرى للؤمنين) فان النفوس البشرية على قسمين نفوس  
جاهلة غريقة في طلب اللذات والشهوات ونفوس شريفة مشرقة بالانوار الالهية فبعثه الرسل في حق  
القسم الاول تخويف وفي حق القسم الثانى تنبيه (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أى من كتابه وسنة  
رسوله (ولا تتبعوا من دونه) أى من غير ربكم (أولياء) من الشياطين والكهان فيحملوكم على  
البدع والاهواء وقيل الضمير للوصول مع حذف المضاف فى أولياء أى ولا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل  
أولياء وقرأ مالك بن دينار ولا تتبعوا (قليلا ما تذكرون) أى تذكر اقليل لا أو زمانا قليلا تذكرون  
وما يزيد للتوكيد قرأ ابن عامر يتذكرون بالياء والتاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء  
وتخفيف الذال والباقون بالتاء وتشديد الذال (وكم من قرية أهلكناها) أى كثير من أهل قرية أردنا  
اهلاكها (لجاءها) أى لجاء أهلها (بأسنا) أى عذابنا (بياتا) أى نائمين في الليل كفى قوم لوط  
(أوههم قائلون) أى نائمون في نصف النهار ومستمرون فيه من غير نوم كفى قوم شعيب والمعنى جاءهم  
العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم اشارة تدلهم على نزول ذلك العذاب فكأنه قيل الكفار لا تغتروا  
بأسباب الامن والراحة والفراغ فان عذاب الله اذا وقع وقع دفعة من غير سبق اشارة فلا تغتروا باحوالكم  
(فما كان دعواهم) أى استغاثتهم برحمهم واعترافهم بالجناية (اذ جاءهم بأسنا) أى عذابنا في الدنيا  
(الأن قالوا انا كنا ظالمين) فأقروا على أنفسهم بالشرك والاساءة حيث لم يتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم  
وذلك حين لم ينفعهم الاعتراف والندامة والمختار عند النحويين أن يكون محال أن قالوا رفعنا بكان  
ودعواهم نصبا بدليل تذكير كان كقوله تعالى فما كان جواب قومه إلا أن قالوا وقوله تعالى فكان  
عاقبتهم ما أنهم في النار وقوله تعالى وما كان يحتمل إلا أن قالوا (فلنسألن الذين أرسل اليهم) أى فلنسألن  
في موفق الحساب الالهم قاطبة قائلين ماذا أجبت المرسلين (ولنسألن المرسلين) قائلين ماذا أجبت  
وذلك للرد على الكفار اذا أنكروا التبليغ بقولهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فاذا أثبت الرسل انهم لم يصدر  
منهم تقصير البتة فيتضاعف اكرام الله تعالى في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير  
ويتضاعف أسباب الخزي والاهانة في حق الكفار لما ثبت أن جميع التقصير كان منهم (فلنقصن  
عليهم) أى المرسلين والالهم لما سكتوا عن الجواب (يعلم) أى فلنخبرهم بما فعلوا اخبارا ناشعا عن علم  
منا (وما كنا غائبين) عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شئ من أحوالهم (والوزن) أى وزن

الاعمال (يومئذ) أى كل يوم اذ يسأل الله الامم والرسول (الحق) أى العدل أو المعنى والوزن يوم  
اذ يكون السؤال والقص هو الحق فالحق اما صفة للوزن أو خبر له ويومئذ اما ظرف له أو خبر له (فمن ثقلت  
موازينه) بسبب ثقل الحسنات في الميزان (فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالنجاة والثواب (ومن  
خفت موازينه) بسبب خفة الحسنات في الميزان أو بسبب الاعمال التي لا اعتداد بها في الوزن (فأولئك  
الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) أى فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا  
أنفسهم بسبب تكذيبهم بآياتنا والقائمة في وضع ذلك الميزان ان يظهر ذلك الرجحان لاهل القيامة فان  
كان ظهور الرجحان في طرف الحسنات ازداد سروره بسبب ظهور فضله وكمال درجته لاهل القيامة وان  
كان بالضد فزيد احرزه وخوفه في موقف القيامة ثم اختلفوا في كيفية ذلك الرجحان فبعضهم قال يظهر  
هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وآخرون قالوا بل يظهر رجحان في الكفة قال  
العلماء الناس في الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبار لهم وكفار ومخلطون وهم الذين يأنون بالكبائر فأما  
المتقون فان حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم لا يجعل الله لها وزنا بل تكفر صغائرهم باجتنابهم  
الكبائر وتثقل الكفة النيرة ويؤمرهم الى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وأما الكافران  
يوضع كفرهم في الكفة المظلمة ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الاخرى فتبقى فارغة فيأمر الله تعالى بهم  
الى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وأما الذين خلطوا الحسناتهم وتضع في الكفة النيرة وسيئاتهم  
في الكفة المظلمة فيكون لكبارهم ثقل فان كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل الجنة وان كانت  
السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار الا ان يعفو الله وان تساوى كان من أصحاب الاعراف هذا ان  
كانت الكبائر فيما بينه وبين الله واما ان كان عليه تبعات وكان له حسنات كثيرة جدا فانه يؤخذ من  
حسناته فيرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم من أوزار من  
ظلمه ثم يعذب على الجميع (ولقد مكناكم في الارض) أى جعلنا لكم يا بني آدم فيها مكانا وأقدرناكم على  
التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) أى وجوه المنافع وهي على قسمين ما يحصل بخلق الله تعالى  
ابتداء مثل خلق الثمار وغيرها وما يحصل بالاكتساب وكلاهما بفضل الله وتمكينه فيكون الكل انعاما  
من الله تعالى وكثرة الانعام توجب الطاعة (قليل ماتشكرون) تلك النعمة ونعم الله على الانسان كثيرة  
فلا انسان الا ويشكر الله تعالى في بعض الاوقات على نعمه وانما التفاوت في ان بعضهم يكون كثير  
الشكر وبعضهم يكون قليل الشكر (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أى خلقنا أباكم آدم طينا وغير  
مصور ثم صورناه أحسن تصوير وتحسن هذه السكينة لان آدم أصل البشر (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)  
موجود تعظيم (فسجدوا) أى الملائكة بعد الأمر (الا بليس) فانه أبو الجن كان مفردا مستورا  
بأوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في قوله تعالى للملائكة الخ (لم يكن من الساجدين)  
لآدم (قال) تعالى لا بليس (ما منعك أن لا تسجد) أى ما صرفك الى أن لا تسجد كما قال القاضي  
ذكر الله المع وأراد الداعي فكأنه تعالى قال مادعاك الى أن لا تسجد لآدم لان مخالفة أمر الله تعالى حالة  
عظيمة يتوجب منها وسأل عن الدعي اليها (اذ أمرتك) والمشهور أن كلمة لا لتأكيده معنى النفي في  
منعك والالاستقام للتوبيخ ولاظهار كفر ابليس واذ من صوب بتسبيح أى ما منعك من السجود  
في وقت أمرى اياك به (قال) ابليس (أنا خير منه) أى اغالم اسجد لآدم لاني خير منه (خلقتني  
من نار) فهي أغلب أجزائي (وخلقت من طين) أى وهو أغلب أجزائه فالنار أفضل من الطين لان

النار مشرقة علوية لطيفة يابسة مجاورة لجواهر السموات والطين مظلم سفلى كثيف بعيد عن مجاورة السموات والمخلوق من الافضل لافضل وقد اخطأ ابليس طريق الصواب لان النار فيها الخفة والارتفاع والاضطراب وأما الطين ففسأته الرزانة والحلم والتثبت وأيضا فالطين سبب للحياة من انبات النبات والنار سبب لهلاك الاشياء والطين سبب جمع الاشياء والنار سبب تفريقها (قال تعالى) (فاهبط منها) أى من الجنة وكانوا في جنة عدن فيها خلق آدم وأخرج من زمرة الملائكة المعززين (فأياكون لك) أى فإينبغى لك (أن تتكبر فيها) أى في الجنة أو في زمرة الملائكة (فأخرج انك من الصاغرين) أى من الأدلاء (قال أنظرني) أى لا تمنى (الى يوم يبعثون) أى آدم وذريته وهو وقت النفخة الثانية وأراد ابليس ان يأخذ ثاره منهم باغوائهم وان ينجم من الموت لاستحالة بعثه بعد البعث ولانه قد تم عند النفخة الاولى (قال) تعالى (انك من المنظرين) أى من الموحلين الى النفخة الاولى فيموت كغيره (قال) ابليس (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أى فسبب اغوائك اياي لأجلهم أقسم بعزتك لأقعدن لآدم وذريته دينك الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام (ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) أى وأشككهم في صحة البعث والقيامة والحساب وألقى اليهم ان الدنيا قديمة لا تنفى (وعن أيما نهم وعن شهادتهم) أى افترهم عن الحسنات وأقوى دواعيهم في السيئات ونقل عن شقيق انه قال ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع فيقول من قد امحى لا تحف فان الله غفور رحيم فأقرأوا في لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفي يحوفني من وقوع أولادي في الفقر فأقرأوا ما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويأتيني بالثناء من قبل عيني فأقرأوا العاقبة للمتقين ويأتيني بالترغيب في الشهوات من قبل شمالي فأقرأوا وحيل بينهم وبين ما يشتهون والحاصل ان الشيطان لا يترك جهة من جهات الوسوسة الا ويلقيها في القلب ويروى ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع كونه مستوليا عليه من هذه الجهات الاربع فأوحى الله تعالى اليهم انه بقى للانسان جهتان الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق في الدعاء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الارض على سبيل الخشوع غفرت له ذنوب سبعين سنة (ولا تجدا أكثرهم شاكرين) أى مطيعين وانما قال هذا لانه رأى منهم ان مبدء الشر متعدد ومبدء الخير واحد وذلك انه حصل للنفس قوة واحدة تدعو النفس الى عبادة الله تعالى وطلب السعادات الروحية وهي العقل وتسع عشرة قوة تدعوها الى الذات الجسمية والطبيبات الشهوانية الخمسة منها هي الحواس الظاهرة وخمسة اخرى هي الحواس الباطنة واثنان الشهوة والغضب وسبعة هي القوى الكامنة وهي الجاذبة والماسكة والمهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكمل من استيلاء القوة الواحدة فيلزم القطع بأن أكثر الخلق يكون طالبا لهذه الذات البدنية معرضين عن معرفة الحق ومحبة (قال اخرج منها) أى من الجنة ومن صورة الملائكة (مذموما) أى محقورا (مدحورا) أى مبعدا من كل خير (لمن تبعك منهم) أى ولد آدم (لأما لأن جهنم منكم) أى منك ومنهم (أجمعين) ففي اللام ومن في قوله تعالى لمن تبعك وجهان فالأظهر ان اللام التوطئة لقسم محذوف ومن شرطية في محل رفع مبتدأ ولأما لأن جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده والوجه الثاني ان اللام لام الابتداء ومن موصولة وتبعك صلتها وهي في محل رفع مبتدأ ولأما لأن جواب قسم محذوف ذلك القسم وجوابه في محل رفع خبرا لمبتدأ

والتقدير للذي تبعك منهم والله لا ملأ أن جهنم منكم والعائد من الجملة القسمية الواقعة خبرا عن المبتدأ متضمن في قوله منكم لأنه لما اجتمع ضمير غيبة وخطاب غلب الخطاب وروى عنه عن طائفة من أصحاب تبعل بكسر اللام على أنه خبر لا ملأ والمعنى لمن تبعك هذا الوعيد وهذه الآية تدل على أن جميع أصحاب البدع والضلالات يدخلون جهنم لأن كلهم متابعون لابليس والله أعلم (ويا آدم اسكن) هذه القصة معطوفة على قوله تعالى للملائكة اسجدوا لأي وقلنا آدم يا آدم اسكن أو معطوفة على أخرج أي وقال يا آدم اسكن بعد أن أهبط ابليس وأخرجه من الجنة (أنت وزوجك الجنة) قال ابن اسحق خلقت حواء قبل دخول آدم الجنة والمعنى أي أدخل فيها قال ابن عباس وغيره خلقت في الجنة بعد دخول آدم فيها لأنه لما أسكن الجنة مشى فيها مسرة وتحسنا فلما نام خلقت من ضلعه الفهرى من شقه اليسر ليأنس بها والمعنى أترن في الجنة (فكلما من حيث شئتما) أي فكلما من ثمار الجنة في أي مكان شئتما الا كل فيه وفي أي وقت شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة فتسكونا من الظالمين) أي فتصير من الضارين لانفسكما (فوسوس لهما الشيطان) أي ففعل ابليس الوسوسة لاجلهم (ليبدى لهما ما وروى عنهما من سوءاتهما) أي لينظر لهما ما استر عنهما بلباس النور أو بلباب الجنة من عورتهم ما قال اللام اما للعاقبة لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهم ما وانما كان قصده ان يحملهما على المعصية فقط أولع لهما فظهر العورة كناية عن زوال الحياء فان غرضه من العاء تلك الوسوسة الى آدم ذهاب منصبه وروى ان ابليس بعدما صار ملعونا مطرودا من الجنة رأى آدم وحواء في طيب عيش ونعمة ورأى نفسه في مذلة ونقمة فحسدهما فهو أول حاسد ثم أراد أن يدخل الجنة ليووسوس لهما فذهبه الخزنة فجلس على باب الجنة ثلاثمائة سنة من سني الدنيا وهي بقدر ثلاث ساعات من ساعات الآخرة فلقى آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل الشجرة بطرق كثيرة فلاجل المداومة على هذا التوبة أثر كلامه في آدم عليه السلام (وقال) أي ابليس لآدم وحواء (مانها كما يكمن عن هذه الشجرة) أي عن الأكل منهما (الا أن تكونا ملكين) أي الا كراهة ان تكونا ملكين في عدم الشهوة وفي القدرة على الطيران والتشكل وفي قراءة شاذة ملكين بكسر اللام (أو تكونا من الخالدين) أي الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلا (وقامهما) أي حلف لهما (اني لكاملن الناصحين) في حلفي لكما (فدلاهما بغرور) أي فخدعهما بزخرف من القول الباطل حتى أكل قليلا قصدا الى معرفة طعم ذلك الثمر فغلبته الشهوة لانهما صاقد قائل ابليس (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) أي فلما تناولا من ثمر تلك الشجرة بسير المعرفة طعمه ظهر لهما كل منهما قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره وزال غنهما ثوبهما وزال النور عنهما (وطفا يخضعان عليهما من ورق الجنة) أي وجعلتا يلترقان على عورتهم ما من ورق التين للاستحياء (وناداهما ربهما) يا آدم ويا حواء (ألم أنهما عن تلك الشجرة) أي عن الأكل من ثمر هذه الشجرة (و) ألم (أقل لكما ان الشيطان لكاذب عدو مبين) أي ظاهر العداوة حيث أبى السجود كما حكى الله تعالى هذا القول في سورة طه بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزو جك الآية تروى انه تعالى قال لآدم ألم يكن فيها مخرجك من شجرة الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لا هيطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كذا قهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى بماء ودرس وذرى وعجن وخبز (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أي ضررناها بما خلفنا أمرنا بطاعة عدونا (فكل من أكل الشجرة التي نهيتنا عن الأكل منها وانما استترف آدم بكونه ظالما لانه ترك الأولى فان

هذا الذنب صدر عنه قبل النبوة بطريق النسيان ولان القصد بذلك القول هضم النفس ونهج الطاعة على  
الوجه الاكل (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) أى من المغبونين بالعقوبة (قال)  
تعالى (اهبطوا) يا آدم وحواء وابليس الى الارض فهبط آدم بسرديب جبيل فى الهند وحواء بجدة  
وابليس بالابلة بضم الهمزة والموحدة وبتشديد اللام جبيل بقرب البصرة (بعضكم لبعض عدو)  
فالعداوة ثابتة بين آدم وابليس وذرية كل منهما (ولكنكم فى الارض مستقرون) أى مكان عيش وقبر  
(ومتاع) أى انتفاع (الى حين) أى الى انقضاء آجالكم (قال) تعالى (فيها) أى الارض  
(تحيون) أى تعيشون مدة حياتكم (وفيها تموتون) وتدفنون (ومنها تخرجون) الى المبعث  
للجزاء قرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء وكذلك فى الروم والزخرف والجاثية وقرأ ابن  
عامر هنا وفى الزخرف كذلك وفى الروم والجاثية بضم التاء وفتح الراء والباقون بضم التاء فى الجميع  
(يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم وريشا) أى قد خلقنا لكم بأسباب نازلة من السماء  
لباسين من قطن وغيره لباسا يغطى عوراتكم من العرى ولباسا ينسكم فان الزينة غرض صحيح  
وروى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة رجالا فى النهار والنساء فى الليل ويقولون لا نطوف بشيأ  
عصين الله تعالى فنزلت هذه الآية تذكريا لبعض النعم لاجل امتثال أمر الله تعالى بالحذر من قبول  
وسوسة الشيطان فى قوله تعالى لا يفتننكم الشيطان والمقصود من ذكر قصص الانبياء حصول العبرة  
لمن يسمعها (ولباس التقوى ذلك خير) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب لباس عطا على لباسا أى  
وأنازلنا عليكم لباس التقوى وهو الايمان كما قاله قتادة والسدى وابن جريج أو العمل الصالح كما قاله ابن  
عباس أو السمعة الحسن كما قاله عثمان بن عفان أو خشية الله كما قاله ابن الزبير أو الحياء كما قاله معبد  
والحسن ذلك أى اللباس الثالث خير لصاحبه من اللباسين الاولين لانه يستتر من فضائح الآخرة وقرأ  
الباقون ولباس التقوى بالرفع على الابتداء وخبره ذلك خير والمعنى واللباس الناشئ عن التقوى وهو  
اللباس الاول أو هو الملبوسات المعدة لاجل اقامة نحو الصلاة ذلك خير لانه لبس المتواضع (ذلك) أى  
انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على قدرته وعظيم فضله وعظيم رحمته على عباده (لعلهم يذكرون)  
أى فيعرفون عظيم النعمة فى ذلك اللباس (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة) أى  
لا يخرج جنكم الشيطان عن طاعتي بفتنته فتمنعوا من دخول الجنة اخراجا مثل اخراجه أبوكم من الجنة  
بفتنته بأمره لهما بمخالفة أمرى فيمنعنا من سكنى الجنة (ينزع عنهما لباسهما) بغروره وكان اللباس  
من ثياب الجنة أو من نور (ليريهما سواتهما) أى ليرى آدم سواة حواء وترى هى سواة آدم (انه)  
أى الشيطان (يراكم هو وقييله) أى أصحابه أو من كان من نسله (من حيث لا ترونهم) اذا  
كانوا على صورهم الاصلية لكن قد يكونون مرئيين فى بعض الاحيان لبعض الناس دون بعض وقال  
مجاهد قال ابليس جعل لنا أربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا قتي (انا جعلنا  
الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أى اناصرنا الشياطين قرناء للذين لا يؤمنون بحمد والفرآن مسطين  
عليهم (واذا فعلوا) أى العرب (فاحشة) كعبادة الاصنام وكشف العورة فى الطواف (قالوا) جوابا  
للناهى عنهما عللين بفعل الفاحشة بأمرين (وجدنا عليها) أى على هذه الاشياء (آباءنا) فاعتقدنا انها  
طاعات واقتدينا بهم فيها (والله أمرنا بها) فان أجدادنا انما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى بها  
(قل) لهم يا أكرم الرسل (ان الله لا يأمر بالفحشاء) فان عادته تعالى جارية على الأمر بحسن الاعمال



والحث على نفائس الحصال (أتقولون على الله مالا تعلمون) أى انكم ما سمعتم كلام الله مشافهة  
ولا أخذتموه عن الانبياء لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون (قل أمر  
ربي بالقسط) أى بالتوحيد بلا اله الا الله (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) أى واستقبلوا بوجوهكم  
القبلة عند كل صلاة (وادعوه) أى اعبدوا الله بآتيان أعمال الصلاة مخلصين له الدين) أى  
الطاعة (كما بدأكم تعودون) أى كما أوجدكم الله بعد العدم بعيدكم بعده احياء يوم القيامة فيجازيكم على  
أعمالكم (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) أى ثبت الضلالة عليهم في الازل والجملة  
الفعليتان في محل نصب على الحال من فاعل بدأكم وفريقا الثانى منصوب بفعل مقدر موافق في المعنى  
مذكور المفسر أى بدأكم حال كونه تعالى هاديا فريقا للايمان ومضلا فريقا ويجوز ان تكون الجملة  
الفعليتان في محل نصب على النعت لفريقا وفريقا وهذان على الحال من فاعل تعودون والعالم على  
المنعوت محذوف أى فريقا هداهم الله وفريقا حق عليهم الضلالة ويؤيد هذا الاعراب قراءة أبى بن كعب  
تعودون فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله)  
فقبلوا مادعوهم اليه ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل (ويحسبون) أى يظن أهل الضلالة  
(أنهم مهتدون) يدين الله ودلت هذه الآية على ان كل من شرع في باطل فهو مستحق للذم سواء حسب  
كونه هدى أو لم يحسب ذلك (يا بنى آدم خذوا زينتكم) أى البسوا ثيابكم التي تستر عوراتكم (عند  
كل مسجد) أى عند كل وقت طواف وصلاة (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا) من اللبن (ولا  
تسرفوا) بالتعدى الى الحرام أو بتحريم الحلال أو بالافراط في الطعام (انه لا يحب المسرفين) أى انه  
تعالى لا يرتضى فعلهم قال ابن عباس ان أهل الجاهلية من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار  
والنساء بالليل وكانوا اذا وصلوا الى مسجد منى طرحو ثيابهم وأتوا المسجد عراة وقالوا لا نطوف في ثياب  
أصنافها الذنوب ومنهم من يقول نفعل ذلك تغاؤلا حتى نتعري عن الذنوب كما تعري ناعن الثياب وكانت  
المرأة منهم تتخذ سترًا تعلقه على حقوبها تستتر به عن قرين فأنهم كانوا لا يفعلون ذلك وكانت بنو طامر  
لا ياكلون في أيام حجهم من الطعام الا قوتا ولا يأكلون لحما ولا دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون  
يا رسول الله نحن احق ان نفعل ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الجاهلة  
من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدسم (من حرم زينة  
الله) من الثياب (التي أخرج) الزينة (لعباده) من النبات كالقطن والسكان ومن الحيوان كالخبر  
والصوف من المعادن كالدرع (ر) من حرم (الطيبات من الرزق) أى المستلذات من الماء كل والمشرب  
(قل هي) أى الزينة والطيبات ثابتة (للذين آمنوا) بطريق الاصاله (في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لانه  
يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) أى لا يشاركهم فيها غيرهم قرأنا فخالصة بالرفع على  
انه خبر بعد خبر آخر خبر المبتدأ ومحذوف أى وهي خالصة والباقيون بالنصب حال من الضمير المستكن  
في الخبر (كذلك تفصل الآيات) أى مثل هذا التبيين نبين سائر الاحكام (لقوم يعلمون) ان الله واحد  
لا شريك له فأحلاوا حلاله وحرموا حرامه (قل) للمشركين الذين يتجردون من ثيابهم في الطواف والذين  
يحرمون أكل الطيبات (انما حرم ربى الفواحش) أى الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى جهرها وسرها  
(الأنثى) أى شرب الخمر (والبنى) أى الظلم على الناس (بغير الحق) فالقتل والقهر بالحق فليس  
بغير (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أى وان تسووا بالله في العبادة معبود ليس على ثبوته

حجة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالاحاد في صفاته والافتراء عليه من التحريم والتحليل فالجنايات  
 محصورة في خمسة أنواع أحدها الجنايات على الانساب وهي المراتة بالفواحش وثانيها الجنايات على  
 العقول وهي المشار إليها بالاثم وثالثها الجنايات على النفوس والاموال والاعراض واليهما الاشارة  
 بالبغي ورابعها الجنايات على الاديان وهي من وجهين اما الطعن في توحيد الله تعالى واليه الاشارة بقوله  
 تعالى وان تشركوا بالله واما القول في دين الله من غير معرفة واليه الاشارة بقوله تعالى وان تقولوا على الله  
 ما لا تعلمون وهذه الاشياء الخمسة اصول الجنايات واما غير هافهي كالغروع (ولكل أمة) كذبت  
 رسولها (أجل) أي وقت معين لهلاكها (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أي  
 فاذا جاء وقت هلاكهم لا يتركون بعد الاجل طرفة عين ولا يهلكون قبل الاجل طرفة عين فالجزاء  
 مجموع الامرين لا كل واحد على حدته والمعنى ان الوقت المحدود لا يتغير (يا بني آدم اما يايتنكم رسل  
 منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يا بني آدم ان ياتكم  
 رسول من جنسكم بني آدم يبين لكم أحكامي وشرائعي فمن اتقى كل منهي واتقى تكذيبه وأصلح عمله  
 بأن يأتى كل أمره فلا يخاف في الآخرة من العذاب ولا يحزن على ما فاته في الدنيا ما حزنه على عقاب  
 الآخرة فيرتفع بما حصل له من زوال الخوف (والذين كذبوا بآياتنا) التي يجي بها رسولنا  
 (واستكبروا عنها) أي امتنعوا من قبولها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يموتون ولا  
 يخرجون اما الفاسق من أهل الصلاة فلا يبق محمدا في النار لانه ليس موصوفا بذلك التكذيب والاستكبار  
 (فمن أظلم) أي أعظم ظلما (من افترى على الله كذبا) أي كاثبات الشريك والولد اليه تعالى وازافة  
 الاحكام الباطلة اليه تعالى (أو كذب بآياته) كاتكار كون القرآن كتابا نازلا من عند الله تعالى  
 وانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك ينالهم) في الدنيا (نصيبهم من الكتاب) أي مما كتب  
 لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) أي ملك الموت وأعوانه (يتوفونهم) أي حال  
 كونهم قابضين أرواحهم (قالوا) لهم (ايها كنتم تدعون من دون الله) أي أين الآلهة التي كنتم  
 تعبّدونها في الدنيا ادعوها لتدفع عنكم ما نزل بكم (قالوا ضلوا) أي غابوا (عنا) أي لا ندري  
 مكانهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أي وأقر واعند الموت بأنهم كانوا في الدنيا عابدين لما  
 لا يستحق العبادة أصلا ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين لانه من طوائف  
 مختلفة أوفى أوقات مختلفة (قال) تعالى يوم القيامة (ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن  
 والانس في النار) أي ادخلوا في النار فيما بين الامم الكافرين الذين تقدم زمانهم زمانكم من هذين  
 النوعين (كلما دخلت أمة) أي أكل دين في النار (لعنت أختها) في الدين وهي التي تلبست بذلك  
 الدين قبلها فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين  
 والمجوس المجوس (حتى اذا داركوا) أي اجتمعوا (فيها) أي النار (جميعا) وادرك بعضهم  
 بعضا واستقر معه (قالت أراهم لا ولاهم) أي قال آخر كل أمة لا ولها (ربنا هؤلاء) أي الاولون  
 (أضلونا) عن دينك باخفاء الدلائل الباطلة (فآتهم عذابا ضعفا من النار) أي عذبهم مثل عذابنا  
 مرتين (قال) تعالى لهم (لكل) منهم ومنكم (ضعف) فكل ألم يحصل له يعقبه ألم آخر الى غير  
 نهاية فالآلام متزايدة من غير نهاية اما القادة فلكفروهم واضلالهم واما الاتباع فلكفروهم وتقليد هم  
 (ولكن لا تعلمون) قرأه أبو بكر عن عاصم بالغيبة أي ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر

والباقون بالناء على الخطاب ولكن لا تعلمون أيها السائلون ما السكل فريق منكم من العذاب أو المعنى  
 ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك (وقالت أولاهم لا خراهم) مخاطبة لها حين سمعوا جواب  
 الله تعالى لهم (فما كان لكم علينا من فضل) في الدنيا أي أنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق  
 العذاب لأنكم كفرتم اختيارا لا أنا حملناكم على الكفر اجبارا فلا يكون عذابنا ضعفا (فذوقوا العذاب  
 بما كنتم تكسبون) أي تقولون وتعملون في الدنيا وهذا يحتمل أن يكون من كلام القادة للتابع وان  
 يكون من قول الله تعالى للجميع (ان الذين كذبوا بآياتنا) أي بالدلائل الدالة على أصول الدين  
 (واستكبروا عنها) أي ترفعوا عن الإيمان بها (لا تفتح لهم أبواب السماء) أي لا تفتح لأعمالهم ولا  
 لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله ولا روادحهم (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) أي  
 كما يستحيل دخول الذئب من الأبل في خرق الأبرة يستحيل دخول الكفار الجنة ويقال حتى يدخل القلس  
 الغليظ وهو الجمل الذي تشد به السفينة في خرق الأبرة وكل ثقب ضيق فهو سم (وكذلك تجزى المجرمين)  
 أي وتجزى المشركين جزاء مثل جزاء المكذبين المستكبرين من عدم فتح أبواب السماء وعدم دخولهم  
 الجنة وانما يدخلون النار بهذه الصفات (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) أي الذين كذبوا  
 واستكبروا ومن جهنم فراش من تحتهم ومن فوقهم غطية وهذه الآية أخبار عن احاطة النار بهم من كل  
 جانب فلم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف (تنبيه) تنوين غواش عوض من المياه المحذوفة على  
 الصحيح فان الاعلال بالحذف مقدم على منع الصرف فاصلة غواش بتنوين الصرف فاستثقلت الضمة على  
 الياء لحذفت فاجتمع ساكن الياء والتنوين لحذفت الياء ثم لوحظ كونه على صيغة مفاعل في الاصل  
 لحذف تنوين الصرف خفيف من رجوع الياء فيحصل الثقل فأتى بالتنوين عوضا عنها فغواش التنوين  
 ممنوع من الصرف لان تنوينه تنوين عوض كما علمت وتنوين الصرف قد حذف وانما كان الراجح تقديم  
 الاعلال لان سببه ظاهر وهو الثقل وسبب منع الصرف خفي وهو شبهة الفعل (وكذلك تجزى الظالمين)  
 أي كالجزاء المذكور للمكذبين المستكبرين تجزى الكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات  
 تكلف نفسا الاوسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أي والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا  
 بما جاءهم به من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا تكلف نفسا  
 الا ما يسهل لمجليها من الاعمال وما يدخل في قدرتها ولا يضيق فيه عليها وقوله تعالى لا تكلف نفسا الاوسعها  
 اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها  
 خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس ما قبله فانه بيان ان ذلك العمل  
 غير خارج عن قدرتهم وتتميمه على ان الجنة مع عظم قدرها يتوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل  
 الصعب (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي صفيينا طباعهم من الاحقاد التي كانت لبعضهم على  
 بعض في دار الدنيا ودرجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقصان فانه تعالى أزال الحسد عن قلوبهم  
 حتى ان صاحب الدرجة النازلة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة (تجزي من تحتهم الانهار) أي تجزي  
 في الآخرة من تحت سرورهم أنهارا من الماء والعسل واللبن زيادة في لذتهم وسرورهم (وقالوا) اذا  
 بلغوا الى منازلهم أو الى عين الحيوان (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي للعمل الذي ثوابه هذا المنزل  
 وهذه العين التي تجزي من تحتنا (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) أي لولا هداية الله لنا وجوده  
 ما هتدينا الى الإيمان والعمل الصالح قرأ ابن عامر ما كتبنا بغيره واو كافي مصاحف أهل الشام وذلك لانه

جار مجرى التفسير لقوله هذان هما عين الآخر وجب حذف الحرف العاطف (لقد  
 جاءت رسلنا بالحق) هذا اقسام من أهل الجنة قالوا ذلك حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا تبجيها  
 بما نالوه أى والله لقد جاءت رسل ربنا فى الدنيا بالحق أى ما أخبر ونأبه فى الدنيا من الثواب صدق فقد حصل  
 لنا عيانا (وفودوا) أى نادتهم الملائكة عند رؤيتهم الجنة من مكان بعيد (أن تلکم الجنة) أى تلك  
 الجنة التى وعدتكم الرسل بها فى الدنيا فان مفسرة لما فى النداء وكذا فى سائر المواضع الخمسة (أورثتموها  
 بما كنتم تعملون) أى أعطيتهموها بسبب أعمالکم الصالحة فى الدنيا فالجنة ومنزلها لا تنال الا برحمة  
 الله تعالى فاذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته اذا أعمالهم رحمة منه لهم وتفضل منه  
 عليهم (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تبجيها بحالهم وتنديها لأصحاب النار وذلك بعد استقرارهم  
 فى محالهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) على السنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وعلى  
 طاعته (حقا فهل وجدتم) يا أهل النار (ما وعد ربكم) من العذاب على الكفر (حقا قالوا) أى  
 أهل النار مجيبين لأهل الجنة (نعم) قرأ الكسافى نعم بكسر العين فى كل القرآن (فأذن مؤذن)  
 قيل هو اسرافيل وقيل جبريل (بينهم) أى نادى مناد أسمع الفريدين (أن لعنة الله على الظالمين  
 الذين يصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس من قبول الدين الحق تارة بالزجر والقهر وأخرى بسائر  
 الخيل قرأ نافع وأبو عمرو وطاسم أن لعنة بتخفيف الراء ورفع لعنة والباقون بالتشديد وبالنصب  
 (ويغفونها عوجا) أى يطلبون السبيل معوجة بالقاء الشكوك فى دلائل الدين الحق (وهم بالآخرة)  
 أى بالبعث بعد الموت (كافرون) أى جاحدون (و بينهما) أى بين الجنة والنار وبين أهلها  
 (حجاب) أى سور (وعلى الاعراف) أى أعلى ذلك السور المضروب بين الجنة والنار (رجال) قيل  
 هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقيل هم قوم قتلوا فى سبيل الله وهم عصاة لا بائسهم وقيل هم قوم كان  
 فيهم عجب وقيل هم قوم كان عليهم دين فهذه الاقوال تدل على أن أصحاب الاعراف اقوام يكونون فى الدرجة  
 النازلة من أهل الثواب وقيل انهم الاشراف من أهل الثواب قيل انهم الانبياء واغما جلسهم الله على  
 ذلك المكان العالى تميز لهم على سائر أهل القيامة وقيل انهم الشهداء وهم شهداء الله على أهل الايمان  
 والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية فهم يعرفون أن أهل الثواب وصلوا الى الدرجات وأهل العقاب وصلوا  
 الى الدرجات كما قال تعالى (يعرفون كلا) من أهل الجنة وأهل النار زيادة على معرفتهم يكونهم فى  
 الجنة وكونهم فى النار (بسيماهم) أى بعلامتهم التى أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده وقيل  
 ان أصحاب الاعراف كانوا يعرفون المؤمنين فى الدنيا بظهور علامات الايمان والطاعات عليهم ويعرفون  
 الكافرين فى الدنيا أيضا بظهور علامات الكفر والفسق عليهم فاذا شاهدوا أولئك الاقوام فى محفل  
 القيامة ميزوا البعض عن البعض بتلك العلامات التى شاهدوها عليهم فى الدنيا (ونادوا) أى رجال  
 الاعراف (أصحاب الجنة) أى حين رأوهم (أن سلام عليكم) يا أهل الجنة وهذا بطريق التحية  
 والدعاء أو بطريق الاخبار بنجاتهم من المسكاره (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا (وهم يطمعون)  
 حال من فاعل يدخلوها أى لم يدخل رجال الاعراف الجنة وهم فى وقت عدم الدخول طامعون وقيل قونه لم  
 يدخلوها مستأنف لانه جواب سؤال سائل عن رجال الاعراف فقال ما صنع بهم فقيل لم يدخلوها ولكنهم  
 يطمعون فى دخولها وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون  
 لبثهم على الاعراف على سبيل الزهدة وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم والمراد من هذا الطمع طمع يقين أى

وهم يعلمون انهم سيدخلوا الجنة (واذا صرفت أبصارهم) أى رجال الاعراف بغير قصد (تلقاهم أصحاب النار) أى الى جهنم (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أى كلما وقعت أبصار أصحاب الاعراف على أهل النار تضرعوا الى الله تعالى فى أن لا يجعلهم من زمرة منهم والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف عن التقليد الردى (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) كانوا عظماء فى الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسميائهم قالوا) أى أصحاب الاعراف لهم وهم فى النار يا وليد بن المغيرة ويا أباجهل بن هشام ويا أمية بن خلف ويا ابن خلف الجعفى ويا أسود بن عبد المطلب ويا سائر الرؤساء (ما أغنى عنكم جمعكم) أى أى شئ دفع عنكم جمعكم فى الدنيا من المال والخدم والاتباع (وما كنتم تستكبرون) عن قبول الحق وعلى الناس المحقين وقرئ تستكبرون أى من الاموال والجنود ثم زادوا على هذا التكبى بقرولهم (أهولاء) الضعفاء الذين عذبهم فى الدنيا كصهيب وبلال وسلمان وخباب وعمار وأشباههم (الذين أقسمتم) أى حلفتم فى الدنيا بامعشر الكفار (لا ينالهم الله برحمة) أى لا يدخلهم الله الجنة وقد دخلوا الجنة على رغم أنوفكم وقد قيل للذين أقسمتم على عدم دخولهم الجنة (ادخلوا الجنة) بفضل الله فهذا من بقية كلام أصحاب الاعراف فهو خبر ثان عن اسم الإشارة أى أهولاء قد قيل لهم ادخلوا الجنة فظهر كذبكم فى أقسامكم ويدل على ذلك قراءة ثان شاذتان ادخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا وعلى هاتين القراءةين تقع هذه الجملة خبرا والتقدير دخلوا الجنة مقولا فى حقهم (لا خوف عليكم) من العذاب (ولا أنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف لما قالوا لاهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار ان دخل هؤلاء فأنتم لم تدخلوا الجنة فلما عيرهم بذلك قيل لاهل الاعراف ادخلوا الجنة وقيل يقال لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة الخ بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وقالوا لهم ما قالوا وعلى هذا فالمراد بأصحاب الاعراف المقصرون فى العمل (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا) أى ألقوا علينا من الماء أو عمار رزقكم الله) من ثمار الجنة وهذا الكلام يدل على حصول العطش الشديد والجوع الشديد لهم وعن أبى الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزاد عذابهم فيستغيثون فيغيثون بضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ثم يستغيثون فيغيثون بطعام ذى غصة ثم يذكرون الشراب ويستغيثون فيدفع اليهم الحميم والصديد فيقطع ما فى بطونهم ويستغيثون الى أهل الجنة كما فى هذه الآية ويقولون لما لك ليقتض علينا بك فيجيئهم بعد ألف عام ويقولون ربنا أخرجنا منها فيجيئهم بقوله تعالى اخسوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يباسون من كل خير ويأخذون فى الزفير والشهيق (قالوا) أى أهل الجنة (ان الله حرمهم على الكافرين) أى منعهم من طعام الجنة وشرابها قال ابن عباس رضى الله عنهم لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار بالفرج بعد اليأس فقالوا يا رب ان لنا قرايات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراياتهم فى الجنة وما هم فيه من النعم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة الى قراياتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فتنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادى الرجل أياه وأخاه فيقول يا أبى ويا أخى قد احترقت بشدة حرجهم أقض على من الماء فيقال لهم أجيئوهم فيقولون ان الله حرمهم على الكافرين (الذين اتخذوا دينهم هوا) أى باطلا (ولعبا) أى فرحا فالله صرف لهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به (وغرثهم الحياة الدنيا) أى شغلهم بالطمع فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه ونيل الشهوات (فالיום) أى

يوم القيامة (ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) أى نتركهم في عذابهم تركهم العمل للقاء يومهم هذا أو المعنى نعاملهم معاملة من نسي فنتركهم في النار لأنهم أعرضوا بآياتنا والمراد من هذا النسيان أنه تعالى لا يجب دعاءهم ولا يرحمهم (وما كانوا ياتنا بجهنم دون) أى ولو كانوا منكرين بآياتنا أنهم من عندنا وذلك يدل على أن حب الدنيا مبدأ كل آفة وقد يؤدي إلى الضلال والكفر (ولقد جئناهم) أى هؤلاء الكفار (بكتاب) أى بقرآن أنزلناه عليك يا أكرم الرسل (فصلناه على علم) أى ميزناه مشتملاً على علم كثير وفصل كثير مختلف وقد نظم بعضهم الأنواع التسعة في قوله حلال حرام محكم متشابه \* بشير نذير قصة عظيمة مثل

وقرأ المجدرى وابن محيص بالضاد المجهمة أى فصلناه على غيره من الكتب السماوية عالمة بفضله (هدى ورحمة) أى هادياً من الضلالة إلى الرشاد ودارحة (لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون إلا تأويله) أى ما ينتظر أهل مكة إذ لا يؤمنون إلا عاقبة ما وعدوا به في القرآن من حلول العذاب بهم يوم القيامة (يوم يأتى تأويله) أى يوم يأتى عاقبة ما وعدهم في القرآن وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه) أى أعرضوا عنه (من قبل) أى من قبل إتيان ما يؤول إليه أمره وهو صدقه بما أخبر به والمعنى أن هؤلاء الذين تركوا الإيمان بالقرآن في الدنيا يقولون يوم القيامة (قد جاءت رسل ربنا بالحق) وكذبناهم أى أنهم أقرروا يوم القيامة بأن ما جاءت به الرسل من ثبوت البعث والنشر والحشر والقيامة والثواب والعقاب كل ذلك كان حقاً (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) من العذاب اليوم (أو نرد) إلى الدنيا (فنعمل غير الذى كنا نعمل) أى لما رأوا أنفسهم في العذاب قالوا لا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد إلا أحد هذين الأمرين وهو أن يشفع لنا شفيع فلاجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب أو أن يردنا الله تعالى إلى الدنيا حتى نوحده الله تعالى بدلائل الكفر ونطيعه بدلائل المعصية وقرئ شاذاً بنصب نردنا ما عطفنا على يشفعوا فالمسؤول أن يكون لهم شفعاء لأحد من الأمرين أما دفع العذاب أو الرد إلى الدنيا وأما بناء على أن أو بمعنى إلى أى فالمطلوب أن يكون لهم شفعاء للرد إلى الدنيا فقط وقرئ شاذة برفع فنعمل أى فنحن نعمل في الدنيا غير ما كنا نعمل فيها (قد خسروا أنفسهم) بذهاب الجنة ولزوم النار (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى وذهب عنهم دعوى نفع الشريك فانهم كانوا يدعون أن الأصنام التي كانوا يعبدونها شركاء الله تعالى وشفعائهم عنده يوم القيامة (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام) والمقصود من هذا الكلام أنه تعالى وإن كان قادراً على إيجاد جميع الأشياء دفعة واحدة لكنه جعل لكل شئ حداً محدداً ووقتماً مقدراً فلا يدخله في الوجود إلا على ذلك الوجه فهو تعالى وإن كان قادراً على إيصال الثواب إلى المطيعين في الحال وعلى إيصال العقاب إلى المذنبين في الحال إلا أنه يؤخرهما إلى أجل معلوم مقدّر فهذا التأخير ليس لأجل أنه تعالى أهمل العباد بل لأنه تعالى خص كل شئ بوقت معين لسابق مشيئته وهذا معنى قول المفسرين من أنه تعالى إنما خلق العالم في ستة أيام ليعلم عباده الفرق في الأمور والصبر فيها ولاجل أن لا يحمل المكاف تأخر الثواب والعقاب على ترك العمل (ثم استوى على العرش) أى حصل له تعالى تدبير الخلق لوقات على ما أراد أى بعد أن خلق السموات والأرض استوى على عرش الملك والجلال وصح أن يقال أنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السموات والأرض بمعنى أنه إنما ظهر تصرفه في هذه الأشياء وتدبيره لها بعد خلق السموات والأرض وذلك لأن العرش في كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك



يقال نل عرش السلطان أى انتقض ملكه وفسدواذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه هذا ما قاله القفال ونظير هذا قولهم للرجل الطويل فلان طویل الجباد وللرجل الذى يكثر الضيافة فلان كثير الرماد وللرجل الشيخ فلان اشتعل رأسه شيئا وليس المراد فى شئ من هذه الالفاظ اذها على ظواهرها وانما المراد منها تعريض المقصود على سبيل السكينة فكذلك هنا فالمراد بذكر الاستقرار على العرش هو نفاذ القدرة وجرى ان المشيئة والواجب علينا ان نقطع بكونه تعالى منزها عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل هذه الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى (يغشى الليل النهار) أى يأتى بالليل على النهار فيغشىه واللفظ يحتمل العكس أيضا وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وطاسم فى رواية حفص يغشى بتخفيف الشين وهكذا فى الرعد وقرأ حمزة والكسائي وطاسم برواية أبي بكر بالتشديد وكذا فى الرعد وقرأ حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح ياء يغشى ونصب الليل ورفع النهار أى يدرك النهار الليل (يطلبه حشينا) أى يطلب كل من الليل والنهار الآخر طلبا سريريا فأخبر الله تعالى بما فى تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمة والفوائد الجليلة فان بتعاقبهما يتم أمر الحياة وتكمل المنفعة والمصلحة (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أى مذللات لطلوع وغروب ومسيرة ورجوع بأذنه وقرأ ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء والخبر والباقيون بنصب الثلاثة عطفًا على السهوات ونصب مسخرات على الحال من هذه الثلاثة (ألا اله الخلق) أى المخلوقات (والأمر) أى التصرف فى الكائنات وفى هذه الآية رد على من يقول من أهل الضلال ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرات فى هذا العالم (تبارك الله رب العالمين) أى أكثر خير الله مالا لك العالمين وتعالى بالوحدانية فى الألوهية (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أى متذللين ومسرين والتضرع اظهار ذل النفس قال الشيخ محمد بن عيسى الحكيم الترمذى ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالأولى اخفاء العمل صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ فى الصفا وقوة اليقين الى حيث صار آمنا عن شائبة الرياء كان الأولى فى حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به (انه لا يجب المعتدين) أى المجاوزين بترك هذين الأمرين التضرع والاختفاء أى انه تعالى لا يشبهه البتة ولا يحسن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يجب المعتدين (ولا تفسدوا فى الأرض) أى كفساد النفوس بالقتل وقطع الاعضاء وفساد الاموال بنحو الغصب وفساد الاديان بالكفر والبدعة وفساد الانساب بسبب الاقدام على نحو الزنا وبسبب القذف وفساد العقول بنحو تناول المسكرات (بعد اصلاحها) بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وقيل بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر والخصب فان الله تعالى يمسك المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم (وادعوه خوفا وطمعا) أى ذوى خوف ونظر الى قصور أعمالكم وعدم استحقاقكم مطلوبكم وذوى طمع نظر الى سعة رحمتهم وفور فضله واحسانه وهذه الآية بيان فائدة الدعاء ومنفعته ففائدة الدعاء أحدهما ان الدعاء هو الدعاء بالاولى فى بيان شرط صحة الدعاء وهى لا بد ان يكون الدعاء مقرونا بالتضرع وبالاخفاء والداعى لا يكون داعيا الا اذا كان خائفا من وقوع التقصير فى بعض الشرائط المعتبرة فى قبول ذلك الدعاء وطمعا فى حصول تلك الشرائط بأمرها ومعنى قوله تعالى خوفا وطمعا أى حال كونكم جامعين فى نفوسكم بين الخوف والرجاء فى كل أعمالكم فلا تقطعوا انكم أديتم حق ربكم وان اجتهدتم (ان رحمة الله قريب من المحسنين) بالقول والفعل ومن

الاحسان ان يكون الدعاء مقرونا بالخوف والطمع وكل من حصل له الاقرار والمعركة كان من المحسنين  
 كالصبي اذا بلغ وقت الصلوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر وكصاحب  
 الكبيرة من أهل الصلاة (وهو الذي يرسل الريح بشرايين يدي رحمة) أي قدام المطر قرأ ابن كثير  
 وحزرة والكسائي الريح على لفظ الواحد والباقون الريح على الجمع قرأ عاصم بشرا بضم الباء الموحدة  
 وسكون الشين جمع بشير أي مبشرات وقرئ بفتح الباء بمعنى باشرات وقرأ حمزة والكسائي نشر بالنون  
 المفتوحة وبسكون الشين بمعنى ناشرة للسحاب أو بمعنى منشورة فكان الريح كانت مطوية فأرسلها الله  
 منشورة بعد انطوائها وهي كناية عن اتساعها وقرأ ابن طامر بضم النون واسكان الشين وقرأ الباقر بضم  
 النون والشين جمع نشور مثل رسل ورسول أي مفرقة من كل جانب أو طيبة ليننة تنشر السحاب والريح  
 هواء متحرك ينة ويسرقة وهي أربعة الصبا وهي الشرقية فتحرك السحاب والدبور وهي الغربية تفرقه  
 والشمال التي تهب من تحت القطب الشمالي تجتمعها والجنوب وهي التي تكثر ارسال المطر وعن النبي  
 صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والجنوب من ريح الجنة (حتى اذا أقلت  
 سحابا تقالا) أي حتى اذا رفعت هذه الريح سحابا ثقيلا بالماء (سقناه) أي السحاب (البلد ميت)  
 أي الى مكان لا نبات فيه لعدم الماء (فأنزلناه) أي في ذلك البلد (الماء فأخرجناه) أي بذلك الماء  
 أو في ذلك البلد (من كل الثمرات) فالله تعالى انما يخلق الثمرات بواسطة الماء وقال أكثر المتكلمين  
 ان الثمار غير متولدة من الماء بل الله تعالى اخرج عادته بخلق النبات ابتداء عقب اختلاط الماء بالتراب  
 (كذلك فخرج الموق) أي كما يخلق الله النبات بواسطة الامطار فكذلك يحيي الله الموق بواسطة مطر ينزله  
 على تلك الاجسام الرمية وروى انه تعالى يطر على اجساد الموق فيما بين النفثتين مطرا كالمني أربعين  
 يوما وانهم يصرون عند ذلك احياء وقيل المعنى انه تعالى كما احيى هذا البلد بعد خرابه فأثبت فيه الشجر  
 وجعل فيه الثمر فكذلك يحيي الموق ويخرجه من الاجساد بعد ان كانوا أمواتا والمقصود من هذا  
 الكلام اقامة الدلالة على ان البعث والقيامة حق (لعلكم تذكرون) أي لكي تعتبروا أيها المنكرون  
 للبعث وتذكروا ان القادر على احياء هذه الارض بالاشجار المزينة بالازهار والثمار بعد موتها قادر  
 على ان يحيي الاجساد بعد موتها (والبلد الطيب) أي المكان الذي ليس بسجنة (يخرج نباته باذن  
 ربه) أي بإرادة ربه وتيسيره كذلك المؤمن يؤدي ما أمر الله طوعا بطيبة النفس (والذي خبت) أي  
 المكان السجنة (لا يخرج) أي نباته (الانسكدا) أي يتعب وكذلك المنافق لا يؤدي ما أمر الله  
 الا كرها بغير طيبة النفس وقيل المراد ان الارض السجنة يقل نفعا ومع ذلك ان صاحبها لا يتركها بل  
 يتعب نفسه في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق به من المنفعة فالطلب للنفع العظيم في الدار الآخرة  
 بالمشقة في أداء الطاعات أولى من طلب هذا النفع اليسير بالمشقة العظيمة (كذلك) أي مثل ذلك  
 التصريف (نصرف الآيات) أي نكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله تعالى في تفكيرهم فيها (لقد  
 ارسلنا نوحا الى قومه) واسم نوح عبد الغفار وهو ابن لمكان متوشلح بن أخنوخ وسمى نوحا ما لدعوته  
 على قومه بالهلاك أولا رجعت ربه في شأن ولده كنعان أولا انه مريبك مجذوم فقال له اخسايا قبيح فأوحى  
 الله اليه اعبتني أم عبث الكاب فكثرت نوحه على نفسه لذلك (فقال يا قوم اعبدوا الله) أي اعبدوه وحده  
 (ما لكم من الله) أي من مستحق للعبادة (غيره) قرأ الكسائي بالجر على انه نعت لاله باعتباره لفظه  
 والباقر بالرفع صفة له باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية وقرئ بالنصب على الاستثناء

بمعنى مالكم من اله الاياه (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى انى أعلم ان العذاب ينزل بكم اما فى  
 الدنيا أو فى الآخرة ان لم يقبلوا ذلك الدين (قال الملا من قومه) أى قال الكبراء الذين جعلوا أنفسهم  
 أعداء الانبياء (انالترالك) يانوح (فى ضلال مبين) فى المسائل الاربع وهى التكليف والتوحيد  
 والنبوة والمعاد (قال يا قوم ليس بى ضلالة) أى ليس بى نوع من أنواع الضلالة البتة (ولكنى رسول  
 اليكم) (من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي) قرأ أبو عمرو بسكون الباء (وأصح لكم) فتبليغ  
 الرسالة هو ان يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه والنصيحة هى ان يرغبهم فى الطاعات  
 ويحذرهم عن المعاصى بأبلغ الوجوه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى انكم ان عصيتم أمره عاقبكم فى  
 الدنيا بالطوفان وفى الآخرة بعقاب شديد خارج عما تتصوره عقولهم (أو عجبت ان جاءكم كذ من ربكم  
 على رجل منكم) أى أستبعدتم وعجبت من ان جاءكم كذ من مالكم أموركم على لسان رجل من  
 جنسكم أى فانهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ولو شاء ربنا لآتزل ملائكة  
 (لينذركم) أى لاجل ان يخوفكم عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) عبادة غير الله (ولعلكم  
 ترحمون) أى ولكي ترحموا فلا تعذبوا وهذا الترتيب فى غاية الحسن فان المقصود من البعثة الانذار  
 والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغى والمقصود من التقوى الفوز بالرحمة فى دار الآخرة (فكذبوه)  
 أى نوحا فى ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف من الله وأصروا على ذلك التكذيب تلك المدة المتطاولة  
 (فانجيناهم والذين معه فى الفلك) من الغرق والعذاب وكان من محبوبه فى الفلك أربعين رجلا وأربعين  
 امرأً ترى ان نوحا عليه السلام صنع السفينة بنفسه فى عامين وكان طولها ثلاث مائة ذراع وعرضها  
 خمسين وسماكتها ثلاثين وجعل لها ثلاث بطون فحمل فى أسفلها الدواب والوحوش وفى وسطها الانس وفى  
 أعلاها الطيور وركبها فى عاشر رجب ونزل منها فى عاشر المحرم (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أى برسولنا  
 نوح بالطوفان (انهم كانوا قواة اعمىين) عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد (والى عاد اناهم)  
 أى وأرسلنا الى عاد الاولى واحدا منهم فى النسب لافى الدين (هودا) أما عاد الثانية وهم عود فقوم صالح  
 وبينهم مائة سنة (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره أفلاتتقون) أى أتغفلون  
 فلاتتقون عذاب الله تعالى فانكم تعرفون ان قوم نوح لما لم يتقوا الله ولم يطيعوه نزل بهم ذلك العذاب  
 الذى اشتهر خبره فى الدنيا (قال الملا) أى الرؤساء (الذين كفروا من قومه) وانما قال هنا الذين  
 كفروا من قومه لان الملا من قوم هود كان فيهم من آمن ومن كفر فمن آمن منهم مر ثوبن أسعد أسلم وكان  
 يكتم ايمانه بخلاف الملا من قوم نوح فكلهم أجمعوا على ذلك الجواب فلم يكن أحدا منهم مؤمنا فى أول  
 دعائهم الى الايمان (انالترالك فى سفاهة) أى انا نتيقنك يا هود متمكنا فى خفة عقل حيث فارقت دين  
 آباءك فان هودا نهاهم عن عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل (وانا لنظنك من  
 الكاذبين) فى ادعاء الرسالة (قال يا قوم ليس بى سفاهة) أى ليس بى شئ مما تنسبون الى اله (ولكنى  
 رسول من رب العالمين) أى فانه فى غاية من الرشد والصدق (أبلغكم رسالات ربي) بالامر والنهى  
 (وانالكم ناصح) أى أحذركم من عذاب الله وادعوكم الى الايمان والتوبة (أمين) أى موقوف على  
 رسالة ربي وهذا رد لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين فكان هودا قال لهم كنت قبل هذه الدعوى أمينا  
 فيكم ما وجدتم منى غدرا ولا مكررا ولا كذبا واعترفتم لى بكوفى أمينا فكيف تستبقونى الآن الى الكذب  
 (أو عجبت ان جاءكم كذ من ربكم) أى أ كذبتهم وعجبت من ان جاءكم نبوة (من ربكم على رجل منكم) أى

على لسان آدمي مثلكم (لينذرکم) أى لينذرکم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي (واذكروا  
 اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) بأن أو رثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وما يتصل بهامن المنافع  
 والمصالح أو جعلكم ملوكا في الأرض فان شداد بن عاد من ملوك معصورة الأرض من رمل عاجل الى شجر  
 عمان (وزادكم في الخلق) أى في الناس (بسطة) وهى مقدار ما تبلغه يد الانسان ففضلوا على أهل  
 زمانهم بهذا القدر أو المراد انهم متشاركون في القوة والشدة ولان بعضهم يكون ناصر للبعض الآخر وزال  
 العداوة والخصومة من بينهم فلما خصهم الله تعالى بهذه الأنواع فصع ان يقال انهم زادوا في الخلق بسطة  
 قرأ نافع والبرزى وشعبة والكسائي بالصاد وأبو عمر وهشام وقتيل وحفص وخلف بالسين وابن ذكوان  
 وخلا ديهما (فأذكروا آلاء الله) أى نعماء الله عليكم وأعمالوا عملا يليق بتلك الانعامات (لعلكم  
 تفلحون) أى لى تنجحوا من الكروب وتفوزوا بالمطلوب (قالوا) مجيبين عن تلك النصائح العظيمة  
 (أجئتنا) يهود (لنعبد الله وحده) أى لنخصه بالعبادة (ونذر) أى نترك (ما كان يعبد آباؤنا)  
 من الأصنام (فأتناجياتعدنا) أى بعاتهدنا من العذاب بقولك أفلاتتقون (ان كنت من الصادقين)  
 فى أخبارك ينزل العذاب وغرضهم بذلك القول اذ الم يأتهم هو بذلك العذاب ظهر للقوم كونه كاذبا  
 (قال) أى هو (قد وقع عليكم من ربكم رجس) أى رين على قلوبكم عقوبة منه لكم بالخذلان لالفكم  
 الكفر (وغضب) أى عذاب (أتجادلوننى فى أسماء) عارية عن المسمى (سهيتموها) أى سميت بها  
 (أنتم وآباؤكم) أصناما فانهم سمو الأصنام بالآلهة مع ان معنى الألوهية فيها معدوم (ما نزل الله بها)  
 أى بعبادتها (من سلطان) أى برهان لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد لكل وان الأصنام  
 لو استحقت العبادة كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية أو نصب دليل وقوله تعالى ما نزل الله بها  
 من سلطان عبارة عن خلومذا هيهم عن الحججة والبينة (فانتظروا) ما يحصل لكم من عبادة هذه الأصنام  
 وهو ما تطلبونه بقولكم فأتناجياتعدنا (انى معكم من المنتظرين) لما يحصل بكم (فأتناجيناها) أى هوذا  
 (والذين معه) فى الدين (برحمة) عظيمة (منا) أى من جهتنا (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا)  
 أى استأصلنا الذين كذبوا برسولنا هوذا (وما كانوا مؤمنين) أى ما أيقينا أحدا من الذين لا يؤمنون  
 فلو علم الله انهم سيؤمنون لابقاهم وقصتهم ان عاد قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا فى البلاد  
 ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم أصنام ثلاثة يعبدونها سموا أحدها صمودا والآخر صداء والآخر هباء  
 فبعث الله تعالى اليهم هوذا وكان من أفضلهم حسبا فكذبوه فأمرسلك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى  
 جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلا طلبوا من الله الفرج عند البيت الحرام وأهل مكة اذ ذاك العماليق  
 أولاد عمليق بن لاو ذبن سام بن نوح عليه السلام وسيدهم معاوية بن بكر فلما توجهوا الى البيت الحرام  
 وهم سبعون رجلا من أمانلهم منهم قيل بن عذرومر ثذبن سعد نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهريكة  
 خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم  
 قيتنا معاوية اسم احدا هم ما وردوا والاخرى جرادة فلما رأى معاوية ذهولهم باللهو عما قدموا له أحرته ذلك وقال  
 قد هلك أخوالى وأصهارى واستحيى ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك لاقينتين  
 فقالتا قل شعرا تغنيهم به لا يدرون من قاله وهو قول هؤلاء الثلاثة

ألا يا قيسل ويحك قم فهيئنى \* لعل الله يسفيننا غمما  
 فيسقى أرض عادان عادا \* قد أمسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس ترجو \* به الشيخ الكبير ولا الغلاما

ومعنى فهمهم أى أخف الدعاء والغمام هنا المطر فلما غنتابه زعجهم ذلك وقالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم مرتدين سعدوا لله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقاكم وأظهروا سلامه فقالوا المعايير احبس عنا مرتدا لا يقدم معنا كفة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى محاببات ثلاث بيضاء وحمرًا وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قبيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يسمي وادي المغيث فاستبشر وابها وقالوا هذا عارض عطرنا لجامتهم منهار يبع عقيم وهي باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها وكانت ابتداء محبتها في صبيحة الاربعاء في الحادي والعشرين من شوال في آخر الشتاء وحضرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا وروى عن علي رضي الله عنه ان قبر هود بحضر موت في كنيش أحر (والى غود أخاهم) أى وأرسلنا الى غود أخاهم في النسب لا في الدين (صالحا) وغود قبيلة أخرى من العرب سموها باسم أبيهم الاكبر وهو غود بن غابر بن ارم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الحجرين الحجاز والشام الى واد القرى (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالككم من اله غيره قد جاءكم بينة) أى شاهدة بنبوتى وهي الناقة (من ربكم) خلقها بلا واسطة (هذه ناقة الله لكم آية) أى علامة على رسالة الله وإضافة الناقة الى الله لتعظيمها وتخصيصها كما يقال بيت الله أولانها مالك لها غير الله أولانها حجة الله على القوم ووجه كونها آية لخروجها من الجبل لا من ذكر وأنثى ولكمال خلقتهما من غير تدريج وناقة الله عطف بيان لهذه أو مبتدأ ثان ولكم خبر عامل في آية في نصيبها على الحال ويجوز ان يكون عامل الحال معنى التنبيه أو معنى الإشارة وجملة قوله هذه ناقة الله لكم آية في محل رفع بدل من قوله بينة لانها مفسرة وجازا بدال جملة من مفرد لانها في معناه (فذروها) أى فاذركوها (تأكل في أرض الله) في الحجرة أى الناقة ناقة الله والارض أرض الله فاذركوها تأكل في أرض ربها مائتا كل فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من أنباتكم (ولا تمسوها بسوء) أى ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوا منها شيئا من أنواع الاذى اكرا ما لا يه الله تعالى (فياخذكم عذاب أليم) أى بسبب اذاها (واذكروا ان جعلكم خلقا من بعد عاد) أى فلما أهلك الله عاد أمر غود ببلادها وخلقوهم في الارض وكثروا وعمروا وعمروا اعمارا طولا (وبوأكم في الارض) أى أنزلكم في أرض الحجرين الحجاز والشام (تخذون من سهولها قصورا) أى تبنيون من سهولة الارض قصورا بجماعة ملون منها من الرهص والابن والآجر للصيف وسهيت القصور بذلك لقصور الفقراء عن تحصيلها وجسهم عن نيلها (وتتحتون الجبال بيوتا) أى وتتقنون في الجبال بيوتا للشتاء وذلك لطول أعمارهم فان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم فكان عمر واحد منهم ثلاث مائة سنة الى ألف سنة كقوم هود (فاذكروا آلاء الله) أى نعمة الله عليكم بقولكم فانكم متنعمون مترفهون (ولا تعثوا في الارض مفسدين) أى ولا تعملوا في الارض شيئا من أنواع الفساد (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم) أى قال الجماعة الذين تكبروا عن الايمان بصالح للمساكين الذين آمنوا به فقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل وضمير منهم راجع لقومه أى قالوا للمؤمنين الذين استردوهم بطريق

الاستهزاء بهم (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) اليكم (قالوا) انما أرسل به مؤمنون) أى  
 نحن مصدقون بما جاء به صالح (قال الذين استكبروا) عن امتثال أمر ربهم وهو الذى أوصله الله  
 اليهم على لسان صالح بقوله فذروها تأكل فى أرض الله (انما بالذى آمنتم به كافرين ففقروا الناقة) أى  
 قتلها قدار بن سالف بأمرهم فى يوم الاربعاء فقال لهم صالح ان تصبحوا غدا حمر اصغرا  
 ثم ان تصبحوا فى يوم الجمعة حمر اثم ان تصبحوا يوم السبت سودا ثم يصبحكم العذاب يوم الاحد (وعتوا عن  
 أمر ربهم) أى ارتفعوا فابوا عن قبول أمر ربهم الذى أمرهم صالح (وقالوا) استهزاء (يا صالح ائتنا بما  
 تعدنا) أى من العذاب (ان كنت من المرسلين) فانهم كذبوا صالحا فى قوله ولا تمسوها بسوء فإخذكم  
 عذاب أليم (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء (فأصبحوا فى  
 دارهم جاثين) أى فصاروا فى بلدتهم خامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول  
 العذاب من غير اضطراب ولا حركة روى أنه تعالى لما أهلك عادا أقام عهود مقامهم وطال عمرهم وكثر  
 تنعمهم ثم عصوا الله وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا وكان منهم فطال به وبالمجزة فقال ما تريدون  
 فقالوا اتخرج معنا فى عيدنا ونخرج أصناما فتنسأل الهك ونسأل أصنامنا فإذا ظهر أثر دعائك اتبعناك وان  
 ظهر أثر دعائنا اتبعتنا فخرج معهم ودعوا أوثانهم فلم تجبهم ثم قال سيديهم جندع بن عمرو وصالح عليه  
 السلام وأشارا إلى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لتلك الصخرة كاتبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة  
 كبيرة جوفاء وبراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليهم الموائيق أنه ان فعل ذلك آمنوا فقبلوا  
 فصلى ركعتين ودعا الله تعالى فتمحضت تلك الصخرة كما تمحض الحامل ثم انفرجت عن ناقة عشر  
 جوفاء وبراء وكانت فى غاية الكبر ثم نجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع ورهط من قومه وأراد  
 أشراف ثمود أن يؤمنوا به فنهاهم ذؤاب بن عمرو والحياب صاحباً أوثانهم ورباب بن صمير كاهنهم فكثت  
 الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترده غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فإ  
 ترفع حتى تشرب كل ما فيها ثم تفرج بين رجليها فيجلبون ماشا واحتى غملى أو أيهم فيشربون ويدخرون  
 وكانت اذا وقع الحرت تصيفت بظهر الوادى فيهرب منها أنعامهم واذا وقع البرد تشتت بطن الوادى فتهرب  
 مواشيهم فشق ذلك عليهم وزينت عقيرها لهم امرأتان عنيزة وصدقة لما أضرت به من مواشيهم  
 فقعرها واقتسموا الحما وطبخوه فرقى ولدها جبلاسمى بقارة فرغانا لانا وقال صالح عليه السلام  
 لهم أدركوا الفصيل عسى أب يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفتحت الصخرة بعد رجائه فدخلها  
 فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم حمرة واليوم الثالث وجوهكم  
 مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فانجاء الله تعالى إلى أرض فلسطين  
 ولما كان اليوم الرابع واشتد الغم تحنطوا بالصبر وتكفوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء  
 ورجفة من الأرض فتقطع قلوبهم وهلكوا (فتولى عنهم) أى خرج صالح من بينهم قبل موتهم  
 (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونهضت لكم) أى بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن  
 لم تقبلوا منى ذلك كما قال (ولكن لا تحبون الناصحين) أى لم تطيعوا الناصحين بل تمروا على عداوتهم  
 وروى أن صالحا خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم  
 قد هلكوا وكانوا ألفا وخمس مائة دار (ولوطا) أى وأرسلنا لوطا ابن هارن إلى قومه أى فارسه الله تعالى  
 إلى أهل سدوم وهى بلد بمصر (اذ قال لقومه) أى وقت قوله لهم فارسه الله اليهم لم يكن فى أول وصوله



اليهم) أتأتون الفاحشة) أى أتفعلون اللواط (ما سبقكم بها) أى يهده الفاحشة (من أحد من العالمين) قال محمد بن اسحق كانت لهم غار وقرى لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فأزدهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فألح عليهم فقصدهم فاصابوا غلما ناحسانا فاستحكم فيهم ذلك (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أى انكم لتأتون أديبار الرجال مجرد الشهوة لا للولد ولا لللفة متجاوزين فروج النساء اللاتي هن محال الاشتباه وقرأنا نافع وحفص عن عاصم انكم بهمزة واحدة مكسورة على الخبر المستأنف وهو بيان لتلك الفاحشة وقرأ ابن كثير بهمزتين بدون ألف بينهما وبتسهيل الثانية وأبو عمر وكذلك لكنه أدخل الألف بينهما وهشام بتحقيق الهمزتين بينهما مد والباقيون بتحقيقهما من غير مد بينهما على الأصل وهذا الاستفهام معناه الانكار (بل أنتم قوم مسرفون) أى تجاوزون الحلال الى الحرام وأنتم قوم عادتكم الزيادة في كل عمل (وما كان جواب قومه الا أن قالوا) أى ما كان جوابا من جهة قومه شئ من الاشياء في المرة الأخيرة من مررات المحاورة بينهما وبينهم الا قولهم لبعضهم الآخرين المباشرين لتلك الامور معرضين عن مخاطبة لوط عليه السلام (أخرجوهم) أى لوطا وابنتيه زعورا وريثا (من قريبتكم) سذوم (انهم أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن أديبار الرجال قالوا ذلك على سبيل السخرية بلوط وأهله وعلى سبيل الافتخار بما هم فيه (فأنجيناه) أى لوطا (وأهله) وهم بنتاه (الامراته) الكافرة واممها واهله (كانت من الغابرين) أى الباقيين في ديارهم فهلكت في العذاب مع الهالكين فيها لانها تسرا الكفر موالية لاهل سذوم وأما لوط فخرج مع بنتيه من أرضهم وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم وهو في فلسطين (وأمطرنا عليهم مطرا) أى وأرسلنا عليهم ارسالا المطر أجزا حروقا قاممجهونا بالكبريت والنار قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة وقييل المعنى وأترتنا على الحار جين من المداين الخمسة حجارة من السماء معلمة عليها اسم من يرمى بها وروى أن تاجر منهم كان في الحرم فوقف الحجر له أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فانظر كيف عاقبة المجرمين) أى فانظر يا من يتأتى منه النظر كيف أمطر الله حجارة من طين مطبوخ بالنار متتابع في النزول على من يعمل ذلك العمل المحصوص وكيف أسقط مدائنهم مقلوبة الى الأرض (والى مدين أخاهم) أى وأرسلنا الى أولاد مدين ابن ابراهيم عليه السلام أخاهم في النسب لافى الدين (شعيبا) ابن ميكيل وقييل شعيب ابن ثويب بن مدين بن ابراهيم (قال) لقومه وهم أهل كفرو بنحس للكيل والميزان (يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره قد جاءكم بينة) أى مهيضة (من ربكم) دالة على رسالة الله وعلى صدق ما جئت به ومن معجزات شعيب أنه دفع عصاه الى موسى وتلك العصا حاربت التنين وأنه قال لموسى ان هذه الاغنام تلد ولادافها سواد في أوائلها وبياض في آخرها وقد وهبتها لمنك فكن الامر كما أخبر عنه وأنه وقع على يد عصا آدم عليه السلام فان جميع ذلك كان قبل استنباء موسى عليه السلام وقييل ان المراد بالبينه نفس شعيب عليه السلام (فأوفوا الكيل والميزان) أى أتموا كيل المكيال ووزن الميزان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى ولا تنقصوا حقوق الناس بجميع الوجوه كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الاموال بطريق الخيل وقييل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تفسدوا في الأرض) بالعاصي (بعدا صلاحها) بعدا أصلها

الله بتكثير النعم فيها قال ابن عباس كانت الارض قبل أن يبعث الله شعيبا رسولا تعمل فيها المعاصي  
 وتستحل فيها المحارم وتسفل فيها الدماء فذلك فسادها فلما بعث الله شعيبا ودعاهم الى الله صلحت الارض  
 وكل نبي يبعث الى قومه فهو صلاحهم وحاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى اصلين أحدهما التعظيم  
 لامر الله ويدخل فيه الاقرار بالتوحيد والنبوة وثانيهما الشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك الخس  
 وترك الفساد (ذلكم) أي هذه الامور الخمسة (خير لكم) مما أنتم فيه في طلب المال لان الناس  
 اذا علموا منكم الوفاء والصدق والامانة رغبوا في المعاملات معكم فكثرت أموالكم (ان كنتم مؤمنين)  
 أي مصدقين لي في قولي هذا (ولا تفعدوا بكل صراط توعدون) أي ولا تجلسوا على كل طريق فيه  
 عمر الناس تهددون من مر بكم من الغرباء فكانوا قطع طريق وكنوا مكاسين (وتصدون عن سبيل الله  
 من آمن به) أي وتصرفون عن دين الله من آمن بالله (وتبغونها عوجا) أي وتطلبون سبيل الله  
 معوجة بالقاء الشكوك والشبهات فكانوا يجلسون على الطرق ويقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب  
 ارجع لا يقتلك عن دينك فان آمنت به قتلناك وجملة الافعال الثلاثة التي هي توعدون وتصدون  
 وتبغونها أحوال أي لا تفعدوا موعدين وصادين وباغين (واذكروا) نعمة الله عليكم (اذ كنتم قليلا)  
 بالعدد (فكثركم) بالعدد قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرحى الله تعالى في نسلهما  
 بالبركة فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أي كيف صار آخر امر المشركين قبلكم  
 بالهلاك بتكذيبهم رسلهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به) من الشرائع والاحكام  
 (وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) أي فانظروا أيها المؤمنون والكافرون (حتى يحكم الله بيننا) جميعا  
 من مؤمن وكافر باعلام درجات المؤمنين وباطهار هؤلاء الكافرين (وهو خير الحاكمين) أي انه تعالى  
 حاكم عادل منزله عن الجور (قال الملا الذين استكبروا من قومه) أي قال الجماعة الذين أنفوا من  
 قبول قوله وبالغوا في العتو (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) والظرف متعلق  
 بالانحراج لا بالايان أي والله لنخرجنك واتباعك من مدين (أولتعودن في ملتنا) أي أولتصيرن  
 الى ملتنا (قال أولو كنا كارهين) أي قال شعيب أتصيروننا في ملتكم وان كنا كارهين للدخول فيها  
 (قد افترينا على الله كذبا) عظيمما حيث نزع من الله تعالى ندا (ان عدنا) أي ان دخلنا (في ملتكم  
 بعد ان نجانا الله منها) أي من ملتكم (وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) أي وما يجوز  
 لنا أن ندخل في ملتكم الا أن يأمر الله بالدخول فيها وهيئات ذلك (وسع ربنا كل شيء علما) أي رعا  
 كان في علمه تعالى حصول قاتلنا في هذه القرية من غير أن نعود الى ملتكم بل الله يجعلكم مقهورين تحت  
 أمرنا ذليلين خاضعين تحت حكمنا (على الله توكلنا) أي في أن يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان  
 (ربنا افق بيننا وبين قومنا بالحق) أي ياربنا احكم بيننا بالعدل (وأنت خير الفاتحين) أي الحاكمين  
 أو المعنى اظهر أمرنا حتى ينفع ما بيننا وبينهم بأن تنزل عليهم عذابا يميز به الحق من المبط (وقال  
 الملا الذين كفروا من قومه) أي وقال الرؤساء من قوم شعيب للسفلة (لئن اتبعتم شعيبا) في دينه  
 (انكم اذالحاسرون) في الدين وفي الدنيا لانه ينعكم من أخذ الزيادة من أموال الناس وعند هذا المقال  
 كل حالهم في الضلال والاضلال فاستحقوا الاهلاك (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة المهلكة  
 (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي فصاروا في مساكنهم حامدين ساكنين بلا حياة (الذين كذبوا شعيبا  
 كأن لم يغفوا فيها) أي الذين كذبوا شعيبا استوصلوا بالمرّة وصاروا كأنهم لم يقيموا في قريتهم أصلا أي

عوقبوا بقولهم لنخرجنك يا شعيب و الذين آمنوا معك من قرية يتناوصارواهم المخرجين من القرية اخراجا  
 لا دخول بعده أبدا (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا و دينا دون الذين اتبعوه فانهم  
 الراجحون في الدارين (قتلوا عنهم) أي خرج شعيب من بينهم قبل الهلاك وقال الكلبي ولم يعذب  
 قوم نبي حتى أخرج من بينهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي) بالامر والنهي (ونصحت لكم)  
 أي حذرتم من عذاب الله و دعوتكم الى الايمان والتوبة وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين  
 وكان يتوقع منهم الاستجابة للايمان فلما انزل بهم ذلك الهلاك العظيم بوجود علاماته كعبس الريح  
 عنهم سبعة أيام حصل في قلبه الحزن من جهة القرابة والمجاورة وطوا الألفة ثم عزى نفسه وقال (فكيف  
 آمي) أي أحرز حزننا شيئا (على قوم كافرين) لانهم هم الذين أهل كوا أنفسهم بسبب اصرارهم  
 على الكفر و قيل قال شعيب ذلك اعتذارا من عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد أعذرت اليكم في الا بلاغ  
 والنصيحة مما حل بكم فلم تسعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسي عليكم والمراد انهم لم ليسوا مستحقين  
 بأن يأسي الانسان عليهم وقرأ يحيى بن وثاب فكيف آسي بامالتين (وما أرسلنا في قرية من نبي)  
 فكذبنا أهلها (الاخذنا أهلها) أي ما قبناهم (بالأساء) أي الشدة في أحوالهم كالخوف وضيق  
 العيش (والضراء) أي الامراض والاولجاع (لعلهم يضرعون) أي كي يتذللوا وينقادوا لله تعالى  
 (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي ثم أعطيناهم السعة والعفة بدل ما كانوا فيه من البلاء والمرض  
 لان ورود النعمة في المال والبدن يدعو الى الاشتغال بالشكر (حتى عفوا) أي كثروا في أنفسهم  
 وأما والهم (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما أصابنا وهذه عادة الزمان في أهله فرة يحصل فيهم  
 الشدة والكد ومرة يحصل لهم الرخاء والراحة فصبروا على دينهم فحن مثلهم نفتدى بهم وليست عقوبة  
 من الله بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل فلما لم ينقادوا بالشدة وبالرخاء ولم ينتفعوا بذلك الامهال  
 أخذهم الله بغتة أينما كانوا كما قال تعالى (فأخذناهم) بعد ذلك (بغتة) أي فجاءة بالعذاب (وهم  
 لا يشعرون) أي وقت نزول العذاب ولا يخطر ببالهم شيء من المكارة (ولو ان أهل القرى) الذين  
 أهلكتهم (آمنوا) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (واقفوا) ما نهى الله عنه (لفتحنا  
 عليهم بركات من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والثمار والمواشي وحصول الامن والسلامة  
 وقرأ ابن عامر لفتحنا بتشديد التاء للتكثير (ولكن كذبوا) ذلك ولم يتقوا ما حرمه الله (فأخذناهم)  
 بالحدوبة والعذاب (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي (أفأمن أهل القرى) أي أبعد ذلك  
 أمن أهل القرى (ان يأتيهم بأسنا) أي عذابنا (بيانا) أي ليلا (وهم نائمون) أي غافلون عن  
 ذلك (أو أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا نحيي) أي نهارا (وهم يلعبون) أي يشغلون بما ينفعهم  
 وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر يسكون الواو (أفأمنوا مكر الله) أي عذاب الله (فلا يامن مكر الله الا  
 القوم الخاسرون) وهم الذين لا يعرفون دينهم لغفلتهم فلا يخافونه وسمى العذاب مكر الزول بهم من  
 حيث لا يشعرون (أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) قرأ  
 الجمهور يهد بالياء من تحت أي أولم يبين للذين يرثون أرض مكة من المتقدمين ويسكنونها من بعدهم هلاك  
 أهلها تعذيبنا يا هم بسبب ذنوبهم لو شئنا ذلك كما عذبنا من قبلهم وفاعل يهد مصدر مؤول من ان وما في  
 خبرها ان نزل يهد منزلة اللازم والا ففعوله محذوف والتقدير أولم يوضح للوارثين أرض مكة من بعدهم هلاك  
 أهلها لما عاقبه أمرهم ان الشأن لو نشاء الاصابة أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكتهم الوارثين

كما أهلكنا المورثين (ونطبع على قلوبهم - م) أي إن لم نهلكهم بالعقاب نطبع على قلوبهم - م (فهم  
 لا يسمعون) أي لا يقبلون موعظة من أخبار الأمم المهلكة والمراد بالاهلاك والاهلاك واما الطبع على القلب  
 لان الاهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب فاذا أهلك شخص يستحيل ان يطبع على قلبه وانما يحصل  
 الطبع حال استمراره على الكفر فهو يكفر أولاً ثم يصير مطبوعاً عليه في الكفر ولم يكن هذا التقرير منافياً  
 لعمدة عطف قوله ونطبع على أصبناهم (تلك القرى) وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم  
 شعيب (نقص عليك) يا كرم الرسل (من أنبأها) كيف أهلكنا وأغناخص الله أنبأ هذه القرى  
 لأنهم أغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم فتوهموا أنهم على الحق فذكرها الله تعالى تنبيهاً لقوم محمد صلى  
 الله عليه وسلم ليحترزوا عن مثل تلك الاعمال (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) أي وباللغة لجداء كل أمة من  
 تلك الأمم المهلكة أنبياءهم الذين أرسلوا اليهم بالمعجزات الواضحة الدالة على صحة رسالتهم الموجهة للايمان  
 (فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا من قبل) أي فبعد رؤية المعجزات ما كان أولئك الكفار ليؤمنوا بالشرائع  
 التي كذبوها قبل رؤية تلك المعجزات والمعنى كانت كل أمة من أولئك الأمم في زمن الجاهلية يتسامعون  
 بكلمة التوحيد من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجي نبيهم الذي أرسل اليهم كحالهم قبل ذلك  
 كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) أي مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب  
 كفار الأمم الحالية يطبع على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم ان لا يؤمنوا أبداً (وما وجدنا لأكثرهم  
 من عهد) أي وما وجدنا أكثر الناس على ايمان كما قاله ابن مسعود أو على عهد أول وهو الذي هادهم الله  
 وهم في صلب آدم حيث قال ألتبر بكم قالوا بلى فلما أقروا برؤية الله تعالى في علم الازم خالفوا ذلك في  
 هذا العالم صار كانه ما كان لهم عهد (وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي وان الشأن والحديث وجدنا أكثر  
 الأمم في عالم الشهادة خارجين عن الطاعة صارفين عن الدين (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد انقضاء  
 الرسل المذكورين أو من بعده هلاك الأمم المحكية (موسى يا أتينا) التسع الدالة على صدقه (الى فرعون)  
 واسمه قابوس وقيل اسمه الوليد بن مصعب بن ريان وكان ملكه أربع مائة سنة وهاش ستمائة وعشرين  
 سنة ولم ير في تلك المدة مكر وهاقط من وجع أو حسي أو جوع ولو حصل له ذلك لما ادعى الربوبية  
 (وملئه) أي عظماء قومه (فظلموا بها) أي بتلك الآيات أي وضعوا الانكار في موضع الاقرار  
 ووضعوا الكفر في موضع الايمان وذلك ظلم منهم على تلك الآيات الظاهرة (فانظر) أيها المخاطب  
 بعين عقلك (كيف كان عاقبة المفسدين) وكيف فعلنا بهم (وقال موسى يا فرعون اني رسول) اليك والى  
 قومك (من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) وقرأنا قع على بتشديد الياء لتحقيق  
 مستدأ وخبره ما دخلت عليه ان أي واجب على ترك القول على الله الا بالحق والباقيون بعد اللام والمعنى  
 أنا ثابت بان أقول على الله الا الصدق وقرأ أبي بان لا أقول بالباء وقرأ عبد الله والاعمش ان لا أقول بدون  
 حرف جر (قد جئتكم ببينة) أي مجهزة شاهدة على رسالتى (من ربكم فارسل معي بني اسرائيل) أي  
 نخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم مع أمواهم فكان فرعون عاملهم معاملة  
 العبيد في الاستخدام (قال) أي فرعون (ان كنت جئت بأية فأت بها) أي ان كنت جئت بأية  
 من عندي أرسلتك فاحضرها عندي ليثبت صدقك (ان كنت من الصادقين) في دعواك انك رسول  
 (فأتني) موسى (عصاه فاذا هي ثعبان) أي حية ضخمة صفراء ذكر (مبين) أي ظاهر لا يشك في كونه  
 ثعباناً روى أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر فاغرافاه بين لحبيه ثم انون ذراعاً وضع لحبيه الاسفل على

الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه فحفر فرعون ليبتلعه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث  
 وانهمز الناس من دحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا فصاح فرعون ياموسى أنشدك بالذى أرسلتك خذ  
 وأنا أومن بك وأرسل معك بنى إسرائيل فأخذه فعاده موسى (وتزع يده) أى أخرجها من طوق قبضه (فاذا  
 هى بيضاء) بياض نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس (لئلا تخرب) قال الملائكة قوم فرعون (أى الرؤساء  
 منهم وهم أصحاب مشورته (أن هذا) أى موسى (لساحر عليم) أى حاذق بالسحر فأنهم قالوا ذلك مع فرعون  
 على سبيل التشاور (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى من أرض مصر (فاذا أتوا مصر) قالوا لفرعون  
 خدمه ولا كابر فإن الاتباع يفوضون الأمر والنهى إلى المخدوم والمتبوع أولا ثم يذكرون ما حضر في  
 خواطرهم من المصلحة بقولهم أرحه وأخاه قال تعالى (قالوا أرحه) فيه ست قراءات ثلاثة بإثبات الهمزة التي  
 بعد الجيم وهى كسر الهماء من غير أشباع لابن ذكوان عن ابن عامر وضعها كذلك لابي هريرة وبأشباع  
 حتى يتولد من النقة واو على الأصل لابن كثير وهشام عن ابن عامر وثلاثة بحذف الهمزة وهى سكن الهماء  
 وصلوا ووقفا لعاصم وحمزة وكسر الهماء من غير أشباع لقانون وبه حتى يتولد منها ياء نافع والكسائي  
 وررش أى آخر أم موسى ولا تهمل في أمره بحكمكم والمراد أنهم حاولوا معارضة مبعوثه بسحرهم ليكون ذلك  
 أقوى في إبطال قول موسى (وأخاه) هرون (وأرسل في المداين حاشرين) أى وأرسل في مداين صعيد مصر  
 شرطا يحشرون اليك ما فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة ومهرتهم في أقصى مداين الصعيد أتوك  
 (بكل ساحر عليم) أى مأهرى السحر وقرأ حمزة والكسائي ومحاركا اتفاقا عليه في سورة الشعراء (وجاء  
 السحرة فرعون) بعدما أرسل الشرط في طلبهم (قالوا ان لنا لأجرا) على الغلبة قرأ نافع وابن كثير  
 وحفص عن عاصم أن بهمزة واحدة والباقيون بهمزتين وأدخل أبو عمر الألف بينهما (ان كنا نحن الغالبين)  
 لموسى (قال نعم) وقرأ الكسائي بكسر العين (وانكم لمن المقربين) أى نعم لكم الاجر ولكم المنزلة  
 الرفيعة عندي زيادة على الاجر أى فاني لا أقصر بكم على الثواب بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة اني  
 أجعلكم من المقربين إلى الله منزلة (قالوا يا موسى امان تلقى) عصاك أولا (واما أن نكون نحن  
 الملقين) ما معننا من الجبال والعصى أولا فلما راعوا حسن الأدب حيث قدموا ذكروا موسى عليه السلام  
 رزقهم الايمان بركة رعاية هذا الادب (قال) موسى مریدا لابطال ما أتوا به من السحر وازراء شأنهم  
 (ألقوا) ما تلقون (فلما ألقوا) عصيا وجبالا (سحروا أعين الناس) أى صرفوها عن ادراك  
 حقيقة ما تخيلوا أحوال العجيبة مع ان الأمر في الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوه قيل انهم أتوا بالجبال  
 والعصى ولطخوا تلك الجبال بالزئبق وجعلوا الزئبق في دواخل تلك العصي فلما أثر تسخير الشمس  
 فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا فالتفت الناس تخيلوا انها تتحرك وتلتوى باختيارها  
 وقدرتها (واستربوهم) أى بالغوا في تخويف عظيم للعوام من حركات تلك الجبال والعصى وخاف  
 موسى ان يتفرقوا قبل ظهور مبعوثه فكان خوفه لأجل فزع الناس واضطرابهم عاروا من أمر تلك  
 الحيات وليس خوفه لأجل سحرهم لانه كان على ثقة من الله تعالى انهم لم يدخلوه وهو قال لهم (وجاؤا  
 بسحر عظيم) في باب السحر وعند السحرة وان كان حقيرا في نفسه قيل كانت الجبال والعصى حمل  
 ثلاث مائة بعير وذلك اهم ألقوا حبالا غلاظا وأخشا باطويلا فاذا هي حيات كأمثال الجبال قدم لأت  
 الوادي يركب بعضها بعضا وكانت سعة الأرض ميلا في ميل فصارت كلها حيات (وأوحينا إلى موسى  
 أن ألق عصاك) ولما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الأفق ثم فتحت فكها فكان

ما بين فكيفها ثمانين ذراعا وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم فلما أخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في أطيم أصلا كما قال تعالى (فأذا هي تلقف) أي تلقم (ما يافسكون) أي الذي يقلبونه عن الحق إلى الباطل (فوقع الحق) أي فظهر الحق مع موسى (وبطل ما كانوا يعملون) أي واضع عمل ما عملوه من السحر وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت ثبت أن ذلك حصل بخلق الله تعالى لاجل السحر (فغلبوا) أي فغلبوا وقومه (هنالك) أي في المكان الذي وقع فيه سحرهم (وانقلبوا صاغرين) أي صاروا ذليلين مهوتين (وألقى السحرة ساجدين) أي خروا وسجدوا لله تعالى أي فمن مرة سجدوا لهم كأنهم ألقوا قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وبلغ ذنب الحية وراه البحر ثم فتحت فاهما ثمانين ذراعا فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففرعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت في يده عصي كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه ليس بسحره فعند ذلك خروا ساجدين (قالوا آمنا برب العالمين) قال فرعون أياي تعنون قالوا لا بل (رب موسى وهارون) ولما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله تعالى في الحال وجعلوا ذلك السجود شكرا لله تعالى على الفوز بالإيمان والمعرفة وعلامة على انقلا بهم من الكفر إلى الإيمان واطهارا للفضوع والتذلل لله تعالى فكأنهم جعلوا ذلك السجود الواحد علامة على هذه الأمور الثلاثة على سبيل الجمع وأولئك القوم كانوا عاقلين بحقيقة السحر فلما وجدوا مهزلة موسى خارجة عن حد السحر علموا أنها أمر إلهي فاستدلوا بها على أن موسى نبي صادق من عند الله تعالى فلاجل كمالهم في علم السحر انتقلوا من الكفر إلى الإيمان فإذا كان حال علم السحر كذلك فما ظنك بكمال حال الإنسان في علم التوحيد (قال فرعون آمنتم به) أي برب موسى وهرون واختلف القراء في هذا الحرف هنا في طه وفي الشعراء فإن القراء في ذلك على أربع مراتب الأولى قراءة الاخوين وأبي بكر عن عاصم وهي تحقيق الهمزتين في السور الثلاث من غير ادخال ألف بينهما وهو استفهام انكار وأما الالف الثانية فالكل يقرؤها كذلك وهي فاء الكلمة يجب قلبها ألفا لكونها بعد همزة مفتوحة وأما الأولى فمحمدة ليس الا والثانية قراءة حفص وهي آمنتم بهمزة واحدة بعدها ألف والثالثة قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر والبرقي عن ابن كثير وهي تحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين والرابعة قراءة قبل عن ابن كثير فقرأ في هذه السورة حال الابداء أنهم همزتين أولا محممة والثانية مسهلة بين بين وألف بعدها قراءة البرقي وحاصل الوصل يقرأ قال فرعون وآمنتم بأبدال الأولى واو وتسهيل الثانية بين بين وألف بعدها وقرأ في سورة طه كقراءة حفص وفي سورة الشعراء كقراءة البرقي (قبل أن آذن لكم) أي بغير أن آذن لكم (إن هذا لكم كرمتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) أي إن إيمان هؤلاء حيلة احتلتوها مع موأطاة موسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى الميعاد وإن غرضهم بذلك إخراج القوم من مصر وإبطال ملكهم وهاتان شبهتان ألقاهما فرعون إلى امهاع عوام القبط لينزعهم بهما عن الإيمان بنبو موسى عليه السلام (فسوف تعلمون) ما أفعل بكم (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي من كل شق طرفا (ثم لا صلبنكم) أي أعاق بكم عذوبة أيديكم لتصير على هيئة الصليب أو حتى يتقاطر صليبكم وهو الدهن الذي فيكم (أجمعين قالوا) أي السحرة (إنا إلى ربنا منقلبون) أي راجعون بالموت بلا شئ سواء كان بقتلك أو لا فيحكم بيننا وبينك وإنا إلى ربنا راجعون (وما ننقم ضالا إلا أن أنابنا) أي ما تعيب علينا إلا إيماننا بآيات ربنا أو ما لنا عندك



ذنب تعذبنا عليه الا لاياننا يا<sup>٢</sup> يا ربنا حين جاءتنا (ربنا افرغ علينا صبرا) أي صب علينا صبرا  
 كاملا تاما عند القطع والصلب لكي لا ترجع كفارا (وتوفنا مسلمين) أي مخلصين على دين موسى  
 قيل فعل فرعون ما توعدهم به وقيل لم يقع من فرعون ذلك بل استجاب الله تعالى لهم الداء في قولهم وتوفنا  
 مسلمين لانهم سألوه تعالى أن يكون توفيتهم من جهته تعالى لا يقتل فرعون (وقال الملا من قوم فرعون) له  
 لما خلى سبيل موسى (أتذر موسى وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا في الارض) أي ليفسدوا  
 على الناس في أرض مصر بتغيير دينهم واعلم أن فرعون بعد وقوع هذه الواقعة كان كلما رأى موسى  
 خافه أشد الخوف فلهذا السبب لم يتعرض له الا أن قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على أخذه وحبسه (ويذكر  
 وآ لهتك) أي مجبوداتك بكسر اللام جمع اله وقرأ ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس وعلي بن  
 أبي طالب والاهتك بفتح اللام ومده أي وعبادتك وقرأ العامة بنصب يذكرك عطف على يفسدوا وأجواب  
 الاستفهام بالوار وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة بالرفع عطف على أتذرا واستثنافا أو حالا وقرئ بالسكون  
 (قال) فرعون لما يقدر على موسى أن يفعل معه مكروها والخوف منه (سنقتل أبناءهم) أي أبناء بني  
 اسرائيل ومن آمن بموسى صغارا كما قتلناهم أول مرة وقرأ نافع وابن كثير سنقتل بفتح النون وسكون  
 القاف والباقيون بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء (ونستحي نساءهم) أي ونتركهن أحياء للخدمة  
 (وانافوقهم قاهرون) كما كنا وهم مقهورون تحت أيدينا وانما ترك موسى وقومه من غير حبس لعدم  
 التفاتنا اليهم لاهلهم ولا خوف واختلاف المفسرون فمنهم من قال كان فرعون يفعل ذلك ومنهم من قال  
 لا يفعل ذلك لعدم قدرته لقوله تعالى ألقا ومن اتبعك الغالبون (قال موسى لقومه) بني اسرائيل حين  
 تضجروا من قول فرعون على سبيل التسلية لهم (استعينوا بالله) على فرعون وقومه (واصبروا) على  
 ما هممت من أقاريله الباطلة (ان الارض) أي أرض مصر (لله يورثها من يشاء من عباده) وقرأ  
 الحسن يورثها بفتح الواو وتشديد الراء المكسورة للتسكين وقرئ يورثها بفتح الراء مبنيًا للفعول (والعاقبة)  
 أي الجنة أو فتح البلاد والنصر على الاعداء (للتقين) أي الذين أنتم منهم فمن اتقى الله تعالى فآله يعينه  
 في الدنيا والآخرة وقرأ ابن مسعود بنصب العاقبة عطف على الارض فالاسم معطوف على الاسم والخبر على  
 الخبر فهو من عطف المفردات (قالوا) أي بنو اسرائيل لموسى لما همعوا تهديد فرعون بالقتل للأبناء  
 مرة ثانية (أوذينا) من جهة فرعون (من قبل أن تأتينا) بالرسالة (ومن بعدما جئتنا) رسولا  
 قالوا ذلك استكشافا لكيفية وعد موسى اياهم بزوال تلك المضار هل هو في الحال أولا لا كراهة لجمع  
 موسى بالرسالة (قال) أي موسى مسليا لهم حين رأى شدة جزعهم عما شاهدوه من فعل فرعون (عسى  
 ربكم أن يهلك عدوكم) الذي توعدكم بأعادة فعله (ويستخلفكم في الارض) أي يجعلكم خلفاء في  
 أرض مصر بعد هلاك أهلها (فينظر كيف تعملون) أي فيرى سبحانه وتعالى كيف تعملون في طاعته  
 وهذا حث لهم على التمسك بطاعة الله تعالى فالله تعالى يرى وقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازي  
 عباده على ما يعمل منهم في الازل وانما يجازيهم على ما يقع منهم (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أي  
 باحتباس المطر والجوع (ونقص من الثمرات) أي ذهب الثمرات باصابة العاهات (لعلهم يذكرون)  
 أي كي يقفوا على أن ذلك لأجل معاصيهم وينزحوا عما هم عليه من العتو والعتاد (فإذا جاءتهم الحسنة)  
 أي الحصب والسعة في الرزق والسلامة (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون من كثرة نعمنا على العادت  
 التي جرت (وان تصيبهم سيئة) أي جدوبة وشدة وبلاء (يطيروا) أي يتشاهوا (بموسى ومن

معه) من المؤمنين أى يقولوا انما اصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه (أذا غا طأثرهم) أى حفظهم  
 (عند الله) أى كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره وقيل المعنى انما جاءهم الشر  
 بقضاء الله تعالى وحكمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتناول ولا يتطير وأصل الغال الكلمة الحسنة  
 كانت العرب مذهبها فى الغال والطيرة واحد فثبت النبي صلى الله عليه وسلم الغال وأبطل الطيرة (ولكن  
 أكثرهم لا يعلمون) أن ما يصيبهم من الله تعالى (وقالوا) أى آل فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام  
 (مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فإنا نكفر لك بعمومين) أى أى شئ تظهره لينا من علامة من عند ربك  
 لتصرفنا عما نحن عليه من الدين بذلك الشئ فإنا نحن لك بصدقين بالرسالة وكان موسى رجلا حديدا فعند  
 ذلك دعا عليهم فاستجاب الله له فقل تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) أى الماء من السماء فدخل  
 بيوت القبط وقاموا فى الماء الى تراقيهم ودام ذلك عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت ولم يدخل ذلك الماء  
 بيوت بني اسرائيل مع انها كانت فى خلال بيوت القبط فاستغاثوا بفرعون فأرسل الى موسى فقال اكشف  
 عنا العذاب فقد صارت مصر يمحرا واحدا فان كشفت هذا العذاب آمنا بك فأزال الله عنهم المطر وأرسل  
 الريح فجفت الارض وخرج من النبات ما لم يروا مثله قط فقالوا هذا الذى جر عنا منه خير لنا السكالم نشعر  
 فلا والله لا نؤمن بك ولا ترسل معك بنى اسرائيل فنسكنوا العهد (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل الله  
 تعالى عليهم (الجراد) فأكل زرعهم وشجارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا الى موسى فدعا  
 موسى عليه السلام فأرسل الله تعالى ريحا فآلقت فى البحر بعدما أقام عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت  
 فنظر أهل مصر الى ما بقى من زرعهم فقالوا هذا الذى بقى يكفينه ولا نؤمن بك (و) أقاموا شهرا فى عافية  
 فأرسل الله عليهم (القمل) أى الجراد الصغير بلا أجنحة من سبت الى سبت فلم يبق فى أرضهم عود أخضر  
 الا أكله فصاحوا ودعا موسى فأرسل الله عليه ريحا حارة فأحرقتهم وألقت فى البحر وقرأ الحسن والقمل  
 بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كتيب أعقر فضر به موسى بعصاه  
 فصارت قلافا أخذت فى إيشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم فصرخوا وفزعوا الى موسى فدعا فرفع  
 الله عنهم القمل وقالوا قد تيقنا اليوم انك ساحر حيث جعلت الرمل دواب وعزة فرعون لا نؤمن بك أبدا  
 (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) فخرج من البحر مثل الليل الدامس ووقع فى  
 الثياب والاطعمة فكان الرجل منهن يسقط وعلى رأسه ذراع من الضفادع فصرخوا الى موسى وحلفوا  
 لئن رفعت عنا هذا العذاب لنؤمن بك فدعا الله تعالى فأما الضفادع وأرسل عليها المطر فاحتلها الى البحر  
 بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت ثم أظهر الكفر (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل  
 الله عليهم (الدم) فصارت مياه قلوبهم وأنهارهم دما فلم يقدروا على الماء العذب حتى بلغ منهم الجهد وبنو  
 اسرائيل يجدون الماء العذب الطيب وكان فرعون وأشراف قومه يركبون الى أنهار بنى اسرائيل فجعل  
 يدخل الرجل منهم النهر فاذا اغترف الماء صار فى يده دما ومكثوا سبعة أيام فى ذلك لا يشربون الا الدم فقال  
 فرعون لموسى عليه السلام لئن رفعت عنا العذاب لاصدق لك ولترسلن معك بنى اسرائيل مع أموالهم  
 (آيات مفصلات) أى مبینات لا يخفى على كل عاقل ان هذه الخمسة من آيات الله التى لا يقدر عليها غيره  
 ومفرقات بعضها من بعض بزمان لا متجان أحوالهم أيقبلون الحجة أو يستمرون على التقليد وكان كل عذاب  
 يبقى عليهم أسبوعا من سبت الى سبت وبين كل عذابين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بها وعن  
 عبادة الله (وكافوا قوما مجرمين) أى مصرين على الذنب (ولما وقع عليهم الرجز) أى كلما نزل عليهم

العذاب من الانواع الخمسة (قالوا) في كل مرة (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما أعلمك به وهو كشف العذاب عنا إن آمننا أو المعنى أقسمنا بعهده الله عندك وهو النبوة (أئن كشفت عنا الرجز) أي لئن رفعت عنا العذاب الذي نزل علينا (لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل) أي مع أموالهم (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل) أي خدمعين (هم بالغوه) لا بد وهو وقت أهلاكهم بالغرق في اليم (إذا هم ينكبون) أي فلما رزقنا عنهم العذاب فأجثوا فأنكث العهد من غير تأمل وتوقف ثم عند حلول ذلك أجل لا تزال عنهم العذاب بل نهلكهم به (فانتقمنا منهم) أي فلما بلغوا الاجل الموقت أهلكناهم (فأغرقناهم في اليم) أي البحر الملح والغاة تفسيرية (بأنهم كذبوا بآياتنا) التسم الدالة على صدق رسولنا (وكلوا عنها) أي تلك الآيات (خافلين) أي معرضين غير ملتفتين اليها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بقتل آبائهم وأخذ الجزية منهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة وهم بنو إسرائيل (مشارك الارض) أي ارض الشام ومصر (ومغارها) (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق وبالنييل (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل) أي ومضى وعده تعالى عليهم (بما صبروا) أي بسبب صبرهم على الشدائد فن قابل البلاء بالصبر وانتظار النصر من الله له الفرج ومن قابله بالجزع وكله الله اليه (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) فرعون سم كان ويصنع خبيرا كان مقدم أي وخر بنا الذين كان فرعون يصنعهم من المدائن والقصور (وما كانوا يعرشون) أي يرفعون من الشجر والكروم أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كمرح هامان وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء والباقون بكسرهما (وجاوزنا بني إسرائيل البحر) مع السلامة بأن فلق الله البحر عند ضرب موسى البحر بالعصا روى ان موسى عبر بهم يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وصاحبه شكر الله تعالى (فأتوا) أي فمروا (على قوم يعكفون على أصنام لهم) أي يواظبون على عبادة أصنام لهم وكانت تماثيل على صور البقر وهم من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرأ حمزة والكسافي بكسر الكاف والباقون بالضم (قالوا) عندما شاهدوا أحوالهم (يا موسى اجعل لنا الها) أي عين لنا تماثيل نتقرب بعبادتها إلى الله تعالى (كألهم آلهة) يعبدونها (قال) موسى (انكم قوم تجهلون) فلا جهل أعظم عما ظهر منهم فأنهم قالوا ذلك بعدما شاهدوا المهزة العظمى (ان هؤلاء) أي القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبرهاهم فيه) أي مهلك ما هم فيه من الدين أي ان الله يهدم دينهم عن قريب ويحطم أصنامهم (وباطل ما كانوا يعبدون) من عبادتها أي فلا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا دفع ضرر (قال) موسى (أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين) أي أطلب لكم غير الله معبودا والحال انه تعالى وحده فضلكم على عاين زمانكم بالاسلام أو فضلكم على العالمين بتخصيصكم بنعم لم يعطها غيركم كالتخصيص بتلك الآيات القاهرة فانه لم يحصل مثلها لاحد من العالمين وان كان غيرهم فضلهم بسائر الخصال مثاله رجل تعلم علما واحدا وآخر تعلم علوما كثيرة سوى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد فضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك الواحد وفي الحقيقة ان صاحب العلوم الكثيرة مفضل على صاحب العلم الواحد والمعنى أأمركم ان تعبدوا ربنا يتخذو يطلب بل الاله هو الذي يكون قادرا على الابداع واعطاء الحياة وجميع النعم (واذ أنجبناكم من آل فرعون) أي واذكروا وقت انجائنا ياكم من فرعون وقومه بأهلاكم بالكلية وقرأ ابن عامر أنجبكم بحذف الياء والنون (يسمونكم سوء العذاب) أي يعطونكم أشد العذاب

يقولون أبناءكم صفارا (ويستحيون نساءكم) أي يستخدمون نساءكم كعذارى (وفي ذلكم) أي  
 الانجاء (بلاء من ربكم عظيم) أي نعمة عظيمة من ربكم ويقال وفي ذلكم العذاب بليّة عظيمة من  
 ربكم (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) روى أن موسى وهو عصر  
 وعدي بنى إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون  
 وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعده بنى إسرائيل  
 فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها وهي شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك بعود  
 خروب فقالت الملائكة كنا نשמ من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر  
 ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكانت فتنة بنى إسرائيل في  
 تلك العشر التي زادها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام (وقال موسى لأخيه هرون) عند ذهابه إلى  
 الجبل للنداء (اخلفني) أي كن خليفتي (في قومي) وراقبهم فيما يأتون وما يذرون (وأصلح)  
 أمور بنى إسرائيل وأمرهم بعبادة الله تعالى وهي صلاحهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) أي ومن  
 دعاك منهم إلى طريق المفسدين بالمعاصي فلا توافقهم (ولما جاء موسى ليقاتنا) أي ليعادنا في مدين في  
 يوم الخميس يوم عرفة فكلّمه الله تعالى فيه من غير واسطة فأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر  
 (وكلمه ربه) أي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعه من كل جهة (قال رب أرني أنظر إليك)  
 أي أرني ذاتك بأن تمكنني من رؤيتك فأراك (قال) تعالى له (لن تراني) أي لن تقدر أن تراني في  
 الدنيا يا موسى (ولكن انظر إلى الجبل) في مدين (فإن استقر مكانه فسوف تراني) أي فإن استقر  
 الجبل مكانه لرؤيتي فلعلك تراني والرؤية متأخرة عن النظر لانه تقلب الحدقة السليمة جهة المرفى التماسا  
 لرؤيته والرؤية الإدراك بالباصرة بعد النظر (فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا) أي فلما أظهرت عظمته تعالى  
 لجبل زبير جعله مكسورا قيل إن جبل زبير أعظم جبل في مدين فانه صار ستة أجيال فوق ثلاثة منها  
 بالمدينة وهي أحدو ورقان ورضوى ووقع ثلاثة بكة وهي ثور ونبير وحراء أي أهلك الله تعالى ملائكة  
 السماء السابعة بحمل عرشه فلما بدأ نور العرش انصدع الجبل من عظمة الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي  
 دكا بالمد أي مستويا بالارض وقرأ ابن وثاب دكا بضم الدال وبالقصر جمع دكا أي قطعاً (وخر موسى  
 صعقا) أي مغشيا عليه من هول ما رأى من النور (فلما أفاق) من غشيقته (قال سبحانك) أي  
 تقريها لك عن أن ترى في الدنيا (تبت إليك) من الجراءة على السؤال بغير إذن منك (وأنا أول المؤمنين)  
 أي المقرين بأنك لا ترى في الدنيا الكل إلا نبيا وقد ثبتت الرؤية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء  
 على الصحيح أو يقال وأنا أول المؤمنين بأنه لا يجوز السؤال منك إلا بأذنك (قال) تعالى له (يا موسى  
 اني أصطفيتك) أي فضلتك (على الناس) أي بنى إسرائيل (برسالاتي) أي بكتب التوراة  
 وقرأ نافع وابن كثير برساتي بالافراد أي تبليغ رسالتي (وبكلامي) أي وبكلامي معك بغير  
 واسطة (لهذا آتيتك) أي فأعمل ما أعطيتك من الرسالة أي الوحي (وكن من الشاكرين) أي  
 واشتغل بشكر الفوز بهذه النعمة وهو القيام بأوامرها علما وعملا ولا يضيق قلبك بسبب منعك الرؤية  
 (وكتبنا له في الألواح) أي وكتبنا لموسى في ألواح التوراة (من كل شيء) يحتاج إليه موسى وقومه في  
 دينهم من الحلال والحرام والمحسن والمقبح (موعظة وتقصص لئلا يكل شيء) بدل من قوله تعالى من كل  
 شيء باعتبار محله وهو النصب أي كتبنا له كل شيء من المواعظ التي توجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن

المعصية ومن شرح أقسام الاحكام (لخذها) أى فقلنا عمل هذه الاشياء (بقوة) أى بجذونية صادقة (وامر قومك ياخذوا بأحسنها) أى التوراة أى يعملوا بحكمها ويؤمنوا بعقوباتها وقال بعضهم الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وأحسن هذه الثلاثة الواجبات والمندوبات (سأريكم دار الفاسقين) أى سأدخلنكم الشام بطريق الايراث وأريكم منازل الكافرين الذين كانوا متواطفين فيها من الجسارة والعمالة لتعتبروا بها فلا تفسقوا مثل فسقهم وقرى سأورثكم بالثاء المثلثة (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) أى سأزيل الذين يتكبرون في الارض بالدين الباطل عن ابطال آياتي باهلاكمهم على يد موسى وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فلا يقدر على منع موسى من تبليغها ولا على منع المؤمنين من الايمان بها أى وانما يرى بنو اسرائيل دار الفاسقين بعد هلاكهم (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى وان يشاهدوا كل معجزة كفر وبكل واحدة منها (وان يروا سبيل الرشدة) أى الدين الحق والخير (لا يتخذوه سبيلا) أى لا يسلكوا سبيله وقرأ حمزة والكسائي الرشدة بفتح الراء والشين والباءون بضم الراء وسكون الشين وروى عن ابن عامر بضمين وقال أبو عمرو بن العلاء الرشدة بضم وسكون الصلاح في النظر وبفتحتين الاستقامة في الدين (وان يروا سبيل النقي) أى الضلال (يتخذوه سبيلا) أى يختارونه مسلكا لانفسهم (ذلك) أى تكبرهم وعدم ايمانهم بشئ من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشدة واقبالهم التام الى سبيل النقي (بانهم كذبوا بآياتنا) أى حاصل بسبب انهم كذبوا بكنا الدال على بطلان اتصافهم بالقبائح (وكانوا عنافا فزينا) أى وكانوا جاحدين بها (والذين كذبوا بآياتنا) أى بكنا (واقامه الآخرة) أى وبلغاتهم الآخرة التي هي موعد الجزاء (حبطت أعمالهم) أى حسناتهم التي لا تتوقف على نية كصلة الارحام وافاتة الملهوفين وان نفعتهم في تخفيف العذاب لكن التخفيف لا يقال له ثواب (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى ما يجزون في الآخرة الا على ما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجيلا) أى صاغ موسى السامري المناق وهو من بني اسرائيل من بعد ان طلق سيدنا موسى عليه السلام الى الجبل عجيلا من ذهب (جسدا) آتى بهذا البدل لدفع توهم انه صورة عجل منقوشة على حائط مثلا (له خوار) أى صوت وقرأ على رضى الله عنه جوار بالميم والهمزة أى صياح قيل ان بنى اسرائيل كان لهم عبيد يتزينون فيه ويستعبرون من القبط الحلي فلما أغرق الله القبط بقيت تلك الحلي في أيدي بنى اسرائيل وصارت ملكا لهم لجمع السامري تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم صاغ السامري عجلا وأخذ كفان تراب حافر فرس جبريل عليه السلام فالتقاء في جوف ذلك العجل فانقلب العجل وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الحكم واله موسى (ألم يروا) أى ألم يعلم قوم موسى (أنه) أى العجل (لا يكلمهم) بشئ (ولا يهديهم سبيلا) بوجه من الوجوه (اتخذوه) أى عبدوه (وكانوا ظالمين) لانفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى واشتغلوا بعبادة العجل (ولما سقط في أيديهم) أى لما اشتد ندمهم على عبادة العجل وسقط مبنى للمجهول وأصل الكلام سقطت أفواههم على أيديهم فني بمعنى على وذلك من شدة الندم فان العادة ان الانسان اذا ندم بقلبه على شئ عض بضمه على أصابعه فسقطت افواه على الأيدي لازم للندم فاطلق اسم اللازم وأريد المزموع على سبيل الكتابة (ورأوا أنهم قد ضلوا) أى تبينوا ضلالهم تبيننا كأنهم أبصروهم بعيونهم بحيث تيقنوا ضلالهم بعبادة العجل (قالوا) أى قال بعضهم لبعض

(لئن لم ير حنار بنا ويغفرنا) فيعذبنا (لنكونن من الخاسرين) بالعقوبة وقرأ حمزة والكسائي ببناء الخطاب في الفعلين حكاية لدعائهم وينصب ربنا على النداء (ولما رجع موسى الى قومه) من مناجاته (غضبان) على قومه لاجل عبادتهم الجبل (أسفا) أي حزينا لان الله تعالى فتهمهم (قال) بشما خلفتوني من بعدى) أي بشما فقمتم مقامى وكنتم خلفاى من بعد ان طلاقى الى الجبل وهذا الخطاب اما لعبدة الجبل من السامري من أشياعه أي بشما خلفتوني حيث عبدتم الجبل مكان عبادة الله تعالى واما الهرون والمؤمنين معه أي بشما خلفتوني حيث لم تمنعوه من عبادة غير الله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بشما خلفتوني فلو لم تمنعوه من عبادة غير الله تعالى لم تكن عبادة الجبل من عبادة الله تعالى (أعجلتم أمر ربكم) أي أعجلتم وعد ربكم من الأربعين فلم تصبروا له وذلك أنهم قدروا ان موسى لما رأت على رأس الثلاثين ليلة فقدمت فانهم عدوا عشرين يوما لبلياليها أربعين (وألقي الألواح) أي وضع ألواح التوراة في موضع ليتفرغ لما قصده مكانة قومه فلما فرغ عاد اليها فأخذها بعينها (وأخذ برأس أخيه) أي بشعر رأس هرون (يجره اليه) أي الى نفسه لا على سبيل الإهانة بل ليستكشف منه كيفيته تلك الواقعة (قال) هرون (ابن أم) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن قاصم بكسر الميم هنا وفي طه والباقون بفتحها في السورتين (ان القوم استضعفوني) أي وجدوني ضعيفا (وكادوا يقتلونى) لاني نهيتهم عن عبادة الجبل (فلا شئت من الأعداء) أي فلا يسر الأعداء أصحاب الجبل بما تفعل بي من المكروه (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي ولا تظن أنى واحد من الذين عبدوا الجبل مع براى مني منهم وانما قال هرون تلك المقالة لانه يخاف أن يتوهم جهال بني اسرائيل أن موسى عليه السلام غضبان عليه كما انه غضبان على عبدة الجبل (قال) موسى (رب اغفر لي) فيما أقدمت على أخي هرون من هذا الغضب (ولا تخ) في تركه التشديد على عبدة الجبل (وأدخلنا في رحمتك) أي جنتك بزيادة الانعام بعد غفران ما سلف منا (وأنت أرحم الراحمين) فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا (ان الذين اتخذوا الجبل) أي عبدوه واستمروا على عبادته كالسامري وأشياعه (سينالهم غضب) عظيم كأن (من ربهم) في الآخرة (وذلة في الحياة الدنيا) وهى الاغتراب والسكنة المنتظمة لهم ولا ولادهم جميعا والذلة التى اختص بها السامري هو الانفراد عن الناس والابتلاء بلامساس ويرى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وادامس أحدهم أحدا غيرهم حيا جميعا في الوقت (وكذلك نجزي المقترين) أي الكاذبين على الله والمعنى أن كل مقتر في دين الله فجزاؤه غضب الله والذلة في الدنيا قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا يوجد فوق رأسه ذلة لا ر المبتدع مقتر في دين الله (والذين هموا السيئات) أي التى من جملتها عبادة الجبل (ثم تابوا) عن تلك السيئات (من بعدها) أي من بعد عملها (وآمنوا) ايمانا صحيحا بالله تعالى بأن صدقوا بأنه تعالى لا اله غيره ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى (ان ربك) أي يا أفضل الخلق (من بعدها) أي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان (لغفور) للذنوب وان عظمت وكثرت (رحيم) أي مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخرية أي من أتى بجميع السيئات ثم تاب فان الله يغفره له وهذا من أعظم ما يفعله البشارة للذين (ولما سكت) أي زال (عن موسى الغضب) باعتذار أخيه وتوبة القوم وقرئ سكن بالنون وأسكت بالتاء مع الهـ مزة على أن الفاعل هو الله تعالى وأخوه (أخذ الألواح وفي نسختها) أي وفي المكتوب فيها من الألواح المحفوظ (هدى) أي بيان للحق (ورحمه) للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح (للذين هم لهم رهبون) اللام الاولى متعلق بمحذوف هو صفة لرحمة والثانية لتقوية



عمل الفعل المؤخر (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) روى أن موسى اختار من اثني عشر سبطا ستة فصاروا اثنين سبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لن قعد منكم مثل آخر من خرج ففقد كالب ووشع وذهب مع الباقيين وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم يخرج بهم إلى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوا تعالى يكلم موسى بأمره وينهاه ثم أذ- كشف الغمام فأقبلوا إلى موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة أي لن نصدقك في أن الأمر بما سمعنا من الأصربة لي أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه فأخذتهم رجفة الجبل فأتوا يومًا وإيلة تنبيه اختار يتعدى إلى اثنين ثانيهما مجرور بمن ثم يحذف حرف الجر ويوصل الفعل إلى المجرور وسبعين مفعول أول (فلما أخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أي من قبل خروجهم إلى الميقات (واي) معهم قاله تسليمًا لقضاء الله تعالى أي أنا كذا مستحقين للإهلاك ولم يكن من موافقة الإعدام مشيئتك إياه (أهلككم بما فعل السفهاء منا) أي ظن موسى أنما أهلكهم الله بعبادة قومهم الجهل وقال هذا على طريق السؤال وقال المبرد هو استغفاهم استعطاف أي لا تهلككم بسبب فعل عباد الجهل (ان هي الا فتنتك) أي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء الا محنتك بأن أوجدت في الجهل خوارق اغوا به وأسمعتهم كلامك فافتنوا بذلك حتى طمعوا فيما فوق ذلك (تضل بها) أي بتلك الفتنة (من تشاء) اضلاله فلا يهتدي إلى التثبت (وتهدي من تشاء) هدايته إلى الحق فلا يترزل في أمثاله فيقوى بها إيمانه (أنت ولينا) أي أنت القائم بأمورنا الدنيوية والآخرية (فاغفر لنا) ما قارفناه من المعاصي (وارحمنا) بأفاعة آثار الرحمة الدنيوية والآخرية علينا (وأنت خير الغافرين) لأنك تغفر ذنوب عبادك لا لغرض بل لمحض الفضل والكرم أما غيرك فأنما يتجاوز عن الذنب إما طلبًا للثواب الجزيل أو للثناء الجليل أو دفعًا للريبة الخسيسة من القلب (واكتب لنا) أي أثبت لنا (في هذه الدنيا حسنة) أي نعمة وطاعة (وفي الآخرة) أي واكتب لنا في الآخرة حسنة وهي الجنة (أنا هدنا إليك) أي رجعنا عما صنعنا من المعصية التي جئناك للاعتذار عنها (قال) تعالى (عذابي أصيب به من أشاء) وليس لاحد على اعتراض لأن الكل ملكي وقرأ الحسن من أساء فعل ماض من الأساء واختار الشافعي هذه القراءة (ورحمي وسعت كل شيء) أي ان رحمته في الدنيا سعت الكل وأما في الآخرة فرحمته مختصة بالمؤمنين كما أشار تعالى إليه بقوله تعالى (فسأكتبها) أي فسأثبتها في الآخرة (للذين يتقون) أي الكفر والمعاصي (ويؤتون الزكاة) أي يعطون زكاة أموالهم (والذين هم بآياتنا) أي دلائل وحدانيتنا وقدرتنا (يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) أي الذي لم يعارس القراءة والكتابة ومع ذلك قد جمع علوم الأولين والآخرين (الذي يجذونه) أي يلقون اسمه ونعته (مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل) الذين تعبد بهما بنو إسرائيل (بأمرهم بالمعروف) أي بالتوحيد وبمكارم الأخلاق وبر الوالدين وصلة الأرحام (وينهاهم عن المنكر) أي عبادة الأوثان والقول في صفات الله بغير علم والكفر بما أنزل الله على النبيين وقطع الرحم وعقوق الوالدين (ويحل لهم الطيبات) أي الأشياء المستطابة بحسب الطبع فكل ما تستطيه النفس ويستلذه الطبع فهو حلال الدليل منفصل (ويحرم عليهم الخبائث) أي كل ما يستخبئه الطبع وتستقذره النفس فكل ما يستخبئه الطبع حرام الدليل منفصل وعلى هذا فرع الشافعي تحريم بيع الكلب لأنه روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الكلب خبيث

وخيبت عنه واذا ثبت أن غنه خبيث ثبت أن يكون محرماً ما وانحر محرمة لانهم ارجس والرجس خبيث باطباق  
 أهل اللغة عليه والحديث حرام (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) أي تخفف عنهم  
 ثقلهم والشدائد التي كانت في عباداتهم كقطع أثر البول من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السب  
 وقتل النفس في التوبة وتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وعن عطاء كانت  
 بنو اسرائيل اذا قاموا الى الصلاة لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم تواضعاً لله تعالى فعلى هذا  
 القول الاغلال غير مستعارة أي وكانت هذه الاغلال في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلى الله  
 عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وقرأ ابن عامر  
 وعده أصارهم على الجمع (فالذين آمنوا به) أي بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود كعبد الله بن  
 سلام وأصحابه (وعزروه) أي أعانوه بمنع أعدائه منه (ونصروه) على أعدائه في الدين بالسيف  
 (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي واتبعوا القرآن الذي أنزل مع نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان نبوته  
 ظهرت مع ظهور القرآن وعبر عنه بالنور الدال على كونه مظهر للحقائق (أولئك هم المفلحون) أي  
 الفائزون بالمطلوب في الدنيا والآخرة الناجون من السخط والعذاب لا غيرهم من الامم (قل يا أيها  
 الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض) الذي (لا اله الا هو يحيي ويميت) واعلم  
 أن هذه الدعوى وهي دعوى رسول الله لا تظهر فائدتها الا بتفري راسول ثلاثة أولها اثبات أن للعالم لها  
 حياها ما قادر والذي يدل عليه ما في قوله تعالى الذي له ملك السموات والارض لانه بقدرة عدم حصول  
 مؤثر للعالم في وجوده أو بقدرة كون المؤثر موجبا بالذات لا قاعداً بالاختيار لم يصح القول ببعثة الانبياء  
 عليهم السلام وثانيها اثبات أن اله العالم واحد منزه عن الشر والصد والند واليه الاشارة بقوله تعالى  
 لا اله الا هو لانه اذا لم يثبت كون اله تعالى واحداً لم يكن ارسال الرسل وانزال الكتب جائز لانه بتقدير  
 كون الهين للعالم يجوز أن يكون الانسان الذي يدعو رسل أحدهما مخلوقاً لله الثاني فإيجاب الطاعة  
 على اله الذي لم يخلقه ظلم وباطل وثالثها اثبات انه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والقيامة واليه  
 الاشارة بقوله تعالى يحيي ويميت لانه تعالى لما أحيأ ولا ثبت كونه تعالى قادراً على الأحياء ثانياً ويكون  
 قادراً على ائصال الجزاء لانه بتقدير عدم ثبوت الاعادة كان الاشتغال بالطاعة والاحترار عن المعصية  
 عبثاً ولغوا لما ثبت القول بصحة هذه الاصول الثلاثة ثبت أنه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة  
 الخلق بالتكاليف لان الخلق كلهم عبيده تعالى ولذلك قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي)  
 الذي يؤمن بالله وكلماته) واعلم أن هذا اشارة الى المجزات الدالة على كون محمد نبياً حقا ومجزات  
 رسول الله كانت على نوعين الاول المجزات التي ظهرت في ذاته المباركة وأجلها أنه صلى الله عليه وسلم كان  
 رجلاً آمياً لم يتعلم من أستاذ ولم يطالع كتاباً ولم يتفق له مجالسة أحد من العلماء ومع ذلك فتح الله عليه باب  
 العلم وأظهر عليه القرآن المشتمل على علوم الاولين والآخرين فظهر هذه العلوم العظيمة على من كان  
 صفته أمياً من أعظم المجزات والثاني المجزات التي ظهرت من مخارج ذاته مثل انشقاق القمر ونسوع  
 الماء من بين أصابعه وهي تسمى بكلمات الله تعالى لانها لما كانت أمراً غريبة خارقة للعادة تسمى بكلمات  
 الله كما أن عيسى عليه السلام لما كان حديثه امرأ غريباً مخالفاً للعتاد سماه الله تعالى كلمة وقال ابن عباس  
 ومعنى كلماته بالجمع كتابه وهو القرآن وان قرئ وكلمته بالافراد كان معناه عيسى وهذا تنبيه على ان من  
 لم يؤمن به لم يعتد بآيانه وتعرض باليهود ولما ثبت بالدلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر الله الطريق

الذي به يمكن معرفة شرعه بالتفصيل وهو الرجوع الى أقواله وأفعاله فقال (واتبعوه) أي في كل ما يأتي وما يذرك من أمور الدين (لعلكم تهتدون) أي وجاء لاهتدائكم الى المطلوب (ومن قوم موسى أمة) أي جماعة (يهدون بالحق) أي يدعون الناس الى الهداية بالحق (وبه) أي بالحق (يعدلون) في الأحكام الجارية فيما بينهم فقبل هم اليهود الذين كانوا في زمان الرسول وأسلموا مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وقيل أنهم قوم مشوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف في زمن تفرق بني إسرائيل واحداً منهم البدع وقال السدي وجماعة من المفسرين إن بني إسرائيل لما كفروا وقتلوا الأنبياء بقي سبط من جملة الأثني عشر فاصنعوا وسألوا الله تعالى أن ينقذهم منهم ففزع الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين عند مطلع الشمس على نهر رملي يسمى أردن وهم اليوم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبيلتنا (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً عما) أي فرقنا بني إسرائيل اثنتي عشرة فرقة لأنهم كانوا من اثني عشر رجلاً من أولاد يعقوب وميزنا بعضهم من بعض أسباطاً قائم مقام قبيلة وهو تمييز أو بدل من اثنتي عشرة وأعمال بدل من أسباطاً أي وصيرناهم أعمالاً كل سبط كان أمة عظيمة (وأوحينا الى موسى إذا استسقاء قومه) حين استولى عليه العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم باستسقاء موسى لهم (أن اضرب بعصاك الحجر) الذي معك (فانبعث) أي فضرب فانبعثت (منه اثنتا عشرة عيناً) بعدد الأسباط (قد علم كل أناس) أي كل سبط (مشربهم) أي عينهم الخاصة بهم (وظلنا عليهم الغمام) في التيه من حر الشمس تسير الغمام يسيرهم وتسكن بأقامتهم وتضي لهم في الليل مثل السراج (وأزلنا عليهم المن) وهوشى حلوا كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر الى طلوع الشمس ويأخذ كل إنسان صاعاً (والسلوى) أي الطير السمان بتخفيف اليم وبالقصر وتسوقه الريح الجنوب عليهم فيذبح كل واحد منهم ما يكفيه وهو يوت إذا جمع صوت الرعد فيلهم الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد إلى انقضاء أوانهم ما فيخرج من الجزائر ويتشر في الأرض وخاصيته أن كل لحم يلين القلوب القاسية (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي وقلنا لهم كلوا من مستلذاته من المن والسلوى والمعنى قصر أنفسهم على ذلك المطعوم وعلى ترك غيره فامتنعوا من ذلك وشتموا وسألوا غير ذلك (وما ظلمونا) بمقابلة تلك النعم بالكفران (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بمخالفتهم ما أمر الله به (واذ قيل لهم) أي اذكرباً كرم الرسل لبني إسرائيل وقت قوله تعالى لا سلافهم (اسكنوا هذه القرية) أي قرية الجبارين قوم من بقية هادريسهم عوج بن عنق أي قال الله تعالى على لسان موسى لهم إذا خرجتم من التيه اسكنوا بيت المقدس أو قال لهم على لسان يوشع بعد خروجهم من التيه اسكنوا أريحا (وكلوا منها) أي القرية (حيث شئتم) ومتى شئتم (وقولوا حطة) أي أمرك حطة لنؤوبنا (وادخلوا الباب) أي باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها (مجدداً) شكرنا على إخراجهم من التيه (نغفر لكم خطيئاتكم) وقرأنا فاعوا بن طاهر تغفر بالتاء المغفومة وقرأنا فاع خطيئاتكم بجمع السلامة وابن طاهر خطيئته كم على التوحيد والباقون تغفرونون مفتوحة وأبو عمرو خطاياكم بجمع التكسير والباقون خطيئاتكم بجمع السلامة وفي قراءة يغفر بالياء فعلى هذا لا يقرأ خطايا بالافراد وعلى التاء لا يقرأ خطايا (سنزيد المحسنين) بالطاعة في أحسانهم (فبدل الذين ظلموا منهم) وهم أصحاب الخطيئة (قولاً غير الذي قيل لهم) أي غير الذي أمر لهم بالذي أمرهم من التوبة وقالوا ما كان حطة خنطة وروى أنهم دخلوا زاحفين على أديبارهم استخفاً فأمر الله

تعالى واستهزأهم بمسمى (فأرسلنا عليهم) عقب ما فعلوا من غير تأخير (رجزاً من السماء) أى عذاباً  
كثراً منها وهو الطاعون (بما كانوا يظلمون) أنفسهم لانهم خرجوا عن طاعة الله تعالى روى انه مات  
منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) أى واسأل  
يا أشرف الخلق اليهود المعاصرين لك سؤال تقرير عن خبر أهل المدينة التي كانت قريبة من بحر القلزم  
وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي قرية يقال لها مقنايين مدين وعينونا وسبب نزول هذه الآية ان  
اليهود قالوا لم يصدر من بنى اسرائيل كفروا لمخالفة للرب فأمر الله تعالى أن يسألهم عن حال أهل هذه  
القرية في زمن داود عليه السلام تقرير عافاتهم يعتقدون انه لا يعلم أحد غيرهم فذكر الله لهم قصة أهل تلك  
المدينة فبهتوا وظهر كذبهم (اذ يعدون في السبت) أى يجاوزون حد الله تعالى بأخذ الخيتان يوم السبت  
وقد نها عنه (اذ تأتاهم حيتانهم يوم سبتهم) أى يوم تعظيمهم لامر السبت بالتجرد للعبادة (شرعاً)  
أى ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل (ويوم لا يسبتون) وقرئ شاذة بضم الباء وقرأ على رضى  
الله عنه بضم الباء من الر باعى وعن الحسن بالبناء لأفعل أى لا يدخلون في السبت (لا تأتاهم) قال ابن  
عباس ومجاهدان اليهود أمروا باليوم الذى أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاههم  
الله به وحرم عليهم الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فاذا كان يوم السبت شرعت لهم الخيتان ينظرون اليها في  
البحر فاذا انقضى السبت ذهبت وما تعود الا في السبت المقبل (كذلك) أى مثل ذلك البلاء (نبأهم)  
أى نعاملهم معاملة من يجتبرهم (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم (واذ قالت أمة منهم)  
أى جماعة من أهل القرية من صلاتهم الذين ركبوا الصعب في موعظة أولئك الصيادين حتى أيسوا  
من قبولهم لاقوام آخرين لا يقلعون عن وعظهم رجاء للنفع وطمعاً في فائدة الانتذار (لم تعظون قوماً الله  
مهلكهم) أى مخزهم في الدنيا (أو معذبهم عذاباً شديداً) في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من  
الفسق (قالوا) أى الواعظون (معذرة) قرأ حفص عن عاصم بالنصب أى وعظناهم لاجل  
المعذرة والماقون بالرفع أى وعظتنا معذرة (الى ربكم) لئلا ننسب الى نوع تغريط في النهي عن  
النكر (ولعلمهم يتقون) أى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة (فلما نسوا ما ذكروا به) أى فلما تركوا  
ما وعظوا به بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلاً (أنجيئنا الذين ينهون عن سوء) أى عن  
أخذ الخيتان يوم السبت وهم الفريقان المذكوران (وأخذنا الذين ظلموا) بأخذ الخيتان ذلك اليوم  
(بعذاب بئيس) أى شديد وقرأ أبو بكر بيش على وزن ضيغ وابن عامر بيش بوزن حذر (بما كانوا يفسقون)  
أى أخذناهم بالعذاب بسبب الفسق الذى هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم فالبا آن متعلقان بأخذنا  
(فلما عتوا عما نهوا عنه) أى فلما نوا عن ترك ما نهوا عنه (فلما هم كونا قردة خاسئين) أذلاء بعدا عن  
الناس (واذ تأذن ربك لبيعن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم) أى يذيقهم (سوء العذاب) أى  
واذكر يا أكرم الرسل اذا علم الله أسلاف اليهود على السنة أنبيائهم ان لم يؤمنوا بانبيائهم ان يسلط  
عليهم من يقاثلهم الى ان يسلموا أو يعطوا الجزية وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمتة (انذرك لسريم  
العقاب) اذا جاء وقته لمن عصاه فيعاقبهم في الدنيا ما قبل مجي وقت العذاب فهو شديد الألم (وانه لغفور  
رحيم) لمن تاب من الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام (وقطعناهم في الارض أعمى) أى فرقنا  
اليهود الذين كانوا قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الارض فرقا كثيرة حتى لا تكون لهم شوكة فلا  
يوجد بلد الا وفيه طائفة منهم (منهم الصالحون) وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم أو الذين وراة

نهر الرمل (ومنهم دون ذلك) أى ومنهم من ثبت على اليهودية وخرج من الصلاح (وبلونا هم بالحسنات)  
 أى بالنعم والخصب والعافية (والسيئات) أى بالجدوبة والشدايد (لعلهم يرجعون) أى لكي يرجعوا عن  
 معصيتهم إلى طاعة ربهم فإن كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة بالترغيب والترهيب  
 (خلف من بعدهم خلف) أى جاء من بعدهم هؤلاء الذين وصفناهم بذلك سوء (ورثوا الكتاب) أى أخذوا  
 التوراة من أسلافهم (ياخذون عرض هذا الأدنى) أى متاع الدنيا على تحريف الكلام في صفة محمد صلى  
 الله عليه وسلم وفي الأحكام وهم يستحقرون ذلك الذنب (ويقولون سيغفر لنا وإن ياتهم عرض مثله  
 يأخذوه) أى ويقولون لا يؤاخذنا الله تعالى وإن ياتهم متاع مثل ما أتاهم أمس يأخذوه لحرصهم على  
 الدنيا ولا يستمتعون منه أو المعنى أنهم يتخذون المغفرة من الله تعالى والحال أنهم مصررون على الذنب غير  
 تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق) أى ألم يؤخذ عليهم ميثاق كائن  
 في التوراة أن لا يقولوا على الله الا الصدق وقد منعوا فيها عن تحريف الكتاب وتغيير الشرائع لأجل أخذ  
 الرشوة والمعنى فقيهه افتراه على الله تعالى ففيها من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له الا بالتوبة وإن لا  
 يقولوا عطف بيان للميثاق (ودرسوا ما فيه) أى ذكروا ما في الكتاب لأنهم قرؤوه أو ذكروا ما أخذ  
 عليهم لذلك وهذا عطف على ورثوا أو على ألم يؤخذ فإن المقصود من الاستفهام التقريرى إثبات ما بعد  
 النفي والمعنى قد أخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في ذلك الميثاق (والدار الآخرة) أى الجنة (خير للذين  
 يقيمون) عقاب الله من تلك الرشوة الخبيثة (أفلا تعقلون) إن الدنيا فانية والآخرة باقية وقرأنا نافع  
 وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب التفاتا لهم ويكون المراد إعلاما بتناهي الغضب وتشديد التوبيخ  
 أو يكون خطا بهذه الامة أى أفلا تعقلون حالهم والباقون بالياء على الغيبة مراعاة لها في الغضاير  
 السابقة (والذين يحسبون) قرأه أبو بكر عن طاصم بسكون الميم والباقون بفتحها وتشديد الميم  
 (بالكتاب) أى والذين يعملون بما في الكتاب (وأقاموا الصلاة) وأما أقربت بالذكر لأنها أعظم  
 العبادات بعد الإيمان (إننا لنضيق أجرا المصلين) وهذا الجملة خبر للوصول إلى الربط حاصل بلفظ  
 المصلين لأنه قائم مقام الضمير لا سيما فيه الألف واللام فانها تكفي في الربط عند الكوفيين وقيل الخبر  
 محذوف والتقدير منا بون يقوله تعالى إننا لنضيق اعتراض وهذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه  
 (ولمّا تلقنا ليل الجبل فوقهم كأنه ظلمة) أى واذا كرىا أمرف الخلق إذ قلنا للجبل الذى سمع موهى عليه كلام  
 ربه وأعطى الألواح وجعلناه فوق رؤسهم كأنه سقيفة (وظنوا أنه واقع بهم) إن لم يقبلوا أحكام  
 التوراة: (خذوا ما آتيناكم بقوة) أى وقتلناهم إجمالا بما أعطيناكم بمجد على أحفلك كما ليغفر (واذا كروا  
 ما فيه) من الثواب والعقاب ويقال لحفظوا ما فيه من الأمر والنهى ويقال لعملوا بما فيه من الطلال  
 والحرام (لعلكم تتقون) أى راجين أن تنتظموا في سلك المتقين (واذا أخذ ربك من بنى آدم من  
 ظهورهم ذرياتهم) وقرأه نافع وأبو عمرو وابن طاهر على الجضع والباقون على التوحيد أى واذا كرىا أنكرهم  
 الخلق لليهود حين أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم (وأشهدهم على أنفسهم) قال (ألم  
 نرىكم قالوا بلى شهدنا) وذكر هذه الآية بجزى مجزى تقرير المحبة على جميع المكلفين والمقصود من  
 ذكرها هنا الاحتجاج على اليهود بتشذير الميثاق العام المنتظم للناس كافة ومنعهم عن التقليد  
 وحملهم على الاستدلال وفي تفسير هذه الآية طريقان طريق السلف وطريق الخلف فطريق السلف  
 إن الله تعالى لما خلق آدم أخرج أولاده من آدم كالأزمنة ظهره أى من مسام شعر ظهره إذ تمت كل شجرة

تقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط في النفوذ فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصبيان من  
العرق السائل ثم أخرج من هذا الذر الذي أخرج من آدم ذريته ذرائم أخرج من الذر الآخر ذريته ذرا  
ثم أخرج من الذر الآخر ذريته ذرا وهكذا إلى آخر النوع الانساني والمحصرا لجميع قدام آدم ونظر لهم بعينه  
وخلق الله تعالى فيهم العقل والفهم والنطق وجعل الذر المسلم أبيض والكافر أسود وخاطب الجميع  
بقوله تعالى ألسنتم بركم فقال الجميع بلى أي أنت ربنا ثم أعاد الجميع إلى ظهر آدم ويجب اعتقاد إخراج  
الذرية من ظهر آدم كما شاء الله ومعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم الخ أي استنطقهم  
بربوبيته تعالى فأقروا بذلك وقال الحكيم الترمذي إن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة منه  
تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم وتجلي للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم إيمانهم وطريق  
الحلف إن الله تعالى أخرج الذرية وهم الأولاد من أصلاب آبائهم وذلك لإخراجهم كانوا نطفة  
فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشراسويا وخلقها كامسلا ثم  
أشهدهم على أنفسهم بركب فيهم من دلائل واحدانيته وعجائب خلقه وغرائب صنعه فبالأشهاد  
صاروا كأنهم قالوا بلى وإن لم يكن هناك قول باللسان فمحصل هذه الطريقة أنه لا إخراج ولا قول ولا  
شهادة بالفعل وإنما هذا كله على سبيل المجاز التمثيلي فشبّه حال النوع الانساني بعد وجوده بالفعل  
بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة له الدالة على ربوبيته الله المقتضية لأن ينطق ويقر بعبادتها  
بأخذ الميثاق عليه بالفعل بالاقرار بما ذكره حينئذ فعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألسنتم بركم  
أي ونصب الله لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بعد نزلة من قيل  
لهم ألسنتم بركم قالوا بلى فنزل عليهم من العلم بما وعدهم من منزهة من نزلة الأشهاد والاعتراف على طريقة  
التمثيل والله أعلم بحقيقة الحال (أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا قائلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا  
من قبل) وقرأ أبو عمرو وبالياء على الغيبة والبقاوت بالتاء وفي قوله تعالى شهدنا قولان فقيل أنه من كلام  
الملائكة وذلك لأنهم لما قالوا بلى قال الله تعالى للملائكة أشهدوا فقالوا شهدنا عليهم لثلاثين قولاً قررنا  
أو ثلاثين قولاً أيها الكفرة أو شهدنا عليهم كراهة أن يقولوا وقيل أنه من بقية كلام الذرية أي وأشهدهم  
على أنفسهم بكذا وكذا لثلاثين قولاً يوم القيامة عند ظهور الأمر أن كنا عن هذا قائلين أو كراهة أن  
كراهية أن يقولوا ذلك وعلى هذا التقدير فلا يجوز الوقف عند قوله شهدنا ولا يحسن على بلى وقوله أو  
تقولوا معطوف على أن يقولوا والمعنى أن القصد من هذا الأشهاد لثلاثين قول الكفار إنما أشركنا لأن  
آباؤنا أشركوا من قبل زماننا فقلنا هم في ذلك الشرك وقال الحلف معنى هذه الآية أنا نصبنا هذه الدلائل  
وأظهرناها للعقول كراهية أن يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا قائلين فأنهينا عليهم منبه أو كراهية أن  
يقولوا إنما أشركنا على سبيل التقليد لا بسبب الأدلة على التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في  
الانحراف عنه والاعمال على الاقتداء بالآباء كما قالوا (وكنادريقن بعدهم) لا تقدر على الاستدلال  
بالدليل (أفهل كننا جماع) المنطوق من آياتنا المضلين فأنما أخذناهم على علمهم والمعنى لا يمكنهم الاحتجاج  
بذلك لأنه قامت الحجة عليهم يوم القيامة لا بخبر الرسل أي أنهم بذلك الميثاق في الدنيا فن أنكره كان معاندا  
ناقضاً لأهله وولم يمتهم الحجة ولا تسقط الحجة بنسبائهم بعد أخبار الرسل (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم  
يرجعون) أي مثل ما بينا خبر الميثاق في هذه الآية تبين سائر الآيات ليتدبروها فيرجعوا إلى الحق  
ويعرضوا عن الباطل (واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسخط منها فأتبعه الشيطان فكان من



(الغاوين) أى واتل يا أكرم الخلق على اليهود خبر الذى آتيناك علوم الكتب القديمة والتصرف بالامم  
 الاعظم وهو أحد علماء بني اسرائيل فكان يدعو به حيث شاء فحجاب بعين ما طاب في الحال وكان بحيث  
 اذا نظر رأى العرش وكان في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتبعين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان  
 أول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع وهذا معنى فانسلخ منها أى انسلخ من تلك الآيات انسلاخ الحبة  
 من جلد هابان كغريها فأدركه الشيطان فصار من زمرة الضالين قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد  
 رحمهم الله تعالى نزلت هذه الآية في بلتم بن باعورا وذلك لان موسى عليه السلام قصد بلده الذى هو فيه  
 وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى عليه السلام وقومه وكان محجاب الدعوة وعنده  
 اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبني اسرائيل  
 في التيه بدعائه فقال موسى يارب باى ذنب وقعنا في التيه فقال بدعائه بلم فقال كما سمعت دعاءه على  
 فاسمع دعائى عليه ثم دعا موسى عليه ان ينزع منه اسم الله الاعظم والايمان فسلطه الله عما كان عليه ونزع  
 منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء (ولو شئت انرفعناه بها) أى ولو شئت انرفعناه للعمل بتلك  
 الآيات فكان يرفع منزلته بواسطة تلك الاعمال الصالحة (ولكنه أخلد الى الارض) أى مال الى الدنيا فأثر  
 الدنيا الدنية على المنازل السنية (واتبع هواه) في ايثار الدنيا معرضا عن تلك الآيات الجليلة (فثله كمثل الكلب  
 ان يحمل عليه يلهث أو تركه يلهث) أى صفة بلم كصفتى الكلب في حاتى التعب والراحة فهذا الكلب ان  
 شد عليه لهث وان تركه أيضا لهث لاجل ان ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له فكذلك هذا الحريص الضال  
 ان وعظمته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال طبيعة ذاتية له واللهث ادلاع اللسان  
 بالتنفس الشديد أى فالكلب دائم اللهث سواء أزعجته بالطرد العنيف أو تركته على حاله بخلاف سائر  
 الحيوانات فانه لا يحتاج الى التنفس الشديد الا عند التعب (ذلك) أى المثل السبيى (مثل القوم الذين  
 كذبوا بآياتنا) وهم اليهود حيث أوتوا في التوراة ما أوتوا من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وبشروا  
 الناس باقتراب مبعثه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة (فاقصص القصص) أى  
 فاقصص يا أكرم الرسل على قومك قصص الذين كذبوا أنبياءهم (لعلهم يتفكرون) أى يتعظون  
 (سواء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى سواء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحق عليها  
 وعلمهم بها (وأأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا داخل معه فحكم الصلة أى الذين جمعوا بين  
 التكذيب في آيات الله وظلم أنفسهم خاصة وقرأ الجحدرى سواء مثل القوم (من يهدى الله فهو المهتدى)  
 أى من يخلق الله فيه الاهتداء فهو المهتدى لدينه بآيات الياه وصلا ووقفا عند جميع القراء لثبوتها في  
 الرسم بخلاف ما في الكهف والاسراء (ومن يضل) أى بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة  
 لصرف اختياره جهتها (فأولئك) الموصوفون بالضلالة (هم الخاسرون) أى السكاملون في الخسران  
 في الدنيا والآخرة فالهداية والضلالة من جهة الله تعالى وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية  
 في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعى الى صرف العبد اختياره جهة تحصيله  
 كسائر أفعال العباد (ولقد ذرأنا) أى خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها)  
 بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيل الفهم فلههم وصف أحوال من كثيرا قلوب فاعل به (ولهم أعين  
 لا يبصرون بها) شيئا من المبصرات ابصارا اعتبارا (ولهم آذان لا يسمعون بها) أى شيئا من السموعات  
 سماعا تأمل فلا يفهمون بقلوبهم ولا يبصرون بأعينهم ولا يسمعون بأذانهم ما يرجع الى مصالح الدين

(أولئك) أي الموصوفون بالأوصاف المذكورة (كالأنعام) في انتفاء الشعور (بل هم أضل) من الأنعام لأنها تعرف صاحبها وتطيعه وهو لا الكفار لا يعرفون ربهم ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء أطوع لله من ابن آدم (أولئك هم الغافلون) عما أعد الله لأوليائه من الثواب ولا أعدائه من العقاب (ولله الأسماء الحسنى) أي الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها دلالتها على أحسن المعاني وأشرفها (فادعوه بها) أي فسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يلمدون في أسمائه) أي واجتنبوا الذين يميلون في شأن أسمائه الله تعالى عن الحق إلى الباطل ما بأن يسهوه تعالى بما لا اذن فيه من كتاب وسنة أو بما يوهم معنى فاسد فلا يجوز أن يقال لله تعالى يا محي ولا يا قائل ولا يا طيب ولا يا فقيه ولا يجوز أن يقال لله تعالى يا نجى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه لأن أسمائه الله تعالى توقيفية أي تعليمية من الشرع لا اصطلاحية وقوله تعالى والله الأسماء الحسنى فادعوه بها يدل على أن الإنسان لا يدعوه إلا بتلك الأسماء الحسنى وهذه الدعوة لا تتأتى إلا إذا عرف معاني تلك الأسماء وعرف بالدليل أنه الهاور بما خالقها وصفها بتلك الصفات الشريفة فإذا عرف بالدليل ذلك لم يفتضح أن يدعو به بتلك الأسماء والصفات ثم إن لتلك الدعوة شرائط كثيرة منها أن يستحضر الأمرين عزرة الربوبية وذلة العبودية فهناك يحسن ذلك الدعا ويعظم موقع ذلك الذكر وقرأ حمزة يلمدون بفتح الياء والحاء وواقفه عاصم والكسائي في النهـل (سيجزون) في الآخرة (ما كانوا يعملون) وهذا تهديد لمن الخد في أسمائه الله تعالى (وعمن خلقنا أمة) أي طائفة كثيرة (يهدون بالحق) أي يهدون الناس ملتبسين بالحق ويدلونهم على الاستقامة (وبه يعدلون) أي وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجوزون فيها (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق وهو القرآت سنقر بهم إلى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك لأنهم كلما أوتوا بجرم فقع الله عليهم باباً من أبواب النجاة والخير في الدنيا فيزدادون بطرا وانهم ما كافي الفساد ويتدرجون في المعاصي بسبب ترادف تلك النعم ثم يأخذهم الله تعالى دفعة واحدة على غرتهم أغفل ما يكون (وأمل لهم) أي أمهلهم وأطيل مدة أعمالهم (إن كيدى متين) أي إن استدراجي قوى لا يدافع بقوة ولا بحيلة وسمى العذاب كيداً لأن ظاهره إحسان ولطف وباطنه خذلان وقهر (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) أي أ كذبوا بآياتنا ولم يتفكروا ليس بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم حالة قليلة من الجنون والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للإعلام بأن طول مصاحبته لم له صلى الله عليه وسلم مما يطالعهم على نزاهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة جنون فنانا قصة اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجملة في محل نصب معمولة ليتفكروا (إن هو إلا تذكير مبين) أي ما هو إلا رسول مخوف مظهر لهم في التخويف بلغة يعلمونها (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) أي أ كذبوا بها ولم ينظروا وانظروا في ما يدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة وفي ما خلق الله فيهما من جليل ودقيق ليدلهم ذلك على العلم بوحداية الله تعالى وبساتر شؤنه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها فإن كل فرد من أفراد الأكوان دليل لا تفتح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى التوحيد (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أي وفي أن الشأن عسى أن يكون أجلهم قد اقترب أي لعلمهم يموتون عن قريب فالحسم لا يسارعون إلى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية فهل كوا على الكفر ويصبروا إلى النار (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي فبأي كتاب بعد القرآن يؤمنون إذ لم يؤمنوا به أي لأنهم إذا لم

يؤمنوا بهذا القرآن مع ما فيه من هذه التنبيهات الظاهرة فكيف يرضى منهم الايمان بغيره (من يضل الله فلا هادي له) فان اعراضهم عن الايمان لا ضلال الله اياهم (ويذرهم في طغيانهم) أي ضلالهم (يعمّهون) أي يعميرون وقرآنهم وابن كثير وابن حاصر ونذرهم بالنون والرفع على طريقة الالتفات وأبو عمرو وبالياء والرفع وحزرة والكسائي وبالياء والجزم وقد روى الجزم بالنون عن نافع وأبي عمرو في الشواذ (يسألونك) يا أشرف الخلق سؤال استهزاء (عن الساعة) أي عن وقت القيامة منهم عمل بن أبي قشير وشمويل بن زيد والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة على حين غفلة من الخلق أولان حساب الخلق يقضى فيها في ساعة واحدة أو لانها مع طولها في نفسها كساعة واحدة عند الخلق (أيان مرساها) أي متى حصولها (قل انما علمها عند ربّي) أي انه تعالى قد انفرده بحيث لم يخبر به أحد من ملك مقرب أو نبي مرسل (لا يجلبها لوقتها) أي لا يظهر أمرها الذي تسألونني عنه في وقتها المعين (الاهو) أي لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاعلام الا هو (ثقلت في السموات والارض) أي ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين على أهل السموات والارض فلم يعلم أحد من الملائكة المقربين والانبياء المرسلين متى وقوعها (لا تأتاكم الا بغتة) أي فجأة على غفلة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تغيب الناس فالرجل يصلح ووضعه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفي عنها) أي يسألونك عن كنهه ثقل الساعة مشبهًا حالك عندهم بحال من هو بالغ في العلم بها وحقيقة العلم كأنك مباليغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها (قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي لا يعلمون السبب الذي لاجله أخفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) أي أنا لا أدعي علم الغيب ان أنا الانذير وبشير ونظيره قوله تعالى في سورة يونس ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعًا الا ما شاء الله لكل أمة أجل وقيل ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا أخبرك ربك بالرخص والغلاء حتى نشترى ففريجوا بالارض التي تجذب لتعرج الى الارض الحصبة فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق جاءت ريح في الطريق ففرت الدواب منها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعوت رفاعه بالمدينة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال صلى الله عليه وسلم انظر واين ناقتي فقال عبد الله بن أبي مع قومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت الرجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقتة فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا اكيت وكيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعاق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فانزل الله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله أي ان يفعل بي من النعم والضر (ولو كنت أعلم الغيب) أي جلب منافع الدنيا ودفع مضراتها (لا استكثر من الخير) أي لحصلت كثير من الخير بترتيب الاسباب (وما مسني السوء) لا احترازي عنه باجتنب الاسباب (ان أنا الانذير) من النار (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون) بالجنة والنار (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها الله من ضلع آدم من غير أذى (ليسكن اليها) أي ليستأنس بها (فلما اتغشاها) أي جامعها (حملت حملا خفيفا) في مبادئ الامر (فرت به) أي فاستمرت بالحمل على سبيل الخفة وكنت تقوم وتعدو وتعشى من غير ثقل (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها (دعوا الله ربهما) أي آدم وحواء (لئن آتيتنا صالحا) أي ولد اسويا مثلنا (لنسكون من السابقين)

لنعمائك (فلما آتاها صالحا) أى ولدا آدميا مستويا لالأعضاء خاليا عن العوج والعرج (جعلنا له) تعالى (شركاء فيما آتاها) أى فى تسمية ما آتاها من الولد قيل لما آتاها ذلك الولد السوى الصالح عزما على أن يجعله وقفا على خدمة الله وطاعته وعبوديته على الإطلاق ثم بدأهما فى ذلك فتارة كانوا يتفجعون به فى مصالح الدنيا ومنافعها وتارة كانوا يأمرونه بخدمة الله وطاعته وهذا العمل وإن كان مناقرة وطاعة إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقرين وقيل لما نقل الولد فى بطنها آتاها إبليس فى صورة رجل وقال ما هذا يا حواء أنى أخاف أن يكون كلبا أو بهيمة وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو ينشق بطنك تخافت حواء وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم ير إلا فى هم من ذلك ثم آتاها وقال إن سألت الله أن يجعله صالحا حسبو يا مثلك ويسهل خروجه من بطنك تسميه عبدا للحرث وكان اسم إبليس فى الملائكة كنه الحارث فآدم وحواء سميا ذلك الولد بعبدا للحرث تنبيها على أنه إنما سلم من الآفات ببركة دعاء هذا الشخص المسمى بالحارث فلما حصل الاشتراك فى لفظ العبد لاجرم صار آدم عليه السلام معاتبافى هذا العمل بسبب الاشتراك الحاصل فى مجرد لفظ العبد وهذا لا يقدر فى كون الولد عبد الله من جهة كونه مخلوقا ولا ناقدا كزنا ان حسنات الأبرار سيئات المقرين (فتعالى الله عما يشركون) قيل إن المشركين كانوا يقولون إن آدم عليه السلام كان يعبد الأصنام ويرجع فى طلب الخير ودفع الشر إليها فذكر تعالى قصة آدم وحواء وذكر أنه تعالى لو آتاها ما ولد أسويا صالحا لاستقلوا بشكر تلك النعمة ثم قال تعالى فلما آتاها ما صالحا جعله شركاء فقله تعالى جعله شركاء ورد معنى الاستفهام على سبيل الإنكار والتبديد والتقدير فلما آتاها ما صالحا جعله شركاء فيما آتاها ثم قال تعالى فتعالى الله عما يشركون أى تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبونه إلى آدم (أي يشركون) بالله تعالى فى العبادة (ملا يخلق شيئا) ومن حق المعبود أن يكون خالق العابد والعبد غير خالق لأفعاله لأن من كان خالقا كان الها فلو كان العبد خالقا لفعال نفسه كان الها ولما كان ذلك باطلا علمنا أن العبد غير خالق لأفعاله نفسه (وهم) أى الأصنام (يخلقون) فهى مخرقة أو المعنى والكافرون مخلوقون فلو تفكروا فى ذلك لآمنوا ولا يشركون بالخالق شيئا (ولا يستطيعون) أى الأصنام (لهم) أى لعبدتهم (نصرأولا أنفسهم ينصرون) أى إن الأصنام لا تنصرون أطاعها ولا تدفع عن أنفسها كروها فان من أراد كسر هالم تقدر على دفعه عنها والمعبود يجب أن يكون قادرا على إيصال النفع ودفع الضرر وهذه الأصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل عبادتها (وان تدعوهن إلى الهدى لا يتبعوكم) أى وان تدعوا يا معشر الكفار الأصنام إلى أن يهدوكم إلى الحق لا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أذعوتهم أم أنتم صامتون) أى مستوتو عليكم فى عدم الافادة دعاءكم لهم وسكوتكم فلا يتغير حالكم فى الحالين كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) أى ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام وتسمونهم آلهة مماثلة لكم من حيث انهم أعمالوكة لله تعالى مسخرة لأمراء عاجزة عن النفع والضرر (فادعوهن) فى جلب نفع أو كشف ضرر (فليست يجيبوا لكم ان كنتم صادقين) فى ادعاء انهم آلهة ومستحقون للعبادة (ألهم أرجل يحشون بها أم لهم أيدي يطشون بها) أى بل ألهم أيديا خذون بها ما يريدون أخذ (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم على أعمال ان النافية عمل ما العجازية أى ما الذى تدعون من دونه تعالى عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم أرجل الخ تقرير

لتقى المائلة باثبات النقصان (قل ادعوا شركاءكم) قال الحسن ان مشركي أهل مكة كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتكم فقال الله تعالى له قل يا أكرم الرسل لهم ادعوا آل هتكم واستعينوا بهم في عدواني (ثم كيدوني) أي اعملوا أنتم وألهتكم في هلاكى وبالغوا في تهمة ما تقدرون عليه من مكر (فلا تنظرون) أي اعملوا أنتم وألهتكم في كيدى ولا تؤجلون فاني لا أبالي بكم وبآلهتكم لا اعتمادى على حفظ الله تعالى (ان ولي الله الذي نزل الكتاب) أي ان ناصرى هو الله الذي أنزل الكتاب المشتمل على هذه العلوم العظيمة النافعة (وهو يتولى الصالحين) أي ينصرهم فلا تضرهم عداوة من عاداهم وروى ان عمر بن عبد العزيز ما كان يدخل ولا ولد له شيئاً ف قيل له في ذلك فقال ولدى اما ان يكون من الصالحين أو من المجرمين فان كان من الصالحين فويله الله ومن كان الله له ولياً فلا حاجة له الى مالى وان كان من المجرمين فقد قال تعالى فلن أكون ظهير للمعجمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاح مهماته (والذين تدعون من دونه) أي والذين تعبدونهم من دون الله تعالى من الاصنام (لا يستطيعون نصركم) في أمر من الامور (ولا أنفسهم ينصرون) أي ينعون عيار ادبهم فكيف أبالي بهم (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا) أي وان تدعوا أيها المشركون تلك الاوثان الى أن يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم لا يجيبوا دعاءكم فضلاً عن المساعدة لانهم أموات غير احياء (وتراهم ينظرون اليك) أي وترى يا ثمر بن الخلق الاصنام يشبهون الناظرين اليك لانهم مصورون بالعين والاذن (وهم لا يبصرون) أي والحال انهم غير قادرين على الابصار لانهم أموات غير احياء (خذ العفو) أي اقبل المسور من أخلاق الناس من غير تجسس لتسلا تتولد العداوة أو المعنى خذ ما تيسر من المال فما أتوك به نخذه ولا تسأل عما وراء ذلك (وأمر بالعرف) أي باظهار الدين الحق (وأعرض عن الجاهلين) من غير عماراة ولا مكافأة قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال يا محمد ان ربك يقول هو ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال أهل العلم تفسير جبريل مطابق للفظ الآية لانك لو وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا أثبت من حرمك فقد أثبت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين أو ما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) أي ان يصيبنك وسوسة من الشيطان فالتمجى اليه تعالى في دفعه عنك (انه ميسع عليم) أي انه تعالى ميسع باستعاذتك بلسانك (عليم) بما في ضميرك من استحضار معاني الاستعاذة والقول للساني بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والاثر وروى أنه لما نزلت تلك الآية السكرية قال صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب متحقق فنزل قوله تعالى واما ينزغك من الشيطان نزغ (ان الذين اتقوا) أي اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها (اذا مسهم طائف من الشيطان) أي اذا أصابهم وسوسة من الشيطان وغضب (تذكروا) ما أمرهم الله به من ترك امضاء الغضب ومن أن الانسان اذا أمضى الغضب كان شريكاً للسباع المؤذية والحيات القاتلة وان تركه واختار العفو كان شريكاً لكبرا الانبياء والاولياء ومن أنه ربما انقلب ذلك الضعيف قوياً قادراً على الغضب حينئذ ينتقم منه على اسوأ الوجوه أما اذا عفا كان ذلك احساناً منه الى ذلك الضعيف (فاذا هم مبصرون) أي اذا حضرت هذه التذكريات في عقولهم ففي الحال يحصل الخلاص من وسوسة الشيطان ويحصل الانكشاف فينتهون عن المعصية (واخوانهم دونهم في النجى) أي واخوان الشياطين من الكفار يقوون الشياطين في الضلال وذلك لان شياطين الانس اخوان لشياطين الجن فشياطين الانس يضلون الناس فيكون ذلك تقوية منهم لشياطين الجن على الاضلال (ثم لا يقصرون) أي لا ينكف

الغافرون عن الضلال والمغفون عن الاضلال (واذا لم تأتهم) أى أهل مكة (بآية) كما طلبوا  
(قالوا ولا اجتبيتها) أى هلا جمعتهما من تلقاء نفسك تقول فانهم يزعمون ان سائر الآيات كذلك أو هلا  
اقترحتم على الهل ان كنت صادقاً في ان الله يقبل دعاءك ويحبب التماسك وعنده هذا أمر الله رسوله  
أن يذ كر الجواب الشافي بقوله تعالى (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي) أى ليس لى أن أقترح على  
ربي في أمر من الامور وانما انتظر الوحي فكل شئ أكرمنى به قلته والافال واجب السكوت وترك  
الاقتراح فعدم الاثبات بالمجرات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه  
صلى الله عليه وسلم معجزة باهرة فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية في تصحيح النبوة فكان طلب  
الزيادة من باب التعمت فذكر الله تعالى في وصف القرآن ثلاثة بقوله تعالى (هذا) أى القرآن  
(بصائر من ربكم) أى بمنزلة البصائر للقلوب فيه تبصر الحق وتذكر الصواب (وهدى ورحمة لقوم  
يؤمنون) بالقرآن فالقرآن في حق أصحاب العلم اليقين وهم الذين وصلوا الى درجات المستدلين هدى وفي حق عامة المؤمنين رحمة (واذا  
قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وهذا خطاب مع الكفار عند قراءة الرسول عليهم السلام القرآن في  
مسلك الاحتجاج بكونه معجزاً على صدق نبوته فانهم قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون  
فأمروا بالاستماع حتى يمكنهم الوقوف على ما في القرآن ولذا قال تعالى (لعلكم ترحمون) أى لعلكم  
تطلعون على ما في القرآن من دلائل العجز فتؤمنوا بالرسول فتصيروا مرحومين (واذ كر ربك في  
نفسك) أى اذ كر ربك عارفاً بعاني الاذكار التي تقولها بلسانك مستحضراً الصفات السكالية والعز والعلو  
والجلال والعظمة وذلك لان الذكر باللسان اذا كان عارياً عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة (تضرعاً  
وخيفة) أى متضرعاً وخائفاً ما في تقصير الأعمال أو في الحاجة أو في أنه كيف يقابل نعمة الله التي  
لا حصر لها بالطاعة الناقصة والاذا ذكراً ناقصة (ودون الجهر من القول) أى متوسطاً بين الجهر  
والخفاقة بأن يذ كر الشخص ربه على وجه يسمع نفسه (بالغدو والآصال ولا تسكن من الغافلين) والمعنى  
أن قوله تعالى بالغدو والآصال دل على أنه يجب أن يكون الذكر خاصاً في كل الاوقات وقوله تعالى  
ولا تسكن من الغافلين يدل على أن الذكر القلبي يجب أن يكون دائماً وأن لا يغفل الانسان لحظة واحدة  
عن استحضار جلال الله بقدر الطاقة البشرية وتحقيق القول أن بين الروح والبدن علاقة عجيبه لان كل  
أثر حصل في جوهر الروح نزل منه الى البدن وكل حالة حصلت في البدن صعدت منه تتأفج الى الروح  
ألا ترى ان الانسان اذا تخيل الشئ الحامض ضرر سسنه واذا تخيل حالة مكر وهوة وغضب مخن بدنه  
فهذه آثار تنزل من الروح الى البدن واعلم أن قوله تعالى واذا كر ربك في نفسك وان كان ظاهراً خطاباً مع  
النبي صلى الله عليه وسلم الا أنه عام في حق كل المكلفين ولكل أحد درجة مخصوصة بحسب استعداد  
جوهر نفسه الناطقة (ان الذين عند ربك) أى ان الملائكة مع غاية طهارتهم وبراهتهم عن بواعث  
الشهوة والغضب وحوادث الحقد والحسد (لا يستكبرون عن عبادته) بل يؤدونها بحسب ما أمروا به  
(ويسبحونه) أى ينزهونه تعالى عن كل سوء (وله يسجدون) أى لا يسجدون لغير الله تعالى  
فالتسبيح يرجع الى المعارف والعلوم والسجود يرجع الى أعمال الجوارح وهذا الترتيب يدل على أن  
الاصل في العبودية أعمال القلوب ويتفرع عليها أعمال الجوارح والله أعلم

﴿سورة الانفال مدنية غير قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾



فانهزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وآياتهاست وسبعون وكماتها ألف ومائة وقلاتون وحر وفها خمسة آلاف ومائتان وأربع وتسعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال) أى يسألك يا أشرف الخلق أصحابك منهم سبعة بن أبي وقاص أو قرابتك عن الغنائم يوم بدر وسميت الغنائم أنفالا لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحصل لهم الغنائم ولانها عطية من الله تعالى زائدة على الثواب الاخرى للجهاد (قل الانفال لله والرسول) أى قل يا أشرف الخلق حكم الانفال يوم بدر مختص به تعالى بقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كيف أمر به من غير أن يدخل فيه رأى أحد (فاتقوا الله) فى أخذ الغنائم واتركوا المنازعة فيها (وأصلحوا ذات بينكم) أى أصلحوا الحال فيما بينكم بترك النزاع وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فى أمر الصلح وارضوا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان كنتم مؤمنين) فالإيمان لا يتم حصوله الا بالتزام هذه الطاعة فاحذروا للخروج عنها (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى انما الكاملون فى الإيمان فزعت قلوبهم لمجرد ذكر الله من غير أن يذكر هناك ما يوجب الفرع من صفاته وأفعاله استعظاما له تعالى وقال أصحاب الحقائق الخوف على قسمين خوف العقاب وخوف العظمة والجلال أما خوف العقاب فهو للعصاة وأما خوف الجلال والعظمة فهو لائزول عن قلب أحد من المحققين سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلًا وكل من كان أعرف بجلال الله كان هذا الخوف فى قلبه أكمل (واذاتليت عليهم آياته) أى الله التى هو القرآن (زادتهم إيماناً) أى يقيننا بقول الله (وعلى ربهم يتوكلون) أى ويعتمدون بالسكينة على فضل الله وينقطعون بالسكينة عما سوى الله (الذين يقيمون الصلاة) أى يتقون الصلاة الخمس بحقوقها (وعمارزقناهم ينفقون) أى ويؤدون زكاة أموالهم (أولئك) أى الموصوفون بالصفات الخمس (هم المؤمنون حقاً) أى إيماناً حقاً لانهم حققوا إيمانهم بضم الأعمال القلبية والقلبية اليه (لهم درجات عند ربهم) فتراتب السعادات الحاصلة فى الجنة كثيرة ومختلفة (ومغفرة) بأن يتجاوز الله عن سيئاتهم وقال العارفون هي إزالة الظلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله (ورزق كريم) قال هشام ابن عروة هو ما أعد الله لهم فى الجنة من لذائذ الماء كل والمشارب وهناء العيش (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لسكرهون) أى انهم رضوا بهذا الحكم فى الانفال وان كانوا كارهين به كما أخرجك ربك من المدينة بسبب حق يظهر وهو علو كلمة الاسلام والنصر على أعداء الله والحال أن فريقا من المؤمنين لسكرهون الخروج للقتال لقلة العدد والمعنى الانفال ثابتة لله ثبوتاً بالحق كما خرجك من بيتك بالمدينة بالحق أى بالوحى وذلك ان غير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها رابعون راكبا منهم أنوسفيان وعمر بن العاص وعمر بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقى العير لكثرة الحير وقلة القوم فلما خرجوا وبلغوا وادى دقران وهو قريب من الصفراء نزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي أصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النغير وهو اسم عسكر مجتمع فقالوا بل العير أحب اليانا من لقاء العدو وفتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل أى بجميع أهل مكة ومضى الى بدر فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم فقام عند ذلك أبو بكر وعمر فاحسنا في القول ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله  
لو سرت الى عدن ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو يا رسول الله امض كما أمرك الله  
فانا معك حيث ما أحبيت لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون  
ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما فقاتلون ما دامت عين منا تطرف فتبسم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ثم قال أشير واعلى أيها الناس فقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق  
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وانا  
لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال صلى الله عليه وسلم سير واعلى بركة الله وابشروا فان الله قد  
وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم (يجادلونك في الحق) تلقى النغير  
(بعد ما تبين) أي بعد اعلانهم ينصرون أينما توجهوا وجد الهزم هو قولهم ما كان خروجننا الا  
لغير وهذا ذكر لنا القتال لنتأهب له وكان ذلك لكرهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم  
ينظرون) أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف الى القتل والحال أنهم ينظرون الى أسباب الموت (واذ  
يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم) أي واذا كروا وقت أن يعدكم الله بأن احدى الطائفتين الغير  
أو العسكر مختصة بكم تسلطون عليها تسلط الملاك وتصرفون فيهم كيف شئتم (وتودون) أي وتحبون  
(أن غير ذات الشوكة) أي القوة (تكون لكم) وهو العير اذ لم يكن فيها الا ربعو فارسا ورئيسهم أبو  
سفيان وذات الشوكة وهي العسكر وهم ألف مقاتل ورئيسهم أبو جهل (ويريد الله أن يحق الحق) أي  
يثبت النصر على الاعداء (بكلماته) أي بأسباب النصر من أوامره تعالى للملائكة بالامداد (ويقطع  
دابر الكافرين) والمعنى أنتم تريدون سفساف الامور وهو العير للفوز بالمال والله تعالى يريد معاليها  
بأن تتوجهوا الى النغير لما فيه من اعلام الدين الحق واستئصال الكافرين (ليحق الحق) أي ليظهر  
الشريعة ويقوى الدين (ويبطل الباطل) أي وليظهر بطلان الباطل بتقوية رؤساء الحق وقهر  
رؤساء الباطل (ولو كره المجرمون) أي المشركون ذلك الاظهار (اذ تستغيثون ربكم) أي تطلبون  
منه الغوث كان يقولوا ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثننا أي فرج عنا قال ابن عباس  
حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف  
والى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف استقبل القبلة ومد يده وهو يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك  
هذه العصابة لا تعبد في الارض ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه فبكر ثم التزمه ثم قال كفاك يا نبي  
الله مناشدة ربك فانه سيمجز لك ما وعدك فنزلت هذه الآية واذا تستغيثون بل من اذ يعدكم معمول  
لعامله ويجوز أن يكون العامل في اذ هو قوله تعالى ويبطل الباطل (فاستجاب لكم أني معكم) أي  
معينكم (بألف من الملائكة مردفين) وقرأ عيسى بن عمر ويروى أيضا عن أبي عمر واني بكسر الهمة  
على اضماء القول أو على اجراء استجاب مجرى قال والعامه على فتح الهمة بتقدير حرف الجر وقرأ نافع  
وأبو بكر عن عاصم ويري عن قنبل أيضا مردفين بفتح الدال أي ان الله أردف المسلمين بهم وأيدهم  
بهم بمعنى ان الملائكة كانوا مقدمة الجيش أو ساقاتهم والباقيون بكسرها أي متتابعين يأتي بعضهم اثر  
بعض وروى أنه نزل جبريل بخمسمائة وقاتل بهما في عين العسكر وفيه أبو بكر ونزل ميكايل بخمسمائة  
قاتل بهما في يسار الجيش وفيه على (وما جعله الله الا بشري) أي وما جعل أمدادكم بازال الملائكة

عيانا لا للبشرى لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن به) أى بالأمداد (قلوبكم) كما كانت السكينة  
 لبني اسرائيل كذلك (وما النصر الا من عند الله) لا من عند غيره أى ان الله ينصركم أيها المؤمنون  
 فتقوا بنصره ولا تتكلموا على قوتكم (ان الله عزيز) أى قاهر لا يقهر (حكيم) فيما ينزل من  
 النصره فيضعها في موضعها (اذ يغشاكم النعاس أمانة منه) أى يجعل الله النعاس مغطيا لكم أمانا من  
 خوف العدو من الله تعالى واذ بدل ثان من اذ يعيدكم قال الزجاج محلها نصب على الطريفة والمعنى وما  
 جعله الله الا بشرى في ذلك الوقت قرأ العامة يغشيكم بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين وقرأ نافع بضم  
 الياء وسكون الغين والفاعل في الوجهين هو الله تعالى وقرأ أبو عمرو وابن كثير يغشاكم بفتح الياء والشين  
 وسكون الغين والنعاس فاعل أى اذ يلقى عليكم النوم الخفيف أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم  
 وحصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على زوال الخوف (وينزل عليكم من السماء ماء) قرأ  
 ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (ليطهركم به) من الاحداث وفي الخبر ان المشركين سبقوا الى موضع  
 الماء وطعموا لهذا السبب أن تكون لهم الغلبة وعطش المؤمنون وخافوا من أن يأتهم العدو في تلك الحالة  
 وأكثرهم احتملوا وموضعهم كان رملا تغوص فيه الارجل ويرتفع منه الغبار الكثير وكان الخوف  
 في قلوبهم شديدا بسبب كثرة العدو وكثرة الهتهم فلما أنزل الله ذلك المطر صار ذلك دليلا على حصول  
 النصره وعظمت النعمة به (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أى وسوسته روى أنهم لما ناموا واحتلم  
 أكثرهم تمثل لهم ابليس وقال أنتم ترغمون انكم على الحق وأنتم تصلون على الجنابة وقد عطشتم ولو  
 كنتم على الحق لما غلبوكم على الماء فأنزل الله تعالى المطر حتى جرى الوادى واتخذ المسلمون حيصا  
 واغتسلوا وتلبسوا بالصلوات حتى ثبتت عليه الاقدام (وليربط على قلوبكم) أى ليحفظ قلوبكم بالصبر  
 (ويثبت به) أى الماء (الاقدام) على الرمل فقد روى على المشى عليه كيف أرادوا (اذ يوحى ربك  
 الى الملائكة أنى معكم) فانه تعالى أوحى الى الملائكة انى مع المؤمنين (قنبتهم والذين آمنوا) أى  
 فانه روى وبشرى بهم بالنصرة وقدر روى أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذى يعرفونه بوجهه فيأتى ويقول  
 انى سمعت المشركين يقولون والله لئن حمى الله علينا لننكسفن ويعشى بين الصنفين فيقول ابشر وافان الله  
 تعالى ناصركم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أى المخافة من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
 (فأضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أى فاضربوا رؤوسهم واضربوا أطراف الاصابع  
 أى اضربوهم في جميع الاعضاء من أعاليها الى أسافلها كيف شئتم لان الله تعالى ذكر الاشرف  
 والاخص فهو اشارة الى كل الاعضاء (ذلك) أى لقاءهم الخزي من الوجوه الكثيرة (بأنهم شاقوا الله  
 ورسوله) أى خالفوهما فى الاوامر والنواهي (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) أى  
 ومن يخالفهما فان الله يعاقبه فى القيامة وهو شديد العقاب فالذى نزل بهم فى ذلك اليوم قليل بالنسبة لما  
 أعد الله لهم من العقاب فى القيامة (ذلكم) أى الامر ذلكم فالحطاب للكفرة (فدوقوه) فى الدنيا (وأن  
 للكافرين عذاب النار) والمعنى حكم الله ذلكم من أن ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار  
 لكم آجلا (يا أيها الذين آمنوا اذ القيمت الذين كفروا زحفا) أى مثل الزاحفين على أدبارهم فى بطن السير  
 لا اجتماعهم (فلاتولوهم الادبار) أى لاتجعلوا ظهوركم على يلبهم بل قابلوهم وقاتلوهم مع قتلهم (ومن  
 يولهم يومئذ) أى يوم اللقاء (دبره الا متحرفا للقتال) بأن يخيل عدوه أنه منهزم ثم ينعطف عليه (أو متحيزا  
 الى فئة) أى متفهما الى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو (فقدباء) أى رجع

(بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير) والفرار من الزحف من أكبر الكبائر إذا لم يزد العدد على الضعف (فلم تقتلواهم) أنتم بقوتكم (ولكن الله قتلهم) لتسلطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم أي فلم تؤثر قوتكم في قتلهم ولكن التأثير لله (ومارميت) يا أكرم الرسل (أذرميت) أي ومارميت في الحقيقة وقت رميت التراب إلى وجوه المشركين (ولكن الله رمى) أي أوصل رميك إليهم روى أنه لما طلعت قريش من العققل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائهم ونفسهم هاكذبون رسولك اللهم أني أسألك ما وعدتني فنزل إليه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمع قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه اعطني قبضة من التراب من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شأهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وقرأ ابن عامر رخصة والكسافي ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بكسر النون مخففة ورفع اسم الحلالة (وليبيلى المؤمنين منه بلاء حسنا) أي ولينعم الله عليهم من رمى التراب نعمة عظيمة بالنصر والغنية والثواب وهذا معطوف على قوله تعالى ولكن الله رمى (إن الله سميع) لاستغاثتهم (عليهم) بأحوال قلوبهم الداعية إلى الإجابة (ذلكم) أي الأمر ذلكم أي البلاء الحسن (وأن الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم وقرأ حفص عن عاصم موهن كيد بالاضافة وسكون الواو وقرأ ابن عامر والكوفيون بعدم الاضافة ونافع وابن كثير وأبو عمر وكذلك لكن مع فتح الواو وتشديد الهاء أي والأمر أن الله مضعف صبيح الكافرين (أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) وأن تنتهوا فهو خيرos لكم وأن تعودوا نعدولن تغني عنكم فتتكم شيأولو كثرت قال الحسن ومجاهد والسدي وهذا خطاب للكفار على سبيل التهكم بهم وقال السدي أن المشركين لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا أستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين والمعنى أن تستنصروا أيها الكفار لأعلى الجندين فقد جاءكم النصر لأعلاهم وقد زعمتم أنكم الأعلى فالتهمكم في المجيأ أو فقد جاءكم الهزيمة فالتهمكم في نفس الفتح وأن تنتهوا عن قتال الرسول وعداوته وتكذيبه فهو خيرos لكم في الدين بالخلاص من العقاب والفوز بالثواب وفي الدنيا بالخلاص من القتل والأسر والنهب وأن تعودوا إلى القتال نعدوا إلى تسلط المسلمين على قتلكم ولن تدفع عنكم جماعتكم شيأ من الضرر ولو كثرت وقيل هذا خطاب للمؤمنين والمعنى أن تستنصروا أيها المؤمنون فقد جاءكم النصر وأن تنتهوا عن المنازعة في أمر الانفال وعن طلب الغداء على الأمرى فهو خيرos لكم وأن تعودوا إلى تلك المنازعة نعدوا إلى ترك نصرتهكم ثم لا تنفعكم كثرتكم (وأن الله مع المؤمنين) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأن يفتح الهمزة وهو خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أن الله مع الكاملين في الإيمان (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) في الإجابة إلى الجهاد وإلى ترك المال إذا أمره بتركه (ولا تولوا عنه) أي ولا تعرضوا عن الرسول أي عن قبول قوله وعن معونته في الجهاد (وأنتم تسمعون) دهاه إلى الجهاد (ولا تكونوا كالذين قالوا) بالسنتهم (سمنا وهم لا يسمعون) أي أنا قبلنا تكاليف الله تعالى والحال أنهم يقولونهم لا يقبلونها (أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أي أن شر كل حيوان في حكم الله تعالى من لا يسمع الحق ولا ينطق به ولا يفقد أمر الله تعالى قال ابن عباس هم نغرم من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم بدر وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لسمعهم) أي لو حصل

في بني عبد الدار خير لا سمعهم الله الحجاج والمواظع سمع تفهم (ولو أسمعهم) بعد أن علم أنه لا خير فيهم  
 (لتولوا) عنها ولم ينتفعوا بها (وهم معرضون) أي والحال أنهم مكذبون بها قيل إن الكفار سألوا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبروهم بمحنة نبوته صلى  
 الله عليه وسلم فبين الله تعالى أنه لو علم فيهم خير أو هو انتفاعهم بقوله هؤلاء الأموات لا حياهم الله تعالى  
 حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم أنهم لا يقولون أحي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد  
 لك بالنبوة فنؤمن بك الأعلى سبيل الغناد والتعنت وأنه لو أسمعهم الله كلام قصي وغيره لتولوا عن قبول  
 الحق على أدبارهم ولا عرضوا عما سمعوه بقلوبهم (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم  
 لما يحْيِيكم) أي اجيبوا الله والرسول بحسن الطاعة إذا دعاكم الرسول إلى ما فيه سبب حياتكم الأبدية  
 من الإيمان أو القرآن أو الجهاد وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي  
 ابن كعب وهو في الصلاة فدعا فجهل في صلاته ثم جاء فقال صلى الله عليه وسلم ما منعت عن اجابتي قال  
 كنت في الصلاة قال ألم تخبر فيما أوحى إلى استجبوا لله وللرسول فقال لا جرم لا تدعوني إلا أجيبك  
 (واعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي يحول بين المرء وبين ما يريد بقلبه فإن  
 الأجل يحول دون الأمل فكأنه تعالى قال بادروا إلى الأعمال الصالحة ولا تعتمدوا على ما يقع في قلوبكم  
 من توقع طول البقاء فإن ذلك غير موقوف به وقال مجاهد المراد من القلب هنا العقل أي فإن الله يحول بين  
 المرء وعقله والمعنى فبادروا إلى الأعمال وأنتم تعتدون فإنكم لا تأمنون زوال العقل والله يحول بين المرء  
 والكافر وطاعته ويحول بين المرء المطيع ومعصيته والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء وكان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ولا يستطيع المرء أن يؤمن ولا أن  
 يكفر إلا بإذنه تعالى (وأنه) أي واعلموا أن الشأن (إليه) أي الله تعالى (تخشرون) في الآخرة  
 فيجزىكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا إلى طاعة الله ورسوله (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا  
 منكم خاصة) أي واحذروا فتنة أنزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى إليكم جميعا وتصل إلى  
 الصالح والطالح وحذر تلك الفتنة بالنهي عن المنكر فالواجب على كل من رآه يزيله إذا كان قادرا على  
 ذلك فإذا سكنت عليه فكلهم عصاة هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله تعالى الرضا بمنزلة العامل  
 فانتظم في العقوبة وعلامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الحلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي فلا يتحقق  
 كون الإنسان كارها له إلا إذا تألم لفقد ماله أو ولده فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالمنكر فتممه  
 العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار (واعلموا أن الله شديد العقاب) ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشِر  
 سببه والمعنى الزموا الاستقامة خوفا من عذاب الله تعالى (واذكروا) يا معشر المهاجرين (إذا أنتم  
 قليل) في العدد في أول الإسلام (مستضعفون في الأرض) أي مقهورون في أرض مكة (تخافون  
 أن يخطفكم الناس) تخافون إذا خرجتم من البلدان تأخذكم مشركوا العرب بسرعة لشدة عداوتهم  
 لكم ولقرىبهم منكم (فتأواكم) أي نقلكم إلى المدينة فصرتم آمنين من كفار مكة (وأيدكم بنصره)  
 أي قواكم بنصرته يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) أي من الغنائم وهي كانت محرمة على من كان  
 قبل هذه الأمة (لعلكم تشكرون) هذه النعم العظيمة (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول)  
 في الدين وفي الإشارة إلى بني قريظة أن لا تنزلوا على حكم مسعدين معاذ (وتخونوا أماناتكم) فيما  
 بينكم (وأنتم تعلمون) أن ما وقع منكم خيانة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حاصر يهود

بني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار فسألوه صلى الله عليه وسلم الصلح كما صلح بني  
 النضير على أن يسيروا إلى أخوانهم في أذرعات واريحان الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
 يعطيهم ذلك إلا أن يتزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا بالبالة وهو رفاع بن عبد المنذر  
 نستشيره في أمرنا وكان من أمرها لهم لأن ماله وعياله عندهم فأرسله إليهم فقالوا يا أبا البالة ما ترى لنا أن نزل  
 على حكم سعد بن معاذ فينا فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقة أي حكم سعد هو القتل فلا تفعلوا فكان ذلك منه  
 خيانة لله ورسوله (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أي محنة من الله تعالى ليلبواكم فيهم فلا  
 يحملنكم جهمهم على الخيانة كأي لبابة لأنه يشغل القلب بالديناو يصيره حجاباً عن خدمة المولى (وأن الله  
 عنده أجر عظيم) فإن سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لأنها أعظم في الشرف وفي المدة لأنها تبقى  
 (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) أي نجاة عما تخافون في الدارين (ويكفر عنكم  
 سيئاتكم) أي يسترها في الدنيا (ويغفر لكم) أي يرزقكم في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) على  
 عباده بالمغفرة والجنة (واذ يكره الذين كفروا) أي واذا كرهوا أشرف الخلق وقت احتياهم بك في  
 إيصال الضرر والهلاك (ليثبتوك) أي ليسجنوك أو ليثبتوك بالوثاق كما قرئ ليقيدوك (أو يقتلوك)  
 بسيفهم (أو يخرجوك) من مكة (ويعكرون) أي يريدون هلاكك يا أكرم الرسل (ويعكروا الله)  
 أي يرد مكرهم عليهم وذلك بأن آخر جهنم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا ما لقوا  
 (والله خير الماكرين) أي أقواهم فكل مكر يبطل في مقابلة فعل الله تعالى قال المفسرون إن مشركي  
 قريش عرفوا لما أسلمت الانتصار أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في  
 دار الندوة أي في الدار التي يقع فيها الاجتماع للتحديث ورؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان  
 وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وأبو الجحترى بن هشام وزمعة بن  
 الأسود وحكيم بن خزام وأبو جهل وأمية بن خلف ونبيهة ومنبه ابنا الحجاج ودخل عليهم إبليس في صورة  
 شيخ وقال أنا من أهل نجد وتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر وبن هشام قيدوه  
 وسدوا باب البيت غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه حتى يهلك كما هلك من قبله من المشركين فقال إبليس  
 لا مصلحة فيه لأنه يغضب له قومه فتسفل فيه الدماء فقال أبو الجحترى بن هشام أخر جوه عنكم تستريحوا  
 من أذاكم لكم فقال إبليس لا مصلحة فيه لأنه يجمع طائفة على نفسه ويقاتلكم بهم وقال أبو جهل الرأى أن  
 نجح من كل قبيلة رجلاً فيضربوه بأسيا ففهم ضربة واحدة فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل فلا يقوى  
 بنوه أثم على محاربة قريش كلها فيرضون بأخذ الدية فقال إبليس هذا هو الرأى الصواب فأوحى الله تعالى  
 إلى نبيه بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له في الهجرة إلى المدينة وأمر علياً أن يبيت في مضجعه  
 وقال له تسبح ببردي فإنه لن يخلص إليك أمر تذكره وهم المشركون بالولولج عليه صلى الله عليه وسلم  
 فصاحت امرأته من الدار فقال بعضهم لبعض والله إنها السببة في العرب أن يتحدثوا عنا نأتسوزنا الحيطان  
 على بنات العم وهتكنا سر حرمتنا واثقنا مترصدين على الباب ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
 الباب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه فأخذ قبضة من تراب ونثره على رؤسهم كلهم ومضى هو وأبو بكر إلى  
 الغار فلما أصبحوا ساروا إلى مضجعه صلى الله عليه وسلم فأبصر وأعليا فقالوا له وأين صاحبك فقال  
 لا أدري فاقصصوا أثره فلما بلغوا الغار رأوا على بابهم نسيج العنكبوت فقالوا لو دخله لم تنسج العنكبوت  
 على بابك فكش فيه ثلاثاً من الليالي ثم قدم المدينة (واذا تتلى عليهم آياتنا) أي القرآن (قالوا قد سمعنا)



ما قال محمد صلى الله عليه وسلم (لنشأ اقلنا مثل هذا ان هذا الأساطير الاولين) أى ما هذا القرآن  
الاما كتب الاولون من القصص روى أن النضر بن الحرث خرج الى الحيرة بلدة بقرب الكوفة تاجرا  
واشترى أحاديث قليلة ودمنة وكان يقدم مع المستهزين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الاولين كالفرس  
والروم وكان يزعم انها مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين واسناد القول الى الكل مع أن القائل هو  
النضر لما انه كان رئيسهم وقاضيه وهو الذى يقولون بقوله ويأخذون برأيه (واذ قالوا اللهم ان كان  
هذا) أى الذى يقوله محمد صلى الله عليه وسلم (هو الحق) بالنصب خبر كان ودخلت هو للفصل (من  
عندك فأمر طر علينا حجارة من السماء) عقوبة على انكارنا (أو اثنتا عذاب أليم) غير الحجارة قاله  
النضر استهزاء وقد أمره المقداد يوم بدر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم أو قاله أبو جهل وقد ذبحه ابن مسعود  
يوم بدر (وما كان الله لمعذبهم وأنت فيهم) أى لا يفعل الله بهؤلاء الكفار عذاب الاستئصال مادام  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حاضر معهم تعظيما له وأيضا ان عادة الله مع جميع الانبياء المتقدمين لم  
يعذب أهل قرية الا بعد أن يخرج رسولهم منها كما كان فى حق هود وصالح ولوط (وما كان الله لمعذبهم  
وهم يستغفرون) أى وما كان الله لمعذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون لانه صلى الله عليه  
وسلم لما خرج من مكة بقى فيها من لم يستطع الهجرة من مكة من المسلمين (وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم  
يصدون عن المسجد الحرام) أى ولا مانع من اهلاك الله لهم بعدما خرجت من بينهم وحالهم يمنعونك  
والمسلمين عن الطواف ببيت الله يوم الحديبية (وما كانوا أولياءه) أى والحال انهم ما كانوا أولياءه  
المسجد وهذا رد لقولهم نحن ولاية البيت والحرم فنصد من نشأ وندخل من نشأ (ان أولياءه الا المتقون)  
أى ما أولياءه المسجد الا الذين يتحرزون عن المنكرات كما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية  
ومن كانت هذه حاله لم يكن وليا للمسجد الحرام بل هم أهل لان يقتلوا بالسيف ويحاربوا (ولكن أكثرهم  
لا يعلمون) انه لا ولاية لهم عليه (وما كان صلاتهم) أى عبادتهم (عند البيت الأمكاه) أى صغيرا  
(وتصدية) أى تصفيقا أى ما كان شئ مما يعبدونه عبادة الالهة من الفعلين قال ابن عباس كانت قريش  
يطوفون بالبيت عراة مشبكين بين أصابعهم يصغرون فيها ويصفقون بأحدى اليدين بالآخرى (فذوقوا  
العذاب) أى عذاب السيف يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ان  
الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى عن دينه قال مقاتل والسكبي نزلت هذه الآية  
فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من كبار قريش أبى جهل وأصحابه يطعم كل واحد منهم كل يوم  
يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت فى ابى سفيان وكان استأجر ليوم أحد ألفين من الاحابيش  
سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم أربعين أوقية والاقية اثنان وأربعون مثقالا وأخرج ابن اسحق  
عن مشايخه انها نزلت فى أبى سفيان ومن كان له فى العير من قريش تجارة (فسينفقونها) أى أموالهم  
(ثم تكون) أى الاموال (عليهم حسرة) أى ندامة لغواتها وفوات قصدهم من نصرتهم على محمد (ثم  
يغلبون) آخر الامر (والذين كفروا) أى أصروا على الكفر أبوجهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون)  
أى يساقون يوم القيامة (ليميز الله الحبيث من الطيب) أى ليميز الله الفريق الحبيث من الكفار من  
الفريق الطيب من المؤمنين واللام متعلقة بحشرون أو يغلبون أو المعنى ليميز الله نفقة الكافر على عداوة  
محمد من نفقة المؤمن فى جهاد الكفار كاتفاق أبى بكر وعثمان فى نصره الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة  
والكسائي ليميز بضم الياء الاولى وفتح الميم وتشديد الياء المكسورة (ويجعل الحبيث بعضه على بعض)

أى ويجعل الفريق الحبيث بعضه على بعض (فيركه) أى فيجمعه (جميعا) لغرط ازدحامهم (فيجعله)  
 أى يطرحه (في جهنم) وقيل المعنى يضم الله تعالى تلك الأموال الحبيثة بعضها إلى بعض فيلقيها في جهنم  
 ويعذبهم بها (أولئك) أى الذين كفروا (هم الخاسرون) أى الكاملون في الغبن (قل للذين  
 كفروا) أبى سفيان وأصحابه أى قل يا أشرف الخلق لأجلهم (أن ينتهوا) عن الكفر وعداوة الرسول  
 صلى الله عليه وسلم (ينفروا) ما قد سلف من الذنوب قال صلى الله عليه وسلم الإسلام يجب ما قبله  
 (وأن يعودوا) إلى الكفر ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم أى وأن يرتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه  
 ويرجعوا إلى الكفر وقتال النبي تنتقم منه بالعذاب (فقد مضت سنة الأولين) أى لأنه قد سبقت سيرة  
 الأولين الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتدمير كما جرى على أهل بدر (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون  
 الدين كله لله) أى قاتلوا كفار أهل مكة لئلا توجد فتنة حتى يخرج المسلمون إلى الحبشة وتوامرت قريش  
 أن يفتنوا المؤمنين بمكة عن دينهم حين بايعت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة العقبة وليكون  
 الدين كله لله في أرض مكة وما حولها لا يعبد غيره (فانتهوا) عن الكفر وسائر المعاصي بالتوبة  
 والإيمان (فان الله بما يعملون بصير) أى عالم لا يخفى عليه شيء يوصل إليهم ثوابهم (وأن تولوا) عن  
 التوبة والإيمان (فاعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله مولاكم) أى حافظكم ورافع البلاء عنكم  
 (نعم المولى) أى الولي بالحفظ (ونعم النصير) لا يغلب من نصره وكل من كان في حماية الله تعالى كان  
 آمنا من الآفات مصونا عن المخوفات والمعنى وأن تولوا عن الإيمان فلا تخشوا بأسهم لأن الله مولاكم  
 (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة) أى واعلموا يا معشر المؤمنين أن الذي أصبتموه كائنا من شيء  
 قليلا كان أو كثيرا فواجب أن لله خمسة بمعنى أنه تعالى أمر بقسمته على هؤلاء الخمسة فذكر الله للتعظيم  
 وقوله أن لله خمسة خير مبتدأ محذوف أى فكون خمسة لله واجب وهذه الجملة خبر لان (والرسول) أما  
 بعد وفاته فيصرف سهمه إلى مصالح المسلمين عند الشافعي وقال أبو حنيفة سهمه ساقط بسبب موته وقال  
 مالك هو موقوف إلى رأى الإمام (ولذى القربي) أى ولقربا النبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم  
 وبنى المطلب دون من عداهم من أغنيائهم وقراءتهم يقسم الخمس بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين  
 (واليتامى) أى الذين مات آباؤهم وهم فقراء غير يتامى بنى عبد المطلب (والمساكين) أى ذوى  
 الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) أى المحتاج في سفره ولا معصية بسفره (إن كنتم آمنتم بالله وما  
 أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والفتح (يوم الفرقان) أى يوم بدر  
 به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بأنزلنا أو بآمنتم (يوم التقى الجمعان) أى الفريقان من المسلمين  
 والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان أو منصوب بالفرقان والمعنى أن كنتم آمنتم بالله وبالنزل على محمد يوم  
 بدر فاعلموا أن خمس الغنمة مصروفة إلى هذه الوجوه الخمسة فاقطعوا أطماعكم عنه واقنعوا بالاحساس  
 الأربعة (والله على كل شيء قدير) يقدر على نصر القليل على الكثير (إذا أنتم بالعدوة الدنيا) وهو بدل  
 ثان من يوم الفرقان أى إذا أنتم كائنون في شط الوادى القربى من المدينة (وهم بالعدوة القصوى)  
 أى المشركون في شفير الوادى البعدى منها (والركب أسفل منكم) أى العير التي خرجوا  
 لها التي يقودها أبو سفيان وأصحابه كائنون يمكن أسفل منكم على ساحل البحر على ثلاثة أميال من  
 بدر (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة على القتال (لاختلفتم في الميعاد) أى لخالف بعضكم بعضا في  
 الميعاد هيبة منهم لكثرتهم وقتلتكم (ولكن) جمع الله بينكم على هذه الحال بغير ميعاد (ليقض الله

أمرًا كان مفعولا) أى ليعضى أمرا كان مفعولا في علمه وهو النصر والغنيمة للنبي وأصحابه والهزيمة والقتل لآبي جهل وأصحابه ويكون استيلاء المؤمنين على المشركين مجزية دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وهو بدل من ليعضى أى ليموت من مات عن بينة طائنها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لثلاثا يكون له حجة ومعذرة أولي صدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة (وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) بحاجتكم وضعفكم فاصلح مهممكم (أذير ربكم الله في منامك) قبل يوم بدر (قليلًا) مع كثرتهم فأخبر بذلك أصحابه فقالوا رثا يا النبي حق فصار ذلك تشجيعًا للمؤمنين (ولو أراكم كثيرًا لفشلتم) أى ولو أراكم الله المشركين كثيرًا لذكرته للقوم ولو سمعوا ذلك لجبنوا (ولتنازعتم في الأمر) أى اختلفتم في أمر القتال وتفرقت أراؤكم في الفرار والثبات (ولكن الله سميع) أى سلمكم من المخالفة فيما بينكم (انه عليم بدات الصدور) أى بالخطرات التي تقع في القلوب من الصبر والجزع والجبن ولذلك دبر مادي (وأذير يكموهم) إذا التقيتم في أعينكم قليلًا) أى وإذا يصيركم أيها المؤمنون أيهم قليلًا حتى قال ابن مسعود لمن في جنبه أترأهم سبعين فقال أراهم مائة وهم في نفس الأمر ألف تصديقًا لرواية الرسول صلى الله عليه وسلم ولتزداد جراءة المؤمنين عليهم (ويفللكم في أعينهم) حتى قال أبو جهل أغما أصحاب محمد أكلة جزور أى قليل يشبعهم جزور واحد فلا تقتلوهم واربطوهم بالحبال وقل الله عدد المؤمنين في أعين المشركين قبل التحام الحرب لثلاثين بالغ الكفار في تحصيل الاستعداد والحذر فيصير ذلك سبيلًا لانتكسارهم فلما التحم القتال أرى الكفار المسلمين مثلى الكفار وكانوا ألقافاً والمسلمين قدراً لقين أيها أبو اتضعف قلوبهم (ليقضى الله أمرًا كان مفعولا) أى ليصير ذلك سبيلًا لاستيلاء المؤمنين عليهم (والى الله ترجع الأمور) بالبناء للمفعول أى ترد للفاعل أى تصير ويصرف الله الأمور كلها كيفما يريد ولا تجرى على ما يظنه العبيد (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا) أى إذا حاربتم جماعة من الكفرة لجذوا في المحاربة ولا تنهزموا (وأذكروا الله كثيرا) بالقلب واللسان في أثناء القتال ومن الذكر ما يقع حال القتال من التكبير (لعلمكم تفطون) أى تفوزون بجرامكم من النصر والثوبة (وأطيعوا الله ورسوله) في أمر القتال غيره (ولا تنازعوا) أى لا تختلفوا في أمر الحرب (فتفشلوا) أى فتجبنوا (وتذهب ريحكم) أى شدتكم (واصبروا) على شدة الحرب (ان الله مع الصابرين) بالنصرة والسكامة (ولا تكونوا) في الاستكبار والفخر (كالذين خرجوا من ديارهم) مكة لحماية العير (بطرا) أى شديد المرح (ورثاء الناس) أى ولثاء الناس عليهم بالشجاعة والسهاحة وذلك أن قريشا خرجوا من مكة لحفظ العير فلما بلغوا حجة أتاهم رسول أبي سفيان وقال ارجعوا الى مكة فقد سلمت عيركم فأبوا الا اظهار آثار الجلالة وأيضا ما وردوا الخفقة بعث الحقائق السكاني الى أبي جهل وهو صديق له بهذا يامع ابن له فلما أتاه قال ان أبي يقول لك ان شئت ان أمك بالرجال أم دتلك وان شئت ان أرحف اليك بن معي من قرابتي فعلت فقال أبو جهل قل لا ييك جزاك الله خيرا ان كنا نقال الله كما يزعم محمد فوالله ما لنا بالله من طاقة وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بنا على الناس لقوة والله ما ترجع عن قتال محمد حتى نرديدا فنشرب فيها الخمر وتعزق علينا القيان وننحر الجزور وفي بدر فبثني الناس علينا بالشجاعة والسماحة وقد بدل لهم الله شرب الخمر بشرب كأس الموت وبدل ضرب الجوارى على نحو الدفوف بنوح الناضحات وبدل نحر الجزور بنحر قباهم حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون وعلم ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على

العبد فان صرفها الى مرضاته تعالى وعرف انهم من الله تعالى فذلك هو الشكر واما ان توسل به الى  
المفاخرة على الاقران والمغالبة بالكثرة على اهل الزمان فذلك هو البطر (ويصدون عن سبيل الله) أى  
ويغشون الناس من الدخول في دين الله وهذا معطوف على بطر او اغاذ كر البطر والرياء بصيغة الاسم  
والصد بصيغة الفعل لان ابا جهل ورهطه كانوا يجبولين على المفاخرة والرياء واما صدهم عن سبيل الله فافغا  
حصل في الزمان الذى ادعى سيدنا محمد النبوة (والله بما يعملون محيط) أى والله عالم بما فى دواخل  
القلوب وهذا كالتهديد عن التصنع فان الاشارة بما أظهر من نفسه ان الحامل له الى ذلك الفعل طلب  
مرضاته تعالى مع انه لا يكون الامر في الحقيقة كذلك (واذ بين لهم الشيطان أعمالهم) أى واذا ذكر  
وقت تر بين الشيطان أعمالهم في معاداة المؤمنين وخروجه من مكة فان المشركين حين أرادوا المسير  
الى بدر خافوا من بنى بكر بن كنانة لانهم كانوا اقتتلوا منهم واحدا فلم يأمنوا ان يأتوهم من ورائهم فتصور لهم  
ابليس بسورة سراقبة بن مالك بن جعشم وهو من بنى بكر بن كنانة وكان من أشرفهم في جند من  
الشياطين ومعه راية (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) أى لا غالب عليكم اليوم من بنى  
كنانة ومن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وانى جار لكم) أى حافظكم من مضرتهم (فلما تراءت  
الفتتان) أى التقي الجمعان جمع المؤمنين وجمع الكافرين بحيث رأت كل واحدة الاخرى ورأى  
ابليس نزول الملائكة من السماء (نكص على عقبيه) أى رجع الى خلفه هاربا (وقال انى برى  
منكم) فكان ابليس في صف المشركين وهو آخذ بذيئ يد الحرب بن هشام فقال له الحرب الى أين أتت  
نصرتنا في هذه الحالة قال ابليس (انى أرى ما لاترون) وأرى جبريل بين يدي النبي صلى الله عليه  
وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ولم تروه ودفع ابليس في صدر الحرب و (انى أخاف الله) ان يهلكنى  
بتسليط الملائكة على وقيل لما رأى ابليس الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون الوقت الذى أنظر  
اليه قد حضر فقال ما قال اشفاقا على نفسه (والله شديد العقاب) قاله الشيطان بسط العذرة وحينئذ  
فهو تعليل أو هو مستأنف من محض كلامه تعالى تهديد ابليس (اذ يقول المنافقون) وهم قوم من الاوس  
والخزرج (والذين في قلوبهم مرض) أى شاك وهم قوم من قريش أسلموا ولم يقوا اسلامهم في قلوبهم ولم  
يهاجروا منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوائد وأبو قيس بن الفاكة والحرب بن زمعة وعدى بن أمية والعاص  
ابن منبه والعامل في اذنين أو اذ كرم قدرا (غرهؤلاء) أى محمد وأصحابه (دينهم) فانهم خرجوا وهم ثلاث  
مائة وثلاثة عشر يقاتلون ألف رجل وما ذاك الا انهم اعتمدوا على دينهم وقال هؤلاء لما خرج قريش  
لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مع قوم منافان كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة أقنا  
في قومنا فلم يخرجوا مع قريش ورأوا قلة المسلمين وكثرة الكفار رجعوا للكفر وقالوا ذلك القول وقتلوا  
جميعا مع المشركين يوم بدر ولم يحضره منافق في بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم الا واحد هو عبد الله بن أبي  
(ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) أى ومن يعول على احسان الله ويثق بفضله ويسلم أمره الى الله  
فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شيء حكيم يوصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه (ولو ترى  
اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) أى ولورأيت يا أشرف الخلق الكفرة حين يتوفاهم الملائكة في بدر  
(يضربون وجوههم وأدبارهم) يقولون لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى النار لانه كان مع  
الملائكة مقامع وكلما ضربوا بها التهب النار منها في الاجزاء وجواب لو محذوف أى رأيت أمر فظيما  
لا يكاد يوصف (ذلك) العذاب (بما قدمت أيديكم) أى بسبب ما عملت أيديكم من الكفر والمعاصي

(وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من جهتهم (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي عادة كفار قريش فيما فقهوا من الكفر وما فعل بهم من العذاب كعادة آل فرعون وقوم نوح وعاد واهلهم من الكفر والعناد في ذلك (كفروا بآيات الله) أي أنكروا الدلائل الالهية وهذه الجملة تفسر لدأب كفار قريش (فأخذهم الله بذنوبهم) أي بسبب ذنوبهم (إن الله قوي) بالأخذ (شديد العقاب) أي إذا عاقب (ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمته أنعمها على قوم حتى يغير وأما بأنفسهم) أي تعذيب الكفرة بما قدمت أيديهم بسبب أن الله لم يكن مغيرا نعمته أنعم بها عليهم كالعقل وإزالة الموانع حتى يغيروا أحوالهم فإذا صرّفوا تلك النعمة إلى الفسق والكفر فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم فاستحقوا تبديل النعم بالنقم والمنع بالحقن (وأن الله سميع عليم) أي وبسبب أنه تعالى يسمع ويعلم جميع ما يتنون وما يذرون (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي حتى يغيروا وأما بأنفسهم تغييرا كائننا كتغيير الأمم الماضية (كذبوا بآيات ربهم) أي كذب آل فرعون ومن قبلهم بأنه تعالى ربّهم وأنعم عليهم فأنكروا دلائل الترتيب والاحسان مع كثرتها وتواليها عليهم كما كذب أهل مكة ذلك (فأهلكناهم بذنوبهم) أي أهلكنا بعضهم بالرجعة وبعضهم بالحسف وبعضهم بالمجاعة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) أي وكل من الفرق المكذبة كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعصية ولأنبيائهم بالكذب ولستأثر الناس بالأيذاء والإيحاء فأنه تعالى أغناهم بسبب ظلمهم اللهم اهلك الظالمين وطهر وجهه الأرض منهم فلا يقدر أحد على دفعهم إلا أنت فادفع يا قهار يا جبار يا منتقم (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي إن شر الخلق في حكم الله وعلمه الذين أصروا على الكفر فهم لا يرجي منهم إيمان (الذين طأهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) أي من مرات المعاهدة قال ابن عباس هم قريظة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهديهم ودين قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح في يوم بدر ثم قالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدتهم مرة ثانية فنقضوا العهد أيضا وساعدوا معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يتقون) عن نقض العهد (فأما تنقضهم في الحرب فشر دبرهم من خلفهم لعلهم يذكرون) أي إن تنقضهم هؤلاء الكفار الذين ينقضون العهد في أثناء الحرب فافعل بهم فعلا من القتل والتعذيب يفرق بينهم من خلفهم من أهل مكة واليمن أي إذا فعلت بقريظة العقوبة فرقت شمل قريش إذ يخافون منك أن تفعل بهم مثل ما فعلت بحلفائهم وهم قريظة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرقهم في ذلك الوقت تفريقا غنيما موجبا للاضطراب (وأما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء) أي وإن تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد بآمارات ظاهرة فاطرح إليهم عهدهم على طريق ظاهر مستورا بأن تعلمهم قبل حربك أي أهم أنك قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء ولا تبادرهم بالحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (إن الله لا يحب الخائنين) في العهود والحاصل أن ظهرت الخيانة بآمارات ظاهرة من غير أمر مستفيض وجب على الإمام أن ينبذ إليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك كما في قريظة فأنهم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأبغضين ومن معه من المشركين إلى مظاهرهم عليه صلى الله عليه وسلم وأما إذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به

فلا حاجة للامام الى نبذ العهد و اعلامهم بالحرب بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة فانهم لما نقضوا العهد بقتل خراعتهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم وصل اليهم جيش النبي صلى الله عليه وسلم عبر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة (ولا يحسبن الذين كفروا سبوا) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بالياء التحتية أى ولا يحسبن الذين كفروا من قريش أنفسهم فانوا من عذابنا بهر بهم يوم بدر وقرأ الباقر بالتاء الفوقانية على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم أى ولا تحسبن يا أشرف الخلق الذين كفروا الذين خلصوا منكم في بدر فأتين من عذابنا (انهم لا يجزون) أى انهم بهذا الفرار لا يجزون الله من الانتقام منهم اما بالقتل في الدنيا واما بعذاب النار في الآخرة وقرأ ابن عامر أنهم يفتح الهمزة على التعليل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) قيل انه لما اتفق لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصة بدر انهم قصدوا الكفار بلا آلة أمرهم الله تعالى ان لا يعودوا والمثله فقال وأعدوا الخ أى هيثوا الحراب الكفار ما استطعتم من كل ما يتقوى به في الحرب من كل ما هو آلة للجهاد ومن الخيل المربوط سواء كان من الفحول أو من الاناث وروى انه كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واثاث الخيل عند الميقات والغارات (ترهبون به) أى بذلك الأعداد وقرئ تخزون (عدوا لله وعدوكم) وهم كفار مكة (وآخرين من دونهم) أى من غير كفار مكة من الكفرة (لا تعلمونهم) على ما هم عليه من العداوة أى فان تكثير آلات الجهاد كما يرهب الأعداء الذين نعلم كونهم أعداء كذلك يرهب الأعداء الذي لا نعلم انهم أعداء سواء كانوا مسلمين أو كفارا (الله يعلمهم) لا غيره (وماتنفقوا من شئ) قل أو جل (في سبيل الله) أى في طاعة الله في الجهاد وفي سائر وجوه الخيرات (يوف اليكم) أى لا يضيع الله في الآخرة أجره ويجهل عوضه في الدنيا (وانتم لا تظلمون) أى لا تنتقصون من الاجر (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) أى وان مال الكفار للصالح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد فاقبله وقرأ أبو بكر عن عاصم للسلم بكسر السين وقرئ فأجنح بضم النون (وتوكل على الله) أى فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونك على السلامة ولكي ينصرك عليهم اذا نقضوا العهد (انه) تعالى (هو السميع) لما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع (العليم) بنياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في فخهم (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله) أى وان يريدوا الكفار باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم فاعلم ان الله كافيك من شرورهم وناصرك عليهم (هو الذى أيدك بنصره) أى قوال بنصره في سائر أيامك (وبالمؤمنين) من المهاجرين والانصار (وألف بين قلوبهم) لو أنفقت مافى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) أى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى قوم تكبرهم شديد حتى لو لطم رجل من قبيلة لطمه قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثأره ثم انهم انقلبوا عن تلك الحالة حتى قاتل الرجل أخاه وأباه وابنه واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا وأيضا كانت الحصومة بين الاوس والخزرج شديدة والمحاربة دائمة ثم زالت الضغائن وحصلت اللفة فازالة تلك العداوة الشديدة وتبديلها بالمحبة القوية مما لا يقدر عليها الا الله تعالى وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (انه) تعالى (عزيز) أى قاهر يقلب القلوب من العداوة الى الصداقة (حكيم) أى يفعل ما يفعله مطابقا للصحة (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أى كفاك الله وكفى اتباعك ناصرا أو المعنى كفاك الله والمؤمنون وهذه الآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال فالمراد بالمؤمنين هنا أهل غزوة بدر وهم المهاجرون



والانصار وقيل نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي بالغ في حثهم عليه (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) أي ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين (واب يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) وانما وجب هذا الحكم عند حصول الشروط منها ان يكون المؤمن شديدا لاعداءه قويا جليدا ومنها ان يكون قوي القلب شديدا للبأس شجاعا غير جبان ومنها ان يكون غير متحرف الا لقتال أو متحيزا لفئة فعند حصول هذه الشروط وجب على الواحد ان يشبث للعشرة (بأنهم قوم لا يفقهون) متعلق بيغلبوا في الموضعين أي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون امتثالاً بأمر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضائه وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واثارة العدوان وهم يعتمدون على قوتهم والمسلمون يستعينون برهيم بالتضرع ومن كان كذلك كان النصر أليق به (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) في البدن أو في معرفة القتال لافي الدين (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) أي بارادته وهذه الآية تدل على ان ذلك الشرط مفقود في حق هذه الجماعة فلم يشبث ذلك الحكم وعلى هذا التقدير لم يحصل التسخيب البتة فقد أنكر أبو مسلم الاصفهاني النسخ (والله مع الصابرين) أي ان العشرين ان قدروا على مصابرة المائتين بقي ذلك الحكم وان لم يقدرُوا على مصابرتهم فالحكم المذكور هناك زاهل وهذا يدل على صحة مذهب أبي مسلم (ما كان لنبي أن يكون له أمرى حتى يشحن في الارض) أي ما ينبغي لنبي ان يكون له أسرى من الكفار حتى يقوى ويغلب بل اللائق قتلهم (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) أي متاع الدنيا الذي هو الفداء (والله يريد الآخرة) أي انما رضي الله ما يفضي الى السعادات الآخروية المصونة عن الزوال (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال كما أمر بالاثخان ونهى عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخبر بين أخذ الفداء وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) أي لولا انه تعالى حكم في الازل بالعفو عن هذه الواقعة لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء عذاب شديد (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) أي قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حال كونه حلالا مستلذا روى انهم أمسكوا عن الغنائم في بدر ولم يعدوا أيديهم اليها فنزلت هذه الآية (واتقوا الله) في مخالفة أمره ونهيه في المستقبل (ان الله غفور رحيم) في الحالة الماضية من استباحة الفداء قبل ورود الاذن من الله تعالى فيسه (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) قرأ أبو عمر ومن الأسارى بضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف وبالألف أي من الذين اسرتوهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) أي ايماننا وعزمنا على طاعة الله ورسوله في جميع التكليف وتوبة عن الكفر وجميع المعاصي (يؤتاكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء (ويغفر لكم) ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) بأهل طاعته وروى أن العباس كان أسيرا يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجه اليطيم الناس نكالا أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لمن خرجوا من مكة الى بدر فلم تبلغه النبوة حتى أسروا وأخذ ذلك العشرون منه فقال العباس كنت مسلما الا أنهم أكرهوني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فانه يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا قال العباس

فكلمت رسول الله أن يرد ذلك الذهب على فقال صلى الله عليه وسلم أما شئ خرجت به تستعين به عليه نأفلا  
قال العباس وكلفني الرسول فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال  
العباس يا محمد تتركني أتكفف قريشاً ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الذهب الذي  
دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لهما ما أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي  
حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقتم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال صلى الله  
عليه وسلم أخبرني به ربي قال العباس أنا أشهد أنك صادق أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله  
لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما اذا أخبرني بذلك  
فلأريب وأمر ابني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحرث فأسما قال العباس فأبدلني الله خيراً عما أخذ مني ولي  
الآن عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بعمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألفاً وأعطاني زمزم وما أحب  
أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه  
وسلم مال البحرين ثمانون ألفاً فتوضأ الصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه  
ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأنا أرجو المغفرة (وان يريدوا) أي الأمرى (خيانتك)  
أي بنقض العهد فاعلم أنه سيكنك منهم فانه صلى الله عليه وسلم كلما أطلقهم من الأسر عهدهم معهم أن  
لا يعودوا إلى محاربتة صلى الله عليه وسلم وإلى معاهدة المشركين بالعون عليه صلى الله عليه وسلم (فقد  
خانوا الله من قبل) أي من قبل هذا بما أقدموا عليه من محاربة الرسول يوم بدر (فأمكن منهم) أي  
أقدر المؤمنين عليهم قتلاً وأسراً في بدر (والله عليم) أي ببواطنهم (حكيم) يفعل كل ما يفعله  
حسب ما تقتضيه حكمته البالغة (ان الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وهاجروا) من مكة إلى المدينة  
حب الله تعالى ورسوله (وجاهدوا بأموالهم) بأن صرفوها إلى السلاح وأنفقوها على المحاربة  
(وأنفُسهم) بمباشرة القتال وبالخوض في المهالك (في سبيل الله) أي في طاعة الله (والذين آووا)  
أي أنزلوا المهاجرين منازلهم (ونصروا) لهم على أعدائهم يوم بدر (أولئك) أي الموصوفون بما ذكر  
(بعضهم أولياء بعض) أي يكونون يداً واحدة على الأعداء ويكون حب كل واحد لا يخرج جارا يجرى حبه  
لنفسه (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (ولم يهاجروا) من مكة إلى المدينة (مالكم من ولايتهم)  
أي من تعظيمهم (من شئ حتى يهاجروا) فلو هاجر والحصل الأكرام والجلال وقرأ حمزة من ولايتهم  
بكسر الواو والباقون بالفتح (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)  
أي ان قطع التعظيم بين تلك الطائفة ليس كما في حق الكفار بل هؤلاء لو استعانوكم في الدين على  
المشركين فواجب عليكم أن تعاونوهم عليهم الا على قوم منهم بينكم معاهدة فانه لا يجوز لكم نقض  
عهدهم بنصرهم عليهم اذا الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) فلا تخالفوا أمره حتى لا يحل  
بكم عقابه (والذين كفروا وبعضهم أولياء بعض) أي في النصرة فان كفار قريش كانوا في غاية العداوة  
لليهود فلما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم تعاروا على أيدائه ومحاربتة والمشركون واليهود  
والنصارى لما اشتروا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة سبباً لانضمام بعضهم إلى  
بعض وقرب بعضهم من بعض وتلك العداوة لحض الحسد لا لأجل الدين لان كل واحد منهم كان في نهاية  
الانكار لدين صاحبه (الاتفعلوه تكن فتنه في الارض وفساد كبير) أي ان لم تفعلوا ما أمرتكم به من  
التواصل بين المسلمين ومن قطع المحبة بينهم وبين الكفار تحصل فتنه في الارض ومفسدة عظيمة فان

المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضاع المسلمون وقلة عددهم وزمان قوة الكفار وكثرة عددهم فرعا  
صارت تلك المخالطة سبباً لالتحاق المسلم بالكفار وان المسلمين لو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم  
فيصير ذلك سبباً لجرأة الكفار عليهم (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آمنوا وواضعوا  
أولئك هم المؤمنون حقا) فالله تعالى ذكرهم أولاً للتمييز حكمهم وهو اكرام بعضهم ببعضاً ذكرهم  
ههنا للبيان تعظيم شأنهم وعز وجلتهم وأنهم من ثلاثه أو جهوهي وصفهم بكونهم محققين محققين في  
طريق الدين لأن من لم يكن محققاً في دينه لم يفارق الأهل والوطن ولم يبتذل النفس والمال ولم يكن في هذه  
الاحوال من المتسارعين (لهم مغفرة) تامة عن جميع الذنوب والتبغات (ورزق كريم) ثواب حسن  
في الجنة (والذين آمنوا من بعد) أي بعد الهجرة الأولى وهو لا هم التابعون بأحسن (وهاجروا)  
من مكة الى المدينة بعد المهاجرين الأولين (وجاهدوا معكم) في بعض مغازيكم (فأولئك منكم) أي  
من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار في السر والعلانية (وأولوا الأرحام) أي ذوو القربات (بعضهم  
أولى ببعض) آخر منهم في التوارث من الجانب (في كتاب الله) أي في حكم الله الذي بينه  
في كتابه بالسهم المذكورة في سورة النساء (إن الله بكل شيء عليم) فالعالم بجميع المعلومات لا يحكم  
إلا بالانصاف

﴿سورة التوبة مدنية وقد قيل الايتين آخرها فانها مكيتان وآياتها مائة وثلاثون  
وعدد كلماتها ألفان وأربع مائة وسبع وتسعون وحر وفها عشرة آلاف وثمانائة  
وسبعة وثمانون والصحيح ان التسمية لم تكتب لان جبريل عليه السلام  
ما نزل بها في هذه السورة قاله القشيري﴾

(براهمة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) أي هذه براهمة من جهة الله تعالى ورسوله واصله  
الى الذين عاهدتم من المشركين فالله قد أذن في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وعاهدهم ثم ان المشركين نقضوا العهد فأوجب الله النبذ اليهم فخطب المسلمون بما يحذرهم من  
ذلك وقيل اعلموا أن الله ورسوله قد برأنا عاهدتم من المشركين (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) أي  
سيروا أيها المشركون كيف شئتم آمنين من القتل والقتال في هذه المدة من يوم النحر روى أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أراد أن يجمع سنة تسع فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال  
لا أحب أن أجمع حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه  
أربعين آية من صدر براهمة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العصابة ليقرا على الناس  
صدر براهمة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة إن قدر ثمة ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل  
شرك ولا يطوف بالبيت عريان فسار أبو بكر أميراً على الحاج وعلى ابن أبي طالب يؤذن ببراهمة فلما كان  
قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر رضى الله عنه فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس  
الحج والعرب في تلك السنة على معاهدتهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى اذا كان  
يوم النحر قام على ابن أبي طالب رضى الله عنه فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براهمة  
وقال على بعثت بارسح لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى  
مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون

بعد عامهم هذا في الحج فقال المشركون لعل عند ذلك أبلغ بن عملنا نقد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس  
بيننا وبينه عهد الاطعن بالرمح وضرب بالسيوف ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة  
الوداع (واعلموا أنكم غير معجزى الله) أى واعلموا يا معشر الكفار ان هذا الامهال ليس لهجزيل للطف  
ليتوب من تاب أى اعلموا انى أمهلتكم وأطلقت لكم فافعلوا كل ما أمكنكم فعلمه من اعداد الآلات  
وتحصيل الاسباب فانكم لا تعجزون الله بل الله يعجزكم (وأن الله مخزى الكافرين) أى مذلم في الدنيا  
بالقتل والاسرو بالآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الى الناس) أى وهذا اعلام صادر من الله  
ورسوله واصل الى الناس (يوم الحج الاكبر) وهو يوم العيد لان فيه تمام معظم أفعال الحج ولان الاعلام  
كان فيه (أن الله يرى من المشركين) الناقضين للعهد (ورسوله) بالرفع باتفاق السبعة فهو معطوف  
على الضمير المستتر في يرى (فان تبتم) من الشرك (فهو خير لكم) أى فالتوب خير لكم في الدارين  
لاشر (وان قوليت) أى أعرضتم عن المتاب من الشرك (فاعلموا) يا معشر المشركين (أنكم غير  
معجزى الله) أى غير فائتين من عذاب الله فان الله قادر على انزال أشد العذاب بهم (وبشر الذين كفروا  
بعذاب أليم) أى اخبرهم بالقتل بعد أربعة أشهر بالبشارة على سبيل الاستهزاء كما يقال اكرامهم الشتم  
وتحيتهم الضرب (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط الميثاق ولم يضرركم  
قط وقرى بالضاد المجمة أى لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقص (ولم يظاهروا) أى لم يعاونوا (عليكم  
أحدا) من أعدائكم (فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى وقت أجلهم تسعة أشهر والمعنى لا تعلموا  
الناكثين للعهد فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين  
في المسارعة الى قتالهم بل أتوا اليهم عهدهم ولا تجعلوا الوافين كالغادرين وهم بنو ضميرة حتى من كناية  
أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر فانهم ما غدروا  
من هذين الوجهين (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد فان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى  
وان التسوية بين الوافى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) أى  
فاذا خرج الاشهر التي حرم الله القتل والقتال فيها وهى من يوم النحر الى العاشر من ربيع الآخر (فاقتلوا  
المشركين) الناكثين خاصة (حيث وجدتموهم) أى فى حل أو حرم أو فى شهر حرام أو غيره (وخذوهم)  
أى اوسروهم (واحصروهم) أى امنعوهم من اتيان المسجد الحرام ومن التعلب في البلاد (واقعدوا  
لهم) أى لاجلهم خاصة (كل مرصد) أى فى كل عمر يسلكونه لئلا ينبسطوا فى البلاد (فان تابوا)  
من الشرك وآمنوا بالله (وأقاموا الصلاة) أى أقرأوا بالصلوات الخمس (وأقوا الزكاة) أى أقرأوا  
بإداء الزكاة (فلأواسيلهم) أى فاتركوهم ولا تعرضوا لهم بشئ من ما ذكر (ان الله غفور رحيم)  
لن تاب من الكفر والغدر (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) أى وان سألك  
أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم ان تأمنه بعد انقضاء مدة السياحة فأمنه حتى يسمع قراءتك لكلام  
الله ويطلع على حقيقة ما تدعوا اليه من نقل عن ابن عباس انه قال ان رجلا من المشركين قال لعل بن أبى  
طالب ان أردنا أن نأتى الرسول بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله أو لحاجة أخرى فهل نقتل فقال  
على لا فان الله تعالى قال وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله (ثم أبلغه مأمنه)  
أى ثم أوصله الى ديار قومه التي يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم ثم بعد ذلك يجوز قتالهم وقتلهم (ذلك)  
أى اعطاء الامان (بأنهم قوم لا يعلمون) أى بسبب انهم قوم لا يفقهون ما الايعان وما حقيقة ما تدعوه

اليه فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى معهم معذرة أصلا ( كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ) أى لا ينبغي أن يبقى للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم ينقضون العهد ( الا الذين طاهدتم عند المسجد الحرام ) أى لكن الذين طاهدتم من المشركين عند قرب أرض الحرم يوم الحديبية وهم المستثنون من قبل هذا الاستثناء فقد استثنوا في قوله تعالى سابقا الا الذين طاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا الخ وهم بنو كنانة وبنو خزاعة فتربصوا أمرهم ولا تقتلوههم ( فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم ) أى فأى زمان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله أو المعنى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم - ثم لكم ( ان الله يحب المتقين ) عن نقض العهد وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوه بأعانتهم بنى بكر وهم كنانة حلفاؤهم على خراعة حلفائه صلى الله عليه وسلم روى أنه عدت بنى بكر على بنى خزاعة في حال غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاونتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنه

لاهم انى ناشد محمدا \* حلف أينما وأيمك ألا تلدا  
ان قريشا خلفوك الموعدا \* ونقضوا فمامك المؤكدا  
هم بيتونا بالحطيم هجدا \* وقتلونا رءكعا ومجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم أنصركم ( كيف وان يظهر واعليكم ) أى وحالهم انهم ان يقدروا عليكم ( لا يرقبوا فيكم ) أى لا يحفظوا فيكم ( الا ) أى قرابة ( ولا ذمة ) أى عهدا والمعنى كيف لا تقتلوههم وهم ان يغلبوكم لا يحفظوا في شأنكم قرابة ولا ضمما بابل يؤذوكم ما استطاعوا ( يرضونكم بأفواههم وتابى قلوبهم ) أى تسكروا قلوبهم ما يفيد كلامهم أى فانهم يقولون بالستهم كلاما حلو اطيبا والذى فى قلوبهم بخلاف ذلك فانهم لا يظهرون الا الشر والايذاء ان قدر واعليه ( وأكثروهم فاسقون ) أى ناقضون للعهد مذمومون عند جميع الناس وفي جميع الاديان ( اشترى آيات الله غنما قليلا ) أى تركوا آيات الله الآمرة بالاستقامة في كل أمر وأخذوا يد لها شيئا يسير من الدنيا لاجل تحصيل الشهوات وذلك ان أباسفيان بن حرب أطمع حلفاءه وترك حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وحملتهم تلك الاكلة على نقض العهد فنقضوا العهد الذى كان بينهم بسبب تلك الاكلة ( فصدوا عن سبيله ) أى عن دينه أو عن سبيل البيت الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه ( انهم ساء ما كانوا يعملون ) أى ساء ما كانوا يعملونه ماضى من صدهم عن سبيل الله ومأمعه ( لا يرقبون ) أى لا يحفظون ( فى مؤمن الا ) أى قرابة ( ولا ذمة ) كرز ذلك مع ابدال الضمير بمؤمن لان الاول وقع جوابا لقوله تعالى وان يظهر واو الثانى وقع خبرا عن تقييج حالهم أو هذا خاص بالذين اشترى والذى جمعههم أبوسفيان وأطعمهم وأشباههم من اليهود وغيرهم ( وأولئك هم المعتدون ) أى المجاوزون في الظلم والشرارة ( فان تابوا ) من مساوى أعمالهم ( وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ) أى أقرؤا بحكمهم ما عزموا على اقامتها ( فاخوانكم ) أى فهم اخوانكم ( فى الدين ) أى لهم مالكم وعليهم ما عليكم فعام لوهم معاملة الاخوان ( ونفصل الآيات لقوم يعلمون ) أى نبين الآيات لقوم يعلمون ما فيها من الاحكام ( وان نكثوا أيمانهم ) أى عهدهم التى بينكم وبينهم ( من بعد عهدهم ) أن لا يقتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم ( وطعنوا فى دينكم ) أى عابوا دينكم بالكذب وتقييج الاحكام ( فقاتلوا أئمة الكفر ) أى قاتلوا الكفار بأسرهم فانهم صاروا بذلك ذوى تقدم فى الكفر احقاء بالقتل والقتال ( انهم لا أيمان لهم ) أى

انهم لا عهد لهم على الحقيقة لانهم لا يعدون نقضها محذورا وهم لما يفوا بها صارت ايمانهم كأنها ليست  
 بايمان وان أجروها على ألسنتهم وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة أى لا تعطوهم أمانة بعد ذلك أبدا  
 فيكون الايمان مصدرا بمعنى اعطاء الامان فهو ضد الاخافة (لعلهم ينتهون) أى ليكن غرضكم فى  
 مقاتلتهم سببا فى انتهاهم عما هم عليه من الكفر والطعن فى دينكم والمعاونة عليكم (ألا) أى هــ لا  
 (تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) بعد عهد الحديبية باعانة بنى بكر على خزاعة (وهو ما باخراجه الرسول)  
 أى باخراجه من مكة لكن لم يخرجوه بل خرج باختياره باذن الله فى الهجرة أو من المدينة لقصد قتله  
 (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه أو  
 بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بنى بكر عليهم بالسلاح قتال معهم فالاعانة على  
 القتال تسمى قتالا (أتخشونهم) أى أتخافون أيها المؤمنون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم (فأله  
 أحق أن يخشوه) فى ترك أمره (ان كنتم مؤمنين) ودلت هذه الآية على ان المؤمن ينبغي ان يخشى ربه  
 وأن لا يخشى أحدا سواه (فأتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) بالقتل تارة والاسر أخرى واغتنام الاموال ثالثا  
 (ويجزهم) حيث شاهدوا أنفسهم مقهورين فى أيدي المؤمنين ذليلين (وينصركم عليهم) أى  
 يجعلكم جميعا غالبيين عليهم أجمعين فانكم تنفعون بهذا النصر (ويشف صدور قوم مؤمنين) عن لم  
 يشهد القتال وهم خزاعة بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا فبعثوا الى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب وكان شفاه صدورهم من راحة  
 الانتظار فانه الموت الاحمر (ويذهب غيظ قلوبهم) من بنى بكر فان من طال تأذيه من خصمه ثم ممكنه  
 الله منه على أحسن الوجوه كان سروره أعظم (ويتوب الله على من يشاء) من بعض أهل مكة كابي  
 سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو فقام أسلموا يوم فتح مكة وحسن اسلامهم (والله  
 عليم) بكل ما يفعل فى ملكه (حكيم) أى مصيب فى أفعاله وأحكامه (أم حسبتم أن تتركوا وما يعلم  
 الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أى بل أحسبتم ان  
 يترككم الله بدون تكليفكم بالقتال الذى سئمتموه والحال انه لم يصدر الجهاد عنكم خاليا عن النفاق  
 والرياء والتودد الى الكفار وابطال ما يخالف طريقة الدين والماقصود من هذه الآية بيان ان المكلف فى  
 هذه الواقعة لا يتخلص عن العقاب الا عند حصول أمرين الاول ان يصدر الجهاد عنهم والثانى ان يأتى  
 بالجهاد مع الاخلاص فان المجاهد قد يجاهدو باطنه بخلاف ظاهره وهو الذى يتخذ الوليعة من دون الله  
 ورسوله والمؤمنين المخلصين أى وهو الذى يطلع الكافر على الاسرار الخفية والمقصود بيان انه ليس  
 الفرض من ايجاب القتال نفس القتال فقط بل الفرض ان يؤتى به لانقياد أمر الله تعالى وحكمه ليظهر  
 به بذل النفس والمال فى طلب رضوان تعالى حينئذ يحصل به الانتفاع (والله خير بما تعملون) من  
 موالاة المشركين وغيرها فيجازيكم عليه فيجب على الانسان ان يبالغ فى أمر النية ورعاية القلب (ما كان  
 للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى ما صح للمشركين ان يعمرُوا المسجد  
 الحرام بدخوله والوقوف فيه وخدمته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ومسجد الله على الواحد والباقيون مساجد  
 على الجمع وانما جمع المسجد الحرام لانه قبلة المساجد كلها وامامها ثم شهدتهم على أنفسهم بالكفر انهم  
 أقرُوا بعبادة الاوثان وتكذيب القرآن وانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان أبو ان يقولوا نحن كفار  
 (أولئك) الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وما يضاهيها من أعمال البر مع ما بهم من الكفر (حبطت



أهمهم) التي يقتغرون بها بما قارنهما من الكفر فصارت هباء منثورا (وفي النار هم خالدون) لكفرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسير العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فغيروه بكفره بالله وقطيعه الرحم وأغلظ على عليه القول فقال العباس تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسنا فقال له على ألكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم أنالنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة أي نخدمها ونسقي الحجيج ونفك العاني أي الأسير فنزلت هذه الآية (انما يعمر مساجد الله) أي انما يصح ان يعمر المساجد عمارة يعتد بها (من آمن بالله) لان المساجد موضع يعبدون الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله لا يبنى موضعا يعبد الله فيه (واليوم الآخر) لان الاشتغال بعبادة الله لا تغفل في القيامة فمن أنكر القيامة لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يبن بناء لعبادة الله تعالى (وأقام الصلاة) فان المقصود الاغظم من بناء المساجد اقامة الصلوات (وآتى الزكاة) وانما اعتبر اقامة الصلاة وابتاء الزكاة في عمارة المسجد لان الانسان اذا كان مقيما للصلاة فانه يحضر في المسجد فتهصل عمارة المسجد بذلك المسجد واذا كان مؤتيا للزكاة فانه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة فتحصل عمارة المسجد بذلك الحضور (ولم يخش الا الله) في باب الدين بأن لا يختار على رضا الله تعالى رضا غيره (فعسى أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أن يكونوا من المهتدين) الى مطالبهم من الجنة وما فيها وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ألف المسجد ألفه الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايان (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) أي في طاعة الله يوم بدر أي أ جعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام في الفضيلة وعلو الدرجة كن آمن بالله الخ ويقوى هذا التأويل قراءة عبد الله بن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام قال ابن عباس ان عليا لما أغلظ الكلام على العباس قال العباس ان كنتم سبقتهمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنتم عمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فنزلت هذه الآية (لا يستون) أي الفريقان (عند الله) في الفضل (والله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم فانهم خلقوا للايمان وهم رضوا بالكفر (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) أي الذين جمعوا بين هذه الصفات الثلاثة أعلى رتبة وأكثر كرامة عند الله عن لم يجمع بينها (وأولئك) المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة (هم الفائزون) بسعادة الدنيا والآخرة (يشرهم) أي هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين (ربهم برحمة منه ورضوان) أي بمنفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم من قبل الله تعالى وذلك هو حد الثواب (وجنات لهم فيها نعيم) أي منافع خالصة عن المكدرات (مقيم) أي دائمة غير منقطعة (خالدين فيها) أي الجنات (أبدا) أي لا يخرجون منها (ان الله عنده أجر عظيم) لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات الايمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث وبدأ بالرحمة التي هي النجاة من النيران في مقابلة الايمان وثني بالرضوان الذي هو نهاية الاحسان في مقابلة ترك الاوطان ثم ثلث بالجنات التي هي المنافع العظيمة في مقابلة الجهاد الذي فيه بذل النفس والاموال وانما خصوا بالاجر العظيم لان ايمانهم أعظم الايمان (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وخوانكم أولياء) أي بطانة تفشون اليهم أسراركم (ان استحبوا الكفر) أي اختاروه (على الايمان ومن يتولهم منكم) في الدين (فأولئك) المتولون (هم الظالمون) أي فهو مشرك مثلهم لانه رضي بشرهم والرضا بالكفر كفر كما ان الرضا بالنسق فسق قيل

ان الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى عن المشركين قالوا كيف نمسك المقاطعة التامة بين الرجل وابنه  
 وأمه وأخيه فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والاولاد والاخوان واجب بسبب الكفر (قل ان كان  
 آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أى أهلكم الذين تداينونهم وقراء أبو  
 بكر عن عاصم وعشيرتكم بالجمع (وأموال اقترفتكموها) أى اكتسبتموها (وتجارة) أى امتعة  
 اشتريتموها للتجارة والربح (تخشون كسادها) أى عدم رواجها (ومساكن ترضونها) أى منازل  
 تهيبكم الاقامة فيها (أحب اليكم من الله ورسوله) بالحب الاختياري (وجهاد في سبيله) أى  
 طاعته (فتربصوا) نزلت هذه الآية لما قال جماعة من المؤمنين يا رسول الله كيف يمكن البراءة منهم  
 بالكلية وان هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آباؤنا واخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا وهلاك أموالنا  
 وخراب ديارنا فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليماً وذكروا انه ان  
 كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا بما  
 تحبون (حتى يأتي الله بأمره) وهى عقوبة عاجلة أو آجلة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى  
 الخارجين عن طاعته الى معصيته (لقد نصركم الله في موطن كثيرة) وهى مشاهد الحرب كوقعات  
 بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) أى ياذكر وايوم قتالكم هو اذن في  
 حنين فهو اذن قبيلة حليمة السعدية وحنين واديبه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً وذلك لما فتح رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام من شهر رمضان خرج في شوال في تلك السنة وهو سنة ثمان  
 متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف (اذ أعجبتكم كثرتكم) وهم اثنا عشر ألفاً عشرة من المهاجرين  
 والانصار الذين فتحوا مكة وألفان من الطلقاء وهم الامراء الذين أخذوا يوم فتح مكة وأطلقوا وهم أسلموا  
 بعد فتحها في هذه المدة السيرة وبين هوازن وثقيف أربعة آلاف ومعهم أمداد سائر العرب فلما التقوا قال  
 رجل من المسلمين امه سلمة بن سلامة الانصاري لن تغلب اليوم من قلة أى من أجلها افتخاروا بكثرتهم أى  
 نحن كثرون ولا تغلب فأحرزت هذه الكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلم تغن عنكم شيئاً) أى فلم  
 تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئاً من الدفع أى فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين  
 (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) أى انكم لشدة الخوف صاقت عليكم الارض فلم تجدوا فيها موضعاً  
 يصلح لفراركم عن عدوكم (ثم وليتم مدبرين) أى منهزمين من الله وقال البراء بن مازب كانت هوازن  
 رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا واكبينا على الغنائم فأسست قبلونا بالسهام وانكشف المسلمون عن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا حمزة العباس وهو أخذ بلحام بغلته وابن عمه أبو  
 سفيان بن الحرث وهو أخذ بركابه وهو صلى الله عليه وسلم يركض بغلته الشهباء نحو الكفار لا يبالى وهو  
 يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلاً  
 صيتاً يجعل ينادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقاً  
 واحداً وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفاً من الحمى فرماهم بها وقال شاهدت الوجوه فما زال  
 أمرهم مدبراً واحداً هم كليلاً حتى هزمهم الله تعالى ولم يبق منهم يومئذ أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك  
 التراب فذلك قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته) أى رحمته التي يحصل بها سكون وثبات وأمن (على  
 رسوله وعلى المؤمنين) واعلم انه لما شق الاعراض عن مخالطة الآباء والابناء والاخوان والازواج وعن  
 الاموال والمساكن على القلوب مشقة عظيمة ذكر الله تعالى ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين فانه

يوصله الى مطلوبه من الدنيا أيضا وضرب الله تعالى لهذا مثلاً وذلك ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما أعجبوا بكثرةهم صاروا منهزمين ثم في حال الانهزام لما  
 تضرعوا الى الله قواهم به حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على الدنيا فانه  
 الدين والدنيا ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا أتاه الدين والدنيا على أحسن الوجوه فكان ذكر هذا  
 تسلياً لأولئك الذين أمرهم الله بمقاطعة الآباء والأبناء والأموال والمساكن لاجل مصلحة الدين ووعدا  
 لهم على سبيل الرمز بأنهم ان فعلوا ذلك فالله تعالى يوصلهم الى أقاربهم وأموالهم على أحسن الوجوه  
 (وأنزل) من السماء (جنود الم تروها) أي بأبصاركم وهم الملائكة عليهم البياض على خيول بلق  
 لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة في قلوبهم والقاء الرعب في قلوب المشركين (وعذب الذين  
 كفروا) بالقتل والاسر وهم قوم مالك بن عوف الدهماني وقوم كنانة بن عبد ياليل الثقفي (وذلك)  
 التعذيب (جزاء الكافرين) في الدنيا لكفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أي ما جرى عليهم من الخذلان (على  
 من يشاء) ان يتوب عليه منهم أي يوافقهم للاسلام (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن آمن وعمل صالحاً روى  
 ان ناساً منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس  
 وابر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا فقال صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون اني خير  
 القول أصدقه اختاروا ما ذرأ فيكم ونسأؤكم وأما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً وهي مفاتيح  
 آياتهم من الذراري والنساء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين  
 الذراري والأموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئاً فن كان بيده أسير وطابت نفسه ان يرد فشاؤه أي فيلزم شأنه  
 ومن لا فليعطنا وليكن فرضا علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال صلى الله عليه  
 وسلم انا لا تدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعوا اليه العرفاء انهم قد رضوا  
 ولم تقع غنيمة أعظم من غنيتهم فقد كان فيهما من الأبل اثنا عشر ألفاً ومن الغنم ما لا يحصى عدداً  
 ومن الاسرى ستة آلاف من نساءهم وصبيانهم وكان فيها غير ذلك (يا أيها الذين آمنوا اغنوا للمشركون  
 نجس) أي ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) أي جميع  
 الحرم (بعد عامهم هذا) وهي السنة التي حصل فيها الفداء بالبراءة من المشركين وهي السنة  
 التاسعة من الهجرة ولما امتنع المشركون من دخول الحرم وكانوا يتجهرون ويأتون مكة بالطعام  
 وكانت معاش أهل مكة من التجارات تخافوا الفقر وضيقت العيش وذكروا ذلك لرسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى قوله (وان خفتن عيلة) أي فقر بسبب منع الكفار (فسوف يغنيكم الله  
 من فضله) أي عطائه من وجه آخر (ان شاء) فأرسل الله تعالى السهام عليهم مدراراً أغزبها خيرهم وأكثر  
 ميرهم وأسلم أهل جدة وحنين وصنعاء وتبالة وجرش فحملوا الطعام الى مكة وكفاهم الله الحاجة عما كانوا  
 يخافون الى مبايعة الكفار فأغناهم بالفيء والجزية (ان الله عليم) بأحوالكم وبمصالحكم (حكيم) فلا  
 يعطى ولا ينزع الا عن حكمة وصواب لا فرغ من الكلام على مشركي العرب بقوله تعالى براءة من الله  
 الى هنا أخذ يتكلم على أهل الكتابين فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) فاليهود  
 يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول وهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد  
 ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينعفون ولا ينعفون ولا ينعفون أكثر الانبياء  
 (ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله) أي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها وأتوا بأحكام كثيرة

من قبل أنفسهم (ولا يدينون دين الحق) أى لا يعتقدون معتدين الاسلام الذى هو الدين الحق (من الذين أوتوا الكتاب) التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك (حتى يعطوا الجزية) أى حتى يقبلوا أن يعطوا ما يعطى المعاهد على عهد (عن يد) أى عن غنى فلا تجب الجزية على الفقير العاجز أو عن انعام عليهم لأن ترك أرواحهم عليهم بقبول الجزية منهم نعمة عظيمة (وهم صاغرون) أى أذلاء منقادون لحكم الاسلام (وقالت اليهود) سلام من مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيص ومالك بن الصيف أوفى خاص بن عازوراء (عزير بن الله) وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الانبياء بعدهم ومضى عليه السلام فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت الذى فيه التوراة وأنساهم التوراة ومحاها من قلوبهم فتضرع عزير الى الله تعالى ودعا أن يرد اليه التوراة فيبينما هو يصلى مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت التوراة اليه فأعلم قومه وقال يا قوم قد أتانى الله التوراة وردها على فتعلموا منه عن ظهر لسانه ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما فى التابوت فوجدوا مثله فقالوا ما جمع الله التوراة فى صدر عزير وهو غلام الا لأنه ابنه (وقالت النصارى المسيح ابن الله) روى ان أتباع عيسى كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وعثمان سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرناو النار مصيرنا فتمن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فأنى سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء انه ليست لك توبة حتى تتنصر وقد ثبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة فى بيت فيها ولم يخرج منه حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنهم ثم انه عهد الى أربعة رجال اسم واحد نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان والآخر من أهل الروم فعلم نسطور ان عيسى ومريم والله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان وانه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال عيسى وعلم رجلا آخر من الروم وعلمه اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله ثم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خليفة فادع الناس لما علمت وأمره ان يذهب الى ناحية من البلاد ولقد رأيت عيسى فى المنام ورضى عني وأنى غدا أذبح نفسى لرضا عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فتفرقوا ودعوا الناس الى مذاهبهم واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله (ذلك) أى ما صدر عنهم (قولهم بأقواهم) أى مجردا عن برهان وهو فارغ من معنى معتبر (يضاهون) أى يشبهون فى الشناعة (قول الذين كفروا من قبل) أى من قبلهم أى يشابه قول اليهود والنصارى قول المشركين الملائكة بنات الله وقول أهل مكة اللات والعزى ومناة بنات الله كما قالت اليهود عزير بن الله وكذلك قال بعض النصارى المسيح ابن الله وقال بعضهم شريكه وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة (قاتلهم الله) دعاه عليهم بالهلاك أو تعجب من شناعة قولهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله ولدا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) أى اتخذ اليهود

علماءهم من ولدهارون واتخذ النصارى علماءهم من أصحاب الصوامع أربابا من دون الله بان أطاعوهم في  
تحریم ما أحله الله تعالى وتحلیل ما حرّمه أو بالسجود لهم (والمسيح ابن مريم) أي اتخذ هذه النصارى ربا  
معبودا بعدما قالوا انه ابن الله (وما أمروا) أي والحال أن هؤلاء الكفار ما أمروا في التوراة والانجيل  
(الأي عبدو الها واحدا) عظيم الشأن هو الله تعالى (لا اله الا هو) صفة ثانية لالهها (سبحانه عما  
يشركون) أي تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك في التكليف وفي كونه معبودا ومسجودا وفي  
وجوب نهاية التعظيم والاحلال (يريدون) أي رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفئوا نور الله) أي  
دلائل الله المنيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد أي يريدون أن يردوا القرآن فيما  
نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد ومن الشرائع من أمر الحل والحرم (بأفواههم) أي  
بأقوالهم الباطلة (ويأبى الله) أي لا يريد (الا أن يتم نوره) بأعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام  
(ولو كره الكافرون) وجواب لو محذوف أي ولو كره الكافرون تمام نوره لأنهم لم يبال بكراهتهم (هو  
الذي أرسل رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (بالحدى) أي ملتبسا بالقرآن (ودين الحق) أي  
دين الاسلام (ليظهره على الدين كله) أي ليعلى الله دين الاسلام على الاديان كلها وهو أن لا يعبد الله  
الا به فان المسلمين قد قهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها  
الى ناحية الروم والغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام على كثير من بلادهم مما يلي  
الترك والمهند فثبت ان الذي أخبر الله عنه في هذه الآية قد حصل وكان ذلك اخبارا عن الغيب فكان مهجرا  
وروى عن أبي هريرة أنه قال هذا وعدم من الله بأنه تعالى يجعل الاسلام فالبا على جميع الاديان وتتمام  
هذا انما يحصل عند خروج عيسى فلا يبقى أهل دين الا دخلوا في الاسلام (ولو كره المشركون) ذلك  
الاظهار والوصف بالشرك بعد الوصف بالكفر للدلالة على انهم ضهوا الكفر بالرسول الى الكفر بالله  
(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار) أي علماء اليهود (والرهبان) أي علماء النصارى  
(ليأكلون أموال الناس بالباطل) أي لياخذون الاموال من سفلتهم بطريق الرشوة في تخفيف الاحكام  
والمساحة في الشرائع (ويصدون عن سبيل الله) أي لانهم يمنعون عن متابعة الاخيار من الخلق  
والعلماء في ذلك الزمان في المسلك المقرر في التوراة والانجيل وفي زمان محمد صلى الله عليه وسلم كانوا  
يبالغون في المنع عن متابعتهم صلى الله عليه وسلم في من جملة الهه جميع وجوه المكر والخداع (والذين  
يكثرون الذهب والفضة) أي يجمعونهما (ولا ينفقونها في سبيل الله) أي ولا يخرجون من جملة كل  
واحد منهم ما سواه كانت آنية أو دنائير ودراهم ما وجب اخراجه عن تلك الجملة من الزكاة والكفارات  
ونفقة الحج والجمعة وما يجب اخراجه في الدين والحقوق ونفقة الاهل والعيال وضمنان المتلفات وأروش  
الجنائيات (فبشرهم بعذاب أليم) أي فأخبرهم يا أشرف الخلق بعذاب أليم هو مذكور في قوله تعالى  
(يوم يحصى عليها في نار جهنم) أي يوم توقد على تلك الاموال التي هي الذهب والفضة نار ذات حر شديد في  
نار جهنم (فتكوى بها) أي فتحرق بتلك الاموال (جباهاهم) أي جهة امامهم كلها (وجنوبهم)  
من اليمين واليسار (وظهورهم) يقال لهم (هذا) أي الكنى (ما كنزتم) أي جزاء ما جمعتم من  
الاموال (لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكثرون) أي فذوقوا جزاء ما كنتم تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم  
(ان عدة الشهور) القمرية التي تؤدي فيها الزكاة وعليها يدور ذلك الاحكام الشرعية (عند الله)  
أي في حكمه (اثنا عشر شهرا) وأيام هذه الشهور ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية ثلاثمائة

وخمسة وستون يوما وربيع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام وربيع يوم فسبب  
 هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل آخر فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة  
 في الصيف (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض) وهذه الظروف  
 الثلاثة أبداً البعض من البعض والتقدير اربعة الشهور اثنا عشر شهراً عند الله في كتاب الله يوم خلق  
 السموات أي منذ خلق الله الاجرام والازمنة أي ان ذلك العدد ثابت في علم الله وفي كتاب الله من أول ما خلق  
 الله تعالى العالم (منها) أي من تلك الشهور الاثني عشر (أربعة حرم) هي ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم  
 ورجب (ذلك) أي عدة الشهور (الدين القيم) أي الحساب الصحيح (فلا تظلموا فيهن) أي  
 في الاربعة الحرم (أنفسكم) باتيان المعاصي فإنه أعظم وزراً كاتيانها في الحرم وقال ابن عباس فلا  
 تظلموا في الشهور الاثني عشر أنفسكم وذلك منع الانسان عن اتيان الفساد في جميع العمر (وقاتلوا  
 المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أي قاتلوا المشركين باجمعكم مجتئعين على قتالهم في جميع الاشهر  
 كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة وكونوا عباد الله متوفقين في مقاتلة الاعداء (واهلوا أن الله مع  
 المتقين) أي مع أوليائه الذين يخشونه في أداء الطاعات واجتناب المحرمات (انما النسيء) أي انما  
 تأخير حرمة شهر الى شهر آخر (زيادة في الكفر) لان ضم هذا العمل الى الانواع المتقدمة من الكفر  
 زيادة في الكفر (يضل به الذين كفروا) قرأ حفص وحزرة والكسائي يضل بالبناء للفعل والباقون  
 بفتح الياء على البناء للفاعل وقرأ أبو عمر وفي رواية من طريق ابن مقسم ويعقوب من العشرة بضم الياء  
 وكسر الضاد والمعنى حينئذ يضل بهذا التأخير الذين كفروا تابعتهم والآخذين بأقوالهم (يحلونه عاماً)  
 أي يحلون التأخير عاماً وهو العام الذي يريدون أن يقاتلوا في الحرم (ويحرمونه عاماً) أي ويحرمون  
 التأخير عاماً آخر وهو العام الذي يتركون الحرم على تحريره وسبب هذا التأخير ان العرب كانت تعظم  
 الاشهر الاربعة وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكانت عامة معاشهم  
 من الصيد والفارة والحروب فشق عليهم ان يكتثوا ثلاثة أشهر متواليه وقالوا ان توالى ثلاثة أشهر حرم  
 لانصيب فيها شيئاً لهلكنا كانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون الحرم (ليواطوا)  
 أي ليوافقوا (عدة ما حرم الله) من الاشهر الاربعة (فيحلوا ما حرم الله) بخصوصه قال ابن عباس  
 رضي الله عنهما انهم ما أحلوا شهر من الحرام الا حرموا مكانه شهر من الحلال ولم يحرموا شهر من الحلال  
 الا أحلوا مكانه شهر من الحرام لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى قال  
 الكلبي أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن نعلبة وكان يقوم ويخطب في الموسم ويقول ان  
 صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار وزرعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا  
 الازجة وأغاروا وقيل هو جنادة بن عوف السكاني وكان مطاعاً في الجاهلية كان يقول على جبل في الموسم  
 بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم الحرم فأحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت  
 عليكم الحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلس قال قائلهم ومننا من اسمي الشهر قلس وعن ابن  
 عباس رضي الله عنهما أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف (زين لهم سوء أعمالهم) قال  
 ابن عباس أي زين الشيطان لهم هذا العمل حتى حسبوا هذا القبيح حسناً (والله لا يهدي القوم  
 الكافرين) أي لا يرشدهم الى دينه لما سبق لهم في الازل انهم من أهل النار (يا أيها الذين آمنوا  
 ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلتم الى الارض) أي أي شئ ثبت لكم من الاعداء رجال



كونكم متناقلين ومشتبهين الاقامة في أرضكم في رقت قول الرسول لكم أخرجوا الى الغزو في طاعة الله  
 روى ان هذه الآية نزلت في غزوة تبوك مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة ويقال  
 لها غزوة العسرة وغزوة الفافضة وكانت في رجب في السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه  
 وسلم من الطائف الى المدينة وسببها ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان هرقل جمع أهل الروم  
 وأهل الشام وانهم قدموا مقدماتهم الى اللقاء فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجهاد وبعث الى مكة  
 وقبائل العرب وحض أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله وهي أخرج زواته لجهز عشان عشرة  
 آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل والحيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس وغير الزاد وما  
 يتعلق بذلك وأول من جاء بالنفقة أبو بكر فجاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء  
 ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة والاعنياء وبعث النساء بكل ما يقدرن  
 عليه من حليهن فلمّا تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفاً وكانت الحيل عشرة  
 آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري وتحلف عبد الله بن أبي ومن كان معه من المناقبين  
 بعد ان خرجوا الى ثنية الوداع وكان من تحلف عشر قبائل وانما تباطأ الناس في خروجهم للقتال لشدة  
 الزمان في لحظ وضيق عيش ولبعد المسافة والحاجة الى الاستعداد الزائد على ما جرت به العادة في سائر  
 الغزوات ولشدة الحر في ذلك الوقت ولما به عسكر الروم ولا دراك الثمار في المدينة في ذلك الوقت فاقترض  
 اجتماع هذه الاسباب تناقل الناس عن ذلك الغزو (أرضيتهم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة)  
 أي بدل نعيم الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) أي فما التمتع بلذات الدنيا في مقابلة  
 نعيم الآخرة الا قليل لان سعادة الدنيا بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة في البحر وترك الخير الكثير  
 لاجل السرور القليل سفه (الاتنقروا يعذبكم) الله (عذاباً أليماً) أي ان لم تخرجوا الى ما طلب الخروج  
 منكم اليه يهلككم الله بسبب فطيع هائل كتميط وقصوه (ويستبدل قوم غيركم) أي يأتي بعد  
 أهلاككم بدلكم يقوم مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا كأهل اليمن وأبناء فارس (ولا تضروه  
 شيئاً) أي لا يضر الله جلوسكم شيئاً لانه غنى عن العالمين أو لا يضر الرسول تناقلكم في نصرة دينه أصلاً  
 لان الله عصمه من الناس (والله على كل شيء قدير) فيقدر على نصرته ودينه ولو من غير واسطة (الا  
 تنصروه فقد نصره الله اذا أخرجه الذي كفروا ثماني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله  
 معنا) أي ان لم تنتصر واحمد الله نصره الله الذي قد نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد اذ جعله كفار مكة  
 مثل المضطر الى الخروج حيث أذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج حين هو باقتله حال كونه أحد  
 اثنين والاخر أبو بكر الصديق اذ هما في الغار اذ يقول محمد صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق  
 لا تحزن ان الله معنا وكان الصديق قد حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه قال له  
 يا رسول الله اذا مات أنا فانا رجل واحد واذا مات أنت هلكت الامة والدين روى ان قريشاً ومن جملة من  
 المشركين تعاهدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره الله تعالى ان يخرج أول الليل الى الغار  
 وخرج هو وأبو بكر أول الليل الى الغار وأمر صلى الله عليه وسلم علياً ان يضطجع على فراشه لينعم السواد  
 من طلبه حتى يبلغ الى ما أمر الله به فلما وصل الى الغار دخل أبو بكر فيه أولاً يلتمس ما فيه فقال له النبي  
 صلى الله عليه وسلم مالك فقال يا بني أنت وأمي الغار ماوى السباع والحوام فان كان فيه شيء كان بي لابل

وكان في الغار جحر فوضع عقبه عليه لئلا يغترج ما يؤذي الرسول فلما طلب المشركون الاثر وقرىوا بكى أبو  
 بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزان الله معنا بنصره فجعل يسبح  
 المومع عن خده وروى لما دخل الغار بعث الله تعالى حماة من قباضة في أسفله والعنكبوت نسجت  
 عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون أحدا (فأنزل الله  
 سكينة) أي أمنت التي تسكن عندها القلوب (عليه) أي على صاحبه صلى الله عليه وسلم أبي بكر  
 الصديق (وأيد) أي أعانه صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) وهم الملائكة النازلون يوم بدر  
 والاحزاب وحنين وهذه الجملة معطوفة على جملة نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) أي  
 جعل الله يوم بدر كلمة الشرك سافلة حقيرة (وكلمة الله) أي قوله لا اله الا الله (هي العليا) أي الغالبة  
 الظاهرة (والله عزيز) أي قاهر غالب (حكيم) أي لا يفعل الا الصواب (انفروا خفا فاثقالا)  
 أي اخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك خفا في الخروج لشطاطكم له وثقالا عنه لئلا يشك فيكم  
 (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) أي جاهدوا في طاعة الله بما أمكن لكم اما بكمالهم  
 أو بأحدما (ذلكم) أي الجهاد (خير لكم) أي خير عظيم في أنفسكم (ان كنتم تعلمون)  
 أن الجهاد خير فبادروا اليه (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك) أي لو كان مادعا اليه متاعا  
 قريب المال سهل المأخذ وسفرا متوسطا بين القريب والبعيد لاتبعوك في الخروج الى تبوك طمعا في  
 تلك المنافع (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة التي تقطع عشقة فتخلفوا عن الجهاد بسبب انهم  
 كانوا يستعظمون غزو الروم فكانوا كالأيسين من الفوز بالغنمة (وسخلفون) أي المتخلفون عن  
 الغزو عند رجوعك من تبوك وهم عبد الله بن أبي وجحب قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم قائلين  
 (بالله لو استطعنا) بالزاد والراحلة (لخرجنا معكم) الى غزوة تبوك (يهلكون أنفسهم) بسبب  
 الحلف الكاذب فإن الايمان الكاذبة توجب الهلاك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اليمن الغموس تنع  
 الديار بلاقع (والله يعلم انهم لكاذبون) في ايمانهم لانهم كانوا مستطيعين الخروج (عفا الله عنك)  
 يا أشرف الخلق ما وقع منك من ترك الاولى والاكمل (لم أذن لهم) أي لاى سبب أذنت لهم في التخلف  
 (حتى يتبين لك الذين صدقوا) في اعتذارهم بعدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن (وتعلم  
 الكاذبين) في ذلك قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف المناققين يومئذ حتى  
 نزلت سورة براءة (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي  
 ليس من عادة المؤمنين الخلف أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف عنه  
 وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فان ربنا ندبنا  
 اليه مرة بعد أخرى فأى فائدة في الاستئذان ولنجاهد معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا يحيث لو أمرهم الرسول  
 بالعود لشق عليهم ذلك (والله عليم بالمتقين) الذين يسارعون الى طاعته (انما يستأذنك الذين  
 لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي انما يستأذنك يا أشرف الخلق في التخلف عن الجهاد من غير عذر  
 المناقون فانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا (وارتابت قلوبهم) أي شككت قلوبهم في الدين (فهم  
 في ريبهم يترددون) أي فهم حال كونهم في شكهم المستقر في قلوبهم يتخرون لاعم الكفار ولا مع  
 المؤمنين (ولو أرادوا الخروج) الى الغزو معك (لاعدوا له) أي للخروج (عدة) أي أهبة من  
 الزاد والراحلة والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) أي ولكن لم يرض الله نهوضهم للخروج معك

(فنبطهم) أى حبسهم بالكسل (وقيل أقعدوهم القاعددين) أى تخلفوهم المتخلفين والقائل  
الشیطان بوسوسته أو بعضهم لبعض أو هو أمر النبي بذلك أمر توبيخ أو القاء الله تعالى كراهة الخروج  
في قلوبهم فلا قول بالفعل لا من الله ولا من النبي (لو خرجوا فيكم) أى معكم (ما زادوكم الا خبالا) أى  
فسادا (ولا وضعوا خلاصكم) أى ولساروا على الابل وسطكم ولا مرعوا بينكم بالذمائم (يبغونكم  
الفتنة) أى يطلبون لكم ما تفتنون به بالقاء الرعب في قلوبكم وبافساد نياتكم (وفيكم سمعون لهم)  
أى فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين (والله عليم بالظالمين) لانفسهم بسبب نفاقهم ولغيرهم بسبب  
أنهم سمعوا في القاء غيرهم في وجوه الآفات (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى من قبل واقعة تبوك كما فعل  
عبد الله بن أبي يوم أحد حيث انصرف مع أصحابه عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقلبوا لك الامور) أى  
اجتهدوا في الحيلة عليك وفي ابطال أمرك (حتى جاء الحق) أى استمر هؤلاء المنافقون على آثار  
الفتنة وتنفيرا للناس عن قبول الدين حتى جاء النصر الهلبي وكثر المؤمنون (وظهر أمر الله) أى غلب  
دينه بظهوره لأسباب التي تقوى شرع محمد صلى الله عليه وسلم (وهم كارهون) أى والحال انهم  
كارهون لمجيء هذا الحق وظهور أمر الله (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) أى ومن المنافقين وهو  
الجد بن قيس من يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود في المدينة ولا توقعني في الاثم بأن لا تأذن  
لي فانك ان منعتني من القعود وقعت بغير اذنك وقعت في الاثم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما  
تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الاصفراءى في جهاد ملوك الروم فقال  
الجد يا رسول الله قد علمت الانصار أني مغرم بالنساء فلا تفتني بينات الاصفروا في أخشى ان رأيتهن لا أصبر  
عنهن ولكنني أعينك بما فاتركني (ألا) أى تنهوا (في الفتنة سقطوا) أى انهم في عين الفتنة  
وقعوا فان أعظم أنواع الفتنة الكفر بالله ورسوله والتمرد عن قبول التكليف وهم خائفون من نزول  
آيات في بيان نفاقهم (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وقيل ان  
أسباب تلك الأخطاة حاصلة في الحال فكأنهم في وسطها لانهم كانوا محرومين عن كل السعادات وانهم  
اشتهروا بين الناس بالنفاق والطعن في الدين وقصد الرسول بكل سوء وكانوا يشاهدون ان دولة الاسلام  
أبدى الترقى وكانوا في أشد الخوف على انفسهم وأولادهم وأموالهم (ان تصيبك حسنة تسوهم) أى  
ان تصيبك في بعض الغزوات حسنة من ظفر أو غنيمة أو انقياد بعض ملوك الأطراف يحزنهم ذلك (وان  
تصيبك في بعض الغزوات مصيبة) أى شدة وان صغرت (يقولوا) متبججين برأيهم (قد أخذنا  
أمرنا) أى حذرنا بالاعتزال عن المسلمين والتخلف عنهم والمداراة مع الكفرة (من قبل) أى من قبل  
هذه المصيبة (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) بما أصابك من المصيبة  
وبسلامتهم منها (قل) يا أشرف الخلق للمنافقين بيانا بطلان اعتقادهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله  
لنا) أى لن يصيبنا خير ولا شر ولا رخاء ولا شدة ولا خوف ولا أمن الا وهو مقدر علينا مكتوب عند الله  
فاذا صرنا مغلوبين صرنا مستحقين للاجر العظيم وان صرنا ظالمين صرنا مستحقين للثواب في الآخرة وفزنا  
بالمال الكثير والثناء الجميل في الدنيا (هو) أى الله (مولانا) يحسن منه التصرف في العالم كيف  
يشاء فان أوصل الى بعض عبيده أنواعا من المصائب فانه يجب الرضا بها (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)  
أى فالواجب على المؤمن ان يفوض أمره الى الله وأن يرضى بفعله تعالى وأن يطمع من فضله تعالى ورحمته  
(قل) يا أشرف الخلق للمنافقين (هل تربصون بنا الا احدى الحسينين) أى ما تنتظرون بنا الا احدى

الحالتين الشريفتين النصر والشهادة وذلك لان المسلم اذا ذهب الى الغزو فان صار مغلوبا مقتولا فاز  
 بالاسم الحسن في الدنيا وهي الرجولية والشوكة وبالثواب العظيم الذي أعد الله للشهداء في الآخرة وان  
 صار ظالما فاز في الدنيا بالمال الحلال والاسم الجميل وفي الآخرة بالثواب العظيم (وفمن تربص بكم)  
 احدى الحالتين الخسيتين اما (ان يصيبكم الله بهذاب من عنده) كان ينزل عليكم صاعقة من السماء  
 كما نزلت على عاد وثمود (أو) بهذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر أي ان المنافق اذا قعد في  
 بيته كان مذموما منسوبا الى الجبن وضعف القلب والرضا بأمر يشاركه فيه النسوان والصبيان والعاجزون  
 ثم يكون أبدا خائفا على نفسه وولده وماله وان أذن الله في قتله وقع في القتل والاسر والنهب مع الذل وان  
 مات انتقل الى العذاب الدائم في الآخرة (فتربصوا) بنا احدى الحالتين الشريفتين (انامعكم تربصون)  
 وقوعكم في احدى الحالتين الخسيتين (قل) يا أشرف الخلق لهذا المنافق وأمثاله وهذه الآية نزلت  
 في الجدين قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وهذا ما الى أعينك به (أنفقوا)  
 أموالكم (طوعا) أي من غير الزام من الله ورسوله (أو كرها) أي الزام منها وسمى الزام اكراها  
 لان الزام المنافقين بالانفاق كان شاقا عليهم كالاكراه وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي النساء والاحقاف  
 كرها بضم الكاف وقرأ عاصم وابن عامر في الاحقاف بالضم من المشقة وفي النساء والتوبة بالغيم من  
 الاكراه والباقون بفتح الكاف في جميع ذلك (ان يتقبل منكم) والامر هنا يعني الخبر أي نفقتكم  
 غير مقبولة سواء كانت طوعا أو كرها (انكم كنتم قوما فاسقين) أي منافقين فانهم كفرون في الباطن  
 (وما منهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا اوههم كسالى) أي  
 لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين فان هذا المنافق ان كان في جماعة صلى وان كان  
 وحده لم يصل لانه لا يصلى طاعة لأمير الله وانما يصلى الى خوفا من مذمة الناس (ولا ينفقون الا وهم  
 كارهون) أي لا رغبة لهم فانهم لا ينفقون لغرض الطاعة بل رغبة للمصلحة الظاهرة حتى انهم كانوا يعدون  
 الانفاق مغرايبينهم (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) والمراد بهذا الخطاب جميع المؤمنين والمعنى ولا  
 تعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم (انما يريد الله ليغذبنهم بها) أي بالاموال والاولاد (في الحياة  
 الدنيا) وسبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا  
 حصل ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد النغم والخوف بسبب المصائب الواقعة فيهما وهم  
 اعتقدوا أنه لا سعادة الا في هذه الخيرات العاجلة فالمال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن  
 لانه علم أنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا (وترهق أنفسهم وهم كفرون) أي يريد الله أن يخرج  
 أرواحهم والحال أنهم كفرون فيكون عذابهم في الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أي  
 يحلف المنافقون للمؤمنين اذا جالسوهم أنهم على دينكم (وما هم منكم) أي ليسوا على دينكم  
 (ولكنهم قوم يفرقون) أي يخافون القتل فأظهروا الايمان وأسرؤا النفاق (لويجدون مجأ) أي  
 حرا يلبثون اليه تحصنا منكم من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أي كهوف في الجبل  
 يخفون فيها أنفسهم (أو مدخلا) أي مريات تحت الارض كالأباريندسون فيه (لولوا) أي لصرفوا  
 وجوههم (اليه) أي الى أحد هذه الوجوه الثلاثة التي هي شر الامكنة (وهم يجمعون) أي يسرعون  
 اسراعا لا يرد وجوههم شيئا لشدة تأذيتهم من الرسول ومن المسلمين (ومنهم) أي المنافقين أبي الاحوص  
 وأصحابه (من يلزك) أي من يعيبك سرا (في الصدقات) قالوا لم يقسم بيننا بالسوية والله ما يعطيها

محمد الامن أحب ولا يؤثرها الا هو اهوا فتزلت هذه الآية (فان أعطوا منها) أى الصدقات قدر ما يريدون  
 في الكثرة (رضوا) بالقسمة (وان لم يعطوا منها) قدر ما يريدون (اذا هم يسخطون) أى يفاجئون  
 السخط فان رضاهم ومخطهم لطلب النصيب لا لاجل الدين (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله)  
 من الصدقات وطابت نفوسهم وان قل (وقالوا احسبنا الله) أى كفانا ذلك (سيؤتينا الله من فضله  
 ورسوله) أى سيغنيننا الله من فضله برزقه فيعطينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما أعطانا اليوم  
 (انا الى الله) أى الى طاعته واحسانه (راغبون) لكان ذلك أعود عليهم ونقل أن عيسى عليه  
 السلام مر بقوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم  
 ثم مر على قوم آخرين يذكرون الله تعالى فقال ما الذى يحملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال  
 أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسلمهم فقالوا لا نذكر الخوف من العقاب ولا الرغبة في الثواب  
 بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بعرفته وتشريف اللسان بالفاظ الدالة على  
 صفات قدسه وعزته فقال أنتم المحبون المحققون (انما الصدقات للفقراء والمساكين) أى اغنا الزكوات  
 مصروفة للفقراء وهم المحتاجون الذين لا يجدون شياً ولا يسألون الناس وهم أهل صفة مسجدر رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وكانوا نحو أربعين رجلاً لا منزل لهم والمساكين هم الطوافون الذين يسألون الناس كما  
 قاله ابن عباس ومن سأل وجد فكان المسكين أقل حاجة (والعاملين عليها) وهم السعاة لجباية الصدقة  
 وهو لا يعطون من الصدقات بقدر أجور أعمالهم وهو قول الشافعي وعبد الله بن عمر وابن زيد وقال مجاهد  
 والضحاك يعطون الثمن من الصدقات (والمؤلفة قلوبهم) وهم أصناف صنف دخلوا في الاسلام  
 ونياتهم ضعيفة فيثابون ليمثبتوا وآخرين لهم شرف في قومهم يطلب بتألفهم اسلام نظرائهم وأثبت الشافعي  
 والاصحاب سهم هذين الصنفين وصنف يراد بتألفهم ان يجاهدوا من يليهم من الكفار أو من مائى الزكاة  
 ويقبضوا زكاتهم وهذا في معنى الغزاة والعاملين وعلى هذا فيسقط سهم المؤلفة بالكلية لكن يجوز  
 صرفه اليهما كما أفتى به الماوردي (وفي الرقاب) أى وفي فلك الرقاب فسهمهم موضوع في المكاتبين  
 ليعتقوا به كما هو مذهب الشافعي والليث بن سعد أو موضوع ليعتق الرقاب يشتري به عبيد فيعتقون كما هو  
 مذهب مالك وأحمد وإسحق وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين من المسلمين ونصف  
 يشتري به رقاب عن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة (والغارمين) أى المديونين في  
 طاعة الله (وفي سبيل الله) ويجوز الغازی ان يأخذ من مال الزكاة وان كان غنياً كما هو مذهب  
 الشافعي ومالك وإسحق وأبي عبيد وقال أبو حنيفة وصاحبه لا يعطى الغازی الا اذا كان محتاجاً ونقل  
 القفال عن بعض الفقهاء انهم أجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتي وبناء  
 الحصون وعمار المساجد لان قوله تعالى في سبيل الله عام في الكل (وابن السبيل) وهو الذى يريد  
 السفر في غير معصية فيعجز عن بلوغ سفره لابعونه ويصرف مال الزكاة الى الاصناف الاربعة  
 الاول حتى يتصرفوا فيه كما شاؤوا وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات  
 الحاجات المعتبرة في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكاة ومذهب أبي حنيفة انه يجوز صرف  
 الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف فقط كما هو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وقال  
 الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية كما هو قول عمر وعكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز  
 (فريضة من الله) أى فرض الله الصدقات هؤلاء فريضة والمقصود من هذا التأكيد تحريم اخراج

الزكاة عن هذه الاصناف (والله اعلم) فيعلم بمقادير المصالح (حكيم) لا يشرع الا ما هو الا صواب  
 الاصطلاح (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) روى ان جماعة من المنافقين حذام بن خالد  
 وياس بن قيس وسهال بن يزيد وهبيد بن مالك والجلال بن سويد ووديعة بن ثابت ذكر والنبي صلى  
 الله عليه وسلم بما لا ينبغي من القول ثم قالوا ان كان ما يقول محمداً حقاً فتحن شرم من الحير وكان عندهم  
 غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا  
 ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقههم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول  
 اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه صلى الله  
 عليه وسلم ليس له ذكاه بل هو سليمان القلب سريع الاغترار بكل ما يسمعهم (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء  
 المنافقين (أذن خير لكم) قرأهم في رواية الأعمش وعبد الرحمن عن أبي بكر عنه أذن خير من فوعين أي  
 ان كان صلى الله عليه وسلم كما تقولون انه أذن فاذن يقبل منكم خير لكم من ان يكذبكم والباقيون بالاضافة  
 أي هو أذن خير لا أذن شر أي يصدقكم بالحير لا بالكذب ثم بين الله كونه صلى الله عليه وسلم اذن خير بقوله  
 (يؤمن بالله) لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) أي ويرضى لهم ويصدقهم لما علم فيهم من الخلوص  
 (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي وهو رفق بالذين أظهروا الايمان منكم حيث لا يكشف أسرارهم وقرأ  
 حمزة ورحمة بالجر عطفاً على خير وقرأ ابن عامر ورحمة بالنصب علة لمحذوف أي ويأذن لكم رحمة (والذين  
 يؤذون رسول الله) بقولهم هو اذن ونحوه (لهم عذاب أليم) في الدنيا والآخرة (يحلِفون بالله لكم ليرضوكم)  
 أي انهم حلفوا على انهم ما قالوا ما حكي عنهم ليرضوا المؤمنين بيمينهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه)  
 أي والحال انه تعالى ورسوله أحق بالارضاء منكم وكان من الواجب أن يرضوهما بالارضاء والارضاء  
 والمتابعة وإيفاء حقوقه صلى الله عليه وسلم في باب الاجلال مشهداً ومغيباً لا باتيانهم بالايمان الفاجرة  
 (ان كانوا مؤمنين) فليرضوا الله ورسوله بالطاعة فانهما أحق بالارضاء (ألم يعلموا) أي أولئك  
 المنافقون جلاس وأصحابه (أنه) أي الشان (من يجادل الله) أي من يخالف الله (ورسوله فان  
 له نار جهنم) أي لحق أن له نار جهنم أي فكون نار جهنم له أمر ثابت (خالد افيها ذلك) أي العذاب  
 الخالد (الحزى العظيم) أي الندم الشديد وهي غرات نفاقهم (يحذرون أن تنزل عليهم  
 سورة تنبئهم بما في قلوبهم) أي يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تنذير ما كانوا يخفونه من  
 أسرارهم اذاعة ظاهرة فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال فكانت السورة تنبئهم بها  
 وهم كانوا اذا هم عوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه  
 ويستهنون به (قل استهنوا) أي افعلوا الاستهزاء بمحمد والقرآن (ان الله مخرج ما تحذرون)  
 أي فان الله مظهر ما تحذرون من انزال السورة (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) قال  
 الحسن وقتادة لما سار الرسول الى تبوك قال المنافقون بينهم أترأى يظهر على الشام وبأخذ حصونها  
 وقصورها هيئات هيئات فعند رجوعه صلى الله عليه وسلم دعاهم وقال أنتم القائلون بكذا وكذا فقالوا  
 ما كان ذلك بالجدي في قلوبنا وانما كنا نتحدث ونضحك فيما بيننا (قل أبا الله) أي بتكليف الله  
 (وآياته) أي وبالقرآن وبسائر ما يدل على الدين (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (كنتم نستهنون  
 لا تعتذروا) أي لا تذكروا هذا العذر في دفع هذا الجرم (قد كفرتم بعد ايمانكم) أي قد ظهر كفركم  
 للمؤمنين بالطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان كنتم عندهم مسلمين (ان نغف عن طائفة منكم نغضب



طائفة) قرأ عاصم نعت ونعذب بالنون مبنيا للفاعل وطائفة بالنصب والباقيون يعف بالياء وتعذب  
 بالتاء بالبناء للمفعول وطائفة يرفع روى أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة وهو جهر بن حير  
 والاثنان طائفة وهما وديع بن جذام وجذب بن قيس فالذي عفى عنه جهر بن حير لانه كان فحشا معهم ولم  
 يستهزئ معهم فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقشع رملها الجلود وتحقق  
 منها القلوب اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم القيامة  
 فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (بأنهم كانوا مجرمين) أي مستقرين على النفاق والاستهزاء فأوجب  
 التعذيب (المنافقون) وكانوا ثلاثمائة (والمناققات) وكن مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أي  
 متشابهون في صفة النفاق والأفعال الخبيثة (يأمرون) أي يأمر بعضهم بعضا (بالنكر) أي بالكفر  
 والمعاصي (وينهون عن المعروف) أي عن الإيعان والطاعة (ويقبضون أيديهم) عن كل خير  
 من زكاة وصدقة وانفاق في سبيل الله (نسوا الله) أي تركوا أمر الله (فنبههم) أي فجأزاهم بتركهم  
 من رحمة (ان المنافقين هم الفاسقون) أي الكاملون في الفسق الذي هو الانسلاخ من كل خير (وعد  
 الله المنافقين والمنافقات والكفار) أي المجاهرين بالكفر (نار جهنم خالدين فيها) فالنار الخالدة من  
 أعظم العقوبات (هي حسبهم) أي تلك العقوبة كافية لهم ولا شيء أبلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها  
 (ولعنهم الله) أي أهانهم الله بالذم لمحقا بتلك العقوبة (ولهم عذاب مقيم) غير النار كالزهرير وكفا ساة  
 تب النفاق في الدنيا اذ هم دائمون في حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم (كالذين من قبلكم) أي  
 فعلكم أي المنافقون كفعل الكفار الذين كانوا قبلكم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض  
 الأيدي عن الخيرات (كانوا أشد منكم قوة) في الأبدان (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم)  
 أي فتمتعوا بمدة بنصيبهم من لذات الدنيا (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) أي  
 فأنتم أي المنافقون استمتعتم بنصيبكم استمتاعا كما استمتع الكفار الذين من قبلكم بحظوظهم  
 الحسية من الشهوات الفانية (وخضتم كالذي خاضوا) أي وتلبستم بتكذيب الأنبياء في السر  
 وبالمكر والغدر بهم كالتلبس الذي تلبسوا به من تكذيب أنبياء الله والغدر بهم (وأولئك) الموصوفون  
 بالأفعال الذميمة (حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أي بطلت حسناتهم بسبب الفقر والافتقار من  
 العزالي الذل ومن القوة إلى الضعف وبسبب الموت وفي الآخرة بسبب أنهم يعاقبون أشد العقاب (وأولئك  
 هم الخاسرون) حيث أتعبوا أنفسهم في الرد على الأنبياء فما وجدوا منه إلا قواف الخيرات في الدنيا  
 والآخرة والاحصول العقاب في الدنيا والآخرة (ألم يأتهم) أي المنافقين (نبأ الذين من قبلهم قوم  
 نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات) أي المنقلبات التي جعل الله عالي القرى سافلها  
 (أتهم رسلهم بالبينات) أي المعجزات فكذبوهم فجهل الله هلاكهم والله أهلك قوم نوح بالغرق وعادا  
 قوم هود بارسال الريح العقيم وثمرود قوم صالح بارسال الصيحة والصاعقة وقوم إبراهيم بالهدم وسلب النعمة  
 عنهم وبتسليط البعوضة على دماغ غرود قوم شعيب بالظلة أو بالرجفة وقوم لوط بالحسف وبجعل عالي  
 أرضهم سافلها وبامطار الحمارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم  
 قريبة من بلاد العرب وهي الشام والعراق واليمن فكانوا يعرفون أخبار أهلها (فما كان  
 الله ليظلمهم) بإيصال العذاب إليهم لأنهم استحقوه بسبب أفعالهم القبيحة (ولكن كانوا أنفسهم  
 يظلمون) بالكفر وتكذيب الأنبياء (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) بسبب المشاركة

في الاستدلال والتوفيق والهداية (يأمرهم بالمعروف) أي بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمر  
 (وينهون عن المنكر) أي الشرك والمعاصي (ويقيمون الصلاة) أي المفروضة بإتمام الأركان  
 والشروط (ويؤتون الزكاة) الواجبة عليهم (ويطيعون الله ورسوله) في كل أمر ونهي في السر  
 والعلانية (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات (سيرحهم الله) أي يفيض عليهم آثار رحمته واللين  
 للتوكيد والمبالغة (إن الله عزيز) أي لا ينع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة (حكيم) أي مدبر  
 أمر عباده على ما يقتضيه العدل والصواب (وعدا الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار)  
 أي تجري من تحت شجرها ومساكنها أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها ومساكن طيبة) وهي  
 قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر (في جنات عدن) وهي أبيسى أما كن الجنات وأسنائها  
 وقال عبد الله بن عمر إن في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل  
 باب خمسة آلاف حوراء لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد (ورضوان من الله أكبر) مما هم فيه إذ عليه  
 يدور فوز كل خير وسعادة وروى أنه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد  
 أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال  
 أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا وقرأ أشعبة ورضوان بضم الراء والباقون بالكسر (ذلك) أي  
 المذكور من الأمور الثلاثة (هو الفوز العظيم) لا ما يطلبه المنافقون والكفار من التمتع بطيبات الدنيا  
 (يأياها النبي جاهد الكفار) أي المجاهدين بالسيف (والمنافقين) أي الساترين كفرهم بظهور الاسلام  
 باظهار الحجية بالسيف لنطقهم بكلمتي الشهادة (واغلظ عليهم) أي أشد دعلي كلا الفريقين بالفعل  
 والقول (ومأواهم جهنم وبئس المصير) هي وهذه الجملة مستأنفة لبيان عاقبة أمرهم (يخلفون بالله  
 ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) بتوافقهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم وطعنهم على نبوته (وكفروا  
 بعد اسلامهم) أي أظهروا الكفر وجأهروا بالحرب بعد أن أظهروا الاسلام (وهو بما لم ينالوا) روى  
 أن المنافقين هموا بقتله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من تبوك وهم خمسة عشر رجلا قد اتفقوا على أن  
 يدفعوه صلى الله عليه وسلم عن راحلته ليقع في الوادي فيموت فأخبره الله بعبادته فلما وصل إلى العقبة  
 التي بين تبوك والمدينة نادى مناديه بأمره أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره  
 واسلكوا يا معشر الجيوش بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادي وسلك النبي  
 العقبة وكان ذلك في ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلقوا وسلكوا العقبة وكان النبي قد أمر عمار بن ياسر  
 أن يأخذ بزمام ناقته ويقودها وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها فيبينما النبي يسير في العقبة ازدحم  
 المنافقون فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فلو أمدبرين وعلما أنه اطلع على مكرهم فأنخطوا  
 من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس فصار حذيفة يضرب الناقة فقال له النبي هل عرفت  
 أحدا منهم قال لا فانهم كانوا متلثمين واليلة مظلمة قال هل علمت مرادهم قال لا قال النبي انهم مكرروا  
 وأرادوا أن يسروا معي في العقبة فزعموني عنها وإن الله أخبرني بهم وبمكرهم فلما أصبح جمعهم وأخبرهم  
 بما مكرروا به فخطبوا بالله ما قالوا بتكذيب النبي ونسبه إلى التصنع في ادعاء الرسالة ولا أرادوا فتنه فأنزل  
 الله تعالى هذه الآية (ومانتعوا الآن أغناهم الله ورسوله من فضله) أي وما أنكروا على رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم شيئا من الأشياء الا أغناهم الله تعالى إياهم من فضله فان هؤلاء المنافقين كانوا قبل قدوم  
 النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ضلالتهم من العيش لا يركبون الخيل ولا يحرزون الغنيمة وبعد قدومه

أخذوا الغنائم وفازوا بالأموال ووجدوا الدولة وقتل الجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدبته اثني عشر ألفا فاستغنى وذلك يوجب عليهم أن يكون محبين له صلى الله عليه وسلم مجتهدين في بذل النفس والمال لأجله فعملوا بضد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم أن كرهوه وعابوه (فان يتوبوا) من النفاق كما وقع للجلاس بن سويد فانه تاب وحسنت توبته (يك) أى التوب (خيرا لهم) في الدارين (وان يتولوا) أى يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بقتلهم وسبي أولادهم وأزواجهم واغتنام أموالهم لانه لما ظهر كفرهم بين الناس صاروا مثل أهل الحرب فيحمل قتالهم (والآخرة) بالنار وغيرها من أفاتين العقاب (ومالهم في الأرض) مع سعتها (من ولي) أى حافظ (ولانصير) ينقذهم من العذاب (ومنهم) أى المنافقين (من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلاوا به وتولوا) بأجرهم على العهد (وهم معرضون) يقولونهم عن أوامر الله تعالى (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) أى فأورثهم البخل نفاقا مما سكتنا في قلوبهم أى فارتدوا عن الاسلام وصاروا منافقين (الى يوم يلقونه) أى الى يوم موتهم الذى يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعدوه) أى بسبب اخلافهم الله الوعد من التصديق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) أى وبسبب كونهم مستمرين على الكذب في وعدهم روى أن ثعلبة بن حاطب كان صحابيا في الاسلام في ابتداء أمره وصار منافقا في آخر أمره وكان ملازما لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقب بحمامة المسجد ثم رآه النبي صلى الله عليه وسلم يسرع الخروج من المسجد عقب الصلاة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تفعل فعل المنافقين فقال انى افتقرت لى ولا امرأتى ثوب أجى به للصلاة ثم اذهب فارتزعه لتلبسه وتصلى به فجاء ثعلبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم آتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقنى مالا الذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لا أعطين كل ذى حق حقه فدهاله فاتخذ غنما فأنتمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادى من أوديتها فجعل يصل على الظهر والعصر مع رسول الله ويصلى في غنمه باقى الصلوات ثم غت وكثرت فتباعه من المدينة حتى ترك الصلوات الا الجمعة ثم غت وكثرت حتى تباعد وترك الجمعة فاذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بخبره فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا فنزل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة فتبع صلى الله عليه وسلم اليه رجلين من بني سليم ومن بني جهينة وكتب لهما السنان الصدقة وقال لهما امرا على ثعلبة بن حاطب فخذ صدقاته فأتياه وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما ما هذه الا الجزية أو أخت الجزية فلم يدفع الصدقة فأنزل الله تعالى هذه الآية فقبل له قد أنزل فيك كذا وكذا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله منعه من قبول ذلك فجعل يحشو التراب على راسه فقال صلى الله عليه وسلم قد قلت لك خسا طعنتي فرجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى أبا بكر بصدقته فلم يقبلها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء بها الى عمر أيام خلافة فلم يقبلها فلما ولي عثمان آتاه بها فلم يقبلها وهلك ثعلبة في خلافة عثمان وانما امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ تلك الصدقة لان المقصود من الأخذ غير حاصل في ثعلبة مع نفاقه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وترزقهم بها (ألم يعلموا)

أى المنافقون (أن الله يعلم سرهم) وهو ما ينطوي عليه صدورهم (ونجواهم) وهو ما يفاوض به  
 بعضهم بعضاً فيما بينهم (وأن الله علام الغيوب) أى ما قاب عن الخلق (الذين يلزون المطوعين من  
 المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم) أى ويطعنون على الذين لا يجدون إلا طاقتهم  
 (فيصرفون منهم) أى ويهزؤون بالفريق الأخير بقلة الصدقة (من خرا الله منهم) وهذه الجملة خبر  
 للوصول وقال الأصم أى قبل الله من هؤلاء المنافقين ما أظهره من أعمال البر مع أنه لا يثيبهم عليها فكان  
 ذلك كالسخريفة وقال ابن عباس فتح الله لهم في الآخرة باباً إلى الجنة (ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس  
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحث على أن يجمعوا الصدقات فجاءه عبد الرحمن بن  
 عوف بأربعة آلاف درهم وجاء عمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم وجاء عاصم بن عدي الأنصاري بسبعين وسقاً من تمر وجاء  
 عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجاء أبو عقييل عبد الرحمن بن تيمان بصاع من تمر فأمر رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فقال المنافقون على وجه الطعن ما جاء بصدقاتهم إلا رياءاً وسمعتوا ما أبو  
 عقييل فأنما جاء بصاع ليذكرهم مع سائر الأكراب والله غني عن صاعه فأنزل الله تعالى هذه الآية  
 (استغفر لهم أولاً تستغفر لهم) روى أنه لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وظهر نفاقهم للمؤمنين  
 جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون وقالوا يا رسول الله استغفر لنا فقال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم سأستغفر لكم واشتغل بالاستغفار لهم فنزلت هذه الآية فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 الاستغفار وهذا الأمر تخيير له صلى الله عليه وسلم في الاستغفار وتركه ومعناه إخبار باستواء الأمرين  
 أى إن شئت فاستغفر لهم وإن شئت فلا تستغفر لهم فاستغفاركم لهم وعدمه سواء (ألا تستغفر لهم سبعين  
 مرة قلن يغفر الله لهم) وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة في التكثير الاشتمال السبعة  
 على جملة أقسام العدد فكأنها العدد بأسره فإن عدة مراتبه سبعة أحاد عشرات مئين أحاد ألوف  
 عشرات ألوف مئين ألوف أحاد ألوف الألوف والسبعون عند العرب فاية مستقصاة لأنه عبارة عن  
 جمع السبعة عشر مرات والسبعة عدد شريف لأن عدد السموات والأرض والبحار والأقاليم والنجوم  
 والأيام والأعضاء هو هذا العدد (ذلك) أى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار (بأنهم  
 كفروا بالله ورسوله) أى بسبب كفرهم بالعدم الاعتداد بالاستغفار (والله لا يهدي القوم الفاسقين)  
 أى فإن تجاوزهم عن الحدود مانع من الهداية (فرح المخلفون) أى الذين تركهم النبي صلى الله عليه  
 وسلم (بقعودهم) أى في المدينة (خلاف رسول الله) أى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث  
 سار إلى تبوك للجهاد وأقاموا في المدينة (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) فإن في  
 المجاهدة اتلاف النفس والمال (وقالوا) لاخوانهم أو للمؤمنين تشييطانهم عن الجهاد ونهيهم عن المعروف  
 (لا تنفروا في الحرب) أى لا تخرجوا إلى الجهاد في الحر الشديد (قل) تجهيلاً لهم (نار جهنم) التي  
 ستدخلونها بما فعلتم (أشدحوا) عما تحذرون من الحر المعتاد وتحذرون الناس منه (لو كانوا يفقهون)  
 أن بعد هذه الدار دار أخرى وأن بعد هذه الحياة الدنيا حياة أخرى (فليضحكوا قليلاً وليسكبوا كثيراً)  
 وهذا إخبار بأنه ستحصل لهم هذه الحالة ورد بصيغة الأمر أى أنهم وإن فرحوا وضحكوا وطول أعمارهم في  
 الدنيا فهو قليل بالنسبة إلى بكاؤهم وحزنهم في الآخرة لأن الدنيا بأسرها قليلة وعقابهم في الآخرة دائم  
 لا ينقطع (جزاء بما كانوا يكسبون) في الدنيا من النفاق (فإن رجعت الله) من غزوة تبوك (إلى  
 طائفة منهم) أى المنافقين في المدينة (فاستأذنوك للخروج) معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك

(فقل) لهم يا أشرف الخلق (لن تخرجوا معي أبدا) في سفر من الأسفار (ولن تقاتلوا معي عدوا) من  
الاعداء (أنكم رضيتم بالعودة) عن الغزو (أول مرة) وهي غزوة تبوك (فاقعدوا) عن الجهاد  
(مع الخالفين) أي النساء والصبيان والرجال العاجزين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على  
قبره) أي لا تقف عليه للدفن أو للدعاء فإنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له  
(أنهم كفروا بالله ورسوله) أي لأنهم استمروا على الكفر بالله ورسوله في السرمدة حياتهم (وماتوا  
وهم فاسقون) أي مقردون في الكفر بالكذب والخداع والمكر عن ابن عباس رضي الله عنهما  
أنه لما اشتكى عبد الله بن أبي بن سلول عاهة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلي عليه إذا  
مات ويقوم على قبره ثم أنه أرسل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه قيصة ليكفن فيه فأرسل إليه  
القميص الفوقاني فردّه وطلب منه الذي يلي جلده ليكفن فيه فأرسله إليه فقال عمر رضي الله عنه لم تعط  
قيصك للرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم إن قيصى لا يغني عنه من الله شيئا فلعل الله أن يدخل به  
الغافي الاسلام وكان المنافقون لا يفارقون عبد الله فإنه رأسهم فلما رأوه يطلب هذا القميص ويرجوا أن  
ينفعه أسلم منهم يومئذ ألف فلما مات عبد الله جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه هاشم عبد الله فإنه كان  
من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلا ما وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرا يعرفه صلى الله عليه وسلم فقال  
لعبد الله صل عليه وادفنه فقال يا رسول الله إن لم تصل عليه لم يصل عليه مسلم فقام صلى الله عليه وسلم ليصلي  
عليه فقام عمر لخال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت هذه الآية فامتنع صلى الله عليه وسلم  
من الصلاة عليه وانقاد القميص إليه تطيبا للقلب ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وأكرامه لأنه كان  
من الصالحين ولأن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا يبدل بمجدو له قيصا وكان  
رجلا طويلا فكساه عبد الله بن أبي قيصة بأمره صلى الله عليه وسلم (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما  
يريد الله) بختيعةهم بالاموال والاولاد (أن يعذبهم بها في الدنيا) بكاذبهم الشدايد في شأنها (وترحق  
انفسهم وهم كافرون) أي فموتوا كافرين باشتهغالهم بالتمتع بها (واذا أنزلت سورة) من القرآن  
مشتملة على الامر (أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك) في التخلف عن الغزو (أولوا الطول  
منهم) أي ذوو السعة في المال والقدرة على الجهاد بالبدن من رؤساء المنافقين عبد الله بن أبي وجدي بن  
قيس ومعتب بن قيس (وقالوا ذرنا) يا محمد (نكن مع القاعدین) أي من الضعفاء من الناس  
والساكنين في البلد بغير عذر (رضوا بأن يكون من الخوالف) أي مع النساء اللائي يلزم من البيوت  
(وطبع على قلوبهم) أي منعت من حصول الايمان (فهم) بسبب ذلك (لا يفقهون) أي لا يفهمون  
أسرار حكمة الله في الامر بالجهاد (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي إن  
تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد توجه اليه من هو خير منهم وأخلص نية واعتقادا (وأولئك لهم  
الحسرات) أي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة (وأولئك هم  
المفلحون) أي المتخلصون من السخط والعذاب (أعد الله لهم) أي هيأ الله لهم في الآخرة (جنات تجري  
من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي مقمين في الجنة (ذلك) أي نيل الكرامة العظمى (الفوز العظيم)  
الذي لا فوز وراءه (وجاء) اليك يا أشرف الخلق (المعذرون) أي الذين أتوا بأعذار كاذبة وتكلفوا  
بهذا بباطل (من الأعراب) أي من بني غفار (ليؤذن لهم) بالتخلف عن غزوة تبوك فلم يعذرهم  
الله (وقعد) عن الجهاد بغير إذن (الذين كذبوا الله ورسوله) في ادعائهم الايمان وهم منافقوا

الاعراب الذين لم يجهشوا الى الرسول ولم يعتذروا (سيصيب الذين كفروا منهم) أى المعذرين لا من أسلم  
 منهم (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (ليس الضعفاء) كالشيوخ (ولا على  
 المرضى) من الشباب (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) فى الجهاد من الزاد والراحلة لغفرهم  
 كزينة وجهينة وبني عذرة (حرج) أى اثم فى التخلف عن الجهاد (اذانهم والله ورسوله) أى  
 آمنوا بهما وأطاعواهما فى السر والعلن (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم طريق الى ذمهم  
 (والله غفور رحيم) ولا على الذين اذا ما أتوا لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من  
 الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون) أى وليس على من أتوا يسألونك أن تحملهم الى غزوة تبوء ثم  
 خرجوا من عندك يكون لعدم وجدان ما ينفقون فى الجهاد سبيل فى لومهم ولذلك سموا البكائين وهم  
 سبعة من الانصار معقل بن يسار ومخير بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن صير وثعلبة بن عقة  
 وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن زيد فانهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد زدنا الخروج فاحملنا  
 على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة فنغزمعك فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه  
 فتولوا وهم يبيكون لحمل العباس منهم اثنين وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذى جهزه وهو ألف  
 وحمل يامين بن عمر والنضري اثنين (انما السبيل) بالاعتابة (على الذين يستأذنونك) فى التخلف  
 (وهم أغنياء) أى قادرون على أهبة الخروج معك (رضوا بأن يكونوا مع الخولاف) أى رضوا بالدناءة  
 والانتظام فى جملة النساء (وطبع الله على قلوبهم فهم) لاجل ذلك الطبع (لا يعلمون) ما فى الجهاد  
 من منافع الدين والدنيا (يعتذرون) أى هؤلاء المنافقون وهم بضع وعثمانون رجلاً (اليكم) فى  
 التخلف (اذار جعتم) من غزوة تبوء (اليهم) بالاعذار الباطلة (قل) يا أشرف الخلق لهم  
 (لا تعتذروا) بما عندكم من المعاذير (لن تؤمن لكم) أى لن نصدقكم فيما تقولون من العلل أبداً  
 (قد نبأنا الله من أخباركم) أى قد أعلمنا الله بعض أحوالكم بما فى ضهاركم من الخبث والنفاق  
 والمكر (وسيرى الله عملكم ورسوله) أى وسيقع عملكم معلوماً لله ورسوله هل تبقون على نفاقكم  
 أم تتوبون منه (ثم تردون) يوم القيامة (الى عالم الغيب والشهادة) للجزاء عما ظهر منكم من الاعمال  
 (فمن ينشكم) عند وفوفكم بين يديه (بما كنتم تعملون) فى الدنيا أى فيجازيكم عليه (سيحلفون بالله  
 لكم إذا انقلبتم اليهم) أى اذار جعتم اليهم من تبوء انهم معذورون فى التخلف (لتعرضوا  
 عنهم) أى لتعرضوا عن ذمهم اعراض الصفع (فأعرضوا عنهم) اعراض المقت وترك الكلام  
 قال مقاتل قال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم (انهم رجس)  
 أى ان خبث باطنهم رجس روحاني فكما يجب على الانسان الاحتراز عن الارجاس الجسدية يجب  
 الاحتراز عن الارجاس الروحانية حذراً من ان يميل طبع الانسان الى الالهال القبيحة (وما أواهم  
 جهنم) أى وكفتهم النار توخيها فلا تسكفوا أنتم فى ذلك (جزاء بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من فنون  
 السيئات (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بالخلاف وتستدعوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان رضوا عنهم  
 فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضيت أيها المؤمنون عنهم بما حلفوا لكم فلا ينفعهم  
 رضاكم لان الله ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم لكون ارادتكم مخالفة لارادة الله تعالى وذلك لا يجوز  
 (الاعراب) أى جنس أهل البدو (أشد كفرا ونفاقاً) من أهل الحضرة لئولئك منهم واستيلاء الهواء  
 الحار اليابس عليهم وبعدهم عن أهل العلم (وأجد أن لا يعلموا حد ما أنزل الله على رسوله) أى



أحق بأن لا يعلموا مقادير التكليف والاحكام (والله عليم) بما في قلوب خلقه (حكيم) فيما قرض من فرائضه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفعه مخرما) أى من الاعراب أسد وغطفان من يعتقدان الذى ينفعه فى سبيل الله خسران لانه لا ينفع الا رياء وخوف من المسلمين لالوجه الله (ويترى بصكم اللواتر) أى ينتظر أن تقلب الامور عليكم بعوت الرسول وان يعلم عليكم المشركون فيتخلص مما ابتلى به من الانفاق (عليهم دائرة السوء) أى عليهم يدور السلام والحزن فلا يرون فى محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الا ما يحزنهم (والله سميع) لقولهم عند الانفاق من كلام لا خير فيه (عليم) بنياتهم الفاسدة (ومن الاعراب) مزينة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) فى السر والعلانية (ويتخذ ما ينفع قريبات عند الله وصلوات الرسول) أى ويؤخذ لنفسه ما ينفعه فى سبيل الله سبيبا لحصول القربات الى الله فى الدرجات وسبيبا لحصول دعوات الرسول فانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو المتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم (ألا) أى تنبهوا (انها) أى ان نفقتهم (قربة لهم) الى الله فى الدرجات (سيد خلهم الله فى رحمته) أى جنته وهذا تفسير للقربة ووعد لهم باحاطة رحمته الواسعة كما ان قوله تعالى والله سميع عليم تهديد للذين عقب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق الوقوع (ان الله غفور) لسيئاتهم (رحيم) بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات وروى أبو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسلم وغفار وشى من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من عجم وأسدين خزينة وهو ازن وغطفان (والسابقون الاولون) أى فى الهجرة والنصرة (من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلة وشهدوا بدرا كما قاله ابن عباس (والانصار) وهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر والعقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا والعقبة الثالثة وكانوا سبعة من رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمر (والذين اتبعوهم) أى الفريقين (باحسان) وهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم ويذكرون محاسنهم (رضى الله عنهم) لاهلهم وكثرة طاعاتهم (ورضوا عنه) لما أفاض عليهم من نعمه الجليلة فى الدنيا والآخرة والسابقون مبتدأ وخبر جملة رضى الله عنهم (وأعد لهم) فى الآخرة (جنات تجري تحتها الانهار) وقرأ ابن كثير من تحتها بكلمة من كما فى سائر المواضع وعلى هذا المصلة الميم فى المواضع الثلاثة والباقيون بغير كلمة من وفتح التاء (خالدين فيها أبدا) أى من غير انتهاء (ذلك) أى الرضوان والجنات (الفوز العظيم) أى النجاة الوافرة (وعن حولكم) أى حول بلدكم (من الاعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا نازلين حول المدينة (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) أى من أهل المدينة كعبد الله بن أبى وأصحابه من ثبتوا على النفاق ولم يتوبوا عنه (لا تعلمهم) أى لا تعلم نفاقهم مع قوة خاطرهم وصفاء نفسهم لشدة ابطان الكفر واظهار الاخلاص (فمن نعلمهم) أى فمن نعلم سرائرهم التى فى ضمائرهم (سنذيرهم مرتين) بعذاب الدنيا بجميع أقسامه وعذاب القبر (ثم يردون) فى الآخرة (الى عذاب عظيم) هو النار المؤبدة (وآخرون) أى ومن أهل المدينة قوم آخرون أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة ابن حزام (اعترفوا بذنوبهم) أى أقروا بذنوبهم وأظهروا الندامة على التخلف (خلطوا عملهم الصالحا) وهو خروجه مع الرسول الى سائر الغزوات (وأخسر سببا) وهو تخلفهم عن غزوة تبوك أى خلطوا كل واحد من العمل الصالح العمل السيئ بالآخر (عسى الله أن يتوب عليهم) أى ثبت ان يقبل الله توبتهم (ان الله غفور رحيم) يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه (خادم أموالهم صدقة) أى لما أظهروا

التوبة عن تخلفهم عن غزوة تبوك وهم أقروا بان السبب المؤدى لذلك التخلف حبهم للأموال أمر الله  
رسوله ان يأخذ منهم الزكوات الواجبة عليهم فكانه قيل لهم اغنايظهر صحة قولكم في ادعاء هذه التوبة  
لو أخرجتم الزكاة الواجبة بانشرح قلب لان الدعوى اغنايشهد عليها الامتحان فعند الامتحان يكرم  
الرجل أو يهان فان أدوا تلك الزكوات عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين في تلك التوبة والافهم  
كاذبون (تطهرهم) أى تطهرهم أنت أيها الأخذ بأخذها منهم عن نجاسة الذنوب (وتركيهم بها)  
أى ترفعهم بتلك الصدقة حسنتهم الى مراتب المخلصين وثنى عليهم عند اخراجها الى الفقراء وتجعل  
النقصان الحاصل بسبب اخراج قدر الزكاة سببا لزيادة البركة (وصل عليهم) أى ادع لهم قال الشافعي  
رضي الله عنه والسنة للإمام اذا أخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول آجر الله فيما أعطيت وبارك  
لك فيما أبقيت وجعله لك طهورا (ان صلاتك سكن لهم) أى ان دعائك يوجب طمأنينة قلوبهم  
(والله مهيع) لقولهم (علم) بنياتهم قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم صلاتك على التوحيد والباقون  
صلواتك على الجمع (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) أى ألم يعلموا ذلك  
التائبون قبل توبتهم وصدقته ان الله يقبل التوبة العجيبة عن عباده المخلصين ويقبل الصدقات  
الصادرة عن خلوص النية (وأن الله هو التواب الرحيم) أى وألم يعلموا انه تعالى المنفرد ببلوغ الغاية  
القصوى من قبول التوبة وايصال الرحمة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى  
وقل يا أشرف الخلق اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فسيرى الله عملكم خيرا كان أو شرا ويراه رسوله  
باطلاع الله اياه على أعمالكم ويراها المؤمنون بقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض  
المفسدين فان لعملكم في الدنيا حكما وفي الآخرة حكما أما حكمه في الدنيا فانه يراه الله والرسول والمسلمون فان  
كان طاعة حصل منه الثناء العظيم في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وان كان معصية حصل منه الازم  
العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة وهذا ترغيب عظيم للطيعين وترهيب عظيم للذنبين وفي  
الخبر لو أن رجلا عمل في محضرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان (وستردون) بعد  
الموت (الى عالم الغيب والشهادة) والمراد من الرد تعريف عقاب الخزي والفضيحة (فينبئكم بما  
كنتم تعملون) في الدنيا أى فيعرفكم أحوال أعمالكم من خير وشر فيجازيكم عليها لان المجازاة من  
الله تعالى في الآخرة لا تحصل الا بعد التعريف ليعرف كل أحد ان الذى وصل اليه عدل لا ظلم (وآخرون  
مرجون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم مرجئون همزة مضمومة بعدها  
واو ساكنة والباقون مرجون بدون تلك الهمزة أى ومن أهل المدينة قوم من المتخلفين غير المعترفين  
مؤخرون عن قبول التوبة (لا امر الله) أى لحكمه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية في  
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار فنزل قوله تعالى  
وآخرون مرجون لا امر الله فوق الرسول أمرهم بعد نزول هذه الآية خمسين ليلة بقدر مدة التخلف اذ  
كانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسين ليلة ونهى الناس عن مجالستهم وأمرهم باعتزال  
نساءهم وأرسالهن الى أهاليهن لانه لما تمتعوا بالراحة في المدينة مع تعب غيرهم في السفر عوقبوا بمجرهم  
تلك المدة فلما مضى خمسون يوما نزلت توبتهم بقوله تعالى لقد تاب الله على النبي وبقوله تعالى وعلى  
الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت (اما يعذبهم ومايتوب عليهم) وهذه الجملة في  
محل نصب على الحال أى ومنهم هؤلاء اما معذبين واما متوب باعليهم هؤلاء القوم كانوا ناديين على تأخيرهم

عن الغزو ولم يحكم الله بكونهم تائبين بل قال اما يعذبهم واما يتوب عليهم فلعلمهم خافوا من أمر الرسول  
 ياذاثم أو خافوا من الحيلة والفضيحة وعلى هذا التقدير فتوبتهم غير صحيحة فاستمر عدم قبول التوبة الى  
 أن سهل أحوال الخلق في قدحهم ومدحهم عندهم فعند ذلك قدموا على المعصية لنفس كونها  
 معصية وعند ذلك صحت توبتهم وكلمة اما لا تشك بالنسبة لاعتقاد العباد والمراد منه ليكن أمرهم على الخوف  
 والرجاء ففعل أناس يقوون هلكوا اذ لم ينزل الله لهم عذرا واناس يقولون عسى الله أن يغفر لهم فالتناس  
 مختلفون في شأنهم فصاروا عندهم مرجئين لامر الله تعالى (والله عليم) عبا في قلوب هؤلاء المؤمنين  
 (حكيم) فيما يحكم فيهم وفيما يفعل بهم (والذين اتخذوا مسجدا ضرابا) أي ومنهم الذين بنوا مسجدا  
 وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين لاضرار أهل مسجد قبا (وكفرا) أي ولتقوية الكفر بالطعن على  
 النبي صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام (وتفريقا بين المؤمنين) الذين كانوا يصلون في مسجد قبا أي  
 لكي يصل طائفة من المؤمنين في ذلك المسجد فيؤدي ذلك الى اختلاف السكامة (وارصادا لمن حارب الله  
 ورسوله) أي انتظارا لابي عاصم الراعب الفاسق (من قبل) متعلق باتخذوا أي اتخذوا ذلك المسجد  
 من قبل أن ينفق بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك وكان أبو عامر قد تنصر في الجاهلية وترهب  
 أي لبس المسوح وطلب العلم فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة عاد ادائه زالت رياسته وقال للنبي صلى  
 الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ولم يرزل يقاتله صلى الله عليه وسلم الى يوم  
 حنين فلما انهزم تهاون خرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة  
 وسلاح وابنوا الى مسجد قبا فأتى من عنده بجند فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة  
 فبنوا هذا المسجد الى جنب مسجد قبا وانتظر واجي أبي عامر ليعلم صلى الله عليه وسلم في ذلك المسجد (وليفظن  
 أن أردنا الا الحسن) أي قالوا الرسول صلى الله عليه وسلم ما أردنا ببناء هذا المسجد الا احسان الى  
 المؤمنين وهو الرقي بهم في التوسعة على أهل الضعف والعللة والهز عن الذهاب الى مسجد رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم (والله يشهد انهم اسكاذبون) في حلفهم (لا تقم فيه أبدا) أي لا تصل في ذلك المسجد  
 أبدا روى لما قل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك نزل بذي أوان وهو موضع قريب من  
 المدينة فأتاه المنافقون وسألوا اتيان مسجدهم فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم هذه الآية فدعا رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا  
 المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل ذلك الموضع  
 مكان كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر الفاسق بالشام بقنسرين غريبا وحيدا (المسجد  
 أسس على التقوى) أي بني أصله على طاعة الله تعالى وذكره (من أول يوم) من أيام تأسيسه فقد أسس  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قبا وصلى فيه أيام مقام بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء  
 والخميس وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة (أحق أن تقوم فيه) أي أن تصل في ذلك المسجد (فيه)  
 أي في هذا المسجد (رجال يحبون أن يظهروا) من الاحداث والجنابات والنجاسات وسائر النجاسات  
 وهم بنو عامر بن عوف الذين بنوه (والله يحب المطهرين) أي يرضى عنهم روى ابن خزيمة عن هويعر  
 ابن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قبا فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في  
 الطهور وفي قصة مسجدكم فها هذا الطهور الذي تطهرون به أي الذي تحصلون الطهارة بسببه قالوا والله  
 يا رسول الله ما نعلم شيئا الا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أديارهم من الغائط فغسلنا كما

غسوا وفي حديث رواه البراء فقالوا في جواب سؤاله لهم تتبع الحجارة بالأساس فقال هو ذاك فعليكم به  
 (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) أى أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه على قاعدة  
 قوية هي الخوف من عقاب الله والرغبة في ثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفاعر قهقريه) أى أم من  
 أسس بنيان دينه على طرف مسيل متصدع وهو كفر بالله وضرار بعباد الله (فأنهار به في نار جهنم) أى  
 فسقط المسيل مصاحبه أى للتؤسس في قعر نار جهنم أى مثل الضلال مثل شفاعر قهقريه من أودية  
 جهنم فكان قريب السقوط ولكونه على طرف جهنم كان إذا أنهار فأنهار في قعر جهنم وقرأ نافع  
 وابن عامر أسس مبنيا للمفعول وبنيانه بالرفع نائب الفاعل (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يغفر  
 للمنافقين ولا ينجيهم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم) أى لا يزال مسجدهم سبب شك في  
 الدين لأن المنافقين عظم فرحهم ببنيان مسجد الضرر فلما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل  
 ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتياحهم في نبوته وعظم خوفهم منه في جميع الاوقات وصاروا  
 مرتابين في أن رسول الله هل يخلى سبيلهم أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم (الأن تقطع قلوبهم) وقرأ  
 ابن عامر وحفص عن عاصم وحزمة بفتح التاء والطاء المشددة والباقون بضم التاء مبنى للمجهول وعن  
 ابن كثير بفتح الطاء وسكون القاف على الخطاب وقلوبهم بالنصب أى لأن تجعل قلوبهم قطعاً  
 بالسيف وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب إلى أن تقطع وأبو حيوة كذلك لأنه قرأ بضم التاء وفتح  
 القاف وكسر الطاء مشددة على الخطاب للرسول وقلوبهم بالنصب وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم  
 بالبنا للمجهول وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على الخطاب والمعنى أن هذه الريبة باقية في قلوبهم أبداً  
 ويعتدون على هذا النفاق والابغى إلى بدليل القراءة الشاذة (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) في  
 الأحكام التي يحكم بها عليهم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة  
 يقاتلون في سبيل الله) وهذا استئناف لبيان البيع الذى يستلزمه الشراء كأنه قيل كيف يبيعون  
 أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله أى يمدلون أنفسهم وأموالهم في طاعة الله والمؤمن  
 متى قاتل في سبيل الله حتى يقتله كافر وأنفق ماله في سبيل الله فله يأخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء لما  
 فعل وهو تسليم المبيع من النفس والأموال (فيقتلون ويقتلون) قرأ حمزة والكسائي بتقديم المبنى  
 للمفعول على المبنى للفاعل والباقون بعكسه فعنى تقديم الفاعل على المفعول أنهم يقتلون الكفار ولا  
 يرجعون عنهم إلى أن يصيروا مقتولين وأما تقديم المفعول على الفاعل فالمعنى أن طائفة كبيرة من المسلمين  
 وإن صاروا مقتولين لم يصرد ذلك رادعاً للباقيين عن المقاتلة بل يبقون بعد ذلك مقاتلين مع الأعداء قاتلين لهم  
 بقدر الامكان (وعدا عليه حقاً) أى وعدهم الله وعداً ثابتاً على الله (في التوراة والانجيل والقرآن  
 ومن أوفى بعهده من الله) أى لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى (فاستبشروا) أى فافرحوا غاية الفرح  
 (ببيعكم الذى بايعتم به) أى بجهادكم الذى فزتم به بالجنة (وذلك) أى الجنة التى هى ثمن بذل النفس  
 والأموال (هو الفوز العظيم) أى فلا فوز أعظم منه (الثابتون) وهو رفع على المدح أى هم  
 الثابتون من كل معصية كما يدل عليه قراءة عبد الله بن معود وأبي والاعمش الثابتين بالياء إلى قوله تعالى  
 والحافظين أماناً نصباً على المدح أو جراً صفة للمؤمنين ويجوز أن يكون الثابتون رفعا على الباء ل من الواو في  
 يقاتلون واعلم أن التوبة المقبولة اغتاتحصل باجتماع أربعة أمور أولها احتراق القلب عند صدور  
 المعصية ثانياً الندم على ما مضى ثالثاً العزم على الترتى في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على

هذه الامور الثلاثة طلب رضوان الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه منها دفع مذمة الناس وتحصيل مدحهم أو لغرض آخر من الاغراض الدنيوية فليس بتائب ولا بد من رد المظالم الى أهلها ان كانت (العابدون) قال ابن عباس رضي الله عنهما الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم (الحامدون) أي الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً ودياراً يجعلون اظهار ذلك عادة لهم (السائحون) أي الصائغون اقول صلى الله عليه وسلم سياحة أمتي الصيام وقال عكرمة أي طلاب العلم فأنهم ينتقلون من بلد الى بلد (الراكون الساجدون) أي المصلون الصلوات الخمس (الأمرون بالمعروف) أي بالإيمان والطاعة (والناهون عن المنكر) أي عن الشرك والمعاصي (والحافظون لحدود الله) أي لتكاليف الله المتعلقة بالعبادات وبالعاملات (وبشر المؤمنين) الموصوفين بهذه الصفات بالجنة (ما كان للنبي) أي ماجاز لمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) أي ذري قرابات لهم (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي أهل النار بأن ماتوا على الكفر وسبب نزول هذه الآية استغفار ناس لا بأثم الذين ماتوا على الكفر روى عن علي رضي الله عنه أنه قال سمعت رجلاً يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت أتستغفر لابويك وهما مشركان قال أليس قد استغفر إبراهيم لآبيه فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان المسلمون يستغفرون لا بأثم المشركين حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لا مواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله (وما كان استغفار إبراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها إياه) أي الا لاجل موعدة وعدها إبراهيم إياه بقوله لا استغفرن لك أي لا طلب من مغفرة لك بالتوفيق للإيمان فإنه يمحو ما قبله (فلما تبين له أنه عدو لله) أي أنه مستمر على الكفر ومات عليه (تبرأ منه) أي ترك الاستغفار له أي ان إبراهيم استغفر لآبيه ما كان حياً فلما مات أمسك عن الاستغفار له وروى ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال لما مرض أبو طالب أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال المسلمون هذا محمد يستغفر لعمة وقد استغفر إبراهيم لآبيه فاستغفروا لقربائهم من المشركين فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا الآية ثم أنزل وما كان استغفار إبراهيم لآبيه وروى ابن جرير عن عمرو بن دينار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استغفر إبراهيم لآبيه وهو مشرك فلا يزال استغفر لآبي طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال أصحابه لنستغفرن لا بأثماً كما استغفر النبي لعمة فأنزل الله ما كان للنبي الآية الى قوله تعالى تبرأ منه فظهر بهذه الاخبار ان الآية نزلت في استغفار المسلمين لا قاربهم المشركين لآبي طالب لان هذه السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها وبين موت أبي طالب نحو اثني عشر سنة وأيضاً ان عم إبراهيم أزر كان يتخذ أصناماً آلهة ولم ينقل عن أبي طالب انه اتخذ أصناماً آلهة أو عبد مجراً أو نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عبادة ربه وانما هو ترك النطق بالشهادتين لخوف مسبلة للعناد لا سلام أو ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا ناج في الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الغراء ولا بقواعد الأئمة من أهل الكلام أن يكون هو أزر عم إبراهيم في رتبة واحدة فان أباطال برأيه صلى الله عليه وسلم صغير أو آواه كبيراً ونصره وعززه ووقره وذب عنه ومدحه وصي باتباعه وأما ما روى ان علياً ضحك على المنبر ثم قال ذكرت قول أبي طالب ظهر علينا وأنا أصلي ببطن نخلة فقال ماذا صنعتان فدعا النبي الى الاسلام فقال ما بالذي تقول من بأس ولا سكن والله لا يعملوني استي أبداً

فهذا في أول الاسلام قبل ان تفرض الصلاة وقد أقر بأنه لا بأس بالتوحيد واثباته عن صلاة النفل لا يدل على  
 اثباته عن التوحيد وليس في حديث عمرو بن دينار السابق دلالة قطعية على شركه وأما قوله صلى الله عليه  
 وسلم استغفر ابراهيم لآبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لآبي طالب فهذا يمكن ان يكون معناه أن ابراهيم  
 استغفر لآبيه مع شركه فكيف لا أستغفر أنا لآبي طالب مع خطيئته دون الشرك فلا أزال أستغفر له حتى  
 ينهاني عنه ربي ولم ينهني صلى الله عليه وسلم بل نهى عن الاستغفار للمشركين لا لخصوصهم كما صرح به إذا ما  
 روى عن قتادة ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن الاستغفار لآبائهم فقال والله  
 اني لاستغفرن لآبي أى لعمى كما استغفر ابراهيم لآبيه فأمر الله ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فقال النبي  
 صلى الله عليه وسلم أمرت أن لا أستغفر لمن كان كافرا فقله صلى الله عليه وسلم اني لاستغفرن لآبي ولم يقل  
 أمرت أن لا أستغفر له بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال أصحابه مع إشارة خفية الى ان عمله لم يكن مشركا  
 والله أعلم (ان ابراهيم لاواه) أى كثير النماء والتضرع (حليم) أى صبور على المحنة (وما كان الله ليضل قوما  
 بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أى ما يجب ان يحترزوا عنه أى لما نزل المنع من الاستغفار للمشركين  
 خاف المؤمنون من المؤاخذه بما صدر عنهم منه قبل المنع وقد مات قوم منهم قبل النهى من الاستغفار فوقع  
 الخوف في قلوب المسلمين على من مات منهم انه كيف يكون حالهم فأزال الله تعالى ذلك الخوف عنهم بهذه الآية  
 وبين انه تعالى لا يؤاخذهم بعمل الابدان يبين لهم انه يجب عليهم ان يحترزوا عنه أى وما كان الله ليقتضي  
 عليكم بالاضلال بسبب استغفاركم لو تاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية وفقكم للايمان به وبرسوله  
 حتى يبين لكم بالوحى ما يجب الاحتراز عنه من محظورات الدين فلا تنزجر واعمى انهم يتقون (ان الله بكل  
 شىء عليم) فيعلم حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك (ان الله له ملك السموات  
 والارض) من غير شريك له فيه (يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى) أى متولى الامور  
 (ولانصير) أى لما أمر الله بالبراءة من الكفار بين ان له ملك السموات والارض فاذا كان هو ناصر  
 لكم فهم لا يقدر ان على اضراركم أى انكم ان صرتم محرومين عن معاونتهم فالاله الذى هو المالك  
 للسموات والارض والمحى والمحيى ناصركم فلا يضركم ان ينقطعوا عنكم والواجب عليكم ان تنقادوا  
 لحكم الله وتكليفه لسلطانه الهكم ولكونكم عبيد له (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار  
 الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أى في الزمان الذى صعب الامر عليهم جدا في السفر الى تبوك وكانت لهم  
 عسرة من الزاد وعسرة من الظهر وعسرة من الحر وعسرة من الماء فرجما مص التمرة الواحدة جماعة  
 يتناولونها حتى لا يبقى من التمرة الا النواة وكان معهم شىء من شعير مسوس فكان أحدهم اذا وضع اللقمة  
 في فيه أخذ أنفه من ثمن اللقمة وكان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم وكانوا قد خرجوا  
 في قيظ شديد وأصابهم فيه عطش شديد حتى ان الرجل لينخر بعيره فيعصر فرثه ويشربه أى لقد عفى الله  
 عن النبي في اذنه للناقضين في التخلف عنه في غزوة تبوك وهو شىء صدر عنه من باب ترك الافضل لانه  
 ذنب بوجع عقابا وعفى الله على المهاجرين والانصار من الوسوس التى كانت تقع في قلوبهم في ساعة  
 العسرة كما قال تعالى (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) أى من بعد ما قرب ان ماتم قلوب  
 بعضهم الى أن يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الغزو والحرس ولم ترد الميل عن الدين ورجعوا في  
 قلوب بعضهم ان لا تقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منها (ثم تاب الله عنهم) أى عفى الله عنهم  
 ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوسوس النفسانية لم يصبروا وندموا على ذلك اللهم (انه هم رؤوف



(رحيم) فلا يعملهم ما لا يطيقون من العبادة ويوصل اليهم المنافع (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى  
 وتاب الله على الثلاثة الذين آخروا فى قبول التوبة عن الطائفة الاولى ابن لبابة وأصحابه وهؤلاء الثلاثة  
 كعب بن مالك الشاعر وهلال بن أمية الذى نزلت فيه آية اللعان ومرارة بن الربيع (حتى اذا ضاقت  
 عليهم الارض بما رحبت) أى آخر أمرهم الى ان ضاقت الارض عليهم مع سعة ما بسبب بجانبه  
 الاحياء ونظر الناس لهم بعين الالهانة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معرضا عنهم ومنع المؤمنين من  
 مكالمتهم وأمرهم باعتزال أزواجهم وبقوا على هذه الحالة خمسين يوما (وضاقت عليهم أنفسهم) أى  
 ضاقت قلوبهم اذ ارجعوا الى أنفسهم لا يطمئنون بشئ بسبب تأخير أمرهم من قبول التوبة (وظنوا  
 أن لا ملجأ من الله الا اليه) أى علموا انه لا ملجأ لاحد من مخطئه تعالى الا اليه بالتضرع (ثم تاب عليهم)  
 أى ثم وفقهم للتوبة الصحيحة المقبولة (ليتوبوا) أى ليحصدوا التوبة (ان الله هو التواب الرحيم)  
 ولما نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هجرته وهو عند رأم سلمة فقال الله أكبر قد أنزل  
 الله عذرا أصحابنا فلما صلى الفجر ذكركم ذلك لأصحابه وبشرهم بأن الله تاب عليهم فانطلقوا الى رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وقالوا عليهم ما نزل فيهم فقال كعب توبت الى الله تعالى أن أخرج ما لي صدقة فقال لا قلت  
 فنصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى مخالفة أمر الرسول (وكونوا مع  
 الصادقين) أى مع الرسول وأصحابه فى الغزوات ولا تكونوا جالسين مع المنافقين فى البيوت وقرئ  
 شاذة من الصادقين فعلى هذا نفع بمعنى من أى كونوا ملازمين الصدق روى ان واحدا جاء الى النبي صلى  
 الله عليه وسلم وقال انى رجل أريد أن أؤمن بك انى أحب الخير والزنا والسرقة والكذب والناس  
 يقولون انك تحرم هذه الاشياء ولا طاعة لى على تركها بأمرها فان قنعت منى بترك واحد منها آمنت بك  
 فقال صلى الله عليه وسلم أترك الكذب فقبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا  
 عليه الخمر فقال ان شربت وسألنى الرسول عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت أقام الحد على  
 فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فقال ذلك الحاطر فتركه وكذا فى السرقة فتأب عن الكل فعاد الى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب انسدت أبواب المعاصى على (ما كان  
 لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب) أى ما جاز لاهل دار الهجرة ومن حولهم من سكان البوادي  
 (أن يتخلفوا عن رسول الله) اذ ادعاهم وأمرهم لانه تتعين الاجابة والطاعة لرسول الله وكذلك  
 غيره من الولاة والائمة زائدوا وعينوا (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى ليس لهم ان يكرهوا  
 لانفسهم ما يرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانفسهم (ذلك) أى وجوب المشايعة لرسول الله  
 بأنهم لا يصيبهم ظمأ أى شدة عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا خصصة) أى جماعة شديدة  
 يظهر بها ضمور البطن (فى سبيل الله) أى فى طريق دينه (ولا يطؤون) أى لا يدوسون  
 بأرجلهم وحوافر خيولهم واخفاف بعيرهم (موطنا) أى دوسا (يغيظ الكفار) أى يغيظهم بذلك  
 (ولا ينالون من عدو نبلا) أى شيئا من الأسرا أو قتلا أو هزيمة (الا كتب لهم به) أى بكل واحد من  
 الامور الخمسة (هل صالح) مستوجب للثواب ومن قصد طاعة الله كان جميع حركاته وسكناته  
 حسنات مكتوبة عند الله (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى لا يترك ثوابهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة  
 ولو تمر أو علاقة سوط (ولا كبيرة) كما أنفق عثمان فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى ولا  
 يجاوزون مسلكا فى سيرهم (الا كتب لهم) أى الا كتب الله لهم ذلك الاتفاق والسير فى الذهاب

والرجوع (ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي ليجزئهم الله على أحسن أعمالهم وهو الواجب  
والمندوب دون المباح أو ليجزئهم الله جزاءه وأحسن من أعمالهم وهو الثواب فالأحسن صفة عملهم على  
المعنى الأول وصفة الجزاء على الثاني (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أي ما استقام لهم أن ينفروا  
جميعاً نحو غزو وطلب علم فإنه يخل بأمر المعاش هذه الآية أما كلام لا تعلق له بالجهاد وأما من بقية أحكام  
الجهاد (قلوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون  
فعلى الأول يقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب  
وغير جائز وليس حال النفقة كحال الجهاد معه صلى الله عليه وسلم الذي يجب أن يخرج فيه كل من لا عذر له  
فهو لا نفر من كل فرقة من فرق الساكنين في البلاد طائفة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين ويعودوا إلى  
أوطانهم فينذروا قومهم لكي يحذرون عقاب الله تعالى بامتنال أمره واجتناب نهيه وعلى هذا التقدير  
فكون المراد وجوب الخروج إلى حضرة الرسول للتعليم لأنه يحدث كل وقت تكليف جديداً في زماننا  
فقد صارت الشريعة مستقرة فإذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجباً وعلى الاحتمال الثاني  
يقال إن النبي لما بالغ في الكشف عن عيون المنافقين في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المسلمون والله  
لا نتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية بعثها فلما قدم الرسول المدينة من تبوك وأرسل  
السرايا إلى الكفار نفر المسلمون جميعاً إلى العز ورتبهم والنبي وحده في المدينة فنزلت هذه الآية فالمعنى  
لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا جميعاً ويتركوا النبي بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة تنفروا إلى الجهاد وقهر  
الكفار وطائفة تكون مع رسول الله لتعلم العلم والفقه في الدين لأن أحكام الشريعة كانت تتجدد شيئاً بعد  
شيء والمالكون يحفظون ما تجدد فأذا قدم الغزاة علموا ما تجدد في غيبتهم وبهذا الطريق يتم أمر الدين  
والمعنى فهلا نفر من كل فرقة من المقيمين مع رسوله الله طائفة إلى جهاد العدو ليتفقه المقيمين في الدين  
بسبب ملازمتهم خدمة الرسول وليخبروا قومهم الخارجين إلى الجهاد إذا رجع الخارجون من جهادهم  
إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم لكي يحذرون معاصي الله تعالى عند ذلك التعلم (يا أيها الذين  
آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) أي لما أمرهم الله بقتال المشركين كافة أرشدتهم إلى الطريق  
الأصوب الأصح وهو أن يبدؤا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وبهذا الطريق  
يحصل الغرض من قتال المشركين كافة فإن أمر الدعوة وقع على هذا الترتيب فإن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قاتل أولاً قومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير  
وخيبر وفدك ثم انتقل إلى غزوات الروم والشام فكان فتحه في زمن الصحابة ثم انهم انقلبوا إلى العراق  
(وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة عظيمة وشجاعة (واعلموا أن الله مع المتقين) أي معيّنهم بالنصرة على  
أعدائهم والمراد أن يكون الأقدام على الجهاد بسبب تقوى الله لا بسبب طلب المال والجاه (وإذا ما أنزلت  
سورة) من سور القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين مجلس نزولها وليس في السورة فضيحة  
لهم (فإنهم من يقول) أي فن المنافقين فريق يقول لا صحابة استهزاء بالقرآن والمؤمنين (أيكم زادته  
هذه) السورة (إيماناً) قال تعالى تعييناً لهم (فأما الذين آمنوا) بالله تعالى وبعما جاء من هذه (فزادتهم)  
أي هذه السورة (إيماناً) بانضمام إيمانهم بعما فيها بإيمانهم السابق لأنهم يقرأون عند نزولها بانها حق  
من عند الله (وهم يستبشرون) بنزولها لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية (وأما الذين في قلوبهم  
مرض) أي نفاق وسوء عقيدة (فزادتهم) أي هذه السورة (رجساً إلى رجسهم) عقيدة باطلة

مفهومة الى عقيدتهم الباطلة فانهم كانوا مكذبين بالسورة النازلة قبل ذلك والآن صاروا مكذبين بهذه  
السورة الجديدة فقد انضم كفرا الى كفروا بهم كانوا في العداوة والاستنباط وجوه المكر والآن ازدادت  
تلك الاخلاق الذميمة بسبب نزول هذه السورة الجديدة (وماتوا وهم كافرون) وهذه الحالة أقبح من الحالة  
الاولى فان الاولى ازدياد الجاسسة وهذه مداومة الكفر وموتهم عليه (أولايرون) أي المنافقون  
فلاستغفهم للتوبيع وقرأ حمزة بالتاء على الخطاب للمؤمنين فلاستغفهم للتجيب أي ألا ينظرون ولا يرون  
(أنهم يغفون في كل عام مرة أو مرتين) أي أنهم سيميتلون بأفانين البليات مرارا كثيرة من المرض  
والجوع ومن اظهار الفضيحة على نفاقهم وعلى تخلفهم من الغزو (ثم لا يتوبون) من نفاقهم (ولا هم  
يذكرون) بتلك الفتنة الواجبة للتوبة وقوله تعالى ثم لا يتوبون وما بعده عطف على لا يرون داخل تحت  
الانكار والتوبيخ على قراءة الجمهور وعطف على يغفون على قراءة حمزة (واذا ما أنزلت سورة) فيها بيان  
حالهم وكانوا حاضرين مجلس نزولها (نظر بعضهم الى بعض) أي تغاضروا بالعيون يدبرون الهرب  
ليخلصوا عن تأذي سماعها يقولون بطريق الإشارة (هل يراكم من أحد) من المسلمين ان قتم من  
المجلس (ثم انصرفوا) جميعا عن مجلس نزول الوحي خوفا من الاقتضاح أو غير ذلك (صرف الله قلوبهم)  
عن الايمان وعن استماع لقرآن (بانهم قوم لا يفقهون) لسوء الفهم وعدم التدبر (لقد جاءكم)  
أيها العرب (رسول) عظيم الشأن (من أنفسكم) أي من جنسكم بشر عربي قرشي مثلكم وقرى  
بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم قيل هذه قراءة فاطمة وعائشة رضي الله عنهما (عزيز عليه ما عنتم)  
أي شاق شديد على هذا الرسول ما عنتم فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) في  
ايمانكم وصلاح حالكم فهو شديد الرغبة على ايصال الخيرات اليكم في الدنيا والآخرة (بالؤمنين) أي  
بجميعهم (رؤوف رحيم) فهو تعالى شديد الرحمة بالطائعين منهم مریدا لانعام على المذنبين (فان تولوا)  
أي فان أعرض هؤلاء المنافقون والكفار عن الايمان والتوبة وناصبوك للحرب (فقل حسبي الله)  
أي يكفيني الله فهو ثقتي (لا اله الا هو) أي لا حافظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) أي وثقت  
(وهو رب العرش) أي السرير (العظيم) فان جعل صفة للرب فعني العظمة هي وجوب الوجود  
والتقدس عن الجمية والاجزاء وكمال العلم والقدرة والتمتزه عن ان يتمثل في الاوهام وتصل اليه الافهام وان  
جعل صفة للعرش فعني العظمة كبر الجرم واتساع الجوانب ووجود العرش أمر مشهور والكفار معه  
من اسلافهم أو من اليهود والنصارى

﴿سورة يونس مكية الا قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم  
بالمفسدين فانهم امدنية لانها نزلت في اليهود مائة وتسع آيات وكلماتها ألف وثمانمائة  
واثنتان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم) أي تلك الآيات الحاصلة في سورة الر هي آيات  
ذلك الكتاب المحكم الذي لا يمحوه الماء ولا يغيره كرو والدهر (أكان للناس) أي لاهل مكة (عجبا  
أن أوحينا) أي اباحونا (الى رجل منهم) أي من أهل مكة (أن أنذر الناس) أي انه أي الشأن  
قولنا أنذر الناس أي خوف جميع الناس كافة بالقرآن فان أهل مكة كانوا يقولون ان الله تعالى ما وجد  
رسولا الى خلقه الا يتيم أبي طالب (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) أي بان لهم منزلة

رقيقة عند ربهم (قال الكافرون) أي المتجهبون (ان هذا الساحر منين) قرابن كثير وطامع  
 وحزة والكسافي بصيغة اسم الفاعل أي ان الكافرين لما جاءهم رسول منهم فأنذروهم وبشرهم قالوا  
 متجهبون ان هذا الذي يدعي انه رسول وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ساحر ظاهر والباقون لسحر  
 بكسر السين ومكون الحاء أي ان هذا القرآن لكذب ظاهر ووصف الكفار القرآن بكونه سحرا يدل على  
 عظم القرآن عندهم من حيث تعذر عليهم فيه المعارضة فأرادوا به ان الكلام ان القرآن كلام من خرف  
 حسن الظاهر ولكنه باطل في الحقيقة وهذا ذم له أو أرادوا به انه لكلام فصاحتهم وتعذر مثله جار مجرى  
 السحر وهذا مدح له واغمال يؤمنوا به عنادا (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام)  
 أي مقدار ستة أيام معلومة (ثم استوى على العرش) وهو الجسم المحيط بسائر الاجسام والمعنى  
 ثم تصرف الله في ملكه وليس معناه انه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والارض لان تكوين  
 العرش سابق على تخليق السموات والارضين بدليل قوله تعالى وكان عرشه على الماء بل المراد انه تعالى  
 لما خلق السموات والارض واستدارت الافلاك والكواكب وجعل بسبب دورانها الفصول الاربعة  
 في هذا الوقت قد حصل وجود هذه المخلوقات وهذا ملك الله تعالى وهذا انما حصل بعد تخليق السموات  
 والارض فصح ادخال حرف يفيد التراخي على الاستواء على العرش والله أعلم بمراده (يدبر الامر) أي  
 يقدر على الوجه الاكمل أمر ملكوت السموات والارض (ما من شفيع الا من بعد اذنه) أي ان الله  
 تعالى ينفرد في التدبير فان تدبيره تعالى للاشياء لا يكون بشفاعته شفيع ولا يستجري أحد ان يشفع اليه  
 في شيء الا بعد اذنه تعالى ولا يدخل أحد في الوجود الا بعد ان قال تعالى له كن حتى كان (ذلكم الله  
 ربكم فاعبدوه) فان العبادة لا تصلح الا له وهو المستحق لجميع العبادات لاجل انه هو المنعم بجميع النعم  
 (أفلاتنكرون) فالتفكر في مخلوقات الله تعالى واجب والاستدلال بها على عزته تعالى وعظمته وجلالاته  
 أعلى المراتب (اليه) تعالى (مرجعكم جميعا) بالبعث فلا حكم الا حكمه ولا نافذ الا أمره (وعدا الله حقا)  
 أي وعدهم الله بالرجوع اليه وعدها وحق ذلك الوعد حقا (انه يبدأ الخلق) ليأمرهم بالعبادة ثم  
 يعيدهم (ثم يعيده) من العدم بالبعث (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بعد لهم والمراد  
 به هنا الايمان وهذا تنبيه على ان المقصود بالذات من الابدال والاعادة هو الامة وايصال الرحمة وأما  
 عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وسوء أفعالهم (والذين كفروا لهم شراب من حميم)  
 أي ماء حار قد انتهى حره (وعذاب ألیم) أي بالغ في الالام (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم  
 (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) أي الذي خلق الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور فبالذات  
 ضوء وما بالعرض نور فنور القمر مستفاد من الشمس (وقدره منازل) أي جعل للقمر وهيأ له منازل  
 وهي ثمانية وعشرون منزلا وأسماءها الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهقعة والذراع  
 والنثرة والطرف والجبهة والذبرة والصرفة والعواء والسهاك والغفر والزباني والاكليل والقلب والشولة  
 والنعام والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر  
 وبطن الحوت فينزل القمر كل ليلة في واحد منها على تقدير مستو من ليلة المسهل الى الثامنة والعشرين  
 فاذا كان في آخر منازل له دق واستقوس ثم لا يرى ايلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في  
 كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما (لتعلموا) باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل (هدد السنين والحساب)  
 أي حساب الاوقات فيمكنكم ترتيب مهمات المعاش من الزراعة والحراثة ومهمات الشتاء والصيف

(ما خلق الله ذلك) أى المذكور من الشمس والقمر على تلك الاحوال (الا بالحق) أى الأعلى وفق الحكمة ومطابقة المصلحة في أمور المعاملات والعبادات (يفصل الآيات) أى يذكر هذه الدلائل الباهرة واحدا عقب آخر مع البيان (لقوم يعلمون) الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شئونه مبداها من الوحدة اية وكمال القدرة والعلم وفي قوله تعالى يفصل قراءه ثان قراءه ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم بالياء والباقون بالنون (ان في اختلاف الليل والنهار) أى في تعاقبهما وفى تفاوتهما بازدياد واتقصا أوفى تفاوتهما بحسب الامكنة في الطول والقصر (وما خلق الله في السموات والارض) من أنواع الموجودات (لآيات) دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) وخص الله تعالى العلامات بالمتقين لان الداعي الى التسدير والنظر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العقوبة (ان الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يطمعون في ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر (ورضوا بالحياة الدنيا) أى استغرقوا في طلب الذات الجسدية (واطمأنوا بها) أى سكنوا في الاشتغال بطلب لذات الدنيا (والذين هم عن آياتنا) أى دلائل وحدانيتنا الظاهرة في الاكوان (خافلون) أى لا يتفكرون فيها أصلا (أولئك) أى الموصوفون بتلك الصفات (ما واهم النار بما كانوا يكسبون) أى من الاهمال القلبية ومن أنواع المعاصي والسيئات (ان الذين آمنوا) أى شغلوا قلوبهم وأرواحهم بتحصيل المعرفة (وعملوا الصالحات) أى شغلوا جوارحهم بالخدمة فعينهم مشغولة بالاعتبار وأذنه مشغولة بسماع كلام الله تعالى ولسانهم مشغول بذكر الله وجوارحهم مشغولة بنور طاعة الله (يهدىهم ربهم بالإيمان) أى يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على إيمانهم وأعمالهم الصالحة (تجربى من تحتهم الانهار في جنات النعيم) أى انهم يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين والانهار تجري من بين أيديهم (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أى اشتغال أهل الجنة بتقديس الله تعالى وتمجيدته والثناء عليه لاجل ان سعادتهم في هذا الذكر (وتحيتهم فيها سلام) أى تحية بعضهم لبعض تكون بالسلام وتحية الملائكة لهم بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) أى ان أهل الجنة لما عاينوا ما هم فيه من السلامة عن الآفات والخافات علموا أن كل هذه الاحوال السنية انما كانت باحسان الله تعالى عليهم فاشتغلوا بالثناء على الله فقالوا الحمد لله رب العالمين وانما وقع الختم على الحمد لان الاشتغال بشكر النعمة متأخر عن رؤية تلك النعمة والمعنى أنهم اذا دخلوا الجنة وما ينو اعظمه الله ووجود وافيهما النعم العظيمة وعرفوا أنه تعالى كان صادقا في وعده اياهم بتلك النعم مجدوه تعالى ونعتوه بنعوت الجلال فقالوا سبحانك اللهم أى نسبحك عن الخلق في الوعد والكذب في القول وعما لا يليق بحضرتك العلية ولما حياهم الله والملائكة بالسلامة عن الآفات والغور بأنواع الكرامات اثنوا عليه تعالى بصنات الأكرام (ولو يهمل الله للناس الشراستجياهم بالخير لقضى اليهم أجلهم) أى ولو يهمل الله لهم العذاب عند استجياهم به تجهيلا لم كشف الشداثم عند استجياهم به لا ميتوا وأهلكوا بالمرّة وما أمهلوا طرفة عين وقرأ ابن عامر لقضى بفتح القاف والضاد وأجلهم بالنصب وقرأ عبد الله لقضينا اليهم أجلهم (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) أى فنترك الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء مع تمردهم في ضلاتهم ينجرون في شأنهم (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره) وهذه الآية بيان ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند وجدان النعماء فاذا مسه الضر أقبل على التضرع والدعاء مضطجعا أو قاعدا أو قائما مجتهدا

في ذلك الدعاء طالباً من الله تعالى إزالة تلك المحنة وتبديلها بالمنحة فإذا كشف الله تعالى عنه بالعاقبة  
أعرض عن الشكر ولم يتذكر ذلك الضر ولم يعرف قدر الانعام وصار بمنزلة من لم يدع الله تعالى للكشف  
ضره فالواجب على العاقل أن يكون صابراً عند نزول البلاء شاكراً عند الفوز بالنعمة وأن يكون كثير  
الدعاء والتضرع في أوقات الراحة والرفاهية حتى يكون مجاب الدعوة في وقت المحنة وعن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنه قال من مره أن يستجاب له عند الكرب والشدة فليكثر الدعاء عند الرخاء (كذلك  
زين للسرفين ما كانوا يعملون) أي هكذا زين لمن بذل العقل والفهم والحواس لاجل لذات الدنيا وهي  
خسيسة جد في مقابلة سعادات الدار الآخرة ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكروا الدعاء والالتفات  
في الشهوات والسكاف مقحمة للدلالة على زيادة تخامة المشار إليه (ولقد أهلكنا القرون) أي الامم (من  
قبلكم) أي من قبل زمانكم يا اهل مكة مثل قوم نوح وهاد وأشباههم (ما ظلموا) أي حين فعلوا  
الظلم بالكذب (وجاءتهم رسالتهم بالبينات) أي بالمعجزات الدالة على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا)  
أي وقد علم الله منهم أنهم يصرون على الكفر (كذلك) أي مثل ذلك الإهلاك الشديد الذي هو  
الاستئصال بالمرّة (فنجزي القوم المجرمين) أي نجزي كل طائفة مجرمين لا شراكمهم لا أولئك المهلكين في  
الجرائم التي هي تكذيب الرسول (ثم جعلناكم) يا اهل مكة (خلأف في الارض من بعدهم) أي  
من بعدهم إهلاك أولئك القرون (لننظر كيف تعملون) أي لنعاملكم معاملة من يطلب العلم بما  
يكون منكم من خير أو شر فنجازيكم على حسب عملكم (واذا تتلى عليهم) أي اهل مكة الوليد بن  
الحزومي والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن الحنظلة  
(آياتنا) الدالة على بطلان الشرك (بينات) أي ظاهرة في دلالتها على وحدانيته نبوة محمد صلى  
الله عليه وسلم (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يرجون في لقاءنا خيراً على طاعة ولا نهم لا يؤمنون  
بالبعث بعد الموت (انتم بقرآن غير هذا) أي بكتاب آخر على غير ترتيب هذا الكتاب (أو بطله) بأن  
تجعل مكان آية العذاب آية رحمة ومكان الحرام حلالاً ومكان الذم مدحاً وانما قالوا ذلك على سبيل السخرية  
كقولهم لو جئتنا بقرآن آخر أو بدلت هذا القرآن لا منابك أو على سبيل التجربة حتى أنه صلى الله عليه  
وسلم لو فعل ذلك علموا أنه كذاب في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله (قل) لهم (ما يكون لي  
أن أبدله من تلقاء نفسي) أي ما يستقيم لي أن أغيره من قبل نفسي (ان أتبع الا ما يوحى الي) أي  
ما أتبع في شيء مما أفعل وأترك الا ما يوحى الي في القرآن من غير تغييره في شيء أصلاً (انني أخاف ان  
عصيت ربي) بالاعراض عن اتباع الوحي (عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة (قل لو شاء الله ما تلوته  
عليكم ولا أدراكم به) أي قل يا أشرف الخلق للذين طلبوا منك تغيير القرآن لو شاء الله عدم تلاوتي  
للقرآن عليكم بأن لم ينزل علي ولم يأمرني بتلاوته ما تلوته عليكم وما أعلمكم به بواسطتي وقرأ الحسن ولا  
أدرؤكم به أي ولا أجعلكم بتلاوته عليكم خصماً قدرؤني بالجدال وتكذبوني وقرأ ابن عباس ولا  
أفترسكم به وعن ابن كثير ولا أدراككم بلام التأكيدي التي تقع في جواب لو أي ولا أعلمكم به على لسان  
غيري فانه حق لا محيص عنه ولو لم يرسلني الله به لارسل غيري به (فقد لبثت فيكم عمراً) أي فقد مكثت  
فيما بينكم مقدار أربعين سنة تحفظون أحوالي طراً (من قبله) أي قبل أن يوحى الي هذا القرآن لم  
أتكم بشيء (أفلا تعقلون) أي ألا تدبرون فلا تعلمون ان القرآن ليس من تلقاء نفسي ووجه هذا  
الاحتجاج ان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره الى ذلك الوقت



وظلوا أحواله وأنه كان أميالم يطالع كتابا ولم يتلمذ لاستاذ ثم بعد أربعين سنة جاءهم بهذا الكتاب  
 المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب والفصاحة ما عجز العلماء  
 والفصحاء عن معارضته وكل من له عقل سليم يعلم أن هذا القرآن لا يحصل إلا بالوحى من الله تعالى (فن  
 أظلم عن افتري على الله كذبا أو كذب بآياته) أى انى لم أفتري على الله كذبا ولم أكذب عليه فى قولى ان  
 هذا القرآن من عند الله ولولم يكن من عند الله بحيث افتريته على الله لما كان فى الدنيا أحد أظلم على نفسه  
 منى فاذا أنكرتم ذلك فقد كذبتم بآيات الله فثبت كونكم أظلم الناس على أنفسكم (أنه لا يفلح المجرمون)  
 أى لا ينجو من عذاب الله المشركون (ويعبدون) أى هؤلاء المشركون (من دون الله ما لا يضرهم)  
 فى الدنيا والآخرة (ولا ينفعهم) فيهما رهو الاصنام كان هل الطائفة يعبدون اللات وأهل مكة  
 يعبدون عزي ومناة وهبل وأسافا وثالثة (ويقولون هؤلاء) الاولثان (شفعوا عند الله) أى فانهم  
 يزعمون أنهم شفع لهم فى الدنيا فى اصلاح معاشهم لانهم كانوا لا يعتقدون بعنا بعد الموت أو تشفع لهم فى  
 الآخرة أن يعيشوا لانهم كانوا شاكين فى البعث (قل) تبكي تالهم (أنتميئون الله بما لا يعلم فى السموات  
 ولا فى الارض) أى أنخبرون الله بالذى لم يعلمه الله وهو شفاعة الاصنام واذ لم يعلم الله شيئا استحال وجود  
 ذلك الشئ لانه تعالى لا يعزب عن علمه شئ (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى عن شركائهم الذين  
 يعتقدونهم شفعاءهم عند الله وقرأ حمزة والكسائي تشركون بالتاء على الخطاب (وما كان الناس الا  
 أمة واحدة) أى كانوا على دين الاسلام من لدن آدم الى أن قتل قابيل هابيل (فاختلفوا) بأن كفر  
 بعضهم وثبت آخرون على دين الاسلام (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى لولا انه تعالى أخبر بأنه يبقى  
 التكليف على عباده وان كانوا كافرين (لقضى بينهم) بهجيل الحساب والعقاب لكفرهم لما كان ذلك  
 سببا لزال التكليف وكان ابقاؤه أصلح أخر الله العقاب الى الآخرة (فيما فيه يختلفون) أى فى الدين الذى  
 اختلفوا بسببه (ويقولون) أى كفار مكة (لولا أنزل عليه) أى هلا أنزل على محمد عليه السلام (آية) أخرى  
 سوى القرآن (من ربه) دالة على صدق ما يقول كما كان لصالح من المناقاة ولموسى من العصا (فقل) لهم  
 فى الجواب (اغلب الغيب الله) أى ان ما اقترحتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله هو من  
 الغيوب المختصة بالله تعالى لا علمى عليه (فانتظروا) نزوله (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم  
 لا جرائكم على جهود آيات القرآنية واقترح غيرها (واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم  
 اذالهم مكر فى آياتنا) أى ان مشركى أهل مكة عادتهم اللجاج والعناد لانه تعالى سلط عليهم القحط سبع  
 سنين حتى كادوا يهلكوا فأنزل الله الامطار النافعة على أراضهم حتى أخصبت المساد وعاس الناس  
 بعد ذلك ثم انهم أضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانواء والكواكب أو الاصنام واذ كان كذلك فمتقديران  
 يعطوا ما سألوا من انزال ما اقترحوه فانهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم (قل الله أسرع مكررا) أى  
 أن هؤلاء الكفار لما قابلوا نعمة الله بالكفر فأنه تعالى قابل مكرهم بمكر أشد من ذلك وهو اهلا كههم يوم  
 بدر وحصول الفضيحة والحزى فى الدنيا وعذاب شديد يوم القيامة ومعنى الوصف بالاسرع عية أنه تعالى  
 قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكايدهم والمكر من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر أى اخفاء  
 الكيد (ان رسلنا) الذين يحفظون أعمالكم (يكذبون ما تكفرون) أى مكركم ويعرض عليكم ما فى  
 بواطنكم الخبيث يوم القيامة (هو الذى يسيركم فى البر) مشاة وركبانا (والبحر) وقرآن عامر  
 ينشركم بنون ساكنة فشين معجمة مضمومة أى يبسطكم (حتى اذ كنتم فى الفلك) أى السفن

(وجرين) أى السفن (بهم) أى بالذين فيها (بريح طيبة) موافقة للقصد (وفرحوا بها) أى  
بتلك الريح فرحاً تاماً (جاءتها) أى تلت تلك الريح الطيبة (ريح عاصف) أى شديد أزجحت  
سفينتهم (وجاءهم الموج) العظم الذى أرجف قلوبهم (من كل مكان) أى ناحية (وظنوا أنهم  
أحيط بهم) أى ظنوا القرب من الهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) أى من غير أن يشركوا معه  
تعالى شيئاً من آلهتهم أى وهم مقرون بواحدية الله وربو بيته لاجل علمهم بأنه لا ينجيهم من ذلك إلا الله  
تعالى فيكون إيمانهم جارياً مجرى الإيمان الاضطرابى قائلين والله (لئن أنجيتنا من هذه) الشدائد  
(لنكونن من الشاكرين) لنعم لك (فلما أنجاهم) من هذه البلية العظيمة (إذا هم يبغون فى  
الأرض بغير الحق) أى يترقون فى الفساد والجراءة على الله تعالى بالكفر والمعاصي (يا أيها الناس  
اغنا بغيركم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) قرأ الاكثر من متاع بالرفع فبغيركم مبتدأ ومتاع خبره وأعلى  
أنفسكم خبره ومتاع خبر مبتدأ محذوف أى ان ظلم بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا وهى مدة  
حياتكم لا بقاء لها وأن الظلم لبعضكم كائن عليكم فى الحقيقة لا على الذين تظلمون عليهم وهو منفعة  
سريعة الزوال وقرأ حفص عن عاصم بنصب متاع على أنه مصدره وكذا فعل مقدر أى تمتعون متاع  
أو مصدر وقع موقع الحال أى تمتعون بالحياة الدنيا (ثم اليانما رجعكم) بعد الموت (فنبشكم بما كنتم  
تعملون) فى الدنيا من البغي أى قصد الاستعلاء بالظلم فنجازيكم على أعمالكم (اغنا مثل الحياة الدنيا  
كما أنزلنا من السماء فاختلط به نبات الأرض) أى لانه إذا نزل المطر ينبت بسببه أنواع كثيرة من  
النبات وتكون تلك الأنواع مختلطة (عما يأكل الناس والانعام) من البقول والزرور والحشيش  
(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أى حتى إذا جعلت الأرض آخذة لباسها من كل نبات (وازينت)  
بجميع الألوان الممكنة فى الزينة حمرة وخضرة وصفرة وذهبية وبياض (وظن أهلها) أى أهل  
النبات الموجود فى الأرض (أنهم قادرون عليها) أى على تحصيل ثماره وعلى حصاده (أتاها) أى  
نبات الأرض (أمرنا) بهلاكها بنار أو برد أو ريح (ليلا ونهاراً فجعلناها) أى نبات الأرض  
(حصيداً) أى شبيهاً بالمقاولع فلاشئ على الأرض (كان لم تغن بالأمس) أى كان تلك النباتات  
لم تكن قائمة على ظهر الأرض فى الزمن الماضى والمعنى ان هذه الحياة الدنيا التى يتتفع بها المرء مثل  
النبات الذى لما عظم الرجاء فى الانتفاع به وقع اليأس منه بالهلاك والتهمك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه  
الموت بقتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل (نفضل الآيات)  
أى نبين الآيات القرآنية فى فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) ويقفون على معانيها (والله يدعو إلى دار  
السلام) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مثلى ومثلكم شبه سيد بنى دارا ووضع مائدة وأرسل  
داعياً فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ورضى عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل  
ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دين الاسلام والمائدة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم وعن  
النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم تطلع فيه الشمس الا ويجنبها ملكان يناديان بحيث يسمع  
كل الخلائق الا الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم والله يدعو إلى دار السلام (ويهدى من يشاء إلى  
صراط مستقيم) أى إلى اجابة تلك الدعوة (للذين أحسنوا) أى أتوا بالمأمور به واجتنبوا المنهيات  
(الحسنى وزيادة) أى نضرة الوجوه ورؤية الله تعالى وعن ابن عباس أن الحسنى هى الحسنه  
والزيادة عشر أمثالها وعن على الزيادة غرقه من لؤلؤة واحدة (ولا يرهق) أى لا يعلو (وجوههم)

(قتر) أى سواد (ولاذلة) أى أثرهوان (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أى دائمون بلا  
 انتقال (والذين كسبوا السيئات) أى الكفر والمعاصي (جزاء سيئة بثلثها) من غير زيادة بعدل  
 الله تعالى (وترهقهم ذلة) أى ويعلو أنفسهم ذلة عظيمة (ما لهم من الله من عاصم) أى ما لهم عاصم  
 من عذاب الله . (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلم) أى كأن الوجوه ألبست سوادا من  
 الليل لقرط سوادها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشهم جميعا) أى نحشر الكل حال  
 اجتماعهم لا يتخلف منهم أحد وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) أى ثم نقول للشركين من  
 بينهم (مكانكم أنتم وشركاؤكم) أى الزموا أنتم ومن عبدتموه من دون الله مكانكم حتى تسئلوا وتنتظروا  
 ما يفعل بكم (فزيلنا بينهم) أى فباعدنا بين المشركين ومعبوداتهم بعد الجمع في الموقف وتبره شركاؤهم  
 منهم ومن عبادتهم (وقال شركاؤهم) لهؤلاء المشركين (ما كنتم إيانا تعبدون) بأمرنا وأرادتنا أغما  
 كنتم تعبدون أهواءكم وشياطينكم الذين أغووكم فانها الآمرة لكم بالإشراك (فكفى بالله شهيدا  
 بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) أى انا كنا عن عبادتكم لجاهلين لا نعلمها ولا نرضى بها  
 (هنا لك) أى في ذلك المقام أوفى ذلك الوقت (تباوكل نفس ما أسلفت) بالتأه والالباء على القراءة  
 المشهورة أى تذوق كل نفس سعيه أو شقية ما قدمت من عمل فتعلم نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي  
 تباو بتائين أى تقرأ كل نفس في صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر أو تبسع ما أسلفت لان عملها هو  
 الذى يهديها الى طريق الجنة أو الى طريق النار وقرأ عاصم نبتوكل نفس بالنون والباء ونصب كل أى  
 تختبر كل نفس بسبب اختبار ما أسلفت من العمل أى نفعل بها فعل المختبر أو المعنى نصيب بالبلاء الذى هو  
 العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر (وردوا والله مولاهم الحق) أى أعرض الذين  
 أشركوا عن المولى الباطل ورجعوا الى المولى الحق وأقروا بالوهميته بعد ان كانوا فى الدنيا يعبدون غيره  
 وردوا الى حكمه (وضل عنهم) أى ضاع عنهم فى الموقف (ما كانوا يفترون) أى يدعون ان معبوداتهم  
 آلهة وانها تشفع لوم (قل) لأولئك المشركين (من يرزقكم من السماء والارض) أى رزقا مبتدأ  
 منهما (أمن يملك السمع والابصار) أى بل من يستطيع خلق الاسماع والابصار ومن يحفظهما من  
 الآفات وعن على رضى الله تعالى عنه كان يقول سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم (ومن  
 يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى ومن يقدر أن يخرج الانسان من النطفة والطارئ  
 من البيضة وان يخرج النطفة من الانسان والبيضة من الطائر (ومن يدبر الامر) أى من يدبر أحوال  
 العالم جميعا (فسيقولون الله) أى ان الرسول اذا سألهم عن مدبر هذه الاحوال كانوا يعرفون الله وهم  
 الذين قالوا فى عبادتهم الاصنام أنها تقر بنا الى الله وأنها تشفع عند الله وكانوا يعلمون أنها لا تنفع ولا تضر  
 فعند ذلك قال الله تعالى لرسوله (قل) عند ذلك تبكى عليهم (أفلا تتقون) أى تعلمون ذلك فلا تتقون ان  
 تجعلوا هذه الاوثان شركاء لله فى العبودية مع اعترافكم بأن كل الخيرات فى الدنيا والآخرة انما تحصل من  
 رحمة الله وبان هذه الاوثان لا تنفع ولا تضر البتة (فذلكم الله) أى فن هذه قدرته ورحمته هو الله (ربكم  
 الحق) أى الثابت برؤيته ثباتا لا ريب فيه (فماذا بعد الحق الا الضلال) أى ايس غير الحق الا الضلال  
 أى فاذا ثبت ان عبادة الله حق ثبت ان عبادة غيره من الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما (فأنى  
 تصرفون) أى فكيف تعملون من التوحيد الى الإشراك وعبادة الاصنام (كذلك) أى مثل صرفهم عن  
 الحق بعد الاقرار به (حقك كلمة ربك) أى حكمه (على الذين فسقوا) أى خرجوا عن حد الصلاح (أنهم

لا يؤمنون) بدل من كلمة بدل كل من كل (قل هل من شركائكم) أى هل من الأصنام التي أثبتتم  
 شركتها لله في استحقاق العبادة (من يبدؤ الخلق) أى ينشئ المخلوقات من العدم (ثم يعيده) في القيامة  
 الجزاء ولما لم يقدر وأعلى الجواب أمر الله رسوله أن ينوب عنهم في الجواب فقال (قل الله يبدأ الخلق ثم  
 يعيده فأني توفكون) أى فكيف تغلبون من الحق إلى الباطل (قل هل من شركائكم من يهدي إلى  
 الحق) أى إلى ما فيه صلاح أمركم فإن أدنى مراتب العبودية هداية المعبود لعباده إلى ذلك (قل الله  
 يهدي للخطى) دون غيره وذلك بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإزالة الكتب والتوفيق للنظر (أفمن  
 يهدي إلى الحق) وهو الله تعالى (أحق أن يتبع) أى حقيق أن يطاع ويعبد (أمن لا يهدي إلا أن يهدي)  
 أى أم من لا ينتقل إلى مكان إلا أن ينتقل إليه لأن الأصنام خالية عن الحياة والقدرة والمعنى أمن لا  
 يهتدى في حال من الأحوال إلا في حال هدايته تعالى له وهذا حال أشرف شركائهم من الملائكة والمسيح  
 وعزير عليهم السلام وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع أم من لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد  
 الدال وقرأ عاصم وحمزة بفتح الياء وكسر الهمزة وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى بن آدم عن أبي بكر عن  
 عاصم بكسر الياء والهمزة وقرأ حمزة والكسائي يهدي ساكنة الهمزة (فألكم) أى أى شئ ثبت لكم في  
 اتخاذكم هؤلاء شركاء لله تعالى فإنهم عاجزون عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم (كيف  
 تحكمون) أى كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله شركاء (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً) أى ما يتبع  
 أكثرهم في معتقداتهم إلا ظناً واهياً أما بعضهم فقد يتبعون العلم فيقفون على بطلان الشرك لكن  
 لا يقبلون العلم عند أدنى دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير  
 جائز (إن الظن لا يغني من الحق) أى عن العلم (شياً) من الأغناء في العقائد (إن الله عليم بما يفعلون)  
 من الاتباع للظنون الفاسدة والأعراض عن البراهين القاطعة (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون  
 الله) أى وما صح أن يكون هذا القرآن المشحون بغفون الجمع الناطقة ببطلان الشرك وحقيقة التوحيد  
 مفترى من الخلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) أى ولكن كان القرآن تصديق الذي قبله من  
 الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء قبله (وتفصيل الكتاب) أى وتفصيل جميع العلوم العقلية والنقلية  
 الذي عمتنع حصوله في سائر الكتب (لأريب فيه) أى منتفياً عنه الريب (من رب العالمين) أى كأننا  
 من رب العالمين (أم يقولون افتراء) أى أيقرون بالقرآن بل يقول كفار مكة اختلق محمد صلى الله عليه  
 وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم اظهروا البطلان مقالهم الفاسدة (فأتوا بسورة مثله) أى إن  
 كان الأمر كما تقولون فأتوا بسورة مثل القرآن في الفصاحة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء  
 فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد غرمانى في النظم والعبارة (وادعوا) للمعاونة (من استطعتم)  
 دعاء (من دون الله) أى من سائر خلق الله (إن كنتم صادقين) فى أنى افتريته (بل كذبوا بما لم  
 يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) أى بل كذبوا بما لم يدرك علمهم به مسرعين فى ذلك من غير أن يتدبروا فيه  
 ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبثة عن علو شأنه (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب من غير تدبر  
 (كذب الذين من قبلهم) ما كذبوا من المجزآت التي ظهرت على أيدي أنبيائهم (فانظر) يا أشرف  
 الخلق (كيف كان عاقبة الظالمين) فإنهم طلبوا الدنيا وتركوا الآخرة فلما ماتوا فاتهم الدنيا والآخرة  
 فبقوا فى الخسار العظيم (ومنهم) أى ومن هؤلاء المكذبين (من يؤمن به) أى القرآن عند الاحاطة  
 بعلمه أى أما يعتقد بحقيقة القرآن فقط بأن يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند وأما سبيحته

ويتوب عن الكفر (ومنهم من لا يؤمن به) أي بأن لا يصدق به في نفسه لفرط غباوته أو لسخافة عقله  
وعجزه عن تخليص علوم عن مخالطة الظنون أو بانيات عوت على كفره وهم المستمرون على اتباع الظن من  
غير اتقياد للحق (وربك أعلم بالمفسدين) أي بالمصرين على الكفر من المعاندين والشاكين (وان  
تكذبوك) أي أصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة بالتحدي (فقل) لهم (لي عمل) من الايمان  
وجزاء ثوابه (ولكم عملكم) من الشرك وجزاء عقابه (أنتم ريثون عما عمل وأناب في عما تعملون) أي  
لا تؤاخذون بعمل ولا تؤاخذ بعملكم (ومنهم) أي من هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) عند  
قراءتك القرآن وتعليك الشرائع (أفأنت تسمع الصم) أي أنت تقدر على اسماع الصم (ولو كانوا  
لا يعقلون) أي ولو انضم الى صممهم عدم عقلهم (ومنهم من ينظر اليك) أي من يعين دلائل صدقك  
(أفأنت تهدي العمى) أي أعقب ذلك أنت تهديهم (ولو كانوا لا يبصرون) أي لا يستبصرون  
بقلوبهم ولا يعتبرون (ان الله لا يظلم الناس شيئا) أي بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس  
أنفسهم يظلمون) بافساد الحواس والعقول وتقويت منافعها عليهم فان الفعل ماثوب اليهم بسبب  
الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم وتقدير الشقاوة عليهم لا يكون ظلاما منه تعالى لانه يتصرف  
في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما (ويوم يحشرهم  
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) أي وأنذر المشركين المنكرين للبعث يوم يحشرهم في الموقف مشبهين  
من لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعمها الا مقدار ساعة من النهار فان عاقبة الكافر خالصة دائمة مقرونة  
بالاهانة ولذات الدنيا مع خساستها لم تكن خالصة بل كانت مخلوطة بالهمومات الكثيرة وكانت تلك اللذات  
مغلوبة بالمؤامرات والآفات وكانت لم تحصل الا في بعض الاوقات أما الآلام الآخرة فهي سرمدية لا تنقطع  
البتة ونسبة عمر جميع الدنيا الى الآخرة الابدية أقل من الجزء الذي لا يتجزأ بالنسبة الى ألف ألف عالم مثل  
العالم الموجود في قلوب الخيرات الحاصلة بسبب الحياة العاجلة والآفات الحاصلة للكافر وجدت أقل  
من اللذة بالنسبة الى جميع العالم (يتعارفون بينهم) أي يوجع بعضهم بعضا فيقول كل فريق للآخر  
أنت أضللتني يوم ~~كذبا~~ كذا وزينت لي الفعل الغلاني من القبائح (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا  
مهيئين) أي قد هلكوا بتكذيبهم بالبعث بعد الموت وضلوا وما كانوا عارفين لطريق النجاة وهذه شهادة  
من الله تعالى على خسرانهم (واما ترى أنك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فاليوم يرجعهم) أي وان  
أريناك بعض العذاب الذي نعدهم به بان نجعله لهم في حياتك في الدنيا فتراهم وان توفيناك قبل نزول  
العذاب بهم فأنك ستراه في الآخرة لان العذاب لا يفوتهم بل تنزله بهم في الآخرة (ثم الله شهيد على  
ما يفعلون) أي ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرئ ثمة أي هناك (ولكل أمة) من الامم الماضية  
(رسول) يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاجواءهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسوله) قبلهم  
ما أرسل اليهم فكذب به بعضهم بعضه (قضى بينهم بالقسط) أي بالعدل أي فصل بينهم وحكم  
بهلاك المكذبين وبنجاة الرسول ومن صدقه (وهم لا يظلمون) في ذلك القضاء بتعذيبهم لانه يجرمهم  
(ويقولون) أي قال كل أهل دين لرسولهم على وجه التكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم  
من نزول العذاب للاعداء (متى هذا الوعد) الذي تعدنا بنزول العذاب (ان كنتم صادقين) في انه  
يأتينا (قل) يا أشرف الخلق لقومك الذين استهملوا نزول العذاب على طريقة الاستهزاء والانكار  
(لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا) أي لا أقدر على دفع ضر ولا جلب نفع لنفسي (الا ما شاء الله) أي

ولكن ما شاء الله من ذلك كل شيء (لكل أمة أجل) أي وقت معين خاص بهم (إذا جاء أجلهم) أي وقت هلاكهم (فلا يستأخرون) عن ذلك الأجل (ساعة) أي شيئاً قليلاً من الزمان (ولا يستقدمون) عليه (قل أرايتم أن أتاكم عذابه بيئاً أنا ونهاراً ما إذا يستجبل منه المجرمون) أي قل للذين يستجبلون العذاب اخبروني عن عذاب الله أن أتاكم وقت اشتغالكم بالنوم أو عند اشتغالكم بمشاغلكم أي شيء تستجبلون من عذاب الله وليس شيء من العذاب يستجبله عاقل إذا العذاب كله من المذاق موجب لنفار الطبع منه (أنتم إذا ما وقع آمنتم به) أي أبعداً ما وقع العذاب بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان (الآن) تومنون بالعذاب (وقد كنتم به) أي بالعذاب (تستجبلون) أي تكذبون فإن استجبلهم كان على جهة التكذيب والانكار (ثم قيل) يوم القيامة على لسان ملائكة العذاب (للذين ظلموا) أي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق (ذوقوا عذاب الخلد) أي عذاب المؤلم على الدوام (هل تجزون) في الآخرة (الابحاث كنتم تكسبون) في الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي وهذا استثناء مفرغ والجار والمجرور مفعول ثانٍ لتجزون والاول قائم مقام الفاعل (تنبيه) أين ما ذكر الله تعالى العذاب ذكر هذه العلة كأن سائلاً يقول يا رب العزة أنت الغني عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا التشديد فهو تعالى يقول ما أنا ما عاملته بهذه المعاملة ابتداءً بل هذا وصل اليه جزاء على عمله الباطل (ويستنبئونك) أي يستخبرونك يا أشرف الخلق والقائل حي بن أخطب لما قدم مكة بطريق الاستهزاء والانكار (أحق هو) أي ما تعدنا من نزول العذاب علينا في الدنيا وما تعدنا من البعث والقيامة (قل) لهم في الجواب هذه الامور الثلاثة غير ملتفت الى استهزائهم (أي ورب) فأى من حروف الجواب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل يعني قد في الاستفهام خاصة (انه) أي العذاب الموعود (لحق) أي ثابت (وما أنتم بمجزيين) لمن وعدهم بالعذاب ان ينزله عليكم (ولو أن لكل نفس ظلمت) وهو لاحق بكم بالشرك أو غيره من أنواع الظلم ولو مرة (ما في الارض) أي ما في الدنيا من الاموال (لافتدت به) أي لغادت بما في الدنيا نفسها من عذاب الله (وأسرروا الندامة لما رأوا العذاب) أي أخفوا الندامة على ترك الايمان حين عابوا العذاب فلم بقدروا على ان ينطقوا بشيء لشدة الاهوال وقظاعة الحال (وقضى بينهم) أي بين الظالمين بالشرك وغيره (بالقسط) أي بالعدل (وهم) أي الظالمون (يظلمون) فيما فعل بهم من العذاب (ألا ان الله ما في السموات والارض) أي ما وجد فيهما (ألا ان وعد الله حق) أي ان جميع ما وعد الله به ثابت لا بد أن يقع ووعدته تعالى مطابق للواقع (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي غافلون عن هذه الدلائل (هو يحيى ويميت) في الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) أي قد جاءكم كتاب فيه بيان ما ينفع المكلف وما يضره ودواء للقلوب وهدى الى الحق ورحمة للمؤمنين بانجائهم من الضلال الى نور الايمان وتخلصهم من دركات النيران الى درجات الجنان والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير الظاهر عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الباطن عن العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة الى بلوغ الكمال (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) أي فليفرحوا بتلك النعم لان حيث هي هي بل من حيث انها بفضل الله وبرحمته الله قال الصديقون من فرح بنعمة الله من حيث انها تلك النعمة فهو مشركاً ما من فرح بنعمة الله من حيث انها من الله كان فرحه بالله وذلك غاية الكمال ونهاية السعادة



وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من أهله (هو) أي المذكور من فضل الله ورحمته (خير مما يجمعون) من الدنيا لان الآخرة أبقي وقرأ ابن طاهر بالتاء على الخطاب واما فليفرحوا فبالياء التحتية عند السبعة ولا يقرؤه بالتاء الفوقية الا يعقوب من العشرة كما هو مروي عن زيد بن ثابت والمعنى فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار (قل أرايتم) أي أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) أي الذي خلقه الله لكم من حرث وانعام (لجعلتم منه حراما وحلالا) أي لحكمتم بأن بعض الرزق حرام وبعضه حلال مع كون كلمة حلالا (قل الله أذن لكم) قل تأ كيد الامر بالاستخيار أي أخبروني الله أمركم بذلك الحكم فأنتم عمدة مشايخكم بأمره تعالى (أم على الله تفترون) أي أم لم يأنزل لكم في ذلك بل على الله تكذبون بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) أي أي شيء ظنهم يوم عرض الافعال والاقوال أيحسبون انهم لا يستأثرون عن افتراءهم أولا يجازون عليه ولا جل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي أشد العذاب لان معصيتهم أشد الماصي (ان الله لنوفضل على الناس) باعطاء العمل وارسال الرسل وانزال الكتب واما لهم على سوء أفعالهم (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تلك النعم فلا يستعملون العقل في التأمل في دلائل الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبياء الله تعالى ولا ينتفعون باستماع ~~كتب~~ الله (وماتكون) يا أشرف المخلوق (في شأن) أي أمر من أمور الدنيا (وماتلومونه) أي الشأن (من قرآن ولا تعملون من عمل) أي أي عمل كان (الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون) أي تشرعون (فيه) أي في ذلك المذكور (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء) أي ولا يغيب عن علم ربك ما يساوي في الثقل غللة صغيرة أو هباء في دائرة الوجود وقرأ الكسائي بكسر الزاي (ولا أصغر من ذلك) أي الذرة (ولا أكبر الا في كتاب مبين) أي في لوح محفوظ وقرأ حمزة بالرفع على الابتداء والخبر والباقيون بالنصب على ان لا نافية للجنس وما بعدها اسمها وخبرها (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم) في الدارين من حقوق مكروه (ولا لهم يحزنون) من فوات مطلوب (الذين آمنوا) بكل ما جاء من عند الله تعالى (وكانوا يتقون) والتقوى هنا التجنب عن كل اثم والتمتع عن كل ما يشغل السر عن الله تعالى والتبتل اليه تعالى بالسكينة وهذا تفسير للأولياء (لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فالبشري في الدنيا محبة الناس لهم وذكرهم اياهم بالثناء الحسن والرؤيا الصالحة وبشري الملائكة لهم عند الموت وفي الآخرة تلقى الملائكة اياهم مبشرين بالفوز والكرامة وبياض الوجوه واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات (لا تبديل لكلمات الله) أي لا حلف في أقواله (ذلك) أي حصول البشري لهم في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (ولا يحزبك قولهم) أي لا تحزن عما يتفهون به في شأنك مما لا خير فيه ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبيره لا كل وإبطال أمرك وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي (ان العزة لله جميعا) أي ان القوة جميعا لله فهو يملك منهم وينصرك عليهم حتى تكون أقوى منهم (هو السميع العليم) أي يسمع ما يقولون في حقل ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافؤهم بذلك (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) من الملائكة والنفلين واذا كان هؤلاء في ملكه تعالى فالجادات أحق أن لا تكون شركاء له تعالى (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) أي وما يتبع الذين يعبدون من دون الله آلهة شركاء فآلهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع (ان يتبعون الا الظن) أي ان المشركين ما اتبعوا شريك الله تعالى انما اتبعوا شيئا ظنوا مشريكا لله تعالى (وانهم الا يخرون) أي

ما هم الا يكذبون فيما ينسبونه اليه تعالى ويقدر ان معبوداتهم شركاء (هو الذي جعل  
 لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرام) أي هو الذي صير لكم الليل مظلماً لتستريحوا فيه من تعب النهار  
 والنهار مضياً لتتدوا به في حوائجكم بالابصار ولتتحرروا فيه لمعاشكم (ان في ذلك) أي الجعل  
 (لآيات) أي لعبرات (لقوم يسمعون) مواظب القرآن فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها  
 هو الله المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) أي كفار مكة (اتخذ الله ولداً) أي الملائكة بنات الله  
 (سبحانه) قال تعالى ذلك تنزيهاً لنفسه عما نسبوه اليه وتجييلاً من كلمتهم الحق (هو الغني) عن كل  
 شيء في كل شيء (له ما في السموات وما في الارض) من ناطق وصامت ملكا وخلقاً (ان عندكم من  
 سلطان بهذا) أي ما عندكم حجة بهذا القول الباطل (أتقولون على الله ما لا تعلمون) أي أنتم تنسبون  
 اليه تعالى ما لا يجوز نسبته اليه تعالى جهلاً منكم (قل ان الذين يقولون على الله الكذب لا يفلحون) أي  
 لا يصلون الى مقاصدهم وكل من قال في ذات الله تعالى وصفاته قولاً بغير علم وبغير حجة بينة كان دخلاً في  
 هذا الوعيد (متاع في الدنيا ثم اليها مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد عما كانوا يكفرون) أي حياتهم  
 متاع قليل في الدنيا ثم لا بد من الموت وعند الموت لا بد من الرجوع الى الله وعند هذا الرجوع لا بد وأن  
 يذيقهم الله العذاب الشديد بسبب كونهم كافرين فأين هم من الفلاح (واتل عليهم) أي المشركين  
 (نبأ نوح) أي خبره مع قومه الذين هم أشباه قومك في العناد ليصير داعياً الى مفارقة الانكار للتوحيد  
 والنبوة (اذ قال لقومه) وهم بنو قاييس (يا قوم ان كان كبر) أي ثقل (عليكم مقامى) أي مكثي  
 فيكم مدة طويلة (وتد كبرى) أي وعظي اياكم (بآيات الله) أي بحجته (فعلى الله توكلت) أي  
 فوضت أمري الى الله (فاجمعوا أمركم) أي فاعزموا على أمركم الذين تريدون بي من السعي في اهلاكي  
 (وشركاءكم) أي وادعوا من يشاركونكم في الدين والقول أو ادعوا أو نائكم التي سميتوها بالالهة  
 وتقدير ادعوا هو كما في مصحف أبي ويصح أن يكون وشركاءكم مفعولاً معه من الضمير في فاجمعوا  
 وقرأ الحسن وجماعة من القراء بالرفع عطفاً عليه (ثم لا يكن أمركم عليكم غمجة) أي خفياً وليكن  
 ظاهراً (ثم اقضوا لي) أي أدوا لي ذلك الأمر الذي تريدون بي ونفذوه الى (ولا تنظرون) أي لا تتهملون  
 بعد اعلامكم اي اي ما اتفقتم عليه (فان توليتم فاسألتكم من أجر) أي ان أعرضتم عن نصيحتي فلا ضير  
 على لاني ما سألتكم عقاباً ووعظي من أجر تؤدونه الى حتى يؤدي ذلك الى أعراضكم (ان أجرى الاعلى  
 الله) أي ما ثوابي على التذكير الاعلى عليه تعالى يثيبني به أمتي أو توليتم (وأمرت أن أكون من المسلمين)  
 أي واني مأمور بالاستسلام لكل ما يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) أي استمروا على  
 تكذيب نوح بعد ما بين لهم المحجة (فنجينا من معه في الفلك) أي السفينة من المسلمين من الغرق  
 وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة (وجعلناهم) أي أصحاب نوح (خلائف) من الهالكين  
 بالغرق فسكنون في الارض (وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر) يا أشرف الخلق  
 (كيف كان عاقبة المنذرين) أي كيف صار أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعده  
 رسلاً الى قومهم) كان منهم هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب (لخاؤهم بالبينات) أي لخواء كل رسول  
 قومه المخصوصين به بالمعجزات الدالة على صدق ما قالوا (فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا به من قبل) أي  
 فما كانوا يصدقوا بما كذبوا به من أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا أنهم اليها من  
 قبل محي رسلكم أي كانت حالهم بعد مجي الرسل كحالهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك)



يصير واغماطين بقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكانه تعالى يقول للسلم حال اسلامه ان  
كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والامر كذلك لان الاسلام هو الاتقياد لتكاليف الله وترك التمرد  
والايمان هو معرفة القلب بان واجب الوجود لذاته واحد وما سواه محدث تحت تصرفه واذا حصلت  
هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره الى الله تعالى ويحصل في القلب نور التوكل على الله  
تعالى (فقالوا) محيييين له عليه السلام (على الله توكلنا) ولا نلتفت الى أحد سواه ثم دعوا ربهم قائلين  
(ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تجعلنا مقتونين لهم أى لا نتمكنهم من أن يحملونا بالقهر على أن  
نصرف عن هذا الدين الحق الذى قبلناه (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أى خلصنا برحمتك من  
أيدي فرعون وقومه ومن سوء جوارهم وشؤم مصاحبهم (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما  
بمصر بيوتا) أى اجعلنا مصر بيوتا لقومكما ومرجعنا رجعون اليه للعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى  
مصلى (وأقيموا الصلاة) فى بيوتكم أى ان موسى ومن معه كانوا فى أول أمرهم مأمورين بان يصلوا  
فى بيوتهم لئلا يظهروا على الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون فى أول الاسلام بمكة  
على هذه الحالة (وبشر المؤمنين) بالنصر فى الدنيا بالجنة فى العقبى وخص الله تعالى موسى بالبشارة  
لانه الاصل فى الرسالة وهرون تبعه (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه) أى أشرف قومه  
(زينة) أى ما يترزين به من اللباس والمراكب ونحوها (وأموالا) كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما  
(فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر والمعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن  
سبيلك (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكها قال ابن عباس بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة  
منقوشة كهشيتها عجاها وأنصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة (واشد على قلوبهم) أى أجعلها قاسية  
ومربوطة حتى لا تلين ولا تشرح للإيمان (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهى أو عطف  
على ليضلوا (حتى يروا العذاب الاليم) وانما دعاء موسى عليهم هذا الدعاء لما علم أن سابق قضاء الله  
وقدره فيهم انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله لموسى وهرون (قد  
أجيب دعوتكما) فموسى كان يدعو وهرون كان يؤمن والتأمين دعاء وحصول المدعو به بعد أربعين  
سنة لان فرعون لبث بعده هذا الدعاء أربعين سنة (فاستقيما) أى فأثبتنا على ما أقمنا عليه من الدعوة  
والزام الحق ولا تستجلا (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) بعبادات الله تعالى فى تعليق الامر بالمصالح  
والحكم أى ولا تسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون انه متى كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصل فى الحال  
والاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله يصدران من الجهال (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) أى جعلناهم  
مجاوزين بحر السويس بأن جعلناه يسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط قال أهل التفسير اجتمع يعقوب  
وبنوه على يوسف وهم اثنان وتسعون وخرج بنوه مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك لما أجاب الله  
دعاء موسى وهرون أمرهما بالخر وج ببني اسرائيل من مصر فخرجوا وقد كان فرعون غافلا عن ذلك فلما  
سمع بخروجهم خرج بمجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والبحر أمامنا والعدو وراءنا  
فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فصر به فأنفلق فقطعه موسى وبنو اسرائيل فلحقهم فرعون وكان  
على حصان أدهم وكان معه ثمانية آلاف حصان على لون حصان سوى سائر الألوان وكان يقدمهم  
جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فذنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح  
الأنثى لم يتمالك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم

بالخروج انطبق البحر عليهم (فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا) أي مفرطين في عجمة قتلهم  
 ومجاورين الحسد (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه) أي بأن الشأ (لا اله الا الذي آمنت به بنو  
 اسرائيل وأنا من المسلمين) أي الذين أسلموا نفوسهم لله فقال له جبريل (الآن وقد عصيت قبل وكنت  
 من المفسدين) أي الآن تؤمن وتتنوب وقد ضيعت التوبة في وقتها وأثرت دنياك الفانية على الآخرة  
 الباقية وقد كنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان ولم يقبل ذلك من فرعون لانه اغما آمن  
 عند نزول العذاب وانما أقرب عزة الربوبية ووحداية الله تعالى ولم يقرب نبوة موسى ولان ذلك الاقرار كان  
 مبنيا على محض التقليد وهو كان دهر يامن مكر الوجود الصانع وانما ذكر هذه الكلمة ليتوسل بها الى دفع  
 تلك البلية الحاضرة (فاليوم فنحيك ببـدك) أي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع  
 بدرع وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ نحيك بالحاء أي نلقيك بناحية الساحل (لتكون  
 لمن خلقت آية) أي لمن وراءك آية وهم بنو اسرائيل اذ قالوا مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمتهم  
 عندهم ولما حصل في قلوبهم من الرعب من أجله فأمر الله البحر فالتقاء على الساحل أحمر قصيرا كأه نور  
 فرآه بنو اسرائيل فعرفوه وقرئ لمن خلقت فعلا ماضيا أي لتكون لمن يأتي بعدك من الامم نكالا من  
 الطغيان وقرئ لمن خلقت بالفاء أي لتكون لحال تلك آية كسائر آياته فان أفرادة تعالى اياك بالالتقاء  
 الى الساحل لا بطل دعوى ألوهيتك لان الاله لا يعوت (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) أي  
 لا يتفكرون فيها (ولقد بوا أنابني اسرائيل مبوا صدق) أي أسكنهم بعدما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم  
 منزلا صالحا مريضيا وهو الشام ومصر فالشام بلاد البركة والحصب وأورثهم الله جميع ما كان تحت أيدي  
 فرعون وقومه (ورزقناهم من الطيبات) أي اللذائذ (فما اختلفوا) في أمر دينهم (حتى جاءهم  
 العلم) أي حتى قرؤوا التوراة فهينئذ تنبها للسائل والمطالب ووقع الاختلاف بينهم (ان ربك يقضي  
 بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز الحق من المبطل والصديق من الزنديق (فان كنت في  
 شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق) أي القرآن (من ربك)  
 فيه خبر الاولين (فلا تكون من المهترئين) أي الشاكين (ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله  
 فتكون من الخاسرين) أنفسهم وأعمالهم وهذا كله خطاب للنبي ظاهرا والمراد به غيره ممن عنده شك ومثل  
 هذا معتاد فان السلطان الكبير اذا كان له أمر وكان تحت راية ذلك الامر جمع فاذا أراد أن يأمر الرعية  
 بأمر مخصوص فانه يوجه الخطاب على ذلك الامر ليكون ذلك أقوى تأثيرا في قلوبهم وقيل هذا الخطاب  
 ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك أن الناس في زمانه كانوا افرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون  
 له والمتوقعون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت أيها الانسان في شك  
 مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهم عبد الله بن  
 سلام وعبد الله بن صور يا وليم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم (ان الذين حققت  
 عليهم كلمة ربك) أي ثبت عليهم حكمه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار (لا يؤمنون) أبدا  
 اذ لا كذب في كلامه (ولو جاءهم كل آية) أي ولو جاءهم الدلائل الذي لا حصر لها لان الدليل لا يهدى  
 الا باعانة الله تعالى (حتى يروا العذاب الاليم) كدأب آل فرعون واشباههم (فلولا كانت قرية آمنت  
 فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) قال أبو مالك صاحب  
 ابن عباس كل ما في كتاب الله تعالى من ذكر لولا فنعنا هلا الا حرفين فلولا كانت قرية آمنت فنعنا

لما كانت قرية آمنت فلولا كان من القرون من قبلكم فغناه لما كان من القرون وتقدير الآية لما  
 كان أهل قرية آمنوا فنعفهم أيمانهم الا قوم وذس لما آمنوا أول مارأوا أمارة العذاب صرفنا عنهم  
 العذاب في الحياة الدنيا (ومتعناهم) بمتاع الدنيا بعد صرف العذاب عنهم (الى حين) أى الى وقت انقضاء  
 آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا  
 فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعبجوا أربعين ليلة وكان يونس قال لهم ان أجلكم  
 أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء غيم  
 اسود هائل فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع في المدينة وسود سطوحهم فخرجوا  
 الى الصحراء وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها نحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات  
 وكثرت التضمرات وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك  
 اليوم يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن الفضل بن عباس انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت  
 أعظم وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وخرج يونس ينتظر العذاب فلم ير شيئا  
 فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف أرجع اليهم فيجدون كذابا وكان كل من كذب ولا يذنبه قتل  
 فاذا صرف عنهم مغاضبا فالتقمة الحوت (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) أى مجتمعين على  
 الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه (أفانت تكره الناس) على ما لم يشاء الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين)  
 أى لا قدرة لك على التصرف في أحد (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) أى وما يتأتى لنفس واحدة  
 أن يقع فيها ايمان في وقت ما الا بإرادة الله وبأقداره عليه (ويجعل الرجس) أى الكفر (على الذين  
 لا يعقلون) أى الذين لا يستعملون عقولهم بالنظر في الدلائل والمضارع بمعنى الماضي وهو معطوف على  
 مقدر والتقدير فاذن الله لبعضهم في الايمان وجعل الكفر لبعض آخر (قل انظر واماذا في السموات  
 والارض) أى قل يا أشرف الخلق مخاطبا لأهل مكة تفكروا أى شئ بديع في السموات والارض من  
 عجائب صنع الله الدالة على وحدته وكمال قدرته (وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وما تنفع الدلائل  
 السماوية والارضية والرسل المنذرون عن قوم لا يؤمنون في علم الله تعالى وحكمه (فهل ينتظرون الا مثل  
 أيام الذين خلوا من قبلهم) أى فما ينتظر المشركون الا عذابا مثل عذاب الأمم الماضية من الكفار (قل  
 فانتظروا) نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين) لذلك (ثم ننجي رسلنا) أى أهلكتنا الأمم ثم نجينا رسلنا  
 المرسله اليهم (والذين آمنوا) لان العذاب لا ينزل الا على الكفار (كذلك) أى مثل ذلك الانجاء الذين  
 نجينا الرسل ومن آمن بهم (حقا علينا ننجي المؤمنين) بك يا أشرف الخلق من كل شدة وعذاب وجب  
 ذلك علينا وجوب بحسب الوعد والحكم لا بحسب الاستحقاق لان العبد لا يستحق على خالقه شيئا (قل)  
 لجمهور المشركين (يا أيها الناس) أى أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) الذى أدعوك اليه أى  
 ان كنتم لاتعرفون ديني فانا أبينه لكم على سبيل التفصيل (فلا تعبدوا الذين تعبدون من دون الله) فى  
 وقت من الاوقات (ولكن أعبدوا الله الذى يتوفاكم) بقبض أرواحكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون  
 العذاب (وأمرت أن أكون من المؤمنين) بمادل عليه العقل ونطق به الوحي (وأن أقم وجهك  
 للدين) أى وأمرت بتوجيه العقل بالكلية الى طلب الدين وبالاستقامة فى الدين باداء الفرائض والانتها  
 عن القبائح وباستقبال القبلة فى الصلاة (خفيها) أى ما لا الى الدين ميلا كليا معرضا عما سواه اهراضا  
 كليا فقوله وأمرت ان أكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل أصل الايمان وقوله وأن أقم وجهك للدين



حينما اشارة الى الاستغراق في نور الايمان (ولا تكونن من المشركين) أى وأمرت بأن لا ألتفت الى غير ذلك الدين فمن عرف مولاه والتفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك الالتفات شركا وهو ذاهوا الذى تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفى (ولا تدع من دون الله) أى لا تعبد من غير الله (مالا ينفعك ولا يضرك) فلانافع الا الله ولا ضار الا الله ولا حكم الا الله ولا رجوع فى الدارين الا الى الله وهذه الجملة عطف على جملة الامر وهى أقم فتكون داخله فى صلة أن المسددية (فان فعلت فانك اذا من الظالمين) أى لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الواضعين للشيء فى غير موضعه وطلب الشبع من الاكل والرى من الشرب لا يقدح فى الاخلاص لان وجود الخبز وصفاته كلها بايجاد الله وطلب الانتفاع بشئ خلقه الله لذلك لا يكون منافيا للرجوع بالكلية الى الله الا أن شرط هذا الاخلاص أن لا يقع بصرك على شئ من هذه الموجودات الا ويشاهد بعين عقله أنها معدومة بذواتها وموجودة بايجاد الله حينئذ يرى ما سوى الله عدما محضا بحسب أنفسها ويرى نور وجوده تعالى وفيض احسانه عاليا على الكل (وان يسلك الله بضر) أى ان يصيبك بضر كمرض ونقر (فلا كاشف له) أى فلا رافع لذلك الضر (الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) أى وان يردك بضر فلا راد لفضله (فلا دافع لعظيته الذى أرادك به ولم يستثن الله تعالى مع الارادة لان ارادة الله تعالى قديمة لا تتغير بخلاف مس الضر فانه صفة فعل قال الرازى وتقديم الانسان فى اللفظ وهو المشار اليه بالخطاب دليل على أن المقصود هو الانسان اما سائر الخيرات فهى مخلوقة لاجله (يصيب به) أى يخص بالفضل الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير (من يشاء من عباده) ممن كان أهلا لذلك (وهو الغفور) أى البالغ الستر للذنوب (الرحيم) أى البالغ فى الاكرام (قل) مخاطبا لا ولى الكفرة لاجل أن تنقطع معذرتهم (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام (فمن اهتدى) بالايمان به (فأغنيته لى نفسه) أى فنفعة اهتدائه لها خاصة (ومن ضل) بالاعراض عنه (فأغنا يضل عليها) أى فوبال الضلال مقصور على نفسه (وما أنا عليكم بوكيل) أى بحفيظ مؤكول الى أمركم وانما أنا بشير ونذير فلا يجب على السعى فى ايصالكم الى الثواب وفى تخليصكم من العذاب (واتبع ما يوحى اليك) أى يؤمر لك فى القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على ما يطرق عليك من مشاق التبليغ (حتى يحكم الله) بالامر بالفتال (وهو خير الحاكمين) لحكمكم بالجهاد والجزية على أهل الكتاب وأنشد بعضهم فى الصبر شعر اقال

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى \* وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى  
سأصبر حتى يعلم الصبر اننى \* صبرت على شئ أمر من الصبر

(سورة هود مكية مائة وثلاث وعشرون آية وألف وسبع مائة وخمسة  
وعشرون كلمة وستة آلاف وست مائة وخمسة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب أحكم آياته) أى نظمت نظما رصيفا متقنا (ثم فصلت) أى جعلت فصولا من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب أو صلة للفعلين كأنه تعالى يقول أحكم آياته من عند حكيم أى واضع الشئ بالحكمة وفصلت آياته من عند خبير أى عالم بكيفيات الامور (أن لا تعبدوا الا الله) فان تفسيره لفصلت فانها فى معنى القول (اننى لكم منه) أى من جهة الحكيم الخبير (نذير) بعذابه ان عبدتم غير الله تعالى (وبشير)

بنوايه ان تعصمتم في عبادته (وان استغفروا ربكم) معطوف على أن لا تعبدوا (ثم توبوا اليه) أي  
أطلبوا من ربكم ستر ما سلف منكم من الشرك ثم أقبلوا اليه بالطاعة والاخلاص (يعتصمكم متاعا حسنا  
الى أجل مسمى) أي يعصمكم عيشا مريضيا الى وقت مقدر عند الله تعالى وهو آخر أعماركم فمن أخلص  
الله في القول والعمل عاش في أمن من العذاب وراحة عما يحشاءه ومن اشتغل بحببة الله كان انقطاعه عن  
الخلق أكمل وسروره أتم لانه آمن من زوال محبوه ومن كان مشتغلا بحب غير الله كالأبداني ألم الخوف  
من فوات المحبوب (ويؤت) أي يعطى في الدنيا وفي الآخرة (كل ذي فضل) في الاسلام والطاعة  
(فضله) أي ثوابه (وان تولوا) أي تعرضوا عما ألقى اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة (فاني  
أخاف عليكم) بموجب الشفقة (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) بالموت ثم البعث  
للجزاء (وهو على كل شيء قدير) فيقدر على تعذيبكم بأفانين العذاب (ألا انهم يفتنون صدورهم  
ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم) أي تنبه ان الكفار يضررون خلاف ما يظهرون ليستخفوا  
من الله تعالى حين يغطون رؤوسهم بثيابهم للاستخفاء روى عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في  
الاخنس بن شريق وأصحابه من منافقي مكة وكان رجلا حلو المنطق حسن المنظر يظهر لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه العداوة (يعلم ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم  
(انه علم بذات الصدور) أي انه تعالى مبالغ في الاحاطة بضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية  
المستكنة في صدورهم فلا فائدة لهم في استخفائهم (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) أي  
غذاؤها اللاتق بها روى أن موسى عليه السلام تعلق قلبه بأحوال أهله فأمره الله تعالى ان يضرب  
بعضاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثم ضرب بعضاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثانية  
ثم ضرب بعضاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة ثم ضرب بعضاه فانشقت وخرجت منها دودة كالذرة  
وفي فيها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الله الحجاب عن سمع موسى عليه السلام فسمع الدودة تقول  
سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني (ويعلم مستقرها) أي مكانها في  
لارض قبل الموت وبعده (ومستودعها) أي موضعها قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل  
من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها وأحوالها) (في كتاب مبين) أي ثابت في علم الله ومذكور في  
اللوح المحفوظ (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) أي خلق السموات في يومين والارض  
في يومين وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات وغير ذلك في يومين (وكان عرشه) قبل خلقهما  
(على الماء) قال صلى الله عليه وسلم كان الله وما كان معه شيء ثم كان عرشه على الماء أي  
والعرش الذي هو أعظم المخلوقات قد أمدسه الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامته ولا علاقة  
فوقه وذلك يدل على كمال قدرته تعالى (ليبأوكم) أي خلق السموات والارض وما فيهما ورتب فيهما  
جميع ما يحتاجون اليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم وأودع فيهما ما تستدلون به على  
مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يختبركم (أيكم أحسن هملا) أي أحسن عقلا وأورع عن  
محارم الله وأمرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به (ولئن قلت) يا أشرف  
الخلق لاهل مكة (انكم مبغوثون) أي محييون (من بعد الموت ليقولن الذين كفروا) منهم (ان هذا  
الاوهاميين) أي ما هذا القول الا خديعة منكم وضعتوها لمنع الناس عن لذات الدنيا وحرارها ثم الى  
الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم وقرأ حمزة والكسائي الاسحرا أي كاذب وحيث شذفاسم الإشارة

حاد على النبي أو القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب) الذي هددهم الرسول صلى الله عليه وسلم به (إلى  
 أمة معدودة) أي إلى انقراض جماعة من الناس بعد هذا التهديد بالقول (ليقولن) بطريق الاستجمال  
 استهزاء (ما يحبس) أي أي شيء يمنع العذاب من المجيء إلينا (ألا) أي تنبهوا (يوم يأتيهم) أي  
 العذاب (ليس مصروفا عنهم) أي فلا يرفع رافع أبدا عذاب الآخرة ولا يدفع عنهم دافع عذاب الدنيا  
 (وما حق بهم ما كانوا يستهزؤن) أي أحاط بهم ذلك العذاب (ولئن أذقنا الإنسان منارحة) أي  
 أعطيناه نعمة كغنى وصحة (ثم نزعناها منه إنه ليؤس) أي قاطع رجاءه من عود أمثاله العلة صبره  
 وعدم ثقته بالله (كفور) أي عظيم الكفران لما سلف من النعم (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء  
 مسته) كحمة بعد سقم وفرج بعد شدة (ليقولن ذهب السيئات عني) أي المصائب التي تحزنني (إنه  
 لفرح) أي بطر بالنعم مغتر بها (نخور) على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن الشكر (ألا  
 الذين صبروا) عند البلاء استسلا ما لقضاء الله (وعملوا الصالحات) عند الراحة والخير شكرنا على ذلك  
 (أولئك لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم وان جنت (وأجر) أي ثواب (كبير) لأعمالهم الحسنة  
 (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك) فلعل للزجر وللتباعد أي لا تترك تبليغ بعض  
 ما يوحى إليك من المينات الدالة على حقيقة نبوتك ولا يضيق صدرك بتلاوته عليهم في أثناء الدعوة والحاجة  
 كراهة (أن يقولوا ولا أنزل عليه) أي على محمد (كنز) أي مال كثير مخزون يدل على صدقه  
 (أو جاء معه ملك) يصدقه والمعنى لا تترك التبليغ ولا يضيق صدرك به بسبب قول القوم لك إن كنت  
 صادقاً فإنك رسول الله الذي تصفه بالقدر على كل شيء وبأنك عزيز عنده مع أنك فقير فها أنزل عليك  
 ما تستغني به وتغني أحبابك من الكد والعناء وإن كنت صادقاً فها أنزل عليك ما يكاثرك بالرسالة  
 فتزول الشبهة في أمرك فلما لم يفعل الهك ذلك فأنت غير صادق فنزل قوله تعالى (أغما أنت نذير) فلا  
 تبال بما صدر عنهم من الرد والقبول (والله على كل شيء وكيل) أي حفيظ فتوكل عليه في جميع  
 أمورك فإنه فاعل بهم ما يليق بحالهم (أم يقولون افتراء) أي بل يقولون افتري محمد القرآن من تلقاء  
 نفسه وليس من عند الله (قل) لهم أرخاء للعنان إن كان الأمر كما تقولون (فأتوا بعشر سور مثله) أي  
 القرآن في البلاغة وحسن النظم (مفتريات) من عند أنفسكم فأنكم أقدر ذلك مني لأنكم عرب  
 فصحاء عمارسون للشعر ومن أولون أنواع النظم والنثر (وادعوا) للمعاونة في المعارضة (من  
 استطعتم من دون الله) أي من الأصنام والكهنة (إن كنتم صادقين) في ادعاء كون القرآن مفترى  
 على الله (فإن لم يستجيبوا) أي من تدعونهم من دون الله (لكم) أيها الكفار في الاغانة على المعارضة  
 (فاعلموا) يا معشر الكفار (أغما نزل بعلم الله) أي إن الذي أنزل ملتبس بعلم الله أي هو من عند الله  
 إذ لو كان مفترى على الله لوجب أن يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدر وأعليه ثبت أنه من عند الله (وأن  
 لا اله الا هو) أي واعلموا أنه لا شريك له في الألوهية ولا يقدر على ما يقدر هو عليه أحد أي لما ثبت عجز  
 الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن حقاً وثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقاً في دعوى الرسالة  
 وفي خبره أنه لا اله الا الله (فهل أنتم مسلمون) أي فهل أنتم داخلون في الاسلام والمعنى فإن لم يستجب  
 لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجارون في لما تكملوا إلى المعاونة فاعلموا أن القرآن خارج عن دائرة قدرة  
 البشر وأنه منزل من خالق القوى والقدر واعلموا أيضاً أن آلهتكم بعزل عن رتبة الشراكة في الألوهية فهل  
 أنتم داخلون في الاسلام بعد قيام هذه الحجة القاطعة (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) بعمل الخير

من العبادات وايصال المنفعة الى الحيوانات (نوف اليهم أعمالهم فيها) أى نوصل اليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة (وهـم فيها) أى في الحياة الدنيا (لا يخسرون) أى لا ينقصون نقصا كلياً ولا يحرمون من ذلك حرماناً كلياً هو ما يرزقون فيها من الصحة والرأسية وسعة الرزق وكثرة الاولاد ونحو ذلك (أولئك) أى المريدون لزينة الدنيا الموفون فيها ثمرات أعمالهم (الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار) بسبب هذه الاعمال الفاسدة المقرونة بالارياح والى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعودوا بالله من جب الحزن قيل وما جب الحزن قال واد في جهنم يلقي فيه القراء المراءون وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيراً ولا خير فيه (وحبط ما صنعوا فيها) وهـذا ان تعلق بحبط فالضمير عائداً على الآخرة أى وظهر في الآخرة حبط ما صنعوه من الاعمال وان تعلق بصنعوا فالضمير يعود على الحياة الدنيا أى وحبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) فباطل إما خبر مقدم وما بعده مبتدأ مؤخر أعطف على الخبر وما بعده فاعل له ويرجع هـذا قراءة زيد بن علي وبطل ما كانوا يعملون على صيغة الماضي معطوف على حبط أى ظهر بطلان عملهم في نفسه في أثناء تحصيل المطالب الديني وقرئ وباطل إما كانوا يعملون على ان ما ابهامية أو في معنى المصدر (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) أى أفمن كان على برهان من ربه عرف به صحة الدين الحق ويتبع ذلك البرهان شاهد من ربه وهو القرآن ويتبع ذلك البرهان من قبل مجي الشاهد الذي هو القرآن شاهد آخر وهو كتاب موسى حال كونه مقتدى به في الدين وسبب الحصول الرحمة لانه يهدي الى الحق في الدنيا والدين كمن يري الحياة الدنيا ويزنتها في انهم ليس لهم في الآخرة إلا النار لا بل بين الفريقين تباين بين فالجاءل انه اجتمع في تثبيت صحة هـذا الدين أمور ثلاثة أولها دلالة الدلائل العقلية اليقينية على صحته وثانيها شهادة القرآن بصحته وثالثها شهادة التوراة بصحته فعند اجتماع هذه الثلاثة قد بلغ هذا اليقين في القوة والجلالة الى حيث لا يمكن الزيادة عليه فلا يبقى في صحته شك (أولئك) أى الموصوفون بالصفات الحميدة (يؤمنون به) أى بالقرآن كعبد الله بن سلام وغيره عن اتصف بتلك الصفات وهذا الفريق ليس له في الآخرة إلا الجنة (ومن يكفر به) أى بالقرآن (من الأحزاب) أى أصناف الكفار (فالنار موعده) أى مكان وعده وهو الذي فيها ما لا يوصف من أفانين العذاب روى سعيد ابن جبير عن أبي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع ابن يهودى ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا كان من أهل النار قال أبو موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا إلا عن القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده (فلا تلك في مريية منه انه الحق من ربك) أى فلا تلك في شك من القرآن أنه الحق من ربك نزل به جبريل أو المعنى فلا تلك في شك من أن مصير من كفر بالقرآن النار أن هذا الوعد هو الثابت عن يربيل في دينك ودينك والخطاب للنبي والمراد غيره (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك إما لاختلال أفكارهم وإما لعنادهم (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن نسب اليه ما لا يليق به كقولهم في الاصنام أنها شفعاء وهـم عند الله (أولئك) الموصوفون بالافتراء على الله تعالى (يعرضون على ربهم) عرضا تظهر به فنيحتهم أى يساقون الى الاماكن المعدة للحساب والسؤال (ويقول الاشهاد) من الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم في الدنيا والانبيا عند العرض (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بالافتراء عليه ثم لما أخبر الله تعالى عن حالهم في القيامة أخبر عن حالهم في الحال بقوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالتزام

الكفر والضلال أى انهم فى الحال للمعونون من عند الله (الذين يصدون عن سبيل الله) أى الذين يمنعون من الدين الحق كل من يقدر على منعه بالقاه الشبهات (ويبغونها عوجا) أى يطلبون سبيل الله زيغاً بتعويج الدلائل المستقيمة (وهم) أى والحال أنهم (بالآخرة هم كافرون) أى بالبعث بعد الموت جاحدون (أولئك لم يكونوا همجزيين فى الارض) أى لا يمكنهم أن يفلتوا بأنفسهم من عذاب الله بالهرب من الارض مع سعتها ان أراد الله تعذيبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) أى أنصار يدفعون عذاب الله عنهم أى ان عدم زول العذاب ليس لاجل أنهم قدروا على منع الله من ازال العذاب بالفرار ونحوه ولا لاجل أن لهم ناصر يمنع العذاب عنهم كما زعموا أن الاصنام شفعاءهم عند الله بل لانه تعالى أمهلهم كي يتوبوا عن كفرهم فاذا أبوا الا الثبات عليه فلا بد من مضاعفة العذاب فى الآخرة كما قال تعالى (يضاعف لهم العذاب) أى فيعذبون فى الآخرة على ضلالهم فى أنفسهم وعلى اضلالهم غيرهم وهذا غير خارج عن قوله تعالى ومن جاء بالسيف فلا يجزى الا مثلها وقرأ ابن كثير وابن طاهر ويعقوب بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وهذا تعليل لمضاعفة العذاب أى لانهم كانوا عاجزين عن الوقوف على دلائل الله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) أى فانهم اشتروا عبادة الاصنام بعبادة الله تعالى وهذا أعظم وجوه الخسران (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من شفاعة الاصنام لهم فلم يبق معهم غير الندامة (الاجرم) أى لا بد (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) بذهاب الجنة وما فيها أى أنهم أخسر من كل خاسر لانهم أظلم من كل ظالم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) أى ان الذين آمنوا بكل ما يجب الايمان به وآتوا بالاعمال الصالحات واطمأننت قلوبهم عند أداء الاعمال الى ذلك كراثة فارغة عن الالتفات الى ماسوى الله تعالى واطمأننت الى صدق وعد الله بالثواب على تلك الاعمال وخافت قلوبهم من أن يكونوا أتوا بتلك الاعمال مع وجود الاخلال ومن أن لا تكون مقبولة (أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أى دائمون (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أى صفة الكافر كصفة شخص متصف بالعمى والصمم فلا يهتدى لمقصوده وصفة المؤمن كصفة شخص متصف بالبصر والسمع فاهتدى لمطلوبه (هل يستويان مثلاً) أى صفة وحالا (أفلاتنكرون) أى أن تكون فى عدم الاستواء ولا تتعظون بأمثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه انى لكم نذير) للعصاة من العقاب (مبين) أى بين النذارة قايين لكم طريق الخلاص من العذاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى أنى بفتح الهمزة أى متلبساً بالانذار والباقون بالكسر على معنى فقال انى لكم (أن لا تعبدوا الا الله) بدل من انى لكم الخ على قراءة الفتح ويجرور بالباء المقدرة التى للتعبدية المتعلقة بأرسلنا (انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) فى الدنيا أو فى الآخرة (فقال المدللون الذين كفروا من قومه) أى الاشراف منهم (ما تراك الا بشراً مثلنا) أى ما نعلمك الا آدمياً مثلنا ليس فيك منزلة تفصلك بوجوب الطاعة علينا (وما تراك الا الذين هم أراذلنا) أى أخسائنا كالحجابين والنساجين والأساكفة (بأدى الراى) قرأ أبو عمرو ونصر عن الكسائى بأدى بالهمزة والباقون بالياء ونصبه على الظرفية أى فى ابتداء حدوث الراى ولو احتاطوا فى الكفر ما تبعوك أو فى ظاهر راى العين (وما ترى لكم علينا من فضل) أى لا ترى لك ولن تبعوك بعد الاتباع فضلاً علينا فى العقل ولا فى رعاية المصالح العاجلة ولا فى قوة الجدل (بل نظنكم كاذبين) أى بل نظنك يانوح فى دعوى النبوة

ونظن أصحابك كاذبين في تصديق نبوتك (قال) أي نوح (يا قوم أرايتم) أي اخبروني (ان كنت على بينة من ربي) أي على برهان عقلي في معرفة ذات الله وصفاته وما يجب وما يمتنع وما يجوز عليه (وأتاني رحمة من عنده) أي نبوة ومحنة دالة على النبوة (فعميت عليكم) أي وصار ذلك البرهان مشكوكا في عقولكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون به فتح العين وتخفيف الميم (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) أي فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون إلى معرفة ذلك البرهان وأنتم منكرون وله المعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا يناله الا من له فضيلة على سائر الناس اخبروني ان امتزت عنكم بخصيصة فضيلة من ربي وهي دليل العقل وأتاني بحسبها نبوة من عنده نخفي عليكم دليل العقل ولم تنالوه ولم تعلموا حيازتي لها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها أنلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام لطلب الاقرار وحاصل الكلام انهم لما قالوا وما ترى لكم علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام ان ذلك بسبب ان الحجة هيبت عليكم واشتبهت فأما لو تركتم العناد واللجاج ونظرتهم في الدليل لظهر المقصود وتبين ان الله تعالى آتانا عليكم فضلا عظيما وأنا لا أقدر على اعطائكم الالهام والمعرفة في تلك الحجة وانما أقدر على ان أدعوكم الى الله (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله) أي قال نوح عليه السلام أنا لا أطلب منكم على تبليغي دعوة الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا أو غنيا وما أجرى على هذه الطاعة الا على رب العالمين وان ظننتم اني انما اشتغلت بهذا التبليغ لاجل أخذ أموالكم فهذا الظن منكم خطأ وانما أسعى في طلب الدين لافي طلب الدنيا وهذا يوجب فضلي عليكم فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدين بسبب هذا الظن الفاسد (وما أنا بشارد الذين آمنوا) بقولكم لي امنع واطرد هؤلاء الاساقفة عنك ونحن نتبعك فاننا نستهجي ان نجلس معهم في مجلسك (انهم ملاقوا ربه) أي انهم فائزون في الآخرة ببقاء الله تعالى فان طردتهم استخصموني في الآخرة عنده فأعاقب على طردهم (ولكني أراكم قوما تتجملون) ان منزلة المؤمنين عند الله تعالى أعلى وان طردهم يوجب غضب الله تعالى (ويا قوم من ينصرني من الله) أي يدفع نزول سخطه عني (ان طردتهم) فان الطرد ظلم موجب للسخط قطعا (أفلا تدكرون) أي أتأمروني بطردهم فلا تتعظون بما أقول لكم (ولا أقول لكم) حين أدعي النبوة (عندي خزائن الله) أي رزقهم أمواله وهذا رد لقولهم وما ترى لكم علينا من فضل كالمال (ولا أعلم الغيب) أي ولا أقول اني أعلم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد وهاذا رد لقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي في ظاهر حالهم وأول فكرهم وفي الباطن لم يتبعوك فقال نوح لهم اني انما أعول على الظاهر لاني لا أعلم الغيب فأحكمم به (ولا أقول اني ملك) رد لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا فمكنا نوحا قال أنا لم أدع الملكية حتى تقولوا ذلك أي انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذبي والحال اني لا أدعي شيئا من ذلك ولا الذي أدعيه يتعلق بشئ منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) أي ولا أقول كما تقولون في حق الذين تحتقرهم أعينكم (لن يؤتيهم الله خيرا) أي هداية وأجرا (الله أعلم بما في أنفسهم) أي بما في قلوبهم من الايمان (اني اذا) أي اذا قلت ذلك (لن الظالمين) لنفسي ولهم في وصفهم بأنهم لا خير لهم مع ان الله أعطاهم خيري الدارين (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) أي فأثبت بأنواع الجدال (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فيما تقول (قال)



أى نوح (انما يأتىكم به الله) أى ان الاتيان بالعذاب الذى تستجهلون أمر خارج عن دائرة القوى  
 البشرية وانما يفعله الله تعالى (ان شاء وما أنتم بمجهزين) أى بمانعين من العذاب بالهرب أو بالدافعة  
 كما تدفعوننى فى الكلام (ولا ينفعكم نصيحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى  
 ان كان الله يريد ان يضلكم عن الهدى فان أردت ان أحذركم من عذاب الله وأدعوكم الى التوحيد  
 لا ينفعكم دعائى الى التوحيد وتحذيرى اياكم من عذاب الله (هوريكم) أى مالك التصرف فى ذواتكم  
 وفى صفاتكم قبل الموت وعند الموت (واليه) تعالى (ترجعون) بعد الموت فيجازيكم على أعمالكم  
 (أم يقولون اقترأه) أى بل أقول قوم نوح ان نوحا افترى بما أتانا به من عند نفسه مسندا الى الله تعالى  
 (قل) يا نوح (ان افتريته) أى ان اختلقت الوحى الذى بلغته اليكم من تلقاء نفسى (فعلى اجماعى)  
 أى فعلى عقاب اكتسابى للذنب وان كنت صادقا وكذبوني فعليكم عقاب ذلك التكذيب (وأنابرقى عما  
 تحرمون) أى من عقاب كسبكم الذنب باسناد الاقترأه الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من  
 آمن فلا تبتسب بما كانوا يفعلون) أى فلا تحزن بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والايذاء فى هذه المدة  
 الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحين وقت الانتقام منهم (واصنع الفلك بأعيننا) أى اصنع السفينة ملتبسا  
 بابصارنا لك وتعهدا بنبأ تعليمك كيفية صنعها (ووحينا) أى وبأمرنا لك (ولا تخاطبني فى الذين ظهروا) أى  
 لا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم أو المعنى لا تراجعنى فى نجات الذين كفروا بنبأك كنعان وأمرأتك وراعه  
 (انهم مفرقون) أى محكوم عليهم بالاغراق بالطوفان (ويصنع الفلك) أى أقبل نوح يصنعها وجعل  
 يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيى القار وكل ما يحتاج اليه فى عملها وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة فى  
 سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب  
 الساج وجعل لها ثلاث بطون لجعل فى البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط  
 الدواب والانعام وزكب هو ومن معه البطن الاعلى وحمل ما يحتاج اليه من الزاد وغيره (وكلم امر عليه ملا  
 من قومه) أى طبقة من كبرائهم (منخروا منه) أى كانوا يتصاحكون لعمله السفينة ويقولون يا نوح كنت  
 تدعى رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك نجارا وكان يصنعها فى موضع بعيد عن الماء جدا وكانوا يقولون ليس  
 ههنا ماء ولا يمكنك نقلها الى الانهار العظيمة والى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب السفه والجنون (قال  
 ان تسخر وامنانا تسخر منكم كما تسخرون) اليوم منا أى ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فاننا نحكم  
 عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لخط الله وعذابه (فسوف تعلمون من يأتى عذاب  
 يخزيه) أى فسوف تعلمون أينما يأتى عذاب فى الدنيا يهينه وهو عذاب الغرق من هو أحق بالسخرية ومن هو  
 أحمد عاقبة (ويحل عليه عذاب مقيم) أى وأيضا ينزل عليه عذاب النار الدائم فى الآخرة (حتى اذا جاء أمرنا)  
 أى عذابنا الموعود به (وفار التنور) أى نبع الماء من تنور الخبز وارتفع بشدة كما تقور القدر بغليانها  
 روى انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يغور من التنور فاركب ومن معك فى السفينة فلما نبع  
 الماء أخبرته امرأته فركب وقيل كان التنور لآدم وكانت حواء تقمر فيه الخبز فصارت الى نوح وكان من  
 حجارة وهو فى السكوة على عيني الداخل مما يلي باب كندة فى المسجد (قلنا حمل فيها) أى السفينة (من  
 كل زوجين اثنين) وقرأ حفص من كل بالثنتين أى من شئ وزوجين اثنين كل منهما زوج للآخر  
 والجمهور على الاضافة أى من كل فردين متزاوجين اثنين بان تحمل من الطير ذكرا وانثى ومن الغنم ذكرا  
 وانثى وهكذا وترك الباقى والمراد من الحيوانات التى تنفع والى تلد أو تبيض فيخرج المضرات والى

تنشأ من الغفونة والتراب كاللدود والقمل والبق والبعوض (وأهلك) عطف على زوجين على قراءة  
 حفص وعلى اثنين على قراءة غيره (الامن سبق عليه القول) بأنه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى  
 ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه ~~كنعان~~ وأمه وأعله فانهما كانا كافرين لحمل نوح في  
 السفينة زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة مع نسايتهم سام وحام ويافث فسام أبو العرب وحام أبو السودان  
 ويافث أبو الترك (ومن آمن) عطف على زوجين أو على اثنين أي واحد من آمن من غير أهلك (وما  
 آمن معه الا قليل) وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون انسانا نصفهم رجال ونصفهم نساء  
 وقال مقاتل في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية النمانين سميت بذلك لان هؤلاء لما خرجوا من السفينة  
 بنوها فسميت بهذا الاسم (وقال) أي نوح عليه الصلاة والسلام لمن معه من المؤمنين (اركبوا فيها  
 بسم الله) أي اركبوا في السفينة ذاكرين اسم الله (بحريها ومرساها) أي وقت جريها وارسائها  
 قيل كان نوح عليه السلام اذا أراد ان يجريها يقول بسم الله فتجري واذا أراد ان يرسيها يقول بسم  
 الله فترسو (ان ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته تعالى ورحمته اياكم لما نجاكم لانكم لا تنفكون عن  
 أنواع الزلات (وهي تجري بهم في موج كالجبال) في عظمه وارتفاعه وذلك يدل على وجود الرياح  
 الشديدة في ذلك الوقت قال علماء السير أرسل الله تعالى المطر أربعين يوما ويلة وخرج الماء من الارض  
 وارتفع الماء على أعلا جبل وأطوله أربعون ذراعا حتى أغرق كل شيء (ونادى نوح ابنه) كنعان قبل سير  
 السفينة (وكان في معزل) أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وأخوته وقومه بحيث لم يتناولوا الخطاب  
 باركبوا (يا بني اركب معنا) في السفينة (ولا تكن مع الكافرين) أي في المكان وهو وجه الارض  
 خارج السفينة في الدين لان نوحا عليه السلام يحذر ابنه عن الهلكة لا ينهي عن الكفر في ذلك الوقت  
 (قال سآوى) أي التخي (الى جبل يعصم من الماء) لارتفاعه (قال) أي نوح (لا عاصم اليوم من أمر  
 الله) أي عذابه (الامن رحم) أي الا الله الراحم والتقدير لا فرار من الله الا الى الله وهذا تأويل في غاية  
 الحسن وقيل لا مكان يعصم من عذاب الله الا مكان من رحمته الله وهو السفينة وقيل لا ذاعصمة الا من رحمته  
 الله (وحال بينهم الموج) أي حال الموج بين نوح وابنه كنعان (فكان من المغرقين) أي فصار كنعان من  
 المهلكين بالطوفان (وقيل) أي قال الله (يا أرض ابلعي ماءك) أي انشقي ماء على وجهك من ماء الطوفان  
 (ويا ماء اقلعي) أي امسكي عن ارسال المطر (وغيض الماء) أي رقص ما بين السماء والارض من الماء  
 (وقضى الامر) أي أتم الامر من هلاك قوم نوح (واستوت) أي استقرت الغلک (على الجودي) أي على  
 جبل بالجزيرة قريب من الموصل يقال له الجودي وكان ذلك الجبل منخفضا روى انه عليه السلام ركب في  
 الغلک في عاشر رجب ومرت بالبيت الحرام فطافت به سبعاء نزل عن الغلک في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم  
 وأمر من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنو القرية بقرب ذلك الجبل فسموها قرية الغمانين فهي أول قرية  
 سميت على الارض بعد الطوفان (وقيل بعد اللقوم الظالمين) أي قال نوح وأصحابه بعد وابعاد من رحمة الله  
 للقوم المشركين بحيث لا يرجي عودهم وهذا الكلام جار مجرى الدعاء عليهم لان الغالب عن يسلم من الامر  
 الهائل بسبب اجتماع قوم من الظلمة فاذا هلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام (ونادى نوح ربه  
 فقال رب ان ابني) كنعان (من أهلي) وقد وعدتني انجاهم في ضمن قولك واحمل أهلك (ان وعدك  
 الحق) أي ان كل وعد تعده لا يتطرق اليه خاى (وأنت أحكم الحاكمين) أي لانك أعدل الحاكمين  
 وهذا دعاء سيد نوح عليه السلام في غاية التلطف وهي مثل دعاء سيدنا أيوب عليه السلام اني مشني

الضروأنت أرحم الراحمين (قال) أي الله تعالى (يا نوح انه) أي هذا الابن الذي سألتني نجاته  
(ليس من أهلاك) الذي وعدتك أن أنجيهم معك (انه عمل غير صالح) أي لان هذا الابن ذو عمل غير  
مرضي وقرأ الكسائي ويعقوب عمل على صيغة الفعل وغير بالنصب أي لانه عمل عملا غير مرضي وهو  
الشرك (فلا تسألن ما ليس لك به علم) أي اذا وقعت على جلية الحال فلا تطلب مني مطلبالا تعلم يقينا  
أن حصوله صواب وموافق للحكمة (اني أعظك أن تكون من الجاهلين) أي اني أنهارك عن أن تكون  
من الجاهلين بالسؤال هي سؤاله عليه السلام جهلا لان حب الولد شغله عن تذكرة استثناءه من سبق عليه  
القول منهم بالاهلاك (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم) أي أعوذ بك من أن أطلب  
منك من بعد هذا مطلقا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة (والا تغفري) جهلي واقدامي على سؤال ما ليس  
لي به علم (وترحمي) بقبول توبتي (أكن من الخاسرين) أعمالا وليس في الآيات ما يقتضي صدور  
ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى اقدمه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية  
وانما الجأ الى الله تعالى وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابراشيات المقربين (قيل) أي قال الله  
(يا نوح اهبط) أي انزل من السفينة (بسلام) أي ملتبسا بأمن من جميع المكروه المتعلقة بالدين (منا  
وبركات عليك) أي خيرات نامية عليك وهذا بشارة من الله تعالى بالسلامة من التهديد ونبيل الحاجات  
من المأكول والمشروب (وعلى أمم عن معك) أي وعلى أمم مؤمنة ناشئة من الذين معك الى يوم القيامة  
(وأمم) كافرة متناصلة عن معك (سختهم) مدة في الدنيا (ثم) في الآخرة (يعصمهم من عذاب أليم)  
فقوله وأمم مبتدأ وحملته قوله سفتهم خبر (تلك من أنباء الغيب) أي تلك التفاصيل التي بيناها من  
الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق (نوحها) أي تلك الاخبار (اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك)  
بطريق التفصيل (من قبل هذا) أي من قبل ايجائنا اليك بنزول القرآن (فاصبر) على أذى  
هؤلاء الكفار كما صبر نوح على أذى أولئك الكفار (ان العاقبة) أي آخر الامر بالظفر في الدنيا والفوز  
في الآخرة (للمتقين) كما عرفته في نوح وقومه ولك فيه أسوة حسنة (والى عاد أباهم) أي ولقد أرسلنا  
الى عاد واحدا منهم في النسب نبياهم (هودا قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره) بالرفع  
صفة للمحل وبالجر على قراءة الكسائي صفة للفظ (ان أنتم الا مفترون) أي كاذبون في قولكم أن الاصنام  
تسحق العبادة (يا قوم لا أسألكم عليه) أي على ارشادكم الى التوحيد (أجرا ان أجرى الاعلى  
الذي فطرني) أي خلقتني (أفلا تعقلون) اني مصيب في المنع من عبادة الاصنام (ويا قوم استغفروا  
ربكم) أي سلوه أن يغفر لكم ما تقدم من شرككم (ثم توبوا اليه) من بعد التوحيد بالندم على  
ما مضى وبالعزم على أن لا تعودوا والمثله (يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدرارا) أي كثير السيلان  
(ويرزكم قوة الى قوتكم) بالمال والولد والشدة في الاعضاء قليل حبس الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين  
وعقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد (ولا تتولوا مجرمين) أي ولا تعرضوا عما أدعوكم اليه مصرين على  
آثامكم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أي بهجة (وما نحن بتاركى آلهتنا) أي بتاركى عبادتها (هن  
قولك) أي لاجل قولك (وما نحن لك بؤمنين) أي بمصدقين بالرسالة (ان نقول الاعتراف بعض  
آلهتنا بسوء) أي ما نقول في شأنك الا قولنا أصابك بعض آلهتنا بجنون لانك شتمتها ومنعت عن عبادتها  
(قال ان أشهد الله) على (واشهدوا) أنتم على (أنى برى) عما تشركون من دونه) أي من اشراككم  
آلهة من دون الله (فكيدوني جميعا) أي فاعملوا في هلاكى أنتم وآلهتكم جميعا (ثم لا تنظرون) أي

لا تؤجلوني (ان تؤكلت على الله ربي وربكم) أى انى فوضت أمرى الى الله مالكم ومالككم (مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى مامن حيوان الا هو تحت قهره وقدرته وهو منقاد لقضائه وقدره (ان ربي على صراط مستقيم) أى انه تعالى وان كان قادرا على عباده لكنه لا يظلمهم ولا يفعل بهم الا ما هو الحق والعدل والصواب (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) أى فان تعرضوا عن الايمان والتوبة لم أهاب على تقصير في الابلاغ لاني قد أبلغتكم وصرت محجوجين من الله تعالى لانكم أصررت على التكذيب (ويستخلف ربي قوما غيركم) أى يخلق ربي بعدكم من هو خير منكم وأطوع وهذا اشارة الى نزول عذاب الاستئصال (ولا تضرر منه شيئا) أى لا ينقص هلاككم من ملك الله شيئا (ان ربي على كل شيء حفيظ) فيحفظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها (ولما جاء أمرنا) أى عذابنا الذي هو وهو السهوم التي تدخل من أنوفهم وتخرج من أدبارهم فترفعهم في الجؤ وتصرعهم على الارض على وجوههم فتقطع أعضاؤهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة) عظيمة كاثنة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) وهو العذاب الاخرى (وتلك) القبيلة (عاد) جحدوا بآياتهم) أى دلالة المعجزات على صدق هود (وعصوا رسله) وجمع الرسول مع انه لم يرسل اليهم غير هود لبيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد (واتبعوا أمر كل جبار) أى مرتفع مقرد (عنيد) أى منازع معارض أى واتبع السفلة أمر رؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل (واتبعوا في هذه الدنيا العنة ويوم القيامة) أى جعل الابعاد من رحمة الله تعالى ومن كل خير مصاحب لهم وملزم في الدنيا والآخرة (ألا ان عادا كفروا ربهم) أى كفروا بربهم (ألا بعد العاد) وهذا ما عليهم بالهلاك وتحقيرهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وهذه عاد قديمة واحترز به عن عاد ثانية ارم ذات العماد (والى عمود أخاهم صالحا) وعمود اسم أبى القبيلة بين صالح وبينه خمسة اجداد وبين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتي سنة وثمانين سنة (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض) فان الانسان مخلق من المنى وهو متولد من الدم وهو متولد من الاغذية وهى اما حيوانية واما نباتية فانتهاه الحيوانية الى النبات وهو متولد من الارض فثبت أن الله تعالى أنشأ الانسان من الارض واستعمركم فيها) أى جعلكم سكان الارض وصيركم عامرين لها وأجعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة أعماركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه) أى آمنوا بالله وحده (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (ان ربي قريب) بالعلم والسمع والرحمة (محجب) دعاء المحتاجين بفضله ورحمته (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أى قبل نهيك ايانا عن عبادة الاوثان لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد فانك كنت تعطف على فقرائنا وتعين ضعفاءنا وتعود مرضانا فتقوى رجاؤنا فيك أنك من الاحباب ومن أنصار ديننا فكيف أظهرت العداوة ثم قالوا متجهين بهجبا شديدا (تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) أى ما عبدوه من الاوثان (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد وترك عبادة الاوثان (مرتب) أى موقع في اضطراب القلوب وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرايتم) أى اخبروني (ان كنت) في الحقيقة (على بينة) أى بصيرة وبرهان (من ربي وآتاني منه رحمة) أى نبوة (فمن ينصرني من الله) أى من ينجيني من عذابه (ان عصيته) أى بالمساهلة في تبليغ الرسالة وفي الجحارة معكم (فماز يدوني غير تخسير) أى فماز يدوني بما تقولون غير بصيرة في خسارتكم أى وما زادني

قولكم الاقول لكم انكم لخامسون (و يا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أى معجزة دالة على صدق نبوت  
فان الله خلقها من الصخرة في جوف الجبل حاملا من غرذ كرم على تلك الصورة دفعة واحدة وقد حصل  
منها لبن كثير يكفي الخلق العظيم (فذروها) أى فاتركوها (تأكل في أرض الله) أى ترع نباتها  
وتشرب ماءها فليس عليكم كلفة في مؤنتها وكانت هي تنفعهم ولا تضرهم لانهم كانوا ينتفعون بلبنها  
(ولا تسوها بسوء) أى لا تضر بوبها ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من السوء (فياخذكم عذاب قريب)  
أى عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة أيام (فعقروها) أى فقتلها قدار بن  
سالف ومصدق بن زهر وقيل زينب عقرها لهم عنزة أم غنم وصدقة بنت المختار فضر بها قدار بأمرهم في  
رجليها فاوقعها فذبحوها وقسموا لحمها على ألف وخمسمائة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (تمتعوا)  
أى عيشوا (في داركم) أى في بلادكم (ثلاثة أيام) من العقر الاربعاء والخميس والجمعة ثم يأتيكم  
العذاب في اليوم الرابع يوم السبت وانما أقاموا ثلاثة أيام لان الفصيل راغى ثلاثة وانفجرت الصخرة بعد  
رغائه فدخلها ولما عقر والناقة أنذرتهم صالح بنزول العذاب ورغبهم في الايمان فقالوا يا صالح وما علامة  
العذاب فقال تصيروا وجوهكم في اليوم الاول مصفرة وفي الثاني حمرة وفي الثالث مسودة وفي الرابع  
يأتيكم العذاب صبيحته (ذلك) أى نزول العذاب عقب ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا)  
أى عذابنا (فنجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ) أى ونجينا صالحا والذين آمنوا  
معه من العذاب النازل بقومه الكافرين ومن الخزي الذي لهم وبقي العيب منسوب اليهم لان معنى  
الخزي العيب الذي تظهر فضيحته ويستحيان من مثله وقرأ الكسائي ونافع في رواية ورش وقالون هنا  
وفي المعارج يومئذ يفتح الميم لاضافة يوم الى آذ وهو مبني فيكون مبنيا والباقيون بكسر الميم فيهما لاضافة يوم  
الى الجملة من المبتدأ والخبر فلما قطع المضاف اليه عن اذنون ليدل التنوين على ذلك ثم كسرت الذال  
لسكونها وسكون التنوين ولم يلزم من اضافة يوم الى المبنى أن يكون مبنيا لان هذه لاضافة غير لازمة (ان  
ربك هو القوى العزيز) فانه أوصل ذلك العذاب الى الكافر وصان أهل الايمان عنه وهذا التمييز  
لا يصح الا لمن القادر الذي يقدر على قهر طبائع الاشياء فجعل الشئ الواحد بالنسبة الى انسان بلاه وعذابا  
وبالنسبة الى انسان آخر راحة وريحانا (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) مع الزلزلة أى صيحة جبريل فقد  
صاح عليهم صيحة من السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شئ في الارض فتقطعت قلوبهم في  
صدورهم فماتوا جميعا (فأصهبوا في ديارهم جاثين) ميتين لا يتحركون ولا يضطربون عند ابتداء نزول  
العذاب ساقطين على وجوههم (كان لم يغنوا فيها) أى كأنهم لم يقيموا في بلادهم فانهم صاروا رمادا  
(ألا ان ثمود كفروا بربهم الا بعد النقود) قوم صالح من رحمة الله (واقعد جات رسلا ابراهيم) من الملائكة  
جبريل وميكائيل وإسرافيل (بالبرى) أى متلبسين بالبشارة بالولد من سارة (قالا سلاما) أى  
سلمنا عليك سلاما (قال سلام) أى قال ابراهيم أمرى سلام أى لست تريد غير السلامة وقرأ حمزة  
والكسائي هنا وفي الذاريات بكسر السين وسكون اللام (فقال) أى ابراهيم (أن جاء بهل) أى في  
الحجى بولد بقرة (حنيد) أى مشوى على حجارة محماة في حفرة في الارض فوضعه بين أيديهم (فلما رأى  
أيديهم لاتصل اليه) أى العجل (نكرهم) أى أنكرهم (وأوجس) أى أدرك (منهم خيفة)  
وظن أنهم لصوص حيث لم يأكلوا من طعامه فلما علموا خوفه (قالوا لا تخف) منا يا ابراهيم (انا أرسلنا)  
بالعذاب (الى قوم لوط) وهو ابن هاران أخى ابراهيم (وامرأته قائمة) تخدم الاضياف وتسمع مقالاتهم

و ابراهيم عليه السلام جالس معهم (فضحك) أي ففرحت سارة بزوال الخوف عنها وعن ابراهيم  
 وبحصول البشارة بحصول الولد بهلاك أهل الفساد وقال مجاهد وعكرمة أي حاضت سارة عند فرحتها  
 بالسلامة من الخوف فلما ظهر حيضها بابتشرت بحصول الولد (فبشرناها يا محق) على السنة ترسلنا وانما  
 نسبت البشارة لسارة دون سيدنا ابراهيم عليه السلام لانها كانت أشوق الى الولد منه لانها كانت لم يأتها ولد  
 قط بخلافه فقد أتاه اسمعيل قبل اسحق بثلاث عشرة سنة (ومن وراء اسحق يعقوب) قرأه ابن عامر  
 وحزة وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب أي وهو بن داود يعقوب من بعد اسحق والباقون بالرفع على  
 الابتداء أي ومن بعد اسحق يعقوب مولود (قالت يا ويلتا) هي كلمة يقال للتعجب عند أمر عظيم أي  
 يا ذلي احضر فهذا أو ان حضورك (أألدو أنا عجوز) بنت ثمان وتسعين سنة (وهذا بعلي) أي زوجي  
 (شيخا) ابن مائة وعشرين سنة (ان هذا) أي حصول الولد من هرمين مثلنا (لشيء عجيب) بالنسبة  
 الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده ومقصودها الاستعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب  
 العادي لاستبعاد قدرته تعالى على ذلك (قالوا) أي الملائكة لسارة (أتعجبين من أمر الله) أي من  
 قدرة الله (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي يا أهل بيت ابراهيم أي رحمة الله الواسعة لكل شيء  
 وخبراته الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة لازمة لكم لا تفارقكم فإذا رأيتم ان الله خرق العادات في  
 تخصيصكم بهذه الكرامات العالية فكيف يليق به التعجب (انه حميد) أي فاعل ما يستوجب الحمد  
 وموصل العبد المطيع الى مراده (مجيد) أي كريم لا ينعم الطالب عن مطلوبه (فلما ذهب عن  
 ابراهيم الروح وجاءته البشري يجادلن في قوم لوط) أي فلما زال عن ابراهيم الخوف وحصل له  
 السرور بسبب محي البشري بحصول الولد جادل رسلنا في شأن قوم لوط حيث قال للملائكة حين  
 قالوا ان امهلكوا أهل هذه القرية أرايتم لو كان فيها خسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال  
 فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرايتم ان كان فيها رجل مسلم  
 أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته  
 كانت من الغابرين (ان ابراهيم الحليم) أي غير عجول على كل من أساء اليه فلذلك طلب  
 تأخير العذاب عنهم ثم جاء اقدمهم على الايمان والتوبة عن المعاصي (أواه) أي كثير التضرع الى  
 الله عند وصول الشدائد الى الغير (منيب) أي رجاع الى الله في ازالة ذلك العذاب عنهم قالت الملائكة  
 لابراهيم (يا ابراهيم أعرض عن هذا) أي اترك هذا الجدل (انه قد جاء أمر ربك) بايصال هذا  
 العذاب اليهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) أي غير مصروف عنهم ولا مدفوع بجبال ولا دعاء  
 ولا غيرهما (ولما جاء ترسلنا) أي هؤلاء الملائكة (لوطامي بهم) أي حزن بسببهم (وضاق بهم  
 ذرعا) أي صدر الانهم انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط عليهما السلام ودخلوا عليه في صور شبان مرد  
 حسان الوجوه يخاف ان يقصدهم قومه وان يهجز عن امدافعتهم وبين القريتين أربع فراسخ (وقال هذا  
 يوم عصيب) أي شديد على فلما دخلت الملائكة دار لوط عليه السلام ولم يعلم بذلك أحد خرجت امرأته  
 الكافرة فأخبرت قومها وقالت دخل دارنا قوم ما رأيت أحسن وجوها ولا أنظف ثيابا ولا أطيب رائحة  
 منهم (وجاءه) أي لوط وهو في بيته مع أضيافه (قومه يهرعون) أي يسوق بعضهم بعضا (اليه)  
 لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) أي والحال من قبل محي هؤلاء الملائكة الى لوط (كلوا  
 يعملون السيئات) وهي آتيان الرجال في أدبارهم أي فهم معتادون لذلك فلا حياء عندهم منه (قال) أي لوط



(يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) أي فترزوجوهن والمراد بالجمه ما فوق الواحد لما صحت الرواية أن لسيدنا لوط عليه السلام بنتين فقط وهما زنتا وزعورا وقال السدي اسم الكبرى ريا والصغرى رغوئا وكان في ملته يجوز تزوج الكافر بالمسلمة أو قال ذلك على سبيل الدفع لا على سبيل التحقيق وكانوا يطلبونهم من قبل ولا يجيبهم لحبهم وعدم كفائهم لالعدم جواز تزويج المسلمات من الكفار (فاتقوا الله) بترك الفواحش (ولا تخزون في ضيفي) أي لا تنجلوني في أضيافي لأن مضيف الضيف يلزمه المجاملة من كل فعل قبيح يوصل إلى الضيف (أليس منكم رجل رشيد) يمتد إلى الحق ويرعوى عن الباطل ويرده هؤلاء الأوباش عن أضيافي (قالوا قد علمت) يالوط (مالنا في بناتك من حق) أي شهوة أي أنك قد علمت أن لا سبيل إلى المناكحة بيننا وبينك (وانك لتعلم ما تريد) من إتيان الذكران (قال) لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) أي لو قويت على دفعكم بنفسى أو رجعت إلى عشيرة قوية لبالغت في دفعكم وانما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسب بل كان غريبا فيهم لأنه كان أولا بالعراق مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله تعالى إلى أهل شذوم وهي قرية عند حصص أو المعنى لو قويت على الدفع لدفعتمكم بل أعصم بعناية الله تعالى (قالوا) أي هؤلاء الملائكة (يالوط انارسل ربك لن يصلوا إليك) بضرر فاقض الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب ودخلوا ف ضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاة النجاة فان في بيت لوط قوما ماهرة (فأمر بأهلك بقطع من الليل) أي فأخرج مع أهلك في نصف الليل لتستبقوا العذاب الذي موعده الصبح (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع أي لا يتأخر منكم أحد إلا امرأتك واعلمة المناقصة والباقون بالنصب والمعنى ولا ينظر أحد إلى ورائه منك ومن أهلك إلا امرأتك وانما نوه عن الالتفات ليسرعوا في السير فان من يلتفت إلى ما ورائه لا يخلو عن أدنى وقفة وهذه القراءة تقتضي كون لوط غير مأثور بالامرأه أو قراءة الرفع تقتضي كونه مأثورا بذلك (انه مصيها) أي امرأتك (ما أصابهم) من العذاب (ان موعدهم الصبح) أي ان وقت عذابهم وهلاكهم الصبح لانه وقت الراحة لخلول العذاب حينئذ أقطعوه ذاتا لتعليل للنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع (أليس الصبح ب قريب) وهذا تأكيد للتعليل فان قرب الصبح داع إلى الاسراع في الامر للتباعد عن مواضع العذاب (فلما جاء أمرنا) أي وقت عذابنا وهو الصبح (جاءنا عاليا) أي على قرى قوم لوط وهي خمس مدائن فيها أربع مائة ألف ألف (سافلها) روى أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السفاء نهيق الحمار ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم تنسكف لهم حرة ولم ينكسب لهم ناء ثم قلبها دفعة واحدة وضربها على الأرض (وأمرتنا عليها) أي على أهل تلك القرى الخارجين عنها في الأسفار وغيرها (بحجارة من سجيل) أي من طين متحجر (منضود) أي مكان بعض الحجارة فوق بعض في النزول (مسومة) أي مخططة بالسواد والخمرة والبياض أي كان عليها علامة تميز بها عن حجارة الأرض (عند ربك) أي في خزائنه التي لا يتصرف فيها أحد إلا هو (وما هي من الظالمين ببعيد) أي ما هذه الحجارة من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها أي فان الظالمين حقيق بأن تمطر عليهم (والى مدین) أي وأرسلنا إلى أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام (أخاهم) في النسب (شعيبا) قال يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا (مالكم من الله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان)

أى لا تنقصوا حقوق الناس بالكيل والوزن (ان أرا كم بخير) أى ملتبسين بسعة تغنيكم عن النقص  
 (وانى أخاف عليكم) ان لم توفوا بالكيل والوزن (عذاب يوم يحيط) أى يحيط بكم ولا ينفلت منكم  
 أحد (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أى أتموهما (بالقسط) أى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان  
 (ولا تجسوا الناس) بسبب عدم اعتدالهما (أشياءهم) أى أموالهم التى يشترونها بهما (ولا تغشوا فى  
 الأرض مفسدين) أى ولا تعملوا فى افساد مصالح الغير فان ذلك فى الحقيقة افساد مصالح أنفسكم  
 (بقيت الله خير لكم) أى المال الحلال الذى يبقى لكم خير من تلك الزيادة الحاصلة بطريق التطفيف  
 (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين لى فى مقالتى لكم وقرئ تغية الله بالفوقية أى تقواه تعالى عن المعاصي  
 (وما أنا عليكم بحفيظ) أى أحفظكم من الفسائح ولست بحافظ عليكم نعم الله اذ لو لم تتركوا هذا العمل  
 القبيح لزالتم نعم عنكم (قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل فى  
 أموالنا ما نشاء) وقوله أو أن نفعل معطوف على ما يعبدوا بمعنى الواو والمعنى هل صلاتك تأمرك  
 بتكليفك ايانا ترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الاوثان وترك فعلنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة  
 والنقص روى ان شعيبا كان كثير الصلاة فى الليل والنهار وكان قومه اذ رأوه يصلى تغامروا  
 وتضاحكوا فقصوا بقولهم أصلاتك تأمرك السخرية (انك لانت الحليم الرشيد) أى كنت عندنا  
 مشهورا بأهلك حليم رشيد فكيف تنهانا عن دين ألقيناه من آباءنا (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة  
 من ربى) أى علم وهداية ودين ونبوة (ورزقنى منه) أى من عنده بأعانتته بلا كد منى (رزقا حسنا) أى  
 مالا حلالا فهل يجوز لى مع هذا الانعام العظيم ان أخون فى وحيه وأن أحالفه فى أمره ونهيه وهذا الجواب  
 مطابق لقولهم لسيدهنا شعيب انك لانت الحليم الرشيد فكيف يليق بك مع حلمك ورشدك أن تنهانا عن  
 دين آباءنا فكان شعيبا قال ان نعم الله تعالى عندي كثيرة وهو أمرنى بهذا التبليغ والرسالة فكيف  
 يليق بى مع كثرة نعم الله تعالى على ان أحالف أمره ومعنى الآية على هذا الوجه يا قوم اخبرونى ان كنت  
 نبيا من عند الله تعالى ورزقنى مالا حلالا أستغنى به عن العالمين أيصح ان أحالف أمره وأوافقكم فيما  
 تأتون وما تذرون (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) أى ليس مرادى ان أمنعكم عن التطفيف  
 واب أفعله (ان أريد الاصلاح ما استطعت) أى ما أريد الا أن أصلحكم بعظمتى مدة استطاعتى للاصلاح  
 لا أقصر فيه والمعنى انكم تعرفون من حالى انى لا أسعى الا فى الاصلاح وازالة الخصومة حتى انكم أقررتم  
 بأنى حليم رشيد فلما أمرتكم بالتوحيد وترك ايداء الناس فاعلموا أنه دين حق وانه ليس غرضى منه ايقاع  
 الخصومة فانكم تعرفون انى أبغض ذلك الطريق ولا أدور الا على ما يوجب الصلاح به - در طاقى وذلك  
 هو الا بلاغ والانذار (وما توفيقى) أى ما قدرنى على تنفيذ كل الاعمال الصالحة (الا بالله) أى الابعونه  
 وهدايته (عليه توكلت) أى عليه تعالى اعتمدت فى جميع أمورى (واليه انيب) أى عليه أقبل  
 (ويا قوم لا يجرمكم شقاقى) أى لا تكسبنكم معاداتكم لى (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح)  
 من الغرق (أوقوم هود) من الريح العقيم (أوقوم صالح) من الصيحة والرجفة (وما قوم لوط منكم  
 ببعيد) أى وما خبر اهلاك قوم لوط بالحسف منكم ببعيد فان لم تعتبروا بمن قبلكم من الامم  
 المعدودة فاعتبروا بهم فان بلادهم قريبة من مدين واهلاكهم أقرب الاهلاكات التى عرفها الناس فى  
 زمان شعيب (واستغفروا ربكم) عن عبادة الاوثان (ثم توبوا اليه) عن النجس (ان دبري رحيم)  
 أى عظيم الرحمة للتائبين (ودود) أى محب لهم (قالوا يا شعيب ما تنقذ كثيرا مما نقول) أى ما نقول

مرادك وانما قالوا ذلك لانهم لم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى المنع عن طريق الحق كما هو دين المفهم  
المحجوج (وانا لنراك فينا) أى فيمابيننا (ضعيفا) أى لا تقدر على منع القوم عن نفسك ان ارادوا  
بك سوءا (ولولا رهطك) أى لولا حرمة قومك عندنا بسبب ~~كونهم~~ كونهم على ملتنا (لرجناك) أى  
لقتلناك بالحجارة أو لشتيمناك وطردناك (وما أنت علينا بعزير) أى معظم فيسهل علينا قتلك واذاؤك  
وانما غتنع من ذلك لرعاية حرمة عشيرتك موافقتهم لنا فى الدين لا لقوة شوكتهم (قال) لهم (يا قوم  
أرهطى أعز عليكم من الله) والمعنى حفظكم اياى رعاية لا مراة الله تعالى أولى من حفظكم اياى رعاية  
لحق رهطى فآله تعالى أولى ان يتبع أمره (واتخذتموه راءكم ظهريا) أى جعلتموه الله شيا أميبوذا  
خلف ظهركم منسيا لا يعابيه (ان ربي بما تعملون) من الاعمال السيئة (محيط) أى عالم فلا يخفى  
عليه شئ منها فيجازيكم عليها (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) أى على غاية استطاعتكم من ايصال  
الشرور الى (ان عامل) بقدر ما آتاني الله تعالى من القدرة (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه  
ومن هو كاذب) أى سوف تعرفون الشقى الذى يأتيه عذاب يهلكه والذى هو كاذب في ادعاء القوة  
والقدرة على رحم شعيب عليه السلام وفي نسبته الى الضعف (وارتقبوا) أى انتظروا عاقبة ما أقول  
(انى معكم رقيب) أى منتظر (ولما جاء أمرنا) أى عذابنا (نجينا شعيبا والذى آمنوا معه) من ذلك  
العذاب (برحمة منا) أى بسبب رحمة كائنة مناهم (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) أى صيحة جبريل  
والزلزلة أيضا فأهلكوا بها (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) أى ميتين ملازمين لما كنهم (كان لم يغنوا  
فيها) أى كانوا لم يقيموا في ديارهم احيا مترددين (ألا بعد المدين) أى هلاكا لقوم شعيب (كما بعدت  
نمود) أى كاهلكت قوم صالح أى فانهم ما أهلكا كنوع من العذاب وهو الصيحة إلا أن هؤلاء صيغ بهم من  
فوقهم وأولئك من تحتهم وهذا في أهل قرية شعيب وأما أصحاب الايكة فأهلكوا بعذاب الظلة وهو نار  
نزلت من السماء أحرقتهم (ولقد أرسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين) أى ولقد أرسلنا موسى  
بالتوراة مع ما فيها من الاحكام وأيدناه بمعجزات قاهرة دالة على صدق نبوته ورسالته (الى فرعون  
وملئه) أى جماعته (فاتبعوا أمر فرعون) أى أمروا ياهم بالكفر بموسى ومعجزاته (وما أمر  
فرعون برشيد) أى عبرشدا الى خير فانه كان دهرىانا فيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله الا الله لا اله الا  
على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبودية رعية لمصلحة العالم (يقدم قومه) أى يقود  
قومه جميعا (يوم القيامة فأوردهم النار) أى ان فرعون كان قدوة لقومه فى الضلال وفى دخول البحر  
والغرق فى الدنيا فكذلك يتقدمهم يوم القيامة فى دخول النار والحرق (وبئس الورد المورود) أى  
بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد اغيارا دلتسكين العطس وتبريدا لا كبادا والنار على ضد ذلك  
(وأتبعوا) أى الملأ الذين تبعوا أمر فرعون (فى هذه) أى فى الدنيا (لعنة) من الأمم بعدهم الى يوم  
القيامة (ويوم القيامة) أيضا من أهل الموقف قاطبة (بئس الرفد المرفود) أى بئس العون المعان  
عونهم اى بئس اللعنة الاولى المعان باللعنة الثانية عونهم وهى اللعنة فى الدارين ومميت اللعنة عوننا لانها  
اذا تبعتهم فى الدنيا أبعدتهم عن رحمة الله واطانتهم على ما هم فيه من الضلال ومميت رفدا أى عوننا لهذا  
المعنى على التهكم ومميت معان لانها أرفدت فى الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديين الى طريق الحق  
(ذلك) أى الذى ذكرناه فى هذه السورة من القصص السبعة (من أنباء القرى نقصه عليك) أى  
ذلك بعض أخبار القرى المهلكة بجنابية أهلها مقصوص عليك لتخبر به قومك لعلمهم بعتبروا والا فينزل

بهم مثل ما نزل بالقرى المهلكة (منها) أى القرى (قائم) أى أثر باقى (و) منها (حصيد) أى  
 ذاهب الأثر فشيء ما بقى من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما حصى منها بالزرع المحصود  
 (وما ظلمناهم) بالعذاب والهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية (فما أغنت عنهم  
 آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) أى فما نفعتهم أصنامهم الذين يعبدونها فى  
 شئ البتة ولا دفعت شيئا من عذاب الله عنهم حين جاءهم (وما زادوهم غير تبويب) أى وما زادت  
 الأصنام عابديها غير اهلاك فان الكفار كانوا يعتقدون فى الأصنام أنها تعين على تحصيل المنافع ودفع  
 المضار ثم زال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجاب اليهم ضرر الدنيا والآخرة فكان  
 ذلك من أعظم موجبات الحسران وقرئ آلهتهم اللاتى بالجمع ويدعون بالبناء للعجوه (وكذلك  
 أخذ ربك إذا أخذ القرى) وقرأ عاصم والمخدرى إذا أخذ بالف واحدة (وهى ظلمة) أى ومثل  
 ذلك الأخذ المذكور أخذ ربك أهل القرى إذا أخذهم وهم ظالمون أنفسهم بالكفر أى ان كل من  
 شارك أوائل المتقدمين فى فعل ما لا ينبغي فلا بد وان يشاركهم فى ذلك الأخذ (ان أخذه أليم شديد)  
 أى وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص (ان فى ذلك) أى القصص السبعة (آية) أى  
 لموعظة (للمن خاف عذاب الآخرة) فينتفع بسماع هذه القصص ويعلم ان العادر على انزال عذاب الدنيا  
 قادر على انزال عذاب الآخرة فان فى هذه القصص عذاب الدارين وقد حصل عذاب الدنيا (ذلك) أى  
 يوم الآخرة (يوم مجموع له الناس) أى يوم فى ذلك اليوم الأولون والآخرون للمعاسبة والجزاء (وذلك  
 يوم مشهود) أى يحضر فيه أهل السماء وأهل الأرض (وما يؤخره) أى ذلك اليوم (الا لاجل معدود)  
 أى الا لاجل انقضاء وقت محدود وهو مدة الدنيا (يوم يأت) أى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر (لا تكلم  
 نفس الا بأذنه) أى الله تعالى فى التكلم والمأذون فى الكلام هو الجوابات الصحيحة والمنعوع عنه هو  
 ذكر الاعذار الباطلة (فهم) أى من أهل الموقف (شقي) أى من مات على الكفر وان تقدم منه  
 ايمان (وسعيد) أى من مات على الايمان وان تقدم منه كفر (فأما الذين شقوا فى النار) أى  
 فستعرون فيها (لهم فيها زفير) أى صوت شديد (وشهيق) أى صوت ضعيف (خالدین فيها مادامت  
 السموات والأرض الا ما شاء ربك) والافى المعنى بمعنى واوالعطف والاستثناء منقطع بقية بدر بل كن  
 أو بسوى فالعنى دائم فى النار مثل دوام السموات والأرض منذ خلقت الى أن تغنى وزيادة على هذه المدة  
 وهى ما شاء الله تعالى لانهاية له (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (وأما الذين سعدوا فى الجنة  
 خالدین فيها مادامت السموات والأرض الا ما شاء ربك) أى مثل دوام السموات والأرض منذ خلقت  
 سوى ما شاء ربك زائد على ذلك وهو لا منتهى له (عطاء غير مجدود) أى غير مقطوع وعطاء نصب على  
 المصدرية أى يعطيهم عطاء وهذا ظاهر فى انه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة وما  
 ذكر من ان عذاب الكفار فى جهنم دائم أبدا هو ما دللت عليه الآيات والاخبار وأطبق عليه جمهور الأمة  
 سلفا وخلفا ولا ظلم على الله فى ذلك لان الكافر كان عازما على الكفر مادام حيا فعوقب دائما فهو لم يعاقب  
 بال دائم الاعلى دائم فلم يكن عذابه الاجزاء وفاقا وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم سعدوا بضم السين  
 والباقون بفتحها (فلاتك فى سرية عما يعبد هؤلاء) أى فلاتك يا مشرف الخلق فى شك من حال ما يعبد  
 كفار قريش من الاوثان فى انها لا تنفع لهم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) أى ليس لهم فى  
 عبادة الأصنام مستند الا تقليد آباؤهم فانهم أشبهوا آباؤهم فى لزوم الجهل والتقايد (وانما هو فهم نصيبهم

غير منقوص) أى انما عطاها هؤلاء الكفرة ما يخصهم من العذاب ونصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية  
 تاماً كما أعطينا آباءهم أنصباهم من ذلك (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فاختلف فيه) أى  
 في شأنه فآمن به قوم وكفربه قوم آخرون كما اختلف قومك في القرآن فلا تحزن فان ما وقع لك وقع لمن قبلك  
 (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم) أى لا الحسكم الا زلى بتأخير العذاب عن امتك الى يوم القيامة  
 لا وقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذى يستحقه المذنبون ليميزوا به عن المحقين (وانهم)  
 أى وان كفارة قومك (لفى شك) عظيم (منه) أى القرآن (مرتب) أى ظاهر الشك أو موقع  
 فى الشك (وان كلاما يوفينهم ربك أعمالهم) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم ان ولما خففتين  
 وأبو عمرو والكسافى شددان وخفقا لما وحزة وابن عامر رخص شدد وهما أى وان كل المختلفين فيه  
 المؤمنين منهم والكافرين والله لفرق يوفيه ربك أجزية أعمالهم أو المعنى وان جميعهم والله يوفينهم  
 الآية قالوا وأحسن ما قيل ان أصل لما بالتثنية بمعنى جميعا (انه بما يعملون خبير) أى ان ربك  
 بما يعمل كل فرد من المختلفين من الخير والشر عالم لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت (فاستقم  
 كما أمرت) أى مثل الاستقامة التى أمرت بها فى العقائد والأعمال والأخلاق فان الاستقامة فى  
 العقائد اجتناب التشبيه والتعطيل وفى الأعمال الاحتراز عن الزيادة والنقصان وفى الأخلاق التبعاد  
 عن طرفى الإفراط والتفريط وهذا فى غاية العسر وعن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى  
 النوم فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى هو وداخواتها فقال نعم فقلت وبأى آية فقال بقوله تعالى فاستقم  
 كما أمرت (ومن أب معك) من الكفر وشاركك فى الايمان فمن منصوب على انه مفعول معه أو مرفوع عطف  
 على الضمير فى أمرت (ولا تطغوا) أى لا تتحرفوا عما حذر لكم بافراط أو تفريط فان كلا طرفى قصـد  
 الامور ذميمة (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) أى ولا تميلوا  
 أدنى ميل الى الذين وجد منهم الظلم (فتمسك النار) أى فتصيبكم بسبب ذلك (وما لكم من دون الله  
 من أولياء) أى من أنصار ينقذونكم من النار (ثم لا تنصرون) من جهة الله تعالى قال المحققون الركون  
 المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم ومشاركته فى شئ من تلك الابواب فأما ما دخلتهم لدفع  
 ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل فى الركون (وأقم الصلاة طرفى النهار) أى غدوة وعشية فالصبح  
 فى الغدوة والظهر والعصر فى العشية (وزلغان من الليل) أى ساعات منه قريبة من النهار وهى المغرب  
 والعشاء (ان الحسنات) كالصاوات الخمس (يذهبن السيئات) أى يكفرنها وفى الحديث ان الصلاة  
 الى الصلاة كفارة لما بينهما مما اجتنب السكائر روى ان أبا اليسر بن عمرو الانصارى قال أتتني امرأة  
 تشتري تمر افقلت لها ان فى البيت تمر أطيب من هذا فدخلت معى البيت فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت  
 ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحد فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا  
 تخبر أحد فلم أصبر حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لي أخنت رجلا غازیا فى  
 سبيل الله فى أهله بمنزل هذا وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى زلت هذه الآية فقرأها على  
 فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت (ذلك) أى القرآن (ذكرى للذاكرين) أى عظة للعظمين  
 أو ذلك الحسنات كفارات لذنوب التائبين (واصبر) يا أشرف الخلق على مشاق ما أمرت به (فان الله  
 لا يضيع أجر المحسنين) أى ان الله يوفى الصابرين أجور أعمالهم من غير بخس أصلا (فلولا كان  
 من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا عن أنجينا منهم) والمراد بالتحضيض

النفي أى فما كان من القرون الماضية المهلكة بالعذاب جماعة أصحاب جودة فى العقل وفضل ينهون  
عن الفساد الا قليلا وهم من أنجيناهم من العذاب نهو عن الفساد (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه)  
أى واتبع الذين تركوا النهى عن المنكرات ما أنعموا من الشهوات واشتغلوا بتحصيل الرياسات وأعرضوا  
عما وراء ذلك (وكنوا مجرمين) أى كافرين فان سبب استئصال الامم المهلكة قسوا الظلم وشوع ترك النهى  
عن المنكرات مع الكفر (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) أى لا يهلك ربك أهل  
القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين فى المعاملات بينهم أى ان عذاب الاستئصال لا ينزل لاجل  
كون القوم معتقدين للشرى بل انما ينزل ذلك اذا أساؤا فى المعاملات وسعوا فى الايذاء للناس وظلم الخلق  
لفرط مساحته تعالى فى حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوقه تعالى عند تراحم الحقوق (ولو شاء  
ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى أهل ملة واحدة وهى الاسلام بحيث لا يختلف فيه أحد ولو كان لم يشأ  
ذلك (ولا يرالون مختلفين الا من رحم ربك) أى ولا يرالون مختلفين لدين الحق الا قوما قد هداهم الله تعالى  
بفضله اليه فلم يخالفوه (ولذلك خلقهم) أى ولذلك كور من الاختلاف والرحمة خلق الناس كافة فان الله تعالى  
خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين ومصرهم النار وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين ومصرهم الجنة  
(وتمت كلمة ربك) أى ثبت قول ربك (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى من كفارهما  
أجمعين (وكلأ) أى كل نبأ (نقص عليك من أنباء الرسل) أى من أخبارهم وما جرى لهم مع قومهم  
(مانثب به فؤادك) أى ما تقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسول الذين خلوا من قبلك  
(وجاءك فى هذه) الانباء القصص على (الحق) أى البراهين الدالة على التوحيد والنبوة  
(وموعظة) أى تنفير عن الدنيا (وذكري للؤمنين) أى ارشاد لهم الى الاعمال الصالحة (وقل للذين  
لا يؤمنون) بهذا الحق (اعملوا على مكانتكم) أى ثابتين على حالتكم وهى الكفر (انا هاملون)  
على حالتنا وهى الايمان أو المعنى افعلوا كل ما تقدرون عليه فى حق من الشر نحن عاملون على قدرتنا  
والمراد بهذا الامر التهديد (وانتظروا) ما يعدكم الشيطان به من الخذلان (انامنتظرون) ما وعدنا  
الرحمن من أنواع الغفران والاحسان (ولله غيب السموات والأرض) فان علمه تعالى نافذ فى جميع  
الكليات والجزئيات والحاضرات والغائبات عن العباد (واليه يرجع الامر كله) أى أمر الخلق كله  
فى الدنيا والآخرة (فاعبدوه) أى فاشتغل بالعبادات الجسدانية والروحانية أما العبادات الجسدانية  
فأفضل الحركات الصلاة وأكمل السككات الصيام وأنفع البر الصدقة وأما العبادات الروحانية فهى الفكر  
والتأمل فى عجائب صنع الله تعالى فى ملكوت السموات والأرض (وتوكل عليه) أى ثق به تعالى فى  
جميع أمورك فإنه كافيك (وما ربك بغافل عما تعملون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب  
أى فإنه تعالى لا يصنع طاعات المطيعين ولا يهمل أحوال المتمردين الجاحدين وذلك بأن يحضر وائى  
موقف القيامة ويحاسبوا على النقيير والقظير ويعانوا فى الصغير والكبير ثم يحصل عاقبة الامر  
فريق فى الجنة وفريق فى السعير

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وهى مائة واحدى عشرة آية وألف وتسعمائة﴾

وست وتسعون كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وعن ابن عباس انه قال سألت اليهود والنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن



أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فنزلت هذه السورة (الرتلك آيات الكتاب المبين) أي تلك الآيات التي نزلت إليك في هذه السورة المسماة الر هي آيات الكتاب المبين وهو القرآن الذي بين الهدى وقصص الأولين (أنا أنزلناه) أي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه (قرأنا عرييا علىكم تعقلون) أي لكي تفهموا معانيه في أمر الدين فتعلموا أن قصه كذلك عن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور إلا بالإحياء (فمن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بسبب إحيائنا إليك يا أكرم الرسل هذه السورة لما فيه من العبر من أنه لا مانع من قدر الله تعالى وأن الحسد سبب للخذلان وأن الصبر مفتاح الفرج (وان كنت من قبله) أي وانه أي الشأن كنت من قبل إحيائنا إليك هذه السورة (لن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تفرح معك قط (اذ قال يوسف) منصوب بقال يابني أي قال يعقوب يابني وقت قول يوسف له كيت وكيت وأبدل من أحسن القصص بدل اشتغال (لأبيه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام (يا أبت اني رأيت) في منام النهار (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) قال وهب رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى ابتلعتها فذلك لأبيه فقال اياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصة ما على أبيه فقال لا تذكرها لهم فيبغوا لك الغوائل روى عن جابر رضي الله عنه أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رأى يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لليهودي إذا أخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال جريان والطارق والذبال وقابس وعمودان والغليق والمصبغ والضروخ والفرغوثاب وذوالكتفين وآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي أي والله إلهنا ما هذا (قال) أي يعقوب ليوسف في السر (يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) أي فيفعلوا لاجل هلاكك كيدا خفيا عن فهمك لا تصدى لمدافعته (ان الشيطان للانسان) أي لبني آدم (عدو مبين) أي ظاهر العداوة فلا يقصر في اضلال اخوتك وحملهم على الحسد وما لا خير فيه كما فعل بآدم وحواء واخوة يوسف الذين يخشون غوائلهم الاحد عشر هم يهودا وريبل وشمعون ولاوي ورياحون ويشجر ودينه فهو لاه بنو يعقوب من ليابنت خالته ودان ونفتالي وجاد وأشرفه لاه بنوه من مريتين زلفة وبلهة وامانياهو فهو شقيق يوسف وأمه اراخيل التي تزوجها يعقوب بعد وفاة أختها ليا (وكذلك) أي كما اجتنبك لهذه الرؤية الدالة على كبر شأنك (يجتنبك ربك) للنبوة (ويعلمك من تأويل الاحاديث) أي تعبيرا رؤيا اذهي أحاديث الملك ان كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة (ويتم نعمته عليك) بسعادات الدنيا والآخرة أما سعادات الدنيا فالأولاد والخدم والاتباع والتوسع في المال والجاه والاجلال في قلوب الخلق وحسن الثناء وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والاخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أي أولاده (كما أجمعها) أي نعمته (على أبويك من قبل) أي من قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف ببيان لا بويلك (ان ذلك علم حكيم) فأنه أعلم حيث يجعل رسالته ومقدس عن العبث فلا يضع النبوة الا في نفس قدسية وهذا يقتضي حصول النبوة لأولاد يعقوب وأيضا ان رؤية يوسف اخوته كواكب دليل على مصير أمرهم

الى النبوة فان الكواكب يهتدي بانوارها وكانت تأويلها بأحد عشر نفسا لهم فضل يستضيء بعلمهم  
ودينهم أهل الارض لانه لا شئ أضوء من الكواكب وأما ما وقع منهم في حق يوسف فهو قبل النبوة  
فالعصبة من المعاصي انما تعتبر وقت النبوة لا قبلها على خلاف في ذلك (لقد كان في يوسف واخوته)  
أى في قصتهم (آيات) أى عبرات (للسائلين) أى لكل من سأل عن قصتهم وعرفها وللطالبيين  
للآيات المتعبرين بها فانهم المنتفعون بهادون من عدتهم (اذ قالوا) أى بعض العشرة لبعضهم (ليوسف  
وأخوه) الشقبق بنيامين بكسر الباء وفتحها (أحب الى أينا منا ونحن عصبة) أى والحمد لله الجماعة  
قائمون بدفع المفاسد والآفات مشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات وقائمون بمصالح الاب فممن أحق  
بزيادة المحبة منهم لفضله بذلك وكوننا أكبر سنا ونقل عن على رضى الله عنه انه قرأ ونحن عصبة  
بالنصب (ان أبانا في ضلال) عن راية المصالح في الدنيا (مبين) أى ظاهر الحال وانما خصص  
على يوسف أبوه بالبر لانه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجاة لم يجد في سائر الاولاد ولانه وان  
كان صغيرا كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى عما كان يصدر عن سائر الاولاد قال شععون  
ودان والباقون كانوا راضين الامن قال لا تقتلوا الخ (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) يحصل  
اليأس من اجتماعه مع أبيه (يخل لكم وجه أبيكم) أى يقبل عليكم أبوكم بكليته ولا يلتفت الى  
غيركم (وتكونوا من بعده) أى من بعد يوسف من قتله وتغريبه في أرض بعيدة (قوما صالحين)  
أى تائبين الى الله تعالى من السكائر ومتفرغين لاصلاح أمور دنياكم وصالحين مع أبيكم باصلاح  
ما بينكم وبينه (قال قائل منهم) أى من اخوة يوسف هو يهودا فانه أقدمهم في الرأي والفضل وأقربهم  
الى يوسف سنا (لا تقتلوا يوسف) وقال قتادة القاتل لاخته روبيل حتى قال القتل كبيرة عظيمة  
(وألقيوه في غيابة الجب) أى في قعره وقرأ نافع غيابات بالجمع في الموضعين قال قتادة الجب هنا هو بئر بيت  
المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال ابن زيد هو بحيرة طبرية (يلتقطه بعض السيارة) أى  
يرفعه بعض طائفة تسير في الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتي ولم يقطع القول عليهم بل انما عرض  
عليهم ذلك تأليفا لقلوبهم وحذرا من نسبتهم له الى الاقتيات أو ان كنتم فاعلين ما عزمتم عليه من ازالته من  
عند أبيه ولا بد فاعلوا هذا القدر أى القاء في البئر والاولى أن لا تفعلوا شيئا من القتل والتغريب (قالوا)  
لا يبيهم اعمالا لليلة في الوصول الى مقاصدهم مستفهمين على وجه التعجب لانه علم منهم السوء وهذا مبني  
على مقدمات محذوفة وذلك أنهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا الى الصحراء الى مواسينا فنستبق ونصيد  
وقالوا له سل أباك أن يرسلك معنا فسأله فتوقف يعقوب فقالوا له (يا أبا ناملك لا تأمنا على يوسف) أى  
أى شئ ثبت لك لا تجعلنا أمنا عليه مع أنه أخونا وأنتك أبونا ونحن بنوك (و) الحال (اناله لنا صحنون)  
أى لعاطفون عليه قائمون بعصمته وبمحفظه أى هم أظهر واعند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف وفي  
غاية الشفقة عليه (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (يرتع) أى يتسع في أكل الفواكه ونحوها  
(ويلعب) بالاستباق والاتصال تمرينا للقتال الاعدا وبالأقدام على المساحات لاجل انشراح الصدر  
للهو وقرأ نافع وعاصم وحزرة والكسائي بمنشاة تحتية على اسناد الفعل ليوسف لانهم سألو ارسال يوسف  
معهم ليفرح هو باللعب لا ليفرحوا به (واناله لحافظون) من أن يناله مكروه (قال ان ليحزنني أن  
تذهبوا به) أى ليؤلم قلبي ذهابكم به لاني لا أصبر عنه ساعة (وأخاف أن يأكله الذئب) لكثرة الذئب  
في تلك الارض (وأنتم عنه غافلون) لا شئ عاكفكم بالانسان في الملاذ ونحو التناضل (قالوا) لا يبيهم

(ان اكله الذئب ونحن عصبة) أي جماعة كثيرة عشرة تكفي الخطوب بأرائنا (انا اذا) أي اذ لم  
تقدر على حفظ أخينا (الخاسرون) أي لقوم عاجزون وهذا جواب عن عذر يعقوب الثاني وأما عذر  
الاول فلم يجيبوا عنه لكون غرضهم إيقاعه في الحزن ولكون حقدهم بسبب ذلك العذر وهو شدة حبه له  
فتغافلوا عنه (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) أي فأرسله معهم فلما ذهبوا به وعزموا  
على جعله في ظلمة البئر جعلوه فيها قال السدي يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته أظهر والله العداوة  
الشديدة وجعل هذا الاخ يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ولا يرى فيهم رحمة فاضربوه حتى كادوا يقتلوه  
وهو يقول يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابتلك لا بكاك فقال يهوذا أليس قد أعطيت موني موثقا أن لا تقتلوه  
فانطلقوا به الى الجب يدونه فيه وهو متعلق بشفير البئر فترعوا قيصه وكان غرضهم أن يلطخوه بالدم  
ويعرضوه على يعقوب فقال لهم ردوا على قيمتي لا توارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا  
لتؤنسك ثم دنا في البئر حتى اذا بلغ نصفها القوة ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى حفرة فقام  
بها وهو يبكي فنادوه فظن ان رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرفعوه بصخرة فقام يهوذا فذفعهم من ذلك  
وكان يهوذا يأتيه بالطعام وبقى فيها ثلاث ليال وروى أنه عليه السلام لما ألقى في الجب قال يا شهدا  
غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا وروى أن ابراهيم  
عليه السلام لما ألقى في النار جرد عن ثيابه فجاءه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه اياه  
فدفعه ابراهيم الى اسحق ودفعه اسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تيممة وعلقها في عنق يوسف فجاءه  
جبريل فأخرجهم من التيممة وألبسه اياه وروى أن جبريل قال له اذا رعبت شيئا فقل يا صريح  
المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكرهين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك  
شي من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب (وأوحينا اليه) في الجب ازالة  
لوحيته عن قلبه وتبشير اله بعناية ول اليه أمره وكان ابن سبع عشرة سنة (لتبئتهم بأمرهم هذا) أي  
لتخبرن يا يوسف اخوتك بصنيعهم هذا بك بعد هذا اليوم (وهم لا يشعرون) في ذلك الوقت أنك يوسف  
حتى تخبرهم لعلاؤش أنك وبعدها لك عن أوهامك والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص عن هذه  
الحنة ويصيرون تحت قهره وقدرته (وجاؤا بأههم عشاءا ليكون) أي لما طرحوا يوسف في الجب  
رجعوا الى أبيهم وقت العشاء في ظلمة الليل متباكين وقرئ عشيا بالتصغير لعشي أي آخر النهار وقرئ  
عشي بالضم والقصر جمع أعشي فعند ذلك فرع يعقوب وقال هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال وأنى  
يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أي يسابق بعضنا بعضا في الرمحوى أن في قراءة عبد الله  
انا ذهبنا نتفضل (وتركنا يوسف عنده متاعنا) من ثياب وأزواد وغيرهما ليحفظه (فأكله الذئب  
وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق لنا في هذه المقالة (ولو كنا صادقين) أي ولو كنا عندك موصوفين  
بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سبي الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قيصة)  
أي فوق قيصة يوسف (بهم كذب) أي بهم ملابس لكذب وقرئ كذبا على أنه حال من الضمير أي جاؤا  
كاذبين أو مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بهم كذب بالدال المهملة أي كدرا وطري (قال بل  
سولت لكم أنفسكم أمرا) أي قال يعقوب ليس الامر كما تقولون بل زينت لكم أنفسكم أمرا غير  
ما تصفون قيل لما جاؤا على قيصة بهم جدى وقد ذهلوا عن خرق القميص فلما رأى يعقوب القميص  
مصحفا قال كذبتكم لوأكله الذئب لخرق قيصة وقال بعضهم بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا

قيصه وهم الى قيصة أحو ج منه الى قتله وقيل انهم أتوه بذنب وقالوا هذأ كلم فقال يعقوب أيها الذنب  
 أنت أكلت ولدي وعمرة فوادى فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما أكلت ولدك ولا رأيت قط ولا يحل لنا  
 أن نأكل لحوم الانبياء فقال له يعقوب فكيف وقعت في أرض كنعان قال جئت لصلة الرحم قرابة لي  
 فأخذوني وأتوا بي اليك فأطلقه يعقوب (فصبر جميل) أي فصبري صبر جميل أو فصبر جميل أولى من  
 الجزع وهو أن لا يشكو في البلاء لا حد غير الله تعالى (والله المستعان) أي المطلوب منه العون (على  
 ما تصفون) أي على تحمل ما تصفون من هلاك يوسف وكان الله تعالى قد قضى على يعقوب أن يوصل  
 اليه تلام الغموم الشديدة والهموم العظيمة لكي ترجوعه الى الله تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا  
 فيصل الى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول اليها الا بتحمل المحن الشديدة والله أعلم (وجاءت  
 سيارة) أي رفقة تسير من جهة مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا يهيمون في الأرض حتى  
 وقعوا في الرضوى التي فيها الحب وهي أرض دوثن بين مدين ومصر فنزلوا عليه (فأرسلوا واردهم) أي  
 ساقهم ليطلب لهم الماء وهو من يهيئ الارشية والدلاء فيتقدم الرفقة الى الماء يقال له مالك بن دعر الخزاعي  
 ابن أخي سيدنا شعيب عليه السلام وهو رجل من العرب من أهل مدين (فأدلى دلوه) أي فأرخى دلوه  
 في جب يوسف فتعلق هو فلم يقدر الساقى على نزعها من البئر فنظر فيه فرأى غلاما قد تعلق بالدلو فنادى  
 أصحابه (قال يا بشرى) أي يا أصحابي وقال الا تمسح انه دعا امرأة امهها بشرى وقال السدى انه نادى  
 صاحبه واسمه بشرى كما قرأه حمزة وعاصم والكسائي بغير ياء المتكلم بعد الالف المقصورة وقال أبو علي  
 الفارسي والوجه أن يجعل البشرى اسما للبشارة فنادى ذلك بشارة لنفسه كأنه يقول يا أيها البشرى هذا  
 الوقت وقتك ولو كنت ممن يخاطب الخوطب الآن ولامرت بالحضور ويدل على هذا قراءة الباقيين يا بشرى هذا  
 بفتح ياء المتكلم بعد الياء على الاضافة قالوا ما ذلك يا مالك قال (هذا غلام) أحسن ما يكون من الغلمان  
 فكان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين  
 والعضدين والساقين خيمص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحه واذا تكلم ظهر  
 من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه اه فاجتمعوا عليه فأخرجوه من الجب بعده كتمه فيها ثلاثة أيام  
 (وأسروه بضاعة) أي أخفوه حال كونه متاعا تجارة أي كتم الوارد مالك وأصحابه من بقية القوم ذلك  
 لأنهم قالوا ان قلنا للسيارة التقطناها شاركونا فيه وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالأصوب ان نقول  
 ان أهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر (والله عليم بما يعملون) أي بما ينشأ من  
 عمل اخوة يوسف ليوسف من ايقاعه في البلاء الشديد وهو سبب لوصوله الى مصر ولتنقله في أحوال الى  
 ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم فرحم الله به العباد والبلاد (وشروه) أي باع يوسف  
 من استخسر جوهه من البئر (بثن بخس) أي حرام (دراهم معدودة) فانهم في ذلك الزمان كانوا  
 لا يزنون ما كان أقل من أربعين دينارا (وكانوا) أي البائعون (فيه) أي في يوسف (من الزاهدين)  
 أي من الذين لا يرغبون لأنهم خافوا ان يظهر المستحق فينزعهم من يدهم فكذلك باعوه من أول مساوم  
 بأوكس الاثمان (وقال الذي اشتراه من مصر) أي في مصر من مالك بن دعر وكان اشتراؤه بعشرين  
 درهما وحلة ونعدين فالذي اشتراه في مصر هو قطيفر خازن الملك الى ان بن الوليد وهو صاحب جنوده وقد  
 أمن الملك يوسف ومات في حياة يوسف عليه السلام فلما كان بعد قايوس بن مصعب فدعا يوسف الى  
 الاسلام فأبى واشترى ذلك الوزير وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره

ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لأمراته) زايخا وقال ابن امحق اسمها راعيل بنت رعيائيل (أكرمى منواه) أى اجعلى منزله عندك كريمةا حسنا مرضيا والمعنى أحسنى تعهده (عسى أن ينفعنا) أى يقوم بأصلاح مهماتنا (أو نتخذ ولدًا) أى نتبناه وكان قطفيرا يأتى النساء (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) أى وكما نجينا يوسف من القتل والحب وجعلنا فى قلب الوزير حنوا عليه نعطيه مكانة أى رتبة عالية فى أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) أى تعبیر بعض المنامات التى أعظمها رؤى الملك وصاحبى السجن وهذا عطف على مقدر متعلق بمكنا أى جعلنا يوسف وجيها بين أهل مصر ومحبيب فى قلوبهم لينشأ منه ما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الرؤيا (والله غالب على أمره) أى أمر نفسه لأنه فعال لما يريد لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه فى أرضه وسمائه (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) ان الامر كله لله وان قضاء الله غالب فمن تأمل فى أحوال الدنيا عرف ذلك (ولما بلغ أشده) وهو ما بين الثلاثين والاربعين (آتيناه حكما وعلما) أى حكمة عملية وحكمة نظرية وانما قدم الحكمة العملية هنا على العملية لأن أصحاب الرياض يستغلون بالحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية وأما أصحاب الافكار العقلية والانظار الى وحانية فانهم يصلون الى الحكمة النظرية أولا ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه السلام هو الاول لأنه صبر على البلاء والمحنة ففتح الله تعالى عليه أبواب المكاشفات (وكذلك) أى مثل ذلك الجزء العجيب (نجى المحسنين) أى كل من يحسن فى عمله وعن الحسن من أحسن عبادة ربه فى شيبته آتاه الله الحكمة فى اكتماله (ورأودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى طلبت زليخا من يوسف ان يجامعها (وغلقت الابواب) أى أبواب البيت السبعة ثم دعت الى نفسها (وقالت هيت لك) قرأ نافع وابن عامر فى رواية ابن ذكوان هيت بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت بضم التاء وفتحها مع فتح الهاء وقرأ هشام بن عمار عن أبى عامر هيت لك بكسر الهاء وبالحمزة الساكنة وضم التاء والباقون بفتح الهاء واسكان الياء وفتح التاء وان قرأ هيت بفتح الهاء والتاء أو ضم التاء فنعنا تعال وبادرنا لك وان قرأت بكسر الهاء ثم بالهمزة الساكنة وضم التاء فنعنا تهيأت لك (قال) يوسف (معاذ الله) أى أعوذ بالله معاذنا تدعينى اليه (انه) أى الشأن العظيم (ربى) أى سيدى العزيز (أحسن منواى) أى تعهدى حيث أمرت بأكرامى فلا يلىق بالعقل أن أجازيه على ذلك الاحسان بالحيانة فى حرمه (انه) أى الشأن (لا يفلم الظالمون) أى المجازون للاحسان بالاساءة (ولقد همت به وهم بها) أى قصدت زليخا مخالطة يوسف مع التهميم وقصد مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب لا بقصد اختيارى وذلك عمالا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض أهل الحقائق الهم قسمان هم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد ما أخوذه وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير ما أخوذه ما لم يتكلم أو يعمل (لولا أن رأى برهان ربه) أى لولا ان أيقن بحجته ربه الدالة على كمال قبح الزنا وجواب لولا محذوف أى لولا مشاهدته برهان ربه فى شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلى لكنه حيث كان البرهان الذى هو الحكم والعلم حاضر لديه حضور من يراه بالعين فلم يهم أصلا والحاصل ان هذا البرهان عند المحققين المتيقن لعصمة الانبياء هو

بحمد الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب والمراد برؤية البرهان حصول الاخلاق  
 الحميدة وتذكير الاحوال الرادعة لهم عن الاقدام على المنكرات وقيل ان البرهان هو النبوة المانعة  
 من اتيان الفواحش وقيل انه عليه السلام رأى مكتوباً في سقف البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة  
 وسامسيلا وأما الذين نسبوا المعصية الى يوسف فقالوا انه رأى يعقوب عاضاً على ابهامه أو هتف به هاتف  
 وقال له لا تعمل عمل السفهاء واسمك في ديوان الانبياء أو غمسل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت منه  
 من أنامله أو رأى كفاً من غير ذراع مكتوباً فيه وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهود الآية (كذلك)  
 أي مثل ذلك التثبيت ثبته (لنصرف عنه السوء) أي مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة  
 (والفحشاء) أي الزنا (انه من عبادنا المخلصين) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام في  
 جميع القرآن أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى والباقيون بفتح اللام أي الذين اختارهم الله لطاعته بان  
 عصمهم عما هو قاذح فيها أو أخلصهم من كل سوء (واستمعوا الباب) أي تسابعا الى الباب البراني الذي هو  
 المخلص فان سبق يوسف فتح الباب للخروج وان سبقت زليخا أمسكت الباب لمنع الخروج (وقد بقيه  
 من دبر) أي شقت قيص يوسف من خلف بنصفين من وسطه الى قدميه فغلبها يوسف وخرج وخرجت  
 خلفه (وألفيا سيدها) أي صادفازوجها قطفير (لدى الباب) أي البراني روى كعب رضي الله عنه أنه  
 لما هرب يوسف عليه السلام صار فراش القفل يتناثر حتى خرج من الابواب (قالت) روجها خائفة من  
 التهمة (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) قيل ان يوسف أراد ان يضربها ويدفعها عن نفسه وكان ذلك  
 بالنسبة اليها جازياً مجرى السوء فذكرت كلاماً بهما ثم خافت ان يقتله العزيز وهي شديدة الحب له  
 فقالت (الا أن يسجن أو عذاب أليم) أي ليس جزاؤه الا السجن أو الضرب الجميع وانما بدأت بذكر  
 الضرب لان الحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن يوماً أو اقل على سبيل التخفيف أما  
 الحبس الطويل فلا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين (قال هي راودتني عن  
 نفسي) ولم يقل هذه ولا تلك لغرط استحيائه وهو أدب حسن حيث أتى بلفظ الغيبة ولم يكن يوسف يريد أن  
 يهتك سترها ولكن لما طخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فصريح بالامر فقال هي طالبتني  
 للوآاة (وشهد شاهد من أهلها) وهو ابن دايدة زليخا وابن خال لها وكان عمره شهرين أنطقه الله تعالى  
 لبراءة يوسف وروى أن العزيز اشترى يوسف بوزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه لؤلؤاً ووزنه مرجاناً ووزنه  
 مسكاً ووزنه عنبراً فلما ذهب به الى البيت شغفت به زليخا فقالت لحاضنتها ما الحيلة فقالت لها يا سيدي  
 لو نظر اليك لكان أسرع حباً منك اليه ولو رأى حسنك وجمالك وصفاء لونك ما قرله قرار دونك فقالت  
 وكيف ذلك فقالت مكنتني من الاموال فقالت خرائني بين يديك لنخذي ما شئت لحساب عليك وأمرت  
 باحضار أهل البناء والهندسة وقالت أريد بيتاً يرى الوجه في سقفه وفي حيطانه كما يرى في المرأة المصقولة  
 فقالوا نعم فبنوا لها بيتاً سمته لقيطون فلما تم دعت المصور وأمرته بصنع سرير من ذهب مرصع بالجواهر  
 والياواقيت وفرشته بالديباج والسندس وصورت صورة يوسف وزليخا متعانقين ثم زينت زليخا وخرجت  
 الى يوسف مستحجلة وقالت يا يوسف أجب سيدتك فأنها تدعوك في بيتها لقيطون وكان جميعاً مطيعاً  
 وكان بيده قضيب من ذهب يلعب به فرماه وأمرع لباب البيت فلما وضع قدمه الواحدة أحس قلبه بالشر  
 وأراد الرجوع فأمرعت زليخا اليه وجرته للسري فغمض عينيه وأطرق رأسه وبكاهياً من الله تعالى  
 وراودته عن نفسه فأبى فقالت له لم تخالف أمرى فقال خوفاً من الله واكراماً للسيد الذي أحلني محل



أولاده فقالت أما الهك فأنا أعطيك جميع الاموال تصدق بها ربك ليغفر لك هذا الذنب وأما سيدك فأنا  
أطعمه السم حتى يتهرى لجهنم وأكون أنا وأموالي ملكك فقام وبادر الى الباب من غير أن يكون بينه وبينها  
سبب من الاسباب فجذبت به من وقت قيصره من خلفه وهو قارء واقف ذلك الوقت أن العزيز مر بالباب فنظر  
العزيز الى الخافق آهها من رنة حاسرة عن وجهها ونظر الى يوسف فراء منهكس الرأس يركى العين فوقف  
متحيرا في أمرهما ينظر اليه مرة واليهامرة فقالت له ان غلامك هذير يد أن يخونك في أهلك أي شيء  
جزاؤه أن يسجن أو عذاب أليم فقال له العزيز يا يوسف ما كان هذا جزائي منك أحللتك محل أولادي  
وتخونني في أهلي فقال يوسف عليه السلام ان لي شاهدا يشهد لي بالبراءة فقال له أين الشاهد وليس معك  
في البيت ثالث فقال هذا الطفل يشهد لي بالبراءة فأوحى الله لجبريل أن اهبط على الطفل وشق لسانه حتى  
يشهد لعبدى يوسف بالبراءة فعند ذلك تخفخف الطفل وقال أيها الملك ان عندى في أمرك هذا ملك فيه فرج  
ومخرجاً أنظر الى قيص الغلام العبراني (ان كان قيصره قدم من قبل) أي شق من قدام (فصدقت) أي  
فقد صدقت المرأة (وهو من الكاذبين) في قوله هي راودتني (وان كان قيصره قدم من دبر) أي من  
خلف (فكذبت) أي فقد كذبت المرأة في دعواها (وهو من الصادقين) في قوله هي راودتني (فل  
رأى) أي زوجها (قيصره قدم من دبر قال) لها زوجها قطفير وقد قطع بصدقه وكذبها (انه) أي هذا  
القذف له في ضمن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً (من كيد كن) أي من جنس مكر كن أيتها النساء  
(ان كيد كن عظيم) لان لمن في هذا الباب من الخيل ما لا يكون للرجال ولان كيدهن في هذا الباب  
يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال (يوسف أعرض عن هذا) أي يا يوسف أعرض عن ذكر هذه  
الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ولا يحصل العار العظيم بسببها واكتف فقد ظهر صدقك ونزاهتك (واستغفري  
يا زليخا) (لذنبك) الذي صدر عنك أي توب الى الله تعالى تارميت يوسف به وهو بري منه (انك كنت)  
بسبب ذلك (من الخاطئين) في هذا القول الذي لا يليق ب مقام الانبياء وكان العزيز رجلاً حليماً فافكتفى  
بهذا القدر من مؤاخذتها وكان قليل الغيرة بل قال في الجحان تربة مصر تقتضي هذا ولهذا لا ينشأ فيها  
الاسد ولو دخل فيها يبق ثم أخبرت زليخا بعض النساء بما حصل لها وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن بل  
أشعن الامر (وقال نسوة في المدينة) أي أشعن الامر في مصر (امرأة العزيز) أي الملك قطفير  
(تراودفتها عن نفسه) أي وقال جماعة من النساء كن خساوهن امرأة صاحب دواب الملك وامرأة  
صاحب مجنه وامرأة خبازه وامرأة صاحب مطبخه وامرأة ساقية فتحدثن فيما بينهن وقلن امرأة العزيز  
تراودعبدها الكنعاني عن نفسه وهو يمتنع منها (قد شغفها حبا) أي قد شق فتها شغاف قلبها من  
جهة الحب وقرأ جماعة من العصاة والتابعين شغفها بالعين المهملة أي قد أحرقت حبا فتها شغاف قلبها  
والمعنى ان اشتغالها بحبه صار حجاباً بينها وبين كل ما سوى هذه المحبة فلا يخطر ببالها الا هو (انال تراها في  
ضلال مبين) أي انانعلمها في ضلال واضح عن طريق الرشدي بسبب حباهاياه (فلما سمعت بكمهه) أي  
قولهن المستدعي لنظرهن الى وجه يوسف (أرسلت اليهن) أي أرادت اظهار عذرهما فأتخذت مأدبة  
ودعت أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن الخمس المذكورات (وأعادت) أي أحضرت (لهن  
متكاً) أي وسائد يتكأن عليها هذا ان قرأت مشددة فان قرأت مخففة فعنها الترجمة فانهم كانوا  
يتكئون على المسائد عند الطعام والشراب والحديث على عادة المتكبرين ولذلك جاء النهي عنه في  
الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكاً (وأتت) أي أعطت (كل واحدة منهن سكيناً)

لأجل أكل الفاكهة واللحم لأنهم كانوا لا يأكلون من اللحم إلا ما يطعمون بسكا كينهم (وقالت) أي زليخا  
 ليوسف وهن مشغولات بأعمال الخناجر في الطعام (أخر ج عليهن) أي ابرزلهن ومر عليهن فان يوسف  
 عليه السلام ما قدر على مخالفتها خوفا منها (فلما رأى أنه أكبرن) أي أعظمته وهبته وهشن عند رؤيته  
 من شدة جماله وقيل معنى أكبرن أي حضن والهاء أمال السكت أو ضمير راجع إلى يوسف على حذف اللام  
 أي حضن له من شدة الشبق وأيضا المرأة إذا فرغت فرجها أسقطت ولدها لهاضت ويقال أكبرت المرأة  
 أي دخلت في الكبر وذلك إذا حاضت لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر (وقطعن أيديهن)  
 أي جرحن أيديهن حتى سال الدم ولم يجدن الألم لفرط دهشتهم وشغل قلوبهن بيوسف (وقلن حاش لله)  
 أي تنزيها لله تعالى من العجز حيث قدر على خلق جميل مثل هذا (ما هذا بشرا) أي ليس يوسف آدميا  
 وقرأ ابن مسعود ما هذا بشر بالرفع وقرئ ما هذا بشري أي ما هو بعبد مولد للبشر حاصل بشرا (إن هذا  
 الأملأ كريم) على الله فإنه قد ثبت في العقول أنه لا شيء أحسن من الملك كما ثبت فيها أن لا شيء أقبح من  
 الشيطان وقيل إن النسوة لما رأين يوسف لم يلتفت اليهن البتة ورأين عليه هيبة النبوة والرسالة وسميا  
 الطهارة قلن أنما رأينا فيه أثرا من آثار الشهوة ولا صفة من الانسانية فهذا قد تطهر عن جميع الصفات  
 المعروضة في البشر وقد ترقى عن حد الانسانية ودخل في الملكية (قالت) أي زليخا لهن (فذلكن  
 الذي لمتني فيه) أي فهذا الذي ترىنه هو ذلك العبد الكنعاني الذي عيبتني في الافتتان به قبل أن  
 تتصوره حق تصوره ولو حصلت صورته في خيالك لتركته هذه الملامة (ولقد راودته عن نفسه)  
 حسبما سمعتن وقلتن (فاستعصم) أي فامتنع عني بالعفة (ولئن لم يفعل ما أمره) أي إن لم يفعل  
 يوسف مقتضى أمرى إياه من قضاء شهوتي (ليسجنن) أي ليعاقبن بالحبس (وليكونن من الصاغرين)  
 أي من الذليلين في السجن فقلن ليوسف أطع مولاتك (قال) أي يوسف مناجيا لربه عز وجل (رب  
 السجن أحب إلي) أي يارب دخول السجن أحب عندي (عما يدعونني إليه) من مواتها التي تؤدي  
 إلى الشقاء والعذاب الأليم (والا تصرف عني كيدهن) بالثبوت على العصمة فان كل واحدة منهن  
 كانت ترغب يوسف على موافقة زليخا وتخوفه على مخالفتها (أصب اليهن) أي أمل إلى اجابتهن على قضية  
 الطبيعة البشرية وركم القوة الشهوية (وأكن من الجاهلين) أي وأصر من الذين لا يعملون بعلمهم  
 (فاستجاب له ربه) دعاء الذي في ضمن قوله والاصرف عني الخ فان فيه التجاء إلى الله تعالى جريا على  
 سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات وطلب النجاة من الشر ورعى جناب الله تعالى كقول  
 المستغيث أدركني والآه لك (فصرف عنه كيدهن) حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة حتى  
 وطن نفسه على مشقة السجن (أنه هو السميع) لدعاء المتضرعين إليه (العليم) للنيات فيجب  
 ما طاب منه العزم (ثم بداهم من بعد ما رأوا الآيات) أي ثم ظهر للعزير وأصحابه المشاركين له في الرأي  
 من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القميص من دبر وقطع  
 النساء أيديهن مجننه عليه السلام قائلين والله (ليسجننه حتى حين) أي إلى انقطاع مقالة الناس في  
 المدينة فان زليخا لما أيست من يوسف بجميع حيلها كي تحمله على موافقة مرادها قالت لزوجها إن  
 هذا العبد العبراني فضحني في الناس يقول لهم إنى راودته عن نفسه فاما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر إليهم  
 وأما أن تسجننه فمجننه (ودخل معه السجن فتيان) أي عبدان الملك مصر الكبير وهو الريان بن الزيد  
 العمليق مهي أحدهما وهو صاحب شرابه سرهم وسعى الآخر وهو صاحب مطبخه برهم وقيل اسم الأول

مرطش والتأتى رأسان وسبب مجنهما ان جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهم رشوة على ان يسهل الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى ندم ورجع عن ذلك وقبل الحجاز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الخبز بين يدي الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الخبز مسموم وقال الحجاز لا تشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من الطعام فأطعم من ذلك الطعام دابة قهلا كني فأمر بحبسهم ما فاتفق انهم ادخلوا مع يوسف فلما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول انى أعبر الاحلام (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خمرا) أى انى رأيت نفسى أعصر عنبا واسقى الملك (وقال الآخر) وهو الخباز (انى أرانى) أى رأيتنى (أحمل فوق رأسى خبزنا كل الطير منه نبشأ بآويله) أى اخبرنا بتفسير رؤيانا (انا نراك من المحسنين) أى من العالمين بتفسير الرؤيا ومن المحسنين الى أهل السجن فيسليهم ويقول اصبروا وابشروا تووخر وافقوا وبارك الله فيك يافتى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أنت يافتى فقال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت خلعت سبيلك ولكنى أحسن جوارك واخترت بيوت السجن شئت أى ان الساقى قال لسيدنا يوسف أيها العالم انى رأيت فى المنام كنى فى بستان وفيه شجرة عنب فيها ثلاثة أغصان وعليها ثلاثة عناقيد من العنب فجنيتها وكان كأس الملك فى يدي فعصرتها واسقيت الملك فشربه وقال الخباز انى رأيت فى المنام كنى أخرج من مطبخ الملك وعلى رأسى ثلاث سلال من الخبز فوقع طير على أعلاها وأكل منها ولما قصصا عليه الرؤيا كره ان يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما فيها من المكر وه لا حدهما فاعرض عن سؤالهما وأخذ فى غيره من اظهار المهجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد لانه علم ان أحدهما هالك فأراد ان يدخله فى الاسلام فبدأ باظهار المهجزة لهذا السبب (قال لا يأتىكم طعام ترزقانه الانبأتم كما بتأويله) أى لا يأتىكم طعام ترزقانه فى منزل كما على حسب عادتكما المطردة الا أخبرتك بعاقبته فهو يفيد أمية أو السقم وبلونه وجنسه (قبل أن يأتىكما) وكيف لا أعلم تعبير رؤياكما وهذا راجع الى ان يوسف ادعى الاخبار عن الغيب وهو يجرى مجرى قول عيسى وابشركم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم (ذلك) أى هذا التأويل والاخبار بالمغيبات (عما علمنى ربي) بالوحى والالهام لاعلى جهة الكهانة والنجوم (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) أى انى امتنعت عن دين قوم لا يؤمنون بالله وبالبعث بعد الموت (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) وانما قال يوسف ذلك ترغيبا له احميه فى الايمان والتوحيد وتنفر الهمما عما كانا عليه من الشرك والضلال (ما كان) أى لا يصح (لنا) معاشر الانبياء (أن نشرك بالله من شئ) أى أى شئ كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا عن ان نشرك به صمنا لا يسمع ولا يبصر (ذلك) أى التوحيد الذى هو ترك الاشراك (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) بارسالنا اليهم (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يوحّدون الله تعالى (يا صاحبي السجن) أى يا صاحبي فى السجن أو ياسا كنى السجن كما قيل لسكان الجنة أصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) أى مختلفون فى الكبر والصغر واللون من ذهب وفضة وحديد وصغرو خشب وحجارة وغير ذلك (خير) لك (أم الله الواحد القهار) أى هذه الاصنام معمولة ومقهوره فان الانسان اذا أراد كسرها فقد ر عليها فهى مقهورة ولا ينتظر حصول منفعة من جهتها واله العالم فعال قهار قادر على ايصال الخيرات وودفع الآفات والمراد عبادة آلهة شتى مقهورة خيرا أم عبادة

الله المتوحد بالانوهية الغالب على خلقه ولا يغالب خيره (ما تعبدون من دونه) أى من غير الله شيئاً (الا  
أسماء سميتوها أنتم وآبائكم) أى الاذوات أو جديتم وآبائكم لها أسماء آلهة بمحض ضلالتكم  
(ما أنزل الله بها) أى بتلك التسمية المتبعة للعبادة (مر سلطان) أى من جهة تدل على صحتها وتحقيق  
مسمياتها في تلك الذوات فكأنكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة عن الذوات والمعنى انكم مهيتم ما لم يدل  
على استحقاها بالوهمية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها (ان الحكم الا لله)  
أى ليس الحكم فى أمر العبادة الا لله فليس لغير الله حكم واجب القبول ولا أمر واجب الالتزام (أمر)  
على السنة الانبياء عليهم السلام (أن لا تعبدوا الاياه) لان العبادة نهاية التعظيم فلا تليق الا بـ  
حصل منه نهاية الانعام وهو الله تعالى لان منه الخلق والاحياء والزق والهداية ونعم الله كثيرة وجهات  
احسانه الى الخلق غير متناهية (ذلك) أى تخصيصه تعالى بالعبادة (الدين القيم) أى الذى تعاضدت  
عليه البراهين عقلاً ونقلاً (واكن أكثر الناس لا يعلمون) ان ذلك هو الدين المستقيم لجهلهم بتلك  
البراهين ولما فرغ سيدنا يوسف من الدعاء الى عبادة الله تعالى رجع الى تعبير رؤياه ما فقال (يا صاحبي  
السجن أما أحدكم) وهو الشراي (فيسق ربه) أى سيده (خمر أو ماء الآخر) وهو الحجاز (فيصلب  
فتأكل الطير من رأسه) روى ان الساقى لما قص رؤياه على يوسف قال له ما أحسن ما رأيت أما الكرم  
فهو العمل الذى كنت فيه وأما العنب فهو عزك فى ذلك العمل وأما الاغصان الثلاثة فتلاثة أيام وجه  
الملك الملك عند انقضائهم وأما العنب الذى عصرت وناولت الملك فهو ان يردك الى هلك فتصير كما كنت  
بل أحسن ولما قص الحجاز رؤياه على يوسف قال له بشما رأيت أما خروجه من المطبخ فهو ان تخرج  
من عملك وأما ثلاث سلال فهي ثلاثة أيام تكون فى السجن وأما كل الطير من رأسك فهو ان يخرجك  
الملك بعد ثلاثة أيام ويصليك وتأكل الطير من رأسك ففرع التعبير رؤيا الحجاز وقال اجمع ما راينا شيئاً  
انما كأنك لعب فقال لهما يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) أى تم الامر الذى تسألان عنه  
رأيتما ولم تر يا فكما قلتما وقلت لكما كذلك يكون (وقال) أى يوسف عليه السلام (لذى ظن أنه  
ناج) أى للرجل الذى ظنه ناجياً من القتل (منهما) أى من صاحبيه وهو الساقى (اذكرنى عند  
ربك) أى عند سيدك الملك الكبير فقل له ان فى السجن غلاماً يحبس ظمأ خمس سنين (فأنساه  
الشیطان ذكره) أى أنسى الشيطان بوسوسته الشراي ذكره ليوسف عند الملك ويقال فأنسى  
الشیطان يوسف ان يذكره حتى طلب الفرج من مخلوق مثله وذلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام  
فان الاستعانة بالناس فى دفع الظلم جائزة فى الشرعية الا ان حسنات الارباب سيئات المقربين فالاولى  
بالصديقين ان لا يشتغلوا بالاسباب ولذا جوزى يوسف بسنتين فى الحبس كما قال تعالى (قلبت)  
أى يوسف (فى السجن) بسبب ذلك القول (بضع سنين) أى سبع سنين خمس منها قبل ذلك القول  
وتنتان بعده هذا هو الصحيح (وقال الملك) الى ان بن الوليد (انى أرى) أى رأيت فى منامى (سبع  
بقرات سمان) قد خرجن من النهر ثم خرج منه بعدهن سبع بقرات مهازيل (ياكلهن سبع عجاف)  
أى ابتلعت العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم يتبين على العجاف شئ منهن (و) انى أرى (سبع  
سنبلات خضر) أى قد انعقد حباها (وأخر) أى وسبعاء آخر (يابسات) أى قد بلغت أو ان الحصد فالتوت  
اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرهن شئ فعلق الملك لما رأى الناقص الضعيف  
قد استولى على القوى الكامل حتى غلبه لجمع مهرته وكنهته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه

وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله تعالى عن تأويل هذه الرؤيا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن فهذا هو قوله (يا أيها الملأ) أي السحرة والسكينة والمعبرون للرؤيا (أفتتوني في رؤياي) أي بينوا لي تعبيري رؤياي هذه (ان كنتم للرؤيا تعبرون) أي ان كنتم تعلمون بانتقال الرؤيا من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها (قالوا) أي أشراف العلماء والحكماء (أضغاث أحلام) أي هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة لا حقيقة لها (وما نحن بتأويل الاحلام) أي المنامات الباطلة التي لا أصل لها (بعالمين) أي لأنه لا تأويل لها وانما التأويل للرؤيا الصادقة (وقال الذي نجى منهما) أي الذي خلاص من السجن من صاحبي يوسف بعد ان جلس بين يدي الملك أي قال الشرابي للملك ان في الحبس رجلا فاضلا صالحا كثير العلم كثير الطاعة قصصتنا أنا والحجاز عليه منامين فذكر تأويلهما فصدق في الكل وما أخطأ في حرف فان أذنت مضيت اليه وحتت لك بالجواب (وادكر بعد أمة) أي تذكر الشرابي يوسف بعد مدة طويلة وقرأ الاشهب العقيلي بعد مدة بكسر الهمزة أي بعدما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمة بفتح الهمزة والميم ثم بالهاء أي بعد نسيان (أنا أنبؤكم بتأويله) أي أنا أخبرك أيها الملك بتعبير رؤياك (فأرسلوا) أي السجن فإرساله اليه فأتى يوسف فقال له (يوسف أيها الصديق) أي البالغ في الصدق (أفتتنا) أي بين لنا (في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع) من البقر (عجاف) في (سبع سنبلات خضرو) في سبع (آخر) من السنابل (يابسات) أي في رؤيا ذاك رآها الملك (لعلي أرجع الى الناس) أي أعود الى الملك وجماعته بفتواك (لعلهم يعلمون) فضلك وعلمك فان الساقى علم عجز سائر المعبرين عن جواب هذه المسئلة تخاف ان يعجز يوسف عنه أيضا (قال تزرعون سبع سنين دأبا) أي متتابعة على عادتك في الزراعة (فما حصدتم) من الزرع في كل سنة (فذروه في سنبله) أي كوافره ولا تدوسوه لئلا يقع فيه السوس فان ذلك أبقى له على طول الزمان (الا قليلا عما تأكلون) أي الا كل ما أردتم أكله فدوسوه في تلك السنين وهذا تأويل السبع السمان والسبع الخضر (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السبع سنين المحصبة (سبع شداد) أي سبع سنين قحطة صعبة على الناس وهذا تأويل السبع الهجاف والسبع اليابسات (يا كلن ما قدمتم لهن) أي تأكلون الحب المزروع وقت السنين المحصبة المتروكة في سنبله في السنين المجذبة (الا قليلا عما تحصدون) أي تدخرون للبذر فكل ما جمع أيام السنين المحصبة في السنين المجذبة تأويل ابتلاع الهجاف السمان (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السنين المجذبة (هأم فيه يغاث الناس) أي ينقذ الناس من كرب الجذب (وفيه يعصرون) ما من عادته أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرة ما وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وقيل معناه يعطرون وقيل معناه ينجون من الشدة وعلى هذين يقرأ بالبناء للفعل وهذا من مدلولات المنام لانه لما كانت الهجاف سبعة ذلك على أن السنين المجذبة لا تزيده على هذا العدد فالخاصل بعده هو الخصب على العادة الالهية حيث يوسع الله على عباده بعد تضييقه عليهم فلما رجع الشرابي الى الملك وأخبره بما ذكره يوسف استحسنته الملك (وقال الملك ائتوني به) أي بيوسف لما علم من فضله وعلمه فرجع الساقى الى يوسف (فلما جاءه) أي يوسف (الرسول) وقال له أجب الملك (قال) أي يوسف له (ارجع الى ربك) أي الى سيدك الملك الكبير (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) أي فأسأل الملك بأن يفتش عن شأن تلك النسوة ليعلم براءتي عن تلك التهمة وانما لم يخرج يوسف من

السجين في الحال لانه لو خرج قبل ظهور براءته من تلك التهمة عند الملك فلم يعا بقدر الحاسد على أن يتوسل الى الطعن فيه بعد خروجه (ان ربي) أي سيدي ومربي وهو ذلك الملك (بكيدهن) أي بكرهن (عليم) فلما أبى يوسف أن يخرج من السجن قبل تبين الامر جمع الرسول الى الملك فأخبره بما قال يوسف عليه السلام فأمر الملك باحضارهن وكانت زليخا معهن (قال) أي الملك مخاطبا لهن لأن كل واحدة منهن راودت يوسف لاجل امرأة العزيز بقولها ليوسف أطع مولاتك (ما خطبك) أي ما شأنك (اذ راودتن يوسف عن نفسه) أي خادعتنه هل وجدت في نفسه ميلا الى قولك كن (قلن حاش لله) أي تنزيهاه (ما علمنا عليه) أي يوسف (من سوء) أي من خيانة في شيء من الاشياء (قالت امرأة العزيز الآن حص الحق) أي الآن تبين الحق ليوسف (أنا راودته عن نفسه) أي أنا دعوته الى نفسي (وانه لمن الصادقين) أي في قوله حين اقترت عليه هي راودتني عن نفسي وانما اقرت زليخا بتهنها وأشهدت لبراءة يوسف عن الذنب مكافأة على فعل يوسف حيث ترك ذكرها وقال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن مع أن الفتن كلها اغايات من جهتها وقد عرفت أن ذلك لرعاية حقها ولتعتيمها ولا خفاء الامر عليها فجاء الرسول الى يوسف فأخبره بجواب النسوة بقول زليخا فقال يوسف وهو في السجن (ذلك) أي الذي فعلت من ردى الرسول لطلب البراءة انما كان (ليعلم) أي الملك الصغير الذي هو قبطير زوج زليخا (أن لم أخنه) في حرمة كزعمه (بالغيب) أي وأنا غائب عنه أو هو غائب عني (و) ليعلم (أن الله لا يهدي كيدا الخائنين) أي لا ينفذ ذنبه ولو كنت خائنا لما خلصني الله تعالى من هذه الورطة (وما أبرئ نفسي) أي والحال أني لم أقصد بذلك تنزيه نفسي من الزلل وبراءة نفسي (ان النفس البشرية) (لامارة بالسوء) أي ميالة الى القبايح راغبة في المعصية ولما كان قوله ذلك ليعلم اني لم أخنه جاريا مجرى مدح النفس استدركه بقوله وما أبرئ نفسي أي لا أمدحها (الامارحم ربي) أي الانفس اعصم ربي من الوقوع في المهالك (ان ربي غفور) لله -م الذي هممت به (رحيم) لمن تاب وهذا ما عليه أكثر المفسرين وقال بعضهم من اسم الاشارة الى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليوسف اني لم أخنه بالغيب أي اني لم أقول في يوسف وهو في السجن خلاف الحق فان وان أحلت الذنب عليه عند حضوره ما أحلت الذنب عليه عند غيبته وأن الله لا يهدي كيدا الخائنين أي لا يرضاه فان لما أقدمت على المكر لاشك افتضحت وأن يوسف لما كان بريثا من الذنب لاشك طهره الله عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث راودته وقلت في حقه ما قلت وأودعته في السجن ومقصود زليخا بهذا الكلام الاعتذار عما كان وتنزيه يوسف من الذنب ان كل نفس لامارة بالسوء الانفسارحها الله بالعصاة كنفس يوسف عليه السلام ان ربي غفور لمن استغفر من ذنبه رحيم له فعلى هذا يكون تأنيبه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه ملاقة الملك حتى يتبين أنه اغماهم بظلم عظيم مع ماله من نباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاجلال وقد حصل ذلك (وقال الملك) أي الكبير وعوالريان (اثتوني به) أي بيوسف (استخاضه -لنفسى) أي اجعله خاصا بي دون العزيز روى أن الرسول قال ليوسف عليه السلام قم الى الملك متنظفا من درن السجن بالثياب النظيفة والهيئة الحسنة فكتب على باب السجن هذه منازل الباوى وقبور الاحياء وشعاعة الاعداء وتجربة الاصدقاء فلما أراد الدخول على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم دخل على الملك فسلم عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له



بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان قال هذا اللسان آباءى وكان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف به وزاد عليه بالعربية والعبرانية وروى أنه لما رآه الملك شابا وهو في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة قال للشرايى أهذا هو الذى علم تأويل رؤى بى قال نعم فأقبل على يوسف وقال انى أحب أن أسمع تأويل الرؤى يا منك شفاها فأجاب بذلك الجواب شفاها وشهد قلبه بصحته فذلك قوله تعالى (فلما كلمه) أى كلم الملك يوسف (قال) أى الملك (أنك اليوم لدينا مكين) أى ذو منزلة رفيعة (آمين) أى ذو أمانة على كل شئ فأتى بها الصديق (قال) أرى أن تزرع في هذه السنين المحصبة تزرعا كثيرا وتبنى الخزائن وتجمع فيها الطعام فإذا جاءت السنون المجدة بعنا الغلات فيحصل هذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لى بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) أى ولنى أمر خزائن أرض مصر (انى حفيظ) لما وليتني ولجميع مصالح الناس (عليهم) بوجوه التصرف في الاموال وبجميع السن الغريبة الذين يأتوننى وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية إذا كان الطالب عن يقة مدرك على إقامة العدل وان كان الطلب من يد الكافر (وكذلك) أى مثل ذلك الانعام الذى أنعمنا عليه من تقر بيننا ياء من قلب الملك وانجائنا ياء من غم الحبس (مكنا يوسف في الارض) أى أقدرناه على ما يريد برفع الموانع في أرض مصر (يته وأمنها حيث يشاء) أى نازلنا في أى موضع يريد يوسف من بلادها روى أنها كانت أربعين فرسخا في أربعين فرسخا وقرأ ابن كثير نشأ بالنون مسنداً الى الله تعالى روى أنه لما تمت السنة من يوم سأل يوسف الأمانة دعاها الملك فتوجه وأخرج خاتم الملك وجعله في أصبعه وقلده بسيفه وجعل له ممرير من ذهب كلابالدر والياقوت طوله ثلاثون دراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا وضرب له عليه حلقة من استبرق فقال يوسف عليه السلام أما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم فادبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آباءى فقال الملك قد وضعت اجلالا لك واقراراً بفضلك وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت له الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وأمر مصر بعزل قطيرهما كان عليه وجعل يوسف مكانه ومات قطير بعد ذلك فزوجه عليه السلام الملك امرته زليخا فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا عما كنت تريدن قالت له أيها الصديق لا تلمنى فاني كنت امرأة حسنة ناعمة كما ترى وكان صاحبي لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئت لك فغلبتني نفسي وعصمت الله فأصابها يوسف فوجدها عذراء فولدت له ذكرا ثم أنفرا ثم وميشافا استولى يوسف ملك مصر وأقام فيها العدل وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدرهم وفي الثانية بالخل والجواهر وفي الثالثة بالدواب وفي الرابعة بالجوارى والعبيد وفي الخامسة بالضياع والعقار وفي السادسة بأولادهم وفي السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا له عليه السلام فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجلا وأعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فأتى في هؤلاء قال الملك اراى رأيك ونحن لك تبسع قال فانى أشهد الله وأشهدك انى قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان يوسف لا يبيع من أحد من המתارين أكثر من حمل بعير تقسيطين الناس ومات الملك في حياة يوسف (نصيب برحمتنا) أى بعطائنا في الدنيا من الملك والعنى وغيرهما من النعم (من نشأ) من عبادنا (ولا نضيع أجرة المحسنين) لان

اضاعة الاجراما تكون للجهل أو للجهل والكل محتج في حق الله تعالى فكانت الاضاعة محتجة  
(ولا جبر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) أي ولا جبر المحسنين وهم الذين آمنوا بالله والكتب  
والرسل واتقوا الفواحش في الآخرة خير لهم والمراد أن يوسف وإن كان قد وصل إلى الدرجات الرفيعة في  
الدنيا فثموا به الذي أعد الله له في الآخرة أفضل وأكمل وقد ثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف عليه  
السلام كان من المتقين ومن المحسنين (وجاء اخوة يوسف) إلى مصر وهم عشرة ليعتاروا  
أي لما وصل القحط إلى البلدة التي يسكنها يعقوب عليه السلام وهي تغور الشام من أرض فلسطين قال  
لبنيه ان مصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام  
فخرجوا غير بنيامين حتى قدموا مصر (فدخلوا عليه) أي إلى يوسف وهو في مجلس ولايته  
(فعرّفهم) بأول نظرة نظر اليهم لقوة فهمه (وهم له منكرون) أي والحال انهم لا يعرفونه لطول المدة  
فبين أن القوي في الحب ودخولهم عليه أربعون سنة ولا نهم رأوا جالساً على سرير الملك وعليه ثياب حرير  
وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فكاموه بالعبرانية فقال لهم من أنتم وأي شيء أقدمكم  
بلادي فقالوا قد مننا لاخذ الميرة ونحن قوم رحاة من أهل الشام أصابنا الجهد فقال لعلكم عيون تطلعون على  
عوراتنا وتخبرون بها أعداءنا فقالوا معاذ الله قال من أين أنتم قالوا من بلاد كنعان نحن اخوة بنو أب  
واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من أنبياء الله اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كذا اثني عشر فهلك منا  
واحد فقال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فإين الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك لأنه أخوه  
الشقيق قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيوناً وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاذغربة لا يعرفنا فيها أحد  
فيشهد لنا قال فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فأنا اكتبني بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن  
لفراقه قال فاتركوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به فاقتربوا فيمانيهم فأصاب القرعة شععون وكان  
أحسنهم رأياً في يوسف في أمر الحب فتركوه عنده فأمر بأنزلهم وأكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم)  
أي فلما أقر يوسف ابلهم بالميرة وأصلحهم بالزاد وما يحتاج اليه المسافر (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم)  
اذا رجعت لئمتار وامرة أخرى لأعلم صدقكم فيما قلتم ان لنا أخاً من أبينا عند أبينا (الأترون أبي أوف  
الكيل) أي أتمه وأز يدكم حمل بعير آخر لا حمل أخيكم وحمل آخر لا بيكم لانهم قالوا ان لنا أباً شيخاً  
كبيراً وأخاً آخر بقي معه لان يوسف لا يزيد لخدمته حمل بعير (وأنا خير المنزلة) أي خير المضيفين  
فانه عليه السلام كان قد أحسن ضيافتهم مدة أقامتهم عنده (فان لم تأتوني به) أي بأخيكم من أبيكم اذ  
عدتم مرة أخرى (فلا كيل لكم عندي) أي فلا طعام لكم يكال عندي (ولا تقرؤ) أي  
لا تدخلوا بلادى فضلاً عن وصولكم إلى (قاراسنرا دعهن أباه) أي سنطلبه من أبيه ونحتال على ان  
ننزعهم من يده (وانا لفاعلون) ما أمرتنا به من أن نجيشك بأخينا فانهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام  
ولا يمكن الامن عنده (وقال لفتياناه) أي لخدمته الكياليين وقرأ حمزة والسكستاني وحفص عن  
عاصم لفتياناه بالالف والنون والباءون لفتيته بالتاء من غير ألف (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أي  
دسوا دراهمهم التي اشتروا بها الطعام في أوعيتهم التي يحملون فيها الطعام (اعلمهم يعرفونها) أي لكي  
يعرفوا بضاعتهم (اذا انقلبوا إلى أهلهم) أي اذا رجعوا إلى أبيهم وفرغوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون)  
أي لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع اليها لانهم اذا عاوا ان ذلك من سخاء يوسف بعثهم على العود  
عليه الرغبة في معاملته وأيضاً ان سيدنا يوسف يخاف من ان لا يكون عند أبيه من الدراهم ما يرجعون به

مرة أخرى (للمارجعوا) أى اخوة يوسف غير شمعون (الى أبيهم) بكنعان (قالوا) قبل أن  
يشتغلوا بفتح المتاع (يا أبا تمنع من الكيل) أى حكم العزيز بمنع الطعام بعد هذه المرة ان لم يذهب معنا  
بنيامن اليه (فأرسل معنا أخانا) بنيامين الى مصر وقال يعقوب أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر  
وأخبروه بالقصة (نكتل) أى نرفع المانع من الكيل بسببه ونكتل بسببه من الطعام مانشا وقرأ  
حمزة والكسائي يكتل بالياء أى يكتل أخونا بنفسه مع أكتيالنا (واناله لحافظون) من أن يصيبه  
مكروه وضامنون برده اليك (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) أى قال لهم  
يعقوب كيف آمنكم على بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه  
فى يوسف رخصتم لي حفظه فما فعلتم فلما لم يحصل الامن والحفظ هناك فكيف يحصل ههنا وانما أفوض  
الامر الى الله (فالتة خير حافظا) منكم قرأ حفص وحمزة والكسائي بفتح الحاء وبالفاء بعد هاء على  
التخفيف أى حفظ الله لبنيامين خير من حفظكم وقرأ الباقون حفظا بكثرا الحاء وسكون الفاء وقرأ الهمش  
فالتة خير حافظ وقرأ أبو هريرة خبر الحافظين (وهو أرحم الراحمين) وهو أرحم به من والديه ومن اخوته  
وقيل ان يعقوب لما ذكر يوسف قال فالتة خير حافظا الخ أى حفظا ليوسف لانه كان يعلم أن يوسف حي  
(ولما فتحوا متاعهم) أى أوعيتهم التى وضعوا فيها الميرة بحضرة أبيهم (وجدوا بضاعتهم) وهى ثمن الميرة  
الذى دفعوه ليوسف (ردت اليهم قالوا يا أبا نانبغى) أى ما نكذب بما قلنا من اننا قدمنا على خير رجل  
انزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة أو المعنى أى شئ نريد من اكرام الملك (هذه بضاعة نردت اليك) هل من  
مزيد على ذلك فقد أحسن الملك مثوانا وباع مناررد علينا متاعنا فلا نطلب وراء ذلك احسانا وقيل المعنى  
نحن لا نطلب منك يا أبا ناعندر جوعنا الى الملك بضاعة أخرى فان هذه التى ردت اليك كافية لنا فى ثمن  
الطعام (وغير أهلنا) أى نأتى بالطعام الى أهلنا بر جوعنا الى ذلك الملك بتلك البضاعة وهذا معطوف  
على محذوف والتقدير فنستعين بهذه البضاعة وغير أهلنا (ونحفظ أخانا) بنيامين من المسكاره فى الذهاب  
والاياب (وزداد) بسببه (كيل بعير) أى وقر بعيره (ذلك كيل يسير) أى ذلك الحمل الذى  
زداده كيل قليل على الملك لانه قد أحسن اليه وأكرمه بأكثر من ذلك ويقال ذلك الذى نطلب منك أمر  
يسير (قال) لهم أبوه (لن أرسله) أى بنيامين (معكم حتى تؤتون موثقا من الله) أى حتى  
تعطوني عهدا من الله أى حتى يحلفوا بالله (لتأتمني به الا أن يحاط بكم) أى فى حال ان تموتوا وفى حال  
أن تصيروا مغلوبين فلا تقدر والاثيان به الى (فلما آتوه موثقهم) أى أعطوا أباهم عهدهم من الله على  
رده الى أبيهم فقالوا فى حلفهم بالله رب محمد لنا نيتك به (قال) أى يعقوب (الله على ما نقول وكيل)  
أى شهيد فان وفيتهم بالعهد جازاكم الله بأحسن الجزاء وان غدرتم به كافاكم بأعظم العقوبات (وقال)  
ناصيهم لما أزمع على ارسالهم جميعا (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) من أبواب الاربعة  
(وادخلوا من أبواب متفرقة) انما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين فانهم كانوا ذوى جمال وشارة  
حسنة وكانوا أولاد رجل واحد وقد تجملوا فى هذه الكرة أكثر مما فى المرة الاولى (وما أغنى عنكم من  
الله من شئ) أى لا أدفع عنكم بتدبيرى شئ أعاقضى الله عليكم فان الحذر لا يمنع القدر والانسان  
مأمور بان يحذر عن الاشياء المهلكة والاعذية الضارة وان يسعى فى تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر  
الامكان (ان الحكم) أى ما الحكم بالالزام والمنع (الله) وحده (عليه توكلت) أى اليه  
وحده فوضت أمري وأمركم (وعليه) دون غيره (فليتوكل المتوكلون) أى فليتوكل الواقفون

(ولمادخلوا) أى المدينة (من حيث أمرهم أبوهم) أى من الابواب المتفرقة (ما كان) أى دخولهم متفرقين (يفنى) أى يخرج (عنهم) أى الداخلين (من الله) أى من قضائه (من شئ) الحاجة فى نفس يعقوب قضاها) أى لكن الدحول على صفة التفرق أظهر حاجة فى قلب يعقوب وبهوى خوفه عليهم من اصابة العين وهذا تصديق الله لقول يعقوب وما أغنى عنكم من الله من شئ (وانه) أى يعقوب (لذو علم لما علمناه) أى لفوائده ما علمناه أى انه عالم بما علمه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان يعقوب بهذه الصفة والعلم (ولمادخلوا على يوسف) أى فى محل حكمه (أوى اليه أخاه) أى أنزل معه فى منزله أى لما أتى اخوة يوسف بأخيه بنيامين قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندى فأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيد فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم فريدا فأجلسه معه على مائدة وجعل يواكله ثم أنزل كل اثنين منهم بيتا فبقى بنيامين وحده وقال هذا لثانى له فاتركوه معى ففهم يوسف اليه وشم ريح أبيه منه حتى أصبح فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك وقال بنيامين قال وما بنيامين قال المشكل وهولما ولد هلكت أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال لى عشرة بنين قال فهل لك من أخ لا أمك قال كان لى أخ فهل لك قال يوسف أنتحب ان ~~أكون~~ أخاك بدل أخيك الها لك قال بنيامين ومن مجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وهانقه و(قال انى أنا أخوك فلا تبتئس) أى فلا تحزن (بما كانوا يعملون) أى لا تلتفت الى ما صنعوه فيما تقدم من أعمالهم المنكرة وفيما يعملون بك من الجفاء ويقولون لك من التعيير والاذى قال بنيامين فانا لا أفارقك وقال يوسف قد علمت اغتمام والذى بي فاذا حبستك عندى ازداد نعمة ولا يمكننى هذا الابد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسب لك الى ما لا يحمد قال لا أبالى فافعل ما بدا لك فانى لا أفارقك قال يوسف فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليه بالسرقه لا احتال فى ردك بعد اطلاقك معهم قال فافعل ما شئت فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم) أى فلما هيايوسف لهم ما يحتاجون للسفر وحمل لهم أحماهم من الطعام على ابلهم (جعل السقاية فى رحل أخيه) أى دس مشربته التى كان يشرب فيها فى وطأ طعام أخيه الشقيق بنيامين ثم أمرهم بالسير ثم أرسل خلفهم عبده (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد مع رفع صوت مرارا كثيرا (أيتها العير) أى يا أصحاب الابل التى عليها الاحمال (انكم لسارقون) وهذا الكلام اما على سبيل الاستفهام واما على قصد المعاريض والمعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه ليكون المنادى من دوحا عن الكذب (قالوا) أى اخوة يوسف (وأقبلوا عليهم) أى والحال انهم التفتوا الى جماعة الملك المؤذن وأصحابه (ماذا تفقدون) أى أى شئ ضاع منكم (قالوا) أى أصحاب الملك (نفقد صواع الملك) أى نطلب انا الملك الذى كان يشرب فيه ويكيل وانما اتخذ هذا الاناء ميكالا لعزة ما يكال به فى ذلك الوقت قال المؤذن (ولمن جاء به) أى بالاناء من عند نفسه مظهره قبل التفتيش (حمل بعير) من الطعام أجرة له (وأنا به) أى بالحمل (زعيم) أى كغيل أو ديه اليه لان الاناء كان من الذهب وقد اتهمنى الملك (قالوا الله لقد علمتم) يا أهل مصر (ما جئنا لنفسد فى الارض) أى أرض مصر بحضرة الناس (وما كنا سارقين) لانه قد ظهر من أحوالهم امتناعهم من التصرف فى أموال الناس بالكلية لا بالاكل ولا بارسال الدواب فى مزارع الناس ولا منهم لما وجدوا بضاعتهم فى رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا أخذها (قالوا) أى أصحاب يوسف

(فما جزاؤه) أى فما جزاء سرقة الصواع فى شريعةكم (ان كنتم كاذبين) فى نفي كون الصواع فيكم (قالوا) أى اخوة يوسف (جزاءه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقة الصواع هو أخذ الانسان الذى وجد الصواع فى متاعه (فهو جزاؤه) أى فاسترقاق ذلك الشخص سنة هو جزاء سرقة لا غير فافتوا بشريعةهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزى الظالمين) بالسرقة فى ارضنا هذا من بقية كلام اخوة يوسف وقيل من كلام أصحاب يوسف جوابا لقول اخوته ذلك (فبدأ) أى يوسف بعد ما رجعوا اليه (بأرعيتهم) أى بتفتيش وعية الاخوة العشرة (قبل) تفتيش (وهاء أخيه) بنيامين لنفي التهمة روى أنه لما بلغت النبوة الى ورائه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقال اخوة يوسف والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أى الصواع (من وعاء أخيه) فقال له فربك الله كما فرجتنى (كذلك كدنا ليوسف) أى كما ألهمنا اخوة يوسف ان جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا بأمر الله) أى لم يكن يوسف يأخذ أخاه فى حكم الملك بسبب من الاسباب لا بسبب مشيئة الله وهو حكم أبيه أى وكان حكم ملك مصر فى السارق أن يضرب ويغرم مثلى قيمة المسروق فما كان يوسف قادرا على حبس أخيه عند نفسه الا أن الله تعالى كادله ما جرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق (ترفع درجات من نشاء) وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بالتنوين والباقون بالاضافة أى ترفع رتبا كثيرة عالية من العلم من نشاء رفعه (وفوق كل ذى علم عليم) أى ان اخوة يوسف كانوا علماء فضلاء ويوسف كان زائدا عليهم فى العلم فوق كل عالم عالم الى أن ينتهى العلم الى الله تعالى فليس فوقه أحد (قالوا) أى اخوة يوسف تبرئة لانفسهم (ان يسرق) أى بنيامين سقاية الملك (فقد سرق أخ له من قبل) أى قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب من بنيامين فإن أخاه الذى هلك كان سارقا أيضا قال سعيد بن جبير كان جد يوسف أبو أمه كافرا يعبد الاوثان فأمرته أمه بأن يسرق تلك الاوثان ويكسرها ففعل عليه بترك عبادة الاوثان ففعل ذلك فهذا هو السرقة (فأمرها) أى اجابتهم (يوسف فى نفسه) أى فى قلبه (ولم يبدها) أى لم يظهرها لاجابة (لهم قال) أى يوسف فى نفسه (أنتم شرمكانا) أى منزلة فى السرقة من يوسف حيث سرقتما أخاكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون) أى بحقيقة ما تدعون من أمر يوسف هل يوجب عود مذمة اليه أم لا (قالوا) مستعطفين (يا أيها العزيز) أى ملك مصر (ان له) أى بنيامين (أبا شيخا كبيرا) فى السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو يفرح به ان رددناه (نخذ أحدنا مكانه) أى بدلا منه فى الاسترقاق (انا نراك من المحسنين) اليينا فى حسن الضيافة ورد البضاعة اليينا فاعلم احسانك اليينا بهذه التهمة (قال معاذ الله) أى نعوذ بالله معاذ من (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لان أخذنا له انما هو بقضية فتواكم (انا اذا) أى ان أخذنا بريئا بغير ذنب (لظالمون) فى مذهبكم وما لنا ذلك ولهذا الكلام معنى باطن وهو ان الله تعالى انما أمرنى بالوحي أن آخذ بنيامين لمصالح يعلمها الله تعالى فلو أخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فصرت ظالما لنفسى (فلما استميا سوا منيه) أى من يوسف (خلصوا نجيا) أى تغردوا عن سائر الناس يتناجون (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أبى العقل وهو يهوذا ورئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا) يا اخوتاه (أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) فى رد بنيامين اليه (ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) فما زيدة والجار والمجور ومرتعلق بقرطم أى ومن قبل أخذكم العهد فى شأن بنيامين قصرتم

في شأن يوسف ولم تغفوا بوعدهم على النصح والحفظ له أو مصدرية عطف على مفعول تعلموا أي ألم تعلموا  
 أخذ أبيكم عليكم موثقا وتغريبطكم السابق في شأن يوسف أو وتركم ميثاقه في حق يوسف  
 أو موصولة عطف على مفعول تعلموا أيضا أي ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقا والذي قدمتموه في حق يوسف من  
 الحيانة العظيمة من قبل تقيصيركم في بنيامين (فلن أرح الأرض) أي فلن أفارق أرض مصر (حتى  
 يأذن لي أبي) في الرجوع إليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق أو  
 بخلاص أخي من يد العزيز بسبب من الأسباب (وهو خير المالكين) لأنه لا يحكم إلا بالعدل والحق  
 روى أنهم كلوا العزيز في إطلاق بنيامين فقال روبيل أيها الملك لتردن إلينا أخانا أولا صيحين صحيحة لا تبقى  
 بمصر حامل إلا ألت ولد هاو ووقت كل شعرة في جسده نخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم إلى جنب  
 روبيل فذهب ذلك الابن فسه فسكن غضبه فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وهم أن يصيح  
 فركض يوسف عليه السلام على الأرض وأخذ عبلاسه وجذبه فسقط على الأرض وقال له أنتم يا معشر  
 العبرانيين ترمون أن لا أحد تشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل إلى الخلاص خضعوا ثم قال  
 لهم كبيرهم (ارجعوا) يا اخوتي (إلى أبيكم) دوني (فقلوا) له متلفطين بخطابكم (يا أبانا ان  
 ابنك سرق) صواع الملك من ذهب (وما شهدنا إلا بما علمنا) أي رأينا ان الصواع استخرجت من وعاثه  
 (وما كنا للغيب) أي باطن الحال (حافظين) أي ان حقيقة الامر غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه  
 إلا الله فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم ذلك (وأسأل القرية التي كنا فيها) أي وأسأل أهل  
 قرية من قرى مصر التي كنا فيها (والعير التي أقبلنا فيها) أي وأسأل أصحاب الأبل التي عليها الاحمال  
 الذين جئنا معهم وهم قوم من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وانا لصادقون) في أقوالنا فرجع  
 التسعة إلى أبيهم فقالوا له ما قال كبيرهم (قال) أي يعقوب (بل سؤات لكم أنفسكم أمرا) أي بل  
 زينت لكم أنفسكم اخراج بنيامين عنى إلى مصر طلبا للنفعة فعاد من ذلك ضرر (فصبر جميل) أي فعلى  
 صبر بلا جزع ولما رجع القوم إلى يعقوب عليه السلام وأخبروه بالواقعة بكى وقال يا بني لا تخرجون من  
 عندي مرة الا ونةص بعضكم ذهبتم مرة فنقص يوسف ومرة ثانية نقص شععون ومرة ثالثة نقص  
 روبيل وبنيامين ثم بكى وقال (عسى الله أن يأتيني بهم) أي ببوسف وأخيه الشقيق وأخيه الذي  
 توقف في مصر (جميعا) فلا يتخلف منهم أحد واغما قال يعقوب هذه المقالة على سبيل حسن الظن بالله  
 تعالى لأنه اذا اشتد البلاء كان أمرا ع إلى الفرج ولأنه علم بما جرى عليه وعلى بنيه من وؤي يوسف (انه  
 هو العليم) بحال وحالهم (الحكيم) أي الذي لم يبتلي في الحكمة باللغة (وقولي عنهم) أي وأعرض  
 يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين وخرج من بينهم كراهة لسماعهم منهم (وقال يا أسفا) أي يا شدة  
 حزني (على يوسف) أي أشكو إلى الله أسفى ولم يسترجع يعقوب أي لم يقل أنا لله وأنا إليه راجعون لان  
 الاسترجاع خاص بهذه الامة (وابيضت عيناه من الحزن) أي ضعف بصره من كثرة البكاء فان الدمع  
 يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من بياض الماء الخارج منها (فهو كظيم) أي عسل على  
 حزنه فلا يظهره أو يعتلى من الحزن أو ملوه من القبط على أولاده (قالوا) أي الجماعة الذين كانوا في  
 الدار من أولاد أولاده وخدمه (تالله تفتؤ تذكر يوسف) أي والله لا تزال تذكر يوسف (حتى  
 تكون حرضا) أي فاسدا في جسمك وعقلك (أو تكون من الهالكين) أي من الاموات فسكانهم  
 قالوا أنت الآن في بلا شديد ونحن في غم عليل أن يحصل فيك ما هو أزيد منه وأرادوا بهذا القول منعه عن



كثرة البكا (قال) أي يعقوب لهم (انما أشكو بثي وحزني الى الله) أي لا أذكر الحزن العظيم ولا  
 الحزن القليل الا مع الله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي أعلم من رحمته ما لا تعلمون وهو انه تعالى يأتيني  
 بالفرج من حيث لا أحسب أي انه يعلم ان رؤيا يوسف صادقة وليعلم أن يوسف حي لان ملك الموت قال ان  
 أطلبه ههنا وأشار الى جهة مصر ويعلم ان بنيامين لا يسرق وقد سمع أن الملك ما آذاه وما ضر به فغلب على  
 ظنه ان ذلك الملك هو يوسف فن ذلك قال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) أي استعملوا بعض  
 أخبار يوسف وأخيه بنيامين فان حالهما مجهولة وخفة بخلاف حال روبيل (ولا تيأسوا من روح الله)  
 أي لا تغتبطوا من فرج الله وفضله وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بضم الراء أي من رحمته (انه لا يأس  
 من روح الله الا القوم الكافرون) لان اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل الا اذا اعتقد الانسان ان  
 الاله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر  
 فثبت ان اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا أي فقبلوا من أبيهم تلك الوصية فعادوا الى مصر مرة ثالثة  
 (فلما دخلوا عليه) أي يوسف (قالوا يا أيها العزيز) أي الملك القادر القوي (مسنأوا ههنا الضر) أي  
 أصابنا ومن تركناهم ورائنا الهزال من شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي بدراهم رديئة لا تقبل  
 في ثمن الطعام وتقبل فيما بين الناس (فأوف لنا الكيل) أي أتمم لنا كما تكتمل لنا بالدراهم الجياد (وتصدق  
 علينا) بالمساخمة عن ما بين الثمين (ان الله يجزي المتصدقين) في الدنيا والآخرة وروى انه لم قالوا  
 ذلك وتضرعوا اليه أغرورقت عيناه فعند ذلك (قال) محبيهما عرضوا به من طلب رد أخيه بنيامين  
 (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أي ما أعظم ما أتيتهم من أمر يوسف وأخيه من تفريق يوسف من  
 أبيه وافراده عن أخيه لأبيه وأمه (اذ أنتم جاهلون) أي حال كونكم جاهلين عقي فعلكم ليوسف  
 من خلاصه من الجب وولايته السلطنة (قالوا) أي اخوته (أئنك لانت يوسف) قرأ ابن كثير  
 انك على لفظ الحسبر وقرأ نافع أثنك بفتح الالف غير مدودة وبالياء وقرأ أبو عمرو وأينك بعد الالف وهو  
 رواية قالون عن نافع والباقر أثنك بهمزتين وكل ذلك على الاستفهام لانهم فهموا من لحوى كلامه عليه  
 السلام أو من ابصار ثناياه وقت تبسمه عند تكلمه بذلك وقال من قرأ على الخبر ان الاخوة لم يعرفوا يوسف  
 حتى رفع التاج عن رأسه فقرأوا في فرقه علامة تشبه الشامة البيضاء كما كان ليعقوب واسحق مثل ذلك فلما  
 عرفوه بتلك العلامة قالوا ذلك (قال) جوابا لسؤالهم (أنا يوسف وهذا) أي بنيامين (أخي) أي شقيق  
 (قدم من الله علينا) بالجمع مع بيننا بعد التفرقة وبكل عز ولم يقل عليه السلام في الجواب هو أنا بل صرح  
 بالاسم تعظيما لما نزل به عليه السلام من ظلم اخوته وما عوضه الله من النصر والملك فكانه قال أنا يوسف  
 الذي علمتموني على أعظم الوجوه وأنا العاجز الذي قصدتم قتله والله تعالى أوصلني الى أعظم المناصب  
 كما ترون فكان في اظهار الاسم هذه المعاني ولهذا قال وهذا أخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده عليه  
 السلام ان يقول وهذا أيضا مظلوم ثم صار هو منعم عليه من الله تعالى كما ترون (انه) أي الشأن والمحدث  
 (من يتق) معاصي الله (ويصبر) على أذى الناس والمحن (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) ويقوم  
 الظاهر مقام الضمير لا شتماله على النعتين اللذين هما التقوى والصبر (قالوا والله لقد آثرك الله) أي  
 فضلك الله (علينا) بالعلم والحلم والحسن والعقل والملك (وان كنا) أي وان الشأن كنا (لخاطئين)  
 أي لمتعمدين في الاثم فهم اعتمدوا منه وتابوا (قال لا تريب عليكم اليوم) خبر بان أي اني حكمت في  
 هذا اليوم بان لا توجب مطلقا وتقدير الكلام اليوم حكمت بهذا الحكم العام المتناول لكل الاوقات لان

لا تريب نفي للماهية فيقتضي انتفاء جميعه أفراد الماهية فذلك مفيد للنفي المشتمل لكل الاوقات (يغفر الله لكم) ما كان منكم (وهو أرحم الراحمين) يغفر الصغار والكبار أي لما بين يوسف لهم أنه أزال عنهم ملامة الدنيا بعد اليوم طلب من الله أن يرزق عنهم عقاب الآخرة وروى أن اخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا اليه انك تفضلنا في مائدتك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما صدر منا من الاساءة اليك فقال يوسف عليه السلام ان أهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ايبس بعشرين درهما ولقد شرفت الآن باتيانكم وعظمت في العيون لما علم الناس انكم اخوتي واتي من حفدة ابراهيم عليه السلام فقال يوسف (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت) الى (بصير او أتوني بأهلكم أجمعين) من النساء والذراى والموالى وكانوا نحو سبعين انسانا وحمل القميص يهوذا وقال أنا حزنته بعمل القميص ملطخا بالدم اليه فأفرحه كما حزنته لحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهم ماسيرة ثمانين فرسخا (ولما فصلت العير) أي خرجت الابل التي عليها الاحمال لاخوة يوسف من العريش وهى قرية بين مصر وكنعان (قال أبوهم) يعقوب ابن حضر عنده من أولاد بنيه وقرابته (انى لأجد ريح يوسف) أى انى لاشم ريح الجنة من قيص يوسف (لولا أن تغفدون) أى لولا ان تنسبونى الى الحرف وفساد الرأى من هرم لصدقتمونى والتحقيق أن يقال انه تعالى أوصل تلك الراحة الى سيدنا يعقوب على سبيل اظهار المعجزات لان وصول الراحة اليه من المسافة البعيدة ثمانية أيام مثلاً امر مناهض للعادة فيكون معجزته (قالوا) أى الحاضرون عنده (تالله انك لنقى ضلالك القديم) أى لنقى حبل الاول ليوسف لا تنساه ولا تذهل عنه وكان يوسف عندهم قدمات (فلما أن جاء البشير) وهو يهوذا بالقميص (ألقاه على وجهه) أى ألقى البشير القميص على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) أى فصار يعقوب بصير العظم فرحه (قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وان دروا به صدق وان الله يجمع بيننا (قالوا) اعتذارا عما حصل منهم (يا أبانا الاستغفر لنادونا) أى اطلب لنا من الله غفراننا (انا كنا خاطئين) أى متعمدين للانشم فى أمر يوسف (قال سوف أستغفر لكم ربى) أى أدعوا لكم ربى ليلة الجمعة وقت السحر (انه هو الغفور الرحيم) فقام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عليه واغفر لاولادى ما فعلوه فى حق يوسف فأوحى الله تعالى اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين روى أن يوسف عليه السلام ووجهه الى أبيه جهازا ومائتى راحلة مع اخوته ليهأتوا جميع أهله الى مصر وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام ست مائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ومائتى ألف فقد بورك فيهم كثيرا حتى بلغوا هذا العدد فى مدة موسى مع أن بينه وبين يوسف أربع مائة سنة فخرج يوسف فى أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خبز وقصب فترينت الصحراء بهم واصطفوا صفا والمصعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته ونظر الى الصحراء ملوثة بالفرسان مزينة بالالوان فنظر اليهم متعجبا فقال جبريل اقظروا الى الهواء فان الملائكة قد حضرت سرورا يحملونكم وكانوا يابسون محزونين مدة لاجلك وهاجت الفرسان بعصمهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضربت بالطبول والبوقات فصارا اليوم كأنه يوم القيامة وكان دخولهم فى مصر يوم عاشوراء (فلما دخلوا على يوسف) فى محل ضرب فيه يوسف خيامه حين خرج من مصر لتلقى أبيه (أوى اليه أبويه) أى ضم يوسف اليه أباه وخالاته واعتنقهما فان أمه ماتت فى النفاس

بأخيه بنيامين فعني بنيامين بالعرانية ابن الوجد ولما ماتت أمه تزوج أبوه بخالته فان الزابة تدهى أما  
 (وقال) أي يوسف لجميع أهله (ادخلوا مصر) للقامة بها (ان شاء الله آمين) على أنفسكم  
 وأموالكم وأهلكم لاتخافون أحدا وكنوا فيمما سلف يخافون ملوك مصر (ورفع أبويه على العرش)  
 أي لما نزلوا في مصر أجلس يوسف أباه وخالته معه في السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه (وخر واله  
 سجدا) أي وخر والله سجدا شكرا لاجل يوسف واجتماعهم به وكان يوسف كالقبلة لهم كما سجدت  
 الملائكة لآدم فان الله أمر يعقوب بالسجود لحكمة خفية وذلك لان اخوة يوسف ربما حملهم التكبر عن  
 السجود على سبيل التواضع لاعلى سبيل العبادة ويوسف لم يكن راضيا بذلك السجود في قلبه لكن لما علم  
 ان الله أمر يعقوب بذلك سكنت ولان يعقوب علم أنهم لم يفعلوا ذلك لظهر الفتر والاحقاد القديمة بعد  
 كونها فالسجود لوال الاستعلاء والنفرة عن قلوبهم وذلك جاز في ذلك الزمان فلما جاءت هذه الشريعة  
 نسخت هذه الفعلة ويقال كان سجدوا لهم تحيتهم فيما بينهم كهية الركوع مخوف على الاحاجم (وقال)  
 أي يوسف (يا أبت هذه أويل رؤياي من قبل) أي هذا السجود تصديق رؤياي الكائنة من قبل  
 المناسبات التي وقعت فكان يوسف يقول يا أبت لا يليق بمثلك على جلالتك في العلم والدين والنبوة أن  
 تسجد لولدك الا أن هذا أمر أمرت به فان رؤيا الانبياء حق وذلك قوله تعالى حكاية عن قول يوسف (قد  
 جعلها ربي حقا) وكأنه قيل ليعقوب انك كنت دائم الرغبة في وصال يوسف ودائم الحزن بسبب فراقه  
 فاذا وجدته فامجد له فكان الامر بذلك السجود من تمام التشديد من الله تعالى على يعقوب عليه السلام  
 قال سلمان كان بين رؤياه وتأويلها أربعون عاما (وقد أحسن بي) أي وقد لطف بي بحسن الخالي (اذ  
 أخرجني من السجن) اغاذ كراخراجه من السجن ولم يذكر اخراجه من الحب لثلاثين اخوته ولان  
 خروجه من السجن كان سببا لصبر ورته ملكا ولو صوله الى أبيه واخوته ولوال التهمة عنه وكان ذلك  
 من أعظم نعمه تعالى عليه (وجاء بكم من البدو) أي من البادية وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية  
 فسكنوا البادية وقال علي بن طلحة أي من فلسطين (من بعد أن زغ الشيطان بيني وبين اخوتي) أي  
 من بعد أن أفسد الشيطان بيننا بالحسد (ان ربي لطيف لما يشاء) أي مدبر لما يشاء من خفايا الامور  
 فاذا أراد الله حصول شيء سهل أسبابه لمحصل وان كان في غاية البعد عن الحصول عند العقول (انه هو  
 العليم) بالوجه الذي يسهل تحصيل ذلك الصعب (الحكيم) أي المحكم في فعله مبرا عن العبث والباطل  
 وروى أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعين سنة فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن  
 يحمل جسده الى الشام ويدفنه عند قبر أبيه امهق فلما مات بمصر حمله يوسف وجعله في تابوت من ساج  
 فوافق ذلك موت عيص أخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة  
 وسبعة وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه رجع الى مصر وحاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره  
 وعلم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله حسن العاقبة فقال (رب قد أتيتني من الملك) أي بعضا منه وهو  
 ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) أي بعضا من تعبیر الرؤيا (فاطرا السهوات والارض) أي  
 يا خالقهما (أنت وليي) أي أنت الذي تتولى اصلاح جميع مهماتي (في الدنيا والآخرة توفني مسلما)  
 دعا يوسف بذلك مع علمه بأن كل نبي لا يموت الا مسلما اظهرا لعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب  
 سعادة الخاتمة وتعليم الغير والمطلوب ههنا كمال حال المسلم وهو أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر  
 قلبه على ذلك المستسلام ويرضى بقضاء الله وقدره ويكون مطمئن النفس منشرح الصدر منفتح القلب

في ذلك وهذه الحالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر (والحقني بالصالحين) أي بآبائي المرسلين  
 ابراهيم واسماعيل وامحق ويعقوب في ثوابهم ودرجاتهم في الجنة ولد ليوسف أفرام وميشاو ولد لأفرام  
 نون وولد لنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالة مصر بعد يوسف ولم يزل  
 بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام (ذلك)  
 أي خبر يوسف واخوته (من أنباء الغيب) الذي لا يحوم حوله أحد (توحيه ليلاً وما كنت لديهم)  
 أي عند اخوة يوسف (إذا جمعوا أمرهم) أي حين عزموه على القاتل يوسف في غيابة الجب (وهم  
 يكررون) أي والحال انهم يحتالون بيوسف ويريدون بذلك قتل يوسف أي ذلك الخبر لا سيبل الى  
 معرفتك اياه الا بالوحى وأما ما ينقله أهل الكتاب فليس على ما هو عليه ومثل هذا التحقيق بلا وحى  
 لا يتصور الا بالحضور فيكون مهزلاً لا محمد لم يطالع الكتب ولم يأخذ عن أحد من البشر وما كانت بلده  
 بلداً للماء فاتيانه بهذه القصة على وجه لم يقع فيها غلط كيف لا يكون مهزلاً (وما أكثر الناس) وهم  
 قريش واليهود (ولو حرصت) أي بالغت في طلب ايمانهم باظهار الآيات الدالة على صدقك (بمؤمنين)  
 لا صرارهم على العناد روى أن اليهود وقرىشاً سألوا عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم  
 بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حز النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (وما تسألهم عليه) أي  
 على تبليغ الانباء التي أوحينا اليك (من أجر) كما يفعله حملة الاخبار (ان هو) أي القرآن الذي  
 أوحينا اليك (الاذكر للعالمين) عامة أي عظة من الله تعالى لهم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد  
 والتكاليف والقصاص فان الوعظ العام ينافي أخذ الاجر من البعض وهذا القرآن مشتمل على هذه  
 المنافع العظيمة ولا تطلب منهم ما لا فلو كانوا عقلاء لقبولوا منك (وكان من آية) أي وكمن عدد شئت  
 من العلامات الدالة على وجود الصانع و وحدته وكمال قدرته وعلمه وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها  
 كائنة (في السموات والارض) من الاجرام الفلكية وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في  
 الارض من العجائب (يعرون عليها) أي يشاهدونها ولا يتأملون فيها وقرى برفع والارض على الابتداء  
 ويعرون عليها خبره وقرأ السدى بنصبها على معنى ويطؤون الارض (وهم عنها) أي الآية (معرضون)  
 أي غير متفكرين فيها فلا عجب اذا لم يتأملوا في الدلائل الدالة على نبوتك يا أشرف الخلق (وما يؤمن  
 أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي لا يؤمن أكثرهم بوجود الله الا في حال شركهم فالكافرون  
 مقرون بوجود الله لكنهم يشبهون له شريكاً في المعبودية وعن ابن عباس ان أهل مكة قالوا الله ربنا و  
 لا شريك له والملائكة بناته وقال عبدة الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاء عنده وقالت اليهود  
 ربنا الله وحده وعزير بن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله وقال عبدة  
 الشمس والقمر ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وكل من هؤلاء لم يوجدوا بل أشركوا وقال المهاجرون  
 والانصار ربنا الله وحده ولا شريك معه (أفأمنوا) أي أهل مكة (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله)  
 أي أفلم يخافوا أن تأتيهم في الدنيا عقوبة تشلهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة من غير سبق علامة  
 (وهم لا يشعرون) باتيانها غير مستعدين لها (قل) يا أشرف الخلق لا هل مكة (هذه) أي الدعوة  
 الى التوحيد والايمان بالاخلاص (سبيلى) أي ديني (أدعوا الى الله) بهذا الدين (على بصيرة)  
 أي حجة واضحة (أنا ومن اتبعن) فادعوا ما مستأنف أحوال من الياء وعلى بصيرة اما حال من فاعل  
 أدعوا ومن الياء وأنا لما توكيد للمستكن في أدعوا وفي على بصيرة ومن اتبعن عطف على فاعل أدعوا وقال

صلى الله عليه وسلم العلماء آمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون لما يدعونهم اليه (وصحان الله) أى وأسبح سبحان الله (وما أنا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله ضدًا وولدا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) وهذا رد على أهل مكة حيث أنكروا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هلا بعث الله ملسكا والمعنى كيف يتعجبون من ارسالنا اليك مع ان سائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك ولم يبعث الله رسولا من أهل البادية قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل وقرأ حفص عن عاصم نوحى بالنون مبنيا للفاعل والباقون بالياء مبنيا للفعول (أفلم يسروا) أى أهل مكة (فى الارض فيمنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى كيف صار آخر أمر المكذبين للرسل والآيات عن قبلهم فيعتبروا بما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة) أى الجنة (خير للذين اتقوا) معاصى الله (أفلا تعقلون) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لأهل مكة والباقون على الغيبة (حتى اذا استيأس الرسل) أى لا يفررهم عبادهم فيمأهم فيه من الراحة والرخاء فان من قبلهم أمهلوا حتى آيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ عاصم وحزرة والسكاسى بتخفيف الذال المكسورة والمعنى وظن القوم أن الرسل أخلفوا في وعدهم بالنصر أى أخلف الله وعده لرسلمهم بالنصر وقرأ الباقر بالتشديد والمعنى وظن الرسل أنهم قد كذبهم الامم الذين آمنوا بهم بما جاؤا به من الله وهذا التأويل منقول عن عائشة رضى الله عنها وهو أحسن الوجوه وقالت ان البلاء لم يرل من الانبياء حتى خافوا من أن يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم (جاءهم نصرنا) لهم بهلاك أعدائهم (فنجى من نشاء) هم الرسل والمؤمنون بهم وقرأ ابن عامر وعاصم بنون واحدة فعل ماض مبنى للفعول والباقون بنونين الثانية ساكنة وبسكون الياء فعل مضارع (ولا يرد بأسنا) أى عذابنا (عن القوم المجرمين) أى المشركين اذا نزل بهم (لقد كان فى قصصهم) بفتح القاف أى قصص يوسف واخوته وأبيه عليهم السلام وقرئ بكسر القاف أى قصص الانبياء وأهمهم (عبرة) أى عظة عظيمة (لاولى الالباب) أى لذوى العقول الذين انتفعوا بجمع رقتها (ماكان) أى هذا القرآن فقد تقدم ذكره فى قوله تعالى انا أنزلنا قرآنا عربيا (حديثا يفتري) فلا يصح من محمد ان يخلق فيه ولا يصح الكذب من القرآن فليس يكذب فى نفسه (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى وليكن كان القرآن مصدق الكتب التى قبله (وتفصيل كل شىء) أى ومبين بين الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدين (وهدى) فى الدنيا من الضلالة (ورحمة) أى سببا للحصول الرحمة من العذاب يوم القيامة (لقوم يؤمنون) أى يصدقونه فانه المنتفعون به

﴿سورة الرعد مكية الايتين فهما مدنيان وهما قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا قارعة الآية وقوله تعالى ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب وقيل مدنية سوى قوله تعالى ولوان قرآناسيرت به الجبال الايتين وآياتها خمس وأربعون وكلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون ومرفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم المر) اسم للسورة أى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وقال ابن عباس فى رواية عطاء معناه أنا الله الملك الرحمن وقال فى رواية غيره أنا الله أعلم وأرى ما تعملون وتقولون (تلك) أى آيات السورة المسماة بالمر (آيات الكتاب) أى الكتاب العظيم الكامل (والذى أنزل اليسل من ربك)

وهو القرآن (الحق) أى هو المطابق للواقع فى كل ما نطق به (ولكن أكثر الناس) أى مشركى مكة (لا يؤمنون) بالقرآن لاخلالهم بالنظر (الله الذى رفع السموات بغير عمد) أى بغير دعائم (ترونها) كلام مستأنف وحال من السموات أى وأنتم ترون السموات مرفوعة بلا عمد أو صفة لعدم والمعنى ان الله رفع السموات بغير عمد مرئية لكم من العيون بل لها عمد غير مرئية وهى قدرة الله تعالى أى اغما بقيت السموات واقفة فى الجوالعالى بقدرة الله تعالى (ثم استوى على العرش) أى استولى الله على العرش بالحفظ والتدبير وظهر تصرفه فى هذه الاشياء بعد خلق السموات ويقال السلطان للملك اذا استقام أمره انه استوى على عرشه أى مريره الذى يجلس عليه فالاستواء على العرش كناية عن جريان التدبير والحكم (ومنخر الشمس والقمر) أى وذلكلهم المنافع الخلق (كل) منهما (يجرى) فى فلكه حسب ما أريد منهما (لأجل مسمى) لمدة معينة فيها تتم دورته قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وذلك يتم فى ستة أشهر ثم أنها تعود مرة أخرى الى واحد منها فى ستة أشهر أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا فالله تعالى قدر لكل واحد منهما سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء فلزم ان يكون لهما بحسب كل لحظة حالة أخرى لم تكن حاصلة قبل ذلك (يدبر الامر) أى يدبر أمر الخلق بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة والاعناء والافقار وازال الوحي وبعثة الرسل وتكليف العباد (يفصل الآيات) أى يحدث الله بعض الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته عقب بعض على سبيل التمييز والتفصيل (لعلكم يلقاهم بكم توفقون) أى لكي تصدقوا بالبعث بعد الموت فهذه الدلائل المذكورة كما تدل على وجود الصانع تدل على صحة القول بالحشر والنشر لان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها على كثرتها فلان يقدر على النشر والحشر أولى ويرى ان رجلا قال لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه كيف يحاسب الله الخلق دفعة واحدة فقال كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسمع نداهم ويحيي دعاءهم الآن دفعة واحدة (وهو الذى مد الارض) أى بسطها طولا وعرضا على الماء (وجعل فيها) أى الارض (روامى) أى جبالا ثوابت أو تادها (وأنهارا) أى مجارى للماء واسعة لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها رزقا وجنات) أى وجعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة فى الدنيا صنفين اما فى اللون كالابيض والأسود أو فى الطعم كالخلو والحامض أو فى القدر كالكبير والصغير أو فى الكيفية كالخار والبارد وما أشبه ذلك (يغشى الليل والنهار) أى يستر النهار بالليل (ان فى ذلك) المذكور من مد الارض وابتادها بالروامى واجراء الأنهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار (آيات) دالة على وحدانية الله تعالى (لقوم يتفكرون) فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب (وفى الأرض قطع) أى بقاع مختلفة فى الأوصاف (متجاورات) أى متقاربات فمنها أرض سبخة رديئة ويحجبها أرض عذبة جيدة ومنها صلبة وبقر بها رخوة الى غير ذلك والاختلاف من دلائل قدرته تعالى (وجنات) أى بساتين (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) أى تثبت من أصل واحد ثلاث فخلات فأكثر أى مجتمع أصول الاربعة مثلا فى أصل واحد (وغير صنوان) أى هو مفترق أصولها واحدة واحدة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان كلها بالرفع عطفًا على قوله رجنات والباقيون بالجر عطفًا على أعناب وقرأ حفص عن عاصم فى رواية القواس صنوان بضم الصاد والباقيون بكسرها (يسقى بماء واحد) فى الطبع سواء كان السقى بماء الامطار أو بماء الأنهار قرأ عاصم وابن عامر يسقى بالياء أى كل المذكور



من القطع وما بعده والباقون بالتاء أى جنات (ونفضل بعضها) أى الجنات (على بعض فى الاكل)  
بضم الهزة أى فى المهيأ للاكل طعاما وشكلا ورائحة وحلاوة وحموضة ولونا وقدرًا ونفعًا وضرا وقرأ حمزة  
والكسافى يفضل بالياء عطفًا على يدبر والباقون بالنون (ان فى ذلك) أى المفصل من أحوال القطع  
والجنات (آيات) أى دلالات كثيرة ظاهرة (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى التدبر  
(وان تهيب فتهيب قولهم أنذا كننا زمانًا أننا فى خلق جديد) أى وان تهيب يا كرم الخلق من تكذيبهم  
اياك بعدما كانوا قد حكموا عليك اذك من الصادقين لتحقيق بالهيب قولهم أنعاد خلقًا جديدًا بعد الموت  
وبعد أن صرنا زمانًا باوفينا الروح كما كنا قبل الموت فانهم عرفوا ان الله على كل شئ قدير فمن كانت قدرته  
وافية بهذه الاشياء العظيمة كيف لا تكون وافية باعادة الانسان بعد موته لان القادر على الاقوى قادر  
على الاضعف بالاولى (أولئك) أى المنكرون لقدرة تعالى على البعث بعدما عاينوا الآيات الباهرة  
(الذين كفروا برهم) لانهم أنكروا قدرته وعلمه وصدقته فى خبره (وأولئك) أى أهل الكفر  
(الاغلال فى أعناقهم) يوم القيامة (وأولئك) أى أهل الاغلال (أصحاب النار) أى سكان النار  
(هم فيها) أى النار (خالدون) لا ينفكون عنها (ويستجلبونك) استهزاء منهم (بالسيئة) أى  
بنزول العذاب عليهم (قبل الحسنة) أى قبل طلب الاحسان اليهم بالامهال وذلك ان النبى صلى الله  
عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا فكلماهم بهددهم بعذاب القيامة أنكروا  
البعث والجزاء وكلماهم بهددهم بعذاب الدنيا قالوا له استهزاء بانذاره فحسبنا هذا العذاب (وقد خلت من  
قبلهم المثالات) أى والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين فقالهم لا يعتبرون  
بها (وان ربك لذو مغفرة للناس) أى لذو امهال لهم وتأخير للعذاب منهم (على ظلمهم) أى حال  
كونهم ظالمين أنفسهم بالمعاصى (وان ربك لشديد العقاب) فيعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير  
ما يستجلبونه ليس للامهال (ويقول الذين كفروا) وهم المستجلبون بالعذاب أيضا (لولا أنزل عليه آية  
من ربه) أى قالوا عند ادائه لا أنزل على محمد من ربه علامة لنبوته كما أنزل على موسى وعيسى عليه  
السلام قال تعالى له صلى الله عليه وسلم ازالة لرغبته فى حصول مقترحاتهم (انما أنت منذر) أى انما  
أنت يا أشرف الخلق رسول مخوف من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون ولا حاجة الى الزامهم باتيان ما  
اقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) أى نبى مخصوص له هداية مخصوصة فلما كان الغالب فى زمان  
موسى هو السحر جعل مجهزته من جنس ذلك وهو العصا واليدولما كان الغالب فى أيام عيسى الطبع جعل  
مجهزته ما كان من جنس ذلك وهو احياء الموتى وبراءة الاكهم والابرص ولما كان الغالب فى أيام الرسول  
صلى الله عليه وسلم الفصاحة جعل مجهزته ما كان لا تقايد ذلك الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب  
لم يؤمنوا بهذه المجهزة مع كونها أليق بطباعهم فبان لا يؤمنوا عند انظار سائر المجهزات اولى (الله يعلم ما  
تحمل كل أنثى) من حين العلوق الى زمن الولادة من أى شئ تحمل وعلى أى حال (وما تغيض الارحام  
وما تزداد) أى فى عدد الولد واحد واثنين وثلاثة وأربعة وفى جنسه فقد يكون الولد مخدجا وتامو فى مدة ولادته  
فقد يكون مدة الحمل تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند أبى حنيفة وإلى أربعة سنين عند الشافعى وإلى  
خمس عند مالك (وكل شئ) من الاشياء (عنده) أى فى علمه تعالى (بمقدار) أى بحد لا يجاوز  
ولا ينقص عنه (هالم الغيب) أى ما خاب عن العباد (والشهادة) أى ما علمه العباد (الكبير) أى  
العظيم الذى يصغر غيره بالنسبة الى كبريائه (المتعال) أى المتزه عن كل ما لا يجوز عليه فى ذاته (سواء

منكم من أسرار القول) في نفسه فلم يظهره على أحد (ومن جهريه) أي أظهره لغيره وقال ابن عباس أي سواء ما أضرته القلوب وأظهرته اللسنة (ومن هو مستخفي) أي مستتر (بالإيصال وسارب) أي بارز يراه كل أحد (بالنهار) وقال مجاهد أي وسواء من أقدم على القبائح سرافى ظلمات الليل ومن أتى بها ظاهراً بالنهار أي فإن علمه تعالى محيط بالكل (له) أي لسكل عن أسرار وجهه والمستخفي والسارب أول عالم الغيب والشهادة (معقبان) أي ملائكة حفظة يعقب بعضهم بعضاً في الحجى إلى من ذكر ويعقبون أقواله وأفعاله بالكتب (من بين يديه ومن خلفه) أي يحيطون به من ذكر فيعدون عليه أعماله وأقواله ولا يشذ من حفظهم أيها شيء أصلاً (يحفظونه) أي من ذكر (من أمر الله) أي من بأس الله حين أذن بالاستهال أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله وقد قرئ به أو بسبب أمر الله كما تدل له قراءة على وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة بأمر الله (إن الله لا يغير ما بقوم) من أمن ونعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بترك الشكر (وإذا أراد الله بقوم سوءاً) أي هلاكاً (فلا مرد له) أي لم تغض المعقبات شيئاً فلا راد لعذاب الله ولا ناقض لحكمه (وما لهم من دونه) أي من غير الله (من وال) أي مانع من عذاب الله الذي أوداهم بتغيير ما بهم (هو الذي ير يك البرق) وهو لمعان يظهر من خلال السحاب (خوفاً) أي خائفين من وقوع الصواعق (وطمعاً) أي وطامعين في نزول الغيث أو ذا خوف لمن له فيه المطر ضرر كالسافر. ولكن يجفف الثمر والزبيب والقمع وذات طمع لمن له فيه نفع كالحرث (وينشئ السحاب) أي ويرفع الغمام المنسحب في الجو (الثقال) بالماء (ويسبح الرعد بحمده) قيل الرعد اسم ملك موكل بالسحاب والصوت المسموع لنا هو صوته بالتسبيح وقيل هو صوت الآلة الذي يتولد عند ضرب السحاب بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق أي آلات من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذي نسمع قال زجر السحاب ويقال الرعد صوت السحاب وتسبيحه هو دلالة الله على وحدانيته الله تعالى وفضله المستلزم لحده (والملائكة من خيفته) أي وتسبح جميع الملائكة من هيبة الله تعالى وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يؤمر وأنه يحوز الماء في نقرة إبهامه وأنه يسبح الله تعالى فإذا سمع لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر (ويرسل الصواعق) وهي نيران تنشأ من السحاب (فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله) أي في شأن الله (وهو شديد المحال) أي العقاب نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أخى لبيد بن ربيعة فأنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم بخاصهانه ويريدان القتل به صلى الله عليه وسلم فقال أريد أخو لبيد أخبرنا عن ربنا أمن فها هو أم من حديد فلما رجع أرسل الله عليه صاعقة في يوم مصوصائف فأحرقته ورمى عامر ابغدة كغدة البعير فأتت على ظهر فرسه وعن الحسن أنه قال كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم نغرا يدعونه إلى الله تعالى ورسوله فقال لهم أخبروني من رب محمد هذا الذي تدعونني إليه فهل هو من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من فها هو فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً تكفر قلباً ولا أعنى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فرجعوا إليه فقال أجيب محمداً إلى رب لا أراه ولا أعرفه فرجعوا إليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته إلا ولي بل أخبث منها فقال صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما هم عنده ينازعونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق

الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا  
احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويرسل الصواعق  
الخ (له دعوة الحق) أي الله الدعوة المطابقة للواقع حيث جعلها افتتاح الاسلام بحيث لا يقبل بدونها  
وهي شهادة أن لا إله الا الله وهي كلمة الاخلاص (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا  
كاسط كفيه الى الماء) أي والاصنام الذين يعبدونهم الكفار من غير الله لا يستجيبون لهم بشيء من  
طلباتهم الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد (ليبلغ فاه وما هو ببالغه) أي ليلبلغ  
الماء بنفسه من غير أن يغترف الى فيه وما الماء ببالغ فيه أبدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا يبسط يده  
اليه فكلا لا يبلغ الماء في هذا الرجل العطشان كذلك لا تنفع الاصنام من عبدها (ومادها الكافرين  
الا في ضلال) أي وما عبادة الكافرين الا في ضياع لا منفعة فيها لانهم ان عبدوا الاصنام لم يقدر واعلى  
نفعهم وان عبدوا الله لم يقبل منهم لا شرا كهم (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) أي  
ولله يعبد من في السموات ومن في الارض من الملائكة وبعض المؤمنين من الثقلين حال كونهم طائعين  
بسهولة ونشاط وحال كونهم كارهين للعبادة بمشقة لصعوبة ذلك على بعض المؤمنين (وظلالهم بالغدو  
والآصال) أي ولله يسجد ظلال من يسجد غدوة عن ايمانهم وعشية عن شمالكهم (قل) يا اشرف  
الخلق لقومك (من رب السموات والارض قل الله) أمر الله رسوله بهذا الجواب اشعارا بأنه متعين  
للجوابية وبأنهم لا ينكرونه البتة ثم ألزمهم الحجة فقال (قل أفأتخذتم من دونه أولياء) أي أبعد اقراركم  
هذا عبدتم من غير الله أربابا (لا يملكون لأنفسهم نفعا) يستجلبونه (ولا ضرا) يدفعونه عن أنفسهم  
فبالأولى أن يكونوا عاجزين عن تحصيل المنفعة للغير ودفع المضره عن الغير فاذعجزوا عن ذلك كانت  
عبادتهم محض العبث والسفه (قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) أي  
قل لهم هل يستوى الجاهل بمسحق العبادة والعالم بذلك وهل يستوى الجهل بالحجة والعلم بها (أم جعلوا  
لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أي بل أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم  
بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها أي هذه الاشياء التي زعموا انها  
شركاء لله ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى يقولوا انها تشارك الله في كونها خالقة فوجب أن تشاركه في  
الالوهية واستحقاق العبادة بل هؤلاء المشركون يعلمون بالضرورة ان هذه الاصنام لم يصدر عنها فعل البتة  
واذا كان الامر كذلك كان حكمهم بكونها شركاء لله في الالوهية محض الجهل (قل الله خالق كل شيء)  
فلا شريك له في الخلق فلا يشاركه في استحقاق العبادة أحد (وهو الواحد) أي المتفرد بالالوهية  
(القهار) لكل ما سواه (أنزل من السماء) أي من جهتها (ماء فسال) بذلك الماء (أودية) أي  
أنهار (بقدرها) من الماء فان صغرا وادى قل الماء وان اتسع الوادي كثر الماء (فاحتل السيل)  
أي الجاري (زيدا) أي غثاء (رابيا) أي منتفخا فوق الماء (ومما يوقدون عليه في النار) أي من  
الجواهر كالكحل والذهب والفضة (ابتغاء حلية أو متاع) أي لطلب اتخاذ زينة أو اتخاذ متاع  
كالأواني (زيد) أي خبث (مثله) أي مثل وسخ الماء في أن كلامهما شيء من الأكدار (كذلك)  
أي مثل هذا التبيين الامور الأربعة الماء والجوهر والزيد (يضرب الله الحق والباطل) أي يبين  
الله مثل الايمان والكفر (فأما الزيد) من الماء والجوهر (فيذهب جفاء) أي يرميه الماء الى الساحل  
ويرميه الكبير (وأما ما ينفع الناس) من الماء الصافي والغليظ الخالص (فيكث في الارض) قالما

يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والآبار والفلز يصاغ من بعضه انواع  
الحلى ويتخذ من بعضه اصناف الآلات فينتفع بكل من ذلك مدة طويلة والحاصل أن القرآن شبه بالماء  
فإنه أنزل من ماء الكبرياء والاحسان وشبهت القلوب المنورة بالآودية لان القلوب تستقر فيها أنوار  
علوم القرآن كما أن الآودية تستقر فيها الماء فيحصل في كل قلب من أنوار علوم القرآن ما يليق به من قوة  
فهمه وقصوره كما يحصل في كل واد من مياه الأمطار ما يليق به من سعته وضيقة وكما أن الماء يعلوه ضرر  
والفلز يخالطه خبث ثم أن ذلك يذهب ويبقى الخالص منه كذلك بيانات القرآن تختلط بها شبهات ثم تزول  
 ويبقى العلم والدين في الآخر وشبهت القلوب المظلمة بالسيل أي فاحتملت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها  
بالتور واحتملت القلوب المظلمة باطلا كثيرا بها (كذلك) أي مثل ذلك الضرب العجيب (يضرب  
الله الامثال) أي بين الله أمثال الحق والباطل فيجعلها في غاية الوضوح (للذين استجابوا لربهم  
الحسن) أي للذين أجابوا ربهم الى ما دعاهم اليه من التوحيد والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله  
المنفعة الدائمة الخالصة عن شوائب المضرة المقررة بالايجال وهي الجنة (والذين لم يستجيبوا له لو أن ما لهم  
ما في الارض جميعا ومثله معه لافترقوا به) أي والاشقياء الذين عاندوا الحق الجلي لو أن لهم ما في الارض  
من اصناف الاموال جميعا لجعلوا ما في الارض ومثله فداء أنفسهم من العذاب لان محبوب كل انسان ذاته  
فاذا كانت في ضرر وكان ما كالسكل شيء فإنه يرضى أن يجعل جميع ملكه فداء لها لانه حب ما سواها  
ليكون وسيلة الى مصالحها (أولئك لهم سوء الحساب) بأن يحاسبوا بكل ذنب فلا يغفر منه شيء  
(ومأواهم جهنم وبئس المهاد) أي المستقر هي (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كن هو أم هي) أي  
أفمن يعلم أن القرآن الذي مثل بالماء النازل من السماء وبالأبرير الخالص في المنفعة هو الحق كن لا يعلم  
(انما يتذكر أولوا الالباب) أي انما يتعظ بالقرآن ويتنفع بهذه الامثلة وذو العقول الذين يطلبون من  
كل صورة معناها (الذين يوفون بعهد الله) أي بما كلف الله العبد به فيدخل فيه الاتيان بجميع  
الامورات والوفاء بالعقود في المعاملات وأداء الامانات (ولا ينقضن الميثاق) وهو ما التزمه العبد من  
انواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)  
وهو رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد فيدخل فيه صلة الرحم والقربة الثابتة بسبب اخوة الايمان  
وعيادة المريض وشهود الجنائز واقشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الاذى عنهم  
ويدخل في العباد كل حيوان حتى الدجاجة والهريرة (ويخشون ربهم) والخشية نوطان خوف من أن يقع  
خلل في طاعاته وخوف هيبته وان كان العبد في عين طاعته (ويخافون سوء الحساب) فيحاسبون  
أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على فعل العبادات وعلى تحمل الامراض والمضار والغموم  
وعلى ترك المشتبهات (ابتغاء وجه ربهم) أي طلب الرضا خاصة من غير أن ينظروا الى جانب الخلق  
رياء ومهجة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا فإما كان العاشق يرضى بضرب معشوقه لا للتذاذة بالنظر الى  
وجهه فكذلك العبد يرضى بالخدمة لاستغراقه في معرفة نور الله تعالى (وأقاموا الصلاة) وأفردها بالذكر  
تنبيهها على كونها أشرف من سائر العبادات ولا يمتنع ادخال النوافل فيها (وأنفقوا) نفقة واجبة  
ومندوبة (عمارزقناهم سرا) لمن لم يعرف بالمال أو ان لا يتهم بترك الزكاة أو عند اعطائه من تنفعه  
المروءة من أخذه ظاهرا أو في التطوق (وعلانية) لغير ذلك (ويدرون بالحسنة السيئة) أي يدفعون  
المعصية بالتوبة ولا يجازون الشر بالشر بل يجازون الشر بالخير (أولئك لهم عقي الدار) أي عاقبة

الدنيا و مرجع أهلها (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى يدخل  
جنات عدن المنعوتون بتلك النعوت الجليلة ومن آمن كما آمنوا من أصولهم وان علوا ذكورا كانوا أو  
أنثا ومن أزواجهم اللاتي متن في عصمتهم وذرياتهم وان لم يعمل مثل أعمالهم لان الله تعالى جعل من  
ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة وانما يلحق بهم من آمن من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم  
كرامة لهم وتعظيم الشأهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعت وقوله جنات عدن بيان لعقبى أو خبر  
مبتدأ مضمر (واللائكة يدخلون عليهم من كل باب) لكل واحد منهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة  
آلاف باب لكل باب مصراع من ذهب يدخل عليهم من كل باب ملائكة يقولون لهم (سلام عليكم) أى  
سلمكم الله دعاء لهم وبشارة بدوام السلاوة (بما صبرتم) متعلق بعليكم أو بمحذوف أى هذه الكرامة  
العظمى بسبب صبركم على الطاعات وترك المحرمات وعلى المحن (فنعلم عقبي الدار) أى نعم عاقبة الدار التي  
كنتم عملتم فيها هذه الكرامات التي ترونها (والذين ينقضون عهد الله) أى لا يعملون مقتضى الأدلة (من  
بعد ميثاقه) أى من بعد ان وثق الله تلك الأدلة أو المعنى يتركون فرائض الله من بعد توكيده (ويقطعون  
ما أمر الله به أن يوصل) أى ما أوجب الله وصله فيدخل فيه وصل الرسول بمعاونة دينه ووصل سائر من له  
حق (ويفسدون في الأرض) بالدعاء إلى غير دين الله وبالظلم في النفوس والأموال (أولئك) أى الموصوفون  
بالقبائح (لهم اللعنة) أى الأبعاد من خيري الدنيا والآخرة إلى نقمة (ولهم سوء الدار) أى سوء عاقبة  
الدنيا (الله ييسر الرزق) أى يوسع (لمن يشاء) من عباده (ويقدر) أى يعطى من يشاء منهم بقدر كفايته  
لا يفضل عنه شيء أى ان فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والايمان بل هو متعلق بمجرد مشيئته  
تعالى فقد يوسع على الكافر استدرجا ويضيق على المؤمن امتحانا للصبره وتكفيرا لذنوبه فالذي ادار  
امتحان (و فرحوا) أى فرح من بسط الله له رزقه من كفار مكة فرح بطر (بالحياة الدنيا) لا فرح سرور  
بفضل الله تعالى (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) أى انهم رضوا بحفظ الدنيا معرضين عن نعيم  
الآخرة والخسار انما بطروا به في مقابلة ما عرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاذ كمتاع البيت وزاد  
الراعى (ويقول الذين كفروا) أى أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أى هلا أنزل على محمد من ربه  
علامة انبؤته كما كانت للرسول الاولين (قل) لهؤلاء المعاندين (ان الله يفضل من يشاء) عن دينه  
(ويهدى اليه) أى يرشد الى دينه (من أناب) أى من أقبل اليه أى ما أعظم عنادكم في الآيات  
التي ظهرت على يد الرسول ان الله يفضل من كان على صفتكم من شدة الشكيمة على الكفر فلا سبيل الى  
اهتدائهم وان أنزلت عليهم كل آية طلبوها ويهدى اليه بأدنى آية جاء بها الرسول من كان على خلاف  
صفتكم (الذين آمنوا) بما جاء به الرسول (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أى بكلام الله أى ان علم  
المؤمنين بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من  
عند الله وان شكهم في انهم أتوا بالطاعات كاملة يوجب الوجل في قلوبهم (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)  
أى ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على الجسم الخماسي انقلب ذهبيا باقيا على كرا الا زمان فاكسير جلال  
الله تعالى اذا وقع في القلب أولى ان يقلبه جوهر اصافيا نورانيا لا يقبل التغيير (الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات طوبى لهم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة في الجنة غرسها الله  
بيده تنبت الحلى والحلل وان أغصانها ترى من وراء سور الجنة ويقال طوبى شجرة في الجنة ساقها من  
من ذهب وغرها من كل لون وثياب أهل الجنة تخرج من اكمامها فتنبت الحلى والحلل وأصلها في دار النبي

صلى الله عليه وسلم وأغصانها متدليات في كل دار وغرفة في الجنة وتحتها كسبان المسك والعنبر والزعفران  
 وينبئهم من أصلها عنبان الكافون والسلسيل (وحسن ما تب) أي مقرر (كذلك) أي مثل ارسالنا  
 الأنبياء إلى أمهم وأعطائنا إياهم كتباً تتلى عليهم (أرسلناك في أمة) أي إلى جماعة كثيرة (قد خلت  
 من قبلها أمة) أي قد تقدمتها أمة كثيرة (لتتلو عليهم) أي على أمتك (الذي أوحينا إليك) فلماذا  
 اقترحوا غيره (وهم) أي والحال أن أمتك (يكفرون بالرحمن) الذي رحمته وسعت كل شيء وما بهم  
 من نعمة فنه وكفروا بنعمته في ارسال مثلك إليهم وفي انزال هذا القرآن المجز عليهم روى الضحاك عن  
 ابن عباس أن هذه الآية نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن أي  
 اخضعوا بالصلاة وغيره للرحمن أي الذي لانهمة لكم الامنة قالوا وما الرحمن متجاهلين في معرفته فضلا  
 عن معرفة نعمته معبرين بأدما لا يعقل قال الله تعالى (قل) لهم يا أشرف الخلق (هو) أي الرحمن  
 الذي أنكرتم معرفته (رب) أي خالق ومبني إلى مراتب الكمال (لا اله الا هو) أي لا مستحق  
 للعبادة سواه (عليه توكلت) في جميع أمور لا على أحد سواه (واليه متاب) أي مرجعي في الآخرة  
 (ولو أن قرأ ناسيرت به) أي زعزعت بتلاوته (الجبال) من أماكنها كما فعل ذاك بالطور لموسى عليه  
 السلام (أو قطعت به الأرض) أي شققت وجعلت أنهاراً وعيوناً كما فعل بالجعردين ضربه موسى  
 بهصاه أو جعلت قطعاً بعيدة (أو كلم به الموتى) بعد أن أحييت بقراءته عليها كما أحييت لعيسى عليه  
 السلام لكان هو هذا القرآن لكونه ينطوى على عجائب آثار قدرة الله تعالى روى أن أهل مكة منهم أبو  
 جهل بن هشام وعبد الله بن أمية قعدوا في فناء الكعبة فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام  
 عليهم فقال له عبد الله بن أمية المخزومي إن سرنا أن تتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى  
 يفسح المكان علينا لانها ضيقة لمزارعنا راجع لنافيها أنهاراً وعيوناً لنغرس الأشجار ونزرع فلست كما  
 زعمت بأهون على ربك من داود حيث مخضه الجبال تسير معه أو سهرلنا الريح لتركهم إلى الشام لميرتنا  
 وحواليهنا ورجع في يومنا كما مخضت لسليمان فاست بأهون على ربك من سليمان كما زعمت أو أحي لنا  
 جدرك قصي بالنسالة أحق ما تقول أم باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل  
 الله تعالى هذه الآية ولو أن قرأنا الخ (بل الله الأمر جميعاً) أي بل لله الأمر الذي ور عليه فلا يكون  
 وجود أو عدم أن شاء فعل وان شاء لم يفعل فأنه قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن  
 ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تدين له شكيمتهم (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس  
 جميعاً) أي أغفل المؤمنون عن كون الأمر جميعاً لله تعالى فلم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هداية جميع  
 الناس إلى دينه لهداهم لكنه تعالى لم يشأها فلم يظهر ما اقترحوا من آيات فيل لمسأل الكفار تلك الآيات  
 طمع المؤمنون في إيمانهم فطلبوا نزولها ليوثروا علم الله أنهم لا يؤمنون برؤيتها (ولا يزال الذين كفروا)  
 من أهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) من سوء أعمالهم (قارعة) أي داهية تفرعهم بما ينزل الله عليهم في كل  
 وقت من أنواع البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريبان دارهم) أي أو تنزل  
 تلك القارعة مكاناً قريبان منهم فيفزعون منها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم أو القيامة (إن الله لا يخلف  
 الميعاد) أي الوعد والمقصود من هذا تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه (ولقد استهزئ  
 برسلك من قبلك) أي إن أقوام ساءوا بالأنبياء استهزؤا بهم كما أن قومك استهزؤوا بك (فأملت للذين كفروا)  
 أي فتركتهم بعد الاستهزاء مدة طويلة في راحة وأمن (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب)



أى على أى حالة كان عقاب إياهم هل كان ظمالمهم أو كان عدلا (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى  
 أفمن هو حافظ كل نفس مع ما عملت من خير وشر وهو الله القادر على كل المحسكات العالم بجميع الجزئيات  
 والكميات كالأصنام التى لا تضر ولا تنفع (وجعلوا) أى الكفار (لله شركاء قل سموهم) أى سموهم  
 بالآلهة وهذا أمر على سبيل التهديد والمعنى سواء سميتوهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به فإنها لا تستحق  
 أن يلتفت العاقل إليها لمخارتها (أم تنبؤونه بما لا يعلم فى الأرض أم يظاهرون القول) أى أتقدرون  
 على أن تخبروا الله بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى أم تنفوهون بآظهار قول من غير اعتبار  
 معنى أى أتقولون بأفواهكم من غير فكر وأنتم ألباء فتفكروا فى ذلك لتعلموا بطلانه واغماص بنفى  
 الشريك عن الأرض وإن لم يكن له تعالى شريك البتة لأن الكفة أرادوا أن له تعالى شركاء فى الأرض  
 لا فى غيرها (بل زين للذين كفروا مكرهم) أى تمويههم الأباطيل فأنهم أظهروا أن شركاءهم  
 آلهة حقوا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس فيهم فى الباطن الاتقيد بالآباء (وصدوا عن السبيل) قرأ  
 حاصم وحمة والكسافى هنا وفى حم المؤمن بضم الصاد أى منعوا عن سبيل الحق والباقون بفتح الصاد  
 أى أعرضوا عنه أو صرفوا غيرهم عنه وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال المكسورة إليها (ومن  
 يضل الله) عن دينه بسوء اختياره (فغاله من هاد) أى موفق للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا)  
 بالقتل والسبى واغتنام الأموال واللعن (ولعذاب الآخرة أشق) أى أشد من عذاب الدنيا بالقوة  
 وكثرة الأنواع وعدم الانقطاع وعدم اختلاط شئ من الراحة (ومالهم من الله) أى عذابه (من واق)  
 أى حافظ بعضهم من ذلك (مثل الجنة) أى صفة الجنة (التي وعد المتقون) عن الكفر والمعاصي  
 (تجرى من تحتها الأنهار) أى أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (أكلها داحج) أى غمرها لا ينقطع  
 (وظلها) كذلك أيضا فليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة (تلك) أى الجنة (عقبى الذين  
 اتقوا) أى منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين) أى آخر أمرهم (النار) لا غير (والذين آتيناهم  
 الكتاب) أى أعطيناهم علم التوراة والإنجيل وهم من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب  
 وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية بالين واثنتان وثلاثون  
 بالحبشة (يفرحون بما أنزل إليك) أى بالقرآن لكونهم آمنوا به (ومن الأحزاب) أى بقية أهل  
 الكتاب وسائر المشركين (من ينكر بعضه) أى بعض القرآن وهو الشرائع الحادثة (قل إنما أمرت أن  
 أعبد الله) وحده فعبادة الله واجبة على المرء فهذا يبطل القول بالجبر المحض وقول نفاة التكليف ولا  
 تمكن عبادة الله إلا بعد معرفة الله ولا سبيل إلى معرفته إلا بالدليل فهذا دليل على أن المرء مكلف بالنظر  
 والاستدلال فى معرفة ذات الصانع وصفاته وما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه (ولا أشرك به) وهذا  
 يدل على نفي الشركاء فيبطل من أثبت معبودا سوى الله تعالى سواء قال إن المعبود هو الشمس أو القمر  
 أو الكواكب أو الأصنام أو الأرواح العلوية أو يزدان وأهرمن على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة  
 على ما يقوله الثنوية (إليه) أى إلى الله خاصة (أدعو) خلقه فكما يجب عليه صلى الله عليه وسلم  
 الاتيان بالعبادة كذلك يجب عليه صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى عبودية الله تعالى وهذا إشارة إلى نبوته  
 صلى الله عليه وسلم (وإليه) أى إلى الله تعالى وحده (مآب) أى مرجعى للجزاء وهذا إشارة إلى  
 النشر والحشر والبعث والقيامة فإذا تأمل الإنسان فى هذه الألفاظ القليلة عرف أنها محتوية على جميع  
 المطالب فى الدين (وكذلك) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم (أنزلناه) أى ما أنزل إليك

(حكماً) أى حاكم يحكم في القضايا والواقعات (عريباً) أى مترجماً بلسان العرب (ولئن اتبعت أهواءهم) أى الكفار (بعد ما جاءك من العلم) الفائض من ذلك الحكم العربي (مالك من الله من ولى) أى قريب ينفعل (ولا واق) أى مانع يمنعك من مصارع سوء روى أن المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملة آباءه فهدده الله تعالى على اتباع أهوائهم في ذلك (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً) أى نساء فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبع مائة سرية وكان لآبائه داود مائة امرأة (وذرية) أى أولاد مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب (وما كان لرسول أن يأتي بآية) مما اقترح عليه (إلا بإذن الله) أى بإرادته (لكل أجل) أى لكل وقت من الاوقات (كتاب) أى حكم معين مكتوب في صحف الملائكة التي تنسخها من اللوح المحفوظ فقد أثبت فيها أن أمر كذا يكون في وقت كذا على ما تقتضيه الحكمة (بإعواء الله ما يشاء) من الأحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت (ويثبت) أى يبقيه على حاله (وعنده أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ إذ ما من شيء من الذاهب والناثبات الا وهو مكتوب فيه كما هو في الحكمة فيه أن يظهر للملائكة كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات على سبيل التفصيل فعند الله كتابان كتاب يكتبه الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات وكتاب كتبه القلم بنفسه في اللوح المحفوظ وهو الباقي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق إلى قيام الساعة اعلم أن القوم كانوا يزكرون أنواعاً من الشبهات في إبطال نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالشبهة الأولى أنهم عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وبأكل الطعام والمشى في الأسواق وبكونه من جنس البشر وقالوا لو كان محمد رسولاً من عند الله لما اشتغل بالنسوة بل كان مشغولاً بالنسك والزهود وقالوا الرسول الذي يرسله الله إلى الخلق لا يدوان يكون من جنس الملائكة وقالوا لو كان محمد رسولاً من الله لما أكل الطعام ولما مشى في الأسواق فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية أى إن الأنبياء الذين كانوا قبل محمد كانوا من جنس البشر فأتصفوا بصفات من الزوجات والا كل ونحو ذلك ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكيف يجعلون ذلك قادحاً في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والشبهة الثانية قولهم لو كان محمد رسولاً من عند الله لكان أى شيء طلبناه من المجهزات أتى به ولم يتوقف فأجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله أى إن المجهزة الواحدة كافية في إظهار الحجج فالزائدة عليها مفروضة إلى مشيئة الله تعالى إن شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها والشبهة الثالثة أنه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب فيهم وظهور النصره ولا صحابه فلما تأخر ذلك طعنوا في نبوته صلى الله عليه وسلم وقالوا لو كان محمد نبياً لما ظهر كذبه فأجاب الله تعالى عنه بقوله لكل أجل كتاب أى إن نزول العذاب على الكفار وظهور النصره للأولياء قضى الله بحصولها في أوقات مخصوصة ولكل حادث وقت معين ولكل أجل كتاب فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فتأخر تلك المواعيد لا يدل على كونه صلى الله عليه وسلم كاذباً والشبهة الرابعة قولهم لو كان محمد صادقاً في دعوى الرسالة لم ينسخ الأحكام التي نص الله تعالى على نبوتها في الشرائع المتقدمة لكنه حرقها كما في القبله ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل فوجب أن لا يكون نبياً فأجاب الله عنه بقوله يعو الله ما يشاء ويثبت (واما نرينك) أى أن نرك (بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك (أو نتوفينك) أى نقبضنك قبل أن نرينك (فاغسلناك بالبلاغ) أى سواه أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوى في حياتك أو توفيناك

قبل ظهوره فالواجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأداء رسالته وأمانته فلا تهتم بما وراء ذلك فمخزن  
نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية (وعلينا  
الحساب) أى وعلينا الاعيان بحاسبة أعمالهم السيئة ومجازاتها (أولم يروا أننا أنشأت الأرض ننقصها  
من أطرافها) أى أنكروا أهل مكة نزول ما وعدناهم ولم يروا أننا أخذ أرضهم نفقناهم من نواحيها للمسلمين  
شيأ فشيأ ونهضنا بدار الاسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والامر والاجلاء أليس هذا من ذلك (والله  
يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار (لامعقب لحكمه)  
أى لا راد له (وهو سريع الحساب) أى فبعد من قليل يحاسبهم فى الآخرة عذبهم فى الدنيا  
بالقتل والامر والاخراج من ديارهم (وقدمكر الذين من قبلهم) أى وقد مكر الكفار الذين مضوا من  
قبل كفار مكة بأنبيائهم فتمرد مكر ياراهيم وفرعون مكر عيسى واليهود مكر وابيعسى كما مكر هؤلاء بك  
(فإنه المكر جميعا) أى ان مكر جميع الماكرين حاصل بتخليقه تعالى وارادته فوجب أن لا يكون الخوف  
الامن الله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) فكل ما علم الله وقوه فهو واجب الوقوع فلا قدرة للعبد  
على الفعل والترك (وسيعلم الكفار) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمر الكافر على لفظ المفرد وقرأ جناح  
ابن جيبش وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام أى سيخبر (لن عقبي الدار) أى لمن العاقبة الحسنة  
(ويقول الذين كفروا) أى اليهود وغيرهم (لست مرسل) من الله يا محمد (قل) لهم يا أكرم  
الرسول (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه تعالى قد أظهر المعجزات الدالة على كوني صادقاً قافى  
دعوى الرسالة (ومن عنده علم الكتاب) أى السماوى ككتب الاحبار وسلمان الفارسي وعبد الله  
ابن سلام وتميم الدارى وآصف بن برخيا فكل من كان عالماً بالتوراة والانجيل علم أن محمداً مرسل من عند  
الله وقرئ ومن عنده علم الكتاب عن الجارة التى لا ابتداء الغاية أى ومن عند الله حصل علم القرآن لان  
أحداً لا يعلمه الا من تعليمه ثم على هذه القراءة قرئ أيضاً علم الكتاب على البناء للمفعول أى لما أمر الله  
نبيه أن يمتحن عليهم بشهادة الله على رسالته ولا يكون ذلك الا بإظهار القرآن ولا يعلم العبد كون القرآن  
مجهزاً الا بعد العلم بما فيه من أسرار بين الله تعالى ان هذا العلم لا يحصل الا من عند الله

سورة ابراهيم مكية وآياتها اثنان وخمسون وكتابتها ثمانمائة واحدى وثلاثون  
وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب) أى السورة المسماة بالكتاب (أترئنا إليك) يا أشرف الخلق (لتخرج  
الناس) كافة بدعائلك أياهم (من الظلمات) أى ظلمات الكفر والضلالة والجهل (الى النور) أى الايمان  
وهذه الآية دالة على أن طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق واحد (بأذن ربهم) أى بتسهيله  
فان الرسول لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات الى النور الا بمشيئة الله وتخليقه (الى صراط العزيز الحميد)  
أى الى دين السكامل القدرة المستحق للحمد فى كل أفعاله (الله) قرأ نافع وابن عامر بالرفع (الذى له ما فى  
السموات وما فى الارض) ملكا وملكاً (دويل للكاثرين من عذاب شديد) أى لما ترك الكفار عبادة الله  
الذى هو المالك للسموات والارض ولكل ما فيهما وعبدوا ما لا يملك ضرا ولا نفعاً قالويل ثم الويل لمن كان  
كذلك أى يولولون أى يصيحون من عذاب غليظ ويقولون يا ويلاه (الذين يستحبون الحياة الدنيا على  
الآخرة) أى يختارون الدنيا على الآخرة فهم ضالون (ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن

قبول دين الله فهم مضلون (ويبقونها عوجا) أى يطلبون لسييل الله زيفا ويقولون لمن يريدون اضلاله  
 انها رائحة غير مستقيمة فهذه انهاية الضلال والاضلال (أولئك) الموصوفون بتلك القبائح (في  
 ضلال) من طريق الحق (يعبد) أى فى غاية البعد عنه فلا يوجد ضلال أكل من هذا الضلال  
 (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أى الامتكام بالغة من أرسل اليهم الرسول أيا كان وهم بالنسبة  
 لغرسيدنا محمد خصوص عشيرة رسولهم وبالنسبة اليه كل من أرسل اليه من أصناف الخلق لان رسالته  
 عامة لجميع الخلق وهو صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم وان لم يثبت انه تكلم باللغة التركية  
 لانه لم يصادف انه خاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه لكلمه بها (ليبين لهم) ما كلفوا به بلغاتهم فيكون  
 فهمهم لاسرار الشريعة أسهل ووقوفهم على المقصود أكل (فيضل الله) عن دينه (من يشاء) أى  
 يمنع الطافه تعالى به (ويهدى) لدينه. بمنح اللطاف (من يشاء) قطة قوية البيان لا توجب حصول  
 الهداية فربما قوى البيان ولا تحصل الهداية وربما ضعف البيان وحصلت الهداية لان الهداية والضلال  
 لا يحصلان الا من الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) فلا يغالب فى مشيئته ولا يفعل شيئا الا لحكمة  
 (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى هجراته التى أظهرها لبنى اسرائيل (أن أخرج قومك من  
 الظلمات) أى ظلمات الكفر (الى النور) أى نور الايمان فان مفسرة لارسالنا (وذكرهم  
 بأيام الله) أى بنعم الله عليهم كأنفلاق البحر وتظليل الغمام وعلى من قبلهم عن آمن بالرسول فى ما سلف  
 من الايام وبناس الله عليهم وهى أيامهم تحت قهر فرعون وبعذاب الله عن كذب الرسل فيما سلف من  
 الايام كما نزل بعد وغمود وغيرهم ابرغمو فى الوعد فيصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركو الكذب  
 (ان فى ذلك) أى فى التذكير بالوقائع (آيات) أى دلائل (لكل صبار شكور) وهذا تنبيه على  
 ان المؤمن يجب ان لا يخلو زمانه عن أحد الامرين الصبر والشكر لان الحال اما أن يكون حال بلية أو حال  
 عطية فان جرى الوقت على ما يلائم طبعه كان شكورا وان جرى بما لا يلائم طبعه كان صبارا فالانتفاع  
 بهذا التذكير لا يكون الا ان كان صابرا أو شاكرا (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم)  
 أى مستقرة عليكم (اذ أنجاكم من آل فرعون) أى وقت انجائه اياكم منهم (يسومونكم سوء  
 العذاب) أى يطلبون منكم الاعمال الشاقة (ويذبون) تذيبها كثيرا (أبناءكم) صغارا  
 (ويستحيون نساءكم) أى يستخدمونهن بكارا بالاستحياء ويبقونهن منفردات عن الرجال (وفى  
 ذلكم) أى المذكور من الافعال الفظيعة (بلاء من ربكم عظيم) لا يطاق وفى الخلاص من ذلك نعمة  
 عظيمة (واذ تأذن ربكم) أى واذكروا حين أعلم ربكم فى الكتاب وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه  
 واذ قال ربكم (لئن شكرتم) يا بنى اسرائيل نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك بالايمان الخالص  
 والعمل الصالح (لازيدنكم) نعمة الى نعمة وحقيقة الشكر هو الاعتراف بنعمة المزمع مع تعظيمه  
 ومزيد النعم الجسمانية ان كل من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر ومزيد  
 النعم الروحية ان النفس اذا اشتغلت بطاعة أنواع فضل الله واحسانه أوجب ذلك الاشتغال تأكد  
 محبة العبد لله تعالى ثم قد ترقى العبد من تلك الحالة الى أن يصير حبه لله شغلا عن الالتفات الى النعم  
 فالشكر مقام شريف يوجب السعادة فى الدين والدنيا (ولئن كفرتم) أى أنكرتم نعمتى فعسى يصيبكم  
 عذابى (ان عذابى لشديد) وكفران النعمة لا يكون الا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمت من الله تعالى  
 والجاهل بها جاهل بالله والجهل بالله من أعظم أنواع العذاب (وقال مومنى ان تكفروا) نعمة تعالى ولم

تشكروها ( أنتم ) يا بني اسرائيل (ومن في الارض جميعا) لم يرجع ضرر الكفر ا. عليكم (فان الله لغني) عن شكر الشاكرين (حميد) أي مستحق للحمد في ذاته وان لم يحمد أحد بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده (ألم يأتكم) يا بني اسرائيل (نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي من بعده هؤلاء المذكورين (لا يعلمهم الا الله) أي لا يدرك علم عددهم الا الله لكثرةهم وهذه الجملة حال من الذين آمنوا من الغير المستكن في من بعدهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالدلائل الواضحة على صدقهم وهذه الجملة تفسر لنبأ الذين من قبلكم (فردوا أيديهم في أفواههم) أي وعض الكفار أيديهم من الغيظ من شدة نفرتهم عن استماع كلام الرسل أو وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين الى الرسل أي كفوا عن هذا الكلام واسكتوا (وقالوا انا كفرناحبا أرسلتم به) على ادعائكم فانهم ما أقروا بأن أوامر الرسل ومنهياتهم من الله تعالى (وانا في شك) عظيم (عمادعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد وقرئ تدعوننا بادغام النون (مرتب) أي ذى قلق النفس (قالت رسلهم أفي الله شك) أي أفي وجود الله ووحدته شك وهو أظهر من كل ظاهر (فاطر السموات والارض) أي مبدعهما وما فيهما (يدعوكم) الى التوحيد بإرساله ايانا (ليغفر لكم) بسببه (من ذنوبكم) في الجاهلية (ويؤخركم الى أجل مسمى) أي يؤخر موتكم الى وقت معين عند الله ان آمنتم والا عاجلكم الله بالاستئصال (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا) من غير فضل (تريدون) بالدعوة (أن تصدونا) أي تصرفونا (عما كان يعبد آباؤنا) أي عن عبادة ما استقر آباؤنا على عبادته (فأتونا بسلطان مبين) أي وان كنتم رسلا من الله فأتونا بحجة ظاهرة تدل على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده قالوا ذلك عناداً فان الرسل قد أتوهم بالآيات الظاهرة (قالت لهم رسلهم) مجازاة معهم في أول مقاتلتهم (ان نحن الا بشر مثلكم) كما تقولون (ولكن الله عين على من يشاء من عباده) بالنبوة فانها عطية من الله من غير سبب (وما كان لنا) أي ما استقام لنا (أن نأتيكم بسلطان) أي بحجة (الا باذن الله) أي بإرادته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ومقصود الرسل بهذا القول حمل أنفسهم على التوكل فان الكفار أخذوا في التخويف حتى قالوا للرسل توكلوا أنتم على الله حتى تر واما يفعل بكم فقالت الرسل (وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) أي أي عذر لنا في ترك التوكل على الله والحال انه قد هدانا طريقه التي نعرفه بها ونعلم ان الامور كلها بيده (ولنصبرن على ما آذيتونا) بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أمر الرسل في هذا اتباعهم بالتوكل بعد أمر أنفسهم به وذلك يدل على ان الأمر بالخير لا يؤثر الا بعد الايمان به فالانسان اما ان يكون ناقصاً أو كاملاً فالناقص اما ان يكون ناقصاً غير ساع في تنقيص حال غيره فهو ضال واما ان يكون ساعياً في ذلك فهو مضل واما خاليا عن الوصفين فهو مهتد والكامل اما ان يكون غير قادر على تكميل الغير فهو ولي واما قادراً على ذلك فهو نبي فالولي هو الانسان الكامل والنبي هو الانسان الكامل المكمل (وقال الذين كفروا) أي الغالون في الكفر (لرسلهم لخروجكم من أرضنا) أي من مدينتنا (أو لتعودن في ملتنا) أي لتصيرن داخلين في ملتنا (فأوحى اليهم) أي الرسل (ربهم) لنبلكن الظالمين ولنسكننكم الارض) أي أرض الظالمين وديارهم (من بعدهم) أي من بعد هلاكهم (ذلك) أي اسكان الارض ثابت (لمن خاف مقامي) أي لمن خافني وخاف حفظي لاعماله (وخاف وعيدي) أي محذابي الموعود للكفار (واستفتحوا) أي طلب كل من الرسل والقوم النصرة على عدوه

فنصر الله الرسل (وخاب كل جبار) أى خسر عند الدعاء من النصرة كل متكبر عن عبادة الله (عنيد)  
 أى منحرف عن الحق (من ورائه جهنم) أى من بعده هذه الخيبة جهنم يلقي فيها (ويسقى من ماء صديد) أى  
 مما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم (يتجرعه) أى يتناوله جرعة جرعة على الاستقرار لغلبة  
 العطش والحرارة عليه (ولا يكاد يسيغه) أى لا يكاد أن يجريه في الحلق بل يستسكه فيه لمرارته وفتنه  
 فوصوله إلى الجوف ليس بإجازة (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) أى يجد ذلك الكافر ألم الموت من  
 كل مكان من أعضائه حتى من أصول شعره وإبهام رجله والحال أنه لا يموت من ذلك العذاب (ومن ورائه  
 عذاب غليظ) أى ومن بعد ذلك العذاب عذاب أشد مما هو عليه لا ينقطع ولا يخف بسبب الاعتماد كافي  
 عذاب الدنيا (مثل الذين كفروا بربههم أعمالهم) أى صفة أعمالهم الصالحة كصدقة وصلة رحم واعتناق  
 رقاب وفداء أسير وقرى ضيف وبر والدوافاة ملهوف (كرما دأشتدت) أى ذرت (به الریح في يوم  
 طائف) أى شديد الريح (لا يقدر أن يبرح عما كسبوا على شيء) أى لا يجدون يوم القيامة أثر أعمالهم لو أن الدنيا  
 من ثواب أو تخفيف عذاب كما لا يوجد من الرماد شيء إذا ذرته الريح وذلك لفقد شرط الأعمال وهو الأيمان  
 (ذلك) أى عملهم (هو الضلال البعيد) أى الضياع البعيد عن نيل الثواب (ألم تر) أى قد أخبرت أيها  
 المخاطب (أن الله خلق السموات والأرض بالحق) أى ملتبسا بالحكمة وليس عبثا وقرأ حمزة والكسائي  
 خالق السموات على اسم الفاعل والاضافة (إن يشأ يذهبكم) أى يهلككم بالمرة (ويأت بخلق  
 جديد) سواء لكم أطوع الله منكم (وما ذلك) أى اذهبكم والأتیان ببذلكم (على الله بعزیز)  
 أى بعتمس لان القادر لا يصعب عليه شيء (وبرزوا لله جميعا) أى ويخرجون من قبورهم إلى الله  
 ليحاسنهم ويجازيهم على قدر أعمالهم (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة (للذين استكبروا)  
 عن عبادة الله وهم أكابرهم (أنا كنا لكم تبعاً) في الدنيا في تكذيب الرسل والأعراض عن نصيحتهم  
 (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) أى فهل أنتم في هذا اليوم دافعون عنا بعض شيء هو عذاب  
 الله (قالوا) أى القادة (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو خلصنا الله من العقاب وهذا أنا إلى طريق  
 الجنة لهديناكم طريق النجاة ودفعنا عنكم بعض العذاب ولكن سدا الله عنا طريق الخلاص (سواء  
 علينا أجزعنا) مما لقينا (أم صبرنا) على ذلك أى الصياح بالتضرع والصبر مستويان علينا في عدم  
 الانجاء (مالنا من محيص) أى محل هرب من العقاب (وقال الشيطان) أى يقول إبليس رئيس  
 الشياطين خطيباً في محفل الأشقياء من الثقلين (لما قضى الأمر) أى فرغ منه بأن استقرأ أهل الجنة  
 في الجنة وأهل النار في النار وقد قالوا له اشفع لنا فانك أضللتنا (إن الله وعدكم وعد الحق) وهو الوعد  
 بالبعث والجزاء على الأعمال فصدق في وعده أياكم (ووعدتكم) أن لا تبعث ولا حساب ولا الجنة ولا  
 نار ولن كان فالأصنام شفعاءكم (فأخلفتمكم) أى كذبت لكم وتبين خلف وعدى (وما كان لي عليكم  
 من سلطان) أى حجة تدل على صدق أو قهر فاقهركم على الكفر والمعاصي (الآن دعوتكم) أى  
 الادعاءى أياكم إلى الضلالة بوسوستي (فاستجبتم لي) أى أجبتهموني (فلا تلموني) بوعدي أياكم  
 حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر (ولموا أنفسكم) حيث أجبتهموني باختياركم حين دعوتكم  
 بلا دليل فما كان مني إلا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل وكان من الواجب  
 عليكم أن لا تغتروا بقولي فلما رجتم قولي على الدلائل الظاهرة كن اللوم عليكم لا على في هذا الباب  
 (ما أنا بصرخكم) أى بغيثكم من عذابكم (وما أنتم بمصرخي) أى بغيثي من عذابي (إني كفرت



بما أشركتمون من قبل) أي اني الآن تبرأت من أشرككم أي مع الله في الطاعة من قبل هذا اليوم  
 أي في الدنيا أي لان الكفار كانوا يطيعون ابليس في أعمال الشر كما يطاع الله في أعمال الخير ومعنى  
 أشركهم ابليس بالله تعالى طاعتهم لا بليس في تزيينه لهم في عبادة الاوثان (ان الظالمين لهم عذاب  
 أليم) هذا تمام كلام ابليس قطعاً لا طماع أولئك الكفار عن الاغاة فالوقوف على من قبل حسن أو  
 ابتداء كلام من حضرة الله تعالى يقاظا للسامعين حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم فالوقوف على  
 من قبل تام كما هو عند أبي عمر (وأدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار  
 خالدين فيها باذن ربهم) متعلق بادخل أي أدخلتهم الملائكة بأمر ربهم (تحييتهم فيها سلام) فان  
 بعضهم يحيي بعضهم هذه الكلمة والملائكة يحيونهم بها والرب الرحيم يحييهم أيضاً هذه الكلمة وقرأ الحسن  
 وأدخل على صيغة التكلم وعلى هذه القراءة باذن ربهم متعلق بتحييتهم أي يحييهم الملائكة بالسلام  
 باذن ربهم (الم تر) أي ألم تخبر يا شرف الخلق (كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) أي كيف  
 جعل الله كلمة طيبة وهي لا اله الا الله من لاوهي (كشجرة طيبة) وهي النخلة (أصلها ثابت) أي  
 ضارب بعروقه في الارض (وفرعها في السماء) أي أعلاها في الهواء (تؤتي أكلاً) أي تعطى  
 هذه الشجرة ثمرها (كل حين) أي كل وقت وكل ساعة ليلاً أو نهاراً شتاءً أو صيفاً فيؤكل منها الجماد  
 والطلع والبطح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين  
 الطرى الرطب فأكلها دائماً في كل وقت (باذن ربها) أي بإرادةخالقها كذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب  
 المؤمن بالبرهان وهمل المؤمن المخلص يرفع الى السماء وفي كل حين يعمل خيراً بأمر ربه وحكمة تمثيل  
 كلمة التوحيد بالشجرة ان الشجرة تكون بثلاثة أشياء عرق رأسخ وأصل قائم وفرع هال كذلك التوحيد  
 يكون بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان (ويضرب الله الامثال) أي يبين  
 الله صفات التوحيد (لناس لعلهم يتذكرون) أي يتعظون لان في ضرب الامثال تصوير للآيات  
 فيحصل به الفهم التام والوصول الى المطلوب (ومثل كلمة خبيثة) وهي الشرك بالله (كشجرة  
 خبيثة) كالحنظل والكشوث وهي نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير ان يضرب بعرق في الارض  
 (اجتمت) أي استوصلت (من فوق الارض) لتكون عروقه في وجه الارض أي ليس لها أصل  
 ولا عرق يغوص في الارض فتسميتها شجرة للشاكلة فكذلك الشرك بالله ليس له حجة ولا قوة (مالها  
 من قرار) أي ثبات على وجه الارض فلا يقبل مع الشرك همل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)  
 أي الذي يثبت بالحنة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو شهادة ان لا اله الا الله (في الحياة الدنيا) فلا  
 يزالون عن تلك الشهادة اذا اقتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنتهم أصحاب  
 الاخدود (وفي الآخرة) أي في القبر حين يقال له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى  
 الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم وحكى ان سهل بن عمار العملى يقول رأيت يزيد بن هرون في منامى  
 بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتانى في قبرى ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت  
 بلحيتى البيضاء فقلت لهما المثلئ يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثم انين سنة فذهبا وكلمتا كانت  
 مواظبة العبد على ذكر لا اله الا الله وعلى التأمل في دقائقها ثم وأكل كأنه يسوخ هذه المعرفة في قلبه  
 بعد الموت أقوى وأكل قال ابن عباس من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا ينبت له الله عليها في قبره  
 ويلقنها ياها وانما فسر الآخرة ههنا بالقبر لان الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام

الآخرة (ويضل الله الظالمين) أى يصرف الله المشركين عن قول لا اله الا الله فى الدنيا وفى القبر وعند  
 خروجهم من القبور فانهم اذا استلوا فى قبورهم قالوا لا ندري (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال  
 والتثيت ومن صرف منكرو نكير (ألم تر) أى ألم تنظر (الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) كاهل  
 مكة حيث أسكنهم الله حرمة الا من ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا  
 بذلك فقتلوا سبع سنين فقتلوا وأمروا يوم بدر (وأحلوا قومهم) أى أنزل بعض قريش المطعمون يوم  
 بدر وهم بنو أمية وبنو المغيرة أتباعهم وهم ببيعة قريش بسبب اضلالهم اياهم (دار البوار) أى دار  
 الهلاك (جهنم يصلونها) أى يدخلونها يوم القيامة مقاسين لحرها (وبئس القرار) أى بئس المنزل  
 جهنم (وجعلوا الله أندادا) أى أشباها وشركاء فى التسمية والخط والعبادة (ليضلوا عن سبيله) الذى  
 هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فاللام للعاقبة والباقيون بضها فاللام اما للعاقبة لان عبادة  
 الاوثان سبب يؤدى الى الضلال أول للتعليل فالذين اتخذوا الاوثان يريدون اضلال غيرهم وتحقق لآلام  
 العاقبة ان المقصود من الشئ لا يحصل الا فى آخر المراتب كما قيل أول الكفر آخر العمل وكل ما حصل فى  
 العاقبة كان شبيها بالامر المقصود فى هذا المعنى (قل تمتعوا) بعبادتكم الاوثان وعيشوا بكمفركم  
 وهذا الامر تهديد لهم (فان مصيركم) أى مرجعكم يوم القيامة (الى النار) ليس الا (قل لعبادى  
 الذين آمنوا يقيموا الصلاة) وهذا المأجز وما فى جواب أمر محذوف أى قل لهم أقيموا الصلاة فان  
 قلت لهم ذلك يقوموا الصلاة أو يحجز وما نبلاد أمر مقدر أى ليقوموا الصلاة أى الواجبة (وينفقوا ما  
 رزقناهم) أى أعطيناهم (سرا وعلانية) أى أنفقوا انفاق سرا وعلانية والمراد حث المؤمنين على  
 الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وعلى ترك التمتع بمتاع الدنيا كما هو صنيع الكفرة (من  
 قبل أن يأتى يوم لا يبيع) أى معارضة (فيه ولا خلال) أى مصادقة تنفع وهو يوم القيامة وانما  
 الانتفاع فيه للأمن بالعمل الصالح والانفاق لوجه الله تعالى (الله الذى خلق السموات والارض) وهما  
 أصلان فى دلالة وجود الصانع (وأزل من السماء) أى السحاب (ماء) فلولو السماء لم يصح انزال  
 الماء منها ولولا الارض لم يوجد ما يستقر الماء فيه (فأخرج به) أى بذلك الماء (من الغرات رزقا لكم)  
 تعيشون به فاذا علم المكفون ان فى تحصيل هذه المنافع القليلة تحمل المتاعب فالمنافع العظيمة الدائمة  
 فى الآخرة أولى بتحمل المشاق فى طلبها (ومخزلكم الفلك) أى السفن (لتجريا) أى الفلك تجريا  
 تابعا لارادتكم (بأمره) أى بعيشته التى نيط بها كل شئ فان الانتفاع بما ينبت من الارض لا يكمل الا  
 بوجود الفلك لنقله الى البلد الآخر المحتاج أهلها اليه (ومخزلكم الانهار) أى لتنتفعوا بها فى نحو  
 الشرب وسقى الزراعات (ومخزلكم الشمس والقمر ودائبين) أى جارين فيما يعود الى مصالح العباد  
 لا يفتران فى سيرهما الى انقضاء عمر الدنيا ولولا هما لاختلت مصالح العالم بالكلية (ومخزلكم الليل  
 والنهار) لنامكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) أى كل ما لم تصلح أحوالكم الا به فكم أنكم  
 سألتموه أو من كل ما طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمة الله) التى أنعم الله بها عليكم (لا تحصوها)  
 أى لا تطبقوا على عد أنوعها فضلا عن عد أفرادها فانها غير متناهية (ان الانسان لظالم كفرار) أى  
 فان الانسان مجبول على النسيان والملافة فاذا وجد نعمة نسيها فى الحال وترك شكرها فذلك ظلم وان لم  
 ينسها فانه يعلمها فيقع فى كفران النعمة وأيضا ان نعم الله كثيرة فتى حاول الانسان التأمل فى بعضها غفل  
 عن الباقي (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) أى مكة (آمنا) من الخراب ومن الخوف لمن التجأ

اليه (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) أي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام ومن البعد عن عبادة الاصنام أو المراد اعصمنا من الشرك الخفي وهو عند الصوفية تعليق القلب بالوسائط وبالاسباب الظاهرة (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) أي ان الاصنام ضل بهن كثير من الناس أي لما حصل الاضلال عند عبادتها نسب اليها (فمن تبعني) في ديني واعتقادي (فانه مني) أي فانه جار مجرى بعضي لقربه مني (ومن عصاني) أي خالف ديني (فانك غفور رحيم) أي فانك قادر على ان تغفر له وترحمه بأن تنقله عن الكفر الى الاسلام (ربنا اني أسكنت من ذريتي) أي بعض ذريتي اسمعيل ومن سميولده (بواد غير ذي زرع) أي في واد ليس فيه زرع (عند بيتك المحرم) أي المعظم الذي يهابه كل جبار والذي منع من الطوفان وهو مكة شرفها الله تعالى فلعله قال ذلك باعتبار ما سيؤول اليه أو باعتبار ما كان (ربنا ليقيموا الصلاة) أي ياربنا انما أسكنت قوما من ذريتي وهم اسماعيل وأولاده في هذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا الصلاة نحو الكعبة (فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم) أي فاجعل قلوب بعض الناس تسرع الى ذريتي شوقا اليهم بنقل المعاشات اليهم بسبب التجارات بالنسك والطاعة لله تعالى وقرأ العامة تهوي بكسر الواو وقرأ أمير المؤمنين علي وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد بفتح الواو أي تحبهم وقرئ على البناء للمفعول أي اجعل قلوب بعض الناس عمالة اليهم (وارزقهم) أي ذريتي (من الثمرات لعلهم يشكرون) تلك النعمة فان ابراهيم عليه السلام انما طلب تيسير المنافع على أولاده لاجل ان يتفرغوا لاقامة الصلاة وأداء الواجبات (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) من الحاجات وغيرها فلا حاجة بنا الى الدعاء انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وافقتارا الى ما عندك (وما يخفي على الله من شيء في الارض ولا في السماء) وهذه الجملة من كلام الله تعالى تصديقاً لابراهيم عليه السلام وهي اعتراض بين كلامي ابراهيم فالوقف على نعلن حسن كـالوقف على في السماء (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي حال كوني بعد الكبر (اسماعيل واسحق) روى انه لما ولد اسماعيل كان سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة ولما ولد اسحق كان سنه مائة واثنى عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) أي لجيب الدعاء وهو عالم بالقصود (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي مثابرا عليها (ومن ذريتي) أي واجعل بعض ذريتي كذلك (ربنا وتقبل دعاء) وقال ابن عباس أي عبادتي (ربنا اغفر لي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك) (ولو ادي) وهذا الاستغفار قبل تبين أمرهما وقرأ ابن حسين ولو ادي بسكون الياء وقرأ الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي بن الحسين ولو ادي بفتحات وهما اسماعيل واسحق وقرأ ابن يعمر ولو ادي بضم الواو وسكون اللام وكسر الدال جمع ولد فالقرآت الشاذة ثلاثة (وللمؤمنين) كافة أي من ذرية ابراهيم وغيرهم ففي هذا الدعاء بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليفه ابراهيم عليه السلام (يوم يقوم الحساب) أي يوم يثبت محاسبة أعمال المكلفين على وجه العدل (ولا تحسبن الله) يا أشرف الخلق (غافلا عما يعمل الظالمون) أي تارك عقوبة المشركين بما عملوا والمراد تشييته صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من انه صلى الله عليه وسلم لا يحسب الله غافلا والقصود تنبيهه على انه تعالى لو لم ينتقم للظلم من الظالم لزم عليه تعالى أحد الأمور الثلاثة اما أن يكون غافلا عن ذلك الظالم أو عاجزا عن الانتقام أو راضيا بذلك الظلم وكل ذلك محال عليه تعالى فامتنع أن لا ينتقم للظلم من الظالم (انما يؤخرهم) بلا عذاب الاستئصال (ليوم) أي لاجل يوم (تخصص فيه الابصار) أي تبقى مفتوحة لا تحرك أجفانهم

للدهشة (مهطعين) أى مسرعين نحو البلاء ناظرين الى الداعي وهو جبريل حيث يدعو الى الحشر من حفرة بيت المقدس (مقنعي رؤسهم) أى رافعي رؤسهم الى السماء لا ينظر أحد الى أحد (لا يرتد اليهم طرفهم) أى يدوم شخص أبصارهم لدوام الحيرة في قلوبهم (وافشدتهم هواً) أى خالية عن جميع الافكار لعظم ما ينالهم من الحيرة لما تحققوه من العقاب وحصول هذه الصفات الخمسة عند المحاسبة (وأندرا الناس يوم يأتيهم العذاب) أى وخوف الكفار يا كرم الرسل أهوال يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أى كل من ظلم بالشرك (ربنا أخرنا الى أجل قريب) أى أخر العذاب عنا ورددنا الى الدنيا وأمهلنا الى حدم من الزمان قريب (نحب دعوتك) لنا على السنة الرسل الى التوحيد (وتتبع الرسل) فيها جاؤنا به أى تتدارك في الدنيا ما فاتنا من اجابة الدعوة واتباع الرسل فيقول الله لهم توبيننا (أو لم تكونوا أقسمتم) أى أطلبتم هذا المطلوب وهل لم تكونوا حلفتم (من قبل) هذا اليوم أى في الدنيا (مالكم من زوال) أى كانوا يقولون بالحلف لازوال لنا من هذه الحياة الى حياة أخرى ومن هذه الدار الى دار المجازاة أمازواهم من غنى الى فقر ومن شباب الى هرم ومن حياة الى موت فلا ينكرونه (وسكنتم) معطوف على أقسمتم (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية وهم قوم نوح وعاد وثمود لان من شاهد هذه الاحوال وجب عليه أن يعتبر فاذا لم يعتبر كان مستحقاً للتقريع (وتبين لكم) أى وظهر لكم حالهم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار (كيف فعلنا بهم) من الاهلاك بما فعلوا من الفساد وقرى وبين على المجهول وقرى أيضاً ونبين بنون المتكلم أى أولم نبين لكم (وضربناكم الامثال) أى بينا لكم الامثال في القرآن عما يعلم به انه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المجل (وقدمكم) أى المهلكون (مكرهم) حال من الضمير في فعلنا بهم أى فعلنا بهم ما فعلنا وال حال انهم قدمكم مكر وافي ابطال الحق مكرهم الذي جاؤوا فيه كل حدم معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم (وعند الله مكرهم) أى أخذهم بالعذاب الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون وهذه الجملة حال من الضمير في مكرهم (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) أى وان كان مكرهم في غاية العظم والشدة بحيث تزول منه الجبال فان وصلية وقيل ان نافية واللام لتأكيدها وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكرهم أى ومكرهم ومكرهم وال حال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الشرائع والمجرات وقيس هل هي محققة من ان أى وانه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات من الشرائع والمجرات وقرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الفارقة ورفع الفعل فالجملة حينئذ حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أى وعند الله المكر بهم وال حال أن مكرهم في غاية القوة بحيث تزول منه الجبال (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) تفريع على ولا تحسبن الله الخ فكأنه قيل واذا قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقيه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما أجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في أحوال من سبقهم من الامم الذين أهلكتهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلا كههم قدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلاقنا رسلنا وعدنا فمخلف امام تعدل اثنين مضاق لمفعوله الثاني وامامتعد لواحد مضاف لمفعوله ورسله مفعول لوعده (ان الله عزيز) أى غالب لا يماكر (ذوانتقام) لاوليائه من أعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) أى تغير في صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتغير بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت (والسموات) أى تبدل السموات غير السموات فتنتثر كواكبها وتكسف شمسه او يخسف قمرها وتكون السماء أبوابا وذر كرشيب بن

ابراهيم بن حيدرة أن الارض والسموات تبدلان كرتين احدهما قبل نفخة الصعق فتنتثر أوالا الكواكب  
وتكسف الشمس وقمر وتصير السماء كالمهل ثم تكشط عن رؤسهم ثم تسير الجبال ثم تجوج الارض ثم  
تصير البحار نيرانا ثم تنشق الارض من قطر الى قطر فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء وبذلت  
السماء سماء أخرى من ذهب ودحيت الارض أى مدت مدا لاديم وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر  
على ظهرها وفي بطنها وتبدل تبدلا ثانيا اذ اوقفوا في المحشر فتبدل لهم ساهرة يحاسبون عليها وهي أرض  
بيضاء من فضة وحيث تقوم الناس على الصراط وعلى متن جهنم وهي أرض من نار فاذا جاوزوا الصراط  
حصل أهل الجنان من وراء الصراط في الجنان وأهل النيران في النار بذلت الارض خبزنا قيافا كلوا من  
تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت الارض قرصا واحدا يأكل منه جميع من دخل الجنة وأدامهم  
زيادة كبذثور الجنة وزيادة كبذالنون وحاصل كلام القرطبي أن تبديل هذه الارض بأرض أخرى من  
فضة يكون قبل الصراط وتكون الخلائق اذ ذاك مرفوعة في أيدي ملائكة السماء الدنيا وأن تبديل  
الارض بأرض من خبز يكون بعد الصراط وتكون الخلائق اذ ذاك على الصراط وهذه الارض خاصة  
بالمؤمنين عند دخولهم الجنة وقال الرازي لا يبعد أن يقال المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى  
يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة (وبرزوا لله الواحد القهار) أى واذا كروا يوم يبرز الخلائق  
جميعا من قبورهم للحساب والجزاء (وترى المجرمين) أى وتبصروا كرم الخلق الكافرين (يومئذ) أى يوم  
اذ برزوا له تعالى (مقرنين) أى قرن بعضهم ببعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال (في الاصفاد) أى  
القيود (سرايلهم) أى قصاتهم (من قطران) وهو ما يتحلب من شجر الابل فيطبخ ويطلى به  
الابل الجرب فيحرق الجرب بحرارته وقد تصل الى الجوف والمراد انه تطلّى به جلود أهل النار ليجمع عليهم  
الانواع الاربع من العذاب الذع القطران ووحشة لونه وتتن ريحته واسراع النار في جلودهم (وتغشى  
وجوههم النار) أى تعلوها النار وخص الله هذا العضو بظهور آتار العقاب كما خص القلب بذلك في قوله  
تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الاقدمة لان الرأس محل الفكر والقلب موضع العلم  
والجهل ولا يظهر أثر هذه الاحوال الا في الوجه ولانه يجمع الحواس والحواس لو لم ينفصل عن القطران ويفعل الله بهم  
تلك الامور الثلاثة (ليجزى الله كل نفس) بجرمة (ما كسبت) من أنواع الكفر والمعاصي جزاء  
موافقا لعملها (ان الله سريع الحساب) فلا يشغله حساب عن حساب ولا يظلمهم ولا ين يد على عقابهم  
الذى يستحقونه (هذا) أى الموعظة التي في هذه السورة (بلاغ) أى كفاية في الموعظة (للناس  
ولينذروا به) عطف على مقدمته لعل بيلاغ أى كفاية لهم لينتبهوا ولينذروا به أى بهذا البلاغ  
(وليعلموا) بما فيه من الادلة (أنما هو) أى الله (الواحد) لا شريك له (ولينذروا بالآيات  
التي هي آيات مشعرة بان التذكير بهذه المواضع يوجب الوقوف على التوحيد  
والاقبال على العمل الصالح

(سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع

وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) قال ابن عباس أى أنا الله أرى (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أى تلك  
آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان لسبيل الرشاد والنهي

والفرق بين الحق والباطل وهو الكتاب الذي وعد الله تعالى به محمد صلى الله عليه وسلم وتكبير القرآن  
للتفخيم كتعريف الكتاب بالمقصود الوصفان وقيل الواو للقسمة أى أقسم بالقرآن المبين بالحلال والحرام  
وبالامر والنهي (ربما يورد الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أى ان الكافر بالقرآن ككفار أى حالاً من  
أحوال العذاب ورأى حالاً من أحوال المسلم غنى كونه فى الدنيا منقاداً للحكمة ومذعناً لمرءه وذلك عند  
الموت وعند اسوداد وجوه الكفار وعند دخولهم النار وعند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار قرب  
للتكثير باعتبار مراتب التخييل والتقليل باعتبار ازمان الافاق فآزمان افاقتهم قليلة بالنسبة لآزمان الدهشة  
وكونه للتقليل أبلغ فى التهديد ومعناه انه يكفى قليل الندم فى كونه زاحراً لك عن هذا العمل فكيف  
كثيره وأيضاً انه يشغلهم بالعذاب عن غنى ذلك الا فى القليل وقرأ نافع وعاصم ربما تخفيف الباء  
والباقون بالتشديد (ذرهم) أى اترك كفاركم يا أشرف الرسل عن النهى عما هم عليه بالصحة  
اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك بل مرهم يتناول ما يتناولونه (يا كلوا ويطمئئنا) أى يأخذوا حظوظهم  
من دنياهم فتلك اخلاقهم ولا خلاق لهم فى الآخرة (ويلهم الامل) أى يشغلهم الامل عند الاخذ  
بخطيئتهم عن الايمان والطاعة (فسوف يعلمون) عند الموت وفى الغبر يوم القيامة ماذا يفعل بهم وعن  
على رضى الله عنه انه قال انما أخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى  
الآخرة واتباع الهوى يصدر عن الحق (وما أهلكتنا من قرية) من القرى بالحسف بها وبأهلها كما فعل  
ببعضها وبأخلاقها عن أهلها غلب اعلانهم بعذاب الاستئصال كما فعل ببعض آخر (الاولها) فى ذلك  
الشأن (كتاب معلوم) أى أجل مؤقت لهما ككتاب مكتوب فى اللوح المحفوظ لا يغفل عنه (ما تسبق  
من أمة) من الامم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب فى كتابها فلا يجزى هلاكها ولا موتها قبل  
مجيئ كتابها (وما يستأخرون) عن أجلها (وقالوا) أى كفاركم عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه  
استهزأ للنبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذى نزل عليه الذكر) أى القرآن فى زعمه (انك لمجنون)  
أى انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله تعالى نزل عليك القرآن (لوما تأتينا بالملائكة) أى هلا  
أتيتنا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك فى الانذار (ان كنت من الصادقين) فى مقالتك انك  
نبي وان هذا القرآن من عند الله فأجاب الله تعالى عن قولهم بقوله تعالى (مانزل الملائكة الا بالحق)  
أى فالحق فى حق الكفار تنزيل الملائكة بعذاب الاستئصال كما فعل بامثالهم من الامم السالفة  
لا التنزيل بما اقترحوا من اخبارها لهم بصدق الرسول فان ذلك من باب التنزيل بالوحى الذى لا يكاد يقع  
على غير الانبياء من افراد كل المؤمنين فكيف على أولئك الكفرة وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن  
عاصم ما نزل بنون المتكلم وبكسر الزاى المشددة والملائكة بالنصب يقرأ شعبه عن عاصم ما نزل بنينا  
الفعل للمفعول والملائكة بالرفع والباقون تنزل الملائكة (وما كانوا اذا) أى اذ نزلت عليهم الملائكة  
بالعذاب (منظرين) أى مؤخرين ساعة أى ولو نزلنا الملائكة ما أخر عذابهم ونحن لانريد عذاب  
الاستئصال بهذه الامم فلهذا السبب ما أنزلنا الملائكة (انما نحن نزلنا الذكر) الذى أنكروا نزوله عليك  
ونسبوا ذلك الى الجنون (واناله) أى اذكر (لحافظون) من الشياطين حتى لا يز يدوا فيه ولا  
بنقصوا منه ولا يغيروا حكمه ويقال واتاهم بالحفظون من الكفار والسياطين (ولقد أرسلنا) رسلاً  
(من قبلك) يا أكرم الرسل (فى شيع الاولين) أى فى امم الارلين (وما يأتهم من رسول الا كانوا  
به يستهزئون) أى عادة هؤلاء الجهال مع الرسل ذلك الاستهزاء كما يفعل هؤلاء الكفرة بل وهذا تسلية



رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك نسله في قلوب المجرمين) أى مثل ذلك السلك الذى سلكناه  
 في قلوب أولئك المستهزئين برسولهم وبما جازاه من الكتاب نسله الذى كثر في قلوب كفار مكة (لا يؤمنون  
 به) أى بالذكر وهذا حال من غير نسله أولا يحل له من الاعراب تفسير الجملة السابقة والمراد من  
 هذا السلك هو انه تعالى يسمعهم هذا القرآن ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن ويخلق فيها العلم  
 بعانيه ومع هذه الاحوال لا يؤمنون به عناداً منهم (وقد خلت سنة الاولين) أى وقدمت سيرة  
 الاولين بتكذيب الرسل ومضت سيرة الله فيهم بالهلاك اياهم بعد التكذيب وهذه الجملة استئناف  
 جنى بها تكملة للتسليمية وتهديد الكفار مكة (ولو فتحنا عليهم) أى كفار مكة الذين اقترحوا نزول  
 الملائكة (باباً من السماء فظلوا فيه) أى في ذلك الباب (يعرجون) أى يصعدون ريرون  
 ما فيها من العجائب عياناً (لقالوا) لفرط عنادهم (انما سكرت ابصارنا) أى غشيت بالسكر وقرأ  
 ابن كثير بتخفيف الكاف والباقيون بتشديد هاء فهو يوجب تكثيراً أو حيرت من السكر كما يعضده  
 قراءة من قرأ سكرت أى حارت (بل نحن قوم مسحورون) أى قد سحر محمد عقولنا كما قالوه عند ظهور  
 سائر المعجزات من انشفاق القمر ومن القرآن الذى لا يستطيع الجن والانس ان يأتوا بعثله (ولقد جعلنا  
 في السماء بروجاً) أى محال تسير فيها الكواكب السيارة وهى المريح بكسر الميم وهو كوكب في السماء  
 الخامسة وله الحمل والعقرب والزهرة بضم زهق وهى في السماء الثالثة ولها الثور والميزان وعطارد بفتح  
 العين وهى في الثانية ولها الجوزاء والسنبلة والقمر وهو في الاولى وله السرطان والشمس وهى في الرابعة  
 ولها الاسد والمشتري وهو في السادسة وله القوس والحوت وزحل وهو في السابعة وله الجدى والحوت  
 وجملة البروج اثنا عشر ووجه دلالة البروج على وجود الصانع المختار هو ان طبائع هذه البروج مختلفة  
 فالفلك مركب من هذه الاجزاء المختلفة وكل مركب لا بد له من مركب يركب تلك الاجزاء بحسب الاختيار  
 والحكمة فثبت ان ~~كون~~ كون السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المطلب  
 (وزيناها) أى السماء بالشمس والقمر والنجوم (لناظرين) بأبصارهم وبصائرهم فيستدلون بها  
 على قدر قصائدها و وحدته (وحفظناها من كل شيطان رجيم) أى من كل الشهاب فلا يقدر ان يصعد  
 اليها ويوسوس في أهلها ويقف على أحوالها (الامن استرق السمع) أى الامن اختلس المسموع سرا  
 من غير دخول (فأتبعه شهاب) أى لحقه شعلة نار ساطعة تنفصل عن الكوكب (مبين) أى ظاهر  
 امره للبصرين (والارض مددناها) أى بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها) أى على الارض -  
 (رواسي) أى جبالاً ثابتة لكيلا تميل بأهلها ولتكون دلالة للناس على طرق الارض لانها كالأعلام  
 فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال (وأنبأنا فيها) أى الارض (من كل شئ  
 موزون) أى مستحسن مناسب أو موزون بوزن فالمعادن كلها موزونة وذلك مثل الذهب والفضة والحديد  
 والرصاص وغير ذلك والنبات يجمع عاقبتها الى الوزن لان الحبوب وزن وكذلك الفواكه في الاكثر  
 (وجعلنا لكم فيها) أى الارض (معاش) أى ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما  
 يتعلق به البقاء مدة حياتكم في الدنيا (ومن لستم به برازقين) أى وجعلنا لكم من لستم برازقين - من  
 العيال والخدم والعبيد والدواب والطيور وما أشبهها فالناس يظنون في أكثر الامور انهم الذين يرزقونهم  
 وذلك خطأ فان الله هو الرزاق يرزق الكل (وان من شئ الا عندنا خزائنه) أى ان جميع المسكنات  
 مقدورة لله تعالى يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء شئت مقدوراته تعالى الفاتحة للعصر في كونها

مستورة عن علوم العالمين وكونها مهياة لا يجاده بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت من غير تأخر  
 بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية (وما ننزله) أى ما نوجد شيئا (الابقدر معلوم) أى  
 الامتياز بما يجدار معين تقتضيه الحكمة فقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه اشارة الى كون مقدوراتنا  
 غير متناهية وقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم اشارة الى ان كل ما يدخل في الوجود منها فهو متناه ومضى  
 كان الخارج الى الوجود منها متناهيا كان مختصا بوقت مقدور وبخير معين وبصفات معينة بدلا عن  
 اشدادها فخصيص كل شيء بما اختص به لا بدله من حكمة تقتضى ذلك وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن  
 جده قال ان في العرش عرشا لجميع ما خلق الله في البحر والبر وهو تأويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا  
 خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقف) أى حوامل لانها تحمل الماء وتجمعه في السحاب (فأنزلنا من السماء)  
 أى السحاب (ماء فأسقيناكوه) أى جعلناه لكم سقيا وفي هذا دلالة على جعل الماء معدا لهم ينبتون به  
 متى شاؤا (وما أنتم له بخازنين) أى نحن القادرون على ايجاده وتخزينه في السحاب وانزاله في الارض وما  
 أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بعدما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها  
 لنجعلها سقيا لكم أى معدا لى أنفسكم ومواسيكم وأراضكم مع ان طبيعة الماء تقتضى الغور (وانا  
 لنحن نحيي ونميت) أى لا قدرة على الاحياء ولا على الامانة الا لنا (ونحن الوارثون) أى الباقون بعد فناه  
 الخلق المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي (ولقد علمنا المستقدمين منكم) أى من تقدم منكم  
 ولادة وموتا (ولقد علمنا المستأخرين) أى من تأخر ولادة وموتا وقال ابن عباس في رواية عطاء معنى  
 المستقدمين أهل طاعة الله تعالى ومعنى المستأخرين المتخلفون عن طاعة الله تعالى (وان ربك هو يحشرهم)  
 للجزاء (انه حكيم) أى متقن في أفعاله فيأتى بالافعال على ما ينبغي وعالم بحقائق الاشياء على ما هي عليه  
 (عليم) أى راسع علمه كل شيء (ولقد خلقنا الانسان) أى آدم (من صلصال) أى من طين يابس غير مطبوخ  
 يصوت عند نقره (من حمأ) أى كائن من طين متغير أسود بطول مجاورة الماء (مسنون) أى مصور بصورة  
 الآدمي قال المفسرون خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة  
 فصارت صلصالا كالخزف ولا يدري أحد ما يراد به ولم ير واشيا من الصور يشبهه الى أن نفخ فيه الروح  
 (والجن) وهو أئوال الجن والاصح ان الشياطين قسم من الجن فكل من كان منهم مؤمنا فإنه لا يسمى  
 بالشیطان وكل من كان منهم كافرا يسمى بهذا الاسم (خلقناه من قبل) أى من قبل خلق الانسان  
 (من نار السموم) أى من نار الحر الشديد النافذ في المسام أو من نار الريح الحارة (واذا قال ربك للملائكة  
 اني خالق بشرا) أى جسمها كشيء يلاقى بخلاف الجن والملائكة فانهم لا يلاقون للطف أجسامهم (من  
 صلصال) أى من طين يتصلصل (من حمأ مسنون) أى من طين منتن رطب (فاذا سويته) أى  
 أتممت خلقه باليد والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي) أى جعلت الروح فيه  
 وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لا فاضة ما يحيا آدم به من الروح التي هي من أمره تعالى (فقعوا)  
 اي خروا (له) أى لذلك البشر (ساجدين) بوضع الجبهة على الارض لا بالانحناء تعظيما له فالسجود  
 كان لآدم في الحقيقة أو المعنى امجد والله تعالى بوضع الجبهة على الارض وآدم عليه السلام بمنزلة القبلة  
 لذلك السجود حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)  
 أى خلقه فسواه فجعل فيه الحياة فشهد الملائكة فعنى كلهم أى لم يشذ منهم أحد ومعنى أجمعون أى لم يترك  
 في ذلك أحد منهم عن أحد أى فالكل مهبطا دفعة واحدة (الابليس) رئيسهم (أبى أن يكون مع)

الساجدين قال) أى الله تعالى (يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين) أى أى سبب لك فى أن  
 لا تكون مع الساجدين لآدم (قال) أى ابليس (لم أكن لاسجد) أى لا يصح منى أن أسجد (لبشر)  
 أى جسم كثيف لأنه مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها واناروحانى لطيف (خلقته) أى البشر  
 (من صلصال) نائى (من خامس نون قال) الله تعالى (فاخرج منها) أى من زمرة الملائكة  
 العزيزين ويقال من رحمتى والغاء فى جواب شرط مقدر أى حيث عصيت وتكبرت فاخرج منها (فانك  
 رجيم) أى مطرود عن الرحمة (وان عليك اللعنة) أى الابعاد عن الرحمة (الى يوم الدين) أى  
 الجزاء أى انك مدعو باللعنة فى السموات والأرض الى يوم الحساب من غير أن يعذب فأذا جاء ذلك اليوم  
 عذب عذابا ينسى اللعن معه فيصير اللعن حينئذ كالزائل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه (قال) ابليس  
 (رب فأنظرنى) أى أحرني ولا تمننى (الى يوم يبعثون) أى آدم وذريته للجزاء بعد قتلهم وأراد  
 الملعون بهذا السؤال ان لا يذوق الموت لاستحالة بعد يوم البعث وان يجد نفسه فى اغوائهم (قال) الله  
 تعالى (فانك من المنظرين) أى المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) وهو وقت النفخة الاولى التى  
 علم أنه يموت كل المخلوق فيه (قال) ابليس (رب بما أغويتنى لآزيتن لهم فى الأرض) أى أقسم  
 باغوائك اياى لآزيتن لذرية آدم المعاصي فى الدنيا التى هى دار الغرور (ولاغوينهم أجمعين الاعداد  
 منهم المخلصين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وبكسر اللام فى كل القرآن أى الذين أخلصوا دينهم  
 عن كل شائب يناقض التوحيد وقرأ الباقر بن فتح اللام أى الذين أخلصهم الله تعالى بالتوفيق والعصمة  
 وعصمتهم من كيد ابليس قال تعالى (هذا صراط على مستقيم) أى هذا الاخلاص طريق يؤدى الى  
 كرامتى وثوابى من غير اعوجاج وقرأ يعقوب على بالرفع والتنوين على أنه صفة لمرط أى هذا الاخلاص  
 طريق رفيع لا عوج فيه (ان عبادى) سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين (ليس لك عليهم  
 سلطان) أى قدرة أصلا على الاغواء (الامن اتبعك من الغاوين) ولما أوهم ابليس فى كلامه ان له  
 على بعض عباد الله تسلطا بالاغواء بين الله كذبه فيه وذكر أن اغواءه للغاوين ليس بطريق تصرفه  
 بالاغواء بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وان جهنم لوعدهم) أى لمصير المتبعين (أجمعين  
 لها) أى لجهنم (سبعة أبواب) أى سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم  
 لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الحجيم ثم الهاويه (لكل باب) أى دركة (منهم) أى الاتباع  
 (جزء) أى حزب معين (مقسوم) أى مفرز من غيره فى الدركة الاولى أهل التوحيد الذين ادخلوا  
 النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون  
 وفى الخامسة المجوس وفى السادسة أهل الشرك وفى السابعة المنافقون والحاصل ان الله تعالى يجزئ  
 أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء منهم دركة من النار والسبب فى التجزئة ان مراتب الكفر  
 مختلفة بالغلظ والحققة فصارت مراتب العذاب مختلفة بذلك (ان المتقين) من الكفر (فى جنات وعيون)  
 أى مستقرون فيهما السكك كل منهم عدة منهما (ادخلوها بسلام) أى ادخلوا الجنة سالمين من كل آفة (آمنين)  
 من كل خوف أى لما ملأوا جنات كثيرة فكلما أرادوا ان ينقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ادخلوها  
 بسلام آمنين وقرئ ادخلوها أمر من الله تعالى للملائكة بأدخالهم فى الجنة وقرأ الحسن ادخلوها مبنيًا  
 للمفعول على صيغة الماضى المزيدي (وزعنا ما فى صدورهم من غل) أى عداوة كانت بينهم فى الدنيا  
 (اخواتنا) حال من ضمير صدورهم أو من فاعل ادخلوها (على سرر) من ذهب مكللة بالزبرجد

والدر والياقوت تدور بهم الاسرة حيث اداروا (متقابلين) في الزيارة أي انهم اذا اجتمعوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم به بحيث يصير راكبه مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاه الى الجهة التي يسير لها السرير وهذا أبلغ في الانس والاكرام (لايسمهم فيها نصب) أي تعب لحصول كل ما يريدونه من غير مشاقلة عمل أصلا (وما هم منها بمخرجين) لان تمام النعمة بالخلود (نبي عبادي) أي اخبريا أشرف الرسل كل من كان معترفا بعبوديتي (أنا الغفور) لاهصاة من المؤمنين (الرحيم) بهم (وأن عذابي) للعصاة ان عذبت (هو العذاب الاليم) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون والناريين أيديكم فنزل قوله تعالى نبي عبادي أنا الغفور الرحيم (ونبتهم) أي خبريا سيد المرسلين عبادي (عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة على صور غلمان حسان منهم جبريل (أذخاوا عليه فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما أي قالوه تحية لابراهيم (قال أنا منكم وجلون) أي خائفون قال ابراهيم ذلك حين امتنعوا من أكل ما قرب به اليهم من العجل الخبيذ لان العادة ان الضيف اذا لم يأكل مما قدم له يكون خائفا (قالوا لا توجل) أي لا تخف يا ابراهيم منا (أنا نبشرك بغلام) أي ولده هو محق (عليه) في صغره حلیم في كبره (قال أبشرونني) بذلك (على أن مسني الكبر) أي بعدما أصابني الكبر (فبم تبشرون) أي فبأي أنجوبة تبشرونني فما استفهام بمعنى التعجب أراد ابراهيم بهذا السؤال ان يعرف انه تعالى يعطيه الولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة أو بعد قلبه شابا فينبوا ان الله تعالى أعطاه الولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة قرأ نافع تبشرون بكسر النون خفيفة في كل القرآن وقرأ بن كثير بكسر النون وتشديد ها والياقوت بفتح النون خفيفة (قالوا بشركناك بالحق) أي بطريقة هي حق وهو أمر الله تعالى (فلا تكن من القانطين) أي من الآيسين من الولدان الله قادر على أن يخلق بشرا بغير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر (قال) ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) أي لا يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح في ربه فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته ومرا د سيدنا ابراهيم بهذا القول نفى القنوط عن نفسه على أبلغ وجه أي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي أقول لبيان منافاة طالي لفيض تلك النعمة الجليلة على وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بكسر النون وقرئ شاذبا بضم النون (قال) ابراهيم لجبريل واعوانه (فما خطبكم) أي شأنكم الخطير سوى البشارة (أيها المرسلون) قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) لاهلاكهم (الآل لوط) ابنتيه زاعورا وريثا وامرأته الصالحة (أنا نجوهم) أي لوطا وآله (أجمعين) أي عما يصيب القوم (الامرأته) واعلة المناقفة (قدرنا) أي قضينا عليها (انها من الغابرين) أي الباقيات مع الكفرة لتهلك معهن وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا بفتح نيف الدال ههنا وفي النمل وقرأ حمزة والكسائي لنجوهم بكسر النون فخرجوا من عند ابراهيم وسافروا من قريته الى قرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (فلما جاء آل لوط المرسلون) هم الملائكة الذين ضافوا ابراهيم (قال) لوط لهم (انكم قوم منكرون) أي تنكرونكم نفسي فأخاف ان تصيبوني بشروا لا أعرف غرضكم لاى غرض دخلتم على (قالوا) أي الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يعتزون) أي ما جئناك بما تنكروننا لاجله بل جئناك بالعذاب الذي هددت قومك به فيشكون في مجيئه بهم ويكذبونك وهو ما يشفيك من عدوك وما فيه سرورك (وأنتناك بالحق) أي بالاخبار بمجيء العذاب (وأنا لصادقون) في مقالتنا ان العذاب نازل عليهم (فأمر بأهلنا بقطع من الليل) أي فسر ببنيتك

وامرأتك الصالحة في جزء من الليل عند السحر (واتبع أديارهم) أي امش خلفهم جهة مصر لاجل  
 ان تطمئن عليهم وتعرف انهم ناجون (ولا يلتفت منكم أحد) الى ورائه اذا سمع الصيحة لثلاث نوايا من  
 عظيم ما نزل بهم من البلاء (وامضوا حيث تؤمرون) أي سيروا الى المكان الذي امركم الله بالذهاب  
 اليه وهو مصر (وقضينا اليك الامر أن دبر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي وأخبرنا لوطا عن ذلك الامر  
 ان آخر هؤلاء المجرمين مستأصل حال دخولهم في الصبح أي يتم استئصالهم حال ظهور الصبح حتى لا يبقى  
 منهم أحد (وجاء أهل المدينة) أي مدينة سدوم الى دار لوط (يستبشرون) أي يظهر السورور  
 باضياف لوط وقالوا نزل بلوط ثلاثة من الرمد مارا يناقط أصبح وجهه ولا أحسن شكلا منهم فذهبوا الى دار  
 لوط طلبا منه لاولئك الرمد (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحوني) أي فلا تظهر واعاري  
 عندهم فان الضيف يجب اكرامه فاذا قصدتموهم بالسوء كان ذلك اهانة بي (واتقوا الله) في فعل الفاحشة  
 (ولا تحزنون) أي ولا تتجملوني (قالوا أولم ننهك عن العالمين) أي السنا قد نهيناك عن أن تكلمنا في أحد  
 من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكان لوط ينهاهم عنها بقدر وسعته (قال هؤلاء بناتي) فتزوجهن  
 (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر (لعمرك) قسمي وهذا قسم من الملائكة بحياة لوط عليه السلام (انهم  
 لفي سكرتهم) أي في شدة غلغلتهم التي أزال عقولهم (يعمّهون) أي يتحيرون فكيف يقبلون قولك  
 ويلتفتون الى نصيحتك (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة عظيمة مهلكة (مشرقين) أي داخلين في وقت  
 شروق الشمس (لجعلنا عاليها) أي المدينة (سافلها) وكانت قراهم أربعة فيها أربع مائة ألف مقاتل  
 (وأما نزلنا عليهم) أي على أهل المدينة قبل تمام الانقلاب أو على من كان منهم خارجا عن المدينة بأن  
 كان غائبا في سفر أو غيره (حجارة من سجيل) أي وحل مطبوخ بالنار عليه كتاب (ان في ذلك) أي فيما  
 ذكر من قصة ابراهيم وقصة لوط (آيات) أي لعبرات (للمتوسمين) أي للمتفكرين (وانها) أي مدينة قوم  
 لوط (لبسبيل مقيم) أي في طريق ثابت لم يتحرف والذين يعمرون من الحجاز الى الشام يشاهدونها (ان في  
 ذلك) أي في كون المدينة مشاهدة للناس في ذهابهم وايابهم (آية) أي لعبرة عظيمة (للمؤمنين) أي لكل  
 من آمن بالله وصدق الانبياء فانهم عرفوا أن ما حاق بهم من العذاب لمخالفتهم لرسول الله تعالى أما الذين  
 لا يؤمنون فيحملونه على حوادث العالم (وان كان أصحاب الآية) أي وان الشأن كان أصحاب بقعة  
 الانحجار وكانوا يسكنونها وكان أكثر شجرهم الدوم (لظالمين) بتكذيبهم شعيبا عليه السلام (فانتقمنا  
 منهم) روى أن الله تعالى سلط عليهم الحرسبعة أيام حتى أخذ بانفسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله لهم  
 محابة كالنظلة فالتجأوا اليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها فبعث الله عليهم منها نارا فاحرقتهم جميعا (وانهما)  
 أي قريات لوط وقريات شعيب (لبامام مبين) أي لفي طريق واضح يرأه أهل مكة عليهما (ولقد كذب  
 أصحاب الحجر المرسلين) أي صالحا وحملة المرسلين فالقوم براهة منسكرون لكل الرسل والحجروا دين  
 المدينة الشريفة والشام وآثاره باقية يمر عليها ركب الشام في ذهابه الى الحجاز وكان ثمود يسكنونه  
 (وآتيناهم آياتنا) أي أعطيناهم الناقة وكان فيها آيات كثيرة تكبر وجههم من العظرة وعظم جنتها  
 وقرب ولادتها عند خروجهم من الصخرة وكثرة لبنها وشربها (فكانوا عنها) أي تلك الآيات (معرضين)  
 فلا يستدلون بها على صدق صالح عليه السلام حتى قتلوا الناقة (وكانوا يحتنون من الجبال بيوتا آمنين)  
 من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوناقتها (فأخذتهم الصيحة صبحين) أي صيحة من  
 السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم عند الصباح

(فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فلم يدفع عنهم ما كانوا يعملون من فحش تلك الجبال بنقرها بالموال  
 وجمع الاموال منازل بهم من البلاء (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى الاسباب  
 العدل فكيف يليق بحكمته افعال أسرك يا أكرم الرسل (وان الساعة لا تيسر) فان الله لينتقم لك  
 فيها من أعدائك ويجازيك على حسنائك ويجازيهم على سيئاتهم (فاصفح الصغى الجميل) أى  
 أعرض عنهم وحتم ما تلقى منهم أعراضا جميلا بحلم والمقصود من هذا الكلام أن يظهر الرسول الخلق  
 الحسن والعفو فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق العليم) أى انه تعالى خلق الخلق مع اختلاف  
 طبائعهم وتفاوت أحوالهم وعلم كونهم كذلك لمحض ارادته (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) أى سبع  
 آيات هي المثاني وهي الفاتحة وهذا قول عمر وعلى وابن مسعود وأب هريرة والحسن وأبي العالية ومجاهد  
 والزهالك وسعيد بن جبيرة وقتادة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي السبع  
 المثاني وقيل سميت الفاتحة مثاني لأنها قسمان ثناء ودهاء وأيضا النصف الاول منها حق الربوبية وهو  
 الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء (والقرآن العظيم) وهذا من عطف الكل على  
 البعض فبعض الشيء مغاير لمجموعه فكيف هذا القدر من المغايرة في حسن العطف ونقل عن ابن عباس  
 وطاوس أن السبع المثاني هو القرآن كله وعلى هذا فهو عطف أحد الوصفين على الآخر مع وحدة ذات  
 الموصوف وانما حسن العطف لاختلاف اللفظين فان القرآن سبعة أسباع كل سبع حقيقة وكله مثان  
 أمر ونهي ووعود وعيد وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ وحقيقة وبخار ومحكم ومتشابه وخبر وما كان  
 وما يكون ومدحة لقوم ومذمة لقوم وسبب نزول هذه الآية أن سبع قوافل أقبلت من بصرى وأذرعات  
 ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون  
 لو كانت هذه الاموال لنا لتقويننا بها لا نغتناها في سبيل الله فقال الله تعالى لهم لقد أعطيتكم سبع  
 آيات هي خير لكم من هذه القوافل السبع ويد على صحة هذا قوله تعالى (لا تمدن عينيك الى مامتة عنايه  
 أزواج منهم) أى لا تنظرن بالرغبة الى ما أعطينا رجالا من الكفرة من متاع الدنيا وزخارفها وان ما في الدنيا  
 بالنسبة الى ما أعطيتكم مستحق (ولا تحزن عليهم) أى لا تحزن لاجل عدم ايمانهم (واخفض جناحك  
 للمؤمنين) أى تواضع لهم ولين جانبك لهم (وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين) أى اني منذر  
 آت بالبنات فانذرتكم مثل ما نزل بالذين اقتسموا طرق مكة يصعدون الناس عن الايمان ويقولون  
 لمن سلكها لا تغتروا بهذا الخراج فينا يدعى النبوة فانه مجنون وربما قالوا اسأرو ربنا  
 قالوا كاهن وسما المقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطرق فاما تهم الله شريفة (الذين جعلوا القرآن عضين)  
 أى الذى جزوا القرآن أجزاء فقالوا اسأرو شعرو كهانة ومفترى وأساطير الاولين (فأوردك لنساء لهم  
 أجمعين) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) فى الدنيا من قول وفعل وترك (فاصدع بما تؤمر) أى اطهر  
 ما تؤمر به وافرق بين الحق والباطل (وأعرض عن المشركين) أى لا تبالي بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك  
 على اظهار الدعوة وهذا ليس بمنسوخ لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم (انا كفيناك المستهزئين)  
 أى الذين يبالغون فى الاستهزاء بك وفى اذائل (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) ماذا يفعل  
 بهم فاهلكهم الله فى يوم وليلة وكانوا خمسة من أشرف قريش الزيد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث  
 ابن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبيد يغوث فاما الوليد المخزومي فربن بال فأصاب النبيل عرقا  
 فى عقبه فقطعه فمات وأما العاص السهمي فدخلت فى أخمصه شوكة فقال لدغتك لدغتك وافتفتحت رجله



حتى صارت كالرمال مات وأما الحرث السهمي فانه أكل حوتا ما لحا فأصابه العطش فشرب عليه الماء حتى انشقق بطنه فمات وأما الاسود بن المطلب فرماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعته عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وأما الاسود بن عجمد يغوث فانه خرج في يوم شديد الحر فأصابه السموم فأسود حتى عاد حبشيا فرجع الى بيته فلم يفتحوا عليه الباب فقطع رأسه بيباه حتى مات وكلهم كانوا يقولون قتلنا رب محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك) بحسب الطبيعة البشرية وان كان جميع أموره صلى الله عليه وسلم مفوضا لربه (بما يقولون) أى بسبب ما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك (فسبح بحمديك) أى فافزع الى الله تعالى فيما نابك من الغم بالتسبيح ملتبسا بحمده تعالى (وكن من الساجدين) أى من المصلين وكان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أى الموت فانه متيقن الخوق بكل شيء مخلوق أى واعبد ربك في زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة عن هذه العبادة

سورة النحل وتسمى سورة النعم مكية الا ثلاث آيات في آخرها مائة وثمان وعشرون آية وألف وثمان مائة واحد وأربعون كلمة وستة آلاف وسبع مائة وسبعة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله) أى العذاب الموعود للكفرة والحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئا ينسبوه الى الكذب فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى أتى أمر الله أى قد حصل حكم الله بنزول العذاب من الازل الى الابد وانما لم يحصل المحكوم به لانه تعالى خصص حصوله بوقت معين (فلا تستعجلوه) أى لا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ولما قالت الكفار اننا سلمنا لك يا محمد صحة ما تقول من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا ما في الدنيا وما في الآخرة الا أننا نعبد هذه الاصنام فانها شفعاؤنا عند الله فهي تسفع لنا عنده فتخلص من هذا العذاب المحكوم به بسبب شفاعته هذه الاصنام فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يشركون) ففزه الله تعالى نفسه عن شركة الشركاء وأن يكون لاحد أن يشفع عنده الا باذنه ولما قال الكفار انه تعالى قضى على بعض عبادهم بالسراة وعلى آخرين بالضراء ولكن كيف يمكنك يا محمد ان تعرف هذه الاسرار التي لا يعلمها الا الله تعالى وكيف صرت بحيث تعرف أسرار الله وأحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ينزل الملائكة) أى جبريل ومن معه من الملائكة (بالروح) أى بكلام الله تعالى (من أمره) أى ان الروح هي أمره تعالى (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أنذروا) أى أعلموا الناس (أنه لا اله الا أنا فاتقون) بالاثبات بعبادتي وتقرير هذا الكلام انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عبيده ويأمر الله ذلك العبد الذي نزلت عليه الملائكة بان يبلغ الى سائر الخلق ان اله العالم واحد كافهم به معرفة التوحيد وبالعبادة له وبين انهم ان فعلوا ذلك فلازوا بخير الدنيا والآخرة وان تمردوا وأوقعوا في شر الدنيا والآخرة فهذا الطريق صار ذلك العبد مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق فقوله تعالى لا اله الا أنا اشارة الى الاحكام الاصولية وقوله تعالى فاتقون اشارة الى الاحكام الفروعية (خلق السموات والارض بالحق) أى أو جدهما على صفات خصصها بحكمته ولما احتج تعالى بخلق السموات والارض على حدوثهما قال بعده (تعالى عما يشركون) فالقاتلون بقدوم السموات والارض كأنهم أثبتوا الله شريكا في القدم ففزه تعالى نفسه عن ذلك وبين انه

لا قديم الا هو فالقصد من قوله أو لا سبحانه وتعالى عما يشركون ابطال قول من يقول ان الاصنام  
 تشفع للكفار في دفع عقاب الله عنهم والمقصود ههنا ابطال قول من يقول أجسام السموات والارض  
 قديعة تنزه الله تعالى نفسه عن ان يشاركه غيره في القدم (خلق الانسان من نقطة) منتنة (فاذا هو)  
 بعد قوة عقله وعظم فهمه (خصيم) لربه (مبين) أي ظاهر الخصومة منسكرا لحالقه قائل من يجي  
 العظام وهي رميم وهذا اشارة الى الاستدلال بأحوال نفس الانسان على وجود الصانع الحكيم فان  
 الانتقال من الحالة الخسيسة الى الحالة العالية لا يحصل الا بتدبير مبرح حكيم عليم (والانعام) أي الابل  
 والبقر والغنم (خلقها لكم فيها دافء) أي ما يتدفأ به من اللباس المتخذة من الأصواف والاوبار والاشعار  
 (ومنافع) هي درهاور كوابها والحراثة بها وغير ذلك (ومنها) أي من لحومها (تأكلون ولكم فيها جمال)  
 أي منظر حسن عند الناس (حين تريحون) أي تردونهما من مراعيها الى مراحيها بالعشي (وحين  
 تسرحون) أي تخرجونهما من حظائرهما الى المرعى بالغداة (وتحمل) أي الابل (انقالتكم) أي  
 أمتعتكم (الى بلدكم تكونوا بالغيه) أي واصلين اليه على غير الابل (الابشق الانفس) أي  
 الالبتعب النفس أو الالبذهاب نصف قوة البدن والشق بكسر الشين وفتحها معناه المشقة والنصف (ان  
 ربكم لرفوف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة (والخيل والبغال  
 والحمر لتركبوها وزينة) أي وخلق هذه الاشياء للركوب وللنظر الحسن واحتج بهذه الآية من يحرم  
 لحوم الخيل وقالوا لان الله تعالى خص هذه بالركوب فعملنا أنها مخلوقة للركوب لا للاكل وهو قول ابن  
 عباس وليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول  
 الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي وأحمد وأبو حنيفة واحتجوا على اباحة لحوم الخيل  
 بما روي عن أم هانئ بنت أبي بكر الصديق قالت فخرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن  
 بالمدينة أخرجه البخاري ومسلم وروى الشيخان عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 نهى عن لحوم الجر الا هلية وأذن في لحوم الخيل (ويخلق ما لا تعلمون) أي ويخلق في الدنيا غير  
 ما عدد من أصناف النعم وروى عن ابن عباس انه قال ان عن عيسى العرش نهران نور مثل السهوات السبع  
 والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيها جبريل عليه السلام كل صهر فيغتسل فيزداد نورا الى نور  
 وجمالا الى جمال وعظما الى عظم ثم ينثقب فيخلق الله تعالى من كل قطرة ماء من ريشه كذا وكذا ألف  
 ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون اليه  
 الى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) أي وعلى الله بيان استقامة الطريق وهو الاسلام (ومنها)  
 أي من السبيل (جائر) أي مائل عن الحق وهو أنواع الكفر والضلال (ولو شاء لهدانا كم أجمعين)  
 الى استقامة الطريق (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم) ولكل حي (منه) أي الماء (شراب ومنه  
 شجر) أي من الماء ما ينبت على الارض (فيه) أي في الشجر ترعون مواشيكم (ينبت لكم به)  
 أي بالماء (الزروع والزيتون والنخيل والاعناب) والانسان خلق محتاجا الى الغذاء وهو ما أن يكون  
 من الحيوان أو من النبات والغذاء الحيواني انما يحصل من اسامة الحيوانات وأما الغذاء النباتي  
 فقسما حبوب وفواكه فالحبوب هي ما به قوام بدن الانسان وأشرف الفواكه الزيتون والنخيل  
 والاعناب أما الزيتون فلانه فاكهة من وجهه وأدام من رجه آخر لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان  
 كثيرة في الاكل والطلا واشتغال المرحج وأما امتياز النخيل والاعناب من سائر الفواكه فظاهر (ومن)

كل الثمرات) مما لا يمكن على الناس تفصيل أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها (ان في ذلك) أى  
 في انزال الماء ونبات ما ذكرنا (آية) دالة على تفرد تعالى بالالوهية (لقوم يتفكرون) ألا ترى ان  
 الحبة الواحدة اذا وضعت في الارض ومرت عليها مقدار من الزمان مع رطوبة الارض فانها تنبت  
 وينشق أعلاها فيصعد منه شجرة الى الهواء أسفلها تغوص منه عروق في الارض ثم ينمو الاعلى ويقوى  
 وتخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار المستملة على أجسام مختلفة الطبائع والطعوم  
 والالوان والرائحة والاشكال والمنافع ومن تفكر في ذلك علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه  
 أحد في شئ من صفات الكمال (ومخبركم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات)  
 قرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم بالرفع على الابتداء ومسخرات خبرها رقرأ حفص عن عاصم  
 والنجوم بالرفع والباقيون بالنصب في الجميع ومسخرات حاله منه أى انه تعالى مسخر للناس هذه الاشياء  
 وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرات لله تعالى (بأمره) أى بإرادته كيف شاء (ان في ذلك)  
 أى تسخير الليل وما بعده (آيات لقوم يعقلون) أى يعلمون ان تسخيرها من الله تعالى (وما ذرا  
 لكم في الارض) أى وسخير لكم ما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات (مختلفا ألوانه ان في ذلك)  
 أى في اختلاف ما في الارض (آية لقوم يذكرون) أى يتعظون فان اختلاف طبائع ما في الارض  
 وأشكاله مع اتحاد موادها اغما هو بصنع حكيم عليم قادر مختار نزه عن كونه جسمانيا وذلك هو الله  
 تعالى (وهو الذي يغير الجبال) ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من  
 الانتفاع بها اما بالزكوب أو بالغوص (لتأكلوا منه لحما) أى سمها (طريا) والتعبير عن السهك  
 باللحم مع كونه حيوانا لا يخصص الا انتفاع به في الاكل ووصفه بالظراوة للشعار بلطفه والتنبيه على  
 طلب المسارعة الى أكله لسرعة فساد (وتستخرجوا منه حليمة) أى لؤلؤ ومرجانا (تلبسونها)  
 أى تلبسها نساءكم فان زينة النساء بالحلي اغما هو لاجل الرجال فهي حليمة لكم بهذا الاعتبار  
 (وترى الفلك) أى تبصر السفن (فيه مواخير) أى جوارى في البحر مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة  
 تشقه بحيزومها (ولتبتغوا من فضله) أى لتركبوها للوصول الى البلدان الشاسعة فتطلبوا الرزق  
 بالتجارة وغيرها من فضل الله تعالى (ولعلكم تشكرون) أى تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون  
 بآدابها بالطاعة والتوحيد (وألقى في الارض رسما) أى جعل فيها جبالا ثوابت (أن عميد بكم)  
 أى كراهة ان تميل بكم الارض وتضطرب (وأنهارا) أى جعل في الارض أنهارا حارية لمنافعكم  
 (وسبلا) أى جعل فيها طرقا (لعلكم تهتدون) أى لكي تهتدوا بها في أسفاركم الى مقاصدكم (وعلامات)  
 أى جعل في الارض امارات الطرق التي يستدل بها المارون وهي الجبال والرياح والتراب فان جماعة  
 يشمون التراب ويتعرفون بذلك الشم الطرق (وبالنجم هم يهتدون) بالليل في البراري والبحار وقال  
 السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى (أفمن يخلق) هذه الاشياء وهو الله تعالى (كن لا  
 يخلق) شيئا أصلا وهو الاصنام (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تتذكرون فان هذا القدر لا يحتاج  
 الى تفكير ولا الى شئ سوى التذكركم فيه ان تنبهوا على ما في عفوكم من ان العبادة لا تليق الا  
 بالذم الاعظم فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة ويترك عبادة من  
 يستحقها (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أى انكم لا تعرفونها على سبيل التمام واذ لم تعرفوها  
 امتنع منكم القيام بشكرها على سبيل التمام وما يدل قطعاً على ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة أقسام

نعم الله تعالى ان كل جزء من أجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه أدنى خلل لتنقص العيش على الانسان  
 ولتخفى أن ينفق كل الدنيا حتى يرزق عنه ذلك الخلل ثم انه تعالى يدبر أحوال بدن الانسان على الوجه  
 الاكمل مع أن الانسان لا علم به بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحة فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك  
 ثم تأمل في جميع ما خلق الله في هذا العالم من المعادن والنبات والحيوان وجعلها هياكل لا تتفاعل بها  
 حتى تعلم أن عقول الخلق تنفذ في معرفة حكمة الرحمن في خلق الانسان فصلا عن سائر وجوه الاحسان ثم  
 الطريق الى الشكر أن يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلا ومجملها (ان الله لغفور) للتقصير  
 الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب تقصيركم (والله  
 يعلم ما تسرون) أي تضمرونه من العقائد والاعمال (وما تعلنون) أي تظهرونه منها وهذه الاصنام  
 جمادات لا معرفة لها بشئ أصلا فكيف تحسن عبادتها (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا)  
 أي والآلهة الذين يعبدونهم الكفار من دون الله لا يقدرون أن يخلقوا شيئا أقرأ حفص عن عاصم يسرون  
 ويعلمون ويدعون بالياء على الغيبة لكن ما نقل عن السمين أن قراءة الياء التحتمية شاذة في الفعلين  
 الاولين وقرأ أبو بكر عن عاصم يدعون خاصة بالياء على المغيبة وقرئ على صيغة المبني للفعل (وهم  
 يخلقون) أي ان الاصنام مخلوقة لله تعالى محبوسة من الجارية وغيرها (أموات) أي جمادات لا روح  
 فيها (غير أحياء) أي لا تأتياها الحياة أصلا (وما يشعرون أيان يبغثون) أي وما يشعروا أولئك الآلهة  
 متى يبعث عبدتهم من القبور وفي ذاتهم بالشرك في أن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف وقت  
 جزاءهم من عبادتهم وقيل المعنى ان هذه الاصنام لا تعرف متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله  
 تعالى يبعث الاصنام ولها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بها الى النار (الهمكم اله واحد) لا يشاركه  
 شئ في شئ (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) ولا يرغبون في حصول الثواب ولا يرهبون من الوقوع في العقاب  
 (قلوبهم منكورة) لوحداية الله تعالى ولكل كلام يخالف قولهم (وهم مستكبرون) عن الرجوع  
 من الباطل الى الحق (لأحرم) أي حق (أن الله يعلم ما يسرون) من قلوبهم (وما يعلنون) من  
 استكبارهم (انه لا يحب المستكبرين) على خلقه فما بالك بالمستكبرين على التوحيد واتباع الرسول  
 صلى الله عليه وسلم (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) أي واذا قال وفود الحاج لا أولئك المنكرين  
 المستكبرين عما أنزل الله تعالى على محمد عليه السلام (قالوا أساطير الاولين) أي هذا الذي تذكرون  
 انه منزل من ربكم هو أكاذيب الاولين ليس فيه شئ من العلوم والحقائق (ليحملوا أوزارهم) أي آثامهم  
 الخاصة بهم وهي آثام ضلالهم (كاملة يوم القيامة) أي لم يخفف من عقابهم شئ يوم القيامة بمصيبة  
 أصابتهم في الدنيا فقله ليحملوا متعلق بقاوا فاللام للعاقبة وقوله يوم القيامة ظرف ليحملوا (ومن أوزار  
 الذين يضلونهم) أي وليحملوا أيضا من جنس آثام من ضل باضلالهم أي فيحصل للرؤساء مثل أوزار  
 الاتباع (بغير علم) أي ان هؤلاء الرؤساء يقدمون على الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب  
 الشديد في مقابلته (الأساء ما يزررون) أي بشئ ما يحملونه من الذنوب حملهم هذا (قدمكر الذين من  
 قبلهم) فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم) أي قدر تبوا منصوبات ليحكمروا بها  
 أنبياء الله تعالى فأهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو ابينا ناشدوا دعوه فأنهم ذلك  
 البنيان وسقط عليهم سقن بنيانهم فأهلكهم شئت حال أولئك الماكرين في تسويتهم المكاييد وفي  
 ابطاله تعالى تلك الحيل وجعله تعالى اياها أسبا بالهلاكهم بحال قوم بنو ابينا وهدوه بالاساطين

فضعفت تلك الاساطين فسقط عليهم السقف فهلكوا فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكرباً خرفاً هلكه  
الله بكمرة ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر لا خيه قليبا وقع فيه قريبا (وأنا هم العبد اب من  
حيث لا يشعرون) أي أنهم اعتمدوا على منصوباتهم ثم تولد البلاء منها باعيا نها قهولا الماكرون  
القائلون ان القرآن أساطير الاولين سيا تيهم من العذاب العاجل من جهة لا تخطر ببالهم مثل ما أتاهم  
(ثم) الله تعالى (يوم القيامة يخزيهم) أي يذل الكفار بعذاب (ويقول أين شركاؤ الذين كنتم تشاقون  
فيهم) أي يقول الله لهم تفضيها أين شركاؤ الذين كنتم تتخاهون الانبياء والمؤمنين في شأن  
الشركاء حين ينو السكم بطلانها وقرأ نافع تشاقون بكسر النون (قال الذين أوتوا العلم) أي يقول  
المؤمنون الذين أوتوا علما بآيات التوحيد حين يرون خزي الكفار وهم في الموقف (ان الخزي) أي  
الفضيحة (اليوم والسوء) أي العذاب (على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة) أي عزرائيل  
وأعوانه (ظالمى أنفسهم) أي مستمرين على الكفر فأنهم ظلموا أنفسهم حيث عرضوها للعذاب المخلد  
وقرأ حمزة يتوفاهم بالياء مع الامالة في الموضعين (فالتوا والسلم) أي أسلموا وأقرؤا الله بالعبودية عند  
الموت قائلين (ما كنا نعمل من سوء) أي شرك في زعمنا فتقول الملائكة (بلى) كنتم تعملون أعظم  
الشرك (ان الله عليم بما كنتم تعملون) من الشرك فلا فائدة لكم في انكاركم (فادخلوا أبواب جهنم)  
أي ليدخل كل صنف من الكفرة في طبقة هو موعود بها والمراد دخولهم فيها في رقتة فان ذلك تخويف  
عظيم وان تراخي المخوف به لا دخول القبر الذي هو حفرة من حفرة النيران (خالدين فيها) أي دركات  
جهنم لا يخرجون منها (فلبئس مثوى المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الانبياء (وقيل  
للذين اتقوا) أي خافوا الشرك وأيقنوا انه لا اله الا الله محمد رسول الله (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي  
أنزل خيرا قال المفسرون كان في أيام الموسم يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره فيقولون انه  
ساحر وكاهن وكذاب فيأتي المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أنزل الله عليه فيقولون خيرا أي أنزل خيرا  
والذي قالوه من الجواب موصوف بأنه خير (للذين أحسنوا) أي قالوا لا اله الا الله مع الاعتقاد الحق  
(في هذه الدنيا حسنة) أي ثناء ورفعة وتعظيم وهذه الجملة بدل من قوله خيرا أو تفسير له وذلك أن الخير هو  
الوحي الذي أنزل الله تعالى فيه قوله من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة وقوله  
تعالى في هذه الدنيا حسنة (ولدار الآخرة خير) مما حصل لهم في الدنيا (ولنعم دار المتقين)  
والمخصوص بالمدح اما محذوف تقديره دار الآخرة أو هي دار الدنيا لان المتقين يترقون فيها للآخرة واما  
قوله تعالى (جنات عدن) وهذه تدل على القصور والبساتين وعلى الدوام (يدخلونها) يوم القيامة صفة  
لجنات أو حال (تجري من تحتها الانهار) أي انهار الخمر والماء والعسل واللبن وهذه تدل على أن هناك  
أبنية يرتفعون عليها وتكون الانهار جارية من تحتهم (لهم فيها ما يشاؤون) من أنواع المشتبهات والمتخنيات  
وهذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات (كذلك) أي مثل ذلك الجزء الاو في (يجزي  
الله المتقين) أي كل من يتقى من الشرك والمعاصي (الذين تتوفاهم الملائكة) أي قبضتهم (طيبين)  
أي طاهرين من الكفر مبشرين عن العلائق الجسمانية متوجهين الى حضرة القدس فرحين ببشارة  
الملائكة اياهم بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت (يقولون) أي الملائكة  
عند الموت وهذه حال من الملائكة وطيبين حال من المفعول (سلام عليكم) أي لا يلحقكم مكروه وعن  
محمد بن كعب القرظي قال اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله

بقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (ادخلوا الجنة) أي جنات عدن وهي خاصة لكم كأنكم فيها والمراد  
 دخولهم فيها في وقته فإن ذلك بشارة عظيمة وإن تراخى المبشر به لادخول القبر الذي هو روضة من رياض  
 الجنة فإن الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها (بما كنتم تعملون) أي  
 بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة (هل ينظرون) أي ما ينتظر الكفار الذين طعنوا في القرآن  
 وأنكروا النبوة (الأن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم بالتهديد (أو يأتي أمر ربك) أي عذاب  
 ربك في الدنيا بهلاكهم (كذلك) أي مثل فعل هؤلاء من الشرك والتكذيب والاستهزاء (فعل  
 الذين من قبلهم) من الأمم فأصابهم العذاب المجمل (وما ظلمهم الله) بذلك فإنه أنزل بهم ما استحقوه  
 بكفرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأن كذبوا الرسل فاستحقوا ما نزل بهم (فأصابهم سيئات  
 ما عملوا) أي عقاب سيئات أعمالهم (وفاق) أي وأحاط (بهم ما كانوا يستهزئون) أي عقاب  
 استهزائهم من جوانبهم (وقال الذين أشركوا) أي من أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم تكذيبه  
 وطعننا في الرسالة (لوشاء الله) عدم عبادتنا لشيء غيره (ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا)  
 الذي نفتدى بهم في ديننا (ولا حرمنا من دونه من شيء) من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى  
 وأشرنا كتاب الله الأولان وتحرينا بالانعام والحرب بعشيته تعالى فهو راض بذلك وحينئذ فلا فائدة في مجيئك  
 إلينا بالامر والنهي وفي إرسالك (كذلك) أي مثل ذلك لفعل الشنيع (فعل الذين من قبلهم) من  
 الأمم فأشركوا بالله وحرموه وحله وردوا رسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم عن الخطأ وهدوهم إلى الحق  
 (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليست وظيفة الرسل إلا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا فهو واجب  
 عليهم وأما حصول الإيمان فلا يتعلق بالرسول (ولقد بعثنا في كل أمة) من الأمم السالفة (رسولا)  
 خاصا بهم كإبعثناك إلى قومك (أن اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطواغوت) أي اجتنبوا عبادة  
 ما تعبدون من دون الله أو اجتنبوا طاعة الشيطان في دعائه لكم إلى الضلالة (فهم) أي من تلك الأمم  
 (من هدى الله) إلى الحق الذي هو عبادته (ومنهم من حقت) أي ثبتت (عليه الضلالة) فلم يجب  
 الرسول إلى الإيمان فضل عن الحق وعي عن الصدق ووقع في الكفر (فسيروا) يا معشر كفار قريش  
 (في الأرض) أي فإن كنتم في شك من أخبار الرسل فسيروا في الأرض (فانظروا) في أكتافها  
 واعتبروا (كيف كان هاقبة المكذبين) بالرسل من عاد وثمود وأمثالهم لتعرفوا أن العذاب نازل بكم  
 كما نزل بهم (ان تحرص على هداهم) أي إن تطلب يا سيد الرسل توحيد كفار قريش بجهنم فلا تقدر  
 على ذلك (فإن الله لا يهدي من يضل) أي لأنه تعالى لا يخلق الهداية قسرافين يخلق فيه الضلالة  
 لسوء اختياره وقرى لا يهدي بالبنا للفعول (وما لهم من ناصرين) أي وليس لهم أحد يعينهم على مطالبهم  
 في الدنيا والآخرة من دفع العذاب عنهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي حلف الذين أشركوا غاية إيمانهم  
 وإذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد عينه فإن الكفار كانوا يحلفون بأبائهم وآلهتهم فإذا كان الأمر  
 عظيما حلفوا بالله وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين أشركوا اعلما بأنهم كما أنكروا التوحيد  
 أنكروا البعث مقسمين (لا يبعث الله من يمت) فإنهم يجدون في عقولهم أن الشيء إذا صار عدا محض لا يعود  
 بعينه بل العائد يكون شيئا آخر ولقد رد الله تعالى عليهم بلغ رد بقوله (بلى وعدا عليه حقا) أي بلى يعيهم  
 الله بالبعث وعدا حقا لا خلف فيه ثابتا على الله فيمنجزه لا امتناع الخلف في وعده (ولكن أكثر الناس)  
 أي أهل مكة (لا يعلمون) أنهم يبعثون لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناع البعث ولجهلهم بشئون



الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال (ليبين لهم) أي بلي يبعثهم ليعين لمن يموت  
(الذي يختلفون فيه) من أمور البعث وغيرها من أمور الدين فيشيب الحق من المؤمنين ويعذب المبطل  
من الكافرين (وليعلم الذين كفروا) بانه بالاشراك وانكار البعث والنبوة يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين)  
في ما أقسموا فيه وفي كل ما يقولون (انما قولنا شيء) أي شيء كان (إذا أردناه) أي وقت ارادتنا  
لوجوده (أن نقول له كن) أي احدث وهو خير المبتدا (فيكون) أي فيحدث عقب ذلك من غير  
توقف وهذا تمثيل لنفي الكلام والتعب فليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور بل هو تمثيل  
لسهولة حصول المقدرات عند تعلق ارادته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها ولكن العباد خوطبوا بذلك  
على قدر عقولهم ولو أراد الله خلق الدنيا وما فيها في قدر لمع البصر لقدر على ذلك فالعنى انما إيجادنا الشيء عند  
تعلق ارادتنا به ان نوجده في أسرع ما يكون (والذين هاجروا) من مكة الى المدينة (في الله) أي  
لاظهار دينه (من بعد ما ظلموا والنبوة منهم في الدنيا حسنة) أي أرضا كريمة آمنة وهي المدينة وهم أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين آخر جهنم أهل مكة من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم الى المدينة وعلى  
هذا يكون نزول الآية في أصحاب الهجرة فيكون نزولها في المدينة بين الهجرةين وقال ابن عباس رضي  
الله عنهما نزلت هذه الآية في ستة من الصحابة صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبر أخذهم  
المشركون بمكة يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فأما بلال فيخرجونه الى بطناء مكة في شدة الحر  
ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحدا أحدا فاشترأ منهم أبو بكر واعتقه وأما صهيب  
فقال أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم وهاجر وأما سائرهم فقد  
قالوا بعض ما أراد أهل مكة من كلمة الكفر فتركوها عذابهم ثم هاجر وافسبب هجرتهم ظهرت قوة الاسلام كما  
ان بنصرة الانصار قويت شوكتهم فلذلك غلبوا على أهل مكة وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق  
والمغرب وعن عمرانه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله  
في الدنيا وما ادخلك في الآخرة أكبر (ولأجر الآخرة أكبر) أي ولأجر الكائن في الآخرة وهو النعيم  
الكائن في الجنة أعظم من الاجر الكائن في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي وعلم الكفار ان الله تعالى يجمع  
لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لو افاقوهم في الدين (الذين صبروا) على أذية الكفار ومفارقة الاهل  
والوطن وعلى المجاهدة وبذل الاموال والانفس في سبيل الله (وعلى رءسهم يتوكلون) أي اليه خاصة  
يفوضون الامر كله معرضين عما سواه (وما أرسلنا من قبلك) يا أكرم الرسل الى الامم من طوائف  
البشر (الارجال نوحى اليهم) بواسطة الملائكة وهذا رد لقريش حين قالوا الله أعلى وأعظم من ان  
يكون رسوله واحدا من البشر بل لو أراد بعثه رسول السما لبعث ملكا (فاسألوا أهل الذكر) أي أهل  
العلم باخبار الماضين فاذا سألوهم فلا بد ان يجيبوا بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم  
بذلك زالت الشبهة من قلوبهم (ان كنتم لاتعلمون) ان الرسل من البشر (بالبينات والزبر) متعلق  
بمحذوف على انه صفة لرجالا ملتبسين بالمعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة والتكاليف  
التي يبلغونها من الله تعالى الى العباد أو متعلق بيموحى أي يوحى اليهم بالحجج الواضحة وبالكتاب أو  
متعلق بذلك أي فاسألوا أهل العلم بالحجج وبالكتاب القديمة من التوراة والانجيل أو متعلق بلاتعلمون أي  
ان كنتم لاتعلمون الله لم يرسل الرسل الا انسيا بالعلامات وبخبر كتب الاولين فاسألوا كل من يذكر بعلم  
وتحقيق واسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى (وأترلنا اليك الذكر) أي القرآن

سمى ذكر الان فيه تنبيهها للغافلين (لتبين للناس) كافة (ما نزل اليهم) في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال الامم المهلكة بأفانين العذاب على حسب أعمالهم الموجهة لذلك (ولعلمهم يتفكرون) فيما نزل اليهم فيتنبهوا لما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما أصاب الاولين من العذاب (أفأمن الذين مكروا السيئات) أي سعوامن أهل مكة ومن حول المدينة في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على سبيل الخفية (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسف بقارون وأصحابه (أورأيتهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي في حال غفلتهم فيهلكهم بغتة ~~كما فعل~~ بقوم لوط (أورأيتهم بالعقوبة (في قلوبهم) أي في أسفارهم وحركاتهم أقبالا وادبارا (فما هم به عجزين) أي وهم لا يعجزون الله بسبب سفرهم في البلاد البعيدة بل يدرهم الله حيث كانوا (أورأيتهم على تخوف) أي على ان ينقص شيئا بعد شيء في أموالهم وأنفسهم حتى يهلكوا أو على مخافة العذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيما بينهم العذاب وهم متخوفون (فانذركم لربكم رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع الله تخلفكم لها (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتغيظون لاله عن اليمين والشمائل مجد الله) أي ألم ينظروا أهل مكة ولم يروا بابصارهم الى جسم قائم له ظل من جبل وشجر وبناء يرجع ظلاله من المشرق ومن المغرب واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد (وهم دائرون) أي منقادون لقدرة الله تعالى وتديره ولما وصفت الظلال بالانقياد لامره تعالى أشبهت العقلاء فعبع عنها بلفظ من يعقل وقرأ حمزة والسكاكي تروا بالتاء على الخطاب وقرأ أبو عمرو وحده تنقيذ بالتاء (ولله يسجد ما في السموات) من الشمس والقمر والنجوم (وما في الأرض من دابة والملائكة) عطف على ما في السموات ولما بين الله تعالى أولا ان الجمادات بأسرها منقادة لله تعالى بين بهذه الآية ان الحيوانات بأسرها منقادة لله تعالى فأخسها الدواب وأشرفها الملائكة وذلك دليل على ان كل المخلوقات منقادة لله تعالى (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وهذه الجملة بيان لقوله لا يستكبرون أو حال من ضميره أي خائفين لما لك أمرهم خوف هيئة واجلال وهو فوقهم بالقهر (ويفعلون ما يؤمرون) به من الطاعات والتدبيرات فبواطنهم وظواهرهم مبرأة من الاخلاق الفاسدة والافعال الباطلة (وقال الله) لجميع المكلفين (لا تتخذوا الهين اثنين) أي لا تعبدوا الله والاصنام ولما بين الله تعالى أولا ان كل ماسوى الله سواء كان من عالم الارواح أو من كلام الاجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى أتبعه في هذه الآية بالنهي عن الشرك والمقصود من التكرير تأكيد التنفير عن الاشرار بالله وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح (انما هو اله واحد) أي لما دلت الدلائل السابقة على انه لا بد للعالم من اله وقد ثبت ان وجود الهين محال ثبت انه لا اله الا الواحد الاحد (فاياي فارهبون) أي ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض ولما كان اله واحد والواجب لذاته واحد كان كل ماسواه محاصلا بتخليقه وإيجاده فثبت ان تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لان أفعال العباد من جملة ما في السموات والأرض ووجوب ان يكون جميع المخلوقات في ملكه وتصرفه وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله ما في السموات والأرض) أي خلقا وملكا (وله الدين واصبا) أي لله تعالى الطاعة دائما فليس من أحد يطاع الا انطقت تلك الطاعة بالموت أو بسبب في حال الحياة الا الله تعالى فان طاعته واجبة أبدا وفي الآية دقيقة أخرى فمعنى قوله تعالى له ما في السموات والأرض ان كل ماسوى الله محتاج في انقلابه من العدم الى

الو جود ومن الو جود الى العدم الى مخصص ومعنى قوله تعالى وله الدين واصب ان هذا الاحتياج الى  
 المرجح حاصل دائماً ابداً لان الممكن حال بقاءه لا يستغنى عن المرجح لان علة الحاجة هي الامكان وهو من  
 لوازم الماهية فوجب ان تكون الحاجة حاصلة حال حدوثها وحال بقاءها (أفغير الله تتقون) أى انكم بعد  
 ما عرفتم ان اله العالم واحد وان كل ما سواه محتاج اليه في وقت حدوثه وفي وقت دوامه فبعد العلم بهذه  
 الاصول كيف يعقل ان يكون للانسان رغبة في غير الله أو رهبة عن غير الله تعالى (وما بكم من نعمة  
 فمن الله) أى أى شئ يصاحبكم من نعمة آية نعمة كانت فهي من الله فيجب على العاقل أن لا يخاف الا  
 الله وأن لا يشكر الا الله (ثم اذا مسكم الضر) كالاسقام (فاليه تجأرون) أى ترفعون أصواتكم  
 بالاستغاثة في كشفه لا الى غيره (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فرق منكم) أى اذا فرق كفروهم  
 أنتم (ربهم يشركون) غيره وهذا ضلال كامل (ليكفروا بما آتيناهم) أى ان عاقبة تلك  
 التصرفات ما كانت الا كفران نعمة ازالة المكروه عنهم وقيل ان هذه اللام لام الامر الوارد للتهديد كقوله  
 تعالى (فتمتعوا) أى عيشوا في الكفر (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب  
 (ويجعلون) أى المشركون (لما لا يعلمون) أى للاصنام التي لا يعلم المشركون انها تضر من حيث  
 عبادتها ولا تنفع (نصيبا مما رزقناهم) من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها (تالله لتسئلن) يوم  
 القيامة سؤالاً توبيخ (نما كنتم تكفرون) أى تكذبون على الله من انه أمركم بذلك الجعل (ويجعلون  
 لله البنات) أى يقول خراعة وكأنه الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله ذاته عن نسبة الولد اليه وأمر  
 الله تعالى الخلق بالتعجب من حراتهم على وصف الملائكة بالانوثة ثم نسبتها بالولدية الى الله تعالى (ولهم  
 ما يشتهون) ويجعلون لانفسهم ما يختارون من البنين (واذا بشر أحدكم بالانثى) أى والحال انه اذا  
 أخبر بولادة الانثى (ظل وجهه مسوداً) أى صار وجهه متغيراً تغير مغتم من الحياء من الناس (وهو  
 كظيم) أى محتلى غمّاً وحرّاً وغيظاً من زوجته فكيف ينسب البنات اليه تعالى وجملة واذا بشر حال من  
 الواو في ويجعلون (يتوارى من القوم) أى يختفي من قومه (من سوء ما بشره) أى من أجل  
 كراهية الانثى التي أخبر بها من حيث ~~كونها~~ كونها لا تسبب وكونها يخاف عليها الزنا وكان الرجل في  
 الجاهلية اذا ظهر آثار الطلق بأمر آتاه اختفى عن القوم الى ان يعلم ما يولد له فان كان ذكراً فرح به وان كان  
 أنثى حزن ولم يظهر للناس أياماً يدبر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله تعالى (أيسكه على هون) أى يحفظ  
 ما بشر به من الانثى مع رضاه بذل نفسه (أم يدسه في التراب) أى أم يخفيه في التراب بالو أد فالعرب كانوا  
 مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفن فيها الى ان تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل  
 ومنهم من يفرقها ومنهم من يذبحها وهم كانوا يفعلون ذلك تارة لاغبرة والحمة وتارة خوفاً من الفقر ولزوم النفقة  
 (الاساء ما يحكمون) حكمهم هذا حيث يجعلون له تعالى ما عادته عندهم حقارة والحال انهم يتباعدون  
 عنه (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت (مثل السوء) أى الصفة القبيحة وهي احتياجهم  
 الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وللإستعلاء به وكرهتهم الاناث خوف الفقر والعار مع احتياجهن اليهن  
 للنكاح (ولله المثل الاعلى) أى الصفة المقدسة وهي الصفة الالهية المنزهة عن صفات المخلوقين وعن  
 الولد (وهو العزيز) أى المنفرد بكمال القدرة (الحكيم) أى الذي يفعل ما يفعل بالحكمة البالغة  
 (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها) أى الارض (من دابة) أى لو يؤاخذهم الله بما كسبوا  
 من كفر ومعصية لا يبق لهم نسل فيلزم ان لا يبقى في العالم أحد من الناس حينئذ لا يبقى في الارض

أحدمن الدواب أيضا لانها مخلوقة لمنافع البشر (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى معين عند الله تعالى لا يعمارهم ليتوالدوا (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) أى فذة (ولا يستقدمون) وانما ذكر الاستقدام مع انه لا يتصور عند محجى الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئجار بنظمه في سلك ما يعتنع (ويجعلون لله ما يكرهون) أى وينسبون اليه تعالى البنات التي يكرهونها لانفسهم (وتصف ألسنتهم بالكذب أن لهم الحسنى) بدل من الكذب أى يصون أنفسهم بأنهم فازوا برضوان الله تعالى بسبب اثبات البنات له تعالى وبأنهم على الدين الحق (لا جرم) أى ثبت (أن لهم النار) التي ليس وراء عذابها عذاب (وأنهم مفرطون) أى متروكون في النار وقرأنا نافع وقيمة عن الكسافي بكسر الراء أى مفرطين على أنفسهم في الذنوب (تالله لقد أرسلنا) رسلا (الى أمم من قبلك) فدعواهم الى الحق (فزين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة فقرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم اليوم) أى فالشيطان متولى أمورهم في الدنيا باغوائهم وقرينهم في النار (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (اللتبين لهم الذي اختلفوا فيه) أى اللتين للناس بواسطة بيانات القرآن الاشياء التي اختلفوا فيها من التوحيد والشرك والجبر والقدر وأحوال المعاد والاحكام كتحریم الميتة وتحليل نحو البحيرة (وهدى ورحمة) أى وللهداية من الضلالة وللرحمة من العذاب (لقوم يؤمنون) بالقرآن لانهم المغتصمون بآثاره (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) أى والله خلق السماء على وجه ينزل منه الماء ويصير ذلك الماء سببا لنبات الزرع والشجر ولخروج النور والثمر (ان في ذلك) أى في انزال الماء واحياء الارض اليابسة (آية) دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسهعون) هذه المواعظ سمعوا تفكر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم (وان لكم في الانعام لعبرة) عظيمة اذا تفكرتم فيها (نسقيكم مما في بطونه) أى الانعام قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحزرة والكسافي نسقيكم بضم النون والباقون بالفتح (من بين فرت) أى روث في الكرش (ودم لبننا خالصا) أى لا يخالطه الفرت ولا الدم وقوله لبننا مفعول ثان وقوله من بين حال من ما التى للبعيض أوللا ابتداء أو من لبننا وعن ابن عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار أسفله قرنا وأعلاه دما وأوسطه لبننا فيجري الدم في العروق واللبن في الفرع ويسقى الفرت كما هو (سائغا للشاربين) أى جاريا في حلقهم لذيذا فلا يغص أحد باللبن (ومن ثمرات النخيل والاعناب) أى ونسقيكم من عصير ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه سكرا) أى خمر (ورزقا حسنا) كاللبس والخل والتمر والزبيب والله تعالى ذكر ما في هذه الاشياء من المنافع وخاطب بها المشركين والخمر من اشربتهم فهي منفعة في حقهم ثم نبه في هذه الآية على تحريمها لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان لا تكون الخمر رزقا حسنا والخمر يكون حسنا بحسب الشهوة ولا يكون حسنا بحسب الشريعة وهذه الآية جامعة بين العتاب والمنة وهذا اذا كانت الخمر محرمة قبل نزولها وان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فهي دالة على كراهتها (ان في ذلك) أى في اخراج اللبن من بين الروث والدم وفي اخراج الخمر والرزق الحسن من الثمرات (آية) دالة على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم بالتأمل في الآيات فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) أى ألهم ربك النحل (أن اتخذى من الجبال بيوتا) أى أوكلها (ومن الشجر) أى مما وافق مصالحه ويليق بك (ومما يعرشون) أى مما يرفع الناس وينونه لك أى ان الله قدر في

أنفس النحل الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر وذلك أن النحل تبني بيوتاً على شكل سدس من اضلاع متساوية لايز يدبعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيها فرج خالية ضائعة فالحمام ذلك الحيوان الضعيف بهذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من اعاجيب والعقلاء من البشر لا يكتسب بناء مثل تلك البيوت الا بالآلات مثل المسطر والفرجار (ثم كل من كل الثمرات) أي من كل ثمرة تشتهيها مرها واولوها (فأسلكي سبل ربك) أي فاذا أكلتها فأسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك (ذللاً) حال من السبل أي مسخرة لك أو من الضمير في أسلكي أي فأسلكي منقاداً لما أمرت به ولذا يقسم بعضو بها أعمالها بين ما يقبض يعمل الشمع وبعض يعمل العسل وبعض يستقي الماء ويصبه في البيت وبعض يبني البيوت (يخرج من بطونها شراب) أي عسل (مختلف ألوانه) من أبيض وأسود وأصفر وأحمر على قدر ما تأكل من الثمار والازهار أو بحسب اختلاف الفصل أو سن النحل فيستحيل المأكول في بطونها عسلاً بقدره الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب (فيه) أي في ذلك الشراب (شفاء للناس) من الالوجاع لاسيما البلغمية فإنه فيها عظيم النفع وعن ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاء من العسل والقرآن (ان في ذلك) أي في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة وفي اهتدائها الى جمع الاجزاء العسلية من أطراف الاشجار والاوراق (آية) أي اعبرة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر في شؤون النحل حزم قطعاً بان له خالقاً قادراً حكيماً يلهمها ذلك (والله خلقكم) فان خالق الابدان هو الله تعالى (ثم يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم فان الحياة والموت انما حصلا بتخليق الله تعالى وبتهديره (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي أحقره وهو الهرم قال العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها سن النشو وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وثانيها سن الوقوف وهي من ذلك الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل وثانيها سن الانحطاط القليل وهو سن الكهولة وهو من ذلك الى ستين سنة ورابعها سن الانحطاط الكبير وهو سن الشيخوخة وهو من ذلك الى خمسة وستين سنة وفيه يتبين النقص والهرم قال علي بن أبي طالب أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقال قتادة تسعون سنة وقال السدي انه الحرف أي زوال العقل وقيل والمسلم لا يزداد بسبب طول العمر الا كرامة على الله تعالى وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) أي ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في نقصان العقل وسوء الفهم وفي النسيان (ان الله عليم) بمقادير أعمالكم (قدير) على تحويلكم من حال الى حال وكان الانسان ميتاً حين كان نطفة ثم صار حياً ثم مات فلما كان الموت الاول جائزاً كان عود الموت جائزاً كذلك لما كانت الحياة الاولى جائزة وجب أن يكون عود الحياة جائزاً في المرة الثانية ومتى كان الامر كذلك ثبت أن القول بالبعث والنشر والحشر حق (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي فاوت بينكم في الرزق كما فوات بينكم في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والصحة والسقم (فما الذين فضلوا برأى رزقهم على ما ملكت أيانهم فهم فيه سواء) أي فليس الذين فضلوا في الرزق على غيرهم يحاجوا على رزقهم لعبيدهم حتى تكون عبيدهم فيه معهم سواء في الملائكة وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية والمرزوقية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في نصارى نجران حين قالوا ان عيسى بن مريم بن الله فالمعنى أنكم لا تشركون عبيدكم فيما ملكتكم فتكونون سواء فكيف جعلتم عبيد عيسى ابننا وشريكنا في

الالهية (أفبنةمة الله يمجدون) فان من أثبت لله شريكا فقد أسند اليه بعض الخيرات فكان جاحدا  
 لكونها من عند الله تعالى وأيضا ان أهل الطبايع وأهل النجوم يضيفون أكثر هذه النعم الى الطبايع والى  
 النجوم وذلك يوجب كونهم جاحدين لكونها من الله تعالى وقرأ عاصم في رواية أبي بكر تجمدون بالتاء  
 على الخطاب (والله جعل لكم من أنفسكم) أي من جنسكم (أزواجا) أي زوجات لتأنسوا بها  
 وتقيموا بها مصالحكم قال الأطباء والتفاوت بين الذكر والانثى ان الذكر امخن مزاجا والانثى أكثر  
 رطوبة فالمنى اذا أنصب الى الخصية اليمنى من الرجل ثم أنصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد  
 ذكرا تاما في الذكورة وان أنصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم أنصب منها الى الجانب الايسر من  
 الرحم كان الولد أنثى تاما في الانوثة وان أنصب الى الخصية اليمنى ثم أنصب منها الى الجانب الايسر كان الولد  
 ذكرا في طبيعة الاناث وان أنصب الى الخصية اليسرى ثم أنصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد  
 أنثى في طبيعة الذكور (وجعل لكم من أزواجكم) أي من نسايتكم (بنين وحفدة) أي خدما يصرعون  
 في طاعتكم وهم اما اولاد الاولاد واما البنات فانهم يخدمون البيوت أتم خدمة وأما الاختان على البنات  
 أي فيحصل لهم الاختان بسبب البنات (ورزقكم من الطيبات) أي بعض اللذائذ من النباتات  
 والحيوان فالرزق في الدنيا أغودج لما في الآخرة وكل الطيبات في الجنة (أفبالباطل يؤمنون) أي  
 أيكفرون بالله الذي شأنه ذلك المذكور ويؤمنون بالباطل بأن يحرموا على أنفسهم طيبات أحلها الله لهم  
 مثل الجيرة والسائبة والوصيلة ويبيعوا أنفسهم محرمات حرّمها الله عليهم وهي الميتة والدم ولحم الخنزير  
 وما ذبح على النصب أي لم يحكمون بتلك الاحكام الباطلة (وبنعمة الله هم يكفرون) أي وبانعام الله  
 في تحليل الطيبات وتحريم الخبيثات يمجدون (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات  
 والارض شيئا) أي أيعبدون الاصنام التي لا تملك لعبادتهم رزقا من المطر والنبات لا قليلا ولا كثيرا  
 فشيأ بدل من رزقا (ولا يستطيعون) أي وليس للاصنام استطاعة تحصيل الملك وهذا معطوف على  
 مالا يملك وعبر عن الاصنام بلفظ ما اعتبار الحقيقة ولفظ جمع العقلاء اعتبارا لاعتقادهم فيها أنها آلهة  
 (فلا تضرهم الله الامثال) أي لا تشبهوا الله تعالى بخلقه في شأن من الشؤون فان عبدة الاوثان كانوا  
 يقولون ان اله العالم أعظم من أن يعبدوا الواحد منا بل نحن نعبد الكواكب وهذه الاصنام ثم ان  
 الكواكب والاصنام عبدة اله الاكبر الاعظم فان أصاغر الناس يخدمون أكبر خدام الملك وأولئك  
 الاكبر يخدمون الملك فكذا همنا عند هذا قال الله تعالى لهم اتركوا عبادة هذه الاصنام والكواكب  
 ولا تجعلوا لله الامثال التي ذكرتموها وكونوا مخلصين في عبادة الهه التقدير الحكيم (ان الله يعلم) أي  
 خطأ قولكم الاشتغال بعبادة عبدة الملك أدخل في التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك لان هذا  
 الدليل قياس والقياس يجب تركه عند ورود النص (وأنتم لا تعلمون) ذلك فتتعون في مهاوى  
 الضلال (ضرب الله مثلا) بالعبد والحر (عبداء لو كالا يقدر على شيء) من التصرفات (ومن رزقناه  
 منار رزقا حسنا) أي مستحسننا عند الناس مرضيا (فهو ينفق منه سرا وجهرا) أي حال السر والجهر  
 (هل يستوون) أي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بتلك الصفات مع أن الفريقين سيان في  
 البشرية والمخلوقية لله تعالى وأن ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده بل هو مما أعطاه الله تعالى  
 اياهم فحيث لم يستوا الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به مالا ذليل أدل منه وهو الاصنام  
 والمعنى لو فرضنا عبدة لو كالا يقدر على التصرف وحر اغنيا كريما كثير الانفاق في كل وقت فصرح



العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله القادر على الرزق وبين الاصنام التي لا تقدر البتة (الحمد لله) أي كل الحمد لله تعالى لأنه معطى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره فضلا عن استحقاق العبادة (بل أكثرهم لا يعلمون) أن كل الحمد لله وحده فيسندون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه لاجلها وبعض الكفار يعلمون ذلك وإنما لا يعلمون سبب الحمد عناداً كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) أي الذي لا يحسن الكلام ولا يعقل (لا يقدر على شيء) للجزالة وللانقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أي هذا الألبكم ثقيل على من يعوله (أينما يوجهه لا يأت بخير) أي أينما يرسله من يلى أمره في وجهه معين لا يأت بطلوب لأنه عاجز لا يحسن شيئاً ولا يفهم (هل يستوى هو) أي هذا الموصوف بهذه الصفات الأربع (ومن يأمر بالعدل) أي من هو منطوق فهم ينفع الناس بحجهم على العدل (وهو على صراط مستقيم) أي وهو عادل مبرأ عن العيب وإذا ثبت في بديهة العقل أن الألبكم العاجز لا يساوى الناطق القادر الكامل في الفضل والشرق مع استوائهما في البشرية فلان فحكم بأن الجماد لا يكون مساوياً لرب العالمين في المعبودية أولى (ولله غيب السموات والأرض) أي والله تعالى خاصة الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة فإن علمه تعالى حضوري وتحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة إليه تعالى وهذا بيان كمال العلم (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) أي وما أمر إقامة الساعة وهي أمانة الأحياء وأحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صورهم إلا كوان أجمعين إلا كرجع الطرف من أعلى الحديقة إلى أسفلها في سهولته (أو هو أقرب) أي بل أمر إقامة الساعة أقرب من طرف العين في السرعة بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة فآله تعالى يحيي الخلق دفعة وهي في جزء غير منقسم وهذا بيان كمال القدرة (إن الله على كل شيء قدير) فإن الله تعالى متى أراد شيئاً أوجدناه وأعدامه حصل في أسرع ما كان (والله أخر حكمكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) أي غير عارفين شيئاً أصلاً (وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة) أي جعل لكم هذه الأشياء آلات تخصصون بها المعرفة (لعلكم تشكرون) أي لكي تستعملوها في شكر ما أنعم الله به عليكم طوراً غيب طوراً فتمتعوا بمواعظ الله وتبصروا دلائل الله وتمتعوا بعظمة الله (ألم ير والى الطير) أي ألم ينظر كفار مكة بأبصارهم إليها وقرأ ابن عامر وحمة والكسائي تروا بالنساء على خطاب العامة (مسخرات) أي مذلات للطيران (في جوار السماء) أي في الهواء المتباعد من الأرض قال كعب الأحمري أن الطير ترتفع في الجو مسافة اثني عشر ميلاً ولا ترتفع فوق ذلك (ما يسكنهن) في الجوحين قبض أجنحتهن وبسطها ووقوفهن (إلا الله) بقدرته الواسعة فإن جسد الطير ثقيل يعتنق بقاؤه في الجو معلقاً من غير دعم تحت ولا علاقة فوقه فبقاؤه في الجو معلقاً فعله وحاصله باختياره فثبت أن خالق فعل العبد هو الله تعالى (إن في ذلك) أي تسخير الطير للطيران بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذناً كذلك فاذا بسطت أجنحتها وأذناها تخرق ما بين يديها من الهواء (آيات) أي علامات لوحداية الله تعالى (لقوم يؤمنون) أي يصدقون أن أمساكن من الله تعالى فإنه تعالى أعطى الطير جناحاً يبسطه مرة ويكسره مرة أخرى وخلق الهواء خلقاً رقيقة يسهل بسبب خرقه ولولا ذلك لما أمكن الطيران (والله جعل لكم من بيوتكم) التي تبنونها (سكناً) أي مواضعاً تسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) مغيرة لبيوتكم المهودة هي الخيام (تستخفونها) أي

تجدونها خفيفة عليكم في حملها ونقلها ونقضها في أسفاركم (يوم ظعنكم) أي وقت سيركم في أسفاركم  
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين (ويوم أقامتكم) أي وقت نزولكم في الضرب (ومن  
أصوافها) أي الانعام (وأوبارها وأشعارها أثنان) أي وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الأبل  
وأشعار المعز أنواع متاع البيت من الفرش والاكسية (ومتاعا) أي ما يتنفع به في البيت خاصة ويتزين  
به (إلى حين) أي إلى وقت البلاء (والله جعل لكم عما خلق) من غير صنع من جهنكم (ظلالا) أي  
ما يستظلون به من شدة الحر وهي ظلال الجدران والأشجار والجبال والغمام (وجعل لكم من الجبال  
أكثانا) أي مواضع تستكنون فيها من شدة البرد والحر من الكهوف والغيران والسروب (وجعل لكم  
سراييل) أي ثيابا من القطن والكثان والصوف وغيرها (تقيكم الحر) في الصيف والبرد في الشتاء  
ولم يذكر الله تعالى وقاية البرد لتقدمه في قوله تعالى فيهما دفء (وسراييل) أي جواشن (تقيكم  
بأسكم) أي الشدة الذي يصل إلى بعضكم من بعض في الحرب من الطعن والضرب والرمي (كذلك)  
أي مثل ما خلق الله هذه الأشياء لكم وأنعم بها عليكم (يتم نعمته) في الدنيا (عليكم لعليكم) يا أهل  
مكة (تسلمون) أي تؤمنون به تعالى وتنقادوا لأمره وقرى تسلمون بفتح التاء واللام أي لكي تسلموا من  
الجرافات أو من الشرك (فان تولوا) أي عرضوا عن الإسلام وآثروا متابعة الآباء فلا نقص من جهنك  
(فأنا علىك البلاغ المبين) أي لأن وظيفتك هي البلاغ الواضح فقد فعلته (يعرفون نعمة الله) أي  
يقرون أن هذه النعم كلها من الله (ثم ينكرونها) أي لا يشكرونها بالتوحيد لأنهم قالوا إنما حصلت  
هذه النعم بشفاعته هذه الأصنام (وأكثرهم الكافرون) أي المنكرون بفلوهم غير مقرين بأن هذه  
النعم من الله (ويوم نبعث) أي وخوفهم يوم تأتي (من كل أمة شهيدا) يشهد لهم بالإيمان وعليهم  
بالكفر وهونيبها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار وفي كثرة الكلام ليظهر لهم كونهم آيسين  
من رحمة الله تعالى (ولا هم يستعجبون) أي لا يكفون أن يرضوا بهم بالعبادات فلا يقال لهم ارضوا  
ربكم بالتوبة لأن الآخرة ليست بدار عمل وانما هي دار الجزاء (واذا رأى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر  
(العذاب) أي عذاب جهنم بعد شهادة الشهداء (فلا يخفف عنهم) ذلك العذاب (ولا هم ينظرون)  
أي يهملون فعذابهم يكون دائما لأن التوبة عنك غير موجودة (واذا رأى الذين أشركوا) أي إذا  
أبصروا يوم القيامة (شركاءهم) أي الأصنام التي يسمونها شركاء الله تعالى (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا)  
أي آلهتنا (الذين كنا ندعوا) أي نعبدهم (من دونك) أي هؤلاء الذين كنا نقول أنهم شركاء الله في  
العبودية (فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون) أي فبادر شركاؤهم بالجواب إلى المشركين بقولهم انكم  
لكاذبون في قولكم اننا نستحق العبادة وأنكم عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم أهواءكم والمعنى أنه تعالى  
يخلق الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام حتى تقول هذا القول (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أي  
أسرع المشركون إلى الله يومئذ لا انقياد لحكم الله فاقروا بالبراءة عن الشركاء وبر بوبية الله بعد أن كانوا  
في الدنيا متكبرين عنه لما عجزوا عن الجواب لكن الانقياد في هذا اليوم لا يفهمهم لا نقطاع التكليف  
فيه (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب عنهم افتراؤهم على الله من أن الله شريكوا بطل أملهم من  
أن الهتهم تشفع لهم عند الله تعالى (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) أي منعوا الناس  
عن الدخول في الإسلام وحملوهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أي بحيات وعقارب وجوع  
وعطش وزمهرير وغير ذلك فيخرجون من النار إلى الزمهرير فيمادرون من شدة البرد إلى النار (عما كانوا

يفسدون) بذلك الصد (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) وهو أعضاءهم فالله تعالى ينطق  
عشرة من أعضاء الانسان حتى أنها تشهد عليه وهي العينان والاذنان والرجلان واليدين والجلد  
واللسان (وجنابك) ياسيد الرسل (شهيدا على هؤلاء) أي الامم كلهم (وزلنا عليك الكتاب) أي القرآن  
(تبيينا لكل شيء) من أمور الدين بنص فيه على بعضها وباحالته لبعضها على السنة أو على الاجماع  
أو على القياس فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب (وهدي ورحمة) للعالمين  
فان حرمان الكفرة من مغام آثار الكتاب من تغريطهم لامن جهة الكتاب (وبشرى للمسلمين) خاصة  
لانهم المنتفعون بذلك (ان الله يأمر بالعدل) أي بالتوسط في الامور وهو رأس الفضائل كلها فيندرج  
تحتة فضيلة القوة العقلية فالحةكمة متوسطة بين الحرمة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية فالعفة  
متوسطة بين الخلاعة والحمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية فالشجاعة متوسطة بين التهور والحيث  
ويندرج فيه أيضا الحكم الاعتقادية فالتوحيد متوسط بين التعطيل والتشريك فنفى الاله تعطيل  
محض واثبات أكثر من اله واحد تشريك والعدل هو اثبات الاله ارحم وهو قول لاله الاله والعدل  
بالكسب متوسط بين الجبر والقدر فان القول بأن العبد ليس له قدرة واختيار جبر محض والقول بأن  
العبد مستقل بافعاله قدر محض والعدل أن يقال ان العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قدرة وداعية يخلقهما  
الله تعالى فيه والقول بأن الله تعالى لا يؤاخذ عبده على شيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه تعالى  
يخلد في النار عبده الآتي بالعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل هو القول بانه تعالى يخرج من النار كل من  
اعتقد أنه لا اله الا الله ويندرج تحتة أيضا الحكم العملية فالتعبد بآداء الواجبات متوسط بين البطالة  
والترهب والختان مأمور به في شريعة فان ابقاها الجلدة مبالغة في تقوية اللذة والاختصاص وقطع الآلات  
كما عليه المنافوة افراط فكانت الشريعة انما أمرت بالختان سعيا في تقليل تلك اللذة حتى يصير ميل  
الانسان الى قضاء شهوة الجماع الى حد الاعتدال ولثلاث صير الرغبة فيه غالبية على الطبع ويندرج تحتة  
أيضا الحكم الخلقية فالجود متوسط بين البخل والتبذير وشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسط  
بين التشديد والتساهل قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي متباعدة عن طرفي الافراط  
والتفريط في كل الامور واما بالغرسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات قال تعالى طه ما أزلنا عليك  
القرآن لتشقى ولما أخذ قوم في المساهلة قال تعالى ألحسبتم أنما أخذناكم عبدا والمطلوب رعاية العدل بين  
طرفي الافراط والتفريط (والاحسان) أي المبالغة في أداء الطاعات اما بحسب السكينة كالتطوع  
بالتواقل واما بحسب الكيفية كالاستغراق في شهود مقامات الربوبية والحاصل ان العدل عبارة عن  
القدر الواجب والاحسان عبارة عن الزيادة في ذلك (وايتنا ذى القربى) أي اعطاء الاقارب ما يحتاجون  
اليه قال صلى الله عليه وسلم ان أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) أي المعاصي  
كلها (والمنكر) وهو ما لا يعرف في شريعة (والبغى) أي الاستعلاء على الناس والترفع والحاصل  
ان الفحشاء هي الافراط في متابعة القوة الشهوية فهي اغترغ في تحصيل الذات الشهوانية الخارجة  
عن اذن الشريعة وان المنكر هو الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية السبعية فهي اغترغ في الايذاء  
الى سائر الناس وايصال البلاء اليهم فالناس ينكرون تلك الحالة وان البغى من آثار القوة الوهمية  
الشيطانية فهي اغترغ في التطاول على الناس والترفع عليهم - ثم اظهر ان رياسة والتقدم (يعظكم)  
أي يأمركم بتلك الثلاثة وينهاكم عن هذه الثلاثة (لعلكم تذكرون) أي لارادة أن تتذكروا

طاعته تعالى وهذا يدل على ان الله تعالى يطلب الايمان من الكل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وهو العهد الذي ياترته الانسان باختياره فيدخل فيه المبايعة على الايمان بالله وبرسوله وعهد الجهاد وعهد الوفاء بالمنذورات والاشياء المؤكدة باليمين (ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها) بالقصد ففرق بين اليمين المؤكدة بالعزم وبين لغو اليمين (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أى شاهد فان من حلف بالله قد جعل الله كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف وهذه احوال أى لا تنقضوا الايمان وقد قلتم الله شاهد علينا بالوفاء (ان الله يعلم ما تفعلون) من النقض والوفاء فيجازيكم على ذلك ان خير الخيرة وان شر الشر وفي هذا ترغيب وترهيب (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) أى من بعد قوة الغزل بقتلها واربامها (أنكثا) أى أنقاضا وهو مفعول ثان لنقضت بمعنى جعلت أحوال من غزلها مؤكدة لعاملها أى منكوا قيل المشبه به معين وهى امرأة فى مكة اسمها رائطة بنت سعد بنت تيم وقيل تلقيب بجعرانة وكانت حمقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وسنارة مثل أصبع وقلعة عظيمة على قدرها فكانت تغزل الصوف والوبرهى وجوارىها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون أيمانكم دخلا) أى مكرا (بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة) وهو استفهام بمعنى الانكار والمعنى أتصبرون ايمانكم غشا بينكم بسبب ان أمة أزيد فى القوة والسكر من أمة أخرى قال مجاهد كان قريش يحالفون الحلفاء ثم اذا وجدوا شوكة فى اعدائهم نقضوا عهدهم مع الحلفاء وعاهدوا اعداء حلفائهم (اغيايبلوكم الله به) أى يعاملكم بالاكتر معاملة من يحتبركم لينظر أتمسكون بالوفاء بعهد الله أم تغترون بكثرة قوم (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا أى حين يجازيكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله) مشيئة قسر (لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء اختلافكم لقضية حكمة يعلمها الله ولذلك (يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وروى الواحدى ان عزيزا قال يارب خلقت الخلق فضل من تشاء وتهدى من تشاء فقال يا عزيز أعرض عن هذا فأعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا فأعاده ثالثا فقال أعرض عن هذا والاحوت اسمك من النبوة (ولتسلن) جميعا يوم القيامة (هما كنتم تعملون) فى الدنيا وهذا اشارة الى الكسب الذى عليه يدور أمر الهداية والصلال (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا) أى خديعة (بينكم) أى لا تنقضوا عهدكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرائه (فتزل قدم بعد ثبوتها) على الطريق الحق بالايمان أى تمزقوا عن طاعة الله فان من نقض عهد الاسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع فى الضلالة (وتذوقوا السوء) أى العذاب فى الدنيا (بما صدقتم عن سبيل الله) أى بامتناعكم عن دين الله وبصرفكم الناس عنه بإيمانكم الذى أردتم بها إخفاء الحق (ولكم) مع ذلك فى الآخرة (عذاب عظيم) أى غير منغل اذا ممت على ذلك (ولا تشتروا بعهد الله) أى لا تأخذوا بمقابلته ببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) أى عرض الدنيا وكانت قريش يعدون ضعفة المسلمين على الارتداد بحطام الدنيا أى انكم وان وجدتم على نقض عهد الاسلام خيرا من خيرات الدنيا لا تلتفتوا اليه وان كان كثير الان الذى أعده الله تعالى على الاستمرار على الاسلام أفضل مما تجدونه فى الدنيا على نقض عهد الاسلام (ان ما عند الله) من ثواب الدارين الغنيمة والثواب الاخرى (هو خير لكم) مما يعدونه (ان كنتم تعلمون) تفاوت ما بين العوضين (ما عندكم ينفذ) وان جم عدد (وما عند الله) من خزائن رحمته الدنيوية والاخرية (باق) لانفاذه (ولنجزي الذين صبروا) على مشاق التزام شرائع

الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي بحسب أحسن أفراد أعمالهم والمعنى لنعطينهم بمقابلته  
 الفرد الأدنى من أعمالهم ما يعطيه بمقابلته الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل وفي هذا من العدة الجميلة  
 باغتفار ما قد يطرأ عليهم في أثناء الصبر من بعض جزع وبنظمه في سلك الصبر الجميل وقرأ ابن كثير  
 وعاصم ولنجزيهم بنون العظمة على طريقة الالتفات والباقون بالياء من غير التفات واللام لام قسم  
 أي والله لنجزيهم الله (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة) في الدنيا فيعيش  
 عيشا طيبا فالمرء ظاهر والعسر يطمع عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم فان قلب  
 المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى والقلب اذا كان علواً آمن هذه المعارف لم يتسع للاحزان الواقعة  
 بسبب أحوال الدنيا أما قلب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فيصير علواً من الاحزان الواقعة بسبب  
 مصائب الدنيا (ولنجزيهم) في الآخرة (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي بجزاء أحسن من  
 أعمالهم (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي فاذا أردت قراءة القرآن فاسأل  
 الله ان يعصمك من وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله لئلا يوسوسك في القراءة أي فقل أعوذ بالله  
 من الشيطان الرجيم وهذا الأمر للندب عند الجمهور ولو وجوب عند عطاء وحيث أمر النبي صلى الله  
 عليه وسلم بالاستعانة عند قراءة القرآن فإظنكم عن عدا صلى الله عليه وسلم فيمن عدا القراءة من  
 الأعمال (انه) أي الشيطان (ليس له سلطان) أي تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)  
 أي والى ربهم يفوضون أمورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون ويذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته  
 غير مستجابة عندهم (انما سلطانه) أي ولايته بدعوته (على الذين يتولونه) أي يطيعونه (والذين  
 هم به) أي برهم (مشركون) أي والذين هم بسبب حمل الشيطان إياهم على الشرك بالله صاروا  
 مشركين (واذا بدلنا آية مكان آية) أي واذا نسخنا حكم آية فابدلنا مكانه حكماً آخر (والله أعلم بما  
 ينزل) من التغليظ والتخفيف في مصالح العباد وما الشرائع الامصالح للعباد في المعاش والمعاد فالمصالح  
 تدور وهذه الجملة اعتراضية بين الشرط وجوابه لتوبيخ الكفرة على كونهم ينسبون رسول الله الى  
 الاقتراف في التبديل والتنبيه على فساد رأيهم (قالوا) أي الكفار من أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم  
 (انما أنت مفتر) أي محتلق من تلقاء نفسك قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا نزلت آية فيها شدة ثم  
 نزلت آية ألين منها تقول كفار قريش والله ما محمد الا يسخر بأصحابه اليوم بأمير وأمر وغدا ينهي عنه رانه  
 لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية (بل أكثرهم لا يعلمون) ان الله لا يأمر  
 عباده الا بما يصلح لهم وان في النسخ حكماً بالغته واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما أن منهم من يعلم ذلك  
 وانما ينسكه عنادا (قل نزله) أي القرآن (روح القدس) أي الروح المطهر من الادناس البشرية  
 وهو جبريل (من ربك) يا أكرم الخلق (بالحق) أي بالموافق للحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على  
 الايمان بأن القرآن كلام الله فانهم اذا سمعوا النامح وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح الثلاثة بالحال  
 ومخت عقائدهم وأطمأنت قلوبهم (وهدي وبشرى للمسلمين) وهذان معطوفان على ليثبت فهما  
 منصوبان باعتبار محله ومجروران باعتبار المصدر المؤول (ولقد نعلم أنهم) أي كفار مكة (يقولون  
 انما يعلمه بشر) أي انما يعلم محمد القرآن بشر لا جبريل كما يدعي قال عبد الله بن مسلم الحضرمي عنوا  
 عبيد لنا أحدهما يقال له يسار والآخر جبر وكانا يصنعان السيف بمكة وقرأ القرآن التوراة والانجيل  
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويضع ما يقرأه فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (لسان

الذي يهدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي كلام الذي ينسبون اليه عبراني لم يتكلم بالعربية ولم يأت بفصح الكلام وهذا القرآن كلام عربي ذوبيان وفصاحة فكيف يعلم محمد أو هو جاءكم بهذا القرآن الفصح الذي عجزتم عنه وأنتم أهل الفصاحة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثل هذا القرآن وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي تشيرون اليه فثبت بهذا الدليل أن القرآن وحى أو جاء الله الى محمد وليس هو من تعلم الذي تشيرون اليه ولا هو أت به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله تعالى (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي لا يصدقون أنهم من عند الله بل يسمونها افتراء أو معلمة من البشر (لا يهديهم الله) الى طريق الجنة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) أي بل يسوقهم الى النار (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي ان المفترى هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انها افتراء ومعلمة من البشر وهذا رد لقولهم انما أنت مفتر وقيل الامر عليهم ببيان أنهم هم المفترون (وأولئك هم الكاذبون) أي الكاملون في الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيب آيات الله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه) أي من تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى فعليه غضب من الله فمن موصولة مبتدأ وخبره محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه (الامن أكره) على التلفظ بالكفر فتلفظه بأمر لا طاق له به كالخوف بالقتل كالضرب الشديد وكلايلا مات القوية مما يخاف على نفسه أو على عضوه من أعضائه (وقلبه مطمئن بالايمان) أي والحال ان قلبه لم تتغير عقيدته وهذا دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي ولكن من اعتقد الكفر وانشرح به قلبا (فعليه غضب من الله ولهم عذاب عظيم) روى ان قريشاً أكرهوا عمرا وأباه يامر وأمه مميصة على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وضربها أبوجهل بحربة في فرجها فماتت وقتل يامر وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوا عليه فقبل يارسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بدمه فدأت عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينه وقال مالك ان عادوا لك فقل لهم ما قلت فنزلت هذه الآية (ذلك) أي الكفر بعد الايمان (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) أي بسبب انهم رجحوا الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) أي وبأنه تعالى ما هداهم الى الايمان وما عصهم عن الكفر (أولئك) الموصوفون بتلك القبائح (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبت عن التأمل في الحق وادراكه (وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم في الآخرة من العذاب فلا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر عواقب الامور (لا جرم) أي حق (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) حيث صرفوا أعمارهم فيما أفضى بهم الى العذاب المخاد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى المدينة أي ناصرهم (من بعد ما قتلوا) أي عذبوا نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة أخى أبي جهل من الرضاة أو من أمه وفي أبي جندل بن سهل والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي قتلهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا ومن شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقرأ ابن عامر قتلوا بالبناء للفاعل أي عذبوا المؤمنين كما امر بن الحضرمي أكره مولا جبرا الرومي حتى ارتد ثم أسلما وحسن اسلامهما وهاجرا (ثم جاهدوا) في سبيل الله (وصبروا) على الطاعة والمرأى (ان ربك من بعدها) أي من بعد هذه الاعمال الثلاثة (لغفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) فينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد هذه الآية ان كانت نازلة فيمن أظهر الكفر فالمراد ان حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال



من لا يكره فلا اثم له في ذلك وان كانت واردة فيمن ارتد فالسرادان التوبة والقيام بما يجب عليه يحصلان له الغفران والرحمة ويزيلان العتاب (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) فالنظر من منصوب برحيم أو مجذوف أي ذكرهم يوم يأتي كل انسان يعتذر عن ذاته ويسعى في خلاصه من العذاب كقولهم هؤلاء أضلونا السبيلا وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزل الحصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فضعف عليه العذاب فيقول الجسد يا رب أنت خلقتني كالخشب ليس لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع الثور فيه نطق لساني وبه أبصرت عيني وبه مشيت رجلاي فيضرب الله لهما مثلاً أعمى ومقعدا دخلا يستأنا فيه ثم ار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعدا لا يتناول له الحمل الأعمى المقعد فأصابا بالثمر فعلى من يكون العذاب قال الله تعالى عليه كما جيعا العذاب (وتوفي كل نفس ما عملت) أي وتعطى كل نفس جزاء ما عملت كاملا (وهم لا يظلمون) بالعقاب بغير ذنب وبالزيادة في العقاب على الذنوب (وضرب الله مثلاً قرية) أي جعل الله مثلاً أهل قرية مكة (كانت آمنة) أي كان أهلها ذوي أمن فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب الخوف من العدو (مطمئنة) أي كان أهلها معصاهم حالان هو ذلك البلد لما كان ملائعاً لا يخرج عنهم اطمأنوا اليه واستقروا فيه فلا يحتاجون الى الانتقال منه بسبب الامراض (يأتيها زقهار غدا من كل مكان) أي يأتي أهل تلك القرية أقوات واسعة من نواحيها من بر وبحر فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب ضيق الرزق قالت العقلاء من بحر الرجز

ثلاثة ليس لها نهاية \* الامن والصحة والكفاية

(فكفرت بأنعم الله) أي كفر أهلها بنعمه تعالى وهي نعمة الامن والصحة والرزق الواسع (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أي أذاق الله أهلها ضرر الجوع والخوف من حرب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع والخوف نوعان أحدهما انه لما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والخوف فأشبهها الطعام وثانيه ما ان أثر الجوع والخوف لما اشتد صار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبهه اللباس وقد ظهر أثرهما عليهم من الهزال وصفرة اللون ونهكة البدن وسوء الحال وكسوف البالي وشبهه أيضاً أثر الخوف باللباس في الاحاطة والزرع وأثر الجوع بالطعام المر البشع في الكراهة (بما كانوا يصنعون) من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإخراجه من مكة رهم قتلته فأنعم الله تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو وبر يخلط بالدم والقود وهو جلد الماعز الصغير حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع وأما خوفهم فهو لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث اليهم السرايا فيغيرون على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم ثم ان رؤساء مكة أرسلوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب في جماعة فقدموا المدينة عليه وقال له أبو سفيان يا محمد انك جئت تأمر بصلوة الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا فداع الله لهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون وهذه الآية نزلت في المدينة لان الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضر بها الله مثلاً لاهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم

مثل ما أصابهم من الجوع والخوف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال  
 لما هاجر الى المدينة فكان يبعث سرايا الى جوار مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة (ولقد جاءهم) أي جاء  
 أهل تلك القرية وهي مكة (رسول منهم) أي من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر  
 على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يندون (فكذبوه) في رسالته (فأخذهم العذاب) بالجوع  
 الذي كان بمكة (وهم ظالمون) أي والحال أنهم كافرون بتكذيب رسول الله (فكأوا) يامعشر المسلمين  
 (عمارزقكم الله) أي من الغنائم (حلالا طيبا) أي أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكأوا الحلال  
 الطيب وهو الغنime وارتكأوا الحباث وهو الميتة والدم (واشكروا نعمة الله) أي واعرفوا حقها  
 ولا تقابلوها بالكفران (ان كنتم اياه تعبدون) أي تطيعون (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير  
 وما أهل لغير الله به) فهذه الآية دالة على حصر المحرمات في هذه الاربعة فالمخنقة والموقوذة والمتردية  
 والطحينة وما أكل السبع داخل في الميتة وما ذبح على النصب داخل تحت قوله تعالى وما أهل لغير الله به  
 (فن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) أي فمن دعتهم ضرورة المحمصة الى تناول شيء من ذلك  
 غير ظالم على مضطر آخر ولا متجاوز قدر الضرورة وسد الرمي قاله لا يؤاخذ بذلك (ولا تقولوا ما تصف  
 أنفسكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل ذكر أنفسكم  
 الكذب ولتعوذها به (لتفتروا على الله الكذب) وهذا بدل من التعليل الاول أي انهم كانوا ينسبون  
 ذلك التحليل والتحريم الى الله تعالى ويقولون ان الله أمرنا بذلك (ان الذين يفترون على الله الكذب)  
 في أمر من الأمور (لا يفقهون) أي لا يفوزون بخير لا في الدنيا ولا في الآخرة (متاع قليل) أي  
 منفعتهم في أفعال الجاهلية منفعة قليلة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم وعلى الذين هادوا) خاصة  
 (حرمنا ما قصصنا عليك) يا أشرف المرسلين (من قبل) أي من قبل تحريرنا على أهل ملتك ما عدد  
 لك من المحرمات وهو الذي سبق ذكره في سورة الانعام (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك (ولكن كانوا  
 أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما يؤدي ذلك التحريم (ثم انذركم للذين عملوا السوء) أي الكفر والمعاصي  
 (بجهالة) أي بسبب جهالة لان أحد الاختار الكفر ما لم يعتقد كونه حقا ولا يفعل المعصية ما لم تصر الشهوة  
 غالبة للعقل فكل من عمل السوء يكون بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعدهم) أي عمل السوء (وأصلحوا)  
 بأن آمنوا وأطاعوا الله (ان ربك من بعدها) أي التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يشبث على طاعتهم  
 تركا وفعلا أي لما بالغ الله في تهديد المشركين على أنواع قبائحهم من انكار البعث والنبوة وكون القرآن  
 من عند الله وتحريم ما حله الله وتحليل ما حرمه بين الله أن مثال تلك القبائح لا تمنعهم من قبول التوبة  
 وحصول المغفرة والرحمة اذ اندموا على ما فعلوا وآمنوا قاله يخلصهم من العذاب (ان ابراهيم كان أمة) على  
 انفراد له كماله في صفات الخير وجمعه فضائل وهو رئيس أهل التوحيد ولانه كان مؤمنا وحده والناس  
 كلهم كانوا كفارا ولذلك وصفه بتسع صفات (قاتل الله) أي مطيعا له تعالى قاتبا بأمره (حنيفا) أي مائلا  
 عن كل دين باطل الى الدين الحق لا يزول عنه (ولم يك من المشركين) في أمر من أمور دينهم فانه كان من  
 الموحدين في الصغر والكبر (شاكر الانعمه) روى أن ابراهيم عليه السلام كان لا يتغذى الا مع ضيف  
 فلم يجد ذات يوم ضيفا فآخر غداءه فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فاطهروا ان  
 بهم علة الجذام فقال الآن يجب على مؤاكتكم فلو اعزتكم على الله تعالى لما ابتلاكم بهذا البلاء  
 (اجتباء) أي اصطفاه للنبوة (وهده الى صراط مستقيم) أي هده في الدعوة الى طريق موصل الى

الله تعالى وهو ملّة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) أي ولدا صالحا وسيرة حسنة عند كل أهل الأديان  
لجميع الملل يرضون عن إبراهيم ولا يكفرون به أحد (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي لمن أصحاب  
الدرجات العالية في الجنة (ثم أوحينا اليك) يا سيد المرسلين مع علو طبقتك (أن اتبع ملّة إبراهيم)  
أي في كيفية الدعوة إلى التوحيد وهو أن يدعو إليه بطريق الرفق والسهولة واثبات الدلائل مرة بعد  
أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن (حنيفا) أي مائلا عن الباطل حال من إبراهيم  
(وما كان من المشركين) وهذا تكرير لما سبق لزيادة تأكيد في الرد على المشركين حيث زعموا أنهم كانوا  
على ملّة إبراهيم (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي اغنا فرض تعظيم يوم السبت على الذين  
خالفوا نبيهم موسى عليه السلام لأجل يوم السبت فإن أهل الملل اتفقوا على أنه تعالى خلق العالم في ستة  
أيام وبدأ تعالى بالتكوين من يوم الاحد وتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فأمر سيدنا موسى  
عليه السلام اليهود أن يعظموا يوم الجمعة كما هو ملّة إبراهيم عليه السلام بالتفرغ للعبادة فيه وترك الاشغال  
فيكون عيداً خالفوا كلهم وقالوا نحن نوافق ربنا في ترك الاحمال فاخترنا السبت فأذن الله تعالى لهم  
فيه وشدد عليهم بحريم الاصطياذ فيه وقالت النصارى مبدأ التكوين هو يوم الاحد فنجعل هذا اليوم  
عيداً لنا وقد جاءهم عيسى عليه السلام بالجمعة أيضاً فقالوا لا نريد أن يكون عيد اليهود بعد عيدنا واتخذوا  
الاحد عيداً لهم وقلنا معشر الامة المهدية يوم الجمعة هو يوم الكمال فصول التمام يوجب الفرح الكامل  
فهو أحق بالتعظيم ويجعله عيداً أيضاً ان الله تعالى خلق في يوم الجمعة أبا البشر آدم عليه السلام وهو  
أشرف خلقه وتاب عليه فيه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة  
لهذه الامة ولم يختاروه لانفسهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) في الدين  
فانه تعالى سيحكم للمعتقين بالشواب وللباطلين بالعقاب (أدع) يا أشرف الرسل من بعثت اليهم من الامة  
قاطبة (إلى سبيل ربك) أي إلى دينه (بالحكمة) أي بالحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية وهذه أشرف  
الدرجات وهي التي قال الله تعالى في صفته ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (والموعظة الحسنة) أي  
الامارات الظنية والدلائل الاقناعية (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي بدليل مركب من مقدمات مقبولة  
فالناس على ثلاثة أقسام \* الاول أصحاب العقول الصحيحة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها  
\* والثاني أصحاب النظر السليم الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان \* والثالث الذين  
تغلب على طباعهم المخاصمة لا طلب العلوم اليقينية فقولته تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة الخ معناه ادع  
الاقوياء الكاملين إلى الدين الحق بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها وهم خواص  
الصحابة وغيرهم وادع عوام الخلق بالدلائل الاقناعية الظنية وهم أرباب السلامة وفيهم الكثرة وتكلم  
مع المشاغبيين بالجدل على الطريق الاحسن الاكمل وهي التي تفيد الختامهم والزامهم والجدل ليس من  
باب الدعوة بل المقصود منه قطع الجدل عن باب الدعوة لانها لا تحصل أي ولما أمر الله محمد صلى الله عليه  
وسلم باتباع إبراهيم بين الشئ الذي أمر به بمتابعته فيه وهو أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي  
الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الاحسن (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذي  
أمرك بدعوة الخلق اليه وأعرض عن قبوله (وهو أعلم بالمهتدين) اليه أي انك مكلف بالدعوة إلى الله  
تعالى بهذه الطرق الثلاثة وحصول الهداية لا يتعلق بك فانه تعالى هو العالم بضلال النفوس المظلمة  
بالكدر وباهتداء النفوس المشرقة بالصافية (وان عاقبتهم) أي ان أردتم المعاقبة (فعاقبوا بمثل

ما عوقبتهم به) أن يثقل ما فعل بكم ولا تزيروا عليه وقد مر أنه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة وتلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آباؤهم وبالحكم عليه بالضلالة وذلك عما يشوش قلوبهم ويحمل أكثرهم على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب ثانياً وبالشتيم ثالثاً إن ذلك الداعي إذا عرف ذلك يحمله طبعه على تأديب أولئك السفهاء بالقتل أو بالضرب فعند هذا أمر الله الداعي في هذا المقام برعاية العدل وترك الزيادة وهي ظلم وهو ممنوع في عدل الله ورحمته والله تعالى أمر في هذه الآية برعاية الانصاف فيدخل فيها ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمه حمزة قدم مثل به المشركون في أحد فقطعوا أنفه وأذنيه وذكروه وأنشبهه ولجروا بطنه قال لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك فنزلت هذه الآية فكفر عن عينه وكف عما أراد (ولئن صبرتم) عن المعاقبة بالمثل (لهو) أي الصبر (خير للصابرين) لأن الرحمة أفضل من القسوة والنفع أفضل من الأيلام والمقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب في كيفية الدعوة إلى الله تعالى وطلب ترك الزيادة من النظام وهذا ليس بمنسوخ (واصبر) على ما أصابك من جهتهم من فنون الأذية (وما صبرك) بشئ من الأشياء (إلا بالله) أي بذكره وبالاتسفر في مراقبة شؤنه تعالى وبالتبتل إليه تعالى بمجامع الهمة (ولا تحزن عليهم) أي الكافرين بسبب أعراضهم عنك واستحقاقهم للعذاب الدائم (ولا تكثر في ضيق) أي غم وقرأ ابن كثير بكسر الضاد (مما يكفرون) أي من مكرهم بك في المستقبل فالضيق إذا قوى صار كالشئ المحيط بالإنسان من كل الجوانب (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وهذا يدل على أن كمال السعادة للإنسان في هذين الأمرين التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله والمراد بالمعية هي بالرحمة والفضل والرتبة

﴿سورة بني إسرائيل وتسمى سورة الاسراء وسبحان مكية غير قوله وإن كادوا ليستفزونك إلى قوله سلطاناً نصير انهؤلاء الآيات الثمانية مديات وعدداً ياتها مائة وعشر وكتبها ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون وعددها وفها ستة آ لاف وأربعمائة وستون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده) أي تبرأ عن الشريك من سير عبده محمد صلى الله عليه وسلم (إيلاً) أي في جزء قليل من الليل (من المسجد الحرام) أي من حرم مكة من بيت أم هانئ بنت أبي طالب (إلى المسجد الأقصى) أي الأبعد من الأرض وأقرب إلى السماء وهو مسجد بيت المقدس ومعنى أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ويدطلب بها الأجر من المسجد الحرام وروى أن عبداً لله ابن سلام قال في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم عند قرأته هذه الآية لأنه وسط الدنيا لا يز يدشياً ولا ينقص فقال صلى الله عليه وسلم صدقت ثم قال ويقال له البيت المقدس والزيتون ولا يقال له الحرم والحكمة في أمر الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ليحصل له العروج إلى السماء مستوياً من غير تعويج لما روى عن كعب بن باب السهماء الذي يقال له مصعب الملائكة يقابل بيت المقدس قال وهو أقرب الأرض إلى السماء ثمانمائة وعشرين ميلاً وقيل الحكمة في ذلك أن الشام خيرة الله تعالى من أرضه كما في حديث صحيح فهي أفضل الأرض بعد الحرمين وأول إقليم ظهر فيه ملكه صلى الله عليه وسلم وروى أن حفرة بيت المقدس من جنة الفردوس وقيل الحكمة في ذلك لإظهار الحق على من عاند لأنه لو عرج به

من مكة الى السماء لم يجد لعائده سبيلا الى الايضاح فلما ذكر انه أسرى به الى بيت المقدس سأله عن  
 أشياء من بيت المقدس كانوا علموا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رآها قبل ذلك لما أخبرهم بها حصل  
 التحقق بصدقه فيما ذكر من الاسراء به الى بيت المقدس في ليلة واذا صبح خبره في ذلك لزم تصديقه  
 في بقية ذلك من خبر المعراج الى السموات وقيل الحكمة في ذلك ليجمع الله له صلى الله عليه وسلم بين القبلتين  
 (الذي باركنا حوله) أي المسجد الاقصى من أرض الشام بركة دنيوية بالمياه والاشجار وبركة دينية  
 لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء وأما كنهم أم أحياء وأما وفي قوله تعالى سبحان الذي أسرى الخ معني  
 التزييه والتعجب أشار الله تعالى بذلك الى أعجب أمر جرى بينه تعالى وبين أفضل خلقه (النبيه) أي  
 محمد صلى الله عليه وسلم (من آياتنا) أي بعض عجائب قدرتنا العظيمة التي من جملتها هابه في برهة  
 من الليل مسيرة شهر وثبت بالدليل ان خالق العالم قادر على كل المحركات الحركية البالغة في السرعة  
 الى هذا الحد في جسده محمد صلى الله عليه وسلم يمكن وحينئذ يلزم أن القول بثبوت هذا المعراج أمر يمكن  
 الوجود في نفسه لكن يبقى التعجب لانه حاصل في جميع المجهزات فانقلاب العصا ثعبان تبليغ سبعين ألفا  
 من الجبال والعصى ثم تعود في الحال عصا صغيرة كما كانت أمر عجيب وخروج الناقة العظيمة من الجبل  
 الاصم وظلال الجبل العظيم في الهواء عجيب وكذا القول في جميع المجهزات فان كان مجرد التعجب يوجب  
 الانكار لزم الجزم بفساد القول باثبات المجهزات وهو فرع على تسليم أصل النبوة وان كان مجرد التعجب  
 لا يوجب الابطال فكذا ههنا ثبت ان المعراج يمكن غير محتنع (انه هو السميع البصير) أي انه تعالى هو  
 السميع لا قول محمد صلى الله عليه وسلم وأحواله بلا اذن البصير بأفعاله بلا عين في كرمه ويقربه بحسب  
 ذلك أي فهو عالم بكونه سامهذه خالصة من شوائب الهوى مقرونة بالصدق والصفامة أهلة للقرب والرفق  
 ويقال انه تعالى هو السميع لمقالة قريش البصير بهم روى عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان نائما  
 في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون  
 فصليت بهم فلما قام ليخرج الى المسجد تشبعت هي بثوبه صلى الله عليه وسلم فقال مالك قالت أخشى ان  
 يكذبك الناس وقومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فلما خرج جلس اليه أبو جهل فأخبره بمحدث الاسراء  
 فقال أبو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هل لحدثهم من مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا  
 وارتد ناس عن كان آمن به صلى الله عليه وسلم وذهب رجال الى أبي بكر وقالوا له ان صاحبك يقول كذا  
 وكذا فقال أبو بكر ان كان قد قال ذلك فهو صادق قالوا أتصدق على ذلك قال اني أصدق على أبعده من ذلك  
 أي كانه قال لما سلمت رسالته فقد صدقته فيما هو أعظم من هذا فكيف أكذبه في هذا ثم جاء أبو بكر الى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل فكلاما ذكر صلى الله عليه وسلم شيئا قال له أبو  
 بكر صدقت فلما تم الكلام قال أبو بكر أشهد انك رسول الله حقا فقال له الرسول وأنا أشهد انك الصديق  
 حقا ويقال ان هذا العبد الذي اختصصناه بالاسراء هو خاصة السميع لكلامنا البصير لذاتنا فهو السميع  
 أذننا قلبا بالاجابة لنا والقبول لاوامرنا البصير بصرا وبصيرة وتوسيط ظهر الفصل للشعار باختصاصه  
 صلى الله عليه وسلم وحده بهذه الكرامة ولهذا عقب الله تعالى بقوله هذا (وآتيناهم موسى الكتاب) أي  
 التوراة أي لما ذكر الله تعالى تشریف محمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء ذكر عقبه تشریف موسى  
 عليه السلام بازال التوراة عيله مع ما فيه من دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمع  
 بين الامرين المتحدین في المعنى أي آتينا التوراة بعد ما أسرىنا به الى الطور (وجعلناه هدى لبني

اسرائيل) والضمير يعود الى الكتاب أو الى موسى أي جعلنا موسى يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الحق (أن لا تتخذوا) فلانا هبة وان يعنى أي التفسيرية أو زائفة وتتخذوا على اضمحار القول أي قتلنا لا تتخذوا قرأ أبو عمرو وان لا يتخذوا بالياء خبرا عن بني اسرائيل فان مصدرية ولا نافية ولا مفعول بالتعليل مقدرة والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا (من دوني وكيلا) أي ربنا تفوضون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص على قراءة النهى وعلى مفعول يتخذوا الأول ومن دوني حال من وكيلا والتقدير لا يتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلا فالناس كلهم ذرية نوح لانه كان معه في السفينة ثلاثة بنين سام وحام ويافت فالناس كلهم من ذرية أولئك (انه) أي نوحا (كان عبدا لشكورا) أي كثير الشكر في جميع حالاته وفي هذا اعلام بأن النجاة من معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشر والمعنى ولا تشركوا بي لان نوحا كان عبدا لشكورا وأنتم من ذريته فاقتدوا به كما أن آباءكم اقتدوا به وانما يكون العبد شكورا اذا كان موحد لا يرى حصول شيء من النعم الا من فضل الله تعالى روى أن نوحا عليه السلام كان اذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولوشاء أبا عني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولوشاء أنظمتني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولوشاء أعراني واذا احتدى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء أحمقني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني اذا ما في عافية ولوشاء حبسه واذا أراد الاقطار عرض طعامه على من آمن به فان وجدته محتاجا آثر به (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) أي أخبرناهم في التوراة بحصول الفساد مرتين (لنفسدن في الارض) أي أرض الشام (مرتين) الأول مخالفة حكم التوراة وحبس أرميا عليه السلام حين أقرهم مخط الله تعالى وقتل شعيباني الله في الشجرة وذلك انه لما مات صدقيا ملكهم تنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبينهم فقال الله تعالى له قم في قومك فلما فرغ مما أوحى الله اليه عدوا عليه ليعتقلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ هربة من ثوبه فأرأهم أياها فوضعوا المنشارف وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها والثاني قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (ولتعلن) أي لتعلن الناس بغير الحق (علوا كبيرا) أي مجاوز الحد ردويقال لكل متجبر قد علا (فانجاه وعد أولاهما) أولى مرتقى الفساد (بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس) أي قتال (شديد) عن حذيفة قال قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أجل البيوت ابتناه الله تعالى سليمان بن داود عليهم ما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمر ذو ذلك ان سليمان بن داود لما بناه مخفره الجن يأتونه بالذهب والفضة من المعادن وأنوه بالجواهر والياقوت والزمر ذو مخفره الجن حتى بنوه من هذه الاصناف قال حذيفة قلت يا رسول الله كيف أخذت هذه الاشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الانبياء سلط الله عليهم هفت نصر وهو من الجبوس وكان ملكه سبع مائة سنة وهو قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديد (لجاسوا خلال الديار) أي فترددوا في أوساط الديار ودخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الاموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الاصناف فاحتملوها على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل فأقاموا يستخدمون بني اسرائيل ويستملكونهم بالخزى والعقاب والنكال مائة عام (وكن) أي



ذلك البعث (وعدا مفعولا) أى منجزا (ثم ردنا لكم الكرة) أى الدولة (عليهم) أى على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تمت عن ذنوبكم ورجعتم عن الفساد بظهور ركورس الهمداني على بخت نصر (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعدما نهبت أموالكم (وبنين) بعدما سببت أولادكم (وجعلناكم أكثر نفيرا) أى رجالا وعددا أى ثم إن الله عز وجل رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس وهو كورس الهمداني أن تسير إلى المجوس في أرض بابل وإن تستنقذ من في أيديهم من بني إسرائيل فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان من البيت المقدس ورده الله إليه كما كان أول مرة (إن أحسنتم) بفعل الطاعات (أحسنتم لأنفسكم) فإن بركة تلك الطاعات يفتح الله به عليكم أبواب الخيرات (وإن أسأتم) بفعل المحرمات (فلها) أى فقد أسأتم إلى أنفسكم فالبشؤم تلك المعاصي يفتح الله به عليكم أبواب العقوبات (فإذا جاء وعد الآخرة) أى وعد المرة الآخرة بعثنا تطوس بن اسبيانوس الرومي مع جنوده (ليسوا وجوهكم) أى ليجمعوا آثارا للحزن ظاهرة في وجوهكم وقرأ ابن حارم وأبو بكر عن عاصم وحزرة ليسوا بالتوحيد أى يحزن الله أو الوعد أو البعث وجوهكم وقرأ الكسائي لنسوة بنون العظيمة (وليدخلوا المسجد) أى بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة) أى كما دخل الأعداء فيه في أول مرة (وليتبروا ما علوا) أى ليهلكوا البلاد التي علوا عليها (تقبيرا) أى اهلاكا أى فلما رجعت بنو إسرائيل إلى البيت المقدس قادوا إلى المعاصي فسلط الله عليهم ملكا الروم قيصر فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ جميع ما في بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعه في كنيسة الذهب فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدي ويرده إلى بيت المقدس وهو ألف سفينة وسبع مائة سفينة يرمى بها على بابل حتى ينقل إلى بيت المقدس (عسى ربكم أن يرحكم) أى لعل ربكم أن يرحكم بعد المرة الآخرة أن تبت توبة أخرى من المعاصي يا بني إسرائيل (وإن عدتم) إلى الفساد مرة أخرى (عدنا) إلى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى وإن عدتم إلى الاحسان عدنا إلى الرحمة وقد عادوا إلى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب لحمد صلى الله عليه وسلم وكتمان ما ورد في التوراة والإنجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدي العرب فجري القتل والجلاء على قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع ويهود خيبر والباقي منهم مقهورون بضرب الجزية (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى سبحانه لا يستطيعون الخروج منها أبدا (إن هذا القرآن) الذي آتيناكم (يهدي) كل الناس (التي هي أقوم) أى للطريقة التي هي أقوم الطرائق وهي ملة الإسلام فبعضهم يصل بهدايته وهم المؤمنون وبعضهم لا وهم الكافرون (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) من التقوى والاحسان (أن لهم أجرا كبيرا) أى بأن لهم في مقابلة تلك الأعمال أجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضاعف (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) وهو عذاب جهنم وهذا عطف على قوله إن لهم فالقرآن يبشر المؤمنين ببشارتين بأجر كبير ويتعذيب أعدائهم واعلم أن أكثر اليهود دينهم كرون الثواب والعقاب الجسمانيين وأن بعضهم قال لن تمسنا النار إلا أياما معدودات فهم بذلك صاروا كالمنكرين للآخرة (ويدعوا الإنسان بالشردهاء بالخسير) في إلحاح أى إن الإنسان قديما في الدعاء طلبا لشيء يعتقد أن خيره فيه مع أن ذلك الشيء يكون منبع ضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وإنما يقدم على مثل هذا العمل لكونه مغترا بظواهر الأمور غير متفحص عن حقائقها وأسرارها روى أن النضر بن الحرث قال اللهم أنصر خير الحزبين اللهم إن كان

هذا هو الحق من عندك الى آخره فأجاب الله تعالى دعاءه وضر بتدقيقه يوم بدر وقيل المراد ان الانسان  
 في وقت الضجر يلعن نفسه وأهله وولده وماله ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلاك (وكان  
 الانسان) بحسب جبلته (عجولا) أي ضجرا لا يثبت في الدنيا والدين (وجعلنا الليل والنهار آيتين)  
 أي علامتين دالتين على تمام علمنا وكمال قدرتنا فلما بين الله تعالى ان هذا القرآن يدل على الطريق  
 الاقوم ذكر الدلائل الدالة على وحدته تعالى وهو عجائب العالم العلوي والسفلي فالقرآن نعم الدين ووجود  
 الليل والنهار نعم الدنيا فلولاهما لما حصل للخلق الراحة والسكينة والقرآن عتج من المحكم والمتشابه  
 فكذلك الدهر مركب من الليل والنهار فالمحكم كالنهار والمتشابه كالليل فكأن القصور من التكليف  
 لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذلك الزمان لا يحصل الانتفاع به الا بالليل والنهار (فمحمونا آية الليل)  
 وهي القمر لانه يبدو في أول الامر على صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يشرع  
 في الانتقاص قليلا قليلا الى أن يعود الى المحاق (وجعلنا آية النهار) وهي الشمس (مبصرة) أي  
 مضيئة ذات أشعة تظهر بها الاشياء المظلمة فالأضواء سبب لحصول الابصار (لتبتهوا فضلا من ربكم)  
 أي لتطلبوا في الليل والنهار فضل ربكم من الرزق الحلال بالسكينة ومن الثواب الجزيل بأداء الطاعات  
 واحترام المنهيات (وتعلموا) بتعاقبهما (عدد السنين والحساب) أي حساب ما دون السنين من  
 الشهور والايام والساعات لا قامة مصالحكم الدينية والدنيوية (وكل شيء) تفقدون اليه في مصالح  
 دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) أي ببناء في القرآن تبيينا بليغا لا شبهة فيه فظهر كون القرآن  
 يهدي للتي هي أقوم ظهورا بينا (وكل انسان أزمانه طائر) أي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر  
 (في عنقه) وذكر العنق كناية عن شدة اللزوم أي الزمانا عمله كل يوم القلادة أو الغناء للصيغة بحيث  
 لا يفارقه عمله أبدا فان كان خيرا كان زينة له كالطوق وان كان شرا كان شيناه كالغل على رقبته وانما  
 يكنى العمل بالطيران العرب اذا أرادوا الاقدام على عمل اعتبروا أحوال الطير فهل يطير متيامنا أو  
 متياسرا أو صاعدا الى الجوى غير ذلك فيستدلون بكل واحد منها على الخير والشر والسعادة والنحوسة  
 فلما كثرت ذلك منهم سمى نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه وقيل المراد بالطائر صحيفة  
 الاعمال التي كتبها الملائكة الحفظة فاذا مات العبد طويت تلك الصحيفة وجعلت معه في قبره حتى تخرج  
 له يوم القيامة وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يا رسول الله ما أول ما يلقي الميت اذا أدخل قبره  
 قال يا ابن مسعود ما سألتني عنه أحد الا أنت فأول ما يناديه ملائكة اسمعروا ما نجيحوس خلال المقابر فيقول  
 يا عبد الله اكتب عملك فيقول ليس معي دواة ولا قلم فيقول كف بك قرطاسك ومدادك ريقك  
 وقلمك أصبعك فيقطع له قطعة من كفه ثم يشرع العبد يكتب وان كان غير كاتب في الدنيا فيذ كر حينئذ  
 حسنة وسيائة كيوم واحد ثم يطوى الملك القطعة ويلقها في عنقه ثم قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وكل انسان أزمانه طائر في عنقه أي عمله فيه وقيل المراد بالطائر كتاب اجابته في القبر لذكر وتكبير  
 (ونخرج له يوم القيامة كتابا) أي مكتوبا فيه عمله (يلقاه) أي يلقي الانسان وقرأ ابن عسار يلقيه بضم  
 الياء وفتح اللام والقاف المشددة أي يعطاه (منشورا) أي مفتوحا ويقال له (اقرأ كتابك) قال  
 الحسن وقتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارنا وقال بكر بن عبد الله يؤتى المؤمن يوم القيامة  
 بصحيفته وهو يقرؤها وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيائته في جوف صحيفته وهو يقرؤها

حتى اذا ظن انها قد اوبقتة قال الله تعالى اذهب فقد غفرت لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره  
 (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي محاسباً قال الحسن ومن عدل الله في حقك جعلك  
 حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ له تعالى انك قضيت انك لست بظلام للعبيد  
 فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (من اهتدى فانما يهتدى  
 لنفسه) أي من اهتدى بهداية القرآن وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهى عنه فانما  
 تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى من لم يهتد فان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله (ومن ضل  
 فانما يضل عليها) أي ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما بال ضلاله عليها الا على من لم يضل  
 (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة للأثم اثم نفس أخرى بطبيعة النفس حتى يمكن  
 تخاصص النفس الثانية عن اثمها ولكن يحمل عليها بالقصاص فلا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى فكل  
 أحد مختص بذنب نفسه وهذا قطع لا طماع الكفار حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق  
 فالعقاب على اسلافهم الذين قلدوهم الدين الفاسد (وما كنا معذبين) قوماً بالهلاك (حتى نبعث  
 اليهم) (رسولا) يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقوم الحجج ويعهد الشرائع وأهل الفترتين  
 بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد عليهم السلام ثلاثة عشر قسماً ستة سعداء وأربعة أشقياء وثلاثة  
 تحت المشيئة فأما السعداء فقسم واحد الله تعالى بنور وجهه في قلبه كقسم بن ساعدة فإنه كان اذا سئل  
 هل لهذا العالم اله قال البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير وقسم واحد الله تعالى بما تجلي  
 لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه وقسم ألقى في نفسه واطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم  
 فأمن به في عالم الغيب وقسم اتبع ملة حق عن تقدمه وقسم طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى  
 الله عليه وسلم فأمن به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله  
 أجران وأما الأشقياء فقسم عطل بلا نظر بل بتقليد وقسم عطل بعدما أثبت بالاستقصاء نظر وقسم أشرك  
 عن تقليد محض وقسم علم الحق وعانده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقرب وجود الاله عن نظر  
 ناقص لضعف في طبائعه وقسم أشرك عن نظراً خطأ فيه وقسم عطل بعدما أثبت بغير نظر قوى ونقل عن  
 السيوطي ان أبوى النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث  
 رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة (واذا أردنا أن نهلك قرية  
 أمرنا مترفيها) أي واذا ادنا وقت تعلق ارادتنا بالهلاك قرية بعذاب الاستئصال أمرنا على لسان الرسول  
 المبعوث الى أهلها رؤسائها بالاهمال الصالحات وهي الايمان والطاعة وروى رواية غير مشهورة عن نافع  
 وابن عباس أمرنا مترفيها بعد الهزيمة أي كثرنا أغنياءها وفساقها وعن أبي هريرة أمرنا بتسديد الميم أي  
 جعلنا جبارتها أمراء (ففسقوا فيها) أي فخرجوا عما أمرهم الله وعملوا المعاصي فيها (الحق عليها  
 القول) أي فثبت عليها ما توقعدها به على لسان رسولنا من الاهلاك (فدمرناها تدميراً) أي  
 فأهلكناها اهلاك الاستئصال (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) أي وكثيراً أهلكنا من الامم  
 الماضية من بعد قوم نوح فان الطريق الذي ذكرناه هو عادتنا من القرون الذين يفسقون من القرون الذين كانوا  
 بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم وانما قال تعالى من بعد نوح لانه أول من كذب قومه وخوف تعالى بهذه  
 الآية كفار مكة (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) فانه تعالى عالم بجميع المعلومات راء لجميع  
 المراتب وثبت انه قادر على كل الممكنات فكان قادراً على ايصال الجزاء الى كل أحد بقدر استحقاقه فانه

منزه عن الظلم وهذه بشارة عظيمة لأهل الطاعة وتخويف عظيم لأهل المعصية (من كان يريد  
بالذي يعمل (العاجلة) أى الدار العاجلة فقط (يجلئها فيها) أى فى تلك الدار (مانشأ) تجهيلها  
من نعيمها (لمن يريد) تجهيل مانشأه وهذا بدل من الضمير بإعادة الجار بدل بعض من كل فلا  
يجد لكل واحد جميع ما يهواه فان كثير من الكفار يعرضون عن الدين فى طلب الدنيا ثم يقولون  
محرورين عن الدنيا والدين (ثم جعلنا له) فى الآخرة مكان ما جعلناه (جهنم) وما فيها من أنواع  
العذاب (بصلاحها) أى يدخلها (مذموما) أى مهاتبا بالذم (مدحورا) أى مطرودا من رحمة الله  
تعالى قيل نزلت هذه الآية فى مرتدين غامة (ومن أراد الآخرة) أى أراد بعمله ثواب الآخرة  
(وسعى لها) أى للدرا الآخرة (سعيها) بأن يكون العمل من باب القرب والطاعات (وهو مؤمن)  
إيمانا صحيحا (فأولئك كان سعيهم) أى عملهم (مشكورا) أى مقبولا عند الله أحسن القبول  
قيل نزلت هذه الآية فى بلال المؤذن (كلا) أى كل واحد من الفريقين يريد الدنيا ويريد  
الآخرة (غد) أى يزيد بالعطاء (هؤلاء) أى الذين يريدون الدنيا (وهؤلاء) أى الذين يريدون الآخرة  
وهذان بدلان من كلا فان الله يوسع عليهم فى الرزق من الأموال والأولاد وغيرهما من أسباب العز  
والزينة فى الدنيا (من عطاء ربك) أى من معطاء الواسع وهذا متعلق بنعم (وما كان عطاء ربك) أى  
معطاء فى الدنيا (مخطورا) أى ممنوعا من أحد مؤمنا كان أو كافرا لان الكل مخلوقون فى دار العمل  
فأزاح تعالى العذر عن الكل وأوصل تعالى متاع الدنيا الى الكل على القدر الذى يقتضيه الصلاح (أنظر)  
أيها الانسان بنظر الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فيما أمددناهم به من العطايا فى الدنيا  
فمن وضع ورفع وظالع وضيع ومالك وعملوك وموسر وصعلوك (وللاخرة أكبر درجات) من درجات  
الدنيا فان درجات الآخرة باقية غير متناهية ونعم الدنيا فانية متناهية (وأكثر تفضيلا) من تفضيل  
درجات الدنيا أى التفاوت فى الآخرة أكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودرجاتها ثم ذكر الله  
تعالى من أنواع التكليف خمسة وعشرين نوبا بعضها أصلى وبعضها فرعى وهى تفصيل لثلاثة شروط  
لأهل الثواب وهى ارادة الآخرة بالعمل وان يسعى سعيها موافقا لطلب الآخرة وأن يكون مؤمنا فقال  
(لا تجعل) أيها الانسان (مع الله الها آخرة فتعبد) أى فتمكث فى الناس أو فتجهز عن سعادة الآخرة  
أو فتصير (مذموما) من الملائكة والمؤمنين (مخذولا) من الله تعالى (وقضى ربك) أى أمر أمرا  
جزما وقرأ على وابن عباس وعبد الله ووصى ربك (أن لا تعبدوا الاياه) فان اما مفسرة أو مخففة من  
الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولانهاية (وبالوالدين) أى احسنوا بهما (احسانا) عظيما كاملا فان  
احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ومع ذلك لا تحصل المكافاة  
لان انعامهما عليك كان على سبيل الابتداء وفى الامثال المشهورة ان البادى بالبر لا يكافأ (اما يبلغن  
عندك الكبرأ حدما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أى ان يبلغا الى حالة الضعف وهما عندك فى آخر  
العمر كما كنت عندهما فى أول العمر فلا تنهبر لهما احدهما بما تستغذرنه ولا تستثقل من مؤنه أى ولا  
تقل له كلا ما رديتا ذا وجدت منه راحة تؤذيك كما انهما لا يتقدران منك حين كنت تخرا أو تبول وقرأ  
حمزة والكسائى يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وقرأ ابن كثير وابن عامر أف بفتح الفاء من غير  
تنوين وناقع وحفص بكسر الفاء مع التنوين والباءون بكسر الفاء من غير تنوين (ولا تنهرا) أى  
لا تغلظ لهما فى الكلام والمراد من قوله تعالى فلا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل أو الكثير

ومن قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه (وقل لهما قولاً كريماً) أي  
لينا حسناً بان يخاطبه بالكلام المقرون بامارات التعظيم (واخفض لهما جناح الذل) أي لين لهما  
جانبك المذلول والمراد فعل التواضع لهما (من الرحمة) أي من أجل فرط عطفك عليهما ورقتك لهما  
بسبب ضعفهما لا لاجل خوفك من العار (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) أي ادع لهما بالرحمة ولو  
خمس مرات في اليوم والليلة بأن تقول رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخرية رحمة مثل تربيتهما اياي  
في صغري ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي لاجل تربيتهم - مالي (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من  
الاخلاص وعدمه في برهما (ان تكونوا صالحين) أي صادقين في نية البر بالوالدين ان كنتم رجاءين الى  
الله تعالى (فانه) تعالى (كان للابوين) أي للرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم (غفورا) فمكفر  
عنهم سيئاتهم (وأت ذا القربي) أي اعط ذا القرابة من جهة الاب والام وان بعد (حقه) من صلة  
الرحم بالمال أو غيره (والمسكين) أي اعط المسكين حقه من الاحسان اليه (وابن السبيل) أي اعط  
الضيف النازل بلك حقه وهو اكرامه ثلاثة أيام (ولا تبذر تبذيراً) وهو انفاق المال في المعصية وفي  
الفقر والسعة (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي أتباعهم في الصرف في المعاصي (وكان  
الشيطان لربه كفوراً) فانه يستعمل يده في المعاصي والافساد في الارض وكذلك كل من رزقه الله  
تعالى مالا أوجاهه فصرفه الى غير مرضاة الله تعالى كان كفوراً لنعمة الله تعالى فكان المبذرون موافقين  
للشياطين في تلك الصفة (وأما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أي ان أعرضت عن ذي  
القربي والمسكين وابن السبيل حياة من التصريح بالرد لكونك كنت فقيراً في وقت طلبهم منك (فقل لهم  
قولا ميسوراً) أي لينا سهلاً بأن تعدهم بالاعطاء عند مجي الزرق أو تقول لهم الله يسهل وروى ان النبي  
صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول هذه الآية اذ لم يكن عنده ما يعطى وسئل يقول يرزقنا الله تعالى واياكم  
من فضله اه وقوله تعالى ابتغاء رحمة من ربك ترجوها كناية عن الفقر لان فاقد المال يطلب رحمة الله  
فسمى الفقر ابتغاء رحمة الله من اطلاق اسم المسبب على اسم السبب (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك)  
أي لا تجعل يدك في انقباضها كالغسلولة الممنوعة من الانبساط أي لا تمسك عن الانفاق بحيث تضيق  
على نفسك وأهلك (ولا تبسطها) في الانفاق (كل البسط) أي في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات  
أي ولا تتوسع في الانفاق توسعاً فرطاً بحيث لا يبقى في يدك شيء (فتتعدملوما) أي فتصير ملوماً عند  
الله وعند أصحابك فهم يلومونك على تضيق المال بالكلية وابقاء الاهل والولد في الضر وتبقى ملوماً عند  
نفسك بسبب سوء تدبيرك وترك الخزم في مهمات معاشك (محسوراً) أي نادماً أو منقطعاً عندك  
الاجباب بسبب ذهاب الأسباب (ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ان الله يوسع الرزق على  
البعض ويضيقه على البعض الآخر وهو ربي المربوب ويدفع حاجاته على مقدار صلاح فعله العباد أن  
يقتصدوا في الانفاق وان يستنوا بسنته تعالى (انه كان بعباده خبيراً بصيراً) فيعلم من مصالحهم ما يخفي  
عليهم ويعلم ان مصلحة كل انسان في ان لا يعطيه الا ذلك القدر فالتقار في أرزاق العباد لاجل رعاية  
الصلاح لا لاجل البخل (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) أي خشية وقوع فقر بكم فقتل الاولاد ان  
كان لحوف الفقر فهو سوء ظن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو وسعي في تجريب العالم فالاول  
ضد التعظيم لامر الله تعالى والثاني ضد الشفقة على خلق الله قال بعضهم والذي حملهم على قتل الاولاد  
البخل وطول الامل (نحن نرزقهم واياكم) أي نرزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شيء فيطرأ عليكم

ما تخشونه من الفقر (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) أى ذنباً عظيماً. وقرأ الجمهور بكسر الحاء وسكون  
الطاء وقرأ ابن عامر بفتح الحاء والطاء مع القصر بمعنى ضد الصواب وقرأ ابن كثير بفتح الحاء والطاء  
مع المد (ولا تقربوا الزنا) باثنيان مقدماته (انه) أى الزنا (كان فأحشة) أى طاعة القبح لا شتماله  
على فساد الانساب وعلى التقاتل فان الانسان لا يعرف ان الولد الذى أتت به الزانية أهو منه أو من غيره فلا  
يقوم بترييبته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانه قطاع النسل وخراب العالم (وساء سبيلاً) لانه لا يبقى فرق  
بين الانسان والبهائم في عدم اختصاص الذكران بالاناث فأنه تعالى وصف الزنا في آية أخرى بصفات  
ثلاثة فالذى لم يذكر هنا كونه مختلفاً ان المرأة اذا غررت على الزنا يستقذرها كل طبع سليم وكل خاطر سليم  
واذا اشتهرت بالزنا تفرعن مقارنتها بطباع أكثر الخلق فحينئذ لا تحصل لها الا لفقة ولا يتم الا ازدواج (ولا  
تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بالاسلام والعهد (الا بالحق) أى بسبب الحق وهو عند القصاص  
فهو متعلق بلا تقتلوا (ومن قتل مظلوماً) بغیر حق يبيع القتل للقاتل (فقد جعلنا لوليهِ) من الوارث  
أو السلطان عند عدم الوارث (سلطاناً) أى استيلاً على القاتل يؤاخذ به القصاص أو بالدية (فلا  
يسرف في القتل) أى فلا يسرف الولي في أمر القتل بأن يزيد على القتل المثلثة وقطع الاعضاء أو بأن  
يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد أو بأن يقتل القاتل مع أخذ الدية وقيل  
المعنى ولا يسرف القاتل الظالم والاسراف هو اقدمه على القتل بالظلم وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف  
بالتاء على الخطاب أى لا تسرف في القتل أيها الولي أى اکتف باستيفاء القصاص ولا تطلب الزيادة  
أو لا تسرف أيها الانسان أى لا تفعل القتل الذى هو ظلم محض فانك ان قتلت مظلوماً استولى في  
القصاص منك ويعضد هذا قراءة ولا تسرفوا (انه كان منصورا) قال مجاهد ان المقتول المظلوم كان  
منصورا في الدنيا بإيجاب القود على قاتله وفي الآخرة بكثرة الثواب له وبكثرة العقاب لقاتله وقال قتادة ان  
ولي المقتول كان منصورا على القاتل حيث أوجب الله له القصاص أو الدية وأمر الحكماء بمعونته في  
استيفاء حقه فليكتف بهذا القدر ولا يطمع في الزيادة (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) وهى  
حفظه وإرباعه (حتى يبلغ أشده) أى حتى يبلغ الى حيث يمكنه بسبب رشده القيام بمصالح ماله فحينئذ  
ترزول ولاية غيره عنه فان بلغ غير كامل العقل لم ترزول الولاية عنه (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم  
وبين ربكم أو جرى بينكم وبين الناس (ان العهد كان مستولاً) أى مستولاً عنه فيستل الناكث  
ويعاتب عليه يوم القيامة (وأوفوا الكيل) أى أتموه (اذا كلمتم) لغيركم (وزنوا بالقسطاس  
المستقيم) أى بعيزان العدل بحيث لا يميل الى أحد الجانبين (ذلك) أى الوزن بالميزان المعتدل وإيفاء  
الكيل والعهد (خير) في الدنيا فإنه يوجب الذكر الجميل بين الناس (وأحسن تأويلاً) أى عاقبة  
في الآخرة فإنه يخلص من العقاب الشديد (ولا تقف ما ليس لك به علم) أى لا تكن أيها الانسان في  
اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلماً لا يدري أنه يوصله الى مقصده والمراد بالعلم هو الظن  
المستفاد من سند (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) أى كل واحد من تلك الاعضاء (كان عنه  
مستولاً) أى كان كل واحد منها مستولاً عن نفسه أى عما فعل به صاحبه ولا يبعد أن يخلق الله الحياة  
والعقل والنطق في هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال عليها في هذا دليل على أن العبد موأخذ  
بعزمه على المعصية روى عن شكل بن حميد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني  
تعويذاً أتعوذ به فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني



قال لحفظتها (ولا تمس في الارض مرها) أى دأشدة قرح أى لا تمس مشيا يدل على الكبرياء والعظمة  
 (انك لن تحرق الارض) أى لن تنقها بشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) أى لن يبلغ طولك  
 الجبال والمعنى قواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله فلا يليق بك التكبر (كل ذلك) أى  
 المذكور من الخصال الخمس والعشرين (كان سيئته) بضم الهمزة والهاء أى السيئ منه وهى المنهيات  
 الاثني عشرة (عند ربك مكروها) أى محرما مبعوضا فاعله معاقبا عليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو  
 سيئة بالتاء وبالنصب وهو خبر كان وعند ربك صفة لسيئة ومكروها خبر ثان لكان والمعنى كل ما تقدم  
 من المنهيات وهى اثنتا عشرة خصلة كان سيئة أى ذنبا (ذلك مما أوحى اليك ربك) أى ذلك التكاليف  
 الاربعة وعشرون نوعا بعض ما أوحى اليك ربك (من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير  
 لأجل العمل به وهذا خبر ثان (ولا تجعل مع الله الهاء) خرف تلقى في جهنم ملوما) يلومك نفسك وغيرها  
 (مدحورا) أى مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أى أختاركم ربكم بكم بكم بالذكور  
 (واتخذ) لنفسه (من الملائكة اناثا) أى ان كفار مكة اعتقدوا أن أشرف الاولاد البنون وأخسهم  
 البنات ثم انهم أثبتوا البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية نقصهم وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله هو  
 الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له وذلك يدل على نهاية جهلهم (انكم لتقولون) بسبب ذلك الاعتقاد  
 (قولا عظيما) فى الفرية على الله حيث تجعلونه تعالى من نوع الاجسام ثم تنسبون اليه ما تنكرهون من  
 أخس الاولاد ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالانوثة التى هى أخس أوصاف الحيوان  
 (ولقد صرفنا) أى كرنا هذه الدلائل (فى هذا القرآن) أى فى مواضع منه (ليذكروا) بفتح الذال والكاف  
 وتشديد هاء أى ليعرفوا بطلان ما يقولونه وقرأ حمزة والكسافى ليذكروا واسما كنهة الذال مضمومة الكاف  
 أى ليفهموا فى القرآن أوليذكروه بالسنتهم فان الذكر باللسان قديودى الى تأثر القلب بعينه (وما  
 يزيدهم) أى والحال ما يزيدهم ذلك التكسير (الانفورا) أى تباعدوا عن الايمان وهذا دليل على أن  
 الله ما أراد الايمان من الكفار (قل) فى اظهار بطلان ذلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى  
 (آلهة كما يقولون) أى كونا موافقا لما يقولون (إذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا) أى لطلبوا الى من له  
 الملك سبيلا بالمغالبة كما هو دين الملوك بعضهم مع بعض وقيل المعنى لو كانت هذه الاصنام تقربكم الى  
 الله زلفى كما تقولون لطلبت لانفسها المراتب العالية فلما لم تقدر على ذلك فكيف يدرك فى العقل أن تقربكم  
 الى الله منزلة (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) أى تنزه الله وارتفع بصفات الكمال عن الشركاء  
 والنقائص ارتفاعا عظيما (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) أى تنزه الله تعالى السموات  
 السبع والارض عن كل نقص بدلالة أحوالها على توحيد الله تعالى وقدرته ولطيف حكمته فكأنها  
 تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح وتسبح العقلاء بلسان المقال وقرأ ابن كثير كما يقولون وعما يقولون  
 ويسبح بالياء فى هذه الثلاثة وقرأ حمزة والكسافى كلها بالتاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم فى  
 الاول بالتاء على الخطاب وفى الثانى والثالث بالياء وقرأ حفص عن عاصم الاولين بالياء على الحكاية  
 والاخير بالتاء وقرأ أبو عمرو والاول والاخير بالتاء والاول بالياء (وان من شئ الا يسبح بحمده) أى  
 ما من شئ من الاشياء حيوانا كان أو نباتا أو جمادا الا ينزهه تعالى متلبسا بحمده بلسان الحال عما  
 لا يليق بداته تعالى من لوازم الامكان فلا كوان بامرها شهادة بتلك النزاهة (ولكن لا تفقهون) أيها  
 المشركون (تسبحهم) فان الكفار وان كانوا مقرين بالسنتهم باثبات اله العالم لم يتفكروا فى أنواع

الدلائل ولم يعلموا كمال قدرته تعالى فاستبعدوا كونه تعالى قادرا على النشر والحشر فهم قائلون عن  
 أكثر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد لانهم أثبتوا لله شركا وزوجا وولدا قرى لا يفتنون على صيغة  
 المبني للمفعول مع فتح الفاء وتشديد القاف (انه كان حليما) ولذلك لم يعاجلهم بالعقوبة مع غفلتكم وسوء  
 نظركم وجهلكم ولذا كان (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن) بمكة (جعلنا بينك وبين  
 الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي المنكرين للبعث (حجابا مستورا) روى ابن عباس ان أباسفيان  
 والنضر بن الحرث وأباجهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون الى حديثه فقال  
 النضر يوما ما أدرى ما يقول محمد غير اني أرى شفته تتحرك بشئ وقال أبوسفيان اني لا أرى بعض ما يقوله  
 حقا وقال أبوجهل هو مجنون وقال أبولهب هو كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر ففزلت هذه  
 الآية والله تعالى خلق حجابا في عيونهم يمنعهم عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وعن ادراك ما عليه من  
 النبوة وعن فهم قدره الجليل وذلك الجعاب شئ لا يراه أحد فكان مستورا من هذا الوجه (وجعلنا على  
 قلوبهم أكنة) أي موانع من (أن يفقهوه) أي يفهموا القرآن حق الفهم (وفي آذانهم وقرا) أي  
 صمما مانعا من سماعه اللاتق به أي كان بعضهم يحجب بصره عن رؤية النبي اذا أراد به كبروه وهو يقرأ  
 القرآن وبعضهم يحجب قلبه عن ادراك القرآن ويحجب سمعه عن سماعه (واذا ذكرت ربك في القرآن  
 وحده) أي غير مقررون بألهتهم في الألوهية وهذا منصوب على الحال من ربك أو على الظرف (ولوا  
 على أديبارهم نفورا) أي متباعدين عن قولك أي كان الكفار عند استماع القرآن على حالتين فاذا  
 سمعوا من القرآن ما ليس فيه ذكر الله بقوا متحيرين لا يفهمون منه شيئا واذ سمعوا آية فيها ذكر الله تعالى  
 وذم الشرك بالله تركوا ذلك المجلس ولا يستطيعون سماع القرآن (فمن أعلم بما يستمعون) الى قراءة  
 القرآن (به) أي بسببه من الهز والتكذيب (اذ يستمعون اليك) أي الى قراءتك روى أنه صلى  
 الله عليه وسلم كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلان وعن يساره رجلان من ولد قصى أو من بني عبد  
 الدار فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار (واذهبم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا  
 رجلا مسحورا) أي ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم اذهبم ذر ونجوى اذ يقول المشركون بعضهم  
 لبعض انكم ان اتبعتم محمدا فقد اتبعتم رجلا زال عقله عن حد الاعتدال روى أن رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ طعاما ويدعوا اليه أشرف قريش من المشركين ففعل على ذلك ودخل  
 عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله حتى  
 تطيعكم العرب وتنقاد لكم ألهم فأبوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم  
 القرآن والدعوة الى الله تعالى يقولون بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور وما أشبه ذلك من القول فأخبر  
 الله تعالى بأنهم يقولون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع الا رجلا اتخذوه من قبل الشيطان فانه يتخيل  
 له فيظن أنه ملك ومن جهة الناس فان محمدا يعلم من بعض الناس هذه الكلمات وأولئك يخدعون به هذه  
 الحكايات (أنظر) يا أشرف الرسل (كيف ضربوا لك الامثال) فكل أحد شبهك بشئ آخر فقالوا انه كاهن  
 وساحر وشاعر ومعلم ومجنون (فضلوا) في جميع ذلك القول من طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى  
 طعن يمكن أن يقبله أحد فيأتون بما لا يرتاب في بطلانه أحد (وقالوا انذا كننا) أي صرنا (عظاما) بالية  
 (ورفاتا) أي ترابا رميما (أثنا لمعوتون خلقا جديدا) أي مخلوقين تجدد الروح فينا بعد الموت (قل) لهم  
 يا أكرم الرسل (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا) آخر (عما يكبر في صدوركم) والمعنى لو تكونون حجارة مع

أنها لا تقبل الحياة بجمال أو حديد مع أنه أصلب من الحجارة أو خلقا غيرهما كائننا من الأشياء التي تعظم في  
 اعتقادكم عن قبول الحياة كالسحوات والارض فلا بد من ايجاد الحياة فيكم فان قدرته تعالى لا تعجز عن  
 احياءكم لا شراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مخرقة وقد كانت طريقة موصوفة  
 بالحياة من قبل والشيء أقبل لما اعتيد فيه عالم يعتد (فسيقولون) عماد يا في الاستهزاء (من يعيدنا)  
 أي من الذي يقدر على إعادة الحياة اليها اذا صرنا كذلك (قل الذي فطركم أول مرة) أي قل ارشاد الله  
 الى طريقة الاستدلال فالذي ابتدأ خلقكم أول مرة من غير مثال يعيدكم الى الحياة بالقدره التي  
 ابتدأكم بها فكم لم تعجز تلك عن البداءة لا تعجز عن الاعادة (فسينفضون اليك رؤسهم) أي فسيحركونها  
 جهتك تهيبا وتكذيبا لقولك (ويقولون) استهزاء (متى هو) أي الذي وعدتنا من الاعادة (قل  
 عسى أن يكون) ذلك (قريبا) اذ كل آت قريب (يوم يدعوكم) على لسان اسرافيل بالنداء الذي  
 يسمعكم من القبور وهو النفخة الاخيرة فان اسرافيل ينادي أيتها الاجسام البالية والعظام النخرة  
 والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت بقدره الله تعالى وبأذنه (فتستجيبون بحمده) قال سعيد بن جبیر رأيت  
 فيخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك قال المفسرون  
 حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال الزمخشري بحمده حال منهم أي حامدين وهذا مبالغة في انقيادهم للبعث  
 (وتظنون) عندما ترون الاهوال الهائلة (ان لبعثكم) أي ما كنتم في القبور وأوفي الدنيا (الا قليلا)  
 كالذي مر على قرية (وقل لعمري) أي المؤمنين اذا أردتم اتيان الحجة على المخالفين فاذكروها غير  
 مخلوط بالشكتم والسب فبقايا بلونهم بعثله ولا يخاششونهم بل (يقولوا) لهم الكلمة (التي هي أحسن)  
 كان يقولوا يهديكم الله وقيل نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى  
 بالعفو (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يجمع الشر بين الناس ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم  
 المحاصمة (ان الشيطان كان) في قديم الزمان (للانسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة (ربكم  
 أعلم بكم) أي بعاقبة أمركم (ان يشأيرحكم) بأن يوفقكم للايمان والمعرفة الى ان تموتوا فينجيكم من  
 العذاب (أو ان يشأيعذبكم) بأن يمتككم على الكفر فيعذبكم الا ان تلك المشيئة ثابتة عنكم فاجتهدوا  
 أنتم في طلب الدين الحق ولا تصروا على الباطل لئلا تنصروا محرومين عن السعادات الابدية ويقال هذه  
 تفسير للتي هي أحسن أي قولوا اللهم هذه الكلمة ولا تقولوا أيها المؤمنون للمشركين انكم من أهل النار  
 فانه مما يهيجهم على الشر مع ان عاقبة أمرهم مغيبة عنكم فعسى يهديهم الله الى الايمان ويقال ان يشأ  
 ينجيكم منهم وان يشأ يسلطهم عليكم (وما أرسلناك بشيرا ونذيرا فادارهم ومراحماءك بالمدارة عليهم فان الذين عند الدعوة يؤثر  
 في القلب ويفيد حصول المقصود (و ربك أعلم بمن في السموات والارض) أي بأحوالهم فيختار منهم لنبوته  
 وولايته من يشاء من يستحق ذلك وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد أن يكون يتيم أي طالب نبيا ولا يجوز اطلاق  
 يتيم على النبي صلى الله عليه وسلم لا شعاره بالتحقير حتى أفتى بعض المالكية بقتل قائله كفا في الشفاء  
 (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية لا بكمرة الاموال والاتباع وهذا اشارة  
 الى تفضيل رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وآتيناد اودز بورا) فيه ذكر فضل سيدنا محمد  
 صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم النبيين وأمه خير الامم وكون الارض يرثها عباد الله الصالحون وهم محمد  
 وآمته وهذا بيان أن تفضيل داود يايتاء الزبور لا يايتاء الملائكة والسلطنة ورد لقول اليهود لا نبي بعد موسى

ولا كتاب بعد التوراة أى فاذا أعطى الله تعالى التوراة فلم يبعد ان يعطى داود زبوراً وعيسى الانجيل  
 ومحمد القرآن ولم يبعد أن يفضل محمد على جميع الخلق فكيف تنكر اليه ذلك وكفار قريش فضل محمد  
 واعطاه القرآن (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) أى قل يا أشرف الخلق للكفار ادعوا عند الشدة  
 الذين عبدتم من دون الله كعيسى ومريم وعزير وطائفة من الملائكة وطائفة من الجن (فلا يملكون)  
 أى لا يستطيعون (كشف الضر عنكم) أى رفع الشدة عنكم (ولا تحويلاً) للضر إلى  
 غيركم (أولئك الذين يدعون) أى الذين يتألهونهم (يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) أى  
 يحرس من هو أقرب إلى ربهم القربة بالطاعة اليه فأولئك مبتدا وخبره يبتغون والذين عطف  
 بيان والوسيلة مفعول ليبتغون والذين هم متعلق بالوسيلة وأى موصولة بدل من فاعل يبتغون  
 وقيل ان اسم الموصول خبر لاسم الإشارة ويبتغون حال من فاعل يدعون والمعنى أولئك المعبودون  
 لهم يعبدون ربهم يطلبون بتلك العبادة القربة إلى ربهم والفضيلة عنده وهم أقرب إليه (ويرجون  
 رحمته) بها (ويخافون عذابه) بتركها كدأب سائر العباد فإنهم من كشف الضر فكيف يكونون  
 آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أى يجب الحذر عنه (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم  
 القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً) أى وما من قرية طائفة أهلها أو طائفة الاوتهاك اما بالموت واما بالعذاب  
 فالصالحه يكون اهلا كهابالموت والطالحه يكون اهلا كهابالعذاب بنحو السيف أو المعنى ما من  
 قرية من قرى الكفار الا وتخرب اما بالاستئصال بالكلية أو تعذب بعذاب شديد دون ذلك كقتل  
 كبارهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الاموال واخذ الجزية وبغنون العقوبات الاخروية  
 (كان ذلك) أى الاهلاك والتعذيب (فى الكتاب) أى اللوح المحفوظ (مسطورا) أى مكتوباً وقد  
 بين فيه أسباب ذلك ووقته وروى عن بعضهم ان خراب مكة من الحبشة وخراب المدينة بالجوع  
 والبصرة بالغرق والكوفة بالترك وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وعن أبى هريرة ان النبي  
 صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خراباً بالمدينة (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب  
 بها الاولون) أى ما منعنا من ارسال المجهزات التى طلبتها قريش من احياء الموتى وقلب الصخر فاذهبا  
 وازالة الجبال عن مكة ليزرعوا مكانها الاتكذيب الاولين بالمجهزات حين جاءتهم باقتراحهم فيستحقوا  
 عذاب الاستئصال أى لو أظهر الله تلك المجهزات المقترحة لقريش ثم لم يؤمنوا بها صاروا مستحقين  
 لعذاب الاستئصال لكن انزاله على هذه الامة غير جائز لان الله تعالى علم ان فيهم من سيمؤمن أو يؤمن  
 أولادهم فلهذه المصلحة ما أجابهم الله تعالى إلى مطلوبهم (وأتينا محمد) باقتراحهم (الناقصة مبصرة)  
 بكسر الصاد أى مبينة لنبوة صالح (فظلموا بها) أى ظلموا أنفسهم بتكذيبهم بها وأقبلوا أنفسهم  
 للهلاك بعقرها (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الاتخوفاً) من نزول العذاب المستأصل على  
 المقترحين فان لم يخافوا ذلك نزل أو ما نرسل بغير مقترحة كالمجهزات وآيات القرآن الاتخوفاً بعبادة  
 الآخرة فان أمر المكذابين بها مؤخر إلى يوم القيامة (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) أى واذا ذكر  
 يا أشرف الخلق اذ بشرناك بأن الله يغلب أهل مكة ويقهرهم ويظهر دولته عليهم وهذه بشارة بوقعة بدر  
 وعبر الله بالماضى لان كل ما أخبر الله بوقوعه فهو واجب الوقوع فكان كالواقع (وما جعلنا الرؤيا التى  
 أريناك) ليلة المعراج وهى ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم على اليقظة بعينى رأسه من عجائب الارض  
 والسماء (الا فتنة للناس) أى الامتحان لاهل مكة لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة

الامراء فنه من كذبه ومنهم من كفر بعد اسلامه ومنهم من نافق ومنهم من توقف في حاله ومنهم من تردد في قلبه ومنهم من صدق كلامه صلى الله عليه وسلم وازداد المخلصون ايماناً (والشجرة الملعونة) أى المذمومة (في القرآن) وهى الرقوم أى وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس حيث قالوا ان محمد ابن عم ان نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر فكيف تنبت في النار شجرة رطبة وهى تحرق الشجر فينسبوا لله الهز عن خلق شجرة في النار غافلين عن قدرته تعالى على كل شئ وان النعمة تبطل الجمر والحديد المحمى بالنار ولا يحرقها وان السهندل وهى دويبة في بلاد الترك يتخذ من وبره مناديل فاذا اتسخت طرحت في النار فيذهب وسخها وتبقى هى سالمة لاتعمل فيها النار (وتخوفهم) بشجرة الرقوم وبعذاب الدنيا والآخرة (فمايزيدهم) ذلك التخويف (الا طغيانا كبيرا) أى الاتعاديافى المعصية متجاوزا عن الحدفلوا نأرسلنا بآياتنا اقترحوه من الآيات لازدادوا تعاديافى العناد فاهلكوا بعذاب الاستئصال كعادة من قبلهم وقد حكمتنا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى (واذ قلنا للملائكة) الذين كانوا فى الارض (اسجدوا لآدم) بوضع الجبهة عليه اما هو المسجود له أو هو قبلة للسجود والمسجود له هو الله تعالى (فسجدوا الا ابليس) وكان داخل تحت الامر بالسجود لانه مندرج تحت زميرتهم (قال) عندما ويخذه الله تعالى (أأأمجد لمن خلقت طينا) أى من طين (قال) أى ابليس بعد الاستنظار (أرأيتك هذا الذى كرمت على) أى أخبرنى عن هذا الذى فضلت على بأمرى بالسجود له لم فضلت على وأنا خير منه من حيث أنا مخلوق من العنصر العالى (اثن آخرن) حيا (الى يوم القيامة لا تحتسكن ذريته) أى لاستأصلنهم بالاغواء أو لا قودنهم الى المعاصى كما تقاد الدابة بجبلها (الا قليلا) لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم قرأ ابن كثير آخرن بآيات المشكلم فى الوصل والوقف وقرأ عاصم وابن عامر وحزرة والكسافى بال حذف وقرأ نافع وأبو عمرو بآياته فى الوصل دون الوقف (قال) تعالى له (اذهب) أى امض لشأنك الذى اخترته واعلم (فمن تبعك منهم) أى ذرية آدم فى دينك (فان جهنم جزاؤكم) أى جزاؤك ومن تبعك (جزاؤهم موفورا) أى مكافأ فكل معصية توجد يحصل لابليس مثل وزر ذلك العامل لانه هو الاصل فيها فاذلك يخاطب بالوعيد (واستغفرز) أى استرل (من استطعت منهم) استرل له (بصوتك) أى بدعائك الى معصية الله تعالى (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى واجمع عليهم وهو باجنودك الركب والمشاة فروى أبو الضحى عن ابن عباس انه قال كل راكب أو ماشى فى معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وجنوده وقرأ حفص عن عاصم ورجلك بكسر الجيم وقرأ غيره بالضم أو بالسكون (وشاركهم فى الاموال) أى فى كل تصرف يبيع فيها (والاولاد) أى فى الافعال القبيحة والحرق الذميمة والاديان الزائغة والاسماء المنكرة (وعدهم) أى بالامانى الباطلة (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) أى ما يعدهم من الامانى الكاذبة الا لاجل الغرور وهذه الجملة اعتراض واقع بين الجمل التى خاطب الله بها الشيطان (ان عبادى) المخلصين (ليس لك عليهم سلطان) أى غلبة وقدرة على اغوائهم (وكفى بربك وكيلأ) أى حفيظا فان الشيطان وان كان قادرا على الوسوسة فان الله أرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان (ربكم الذى يرزقكم الفلك فى البحر) أى الذى يسوق لنافعكم السفن على وجه البحر (لتبتغوا من فضله) أى رزقه تعالى بالتجارة وغيرها (انه كان بكم رحيمأ) حيث سهل عليكم ما يعسر من أسباب ما تحتاجون اليه (واذا مسكم الضر) أى خوف الغرق (فى البحر ضل من تدعون) أى ذهب عن خواطركم ما كنتم

تعبدون من دون الله (الآيات) تعالى فتسألون من الله تعالى النجاة لأنكم تعلمون أنه لا ينجيكم سواه  
(فلما نجاكم) من الغرق وأخرجكم من البحر (إلى البر أعرضتم) عن الشكر والتوحيد ورجعتم  
إلى الأشرار (وكان الإنسان كفورا) أي منكر النعم الله (أفأمنتم أن يخسف بكم) أي المجهول من هول  
البحر فأمنتم أن تغور البر بكم (جانب البر) الذي أنتم فيه ونصيركم تحت الثرى كما خسف بقارون  
(أو يرسل عليكم) من فوقكم (حاصبا) أي ريجاترمي حجارة كما أرسل على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم  
وكيلا) أي حافظا يحفظكم من ذلك (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) أي في البحر (تارة أخرى) بأسباب  
تجسكم إلى أن تركبوه وان كرهتم (غيرسل عليكم قاصفا) أي كاسرا (من الریح فيغرقكم) بعد كسر  
فلككم في البحر (بما كفرتم) أي بسبب أشراككم وكفرانكم لنعمة النجاة (ثم لا تجدوا لكم علينا به  
تبيعا) أي أثرا يطالبنا بما فعلنا بكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهذه الخمسة أن تخسف أو ترسل أن  
نعيدكم فترسل فغرقكم بنون العظمة على سبيل الالتفات والباقون بيا الغيبة (واقدر منا بني آدم)  
بالصورة والقامة المعتدة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات والعلم والنطق  
وتناول الطعام بأيديهم بذلك (وحملناهم في البر) على الدواب وغيرها (والبحر) على السفن  
(ورزقناهم من الطيبات) أي من أنواع المستلذات الحيوانية كاللحم والأسماك واللبن والنباتية كالثمار  
والحبوب (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) أي فضلناهم على غير الملائكة تفضيلا عظيما  
بالعقل والقوى المدركة التي يميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح فحق عليهم أن يشكروا هذه  
النعم ويسبغوا قواهم في تحصيل العاقلة الحقنة (يوم ندعو كل أناس بأمامهم) أي عن  
اقتدوا به روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينادى يوم القيامة يا أمة إبراهيم يا أمة موسى يا أمة  
عيسى يا أمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى يا اتباع  
فرعون يا اتباع غرود يا اتباع غمود وقال الضحاك وابن زيد أي بكتبهم الذي أنزل عليهم فينادى في  
القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل وقال الربيع وأبو العالية والحسن أي بكتاب  
أعمالهم كأن يقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر وقيل بآدابهم فيقال يا حنفي يا شافعي  
يا معتزلي يا قدرى ونحو ذلك وقرئ يدهي كل أناس على البناء للمفعول (فمن أوتي كتابه بيمينه) وهم أولوا  
البصائر في الدنيا (فأولئك يقرؤن كتابهم) الذي أعطوه تبججا بما سطر فيه من الحسنات (ولا  
يظلمون) أي لا ينةصون من أجور أعمالهم المكتوبة في كتبهم (فتيلا) أي قدر فتيل وهو القشرة  
التي في شق النواة (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) أي من كان في الدنيا أعمى مما يرى  
من قدرة الله في خلق السموات والأرض والبحار والجبال والناس والدواب وعن الشكر عن النعم  
الذكورة في الآيات المتقدمة فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ويستولى الخوف والدهشة على  
قلبه فيثقل لسانه عن قراءة كتابه (وأضل سبيلا) من الأعمى لتعطل الآلات بالكلية (وان كادوا  
ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) أي إن الشأن قاربوا أن يزلوك عن حكم القرآن (لتفتري علينا  
غيره) أي لتكذب علينا غير الذي أوحينا إليك (واذا لا تخذوك خليلا) أي لو اتبعت أهواءهم  
لكنك وليا لهم ولخرجت من ولايتي قال ابن عباس في رواية عطاء قدم وقد تقيف على رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فسأله شططا وقالوا متعبا باللات سنة وحرم وادينا كما حرم مكة شجرها وطيرها وحشها  
فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يجبهم فكرر وأذلك الالتماس وقالوا انا نحب أن نعرف العرب



فضلنا عليهم فان كرهت ما تقول وخشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطينا فقل الله امرني بذلك  
فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ودخلهم الطمع فصاح عليهم عمر وقال أما ترون رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما قد كرهه فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولولا أن  
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) أي لولا تثبيتنا إياك على الحق بعصمتنا إياك لتقاربت أن تحيل  
اليهم شيئا يسيرا فيماطلبوك (إذا) لو قاربت الميل من قلبك (لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)  
أي لصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابي في الآخرة (ثم) إذا أذقناك العذاب  
المضاعف (لا تجدك علينا نصيرا) أي أحدا يخلصك من عذابنا (وان كادوا ليستفزونك) أي  
ليستزلونك (من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافا لك الا قليلا) أي وإذا ألوا أخرجوك لا  
يلبثون بعد آخر أجل الا زما قليلا حتى نهلكهم قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر  
إلى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء اغتابعوا بالشام وهي بلاد  
مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت إلى الشام آمنابك وأتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج  
الاخوف الروم فان كنت رسول الله فأنه مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من  
المدينة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام لحرصه على دخول الناس في دين  
الله فنزلت هذه الآية فرجع ثم قتل منهم بنى قريظة وأجل بنى النضير بعد زمن قليل وعلى هذا الآية  
مدنية والمراد بالأرض أرض المدينة وهذا قول الكبي وقال قتادة ومجاهد هم المشركون ان يخرجوا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بنفسه فأهلكوا ابدا بعد  
هجرته صلى الله عليه وسلم وعلى هذا الآية مكية والمراد بالأرض أرض مكة وهذا اختيار الزجاج وقرأنا نافع  
وابن كثير وأبو عمرو وشعبة خلفك بفتح الحاء وسكون اللام والباقون خلافا لك بكسر الحاء وفتح اللام مع  
المد (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أي سننا سنته فيمن قد أرسلنا قبلك أي ان عادة الله - يهلك  
كل قوم آخر جوا نبيهم من بينهم (ولا تجد لسنةنا تحويلا) أي تغييرا أي أن ما أجرى الله تعالى به العادة  
لا يقدر أحدا ان يبدل تلك العادة (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أي لأجل زوال الشمس عن كبد السماء  
(إلى غسق الليل) أي إلى اجتماع ظلمة الليل وهو وقت صلاة العشاء والمعنى أقم الصلاة من وقت زوال  
الشمس إلى ظلمة الليل بأن تدعى كل صلاة في وقتها فيدخل في هذا الظهر والعصر والمغرب (وقرآن  
الفجر) أي أقم صلاة الفجر (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تحضره الملائكة الكاتبون والحفظة فانهم  
يتعاقبون على ابن آدم في صلاة الصبح وصلاة العصر وتشهده شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء وتبدل  
النوم بالانتباه فتشهد العقول بأنه لا يقدر على قلب كلبه هذا العالم الا الخالق المدبر بالحكمة البالغة  
وتشهد الجماعة الكثيرة (ومن الليل فتهجد به) أي وقم بعض الليل فاترك النوم في ذلك الوقت للصلاة  
وقيل المعنى تهجد بالقرآن بعض الليل أي صل في ذلك بالقرآن (نافلة لك) أي زيادة لك في كثرة الثواب  
وارتفاع الدرجات مختصة بك فان كل طاعة يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة لا يكون  
تأثيرها في كفارة الذنوب البتة لان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بل يكون تأثيرها في زيادة  
الدرجات وكثرة الثواب فلهذا سميت نافلة بخلاف الأمانة فان لهم ذنوبا محتاجة إلى الكفارات فهذه  
الطاعات لهم لتكفير الذنوب فلهذا السبب قال تعالى نافلة لك أي ان الطاعات هذه زائدة في حقك لا في  
غيرك كما نقل عن مجاهد والسدي ومن قال ان صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا

معنى نافله لا ان صلاة الليل فريضة عليك زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمتك (عسى أن  
يعتلك ربك مقام محمودا) أي ان يقيمك ربك مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وروى أبو  
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي (وقل رب  
أدخلني مدخل صدق) أي في المدينة (وأخرجني مخرج صدق) أي من مكة اليها وذلك حين أمر  
النبي بالهجرة كما قاله ابن عباس والحسن أو المعنى وأخرجني من المدينة الى مكة فالبا عليها بفتحها وقيل  
الاكمل مما سبق أن يقال رب أدخلني في الصلاة وأخرجني منها مع الصدق والاخلاص وحضور قلبي  
بكرك ومع القيام بلوازم شكرك والاكمل من ذلك أن يقال رب أدخلني في القيام بجهات أداء شريعتك  
وأخرجني بعد الفراغ منها اخرج اياي بقي على منها تبعة والا على مما سبق أن يقال رب أدخلني في بحار دلائل  
توحيدك وتنزيهك ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل في آثار حدوث  
المحدثات الى الاستغراق في معرفة الفرد المنزه عن التغيرات وقيل المعنى رب أدخلني القبر اذ خال امرضيا  
وأخرجني منه عند البعث اخرج امرضيا ملقى بالكرامة (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي  
اجعل لي في هذا البلد من لدنك قوة ظاهرة في تثبيت دينك واطهار شرعك أو اجعل لي من عندك حجة بينة  
تنصرف بها على جميع من يخالفني (وقل جاء الحق) أي ظهر الاسلام (وزهق الباطل) أي هلك  
الشرك وتسويلا للشيطان (ان الباطل) أي أي باطل كان (كان) بجبته (زهوقا) زائلا  
على أسرع الوجوه (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من جميع الامراض الظاهرة والباطنة (ورحمة  
للمؤمنين) لان القرآن يعلم كيفية اكتساب العلوم العالية والاخلاق الفاضلة التي يصل بها الانسان الى  
قرب رب العالمين (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) أي لا يزيد القرآن المشركين الا هلاكا بتكذيبهم  
(واذا أنعمنا على الانسان) بأن وصل الى مطلوبه (أعرض) أي اغتر و صار غافلا عن طاعة الله  
(ونأى بجانبه) أي تباعد من أهل الحق ولم يقتد بهم تعظما لنفسه كديدن المستكبرين (واذا مسه  
الشر) أي أصابه بلاء (كان يؤسا) أي قنوطا من رحمة الله حزينا ولم يتفرغ لذكر الله تعالى (قل  
كل) أي كل أحد (يعمل) عمله (على شاكلته) أي طريقته التي توافق حاله في الهدى والضلالة  
فان كانت نفسه ظاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وان كانت نفسه خبيثة صدرت عنه أفعال رديئة (فربكم  
أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي أصوب طريقا (ويسألونك عن الروح) الذي هو سبب حياة البدن بنفخه  
فيه (قل الروح من أمر ربي) أي من فعل ربي أو من علم ربي فانه مما اختص الله تعالى بعلمه روى ان  
اليهود قالوا اقريش سسلوا محمدا عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عنهم جميعا  
أو سكت فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين صلى الله عليه وسلم لهم القصتين  
وأبهم شأن الروح وهو مبهم في التوراة (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فان عقول الخلق عاجزة عن معرفة  
حقيقة الروح وقال بعضهم جاء في الخبر في بعض الروايات ان الله تعالى خلق ثلاثمائة وستين ألف  
عالم ولكنه جعلها محصورة في عالمين وهما الخلق والامر كما قال تعالى أله الخلق والامر تبارك الله رب  
العالمين فعبر عن عالم الدنيا وهو ما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس  
بالخلق وعبر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة العقل والقلب والسر والروح والخي  
بالامر فعالم الامر هو الاوليات التي خلقها الله تعالى للبقاء بمحض الامر التكويني من غير تحصيل من  
أصل وهي الروح والعقل والقلم والروح والعرش والكرسي والجنة والنار وهي عالم الامر أمر الله

أوجده بلا واسطة شئ بل بأمر كن من لا شئ ولما كان أمره تعالى قديما فما يكون بالامر القديم  
كان باقيا وان كان حادثا ومسمى عالم الخلق خلقا لانه تعالى أوجده بوسائط شئ مخلوق خلقه الغناء فعنى  
الروح من أمر ربى انه من عالم الامر والبقاء لا من عالم الخلق والغناء اه فلا يمكن تعريف الروح بعباده  
ولا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالى ولذا قال تعالى وما أوتيتم من العلم  
الا قليلا أى وما أعطيتم من العلم فيما عند الله الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس (ولئن شئنا  
لنذهبن بالذى أوحينا اليك) من القرآن أى انزيلن العلم به عن القلوب وعن المصاحف (ثم لا تعبدك  
به) أى القرآن (علينا وكيلا) أى من تتوكل عليه فى استرداد شئ منه محفوظا مسطورا (الارحمة  
من ربك) أى لىكن أبقيناها الى قرب قيام الساعة رحمة من ربك فعند ذلك يرفع من الصدور والمصاحف  
(ان فضله كان عليك كبيرا) بابقاء العلم والقرآن عليك وبجعلك سيد ولد آدم وخاتم النبيين واعطائك  
المقام المحمود (قل) لمن يزعمون أن القرآن من كلام البشر (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا  
بعثل هذا القرآن لا يأتون بعثله) أى لئن اتفق الانس والجن والملائكة على أن يأتوا بعثله هذا القرآن فى  
البلاغة وخسن النظم وكمال المعنى لا يقدرون على اتيان مثله وتخصيص الثقلين بالذكرا لان المنكر فى  
كونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما الا لان غيرهما قادر على المعارضة (ولو كان بعضهم لبعض  
ظهيراً) أى معيناً بضم أقوى ما فيه أى أقوى ما فى صاحبه (واقدر صرفنا) أى كرزنا بوجوه مختلفة  
توجب زيادة بيان (للناس) أى لاهل مكة (فى هذا القرآن) المنعوت بالنعوت الغاضلة (من كل  
مثل) أى من كل معنى يبيع يشبه المثل فى العرابة ليتلقوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أى فلم يرض  
أكثر أهل مكة (الا كفورا) أى بجهودا للحق (وقالوا) عند ظهور عجزهم بالقرآن وغيره من  
المهيزات الباهرة (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض) أى أرض مكة (ينبوا) أى عينا لا ينضب  
ماؤها (أو تكون لك) وحدك (جنة) أى بستان تستراشجاره ماتحتها من العرصة (من نخيل وعنب)  
أى وأشجار عنب وعبر بالثمرة لان الارتفاع بغيرها من الكرم قليل (فتفجر) أى أنت (الانهار  
خلالها) أى وسطها (تفجيرا) والمراد اجراء الانهار فى وسط البستان عند سقيها أو ادامة اجرائها  
وتفجير الاولى تكون بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم عند عاصم وحزمة والكسافى وبضم التاء وفتح الفاء  
وكسر الجيم المشددة عند الباقيين ولم تختلف السبعة فى تفجير الثانية انها مشددة (أو تسقط السماء كما  
زعمت) بقولك ان نشأ تخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفان السماء (علينا كسفا) أى قطعا  
بالعذاب (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) أى مقابلين ومرثيين لنا (أو يكون لك بيت من زخرف) أى  
ذهب وفضة كامل الحسن (أو ترقى فى السماء) أى تصعد اليها (ولن نؤمن لرقبك) أى لصعودك  
الى السماء أصلا (حتى تنزل علينا كتابا) من الله (نقرؤه) فيه أنك رسول الله البنا أى لما ظهر لهم كونه  
القرآن مبعثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أنواع من المهيزات كما حكى عن ابن عباس أن  
رؤساء أهل مكة أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان  
أرض مكة ضيقة فسير جبالها لنتفع فيها ونحرق لنا فيها عيوننا نزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم  
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجير افعال لا أقدر عليه فقيل أو يكون لك بيت من  
زخرف فيغنيلك عنا فقال لا أقدر عليه فقيل له أما تستطيع أن تأتى قومك بما يسألونك فقال لا أستطيع  
قالوا فإذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فاستقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن

أمية المخزومي وهو ابن طائفة هتة صلى الله عليه وسلم لا أو من بك أبا حتى تشد شلما الى السماء فتصعد فيه ونحن ننظر اليك فتأتى بقسحة منشورة معك بأربعة من الملائكة يشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا أدري أتؤمن بك أم لا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) وقرأ ابن كثير وابن طاهر قال بصيغة الماضي (سبحان ربي) أى أتزري عن أن يكون له اتیان وذهاب وأتعجب من اقتراحاتهم (هل كنت الا بشر رسولاً) أى مأمورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة كسائر الرسل لا يأتون قومهم الا بما ينظرونه الله عليهم من الآيات (وما منع الناس) أى أهل مكة (أن يؤمنوا) بنبيوتك (اذ جاءهم الهدى) أى القرآن (الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) الينا أى وما منع الناس من الايمان وقت مجي الوحي الا اعتقادهم ان الله تعالى لو أرسل رسولا الى الخلق لوجب أن يكون من الملائكة وانكارهم أن يكون من جنس البشر (قل) لهم من جهتنا جوابا لقولهم (لو كان في الارض ملائكة يمشون) عليها (مطمئنين) أى قارين فيها من غير أن يعرجوا في السماء (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أى لو كان أهل الارض ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة أما لو كان أهل الارض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر لتمكنهم من الاجتماع والفهم منه لماثلهم له في الجنس (قل) لهم (كفى بالله) وحده (شهيدا بيني وبينكم) بأني رسول الله اليكم (انه كان بعباده خبير بصيرا) أى محيطا بيوطن أحوالهم وظواهرها أى فانكم انما أنكرتم هذا المحض الحسد والاستسكاف من الانقياد للحق (ومن يهد الله فهو المهتد) يحذف الياء من الرسم هنا في الكهف وأما في النطق فقرأ نافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلا وحذفها وقفا وحذفها الباقيون في الحالين (ومن يضل فلن تجد لهم أولياء) أى أنصارا (من دونه) تعالى يهدونهم الى طريق الحق أى فمن سبق لهم حكم الله بالايمان وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال استحال ان ينقلبوا عن ذلك الضلال وان يوجد من يصرفهم عنه (ونفسهم يوم القيامة على وجوههم) فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يعيشهم على وجوههم (عميا) لا يبصرون ما يسر أعينهم (وبكيا) لا ينطقون ما يقبل منهم (وحما) لا يسمعون ما يلزم سامعهم (ما واهم جهنم كلما خبت) أى سكن لهم بعد أكل جلودهم ولحومهم بأن لم يبق فيهم ما يتعلق به النار (زدناهم سعيرا) أى توقد باعادة الجلود واللحم ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى لبروها عيانا حيث لم يعلموا عابرها (ذلك) العذاب (جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) الدالة على صحة الالهة والآلاء دلالة واضحة (وقالوا) منكرين لقد رتبنا (أنذا كنا عظاما ورقانا) أى ترابا ريمما (أننا لمبعوثون خلقا جديدا) أى بعثا جديدا (أولم يروا) أى ألم يتفكروا ولم يبعثوا بعبادهم (أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق) أى يعيد بالاحياء (مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) أى وقتا معلوما عند الله لا شك فيه عند المؤمنين وهو يوم القيامة (فأبى الظالمون) أى لم يقبل المشركون بعد هذه الدلائل الظاهرة (الا كفورا) أى جهودا للاجل (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أى خزائن رزقه التي أفاضها على كافة الموجودات (اذ لا مملكتكم) مملكتكم (خشية الانفاق) أى مخافة الفقر فلا فائدة في اسعافكم بذلك المطلوب الذي التمستموه (وكان الانسان قتورا) أى بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أى واضحات الدلالة على نبوته وهي اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع

والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات (فاسأل بنى اسرائيل) أى فاسأل يا أشرف الرسل بنى اسرائيل الذين كانوا فى زمانك عن موسى فيما جرى بينه وبين فرعون وقومه ليظهر صدق ما ذكرته عند المشركين فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد وهذه الجملة اعتراضية بين العامل والمعمول (اذ جاءهم) أى حين جاء موسى بنى اسرائيل الذين كانوا فى زمانه عليه السلام وهذا الطرف متعلق بآتينافأظهر ما آتيناه من الآيات عند فرعون وبلغه ما أرسل به (فقال له فرعون انى لا ظنك يا موسى مسحورا) أى مغلوب العقل (قال) لفرعون (لقد علمت) قرأ الكسافى بضم التاء والباقون بفتحها قال الضم قراءة على والفتح قراءة ابن عباس (ما أنزل هؤلاء) الآيات على (الارب السعوات والارض بصائر) أى أدلة ظاهرة يستدل بها على صدق وليكنك تشكرها للحمد وحب الدنيا (وانى لا ظنك) أى لا علمك (يا فرعون مشبورا) أى ملعونا ممنوعا من الخير (فأراد أن يستفرغهم) أى أراد فرعون أن يخرج موسى وقومه (من الارض) بالقتل (فأغرقناه ومن معه جميعا) فى البحر (وقلنا من بعده) أى من بعد اغراقهم (بنى اسرائيل اسكنوا الارض) أى ارض الشام ومصر (فأذا جاء وعد الآخرة) أى البعث بعد الموت (جئنا بكم) من قبوركم الى المحشر (لغيفا) أى مختلطين أنتم وهم فيختلط جميع الخلق المسلم والكافر والبر والفاجر ثم نحكم بينكم وغير سعداءكم من أشقيائكم (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) أى ما أردنا بانزال القرآن الا اثبات الحق وكما أردنا هذا المعنى فكذلك حصل هذا المعنى ووصل اليهم بعد انزاله عليهم ليس فيه تبديل أو يقال وما أنزلنا القرآن الا ملتبساً بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبساً بما اشتمل عليه من العقائد والاحكام ونحوها (وما أرسلناك) يا أفضل الخلق (الا مبشرا) للطبيع بالثواب (ونذيرا) للعاصي بالعقاب فهو لا اله الا الله الذين اقترحوا عليك تلك المهيزات وعمر دواعى قبول دينك لاشئ عليك من كفرهم (وقرأنا فرقناه) وقرأ العامة بتحفيف الراء أى بينا حلاله وحرامه وأفرقنا فيه بين الحق والباطل وقرأ على وجماعة من الصحابة وغيرهم بالتشديد أى فرقنا آياته بين أمر ونهى وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار ماضية ومستقبلية وأنزلناه مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة أو فى عشرين سنة على الخلاف فى تقارن النبوة والرسالة وتعاقبهما (لتقرأه على الناس على مكث) بضم الميم وفتحها أى على أن تكون الاحاطة على دقائقه وحقائقه أسهل (ونزلناه) من عندنا (تنزيلا) متفرقا آية وآيتين وثلاثا وهكذا بحسب ما تقتضيه الحكمة وما يحصل من الوقعات (قل) للذين اقترحوا تلك المهيزات (أمنوا به) أى القرآن (أولاً تؤمنوا) فان إيمانكم به لا يزيدكم إلا وامتناعكم عن الإيمان به لا يورثه نقصا (ان الذين أتوا العلم من قبله) أى من قبل نزول القرآن منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وسمان الغامسى (اذا يتلى) أى القرآن (عليهم يخرون للاذقان) أى يسقطون على وجوههم بغاية الخوف (سجدا) لله شكرا على انجاز وعده فى تلك الكتب من بعثتك ونزول القرآن (ويقولون) فى مجودهم (سجدا ربنا) أى تنزيها له عن خلف وعده (ان) أى ان الشأن (كان وعد ربنا) بانزال القرآن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم (لفعولا) أى منجزا (ويخرون للاذقان) للسجود لما أترفهم من مواعظ القرآن (يبتكون) من خشية الله (ويزيدهم) أى القرآن أو البكاء أو السجود أو المتلو (خشوعا) أى تواضعا لله كما يزيدهم يقينا بالله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) أى هو المعبود بحق بهذا الاسم قال ابن عباس محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن

ألهتنا وهو يدعو المهن فأنزل الله هذا الآية أي ان شئتم قولوا يا الله وان شئتم قولوا يا رحمن (أي ايات دعوا  
 فله الاسماء الحسنی) أي أي هذين الاسمين هيت فهو حسن لان للمسمى بذلك الاسماء الحسنی  
 ومعنى حسن اسماء الله كونها مفيدة لمعانى التمجيد والتقديس والتعجيد والتعظيم وعلى صفات الجلال  
 والكمال (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءة صلاتك (ولا تخافت بها) أي بقراءة تنهار وى سعيد بن جبیر  
 عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة فإذا سمعوا المشركون سبوه  
 وسبوا من جاء به فأوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا  
 تخافت بها فلا تسمع أصحابك (وابتغ بين ذلك) أي اطلب بين الجهر والخافتة (سبيلا) أي أمرا  
 وسطا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور العصابة وكان أبو بكر يخفي صوته بالقراءة  
 في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي  
 بكر لم تخفي صوتك فقال أنا جئى ربي وقد علم حاجتى وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال أزعج الشيطان وأوقظ  
 الوسنان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وعمر أن يخفض صوته قليلا (وقل  
 الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) كما رعم اليهود والنصارى وبنو ملج حيث قالوا عز رب بن الله والمسيح ابن الله  
 والملائكة بنات الله فكل من له ولد هو محدث محتاج فلا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وكل  
 من له ولد ليسك جميع النعم لولده فاذا لم يكن له ولد أفاض تلك النعم على عبيده فلو كان له تعالى ولد لكان  
 منقضيافلا يقدر على كمال الانعام فى كل الاوقات فلا يستحق الحمد على الاطلاق (ولم يكن له شريك فى  
 الملك) أي فى الألوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة لانه لو كان معه اله آخر لتصرف فى  
 الموجودات فلا يعرف حينئذ ان هذه النعم حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر  
 (ولم يكن له ولي من الدل) أي ناصر منه لانه لو جاز عليه ناصر من أجل المذلة لم يجب شكره لجواز أن يكون  
 غيره تعالى حمله على الانعام أو منعه منه (وكبره تكبيرا) فالتكبير يجب أن يكون مقرونا بالتكبير  
 والتكبير يكون فى ذاته تعالى بأن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته وأنه غنى عن كل ما سواه وفى صفاته بأن  
 يقتعدان كل صفة له فهو من صفات الجلال والكمال والعز والعظمة وكل واحد من تلك الصفات لانهاية له  
 وان كل صفة له قديمة سرمدية منزوعة عن التغير وفى أفعاله كأن يقول أنا الحمد لله وتكبره عن أن يجرى فى  
 سلطانه شئ ولا على وفق حكمه وارادته فالكل واقع بقضاء الله وقدرته وارادته وفى أحكامه بأن يعتقد أنه  
 ملك مطاع فلا اعتراض لاحد عليه فى شئ من أحكامه يعز من يشاء ويذل من يشاء وفى أمهاته بأن لا يدكر  
 الا بأمهاته الحسنی ولا يصف الا بصفاته المتزهة ثم ينبغى للعبد بعد أن يبلغ فى التكبير والتزیه والتحميد  
 والطاعة مقداره عقله وفهمه أن يعترف بأعظمه وفهمه لا يفي بعرفة جلال الله ولسانه لا يفي بشكره  
 وأعضائه لا تفي بخدته فكبر الله عن أن يكون تكبيره واقيا بكنه مجده وعزته وروى أن قول العبد الله  
 أكبر خير من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من  
 بنى عبد المطلب هلمه وقل الحمد لله الآية واسأل الله الرحمة قبل الموت وعند الموت وبعد الموت أنه تعالى ناشر  
 العظام بعد الموت وسمع الصوت حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آمين

سورة الكهف مكية غير آيتين ذكر فيهما عينية بن حصن الفزارى وهى مائة واحد

عشرة آية وكلتاها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون

وحروفها ستة آلاف وأربع مائة وستون



(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) وهو الاعلام بثبوت الحمد لله وانشاء للثناء بذلك (الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) أي القرآن (ولم يجعل له عوجا) أي اختلا لا في النظم وتناسيا في المعنى وهو كامل في ذاته وهذه الجملة معطوفة على أنزل (قيما) أي وجعله قائما بمصالح العباد وأحكام الدين وقيل هاتان الجملتان حالان من الكتاب متواليان أي غير مجعول له عوجا قيما لينذر تعالى بالكتاب الكافرين (بأسا شديدا من لدنه) أي عذابا شديدا نازلا من عنده تعالى (ويبشر المؤمنين) أي المصدقين به وقرأ حمزة والسكاكي بفتح الياء وسكون الموحدة وضم الشين (الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) في الجنة (ما كثر فيه أبدا) أي خالدين في الاجر من غير انتهاء (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله واليهود القائلون عزيز بن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله (ما لهم به من علم ولا آية بائتهم) أي ليس لهم ولا احد من أسلافهم الذين قلده علم بهذا القول أهو صواب أو خطأ بل انما قالوه رميا عن جهالة من غير فكر (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) فكلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية فعلى النصب يكون فاعل كبرت مضمرا مفسرا بما بعده وهو لاذم والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت الكلمة كلمة خارجة من أفواههم ثم تلك المقالة الشنعاء والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب أي ما أكبرها كلمة (ان يقولون الا كذبا) أي ما يقولون في ذلك الشأن الا مقولا كذبا (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) والمراد بالترجي النهي عن الغم أي لا تهلك نفسك بالغم من بعد اعراضهم عن الايمان بك (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي بهذا القرآن (أسفا) أي لفرط الحزن (انا جعلنا ما على الارض حيوانا كانا نباتا أو معدنا (زينة لها) أي الارض ليتمتع بها الناظرون من المكلفين ويتفعلوا بها نظرا واستدلالا فان العقارب والحيات من حيث تذكريهما العذاب الآخرة من نوع المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالة على وجود الصانع ووحدته (انبلوهم) أي لنعاملهم معاملة من يختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أيهم أطوع لله وأشد استمرا على خدمته (وانا الجاعلون ما عليها) أي الارض من المخلوقات قاطبة عند تنهاى عمر الدنيا (صعيد جرزا) أي ترابا لانبأت فيه (أم حسبت) أي أظننت (أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا) أي من بين آياتنا (عجبا) أي آية ذات عجب وفي الآيات أي آثار قدرة الله تعالى ما هو أعجب من ذلك وهي السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار وعجبا خبر كان ومن آياتنا حال منه والكهف هو الغار الواسع في الجبل والرقم كلب أصحاب الكهف وقيل هو لوح رصاصي أو حجري كتبت فيه أسماءهم وقصتهم وجعل على باب الكهف وهم كانوا قتيمة من أشرف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدتهم (إذا رأى القتيمة الى الكهف) ظرف لعجبا أي حين التجأ الشبان الى الكهف (فقالوا) عقب استقرارهم فيه (ربنا آتنا من لدنك رحمة) خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهي لنا من أمرنا رشدا) أي يسهل لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك اصابة للطريق الموصل الى المطالب (فضر بنا على آذانهم) أي فعقب هذا القول ألقينا على آذانهم حجابا يمنع من أن تصل الى أسماعهم الاصوات الموقظة من نومهم (في الكهف سنين عددا) أي معدودة وفي الكهف حال من المضاف اليه (ثم بعثناهم) أي أيقظناهم من نومهم الثقيل (لنعلم) أي لنعاملهم معاملة من يختبرهم (أي الحزين) أي المختلفين في مدة لبثهم (أحصى لما لبثوا أمدا) أي ضبط غاية لبثهم فيظهر لهم عجزهم ويفوضون

ذلك الى العليم الخبير ويتعرفون ما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم فيزدادون يقيناً بكل قدرته تعالى وعلمه ويستبصرون به أمر البعث ويكون ذلك لطفاً المؤمنين زمانهم وآية بيّنة لكفارهم فالمراد بالخزيين نفس أصحاب الكهف وأحصى فعل ماض وأما مفعول به وقرئ لي علم بالياء مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل من الاعلام أي ليعلم الله الناس أي الخزيين أحصى الخ (نحن نقص عليك) يا أشرف الخلق (نبأهم بالحق) أي على وجه الصدق (انهم فتية) أي جماعة من الشبان (آمنوا برهم) بالتحقيق لا بالتقليد (وزدناهم هدى) أي بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين (وربطنا على قلوبهم) أي قلوبناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاخوان واجترأوا على الرد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا) أي حين انتصبوا لاظهار شعار الدين أو وقت قاموا بين يدي الملك دقيانوس الكافر فانه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله تعالى هؤلاء الفتية حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله تعالى وصرحوا بالبراءة من الشركاء (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوك من دونه الهاء) أي لن نعبد أباداً معبوداً آخر (لقد قلنا اذا شططا) أي والله لئن عبدنا غيره لقد قلنا حينئذ قولاً زوراً على الله قال أصحاب الكهف عند خروجهم من عند الملك دقيانوس الكافر (هؤلاء قومنا اتخذوا) أي عبدوا (من دونه آلهة) فقومنا عطف بيان لاسم الإشارة أو خبره واتخذوا حال منه (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا يأتون على عبادتهم بحجة ظاهرة وهذا انكار وتجهيز وتبكيث لهم (نحن أظلم عن افترى على الله كذبا) أي فليس أحد أظلم عن افترى على الله كذا بنسبة الشريك اليه تعالى فان الحكم بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافترأ على الله وهذا من أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد قال بعض الفتية لبعض وقت اعترأ لهم (واذا اعترأتموهم وما يعبدون) أي واذا أردتم اعترأهم واعتزال الشيء الذي تعبّدونه (الا الله فأووا الى الكهف) أي التجؤوا اليه وهذا جواب اذ (ينشر لكم ربكم من رحمته) أي ييسر طها عليكم في الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أي ويسهل لكم من أمركم الذي أنتم عليه من الفرار بالدين ما تنتفعون به غداً وقرأ نافع وابن عامر وطاسم في رواية مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والجمهور بالعكس (وترى الشمس) خطاب لكل أحد بيان لحالهم بعد ما صاروا الى الكهف وهذا ليس اخباراً بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الاخبار بكون الكهف بحيث لو أبصرته تبصر الشمس (اذا طلعت تزاور) قرأ ابن عامر تزاورسا كنه الزاى مشدداً للراء ونافع وابن كثير وابوعمر وتزاور بتشديد الزاى وبالالف وعاصم وحزمة والكسائي وتزاور بالتخفيف والالف أي تميل (عن كهفهم ذات اليمين) أي جانب الكهف الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاع الشمس (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي تعدل عن سمت رؤسهم الى جهة الشمال الذي يلي المشرق فان الله منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم وذلك خارق للعادة وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف (وهم في لجوة منه) أي والحال انهم في فضاء متسع من الكهف معرض لاصابة الشمس (ذلك) أي المذكور من انامتهم وحمايتهم من اصابة الشمس لهم في ذلك الغارت تلك المدة الطويلة (من آياتنا الله) الهيبة على كمال علمه وقدرته وعلى وحدته (من يهد الله) الى الحق بالتوفيق له (فهو المهتد) أي الذي أصاب الفلاح مثل أصحاب الكهف (ومن يضل الله) (فلن تجد له) أبداً (وليامر شدا) أي ناصراً يهديه الى الفلاح كدقيانوس الكافر وأصحابه (وتحسبهم أيقاظاً) أي لو رأيتهم أيها المخاطب لانفتاح عيونهم على هيئة الناظر (وهم رقود) أي نيام

(ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لينال النسيم جميع أبدانهم ولثلاثا تأثر ما يلي الارض منها بطول المكث فالتة قادر على حفظهم من غير تقليب ولكن جعل لكل شئ مسببا في أغلب الاحوال (وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد) أي بموضع الباب من الكهف وكان الكلب أغرا وأصغرا وأصهبا وأحمرأ وأصغرا وصهبا قطمير أوريان أوتتوه أو قطمور أو نور أو حران وكان لواحد منهم فلما خرجوا تبعهم فنعوه فأنطقه الله وتكلم وقال أنا أحب أحب الله فكنوه من الذهب معهم فلما ناموا نام كنومهم ولما استيقظوا استيقظ معهم ولما ماتوا مات معهم (لوا طلعت عليهم) أي لو شاهدتهم (لوليت منهم فرارا) أي لا دبرت عنهم هربا بما شاهدت منهم (ولمئت منهم رعبا) أي خوفا بلا الصدر لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة فكل من رآهم فرع فرعا شديدا وقرأ نافع وابن كثير للملث بتشديد اللام وروى أيضا عن ابن كثير بالتخفيف كالجمهور وقرأ السوسي بإبدال الهمزة ياء وقفا وصلوا وحمة في الوقف فقط وقرأ ابن عامر والكسافي رعبا بضم العين في جميع القرآن والباقيون بالاسكان (وكذلك) أي كما أغناهم وحفظنا أجسادهم من البلى آية دالة على كمال قدرتنا (بعثناهم) أي أيقظناهم من النوم بعد مضي ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا في مدة لبثهم (قال قائل منهم) هو رئيسهم واسمه مكسيمنا (كم لبثتم) أي كم مقدار مكثكم في منامكم في هذا الغار (قالوا) أي بعضهم (لبثنا يوما) لانهم دخلوا الكهف غدوة ثم ناموا طلوع الشمس وكان انتباههم آخر النهار فلما خرجوا فنظروا الى الشمس وقد بقي منه شئ قالوا (أو بعض يوم قالوا) أي بعض آخر منهم وهو مكسيمنا (ربكم أعلم بما لبثتم) فأنتم لا تعلمون مدة لبثكم (فابعثوا أحدكم) هو تخليفا كما قاله ابن امحق (بورقكم هذه الى المدينة) وهي منبج أو أفسوس بضم الهمزة هذا في الجاهلية وتسمى في الاسلام طرسوس بفتح الراء (فلينظروا إليها) أي أي أهلها (أزكى طعاما) أي أبعده عن كل حرام لان ملكهم كان ظالما وعامة أهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون ايمانهم (فليأتكم برزق) أي بطعام (منه) أي من ذلك الأزكى (وليتلطف) أي وليرفق في الشراء كي لا يغيب وفي دخول المدينة لثلاثا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) أي لا يخبرن بمكانكم أحدا من أهل المدينة فان ذلك يستلزم شيوع أخباركم (انهم ان يظهروا عليكم) أي ان يطلعوا على أنفسكم أو على مكانكم (يرجموكم) أي أي به تلوكم بالرجم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي يصيروكم الى ملتهم كرها (ولن تغفوها) أي لن تسعدوا (إذا) أي ان دخلتم فيها ولو بالسكرة (أبدا) أي في الدنيا والآخرة (وكذلك) أي وكما أغناهم وبعثناهم (أعثرنا عليهم) أي أطلعنا الناس المؤمنين والكافرين على أحوالهم وكان ملكهم يومئذ مسلما يسهى يستغاد وذلك ان دقيانوس مات وقبضت قرين ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح واختلف أهل ملكته في الحشرو وبعث الأجساد من القبور فشكل في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا لنمنا نحشر الارواح دون الأجساد فان الجسد تأكله الارض وقال بعضهم تبعث الارواح والأجساد جميعا وكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمر البعث لهم حتى دخل بيته وأغلق بابيه ولبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى الله تعالى في طلب حجة وبرهان فأعثره الله على أهل الكهف فانهم لما بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة ليأتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكر ورقه لانه ظهرت في بشرة وجهه آثار عجيبة تدل على ان مدته قد طالت طولا خارجا عن العادة ولان ورقه كان على ضرب دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كثر اقد هبوا به الى الملك وكان صالحا قد آمن هو ومن معه فلما انظرانيه قال

لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعو الله أن يرثيهم وسأل الفتى  
فأخبره بأنه ومن معه خرجوا فراراً من الملك دقيانوس فسر الملك بذلك وقال لقومه أعمل الله قد بعث  
لكم آية فلنسر إلى الكهف معه فركب مع أهل المدينة اليهم فلما دنوا إلى الكهف قال غليخا أنا  
أدخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم وأعلمهم بأن الأمة أمة مسلمة فخرجوا إلى الملك وعظموه  
وعظمهم ثم رجعوا إلى كهفهم ورجع من شك في بعث الأجساد فهذا معنى أعترنا عليهم (ليعلموا) أي  
الذين أعترناهم وهم الملك ورعيته على أحوالهم الهيبة (أن وعد الله) بالبعث للروح والجنة معا  
(حق) أي صادق بطريق أن القادر على أنامتهم مدة طويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداء قادر على  
أحياء الموتى قال بعض العارفين علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت (وأن الساعة) أي  
وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء (لأرب فيها) أي لاشك في قيامها (أذيتنازعون بينهم  
أمرهم) في صحة البعث وهذا ظرف لقوله تعالى أعترنا ليقوله ليعلموا أي أعترناهم عليهم حين يتنازعون  
بينهم أمرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أي لما أعترناهم عليهم فرأوا  
ماراً وأفعاد الفتية إلى كهفهم فأماهم الله تعالى فقال بعضهم ابنوا على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق  
اليهم الناس ضنا بترتيبهم (ربهم أعلم بهم) كأن المتنازعين لما رأوا عدم اهتدائهم إلى حقيقة حالهم  
من حيث النسب والاسم ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضاً للامر إلى علام  
الغيوب (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلمون وأولياء أصحاب الكهف أو رؤساء  
البلد (لنتخذن عليهم مسجداً) نعبده الله فيه ونستبقي آثارهم بسبب ذلك المسجد (سيقولون) أي  
يقول بعض المتنازعين لك يا أشرف الخلق وهم اليهود أو السيد وأصحابه وهم اليعقوبية من نصارى  
فجرانهم (ثلاثة رابعهم كلهم ويقولون) أي النصارى أو العاقب وأصحابه وهم النسطورية منهم هم  
(خمس سادسهم كلهم رجحاً بالغيب) أي ظناً بالغيب من غير دليل ولا برهان (ويقولون) أي المسلمون  
أو المملكانية من النصارى هم (سبعة وثمانهم كلهم قل) يا أشرف الخلق (ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم  
الاقليل) من الناس وكان على رضى الله عنه يقول كانوا سبعة وأسماءهم غليخا مكسليمينا شلينا  
هؤلاء الثلاثة أصحاب عين الملك وكان عن يساره منوش دبرنوش شاذنوش وكان الملك يستشير هؤلاء  
الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس وأسمه كسطيطيوش  
وأسم كلبه قطمير وقال ابن عباس هم سبعة مكسليمينا غليخا موطونس نينونس سار بونس ذونوانس  
فليستطيمونس وهو الراعي وعن ابن مسعود كانوا تسعة وأسماءهم ابن اسحق غليخا مكسليمينا محسليينا  
موطونس كسوطونس سورس يكر بوس بطسوس قالوس أهو قال ابن عباس رضى الله عنهما خواص  
أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولطف الحريق تكذب على خرقة وترعى في وسط  
النار تطفأ بأذن الله تعالى ولبكاء الطفل والحى المثلثة وللصداع تشد على العضد الايمن ولام الصبيان  
وللركوب في البر والبحر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الاتمين (فلا تمارفهم) أي فلا تجادل معهم  
في عدد الفتية (الامراء ظاهراً) بأن لا تكذبهم في تعيين ذلك العدد بل نقول هذا التعيين لا دليل عليه  
(ولا تستفت فيهم منهم أحداً) أي لا تشاور إلى أحد من أهل الككات في شأن الفتية (ولا تقولن)  
يا أكرم الرسل (لشيء) أي لا جمل شيء تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشيء (غداً) أي فيما  
يستقبل من الزمان (الا أن يشاء الله) أي الا قائلان شاء الله أي لا تقل لشيء في حال من الأحوال الا

في حال تلبسك بالتعليق بالمشيئة بأن تقول ان شاء الله نزلت هذه الآية حين قالت اليهود لقرش سلوهم عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألو صلى الله عليه وسلم فقال انتموني غدا أخبركم ولم يستفتي فأبى عليه الوحي حتى شق عليه وكذبتة قرش (واذ كر ربك) بالتسبيح والاستغفار (اذ انسيت) كلمة الاستثناء وهذا مبالغة في الخش على ذكر هذه الكلمة (وقل عسى أن يهدين ربى لا قرب من هذا رسدا) أى لعل ربى يؤتيني أعظم دلالة على صحة نبوتى من نبأ أصحاب الكهف (ولبشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهذا اخبار من الله عن مدة لبثهم رداعلى أهل الكتاب المختلفين فيها فقال بعضهم ثلاثمائة وبعضهم ثلاثمائة وتسع والسنون عندهم شمسية فهذان القولان غير ما أخبر الله به من أن السنين ثلاثمائة وتسع قرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين لأن السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية عشرة أيام واحد عشرين ساعة وخمس ساعة قرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة بغير تنوين فهو مضاف لسنين والباقون بالتنوين فسنين عطف بيان (قل الله أعلم بما لبثوا) أى بالزمان الذى لبثوا فيه في نومهم قبل بعثهم أى الله أعلم بحقيقة ذلك وكيفيته فأرجعوا الى خبر الله دون ما يقوله أهل الكتاب وهذا اشارة الى أن الاخبار من الله لا من عنده صلى الله عليه وسلم (له غيب السموات والارض) أى له تعالى علم ما خفى من أحوال أهلها - ما لانه موجودها ومدرها (أبصر به وأسمع) أى ما أبصر الله وما أسمع به بكل شئ وهذا التعجب يدل على ان شاء الله تعالى بالمبصرات والسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجب به شئ ولا يحول عنه حائل (مالهم) أى لاهل السموات والارض (من دونه) تعالى (من ولى) يتولى أمورهم ويقيم لهم تدبير أنفسهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير اعلامه تعالى (ولا يشرك) تعالى (في حكمه أحدا) فلما حكمكم تعالى أن لبثتم هو هذا المقدار فليس لاحد أن يقول قولاً بخلافه وقرأ ابن عامر لا تشرك بالتاء على الخطاب ~~لكل~~ أحد وبالجزم على النهى أى ولا تسأل أحدا عما أخبرك الله به من عدة أصحاب الكهف ومن مدة لبثهم في الغار واقتصر على حكمه تعالى ولا تشرك أحدا في طلب معرفة هذه الواقعة (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) ولا تسمع لقولهم اثبت بقرآن غير هذا أو بدله (لا تبدل لسكلماته) أى لا قادر على تبديلها (ولن تجد من دونه) تعالى (ملتجدا) أى ملجأ تعدل اليه ان همت بالتبديل للقرآن (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أى يعبدونه في كل الاوقات قرأ ابن عامر بالغداة بضم الغين وسكون الدال (يريدون وجهه) أى يريدون بعبادتهم لرضاء تعالى (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تنصرف عينك عنهم الى غيرهم (تريذينة الحياة الدنيا) أى ترغب في مجالسة الاغنياء وجميل الصورة (ولا تطع) في تحية الفقراء عن مجالسك (من أغفلنا قلبه) أى وجدنا قلبه فافلا (عن ذكرنا) أى عن توحيدنا (واتبع هواه) في عبادة الاصنام (وكان أمره) في متابعة الهوى (فرطاً) أى ضائعاً نزلت هذه الآية في عينة بن حصن الغزاري فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان الفارسي وعليه شملة قد عرق فيها ويده خوص يشقه وينسجه فقال عينة للنبي أما يؤذيه ربح هؤلاء ونحن سادة مضروا شرافها ان أسلمنا تسلم الناس وما يمنعوننا من اتباع هؤلاء فقهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً وقد أسلم هو رضى الله عنه وحسن اسلامه وكان في حنين من المؤلفة قلوبهم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بعير وكذلك أعطى الاقرع بن حابس وأعطى العباس بن مرداس أربعين بعيراً وروى أبو





متنوعة (وحققنا ما بنخل) أى جعلنا النخل محيطا بالجنة (وجعلنا بينهما) أى وسط أرض  
الجنة (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للقوات والقوا كد فتأتى هذه الأرض فى كل وقت بمنفعة  
فكانت منافعها متواصلة (كالتا الجنة أنتأكلها) أى أخرجت ثمرها كل عام (ولم تظلم منه)  
أى لم تنقص من ثمرها (شيئا) ونخرجنا خلا لهما) أى أجربنا فى داخل تلك الجنة (نهر) وفى قراءة  
يعقوب ونخرجنا بالتخفيف (وكان له) أى لصاحب الجنة (ثمر) قرأ عاصم بفتح التاء والميم أى ثمر  
البستان وقرأ أبو عمرو وبضم التاء وسكون الميم والباقيون بضم التاء والميم فى الموضعين أى أنواع المال من  
الذهب والفضة والحياوان وغير ذلك (فقال) أى صاحب الجنة (أصاحبه) الذى جعل مثلا للفقراء  
المؤمنين (وهو) أى صاحب الجنة (بجواره) أى يراجع صاحبه بالكلام الذى فيه الافتخار  
بالمال والناس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أى أكثرهم أبا من الأولاد وغيرهم وبقوله قال وهو أى  
صاحبه المؤمن يراجع الكافر فى الكلام بالوعظ والدعاء إلى الإيمان بالله وبالبعث (ودخل الجنة)  
أى بستانه مع صاحبه يطوف به فيها ويريه حسناتها (وهو ظالم لنفسه) أى ضار لها بكفره وعجبه واعتماده  
على ماله (قال) استئناف بيان لسبب الظلم (ما أظن أن تبديده هذه أبدا) أى ما أظن أن تنفى هذه  
الجنة أبدا (وما أظن الساعة) أى القيامة التى هى وقت البعث (قائمة) أى حاصلة (ولئن رددت  
إلى ربى) بالبعث عند قيامه كما تقول (لأجدن) يومئذ (خير منها) أى من هذه الجنة (منقلبا)  
أى عاقبة وسبب هذه اليمين الفاجرة اعتقاده اغما أعطاه الله المال فى الدنيا لكرامته عنده تعالى وهى معه  
بعد الموت وقرأ نافع وابن كثير منهما أى الجنة (قال له) أى لصاحب الجنة (صاحبه) الذى هو  
المؤمن (وهو) أى المؤمن (بجواره) أى يجابوب الكافر بالتوبيخ على شكه فى حصول البعث  
(أأكفرت بالذى خلقك من تراب) أى من آدم وهو من تراب (ثم من نطفة) لا يبيك وأملك (ثم سواك  
رجلا) أى صيرك انسانا ذكرا وهياك هيئة تعقل وتصلح للتكليف فهل يجوز فى العقل مع هذه الحالة  
إهماله تعالى أمرك فان من قدر على بده خلقه من تراب قد ران يعسده منه وجعل الكافر بالبعث كفرا  
بالله لان منشأ الشك فى كمال قدرة الله (لكننا) أى لكن أنا أقول (هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا)  
أى أنت كافر بالله لكنى مؤمن به موحد ثم قال المؤمن للكافر (ولولا اذ دخلت جنتك) أى وهلا حين  
دخلت بستانك (قلت) عند إعجابك بها (ما شاء الله) أى الامر هو الذى شاء الله (لا قوة الا بالله) أى  
لا قوة لاحد على أمر من الامور الا باهانة الله واقداره وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى  
شيئا أو أعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) وخدما فى الدنيا  
(فمعى ربى أن يؤتين) أى يعطينى فى الآخرة (خير من جنتك) لايمانى (ويرسل عليها) أى  
على جنتك (حسبانا) أى نارا (من السماء فتصير سعيرازلقا) أى فتصير جنتك أرضا ملساء  
لانبات فيها بحيث تنزلق الرجل لكفره (أو يصير ماؤها غورا) أى فائضا فى الأرض (فلن تستطيع  
أنت (له) أى الماء (طلبها) أى حيلة تدركه بها وقوله تعالى أو يصير عطف على قوله تعالى فتصير  
وان كان الحسبان بمعنى النار لانها الحسكم الالهى بتخريب الجنة فيمتسبب عنه صيرورتها ترابا أملسا أو  
صيرورة ماؤها غائرا ثم أخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال (وأحيط بثمره) أى أهلك ثمر بستانه  
بالتكليمه وجميع أمواله (فأصبح يقلب كفيه) أى صار يضرب احدهما على الاخرى وانما يفعل هذا  
تدأمة (على ما أنفق فيها) أى فى عمارة جنته لانه أنفق ما يمكن ادخاره من الاموال الكثيرة فى مثل هذا

الشيء السريع الزوال وقوله على ما أنفق متعلق بيقرب لانه ضمن معنى يندم كأنه قيل فأصبع يندم على  
 ما صنع فان من عظمت ندامته يصفق إحدى يديه على الأخرى (وهي) أى الجنة (خاوية على عروشها)  
 أى ساقطة على سقوف الجنة وهي سقطت على الجدران وهذه اللفظة كناية عن هلاك البستان بالكناية  
 (ويقول) أى الكافر تلها على تلف المال (يا) أى تنبها وياقومي (ليتني لم أشرك بربى أحدا) وهذا  
 الكافر تذكر كلام المؤمن وعلم انما هلكت جنته بشؤم شركه فتمنى أن لا يكون مشركا فلم يصبه ما أصابه  
 (ولم تكن له) أى الكافر (فئة ينصرونه) يدفع الهلاك عن الجنة أو برد الهلاك منها أو باتيان مثله  
 (من دون الله) فانه وحده قادر على ذلك وقرأ حمزة والكسائي ولم يكن بالياء التحتية والباقيون بالتاء  
 الفوقية (وما كان منتصرا) أى قادر ابنفسه على واحد من هذه الامور (هنالك الولاية) أى فى مثل  
 ذلك الوقت وفى ذلك المقام النصرة (لله الحق) فلا يقدر عليها أحد وقرأ حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو  
 بمعنى الملك فالمعنى أى فى تلك الدار الآخرة السلطان لله والباقيون يفتحها أى النصرة وقرأ أبو عمرو  
 والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرأ الباقيون بالجر صفة لله أى الثابت الذى لا يزول (هو) تعالى  
 (خير ثوبا) أى ائابة فى الآخرة لمن آمن به والتجباله (وخير عقبا) أى عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه  
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر بضم القاف وعاصم وحزم بتسكينها وقرأ عيسى  
 كرجى والكل بمعنى العاقبة (واضرب لهم) أى واذا كرلذين افتخروا بأبائهم والهم على فقراء المسلمين  
 (مثل الحياة الدنيا) أى صفتها الهيبة فى فنائها (كما أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الارض)  
 أى اختلف بعض أنواع النبات ببعضها الآخر بسبب هذا الماء أى صار النبات فى المنظر فى غاية الحسن  
 (فأصبح هشيا) أى فصار النبات بعد بهجتها يابساً مكسورا (تذروه الرياح) أى تغرقه ولم يبق منها  
 شئ وقرأ حمزة والكسائي الريح بالتوحيد (وكان الله على كل شئ مقتدرا) أى قادر على الكمال  
 يتكوى به أولا وتفجته وسطا وابطاله آخرافأحوال الدنيا كذلك تظهر أولا فى غاية النصارة ثم تترايد  
 قليلا قليلا ثم تأخذ فى الانحطاط الى أن تنتهى الى الفناء ومثل هذا الشئ ليس للعاقل أن يفرح به (المال  
 والبنون زينة الحياة الدنيا) وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقراض فيقع بالعاقل أن يفتخر  
 به (والباقيات الصالحات) أى اعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها أبدا من الصلوات الخمس والاعمال  
 الحج وصيام رمضان والطيب من القول (خير عند ربك) أى فى الآخرة (ثوبا) فتعود الى صاحبها  
 (وخير أملا) فينال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يرجوه فى الدنيا لان صاحب تلك الاعمال يأمل فى  
 الدنيا نصيبه من ثواب الله فى الآخرة وللغزالي فى هذا وجه لطيف فقال روى ان من قال سبحان الله حصل  
 له من الثواب عشر حسنات فاذا قال والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال  
 والله أكبر صارت أربعين وتحقق الولى فى ذلك أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق فى معرفة الله  
 وفى محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه تعالى منزها عن كل ما لا يليق به لحصول هذا العرفان  
 سعادة عظيمة ووجهة كاملة فاذا قال مع ذلك والحمد لله فقد أقرب إلى الله تعالى مع كونه منزها عن كل  
 ما لا ينبغي فهو المبتدى لا فائدة كل ما ينبغي ولا فائدة كل خير وكما قال مع ذلك ولا اله الا الله فقد أقر  
 بأنه ليس فى الوجود موجود منزه عن كل ما لا ينبغي مبتدى لا فائدة كل ما ينبغي الا الواجب فاذا قال والله  
 أكبر ومعنى أكبر أى أعظم من أن يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة أربعة  
 فكانت درجات الثواب أربعة فهذه الكلمات الأربع تسمى الباقيات الصالحات (ويوم نسير الجبال)

أى واذكر لهم حين نسير أجزاء الجبال عن وجه الأرض بعد ان يجعلها غبارا مفرقا وقرأ ابن كثير وأبو  
 عمرو وابن عامر تسير الجبال بالتاء الفوقية بالبناء للمفعول برفع الجبال (وترى الأرض) خطاب لكل  
 أحد وقرئ على صيغة البناء للمفعول (بارزة) أى ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبال وأشجار وبناء  
 وحيوان وظل وبحار (وحشرناهم) أى جمعنا الخلائق إلى الموقف من كل أوب الحساب (فلم تغادر منهم)  
 أى لم تترك من الأولين والآخرين (أحدا) الا وجمعناهم لذلك اليوم (وعرضوا على ربك) كعرض  
 الجند على السلطان ليقضى بينهم (صفا) أى مصطفىين وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين  
 والآخرين في صعيد واحد صوفى فى حديث آخر أهل الجنة مائة وعشرون صفاً نتم منها ثمانون أه  
 مقولاً لهم (لقد جئتمونا) كائنين (كما خلقناكم أول مرة) حفاة عراة غرلاً بلا أموال وأعوان (بل  
 زعمتم) فى الدنيا (أن لن نجعل لكم موعداً) أى وقتاً للبعث (ووضع الكتاب) أى وضع فى هذا اليوم  
 كتاب كل انسان فى يده اليسرى ان كان مؤمناً وفى يده اليسرى ان كان كافراً فقد تطايرت الكتب إلى  
 أيدي الخلق مثل الثلج (فترى المجرمين) أى المشركين والمنافقين (مشفقين عما فيه) أى خائفين مما  
 فى الكتاب من أعمالهم الحبيثة أى يحصل لهم خوف العقاب من الله بذنوبهم وخوف القضيحة عند الخلق  
 بظهور الجرائم لاهل الموقف (ويقولون) عندوقوفهم على ما فى الكتاب من السيئات (يا رب لعلنا) أى  
 يا هلكتنا (مال هذا الكتاب) أى أى شئ له (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) من أعمالنا (الا أحصاها  
 أى عدها) (ووجدوا ما عملوا) فى الدنيا من السيئات (حاضراً) أى مكتوباً فى صحفهم (ولا ينظم  
 ربك أحدا) فلا ينقص من حسنات أحد ولا يزيد على سيئات أحد (واذ قلنا) أى واذكر لهم وقت  
 قولنا (للا ثلاثة أمجدوا لآدم فسجدوا) جميعاً امتثالاً بالأمر (الا إبليس) فإنه لم يسجد بل تكبر  
 على آدم لانه افتخر بأصله (كان من الجن) أى من نوع الجن الذين هم الشياطين فالذى خلق من نار  
 هو أبوه (ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعته بترك السجود (أفتتخذونه وذريته أولياء) أى  
 أبعد ما وجد من إبليس ما وجد تتخذونه وذريته أصدقاء يا بني آدم (من دوني) فتطيعونهم بدل طاعتي  
 (وهم لكم عدو) أى والحال ان إبليس وذريته لكم أعداء (بئس للظالمين بدلاً) من الله تعالى فى  
 الطاعة إبليس وذريته وعن مجاهد قال ولد إبليس خمسة بتر والاعور وزلنبور ومشوط وداسم فبتر  
 صاحب المصائب والاعور صاحب الزنا وزلنبور الذى يفرق بين الناس ويبصر الرجل عيوب غيره ومشوط  
 صاحب العصب والاعور يأتى بها فيلقىها فى أفواه الناس ولا يجردون لها أصلاً وداسم الذى اذا دخل  
 الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله دخل معه واذا أكل ولم يذكّر اسم الله أكل معه (ما أشهدتهم) أى  
 ما أحضرت إبليس وذريته (خلق السموات والأرض) فأنى خلقتهم اقبل خلقهم (ولا خلق أنفُسهم)  
 أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض (وما كنت متخذ المضلين) للناس وهم الشياطين (عضداً) أى  
 أعواناً فى شأن الخلق حتى يتوهم شركتهم فى بعض أحكام الربوبية والمعنى ما أطلعهم على أمرار  
 التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فكيف تطيعونهم يا بني آدم  
 (ويوم يقول) أى واذكر لهم يا أشرف الخلق أحوال المشركين وآلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله تعزياً  
 وقرأ حمزة بنون العظمة (نادوا شركائى) أى نادوا آلهم التى قلتم انهم شركائى (الذين زعمتم) أى عبدتم  
 ليعنوكم من عذابى (فدعوهم) للفاقة (فلم يستجيبوا لهم) الى ما دعوهم اليه (وجعلنا بينهم) أى المشركين  
 وآلهتهم (موبقاً) أى عاجزاً بعيداً أو وادياً فى جهنم من فيج ودم وذلك ان المشركين الذين اتخذوا من دون

الله آلهة الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم عليهم السلام دعوا هؤلاء فلم يجيبوهم استهانة بهم واشتغالا  
بأنفسهم ثم حيل بينهم فادخل الله تعالى هؤلاء المشركين جهنم وأدخل عزيرا وعيسى ومريم الجنة وسار  
الملائكة الى حيث أراد الله من الكرامة وحصل بين الكفار ومعبودهم هذا الحاجز وهو ذلك الوادي  
(ورأى الجرمون) أي الكافرون (النار) من مكان بعيد (فطنوا أنهم واقعوها) أي محالطوها في تلك  
الساعة من غير تأخير لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها (ولم يجدوا عندها مصرفا) أي معدلا الى غيرها  
لان الملائكة تسوقهم اليها (ولقد صرفنا) أي ذكرنا على وجوه كثيرة (في هذا القرآن للناس) أي  
لنفعتهم (من كل مثل) أي من كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في  
في الغرابة كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا (وكان الانسان) بجبلته (أكثر شئ جدلا) أي وكان  
خصومة الانسان بالباطل أكثر شئ فيه (وما منع الناس) أي اهل مكة (أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى)  
أي القرآن الهادي الى الايمان (ويستغفروا ربهم) عما فرط منهم من الذنوب (الا أن تأتيهم سنة  
الاولين) أي الاطلب اتيان سنتنا في الاولين وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) وقرأ  
حزق وعاصم والكسائي بضم القاف والباء أي أنواعا من العذاب تتواصل مع كونهم أحياء والباقون  
بكسر القاف وفتح الباء أي عيانا وقرئ بفتحين أي مستقبلا (وما نرسل المرسلين) الى الامم (الا  
مبشرين) بالثواب على أفعال الطاعة (ومنذرين) بالعقاب على أفعال المعصية (ويجادل الذين  
كفروا) المرسلين (بالباطل) أي باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ليدحضوا به الحق) أي  
ليبطلوا بجدالهم الشرائع (واتخذوا آياتي) التي هي معجزات الرسل (وما آذروا) أي وانذارهم  
بالعذاب (هزوا) أي مخزية (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) أي ليس أحد أظلم ممن وعظ بالقرآن  
(فأعرض عنها) أي فصرف عن تلك الآيات ولم يتدبرها (ونسى ما قدمت يداي) أي تغافل عن كفره  
وذنوبه ولم يتفكر في عاقبته (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية (أن يفقهوه) أي مانعة  
من أن يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) أي صمما مانعا من استماعه (وان تدعهم الى الهدى) أي  
الى التوحيد (فلن يهتدوا اذن أبدا) أي فلن يوجد منهم اهتداء البتة مدة التكليف (وربك الغفور)  
أي البليغ لستر ذنوبهم بالحلم عنها الى وقت آخر (ذوالرحمة) بتأخير العقوبة عنهم (لو يؤاخذهم)  
أي لو يريد الله مؤاخذتهم (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد)  
أي وقت هلاكهم (لن يجددوا من دونه) أي العذاب (موثلا) أي مرجعا فن يكون مرجعه  
العذاب فلا يوجد منه الخلاص (وتلك القرى) أي وأهل قرى عاد وثمود وأمثالهما (أهلكناهم) في  
الدنيا (لما ظلموا) أي حين كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أي وقتا معيننا لا يتأخرون عنه وقرأ  
شعبة بفتح الميم واللام أي هلاكهم وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام أي لوقت هلاكهم والباقون بضم  
الميم وفتح اللام أي لاهلاكناهم (واذ قال) أي واذكر حين قال (موسى لفتهاه) يوشع بن نون بن  
افرايم بن يوسف عليه السلام وكان يوشع من أشرف بني اسرائيل وانما سمى قتيام موسى عليه السلام لانه  
كان يخدمه وكان موسى عليه السلام وقع في قلبه ان ليس في الارض أحد أعلم مني فقال الله يا موسى ان  
لي في الارض عبدا أعبدني منك وأعلم وهو الخضر فقال موسى يارب دلي عليه فقال الله له خذ معك ما لحا  
وامضي على شاطئ البحر حتى تلقى مضره عندها عين الحياة فانضح على السمكة منها حتى تحيا السمكة فشم  
تلقى الخضر فاخذ حوتها فجعله في مأكلة فقال لفتهاه اذا فقت الحوت فاخبرني فذهبا عيشيان (لا أبرح)

أى لا تزال سائرا (حتى أبلغ جميع البحرين) أى ملتحق بحرف فارس والروم عما يلي المشرق (أو أمضى حقبا)  
 أى أو أسير زمانا طويلا أتيقن مع عفوات الطلب أو أسير ثمانين سنة (فلما بلغا مجمع بينهما) أى بلغا موضعا  
 يجتمع فيه موسى وصاحبه الذى كان يقصده وهو الخضر (نسيا حوتهما) أى نسيا خبوحتهما وتفقدا أمره  
 وقد جعل فقداه اماراة لوجدان المطلوب (فاتخذ سبيله في البحر مريا) أى فادركته الحياة بسبب برد  
 الماء الذى أصابه فحرك في المكمل فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ الحوت في البحر مسلكا كالسرب  
 قبل ان القى كان يغسل السمكة لانها كانت ملحة فظفرت وسارت (فلما جاوزا) أى موسى وقتاه مجمع  
 البحرين وذهبا كثيرا وألقى على موسى الجوع (قالا لفتا آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا) الذى  
 بعد مجاوزة الصخرة (نصبا) أى تعبنا قيل ان موسى لم يتعب ولم يجوع قبل ذلك (قال) أى فتاه  
 (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) أى أبصرت حالنا اذ اقتنأنا عند الصخرة (فانى نسيت الحوت) أى خبر  
 الحوت (وما انسانيه الا الشيطان ان أذكره) بدل اشتمال من الماء أى وما انساني ذكر أمر الحوت  
 لك الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقرأ حفص بضم الهاء من أنسانيه (واتخذ) أى الحوت  
 (سبيله في البحر نجبا) أى اتخذنا نجبا وهو كون مسلكه كالسرب فلم يلتزم الماء وجمد ماتحت الحوت  
 منه حتى رجع موسى اليه فرأى مسلكه يكون الحوت قد مات وأكل شقه الا يسر ثم حتى بعد ذلك (قال)  
 أى موسى (ذلك) أى الذى ذكرت من أمر الحوت (ما كنا نبغ) أى الذى كنا نطلبه لانه اماراة  
 الظفر بالمطلوب وهو لقاء الخضر وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثبات الياء وصلالا وقفوا بن كثير أثبتا  
 في الحالين والباقون حذفوها في الحالين اتباعا للرسم (فارتدأ على آثارهما قصصا) أى فرجعا  
 مفتشين آثارهما أو فاقصصا على آثارهما اقتصاصا حتى أتيا الصخرة (فوجداهما عبدا من عبادة)  
 وهو الخضر واسمه بليان ملكان وكنيته أبو العباس وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك الذين تزهدوا  
 وتركوا الدنيا وروى أنهما وجد الخضر وهما نائم على وجه الماء وهو مغطى بثوب أبيض وأخضر طرفه  
 تحت رجليه والآخر تحت رأسه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالساً وقال وعليك السلام ياني بني  
 اسرائيل فقال له موسى ومن أخبرك أني بني اسرائيل فقال الذى أدراك بي وذلك على والعصم ان  
 الخضر نبي وذهب الجهور الى انه حتى الى يوم القيامة لتسريه من ماء الحياة (آتيناهم رحمة من عندنا) أى  
 أكرمناه بالنبوة كما قاله ابن عباس (وعلمناه من لدنا علما) وهو علم الغيوب (قال له موسى) على  
 سبيل التأديب والتلطف في ظرف الاستئذان (هل أتبعك) أى تعبك (على أن تعلمن) أثبت الياء  
 نافع وأبو عمرو وصلالا وقفوا بن كثير في الحالين والباقون حذفوها (عما علمت رشدا) أى علما يرشدني  
 في ديني وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشين والباقون بضم الراء وتسكين الشين قال له الخضر كفى  
 بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرني بهذا فحيث (قال) له الخضر يا موسى  
 (انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى على ما لم تعلم به بيانا وحكمة أى انك  
 يا موسى لا تصبر على أمور لم تعلم حقائقها يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علميه لا تعلمه أى وهو علم  
 الكشف وأنت على علم من علم الله علمه أى وهو علم ظاهر الشريعة (قال) له موسى  
 (ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) عطف على صابرا أى ستجدني صابرا على ما أرى منك  
 وغير مخالف لأمرك (قال) له الخضر (فان اتبعني) أى تعبتني (فلا تسألني عن شيء) تشاهده  
 من أفعالي ولو منكر بحسب علمك الظاهر (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبتدىء بأخبارك

ببيان ذلك النبي وقرأ ابن عامر فلا تسألن بالنون المثقلة وبغير ياء وروى عنه تسألني مثقلة مع الياء  
 وهي قراءة نافع وقرأ باقي السبعة بسكون اللام وتخفيف النون وقرأ أبو جعفر هنا تسألن بفتح السين واللام  
 وتشديد النون من غير همز (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة  
 وأما يوشع فقد صرفه موسى إلى بني إسرائيل أو كان معهما وانما لم يذكر في الآية لأنه تابع لموسى فاستغنى  
 بذكر المتبوع عن التابع فالمقصود ذكر موسى والخضر (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) أي ثقبها الخضر  
 وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموا أهلها أن يحملوهم فعرّفوا الخضر  
 بعلامة حملوهم بغير نول فلما لجوا أي وصلوا إلى الماء الغزير أخذوا الخضر فأسا وأخرج بها الوحان من  
 السفينة (قال) له موسى (أخرقتها لتغرق أهلها) أي لتغرق أنت أهل هذه السفينة وقرأ حمزة والكسائي  
 ليغرق أهلها بالياء المفتوحة وفتح الراء ورفع أهلها (لقد جئت شيئا مريا) أي لقد فعلت شيئا عظيما  
 شديدا على القوم روى أن الماء لم يدخل السفينة وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به  
 الخرق (قال) له الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال) موسى (لا تأخذني بعباسيت)  
 أي بعاركت من وصيتك أول مرة أو هدام التورية وإيهام خلاف المراد فيتقى موسى بها الكذب  
 مع التوصل إلى الغرض وهو بسط عذره في الانكار فالمراد بعباسيته شيء آخر غير الوصية لكنه أوهم أنها  
 المنسية (ولأترهقني من أمرى عسرا) أي لا تكلفني مشقة في أمر محبتي أي لا تقبل الخضر عذر موسى  
 فخرجا من السفينة (فانطلقا حتى إذا القيما غلاما) بين قريتين لم يبلغ الخنث يلعب مع عشرة صبيان  
 كان نوضي الوجه اسمه خيشور فأخذه الخضر (فقتله) بذبحه مضطجعا بالسكين أو بقتل عنقه (قال)  
 له موسى (أقتلت نفسا زكية) أي بريئة من الذنوب (بغير نفس) أي بغير قتل نفس محرمة وقرأ نافع  
 وابن كثير وأبو عمرو وبألف بعد الزاي وبتخفيف الياء والياقون بالتشديد وبغير ألف (لقد جئت شيئا  
 نكرا) أي لقد فعلت فعلا منكرا (قال) الخضر (ألم أقل لك) يا موسى (أنك لن تستطيع معي صبرا) قيسل أن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله أذكر  
 العهد الذي أنت عليه (قال) موسى (أن سألتك عن شيء بعدها) أي بعد هذه المرة (فلا تصاحبني)  
 أي لا تجعلني صاحبك وقرئ لا تصحبني بضم التاء وسكون الصاد (قد بلغت من لدن عذرا) أي قد  
 وجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات قرأ نافع وأبو بكر عن عادم في بعض الروايات بتخفيف  
 النون وضم الدال وفي بعض الروايات عن عاصم بضم اللام وسكون الدال روى عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم أنه قال رحم الله أخي موسى استحيأ فقال ذلك ولوليت مع صاحبه لا بدمر أعجب إلا عجيب (فانطلقا  
 حتى إذا أتيا أهل قرية) بعد الغروب في ليلة باردة ممطرة وهي انطاكية أو أبرقة (استطعما أهلها) أي  
 طلبا من أهلها الخبز على سبيل الضيافة فأقدام الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل ربما  
 وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد وعن أبي هريرة قال أطمعتم امرأة من أهل بركة بعد أن طلبا من  
 الرجال فلم يطعموهم فأقدها النساء ثم ولعنار جالهم فقوله تعالى استطعما جواب إذا أو صفة لقرية (فأبوا  
 أن يضيغوهما) عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لثاما (فوجدانيها) أي القرية (جدارا)  
 مائلا (يريد أن ينقض) أي يقرب من السقوط وكان ارتفاعه مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وامتداده  
 على وجه الأرض خمسمائة ذراع (فأقامه) أي رفعه الخضر بيده فاستقام أو مسحه بيده فاستوى  
 أو هدمه ثم بناه (قال) موسى (لوشئت) يا خضر (لأخذت عليه أجرا) أي طلبت على عملك أجرة تصرفها



الى تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات أى كان ينبغي لك أن تأخذ منهم جعلاً على فعلك لتقصيرهم  
 فينا مع حاجتنا وليس لنا في اصلاح الجدار فائدة فهو من فضول العمل وروى عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم أنه قال كانت الاولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة هماً قيل في تفسير هذه الآيات التي  
 وقعت لموسى مع الخضر أنهم اختلفوا على موسى وعتب عليه وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نوذى ياموسى  
 أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطر وحافى اليم لما أنكر أمر الغلام قيل له أين أنكرت هذا من  
 وكرك للقبطى وقضائك عليه فلما أنكر إقامة الجدار نوذى أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب  
 دون أجر (قال) له الخضر (هذا فراق بيني وبينك) أى هذا الانكار على ترك الأجر سبب فراق حصل  
 بيني وبينك (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) السين للتأكيده لا للاستقبال لعدم تراخي التنبئة  
 أى أظهر لك بيان وجه ما لم تصبر عليه أى حكمة هذه الأمور الثلاثة قبل فراقك لك (أما السفينة) التي  
 أخرقتها (فكانت لمساكين يعملون في البحر) فيعبرون بالناس مؤجرين للسفينة لحل الامتعة ونحوها  
 كانت لعشرة اخوة من المساكين ورثوها من أبيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاما العمال منهم  
 فأحدهم كان مجذوماً والثاني كان أعور والثالث كان أعرج والرابع كان آدر والخامس كان مجموماً  
 لا تنقطع عنه الحى الدهركاه وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعده  
 وجنون وكان البحر الذين يعملون فيه ما بين فارس والروم (فأردت أن أعيبها) أى أن أجعلها ذات  
 عيب (وكن ورأهم) أى أمامهم كقراءة ابن عباس وابن جبير (ملك) كقراءة هدد بن بدو وجلندى  
 ابن كركر (ياخذ كل سفينة) صحيفة كما قرأ بذلك ابن عباس وابن جبير (غصباً) من أصحابها  
 ولم يكن عندهم علم به فلذلك نعتبها فإذا جاوزوا الملك أصلحوها (وأما الغلام) الذى قتلته (فكان  
 أبواه مؤمنين) من تلك القرية اسم الأب كاذر واسم الأم سهوا (نخشينا أن يرهقهما) أى  
 نخشينا أن يحمل الوالدين المؤمنين (طغياناً وكفراً) لمحبتهما له وقرئ تخاف ربك أى كرهه ربك كراهته من  
 خاف سوء عاقبة الأمر أن يلحق الوالدين معصية وكفراً أو يقال فعلم ربك أن يوقعهما في الكفر وقيل  
 أن أبويه فرح به حين ولدوا ورحموا عليه حين قتل ولولوى لكان فيه هلا كهما فليرض العبد بقضاء الله  
 تعالى فإن قضاء الله للأؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وقيل كان الغلام رجلاً كافراً الصاقتالا  
 فمن ذلك قتله الخضر وكان اسمه جيسور (فأردنا أن يبدلهمار بهما خيراً منه زكاة) أى صلاحاً وطهارة  
 من الذنوب والاخلق الرديئة (وأقرب رحماً) أى عطفاً بأبويه وأوصل رحماً بأن يكون أبر بهما قال  
 ابن عباس أبداً لا بتناولت نبياً وهو الذى كان بعد موسى الذى قالت له بنو اسرائيل ابعث لنا ملكاً نقاتل  
 في سبيل الله وكان اسمه شععون وقرأ أبو عمرو ونافع بفتح الباء وتشديد الدال هنا وفي التحرير وفي القلم  
 وقرأ ابن عامر في إحدى الروايتين عن أبي عمرو ورحابضم الحاء (وأما الجدار) الذى سويته (فكان  
 لغلامين يتيمين) هما أصرم وصريم ابنا كاشع وأمه مدينا (في المدينة) وهى المعبر عنها أولاً  
 بالقرية تحة راء الحسة أهلها وعبر عنها هنا بالمدينة تعظيماً لها من حيث اشتغالها على هذين الغلامين  
 وأبيهما (وكان تحتهم كنز لهما) عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كن ذهاباً وفضة  
 رواه البخارى في تاريخه والترمذى والحاكم وقيل كان لهما من ذهب مكتوباً فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر  
 كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن  
 يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا اله الا الله محمد

رسول الله (وكان أبوهما صالحا) وهذا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء وقد روى ابن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي قوتهما وكمال رأيهما (ويستخرجا كنزهما) أي دفينهما من تحت الجدار ولولا أني آفته لاتقض وخرج الكنز من تحته وضاع بالكلية (رحمة من ربك) مفعول له وعامله أراد أي نعمة لهما من ربك أو عامله مقدر أي فعلت هذه الأفعال وحيامن ربك (وما فعلته) أي ما فعلت ما رأيت من هذه الأحوال (عن أمرى) أي عن اجتهادي ورأيي (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي ذلك الأجوبة الثلاثة تفسير ما لم تصبر عليه من الوقائع الثلاثة وحذف التاء بعد السين هنا للتخفيف وروى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال له أوصني قال لا تطلب العلم لتحديثه واطلبه لتعمل به وقيل إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصني قال كن بساما ولا تكن فحما كلودع اللجاجة ولا تمس في غير حاجة ولا تبع على الخطأين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران (ويسألونك عن ذي القرنين) أي يسألونك يا أشرف الخلق أهل مكة عن خبر ذي القرنين اسمه اسكندر بن فيلقوس اليوناني كان عبدا صالحا لما ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وكان وزيره الخضر والصحيح أنه لم يكن نبيا وإنما كان ملكا صالحا عادلا ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وكان داعيا إلى الله (قل) لهم في الجواب (سأتلو عليكم منه ذكرا) أي سأذكر لكم من حال ذي القرنين خبرا مذكورا والسين للتأكيد والدلالة على التحقق (إنما كماله في الأرض) أي أنا جعلناه قدرة على التصرف في الأرض من حيث التدبير والرأي وعلى الأسباب حيث مضى له السحاب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض (وأتينا من كل شيء) يحتاج إليه في إصلاح ملكه (سببا) أي طريقا يوصله إلى ذلك الشيء المقصود كآلات السير وكثرة الجند (فأتبع سببا) أي فأخذ طريقا يوصله إلى استقصاء بقاع الأرض ليملاها عدلا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يمكن أحدا من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالحالات التي هي مبدأ الأطوال (وجدناها) أي الشمس (تغرب) في رأي العين (في عين) أي بحر محيط (حثة) أي ذات طين أسود شديد السخونة كما يدل عليه قراءة شعبة وحزرة والكسائي وابن عامر حامية بألف بعد الحاء وبياء بعد الميم وهي قراءة ابن مسعود وطلمة (ووجد عندنا) أي عند تلك العين (قوما) كفار بالباسم جلودا وحوش وطعامهم ما يلقظه البحر من السمك (قلنا) بالهام (يا ذا القرنين أما أن تعذب) بالقتل (وأما أن تخفف فيهم حسنا) أي أمر إذا حسن بأن تتركهم أحياء (قال) أي ذو القرنين (أما من ظلم) نفسه باستقراره على الكفر (فسوف نعذبه) بالقتل بعد طول الدعاء إلى الإسلام (ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه) فيها (عذابا نكرا) أي شديدا وهو عذاب النار (وأما من آمن) بسبب دعوتي (وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) قرأ حزقيا والكسائي وحفص عن عاصم بنصب جزاء أي فله الجنة في الآخرة من جهة الجزاء وقرأ الباقون برفعهم والاضافة أي فله في الدارين جزاء الفعلة الحسنى التي هي الإيمان والعمل الصالح (وستقول له) أي لمن آمن (من) أمرنا يسرا أي قولنا سهلا نأمر به من الكفاة والخراج وغيرهما ولا تأمر به بالصعب الشاق (ثم أتبع سببا) أي ثم أخذ ذو القرنين طريقا نحو المشرق من جهة الجنوب (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أي موضع طلوعها من معبودة الأرض (وجدناها) أي الشمس (تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل

لهم من دونها) أى الشمس (سترا) من اللباس فيكونون عراة أبداً فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب  
 أو البحر فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم (كذلك) أى أمر ذى القرنين فيهم كأمره فى أهل المغرب  
 لحكم فى أهل المطلع كما حكم فى أهل المغرب من تعذيب الظالمين والاحسان إلى المؤمنين (وقد أحطنا بما  
 لديه خبراً) أى وقد علمنا بما كان عند ذى القرنين من الحسير (ثم أتبع سيبيا) أى ثم سلك ذوا القرنين  
 طريقاً معترضاً بين المشرق والمغرب أخذاً نحو الروم من الجنوب إلى الشمال (حتى إذا بلغ بين السدين)  
 أى بين الجبلين العالمين الأملسين فلا يستطيع الصعود عليهما فى آخر بلاد الترك عما إلى المشرق  
 ويسمى كل منهما سداً لأنه سد لحاج الأرض (وجد من دونهما) أى من وراءهما مجاوراً عنهما (قوماً  
 لا يكادون يفقهون قولاً) أى أمة من الناس لا يقربون يفهمون قول غيرهم لقلة فطنتهم وفى قراءة حمزة  
 والسكسائي ضم الياء وسكون الفاء وكسر القاف أى لا يفهمون الناس كلامهم لغرابة لغتهم وهم من أولاد  
 يافث وذو القرنين من أولاد سام قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث أما سام  
 فهو أبو العرب والعجم والروم وأما حام فهو أبو الحبشة والنيج والنوبة وأما يافث فهو أبو الترك والخزر  
 والصقالية ويأجوج ومأجوج (قالوا) لذى القرنين بواسطة ترجمان عن هو مجاورهم ويفهم  
 كلامهم أو بغير ترجمان على أن فهم ذى القرنين كلامهم وأفهام كلامه أيهم من جملة ما أعطاه الله  
 تعالى من الأسباب (يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) أى فى أرضنا يا كلون  
 كل شئ أخضر ويحملون كل شئ يابس ويقتلون أولادنا وهى يأجوج ومأجوج لكثرة تمهم وروى  
 حمزة حديثاً مرفوعاً أن يأجوج أمة ومأجوج أمة فكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى  
 ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسرون إلى خراب الدنيا وهم ثلاثة  
 أصناف صنف منهم أمثال شجر الصنوبر طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه  
 سواء عشرون ومائة ذراع وهو لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يغترش أحدهم إحدى أذنيه  
 ويلتحف بالآخرى لا يبرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم  
 بالشام وساقهم بمخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية (فهل نجعل لك خراجاً) وفى قراءة حمزة  
 والسكسائي بفتح الراء مع مده والباقيون يسكون الراء فقيس الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما  
 كان على البلد وقيل الخرج ما كان بالتبرع والخراج ما يلزم أدائه (على أن تجعل بيننا وبينهم  
 أى يأجوج ومأجوج (سداً) أى حاجزاً بين هذين الجبلين فلا يصلون إلينا (قال) ذو القرنين  
 (ما مكنى فيه ربى خير) أى ما جعلنى فيسرب قادراً من المال الكثير والملك الواسع وسائر الأسباب  
 خير مما تعرضون على من الجعل فلا حاجة بى إليه وقرأ ابن كثير مكنى بقلل الأدغام (فأعينونى  
 بقوة) أى بالأتاديد وبصناع يحسنون البناء والعمل (أجعل بينكم وبينهم ردماً)  
 أى حاجزاً حصيناً وبرزخاً متيناً وهو أكبر من السد وأوثق (أتوفى زبر الحديد) بعد الهمزة أى أعطونى  
 قطع الحديد الكبيرة وقرأ حمزة أثونى بوصل الهمزة فى الموضعين وواقعه أبو بكر هنا وخالفه فى الموضع  
 الثانى والمعنى جيتونى بزبر الحديد فزبر على قراءة همزة الوصل منصوبة على إسقاط الخافض وحفر  
 ذو القرنين الأساس حتى بلغ الماء موجد الأساس من الصخر والحجاس المذاب والبنيان من زبر الحديد  
 بينها الخطب والفهم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما وكان طوله مائة فرسخ (حتى إذا ساءى بين  
 الصدفين) أى بين طرفى الجبلين بالبناء أى أنهم جاؤا إذا القرنين بزبر الحديد فشرع بينى شيئاً حتى

اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السهل وكان ارتفاعهما اثني ذراع وعرضه خمسين  
 ذراعا ووضع المنافع والنار حول ذلك (قال) للعملة (انفقوا) بالكيران في الحديد المبني فنفخوا (حتى  
 اذا جعله نارا) أي اذا جعل الحديد مثل النار (قال) للذين يتولون أمر النحاس من الاذابة ونفخواها  
 (أتوني) أي اعطوني نحاسا مذابا. (أفرغ عليه قطرا) أي أصب على الحديد الحمى نحاسا مذابا فأفرغه  
 عليه فدخل مكان الخطب والغصم فامتزج بالحديد والتصق ببعضه ببعض وصار جبلا صلبا وهذه كرامة  
 عظيمة حيث صرف الله تأثير الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين والمفرغين للقطر (فاستطاعوا)  
 بمخفق تاه بعد السين أي فلم يقدر يا جوج وما جوج (أن يظهر وه) أي أن يهوا يظهر الجبل لارتفاعه  
 وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي خر قامن أسفله لصلابته وثخنه لانه كان خمسين ذراعا وكان  
 ارتفاعه مائتي ذراع وكان طول السد على وجه الارض مائة فرسخ ومسيرة الفرمخ ساعة ونصف فتكون  
 مسيرة السد مائة وخمسين ساعة مسيرة اثني عشر يوما ونصفا (قال) أي ذوالقرنين لمن عنده (هذا)  
 السد (رحمة) أي نعمة عظيمة (من رب) على جميع الخلق (فاذا جاء وعد رب) أي وقت وعد رب  
 بخروج يا جوج وما جوج (جعله) أي هذا السد (دكا) بالدا أي أرضا مستوية وقرى دكا أي مكسورا  
 حتى يصير ترابا (وكان وعد رب) بخروجهم وقت قرب الساعة (حقا) أي صدقا (وتركنا بعضهم  
 يومئذ يوج في بعض) أي صيرنا بعض يا جوج وما جوج يوم خروجه من السد يختلط ببعضهم الآخرون  
 شدة الازدحام عند خروجهم لكثرتهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين الى جبل الطور  
 فرار منهم روى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من  
 الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ولا يصلون الى من تحصن منهم يورد أودكر  
 ويحبس في الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار فيمتوجهون الى الله  
 تعالى بالدعاء فيسلط الله تعالى دودا في أنوفهم أو آذانهم فيموتون به ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى  
 الارض فلا يجدون في الارض موضع شبرا لاملأه رعمهم ومنتهم فيتموجه نبي الله عيسى وأصحابه الى الله تعالى  
 فيرسل سبحانه وتعالى عليهم طير اقتلعهم في البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض حتى تصير كالمرآة ثم يقال  
 للارض انبتي غرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الغنم  
 والابل حتى أن القمعة لتسكن في الجماعة الكثيرة فيبينماهم ~~كذلك~~ اذ بعث الله تعالى عليهم رجلا طيبة  
 فتأخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر  
 فعليهم تقوم الساعة (ونفخ في الصور) نفخة ثانية للبعث (لجمعناهم) أي يا جوج وما جوج وغيرهم  
 (جمعنا) أي جمعنا عجيبا بعدما تفرقت أوصالهم وعزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء (وعرضنا  
 جهنم يومئذ للكافرين عرضا) أي أظهرنا هاهم مع قرهم من هاهم اذ جمعنا الخلائق كافة اظهارا هائلا  
 فذلك يجري مجرى عقابهم لحصول الغم العظيم بسبب رؤيتهم وسماعها تغيظا وزفيرا (الذين كانت أعينهم)  
 أي أعين قلوبهم وهم في الدنيا (في غطاء) أي غشاوة كثيفة (عن ذكرى) على وجه يليق بشأن  
 وعن كتابي فلا يهتدون به (وكانوا لا يستطيعون سمعا) الى قراءة القرآن فلا يؤمنون به (ألحسب  
 الذين كفروا) أي كفروا بي مع جلالة شأنى فظنوا (أن يتخذوا عبادى من دونى) من الملائكة  
 وعيسى وعزير (أولياء) أي معبودين ينصرونهم من عذابى والمعنى أقظنوا انهم يتنفعون بمن عبدوه  
 من عبادى مع اعراضهم عن تدبر الآيات النعمية والمجاهدة وقرأ ابو بكر ألحسب الذين كفروا بسكون

السين ورفع الباموذ كراهه قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أي أفكافهم اتخاذهم ذلك من دون  
طاعتي (أنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا (قل هل ننبتكم بالآخرين أهالا) في الآخرة  
(الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم (في الحياة الدنيا) متعلق بسعيهم لا بضل وذلك كالعتق والوقف  
واغاثة الملهوف لأن الكفر لا تنفع معه طاعة (وهم يحسبون) أي والحال أنهم يظنون (أنهم يحسنون  
صنعا) أي يحسنون في أعمالهم بالاتباع على الوجه اللائق ويحسبون أنهم يتفنون بأعمالهم  
المراد بهم أهل الكباين وقيل الرهبانية الذين يحسبون أنفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات  
الشاقة وجملة وهم يحسبون حال من فاعل ضل وهو أولى من كونها حالاً من المضاف إليه (أولئك الذين  
كفروا بآيات ربهم) أي بدلائله الداعية إلى توحيدهم عقلاً ونقلاً (ولقائه) أي وكفروا بالبعث بعد  
الموت وبرؤيته تعالى في الآخرة (لخبطت أعمالهم) أي بطلت لأنكارهم الدلائل (فلانقيم لهم يوم  
القيامة وزناً) أي فلانجعل لمن خبطت أعمالهم حبوطة كليا يوم القيامة قدرا بل تزدري بهم فليس لهم عندنا  
قيمة أصلا ولا يوزن من خيراتهم قدر ذرة (ذلك جزاؤهم) أي ذلك الذي ذكرناه من أنواع الوعيد هو  
جزاؤهم (جهنم) عطف ببيان للغير (بما كفروا واتخذوا آياتي) الدالة على وحدانيتي (ورسلي) المؤيدين  
بالمعجزات (هزوا) أي مهزوا بهما (ان الذين آمنوا) بآيات ربهم ولقائه (وعملوا الصالحات) من الأعمال  
(كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى ووعد (جنات الفردوس نزلا) أي منزلا خير كانت ولهم  
متعلق بمحذوف حال من نزلا (حالين فيها لا يغيغونها حولا) أي لا يطلبون تحولا إلى غيرها وهذا يدل  
على غاية الكمال فلا مزيد عليها في خيرات الجنة حتى يريد أشياء غير هاتان الإنسان في الدنيا إذا وصل  
إلى أي درجة كانت من السعادات فهو طامع الطرف إلى ما هو أعلى منها وعن كعب انه قال ليس في  
الجنات أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم انه قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار  
الأربعة فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تغبر أنهار الجنة (قل لو كان  
الجبر مداد الكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) أي قل يا أشرف الخلق لو كان ماء البحر  
مداداً لكتب ربي كلمات علم ربي وحكمته لنفد ماء البحر مع كثرة في كتابتها ولم يبق منه شيء لتناهيها من غير أن  
تنفذ كلمات ربي لعدم تنافيها وقرأ حمزة والكسائي بنفد بالياء التحتية (ولو جئنا بمثل ما  
البصر (مددا) أي زيادة لنفد البحر ولم تنفذ كلمات ربي وقبل هنا بمعنى غير أو بمعنى دون وروى  
أن جبري بن أخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ثم تفرقون وما أوتيت من العلم إلا  
قليلاً فنزلت هذه الآية أي ان ذلك الحكمة خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ثم أمر الله تعالى سيدنا  
محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريقة التواضع فقال (قل) لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى  
(أنما أنا بشر مثلكم) لا أدعي الا حاطة بكلماته تعالى التامة (يوحى إلى) من تلك الكلمات (أنما الهكم  
إله واحد) لا شريك له في الخلق ولا في سائر أحكام الألوهية وأنما تميزت عنكم بذلك الوحي (فمن كان  
يرجو لقاء ربه) أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى (فليعمل) لتحصيل تلك الطلبة العزيرة (مهما  
صالحا) لا تقابل تلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أشار كما  
جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا أشار كما خفيا كما يفعله أهل الرياء روى أن جندب بن  
زهر العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرين فقال صلى الله

عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت هذه الآية تصديقاً له وروى أنه صلى الله عليه وسلم  
قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية فالرواية الأولى محمولة على ما إذا قصد بعمله  
الرياء والسفهة والرواية الثانية محمولة على ما إذا قصد أن يقتدى به  
والمقام الأول مقام المبتدئين والمقام الثاني مقام  
الكاملين والحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله  
ومحبته أجمعين  
آمين

﴿تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني أوله سورة مريم﴾



فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن المجيد المسمى بمراح لبيد للشيخ محمد نورى

صفحة	تم
سورة الفاتحة ٢	٣٤٤ سورة يونس
سورة البقرة ٣	٣٦٠ سورة هود
سورة آل عمران ٧٧	٣٧٧ سورة يوسف
سورة النساء ١٢٨	٤٠٠ سورة الرعد
سورة المائدة ١٧٧	٤١٠ سورة ابراهيم
سورة الانعام ٢١٨	٤١٨ سورة الحجر
سورة الاعراف ٥٢٩	٤٢٦ سورة النحل
سورة الانفال ٣٠٠	٤٤٧ سورة الاسراء
سورة التوبة ٣١٤	٤٦٧ سورة الكهف



To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)